

جمهورية مصر العربية
مجمع اللغة العربية
لجنة اللهجات

لغة تميم

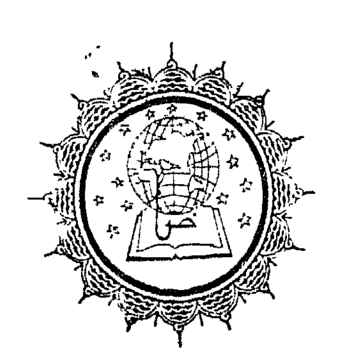
دراسة تاريخية وصفية

تأليف
الدكتور ضاحي عبد الباقي

القاهرة
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م



جمهورية مصر العربية
مجمع اللغة العربية
لجنة اللهجات



لغة تميم

دراسة تاريخية وصفية

تأليف
الدكتور ضاحي عبد الباقي

القاهرة
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م



بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

للأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب

عميد كلية الآداب – جامعة عين شمس

والخبير بالمجمع

تذكرت وأنا أكتب هذه المقدمة ، أيام أن كنت أحضر للدكتوراه فى ألمانيا الغربية فى الخمسينات ، واتفقت مع أستاذى المشرف الألمانى هناك ، على دراسة لهجة من اللهجات المصرية النائية ، كلهجة الواحات مثلا ، لإيمانى العميق بأن كثيرا من الخصائص اللهجية المعاصرة ليست إلا امتدادا لبعض اللهجات القديمة .

ولكن بعض الجاهلين بقيمة هذه الدراسات ، وقف حجر عثرة أمام العمل فى هذا الميدان المهم من ميادين الدراسة اللغوية ، وتلقيت آنذاك تلغرافا من القاهرة ينص على أن دراسة اللهجات ليست من فقه اللغة . واضطررت آسفا إلى اختيار اتجاه آخر غير هذا الاتجاه الذى لم يرض عنه المعوّقون لحاجة فى نفس يعقوب !

وعشت بعد ذلك زمنا رأيت فيه أستاذا كبيرا يتقدم بشكوى مطولة إلى وزير المعارف بإحدى الدول العربية ، يتهم فيها أساتذة اللغة العربية بجامعة من جامعاتها بأنهم يدرسون اللهجات العربية القديمة والحديثة ، وأن أحد هؤلاء الأساتذة قام بترجمة كتاب عن الإنجليزية فى لهجات شرق الجزيرة العربية !

وما درى القوم أنه لا يخلو كتاب من كتب اللغويين العرب القدامى من التعرض لما كانت تموج به جزيرة العرب من خصائص لهجية هنا وهناك . ومع ذلك لم تكن البلاغة بين اللغة واللهجة واضحة فى أذهان كثير من هؤلاء اللغويين من القدماء ولذلك نجد بعضهم

يخلط بينهما خلطا بلا حدود ويعد اللهجات العربية لغات مختلفة وكلها حجة ، وعلى رأسهم ابن جنى فى كتابه « الخصائص » .

وقد تنبه المحدثون من اللغويين إلى أهمية دراسة اللهجات العربية القديمة والحديثة وليس أدل على هذا من وجود لجنة متخصصة فى هذا الجانب من جوانب الدراسة اللغوية فى مجمع اللغة العربية ، وقد قدمت الكثير ولا تزال تقدم فى هذا الميدان .

كما حصل الكثير من طلاب البحث العلمى على درجات الماجستير والدكتوراه من الجامعات المصرية ببحوثهم فى اللهجات العربية المختلفة ومنهم مع عشرات غيره صاحب هذا البحث الأخ الصديق الدكتور ضاحى عبد الباقى محمد ، وذلك لإيمانهم معى بأن البحث فى اللهجات العربية الحديثة ، يتبين منه بالدليل القاطع أنها ترجع فى كثير من الحالات إلى اللهجات العربية القديمة أكثر من رجوعها إلى اللغة الفصحى كما أن الكثير من الدارسين للهجات يعرفون أن التعمق فى هذا النوع من الدراسة قد يحسم الإجابة عن السؤال العويص التالى : هل العربية الفصحى ولغة الشعر عبارة عن حصيلة لهجات عدة ، أم أنها لهجة قبيلة معينة ، سادت واتخذها الشعراء قالبا ينظمون فيه أشعارهم ؟ .

وقد سار الأخ الدكتور ضاحى فى بحثه هذا على المنهج العلمى السليم ، فتتبع هذه المقتطفات المبثورة هنا وهناك عن لهجة تميم ، وجمعها وبوبها وفسرها بحسب القوانين اللغوية التى وصل إليها المحدثون من علماء اللغات . وهو حين أقدم على هذه الدراسة كان يعرف تماما الصعوبات التى ستعرض له ، فإن البحث فى هذا الميدان يتطلب فى الحقيقة تصفح جميع المؤلفات العربية ، لأن اهتمام العلماء العرب بالمسائل اللغوية لم يقتصر على اللغويين والنحويين ، فإننا نجد هذا الاهتمام عند الجغرافيين والمؤرخين ، بل عند الفلاسفة والأطباء و الرياضيين ، بمناسبة وبغير مناسبة ، ولذلك فإننا كثيرا ما نعثر على ملاحظات مهمة عن اللهجات العربية فى غير كتب اللغويين كذلك .

ومن الصعوبات التى يلاقيها الباحث فى هذا الميدان كذلك ، عدم ذكر اللغويين للقبائل التى ينتمى إليها اللهجات ، واكتفاؤهم بعبارة : « وهى لغة » مثلا . وقد أثبت صاحب

هذا البحث أن كثيرا من الخصائص اللهجية التى لم تعز إلى قبيلة بعينها فى بعض المصادر ؛ إنما هى خصائص تميمية خالصة .

والحق أن الأخ الدكتور ضاحى فى بحثه هذا يعد مثالا للأمانة العلمية ، والدقة المتناهية ، والإخلاص فى العمل . وقد خرج من بحثه هذا بالكثير من النتائج العلمية الطيبة التى تحسب له فى مجال الدرس اللغوى ، وهذا الجهد المبذول فى هذا الكتاب القيم يعد نموذجا يحتذى فى دراسة اللهجات القديمة يمكن للدارسين الإفادة منه فى دراسة لهجات عربية أخرى ، بهذه الروح الطيبة فى الصبر والجلد ، والإخلاص و التفانى فى البحث والدرس .

وإنى أدعو الله سبحانه وتعالى أن ينفع به ، وأن يرزقه التوفيق والسعادة ، والمثابرة فى خدمة العلم ، والدفاع عن لغة الضاد ، لغة الكتاب العزيز .

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب »

أ . د . رمضان عبد التواب



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين ، أشرف من نطق بالضاد محمد بن عبد الله — صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه — وبعد :

فإن موضوع هذا البحث هو « لغة تميم : دراسة تاريخية وصفية » ، وهو يتناول لغة أولئك الأقوام الذين ينتسبون إلى تميم بن مرّ بن أدّ ، والذين كانوا يقيمون في الربع الشمالي الشرقي من الجزيرة ، وذلك على اختلاف بطونهم وتعدد سكناهم ، وهو دراسة تاريخية historical وصفية descriPtive للغة هذه القبيلة في الزمن السابق لتسرب اللحن إلى العربية ، وهو المعروف بعصور الاحتجاج . وسأحاول التأريخ لكل ظاهرة أو كلمة نسبت إلى تميم ، وذلك بعد دراستها دراسة وصفية ، كي أتبيّن — إن أمكن — ماإذا كانت لغة التميميين . هي القدمى أو المحدثة . وتوسلت إلى ذلك بعدة أمور : كاللجوء إلى الساميات ، فما اتفق معها عدّ أقدم من غيره سواء أكان تميميًّا أم غير تميمي ، وبالرجوع إلى المعاني الكلية للمادة ، فما كان ألصق بها حكم بأصالته وحداثة الآخر . وكان من وسائلي أيضًا الرجوع بالكلمات المعرّبة إلى لغاتها التي دخلت منها ، سواء أكانت سامية أم غير سامية كالفارسية . فما اقترب من الأصل شبهًا رجح قدمه .

كما سأتابع كل ظاهرة لأرى مدى استعمالها عبر التاريخ وعلى الأخص في وقتنا الراهن .

ولقد كان نهجي الذي سلكته بعد اختيار الموضوع هو جمع المادة العلمية من مظانها : فحرصت على تدوين كل ما نسب إلى تميم أو أحد فروعها من ظواهر لغوية منسوبة إلى قائليها — إنْ كانت منسوبة — ولم أكتف بالتميمية ، بل حرصت على تدوين ما ينسب إلى الأماكن التي كانت تقيم بها تميم ، فدونت لغة نجد واليمامة والبحرين ، وما إلى ذلك من بلاد كان يقيم بها بعض بطونها . ثم عند الدراسة وضعتها تحت المخبر ، فاخترت منها ما تيقنت أن تميمًا تكلمت به مثل اللغة النجدية التي درج اللغويون على أن يذكروها لتشمل سكان هذه المنطقة ومنهم تميم . وما كان في النفس منه شيء لم أتعرض له إلّا للاستئناس به أحيانًا ، فلم أتناول لغة البحرين ؛ لأنهم وإن كانوا من سكانها فإن الغالب على هؤلاء السكان نسبهم إلى عبد القيس وبكر بن وائل[1] ، ولم أتناول لغة اليمامة لاقتران

(١) معجم ما استعجم ١/٨٠ ، ٨١ ، ومعجم قبائل العرب ٢/٧٢٦

بنى حنيفة بها[١] . كما سجلت كل لغة نسبت إلى الحجاز ، لأن اللغويين كانوا غالبا يستعملون الحجاز فى مقابل تميم ، ومع جمعى إياها لم أستخدمها إلّا للاستئناس . فإذا قالوا مثلًا : إن كلمة كذا بضم أولها وفتحه ، والفتح لغة الحجازيين ، لا أنسب الضم لبنى تميم ، لاحتمال أن يكونوا قد نطقوا بالكسر أو شاركوا الحجازيين فى الفتح ، وأن الضم لقبيلة أخرى مثل أسد ولم ينص على ذلك . كما أننى سجلت كل لغة قيل : إنها لغة سفلى مضر ، أو لغة سائر العرب غير الحجازيين ؛ لأن اللغويين كانوا يستعملون ذلك فى مقابل الفصيحة المشتركة أو لغة الحجاز أو لغة أهل العالية .

وجمعت كذلك كل لغة وصفت بالضعف أو الرداءة ؛ لأن اللغويين كانوا يعنون بذلك أى لغة غير الحجازية ومنها تميم . وقد وضحت ذلك بالشواهد عند الحديث عن « مرادفات اللغة التميمية » فى الباب الأول .

وبالنسبة للمراجع فكل باحث تواجهه صعوبات خاصة بمراجع دراسته ، وقارئ البحث يقدر ذلك فى أثناء اطلاعه . على أننى أقف هنا مع مرجعين :

أما أولهما ، فهو كتاب «الجيم» لأبى عمرو الشيبانى المتوفى نحو سنة ٢١٦ هـ ، وأحب أن أشير إلى جهد مضن بذلته فى دراسة هذا الكتاب ، وهو يتميز بأنه كثيرًا ما يصدّر اللفظ ودلالته باسم شخص منسوب إلى قوم معينين مثل التميمى والعُقيلى ، وقد جمعت كل ما هو مسبوق بلفظ « التميمى » أو أحد بطون تميم كالعنبرى ، وتبين لى أن هذه الألفاظ موزعة بين الدلالة والصرف والصوت ، وكان للدلالة النصيب الأوفر ، ودرستها على أن المراد بالتميمى شخص غير محدد من تميم وأن « ال » فى هذا اللفظ للجنس ، فقد يكون المراد به تميميا واحدا أو أكثر . إلّا أننى بعد دراسة هذه المادة رأيت أن أحذفها موافقًا ما ذهب إليه الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب من أن المراد بالتميمى وما شابهه كالعقيلى اسم راو معيّن ينقل عن قبيلته وعن غيرها[٢] ، والذى دعانى إلى ذلك :

١ ـ أن أبا عمرو نسب بعض اللغات إلى ذويها على نهج غيره من اللغويين مثل قوله : « بنو تميم يقولون : خُفَّان مُقرَّعان ، أى مثقَّلان »[٣] ، وقوله : « تقول بنو أسد الزُّمْل والزُّمِّيل : رديفُك »[٤] .

---

(١) معجم ما استعجم ١/٨٣ ، ومعجم قبائل العرب ١/٣١٢

(٢) انظر : فصول فى فقه العربية ٢٧٢ ، ٢٧٣

(٣) الجيم ٣/٧٤ والنص أيضا فى : تهذيب اللغة ١/٢٣٣ . واللسان (قرع) ١٠/١٤١

(٤) الجيم ٢/٥٩

٢ ـ أننا لاحظنا أن أبا عمرو عندما يصدر عبارة بـ « وقال » فإن الضمير يعود على راوى العبارة السابقة مباشرة (التميمى أو الأسدى . . . إلخ) وذلك من مقارنة نصوص الجيم بما ورد فى «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ت نحو سنة ٢٤٤ هـ) ـ وهو من تلاميذ أبى عمرو[١] ـ من ذلك أنه ورد فى « إصلاح المنطق » النص التالى :

« قال أبو عمرو : قال التميمى العدوى : البَجَال : الرجل السيد السمح[٢] » . فإذا ما رجعنا إلى الجيم نجد النص كما يلى :

« وقال التميمى العدوى : المُبْسِق : التى يجىء لبنها قبل نِتاجها . وقال : البجال : الرجُلُ الشَّيْخ السَّيد »[٣] .

وإذا كان هذا نهج أبى عمرو فإننا نجده يذكر : « وقال : النَّوْل من لغة حِمْيَر : الوادى الذى يسيل »[٤] واسم الراوى السابق لهذه العبارة هو « السعدى »[٥] . ومعنى ذلك أن السعدى لم يكتف بالنقل عن قومه بنى سعد وإنما روى أيضًا عن اليمنيين .

ومثال آخر لعدم اقتصار الراوى على النقل عن قومه : قول صاحب الجيم : « وقال الطائى : دَأَيْتُه ، أى دَارَأْتُه وَرَفَقْتُ به .

وقال : الدِّنْدِن : ما يَبِس من الكلأ والشجر وبَلِى »[٦] .

ونجد لفظ « الدِّنْدِن » بدلالته التى ذكرها أبو عمرو يعزى إلى تميم[٧] لا إلى طيئ .

على أننى عقب دراسة أية ظاهرة معينة واستنتاج نهج تميمى خاص ، أشير أحيانًا إلى ما ورد فى الجيم منسوبًا للتميمى ومتفقًا ونهج تميم هذا الذى توصلت إليه ، وذلك على سبيل الاستئناس ، لاحتمال أن يكون الراوى التميمى نقل هنا عن قومه .

وثمة كتاب يستحق أن نقف معه وقفة قصيرة ، ذلك هو « المزهر فى علوم اللغة » لجلال الدين السيوطى (ت سنة ٩١١ هـ) ، وهو كتاب جامع نقل عن كثير من مؤلفات سابقيه ، وترجع أهميته إلى أن من الكتب التى نقل عنها ما عدت عليها العوادى ، ففقدت

---

(١) بغية الوعاة ٢/٣٤٩ (٢) إصلاح المنطق ١٢٢

(٣) الجيم ١/٩١ والملاحظ أن هناك تحريفا فى أحد الكتابين المطبوعين فى أحد اللفظين « السمح » الوارد بالإصلاح و « الشيخ » الوارد بالجيم .

(٤) الجيم ٣/٢٦٩ (٥) المرجع السابق ٢٦٨ (٦) المرجع السابق ١/٢٥٢

(٧) انظر : النبات لأبى حنيفة ٥/١٧٥

وأضحت أثرًا بعد عين . ومن هذا المفقود ما اهتم بلغات القبائل ، مثل كتاب « النوادر » ليونس بن حبيب[١] (ت سنة ١٨٢ هـ) ، ونوادر اليزيدى[٢] (ت سنة ٢٠٢ هـ) . وقد طبع المزهر – فيما نعلم – أربع طبعات : الأولى بالمطبعة الأميرية سنة ١٢٨٢ هـ ، والثانية بمطبعة السعادة ، والثالثة بمطبعة صبيح بالقاهرة[٣] ، والرابعة قام بتحقيقها الأساتذة محمد أحمد جاد المولى ، وعلى محمد البجاوى . ومحمد أبو الفضل إبراهيم . وثلاثتهم من العلماء الأجلاء . وطبعت فى مطبعة عيسى البابى الحلبى بالقاهرة لأول مرة سنة ١٩٥٨ م .

ويذكر المحققون أنهم رجعوا إلى الطبعات السابقة فوجدوها جميعًا صورة واحدة لا تختلف إحداها عن الأخرى[٤] ، وأنها قد ملئت تحريفًا وتصحيفًا ، وقرروا أنهم رجعوا إلى دار الكتب للاطلاع على نسخ الكتاب المخطوطة ، فأجابهم الثقات بأن الطبعة الأميرية لا تختلف عن نسخ الدار فى حرف واحد[٥] .

وهذه الطبعة الأخيرة هى التى لاقت – حقًا – عناية أكثر مما سبقها من حيث الضبط والرجوع إلى الكتب المطبوعة التى نقل عنها السيوطى . لكن عندما يكون الكتاب المنقول عنه مفقودًا ، لم يكن أمامهم بد من الاجتهاد والاعتماد على الكتب والمعاجم للاستعانة بها فى الضبط ، أو إهماله . وهذا ما حدث بالنسبة لما رواه السيوطى عن يونس ؛ وقد روى عنه ألفاظًا اختلفت فيها لغة تميم عن لغة الحجاز .

وقد لاحظت على هذه الطبعة ، فيما يتصل بهذا البحث : خطأ فى الضبط أو إهمالًا له ، وتصحيفًا فى الكتابة ، وهذه أمور من شأنها أن تضلل الباحث وتجعله يصل إلى نتائج غير سليمة ويصدر أحكامًا تخالف ما كانت عليه تلك اللغة ، فرجعت إلى النسخ المخطوطة بدار الكتب علّها تهدينى إلى الصواب ، فوجدت ثلاث نسخ تحت أرقام ٢٥٢ ، ٣٣٤ ، ٦٤٢ لغة ، والنسخة الأخيرة كتبت بخط إبراهيم بن نجم الدين بن يحيى بن على بن يحيى الشهير بابن المبلط كتبها سنة ٩٦٧ هـ أى بعد وفاة المؤلف بست وخمسين سنة . وهذه النسخة وجدتها كاملة الضبط ، واستطعت بوساطتها أن أصوب وأضبط الكلمات التى تتصل بموضوعنا هذا ، وفيما يلى أمثلة على ما نقول :

(١) انظر : المزهر ٢/٢٧٥ (٢) المرجع السابق ٢/٢٧٦

(٣) انظر المرجع السابق الصفحة (ب) من (مقدمة المحققين) .

(٤) المرجع السابق . (٥) المرجع السابق : الهامش ١

١ ـ الخطأ فى الضبط :

جاءَ عند الحديث عن العنعنة « وفى أُذُن عُذُن »[١] وضبطت الهمزة والعين بالضمة ، وورد النص أيضًا فى « الاقتراح » للسيوطى[٢] بدون ضبط . والصواب بكسر الهمزة والعين وفتح الذال ؛ أى « إِذَنْ » و « عِذَنْ »[٣] . وقد كان من آثار هذا الضبط أن تابعهم من جاءَ بعدهم . ومن هؤلاءِ ناشرو كتاب « لهجات العرب » لأحمد تيمور[٤] رغم أنهم أوردوا فى الصفحة التالية النص الذى شرحه والمنقول عن كتاب « نشر الانشراح » ، والذى ضبط الكلمة بالعبارة[٥] . ولنا عودة إلى هذا اللفظ عند الحديث عن « العنعنة » .

٢ ـ اهمال الضبط :

ونلحظه فيما نقله السيوطى عن يونس واليزيدى[٦] . وقد نتج عن ذلك إهمال الباحثين ما لم يجدوه مضبوطًا فى مراجع أُخرى ، فصاحب « معجم لهجة تميم » أهمل قول اليزيدى « أهل الحجاز : غرفت الماء غَرْفة وتميم غُرْفة »[٧] كما لم يتعرض لكلمة « غرفة » الدكتور صبحى الصالح[٨] والدكتور أحمد علم الدين الجندى . وأهمل صاحب « معجم لهجة تميم » أيضًا قول يونس « أهل الحجاز : حقَد يحقِد ، وتميم حَقِد يحْقَد »[٩] .

٣ ـ التصحيف :

ونلحظ ذلك فى قول يونس : « أهل الحجاز » ليست له همة إلَّا الباطلَ ، وتميم ليست له همة إلَّا الباطلُ[١٠] . وقد وردت هذه العبارة فى هذه الطبعة من المزهر كما يلى : « أهل الحجاز ليست له همة إلَّا الباطل وتميم ليس له همة إلَّا الباطل[١١] » ، دون ضبط اللام من كلمة « الباطل » فى الموضعين ولم أجد أحدًا من الباحثين تعرض لهذه العبارة .

وعندما اطلعت على نص المطبوعة فى بادىء الأمر ، أخذت أُسائل نفسى عن موضع هذه العبارة من البحث ، فرأيت أن مكانها « الجنس » أى التذكير والتأنيث ، فإذا بالمخطوطة ترشدنى إلى أن الخلاف نحوى خاص بالاستثناء .

---

(١) المزهر ١/٢٢٢ (ط) (٢) الاقتراح ٩٩

(٣) المزهر ٧٠ / ب (خ) ، ولهجات العرب ٤٦ (عن نشر الانشراح ، شرح الاقتراح ٤٤١) .

(٤) انظر : لهجات العرب ٤٥ (٥) المرجع السابق ٤٦ (٦) انظر : المزهر ٢ /٢٧٥–٢٧٧

(٧) النص فى المزهر ٢/٢٧٧ والضبط من المخطوط ٢٩٩ / ب وانظر : معجم لهجة تميم (مجلة المورد العراقية) م / ٧ العدد / ٣ ص ١٧١ « باب الغين ») .

(٨) انظر : دراسات فى فقه اللغة ٨٤ (٩) المزهر ٢٩٩/أ (خ) والعبارة فى المطبوعة ٢/٢٧٦

(١٠) المزهر ٢٩٩/أ (خ) (١١) المرجع السابق ٢/ ٢٧٦ (ط)

ولم أر من القدماء من خص اللغة التميمية أو غيرها من لغات اللسان العربى بدراسة مستقلة ؛ لأنهم كانوا ينظرون إلى العربية على مختلف لغاتها أنها وحدة متكاملة . وما لاحظوه من خصائص للغات بعض القبائل عدوه خروجًا على النظام ، ولم يعبئوا به كثيرًا . لذلك نراهم يقررون أن اللغات على اختلافها حجة[1] .

أما حديثا : فقد تنبه علماؤنا إلى ضرورة دراسة هذه اللغات ، فكانت البداية من حفنى ناصف فى كتابه « مميزات لغات العرب » الذى نشر لأول مرة سنة ١٣٠٤هـ ، ثم تتابعت المسيرة فألف الدكتور إبراهيم أنيس كتابه « فى اللهجات العربية » سنة ١٩٤٦م ، والدكتور رابين Rabin كتابه : « Ancient West-Arabian » سنة ١٩٥١م . ورغم أنه خاص بلغات غرب الجزيرة فإنه كان يشير إلى التميمية كثيرًا فى مجال المقارنة ، والدكتور صبحى الصالح فى كتابه « دراسات فى فقه اللغة » وقد خصص للغة التميمية فصلًا خاصًا ، والدكتور أحمد علم الدين الجندى فى رسالته « اللهجات العربية كما تصورها كتب النحو واللغة » .

بل إن بعض اللغويين أفرد للغات بحوثًا خاصة ، فقد درس الدكتور عبد الجواد محمد الطيب « لغة هذيل » ويقوم أيضًا بدراستها الآن الدكتور أحمد علم الدين الجندى ، ويتابع الدكتور رمضان عبد التواب دراسة « لهجة طيئ » للجنة اللهجات بمجمع اللغة العربية .

وقد فوجئت بعد أن جمعت المادة الخاصة بهذا البحث وكتبت قدرًا كبيرًا من الرسالة ببحث أعده الأستاذ فاضل المطلبى بعنوان « لهجة تميم وأثرها فى العربية الموحدة » ، فوجدت نفسى بين أمرين : الاستمرار فى الموضوع ، أو الإعراض عنه ، وترددت قليلًا ، ثم رأيت أن أمضى فيما بدأت ؛ لأن الموضوع الواحد مهما تعددت فيه البحوث ، فكل باحث لابد أن يقدم بحثه فى ثوب يختلف عن ذلك الثوب الذى ألبسه إياه الكاتب السابق ، وأن يصبغه بصبغة مغايرة ، وذلك لاعتبارات عديدة كاختلاف المنهج ومصادر الدراسة . وإن المطبعة لتقدم لنا فى كل يوم جديدا يوجه تفكير الباحث إلى أمور لم يتنبه إليها غيره ، كما إنها تقدم لنا من التراث ما كان مجهولًا لدى الباحث الأول . وألاحظ على سبيل المثال بعض الصفات اللغوية المذمومة كالعنعنة والكشكشة . فقد تناولها القدماء كأصحاب المعجمات اللغوية وتناولها كل من كتبوا فى اللهجات حديثًا ، مثل حفنى ناصف ، والدكتور إبراهيم

---

(١) انظر : الخصائص ١/٤١٠ – ٤١٢ ، والمزهر ١/٢٥٧ – ٢٥٩ .

أنيس ، والدكتور علم الدين الجندى ، والدكتور رمضان عبد التواب ، ولجنة اللهجات بمجمع اللغة العربية . ولم ير اللاحق غضاضة فى أن سابقيه تناولوها بالبحث والدراسة ، بل كتب كل منهم وأضفى على ما كتب من شخصيته العلمية . وإننى فى مثل هذا المقام لا أوافق أستاذنا المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس فيما كتبه بمقدمة الطبعة الثالثة لكتابه « فى اللهجات العربية » من أنه يجب على الباحثين — بعد البحث الذى أعده الدكتور أحمد علم الدين الجندى (اللهجات العربية) — الاتجاه إلى دراسة اللهجات الحديثة فقط ، دون القديمة التى استوفيت بحثًا ودراسة ، يقول رحمه الله : « لم نعد الآن بحاجة إلى مزيد من البحث والتنقيب فى بطون الكتب القديمة التى عرضت فى ثناياها للهجات العرب »[1] . إننى لا أتفق مع المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس ، بل أقول : لقد بقيت أشياء وأشياء ستكشف عنها البحوث المتعددة ، ويزيد من معرفتنا بها ما تقدمه لنا المطبعة كل يوم من مخطوطات لم يسبق نشرها .

كما علمت ببحث آخر بعنوان « خصائص لغة تميم : أصواتًا وبنية ودلالة » قدمه محمد بن أحمد بن سعيد العمرى لنيل درجة الماجستير من كلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز سنة ١٣٩٦ هـ .

وقد اطلعت على البحثين بعد الانتهاء من كتابة بحثى ؛ فلم أجد فيهما مادة جديدة يمكن أن أضيفها إلى ما كتبته .

ولما كانت تميم إحدى القبائل التى اعتد اللغويون بلغتها عند تسجيل العربية وجمعها — على ما سنذكر عند الحديث عن مكانة هذه اللغة — فإن اللغويين لم يكونوا حريصين عندما تتفق هذه اللغات فى ظاهرة ما على نسبتها إلى أصحابها ، قال ابن نوفل : « سمعت أبى يقول لأبى عمرو ابن العلاء : أخبرنى عما وضعت مما سميته عربية : أيدخل فيها الكلام كله ؟ فقال : لا . فقال : فما تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ قال : أعمل على الأكثر وأسمى ما خالفنى لغات »[2] .

ووفقًا لذلك إذا نسب إلى لغة من اللغات خاصية معينة ، كأن يقال مثلًا : إن بنى سُلَيم يكسرون همزة « أيان »[3] ، وإن « الساجد » فى لغة طيئ : المنتصب ، وفى لغة سائر العرب المنحنى[4] ، لا أتناول مثل هاتين الخاصيتين بالدراسة فأقول : إن تميمًا تفتح همزة أيان

---

(١) فى اللهجات العربية ٤

(٢) طبقات النحويين واللغويين ٣٤

(٣) همع الهوامع ٢/٥٧

(٤) المخصص ١١/١١٤

فى مقابل كسرها عند بنى سليم ، وإن بنى تميم كانت تعنى بالساجد « المنحنى » على حين تعنى طيئ بها المنتصب ، لأن الفتح فى أيان والساجد بمعنى المنحنى يعدّان حينئذ من عناصر اللغة المشتركة التى شاركتها فيها اللغة التميمية . وإن مثل هذه المخالفات للغة المشتركة لا نتعرض لها ، لأنها ليست مخالفات تميمية .

وكان نهجى بعد عرض الظاهرة ودراستها أن أُعرج بعد ذلك على موقف القراءات القرآنية منها ثم الشعر وخاصة التميمى . وفيما يتصل بالقراءات القرآنية لم أقف عند القراءات المتواترة ، بل تعديتها إلى الشاذ منها .

وأما الشعر فقد ركزت على التميمى منه كيلا يتشعب الموضوع ، لأرى هل من شعرائهم من نطق بالظاهرة موضع البحث . وبالطبع لم ألجأ إليهم فى الموضوعات التى كانت الكتابة لا توضحها : كالإمالة والتبادل بين الحركات القصيرة ؛ لأنها معرضة للتصحيف على أيدى الناطقين الرواة أولًا ، ثم على أيدى النساخ ، ثم المحققين من بعدهم لالتزام المصنفين الأخيرين بالضبط وفق اللغة المشتركة .

ولم يكن الشعراء فى الغالب يمثلون لغاتهم شأنهم فى ذلك شأن القرّاء ، بل كانوا ينطلقون باللغة المشتركة ، وهى العربية الفصحى ؛ لأن الشاعر يريد أن يكون على مستوى الجزيرة ، ولذا لم نجد لديهم الخصائص التى نسبت إلى اللغات والتى عدت من العيوب كالكشكشة . لكنهم لا يخلون أحيانًا من التأثر بالبيئة .

وقد أدت طبيعة البحث أن يكون فى مقدمة ، وخمسة أبواب ، وخاتمة .

أما المقدمة ، فقد عرضت فيها — كما سبق — أهمية لغة تميم ، وبينت الخطة التى اتبعتها فى دراسة الموضوع .

وأما الباب الأول : وهو تمهيدى ، فقد تناولت فيه نسب القبيلة ومساكنها ، ثم تكلمت عن اللغة التميمية ومكانتها بين لغات العربية .

والباب الثانى : خصصته الحديث عن السمات الصوتية عند تميم . وقد جاء فيه أربعة فصول : تكلمت فى الأول عن الإبدال (بنوعيه الحر والمقيد « التركيبى » ، ويشمل الأخير التماثل والتغاير) بين الأصوات الساكنة ، ثم بين أشباه أصوات اللين وكذلك بين

الحركات قصيرها وطويلها . وتناولت فى الثانى الهمزة . أما الثالث فكان عن القلب المكانى ، واختتمته بالرابع وكان خاصًا بالوقف .

يلى ذلك الباب الثالث : وقد تناولت فيه الخصائص التى تميزت بها اللغة التميمية فى البنية من حيث الطول والقصر ، سواء أكان ذلك فى الأفعال أم فى الأسماء أم فى الحروف ، ثم انتقلت إلى الفعل ومشتقاته ، وتناولت بعد ذلك الجمع ، ثم عرجت على الجنس (التذكير والتأنيث) .

وجاء بعد ذلك الباب الرابع : وهو الذى درست فيه الخصائص النحوية للغة تميم. وقد تناولت فيه تسعة موضوعات ، هى : هلم ومعاملتها عندهم على أنها فعل وعند الحجازيين على أنها اسم فعل ، وباب سنين بين جمعه عندهم جمع تكسير ، وإلحاقه بجمع المذكر السالم فى اللغة المشتركة ، واختلافهم مع غيرهم فى إعراب وبناء بعض الكلمات ، وصرفهم كلمات لم يصرفها غيرهم ، وإعرابهم الكلام دون حكايته . ثم تكلمت عن ثلاث ظواهر هى الميل إلى الرفع ، والنصب ، والإتباع ، وختمت بالحديث عن حذف خبر « لا » النافية للجنس .

ولم أحرص فى دراستى لهذا الباب — وكذلك سابقه الخاص بالصرف — على تسجيل علل نحاتنا الأقدمين ، بل اقتصرت على عرض الخصائص المعينة التى تنسب إليهم . ثم درستها فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ؛ لأن البحث أساسًا فى فقه اللغة وليس فى النحو وهو كما حدده عنوانه « دراسة تاريخية وصفية » ولو وقفت مع النحاة لتشعب بى الأمر وطال الحديث .

ثم كان الباب الخامس والأخير : فعرض لدلالة الألفاظ من ترادف ومشترك وتضاد ، وذلك من خلال صلتها بغيرها من اللغات العربية .

وأخيرًا جاءت الخاتمة التى لخصت فيها الرسالة فى عرض موجز مبينًا أهم النتائج التى توصلت إليها وما عنّ لى من مقترحات أرى ضرورة تنفيذها .

وهذا البحث هو رسالة تقدمت بها لنيل درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة عين شمس بإشراف الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب عميد الكلية . وإنه ليسعدنى أن أُقدم إلى سيادته جزيل الشكر وعظيم الامتنان على ما قدمه لى من عون صادق وما بذله من جهد كبير . ولقد كان لنظراته الثاقبة الدقيقة التى لاينفذ إليها سوى أمثاله من العلماء ما فتح لى آفاقًا عريضة لفهم الموضوع وعلاج قضاياه .

كما لا أنسى ما للأستاذ الدكتور شوقى ضيف عضو المجمع ، والأستاذ الدكتور عبد الرحمن السيد ، رئيس قسم النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة من فضل لما قدماه لى من ملاحظات سديدة فى أثناء مناقشة البحث قومت ما اعوج منه .

ولا يفوتنى أن أزجى الشكر الوفير لكل من قدم إلى يد العون فى إعداد هذا البحث . وإنه ليطيب لى أن أقدم التحية إلى السادة الأفاضل أعضاء لجنة اللهجات بالمجمع وبخاصة مقررها الأستاذ محمد شوقى أمين لاقتراحهم على المجمع رعاية البحث بطبعه على نفقته .

وإن ترحيب العلامة الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع بمقترح اللجنة وموافقته على أن يكون هذا البحث من مطبوعات المجمع لحقيق بالثناء الجميل والتقدير الحميد . ولا أملك إلّا أن أدعو المولى -عز وجل- أن يجزيه عن العلم وطالبيه خير الجزاء ، وأن يسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة .

وآمل بعد هذا أن أكون قد أسهمت بدراستى هذه فى خدمة لساننا العربى الذى أكرمه الله وخص به آخر كتبه المنزلة على خاتم رسله محمد - صلى الله عليه وسلم - .

الرموز المستعملة فى البحث

الرمز	مدلوله
گ	القاف المعقودة التى كان ينطقها التميميون ، وينطقها الآن سكان البوادى وأهل الصعيد ، واستعملت أيضًا فى مقابل الجيم اليمنية قديماً ، والقاهرية حديثًا .
ı	ألف قصيرة تحت الصوت الساكن الذى تليه فتحة قصيرة أو طويلة للدلالة على إمالة هذه الفتحة .

والرموز المستعملة فى كتابة الساميات هى :

الرمز	مقابله	الرمز	مقابله	الرمز	مقابله
c	الهمزة	ṣ	الصاد	a	الفتحة القصيرة
b	الباءُ	ḍ	الضاد	ā	الفتحة الطويلة
p	الپاءُ	ṭ	الطاء	i	الكسرة القصيرة الخالصة
t	التاءُ	ẓ	الظاءُ	ī	الكسرة الطويلة الخالصة
ṯ	الثاءُ	c	العين	e	الكسرة القصيرة الممالة
ǧ	الجيم	ġ	الغين	ê	الكسرة الطويلة الممالة
ḥ	الحاءُ	f	الفاءُ	u	الضمة القصيرة الخالصة
ḫ	الخاءُ	ḇ	القاءُ	ū	الضمة الطويلة الخالصة
d	الدال	ḳ	القاف	o	الضمة القصيرة الممالة
ḏ	الذال	k	الكاف	o	الضمة الطويلة الممالة
r	الراءُ	L	اللام	ă	الفتحة المخطوفة
z	الزاى	m	الميم	ĕ	الكسرة المخطوفة
s	السين	n	النون	ŏ	الضمة المخطوفة
ś	السامخ فى العبرية	h	الهاءُ	â	المد غير الأصلى
		w	الواو		
š	الشين	y	الياءُ		



الباب الأول

(تمهيدي)



أولا : تميم
نسبها وفروعها

توطئة :

يقسم النسابون العربَ إلى قسمين :

(ا) بائدة : وهم الذين بادوا واندثروا مثل ثمود .

(ب) باقية : ويقسمونها إلى :

١ ـ عاربة : وهم القحطانيون .

٢ ـ مستعربة : وهم الذين ينتمون إلى سيدنا إسماعيل عليه السلام ، ويعرفون بالعدنانية[١] . ومن هؤلاء المستعربة بنو تميم .

نسب تميم :

هو تميم بن مر بن أُدّ[٢] بن طابخة[٣] (واسمه عمرو) بن إلياس[٤] بن مضر بن نزار ابن معدّ بن عدنان[٥] الذى ينتمى إلى سيدنا إسماعيل عليه السلام[٦] وكان لتميم فروع متعددة ، ولكثرة عددهم أُطلق عليهم وعلى بكر بن وائل « الجُفَّان[٧] » .

ويجمل بنا قبل الحديث عن فروع تميم أن نبدأ بتوطئة عن طبقات العرب تعين على تحديد الطبقة التى تنتمى إليها فروع تميم .

---

(١) قلائد الجمان ١٤ ، ١٥

(٢) جمهرة أنساب العرب ٢٠٦ ، ونهاية الأرب ٢/٣٤٤ ، وعجالة المبتدى ٣١ ، وسبائك الذهب ٢٣ ، ٢٤

(٣) العقد الفريد ٣/٣٤٤ ، وعجالة المبتدى ٣١ ونهاية الأرب ٢/١٨٨

(٤) فى العقد الفريد « إليأس » .

(٥) جمهرة أنساب العرب ١٠ ، وعجالة المبتدى ٣١

(٦) جمهرة أنساب العرب ٩ ، وسبائك الذهب ١٦

(٧) اللسان (جفف) ١٠/٣٧٣ وانظر : جمهرة أنساب العرب ٤٨٧ ، والجف فى اللغة : العدد الكثير (اللسان ـ الموضع السابق) وكان هذا اللقب يطلق أيضا على مضر وربيعة (اللسان ـ الموضع السابق) وهما أصلا تميم وبكر ؛ لأن بكرا تنتمى إلى ربيعة (جمهرة أنساب العرب ٣٠٢) .

طبقات العرب :

يقسم النسابون العرب إلى طبقات ويختلفون فيما بينهم فى ترتيبها وفى عددها وفى التمثيل لها ، كأن يُمثل أحدهم لطبقة بشخص معين ، ويمثل الآخر بحفيد له . وأشهر هذه التقسيمات هى :

١ ـ الشَّعب : وهو النسب الأبعد كعدنان .

٢ ـ القبيلة : وهى ما انقسم فيها الشعب كربيعة ومضر .

٣ ـ العِمارة : وهى ما دون القبيلة كقريش وكنانة .

٤ ـ البطن : وهى ما دون العمارة كبنى عبد مناف وبنى مخزوم .

٥ ـ الفَخِذ : وهى دون البطن كبنى هاشم وبنى أُمية .

٦ ـ الفصيلة : وهى ما انقسم فيها أنساب الفخذ كبنى العباس[١] .

٧ ـ وزاد بعض النّسابين العشيرة ، وهى دون الفصيلة مثل أولاد المنصور[٢] ، ومثل الزمخشرى (ت سنة ٥٣٨ هـ) والفيومى (ت نحو سنة ٧٧٠ هـ) للشعب بخُزَيْمة وللقبيلة بكِنانة وللعمارة بقريش وللبطن بقُصَىّ بن كلاب وللفَخِذ بهاشم وللفصيلة بالعباس[٣] . ومثّل صاحب « عجالة المبتدى » للشعب بمُضَر وربيعة وللقبيلة بطابخة ومدركة ابنى إلياس وللعمارة بتميم وكِنانة بن خزيمة ، وللبطن بفِهْر بن مالك بن النضر بن كنانة ، وللفخذ بلُؤَىّ بن غالب بن فهر ، وللفصيلة بقصى بن كلاب ، وللعشيرة بعبد مناف بن قُصى[٤] .

بعد هذا العرض نحب أن نعرف « وضع تميم » واللقب الذى يطلق عليها .

إن من يلاحظ هذا العرض يستطيع أن يقرر أنه قد يعبر عن الطبقة الواحدة بأكثر من لفظ ، وهذا واضح بالنسبة لربيعة ومضر ، فبعضهم يعد كلا منهما شعبًا ، وبعضهم

---

(١) نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب للقلقشندى ١٣ ، وصبح الأعشى ١/٣٠٨ ، ٣٠٩ ، وقلائد الجمان ١٤ ، ١٥ ، وسبائك الذهب ٥ ، وبلوغ الأرب ٣/١٨١ (عن الأحكام السلطانية للماوردى) . ويتفق صاحب العجالة (ص ٧) مع ما مثل هنا ولم يختلف إلا فى البطن ، فقد مثل لها بـ « قصى بن كلاب » ، واقتصر فى تمثيله للفخذ بـ « بنى هاشم » .

(٢) عجالة المبتدى ٦

(٣) الكشاف ٢/٣٩٩ ، والمصباح (شعب) ٤٤٧

(٤) عجالة المبتدى ٨

يعد ذلك قبيلة ،وكذلك بالنسبة لقريش يعدها بعضهم قبيلة وبعضهم عمارة ؛ فالتسمية إذن نسبية ، فما يسميه بعضهم قبيلة يمكن أن يطلق عليه غيرهم شعبًا .

وفيما يتعلق بتميم نلاحظ أنها تناظر قريشا وكنانة ، أو بمعنى أدق النضر بن كنانة والد قريش ؛ فهما يلتقيان فى إلياس الجد الثالث لهما[١] ، فهى إذن يمكن أن توصف بأنها قبيلة أو عمارة . ذلك إلى الأوصاف الأُخرى ، فهى رحى من أرحاء العرب الست ، لقوتها وعددها ، ولأنها حَمَت دُوراً ومياها ومرابعَ لم يكن لغيرهم من العرب مِثْلُها ، فدارت فى دَوْر الرَّحَى على أقطابِها لا تفارقها طلبا للنُّجَعة[٢] ، كما إنها إحدى جماجم العرب التسع ؛ يقول صاحب عجالة المبتدى : « فاعلم — وفقك الله — أن فى العرب أرْحاء وجماجمَ وشعوبا وقبائل . أما الأَرحاء من العرب فستّ والجماجم تسع وسائر العرب قبائل وعمائر ليست بأَرحاء ولا جماجم »[٣] ، ثم ذكر تميما بين الأَرحاء[٤] والجماجم[٥] .

إن صاحب العجالة يرى أن الرحى والجمجمة أكبر من القبيلة ، ويعد تميما إحدى أرحاء العرب وإحدى جماجمها ، وهو فى الوقت ذاته يبخل عليها بلقب القبيلة ويكتفى بلفظ « عمارة » التى هى دون القبيلة .

والذى ألاحظه أن كلا من الرحى والجمجمة تطلق على الجماعة الكبيرة ، سواء أكانت قبيلة أم عمارة أم غيرهما ، وأن إحدى العمارات قد تكون أكثر عددا من قبيلة أخرى لا تنتمى إليها ، بل إن بطنا ما قد يكون أكثر فى العدد وأقوى من قبيلة ، ولعل هذا هو الذى حدا بكثير من المؤرخين أن يطلق على بعض العمائر والبطون لفظ قبيلة .

وعلى ذلك فإذا كانت تميم تعد فى نظر بعض العلماء « عِمارة » فإن الذى دعاهم إلى ذلك التزام التسلسل فى الألقاب وإطلاق قبيلة على « مضر » . إلا أننا نظرا لأنها من أكبر قواعد العرب لما لها من فروع متعددة فسنتكلم عنها على أنها قبيلة مناظرينها بكنانة التى

---

(١) نسبهما كالآتى : النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس (عجالة المبتدى ١٠٣) وتميم بن مر بن أد ابن طابخة بن إلياس .

(٢) عجالة المبتدى ٥ (٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق . (٥) المرجع السابق .

عدها صاحب عُجالة المبتدى « قبيلة » والتى تلتقى معها فى إلياس بن مضر . ويؤازرنا فى هذا الرأى الماوردى إذ يقول : « إذا تباعدت الأنساب صارت القبائل شعوبا والعمائر قبائل ، يعنى وتصير البطون عمائر والأفخاذ بطونا والفصائل أفخاذا ، والحادث من النسب بعد ذلك فصائل »[١] .

وفيما يلى فروع بنى تميم .

بنو تميم

فروع تميم كثيرة ومتعددة تنتمى كلها إلى أولاده الثلاثة : الحارث وعمرو وزيد مناة[٢] .

أولا : بنو الحارث بن تميم :

ويسمى الحارث أبا شَقِرة[٣] ، وذلك لبيت قاله ، وهو :

وقد أخضب الرُّمْحَ الأَصمَّ كُعُوبُه
بِهِ من دِماءِ القوم كالشَّقِراتِ[٤]

ويقال لبنيه الشَّقرات[٥] ، ويقول عنهم ابن حزم : « وهم قليل »[٦]

ثانيا : بنو عمرو بن تميم :

كان لعمرو من البنين : العَنْبر ، والهُجَيْمُ ، وأُسَيِّد ، ومالك ، والحارث ، وكعب ، وقُلَيْب[٧] .

---

(١) صبح الأعشى ٣٠٩/١

(٢) جمهرة أنساب العرب ٢٠٧

(٣) نسب عدنان وقحطان ١٦ وجمهرة اللغة ٣٤٦/٢

(٤) نسب عدنان وقحطان ٦ وجمهرة اللغة ٣٤٦/٢ ، وجمهرة أنساب العرب ٢٠٧ . وفى العقد الفريد ٣٤٤/٣ ، وعجالة المبتدى ٧٩ أن القائل هو معاوية بن الحارث ، وهو الذى يلقب بشقرة ورواية البيت فى جمهرة أنساب العرب والعقد « أحمل » بدل « أخضب » وعلق ابن عبد ربه على البيت بقوله « الشقرات : شقائق النعمان ، شبه الدماء بها فى حمرتها » وانظر تعليق محقق جمهرة أنساب العرب بالحاشية ١ ص ٢٠٧ .

(٥) جمهرة أنساب العرب ٢٠٧

(٦) المرجع السابق .

(٧) جمهرة أنساب العرب ٢٠٧ ، ونسب عدنان وقحطان ٧ ، والمعارف ٣٥ (ولم يذكر كعبا) والاشتقاق ٢٠١ (وليس فيه قليب ويذكر فى ص ٢٠٦ أنه من بنى مازن) ونهاية الأرب للقلقشندى ٣٧٣ (ولم يذكر كعبا وقليبا) والعقد الفريد ٣٤٥/٣ (عدا كعبا وقليبا وذكر مازنا بدل مالك) .

١ – بنو العَنْبَر : ويقال أيضاً بلعنبر[١] ، وهم : جُنْدَب وكعب ومالك[٢] . ومن بنى العنبر « بنو دُغَة » التى يضرب بها المثل فى الحمق ، فيقال « أحمق من دغة[٣] » ؛ وهى من إياد بن نزار تزوجها عمرو بن جُنْدب بن العنبر ، فولدت له .

٢ – بنو الهجيم بن عمرو : وهم : عمرو ، وسعد ، وربيعة[٤] .

٣ – بنو أُسَيِّد[٥] : عمرو ، ونُمَير ، وعُقَيل ، والحارث ، وجُرْدة[٦] ، ويصفهم القلقشندى بأنهم من أشراف بنى تميم[٧] .

٤ – بنو مالك بن عمرو : مازن ، والحِرْماز ، وغَيْلان ، وغَسّان[٨] .

٥ – بنو الحارث بن عمرو : ويعرفون بالحَبَطَات[٩] . وقد لقب الحارث بالحَبِط لعظم بطنه[١٠] ، وقيل : لأنه أكل صمغا كثيرا فَحَبِطَ عنه ، أى ورم بطنه[١١] .

٦ – بنو كعب بن عمرو : وقد ولى كعب البيت قبل قريش[١٢] ، ولم يذكر النسابون – فيما قرأت – له أفخاذا .

٧ – بنو قُلَيب بن عمرو : وهؤلاء قد دخلوا فى بنى سعد بن زيد مناة[١٣] الآتى ذكرهم

---

(١) نهاية الأرب للقلقشندى ٦٠ (وهناك بنو العنبر بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، وسيرد ذكرهم) .
(٢) نهاية الأرب للنويرى ٣٤٥/٢ ، وجمهرة أنساب العرب ٢٠٨ (ولم يذكر مالكا) .
(٣) انظر المثل وأصله فى : مجمع الأمثال ١/ ٢١٩
(٤) جمهرة أنساب العرب ٢٠٩
(٥) قيل إنه بتشديد الياء وتخفيفها (عجالة المبتدى ١٤) ، وذكره محمد بن حبيب بضم الهمزة وفتح السين وتشديد الياء فقط (مختلف القبائل ٣٦٣) .
(٦) جمهرة أنساب العرب ٢١٠
(٧) نهاية الأرب للقلقشندى ٤٠
(٨) الاشتقاق ٢٠٢ ، وجمهرة أنساب العرب ٢١١ وذكر صاحب العقد (٣٤٥/٣) أن مازنا هو ابن عمرو ابن تميم ، وذكر أن بنى مالك هم : غيلان وأسلم وحرماز. ولعل أسلم تحريف « غسان » .
(٩) الاشتقاق ٢٠٢ ، وجمهرة أنساب العرب ٢١٣ ، ونسب عدنان ٧ ، والعقد الفريد ٣٤٥/٣ ، والمعارف ٣٥ ، ونهاية الأرب للقلقشندى ٤٥ ، ١١٠
(١٠) جمهرة أنساب العرب ٢١٣
(١١) الاشتقاق ٢٠٢
(١٢) نهاية الأرب للنويرى ٣٤٥/٢
(١٣) جمهرة أنساب العرب ٢٠٧

ثالثا : بنو زيد مناة :

كان لزيد من الأبناء : سعد ، ومالك ، وامرؤ القيس ، وعامر[١] ، وعوف (ويسمى أيضاً مكسّرا) ، وبكر[٢] ، والحارث[٣] . وكل منهم يمثل بطنا :

١ ـ أما بكر فلم يذكر النسابون له أفخاذا ، وذكروا من نسله يعلى بن مُنْية (ومنية أمه) أحد الصحابة ، كان واليا على اليمن[٤] .

٢ ـ بنو عوف (مكسر) : كانوا مع بنى حِمّان بن عبد العزّى بن كعب[٥] ابن سعد بن زيد مناة[٦] . ويذكر صاحب « سبائك الذهب » أن كعبا ابنُ لزيد مناة[٧] .

٣ ـ بنو الحارث : ويذكر صاحب « المعارف » أنهم قليل[٨] .

٤ ـ بنو عامر : خصيف ، ويزيد ، وكانوا يعرفون ببنى الصَّحْصَح[٩] . ويذكر صاحب « كتاب المعارف » أن ولد عامر انتسبوا إلى عامر بن مجاشع[١٠] .

٥ ـ بنو امرئ القيس[١١] : مالك ، والحارث ، وعُصَيّة[١٢] .

٦ ، ٧ ـ يبقى بعد ذلك بنو سعد وبنو مالك ، وقد كان فيهم العدد ، وهذا تفصيل لأفخاذهم وفصائلهم وعشائرهم :

(أولا) بنو سعد : وردت فى الكامل للمبرد عبارة تشير إلى مكانة بنى سعد ، فقد روى أن معاوية بن أبي سفيان قال ـ وكان عنده بعض بنى سعد وخرجوا ـ « إن مضر كاهل العرب[١٣] ، وتميما كاهل مضر ، وسعدا كاهل تميم ، وهؤلاء كاهل سعد »[١٤] .

---

(١) جمهرة أنساب العرب ٢١٣ ، والمعارف ٣٥
(٢) جمهرة أنساب العرب ٢١٣ (٣) المعارف ٣٥
(٤) جمهرة أنساب العرب ٢١٣ (٥) المرجع السابق
(٦) المرجع السابق ٢٢٠ ، والمعارف ٣٦ (وفيه : بنو حمان بن كعب بن سعد) .
(٧) راجع ص ٢٥ (٨) انظر ص ٣٤
(٩) جمهرة أنساب العرب ٢١٤ (١٠) المعارف ٣٥
(١١) النسبة إليه « مرئى » بفتح الميم والراء (مجالة المبتدى ١١٤) (١٢) جمهرة أنساب العرب ٢١٤
(١٣) أى معتمدهم وسندهم فى المهمات ، مأخوذ من كاهل البعير ، وهو مقدم ظهره الذى يكون عليه المحمل (اللسان «كهل» ١٢٢/١٤ ، ١٢٣) . (١٤) الكامل للمبرد ٤٠/١

وكان لسعد هذا من البنين :

كعب ، وجُشَم ، وعبد شمس[١] ، ومالك[٢] ، والحارث ، وعمرو[٣] ، وعُوافَة[٤] ، وعوف[٥] ، وهبيرة[٦] ، ونجدة[٧] ، وزيد الله[٨] . وقد عقب ابن حزم بعد ذكره السبعة الأول : « كلهم يُدْعَون الأبناء سوى كعب وعمرو فإنهما يدعون البطون »[٩] . وكذلك نقل القلقشندى عن أبي عبيد بأنه « يقال لولد سعد هذا غير كعب وعمرو : الأبناء »[١٠] .

ولم يذكر النسابون فروعا إلا لكعب بن سعد . وهذا بيان بأفخاذه :

بنو كعب بن سعد ، هم :

عوف ، وعمرو ، وحرام ، وربيعة ، وعبد العزى ، ومالك ، وعبد شمس[١١] ، وجشم ، والحارث الأعرج[١٢] .

ويقال لمالك وعمرو المزروعان[١٣] ، وذلك لكثرة أموالهما[١٤] ولإخوتهم الأجارب[١٥] :

---

(١) كتب فى بعض المصادر « عبشمس » (انظر المعارف ٣٥ ، وجمهرة أنساب العرب ٢١٥) والنسبة إليه وإلى ابن أخيه عبد شمس بن كعب «عبشمى» بتشديد الياء . أما عبشمسى فنسبة إلى عبد شمس بن عبد مناف (انظر : عجالة المبتدى ٨٨).

(٢) نسب عدنان ٨ ، والمعارف ٣٥ ، ٣٦ ، وجمهرة أنساب العرب ٢١٥ ، والعقد الفريد ٣/٣٤٦ ، ونهاية الأرب للقلقشندى ٢٨٥ ، وسبائك الذهب ٢٦

(٣) المراجع السابقة عدا العقد الفريد .

(٤) المراجع السابقة عدا « المعارف » .

(٥) المراجع السابقة عدا « الجمهرة » .

(٦) المراجع السابقة عدا « نسب عدنان » و « الجمهرة » و « العقد » .

(٧) المراجع السابقة عدا « نسب عدنان » و« المعارف » و « الجمهرة » و « العقد » .

(٨) عجالة المبتدى ٧٠ وورد فى إحدى نسخ هذا الكتاب المخطوط بدون لفظ الجلالة (انظر الحاشية رقم / ١ ص ٧٠) .

(٩) جمهرة أنساب العرب ٢١٥

(١٠) نهاية الأرب للقلقشندى ٢٨٥ وفى ص ١٦٢ منه « الأبناء : بطن من بنى تميم ، وهم الحارث وعوافة وجشم وعبشمس ، ومالك وعوف وهبيرة ، ونجدة ، ورجاء أبناء سعد بن زيد مناة بن تميم) وواضح أن هناك تحريفا فى نهاية الأرب للقلقشندى ؛ فقد انفرد فى موضع بنميرة اليشكرى وفى موضع آخر برجاء .

(١١) كتب فى جمهرة أنساب العرب ٢١٦ « عبشمس » .

(١٢) المرجع السابق .

(١٣) المرجع السابق .

(١٤) القاموس (زرع) ٣/٣٤

(١٥) جمهرة أنساب العرب ٢١٦ ، ونهاية الأرب للقلقشندى ١٦٣ ، وفى نسب عدنان ٩ : إن الأجارب ولد كعب ماعدا عمرا وعوفا ، وفى العقد ٣/٣٤٦ إن الأجارب هم بنو ربيعة وبنو الأعرج ، وفى هامش العقد إنهم سموا الأجارب لأنهم نحروا جملا أجرب ، فأكلوا لحمه ، وغمسوا أيديهم فى دمه وتحالفوا .

(ا ، ب) أما مالك والحارث الأعرج [١] وجشم فلم تذكر لهم كتب الأنساب – فيما نعلم – فروعا .

(ج) وقيل عن بنى جشم : إنهم قليل [٢] .

(د) وأما بنو حرام فكانت لهم خطة بالكوفة [٣] .

(هـ) بنو ربيعة : ويطلق عليهم الخُدَعة [٤] ، وهم جشم ، ولأى ، وعمرو ، وهو المستوغر بن ربيعة الشاعر أحد المعمَّرين [٥] .

(و) بنو عبد العزى بن كعب وهم : حِمَّان [٦] ، وجابان ، وجُزَىّ ، وعوف [٧] ، فمن بنى حمان نمرة بن مُرة بن حِمَّان ويذكر ابن حزم أنه كان بيت بنى تميم فى القديم [٨] .

(ز) بنو عوف بن كعب : وهم : عُطَارِد ، وبَهْدَلة ، وقُرَيع [٩] ، وجُشم [١٠] ، وبِرْنيق ، وقرين ، وعِلْباء [١١] . ومن بنى قريع : جعفر ، وهو أنف الناقة [١٢] .

(ح) بنو عمرو بن كعب [١٣] : ومنهم مُقَاعس واسمه الحارث [١٤] .

واشتهر من بنى مقاعس مِنْقَر بن عُبيد بن مُقاعِس [١٥] ، ثم ابنه فُقَيم الذى يعده ابن حزم بطنا [١٦] .

---

(١) ويسمى بلعرج والنسبة إليه العرجى (عجالة ٩٢) .

(٢) عجالة ٣٨ ، وهناك جشمان آخران : جشم بن معاوية من قيس عيلان ، وجشم الخزرج (عجالة ٣٨) .

(٣) المرجع السابق ٤٩

(٤) التكملة (خدع) ٢٣٦/٤

(٥) السيرة النبوية ٨٨/١

(٦) فى المعارف ٣٦ ، «جمان بن كعب» .

(٧) جمهرة أنساب العرب ٢٢٠

(٨) المرجع السابق .

(٩) المرجع السابق ٢١٨ ، ونهاية الأرب للقلقشندى ٣٨٢ ، ونسب عدنان ٩ ، ١٠ والكامل للمبرد ٣٤٩/١ وذكر أنه لم يكن لعوف سوى هؤلاء الثلاثة ، والمعارف ٣٦ ، والعقد ٣٤٧/٣

(١٠) جمهرة أنساب العرب ٢١٨ والعقد الفريد ٣٤٧/٣ ونهاية الأرب للقلقشندى ٣٨٢

(١١) جمهرة أنساب العرب ٢١٨ ، ونهاية الأرب للقلقشندى ٣٨٢ وذكر الأخير (مزين بدل قرين) .

(١٢) تاريخ ابن خلدون ٢٥٦/٢ ، وراجع سبب هذه التسمية فى جمهرة أنساب العرب ٢١٩

(١٣) فى سبائك الذهب ٢٦ ، ٢٨ «عمرو بن سعد بن زيد مناة» .

(١٤) نسب عدنان ٩ ، والمعارف ٣٦ ، وجمهرة أنساب العرب ٢١٦

(١٥) نسب عدنان ٩ ، وجمهرة أنساب العرب ٢١٦

(١٦) جمهرة أنساب العرب ٢١٦

(ثانيا) بنو مالك بن زيد : وهم : حنظلة ، وربيعة ، ومعاوية ، وقيس[١] : .

١ – بنو ربيعة ويعرفون بربيعة الجوع[٢] ، وسنعرض لها مع بقية الربائع .

٢ ، ٣ – بنو ربيعة وقيس : ويسمون الكُردوسان[٣] ، وكانوا فى بنى فقيم بن جرير بن دارم[٤] ، الآتى ذكرهم .

٤ – بنو حنظلة بن مالك : وكان فيهم البيت والعدد[٥] ، وكان لحنظلة من البنين :

مالك ، ويربوع ، وربيعة ، وعمرو ، ومُرّة وهو الظُّلَيمُ ، وغالب وكُلْفَة ، وقيس[٦]

(ا) البراجم[٧] : وهم : بنو عمرو ، والظُّلَيم ، وغالب ، وكُلْفة[٨] وقد سموا بذلك ، لأن عددهم كان قليلا ، فقال لهم حارثة بن عامر بن عمرو بن حنظلة : «أيتها القبائل التى قل عددها ، تعالوا فلنجتمع فلنكن كبراجم[٩] اليد» ففعلوا[١٠] وهم كلهم من بنى عبدالله ابن دارم[١١] .

(ب) بنو ربيعة بن حنظلة : وهم أحد ربائع تميم ، وسنشير إليهم فى نهاية سرد النسب مع بقية الربائع .

---

(١) جمهرة أنساب العرب ٢٢٢ ، وأمثال العرب للضبى ١١١
(٢) نهاية الأرب للنويرى ٢/٣٤٤ .
(٣) جمهرة أنساب العرب ٢٢٢ ، ونهاية الأرب للنويرى ٢/٣٤٤ ، والمزهر ٢ / ١١٨ والكردوسان مثنى الكردوس ، أى العظيمة تشبيها بالخيل العظيمة التى يطلق عليها هذا اللفظ (انظر : اللسان «كردس» ٨/٧٩) .
(٤) جمهرة أنساب العرب ٢٢٢
(٥) المرجع السابق .
(٦) المرجع السابق ، وسبائك الذهب ٢٨
(٧) مفرده برجمى بفتح الباء وضمها . وبضم الجيم(عجالة المبتدى ٢٤) .
(٨) جمهرة أنساب العرب ٢٢٢ ، والمعارف ٣٥ ، والاشتقاق ٢١٨ ، ونسب عدنان ٧ ، ونهاية الأرب للنويرى ٣٤٤ ، وتاريخ ابن خلدون ٢/٦٥٧ وفيه «الظلم» بدل «الظليم» «وكلبة» بدل «كلفة» .
(٩) براجم اليد مفردها برجمة وهى التى إذا ضممت كفك نشزت من تحت الأصابع .
(١٠) جمهرة أنساب العرب ٢٢٢ ، وانظر : عجالة المبتدى ٢٤ ، وفيها رواية أخرى وهى أن البراجم ست قبائل أضافت إلى الخمسة المذكورة مرة ، لكن ابن حزم – كما ذكرنا – يذكر أن مرة والظليم شخص واحد .
(١١) جمهرة أنساب العرب ٢٢٢ .

(ج) بنو يربوع بن حنظلة : كُلَيْب ، وغُدانة ، وعمرو ، والحارث ، ورياح ، وصُبَيْر ، وثَعْلَبة ، والعنبر[١] .

ويقول ابن حزم عن بنى صبير إنهم قليل جدا[٢] . وكان يطلق على بنى ثعلبة والحارث وعمرو وصبير : الأَحمال[٣] فى حين كان يسمى بنو كليب وغُدانة والعنبر : العُقَداء ، لأَنهم تعاقدوا على بنى أَخيهم رياح وصار الأَحمال مع بنى رياح[٤] .

(د) بنو مالك بن حنظلة : أَبناء مالك هم : دارم ، وربيعة ، وكعب ، ورِزام ، وزيد ، والصُّدَى[٥] ، ويربوع ، وأَبو سُود ، وعوف[٦] ، وجُشَيش[٧] .

١ – أَما جشيش : فلم يذكر النسابون له فروعا .

٢ – وأَما ربيعة : فمنها بنو العجيف[٨] .

٣ ، ٤ – ويطلق على بنى أَبى سود وعوف الطهويون نسبة إلى أَمهم طُهَيَّة بنت عبد شمس ابن سعد بن زيد مناة[٩] .

٥ – ٧ : كما يطلق على بنى زيد والصُّدَى ويربوع بنو العَدَوِيَّة نسبة إلى أُمهم[١٠] وقد كانت من بنى عدى بن عبد مناة بن أُدّ[١١] .

٨ – ودخل بنو كعب فى بنى فُقَيم[١٢] .

٩ – كما دخل بنو رِزام فى بنى نَهْشَل[١٣] .

---

(١) نسب عدنان ٧ ، ٨ ، وجمهرة أنساب العرب ٢٢٤ ، وفى الحاشية رقم ١ أن فى جمهور النسخ « هبير » بدل « صبير » ونهاية الأرب للقلقشندى ٤٥٠ وفيه « هبير » . ويضيف اينا آخر هو زيد ، وسبائك الذهب ٢٩ وفيه «جبير» ويضيف ابنين هما زيد — الذى ذكره القلقشندى — وعربن .

(٢) جمهرة أنساب العرب ٢٢٥

(٣) نسب عدنان ٧ ، وجمهرة ٢٢٤ . والأحمال جمع حمل وهو الخروف ، ويذكر ابن منظور أن به سميت الأحمال من بنى تميم (اللسان « حمل » ١١٢/١٣) .

(٤) جمهرة ٢٢٤

(٥) فى سبائك الذهب ٢٨ « الصدأ » .

(٦) فى الجمهرة ٢٢٨ « عون » .

(٧) الاشتقاق ٣٣ ، وجمهرة ٢٢٨ . وذكر ابن حزم أن أبناء مالك أحد عشر رجلا ولكنه عند ذكرهم اكتفى بهؤلاء العشرة .

(٨) نهاية الأرب ٦٧

(٩) جمهرة ٢٢٨ ، وعجالة ٨٥ .

(١٠) نسب عدنان ٧ ، وجمهرة أنساب العرب ٢٢٨ ، ٤٦٧ ، ونهاية الأرب للقلقشندى ٦٧

(١١) جمهرة أنساب العرب ٢٢٨

(١٢) المرجع السابق .

(١٣) المرجع السابق .

١٠ ـ أما دارم [١] فكان فيه العدد وكانت فيه الفروع ، وهم : عبد الله ، ومُجاشع ، ونهشل ، وسَدُوس ، وخَيْبَرِيّ ، وجرير ، وأبان ، ومناف [٢] ، وأبو سُود [٣] .

وكان زيدُ من ولد عبد الله [٤] ، وكان من ولد زيد : عُدُس وربيعة [٥] .

وكان من بنى عدس بنو زُرارة ، وكانوا مركزا لبنى عبد الله ، وهم بيت بنى تميم أحد بيوتات العرب الثلاثة فى الجاهلية [٦] .

تعقيب :

ولا أُحب أن أختم الحديث عن نسب تميم دون أن أشير إلى أمرين :

الأول : توجد تميم ، غير تميمنا هذه ، وهى إحدى بطون « هذيل » نسبة إلى تميم ابن سعد بن هذيل [٧] .

الآخر : هناك فروع لتميم تتفق فى لفظها مع قبائل أو فروع لقبائل أُخرى . من ذلك :

١ ـ ربيعة : وتطلق على قبيلة عظيمة ، نسبة إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان [٨] وتعرف ربيعة هذه بربيعة الفرس [٩] . وهناك ربائع دون هذه القبيلة يهمنا أن نشير إلى التميمية منها والتى سبق أن عرضنا لها فى أثناء سرد النسب ، وهى : ربيعة بن مالك بن زيد مناة والمعروفة بربيعة الجوع [١٠] ، وربيعة بن حَنظَلة بن مالك بن زيد مناة ، وربيعة بن مالك

---

(١) اسمه بحر ويسمى دارما لأن قوما أتوا أباه يسألونه فقال : اذهب فاتنى بالخريطة التى عند أمك لتعطيهم منها ، فجاء بها يحملها يقارب خطوه متقلا ، فقال : قد جاءكم يدرم بها ، (عجالة ٥٨) .

(٢) جمهرة أنساب العرب ٢٢٩ ، والعقد الفريد ٣٤٩/٣ ، ونهاية الأرب للقلقشندى ٢٤٩ ، وسبائك الذهب ٣٠

(٣) جمهرة أنساب العرب ٢٢٩ ، سبائك الذهب ٣٠

(٤) جمهرة أنساب العرب ٢٣١

(٥) المرجع السابق ٢٣٢

(٦) الكامل للمبرد ٣٥/١ ، والبيتان الآخران هما بيت قيس وبيت بكر بن وائل (المرجع السابق نفسه) .

(٧) جمهرة أنساب العرب ١٩٧

(٨) جمهرة أنساب العرب ٤٨٣

(٩) اللسان ربع ٤٦٩/٩ . ويقال : إن سبب هذه التسمية أن أباه أعطاه من ماله الخيل وأعطى أخاه مضر الذهب فسمى مضر الحمراء (المرجع السابق) .

(١٠) جمهرة اللغة ٢٦٥/١ ، واللسان (ربع) ٤٦٩/٩ ، ونهاية الأرب للنويرى ٣٤٤/٢ . وفى حاشية جمهرة اللغة (٢٦٥/١) أنهم سموا ربيعة الجوع لأنهم كانوا يهجون الأضياف .

وربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، وربيعة بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك ابن حنظلة .

واقتصر الجوهرى على الأُولى والثانية ، وعدّ الأُولى – وهى التى تسمى ربيعة الجوع – البطن الكبرى ، والثانية البطن الصغرى[1] .

٢ – فُقَيم : بطن من تميم ، وتوجد فقيم أُخرى تنسب إلى كنانة[2] .

٣ – السعود فى العرب كثيرة مثل سعد بن مالك فى ربيعة ، وسعد بن ذُبيان فى غَطَفان ، وسعد بن بكر فى هوازن ، وسعد بن هُذَيم فى قضاعة ، وسعد بن زيد مناة فى تميم[3] .

وفيما يلى جدول بنسب القبيلة وأهم فروعها :

---

(١) الصحاح (ربع) ٣/١٢١٦

(٢) جمهرة اللغة ٣/١٥٥ ، وتحصيل عين الذهب ١/٢٦٦

(٣) تحصيل عين الذهب ١/٢٨٩

نسب تميم وفروعها

عدنان ← معد ← نزار ← مضر ← إلياس ← طابخة ← أد ← مر ← تميم

- تميم
  - عمرو
    - العنبر
      - جندب
      - مالك
      - كعب
    - الهجيم
      - عمرو
      - سعد
      - ربيعة
    - الحارث (الحبط)
    - مالك
      - مازن
      - الحرماز
      - غيلان
      - غسان
    - قليب
    - أسيد
      - عمرو
      - عمير
      - عقيل
      - الحارث
      - جروة
    - كعب
  - زيد مناة
    - سعد
      - صبيرة
      - عراقة
      - جشم
      - عوف
      - عبشمس
      - كعب
        - ربيعة
          - جشم
          - لؤي
          - عمرو
        - حرام
        - عوف
          - عطارد
          - بهدلة
          - جشم
          - برثن
          - قرين
          - قريع
          - علباء
        - عبد العزى
        - مالك
        - عبشمس
        - عمرو
          - مقاعس
            - صريم
            - عبيد
              - منقر
                - فقيم
            - عمير
        - جشم
        - الحارث الأعرج
      - بجدة
      - مالك
      - الحارث
      - عمرو
      - زيد الله
    - عوف
    - امرؤ القيس
      - مالك
      - الحارث
      - عصية
    - عامر
      - قحيف
      - يزيد
    - مالك
      - حنظلة
        - مالك
          - دارم
            - عبد الله
            - مجاشع
            - أبو سود
            - سدوس
            - خيبري
            - جرير
            - أبان
            - مناف
            - نهشل
          - ربيعة
          - كعب
          - رزام
          - أبو سود
          - عوف
          - جشيش
          - زيد
          - الصدي
          - يربوع
        - يربوع
          - كليب
          - غدانة
          - عمرو
          - الحارث
            - سليط
            - صنباب
          - رياح
          - صبير
          - ثعلبة
          - العنبر
        - ربيعة
        - عمرو
        - غالب
        - كلفة
        - قيس
        - مرة (الظليم)
      - ربيعة
    - مكو
    - الحارث
  - الحارث (أبو شقرة)



ثانيا : مساكن تميم
وصلتها بغيرها من القبائل

(أ) مساكن تميم

لكى نعطى صورة واضحة عن مساكن تميم يحسن أن نعرض للهيكل العام للجزيرة العربية وأقسامها الرئيسة ، ولنبدأ ببيان :

حدود الجزيرة :

الجزيرة العربية هى تلك المساحة الشاسعة من الأرض التى تحد من جهة الشرق بالخليج العربى وبحر عمان ، ومن الجنوب بالمحيط الهندى ، ومن الغرب بالبحر الأحمر ، ومن الشمال ببادية الشام والعراق .

ولم يتفق العلماء على تحديد دقيق لأقسام الجزيرة وبيان حدود كل منها. ونحن لايعنينا هنا الدخول فى مثل هذه الخلافات وبيان أسبابها . وكل الذى يهمنا هو إعطاء صورة سريعة تمكننا من معرفة مواطن التميميين .

وهذه الجزيرة يقسمها جغرافيو العرب إلى أقسام خمس ، هى : تهامة ، والحجاز ، واليمن ، والعروض ، ونجد[١] .

١ ـ تهامة :

وهو ذلك الجزء الواقع بين جبل السراة شرقاً والبحر الأحمر غرباً ، ويسمى أيضاً الغور[٢] .

٢ ـ الحجاز :

وسمى حجازاً ؛ لأنه حجز بين تهامة ونجد[٣] ، وهو يبدأ من تخوم صنعاء جنوباً إلى تخوم الشام[٤] « وذلك أن جبل السراة ، وهو أعظم جبال العرب وأذكرها ، أقبل من

---

(١) صفة جزيرة العرب ٤٧ ، ٤٨ (٢) المرجع السابق ٤٨

(٣) بلاد العرب ١٤ . وهناك أكثر من تعليل فى تسمية الحجاز (انظر : معجم ما استعجم ١٢/١ ، وصفة جزيرة العرب ٤٨) .

(٤) بلاد العرب ١٤

قعْرة اليمن حتى يبلغ أطراف بوادى الشام ، فسمته العرب حجازًا ؛ لأنه حجز بين الغور وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر »[١] .

٣ ـ **اليمن :**

وهو الجزء الواقع جنوب كل من تهامة والحجاز والعروض ، ويحدده الهمدانى بقوله : « وصار ما خلف تثليث وما قاربها إلى صنعاء وما والاها إلى حضرموت والشِّحر وعمان وما يليها : اليمن »[٢] .

٤ ـ **نجـد :**

وهو ما دون جبل السراة من شرقيه إلى أطراف العراق والسماوة وما يليها »[٣] ويحدده عمارة[٤] بقوله : « ما سال من ذات عرق مقبلاً فهو نجد إلى أن يقطعه العراق »[٥] ، ويفصل الإصطخرى تحديده لنجد ، فيقول « وما كان من حد اليمامة[٦] إلى قرب المدينة راجعاً على بادية البصرة حتى تمتد على البحرين إلى البحر ، فمن نجد »[٧] .

ويقسمه علماء العرب قسمين : نجد العالية وهو ما ولى الحجاز وتهامة ، ونجد السافلة وهو ماولى العراق »[٨] .

٥ ـ **العروض :**

وهو المنطقة التى تقع بين نجد والحجاز غرباً واليمن جنوباً والخليج شرقاً . ويشمل اليمامة التى تقع فى الجنوب الشرقى من نجد ، كما يشمل البحرين . قال الهمدانى « وصارت بلاد اليمامة والبحرين وماوالاهما العَرُوض »[٩] . على أن صاحب معجم البلدان عدّ اليمامة من نجد لا من العروض ، وذكر أن قاعدتها حَجْر وتسمى أيضاً جَوّا والعروض[١٠] .

---

(١) صفة جزيرة العرب ٤٨ (٢) صفة جزيرة العرب ٤٨

(٣) المرجع السابق .

(٤) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير (الشاعر الأموى) (انظر : تحقيقات بلاد العرب ١٤) .

(٥) بلاد العرب ١٤

(٦) تقع اليمامة فى الجنوب الشرقى من نجد (انظر : مهد العرب ٧٨) .

(٧) مسالك الممالك ١٤ (٨) تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على ١٤٧/١

(٩) صفة جزيرة العرب ٤٨ (١٠) معجم البلدان (اليمامة) ٥١٦/٨

مساكن تميم :

بنو تميم كما قلنا ينتسبون إلى سيدنا إسماعيل عليه السلام . والمشهور أنه أول من أقام بمكة . فبعد أن تركه أبوه فيها هو وأمه وتفجرت لهما زمزم ، جاءت قبيلة جرهم اليمنية ونزلت بجوارهما [١] . ثم لما شب تزوج منهم [٢] ، وتولت جرهم أمر البيت لا ينازعهم أبناء إسماعيل لخئولتهم [٣] ، وظلوا كذلك إلى أن قدمت قبيلة أخرى يمنية هي خزاعة استقرت حول مكة وقاتلت جرهما وأجلتها وتولت أمر البيت ، كما أجلت آل إسماعيل حيث تفرقوا حول مكة وفي تهامة [٤] .

ثم كان يحدث بين الحين والحين نزاع بين بني إسماعيل يؤدي إلى إخراج بعضهم من مساكنهم : فأجلت نزار قضاعة إلى نجد [٥] . ثم اجتمعت مضر وربيعة على بني قَنَص بن معد فأخرجوهم من مساكنهم [٦] . وبعد ذلك وقعت حرب بين ربيعة أدت إلى تفرقها ، فكان مصير عبدالقيس وشَنّ بن أفصى البحرين وهجر [٧] خِنْدِف من العدنانيين في تهامة مضر ، لكن أسباب الحياة جعلت النزاع يدب بينهم .فحدث قتال انتصرت فيه خِندِف — بنو إلياس بن مضر — على قيس مما جعلها ترحل إلى بلاد نجد . عدا هوازن التي انحازت إلى أطراف الغور من تهامة [٨] . وأخيراً حدث نزاع بين بني خِندِف أنفسهم . فشبت حروب بين أولاد مدركة وأولاد طابخة ابني إلياس بن مضر كانت الغلبة فيها لبني مدركة مما اضطر بني طابخة — ومنهم تميم — إلى الرحيل عن تهامة إلى الحجاز ونجد [٩] . والذي يهمنا هنا هو قبيلة تميم ، يقول البكري : « وظهرت تميم بن مر بن أدّ بن طابخة . وضبة بن أد بن طابخة . وعُكْل بن أُدّ [١٠] إلى بلاد نجد وصحاريها فحلوا منازل بكر وتغلب التي كانوا ينزلونها في الحرب التي كانت بينهم . ثم مضوا حتى خالطوا أطراف هجر [١١] ، ونزلوا

(١) السيرة النبوية ١/١٢٣ ، ١٢٤ (٢) المرجع السابق ١/١٢٥ . (٣) المرجع السابق .

(٤) تاريخ الرسل والملوك (للطبري) ١/١٨٧ (ظل بنو خزاعة يلون البيت إلى أن أجلاهم قصي بن كلاب جد الرسول صلى الله عليه وسلم) (الطبري ٢/١٥) .

(٥) معجم ما استعجم ١/٢٠ (٦) المرجع السابق ١/٥٢

(٧) المرجع السابق ١/٨٠ (٨) المرجع السابق ١/٨٧

(٩) المرجع السابق .

(١٠) يذكر ابن حزم أن العكليين بنو عوف بن عبد مناة بن أد (جمهرة ١٩٨) .

(١١) مدينة البحرين (معجم ما استعجم ٤/١٣٤٦) .

ما بين اليمامة وهجر ، ونفذت بنو سعد بن زيد مناة بن تميم إلى يبرين [1] وتلك الرمال حتى خالطوا بنى عامر بن عبد القيس فى بلادهم قطر ووقعت طائفة منهم إلى عمان منازل ومناهل كانت لإياد بن نزار فرفضتها إياد وساروا عنها إلى العراق » [2] .

ويحدد ابن خلدون مواطن تميم ،فيقول : « وكانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة وانتشرت إلى العذيب من أرض الكوفة » [3] ، وإذا انتقلنا إلى تحديد الهمدانى لمنازل تميم نجده يقول – بعد أن ذكر مواضع باليمامة – « ثم ترجع إلى البحرين فالأحساء منازل ودور لبنى تميم ثم لسعد من بنى تميم » [4] .

ونستطيع بعد هذا أن نحدد مواطن تميم بعد أن رحلت عن تهامة بأنها الربع الشمالى الشرقى للجزيرة العربية على وجه التقريب ، ونعنى بذلك نجدا والعروض ومنها اليمامة سواء أعدت من العروض – كما يرى ياقوت – أم من نجد ، كما يرى غيره .

والمواضع التميمية بعضها أسماء أماكن أقاموا بها وبعضها أسماء جبال كان فيها بالطبع بعض أماكن سكناهم ،وبعضها أسماء مياه . وهذه المواضع بأنواعها الثلاثة كثيرة جداً ، ولو أردنا حصرها لتشعب بنا الأمر وملنا عن دائرة البحث .

ولنسر مع لغدة الأصفهانى : الحسن بن عبد الله (ت نحو ٣١٠ هـ) [5] فى كتابه « بلاد العرب » حيث يذكر مواطن تميم بشىء من التفصيل ، إذ يقول : « ومُعْظم بلاد تميم : الوشم ، والدهناء ، والجِواء ، والصَّمان ، والدَّو ، والسِّيدان ، والهاه ، وغرّ ، ويبرين ، وفَلْج ، وفُلَيْج ، والحَزْن » [6] . وفيما يلى تبيان لهذه البلاد :

١ – الوَشْم : من أقاليم نجد يحده غرباً السِّر وشرقاً المِحْمل وجنوباً العِرْض وشمالا البَطِين [7] ، ومن مواضعه التميمية : مِرَاة ، وثرمداء ، وأُثَيْفِية ، والقُصَيْبة ، وذاتُ

(١) ذكره لغدة الأصفهانى من بلاد تميم (بلاد العرب ٢٧٦) وعقب المحققان بأنه لا يزال معروفا ، ويحرف فى الكتب الحديثة إلى « جبرين » تأثرا بكتابات الإفرنج ، وانظر : قلب جزيرة العرب ٥٢ ، ٥٧ فقد استعمل « جبرين » .

(٢) معجم ما استعجم ٨٨/١

(٣) تاريخ ابن خلدون ٦٥٣/٢

(٤) صفة جزيرة العرب ١٣٧

(٥) معاصر لأبى حنيفة الدينورى (معجم الأدباء لياقوت ١٣٩/٨)

(٦) بلاد العرب ٢٧٤–٢٧٦

(٧) حواشى كتاب : بلاد العرب للجاسر والعلى ٢٧٢

(٧) حواشى بلاد العرب للجاسر والعلى ٢٧٢

رسل ، والشقر ، وأُشيْقر [١] وحل هذا الإقليم كان يقيم به بنو امرئ القيس [٢] بن زيد مناة . كما شاركهم فى سكناه بنو ربيعة بن مالك بن زيد مناة [٣] وبنو سعد ؛ قال الأزهرى عن « ثرمداء » إنه ماء لبنى سعد ورده [٤] . وسكن « أُثيفية » بنو كليب بن يربوع [٥] بن حنظلة .

٢ ـ الدهناء : منطقة رملية تمتد طولا من الجنوب إلى الشمال ، تحد جنوباً برمل يبرين [٦] وشمالا بحزن ينسوعة [٧] فى طريق البصرة [٨] . ويقول الأصفهانى « وأحد طرفيها يبرين ، ويقال طرفها الآخر فى الشام » [٩] ، ويقدر طولها بمئات الكيلو مترات ، أما عرضها فلا يتجاوز الثلاثين كيلو متراً [١٠] . وهى فى الجنوب أكثر اتساعا منه فى الشمال [١١] . والدهناء بمجموعها تفصل بين مرتفعات العارض والقصيم والسدير وبين سواحل الحسا والكويت [١٢] ، وقد وصفها الأزهرى فقال : « وهى من أكثر بلاد الله كلأً . . . وإذا أخصبت الدهناء ربعت العرب جميعاً لسعتها وكثرة شجرها [١٣] . وممن سكنها من تميم بنو سعد كانوا بيبرين [١٤] ، ومن مياههم بها سُلْح والحفير [١٥] ، وبنو يربوع وكان لهم دَحْل [١٦] اسمه يُسر [١٧] .

---

(١) بلاد العرب ٢٧٣ ، ٢٧٤
(٢) المرجع السابق ٢٧٣
(٣) معجم ما استعجم (الوشم) ١٣٧٩/٤
(٤) تهذيب اللغة (ثرمد) ١٦٨/١٥ ، ومعجم البلدان (ثرمداء) ١١/٣
(٥) التكملة والذيل والصلة ٣٨٤/٦
(٦) وهو الربع الخالى (قلب جزيرة العرب ٢٩) .
(٧) تهذيب اللغة ٢٠٩/٦ ، وانظر : معجم البلدان ١١٥/٤
(٨) معجم البلدان ٥٢٨/٨
(٩) بلاد العرب ٢٧٧
(١٠) قلب جزيرة العرب ٣٨ (عن شمال نجد تأليف لويس موزيل ١٦٠)
(١١) قلب جزيرة العرب ٣٩ ، ٤٠
(١٢) المرجع السابق ٣٩
(١٣) تهذيب اللغة ٢٠٩/٦ ، وانظر : معجم البلدان ١١٥/٤
(١٤) معجم ما استعجم (يبرين) ١٣٨٧/٤
(١٥) معجم قبائل العرب ٥١٥/٢
(١٦) الدحل : ثقب ضيق فمه ثم يتسع أسفله حتى يمشى فيه وربما أنبت السدر (اللسان « دحل » ٢٥٢/١٣) .
(١٧) معجم ما استعجم (يسر) ١٣٨٥/٤

٣ ـ الصَّمان : وتقع بين الدهناء غرباً والمنطقة السهلية الساحلية شرقاً ، ويختلف عرضها من ٥٠ إلى ٩٠ ميلا ، وهى أعرض فى الشمال منها فى الجنوب [١] ، ويقول لغدة : « والصَّمان لأخلاط تميم والرِّباب » [٢] .

٤ ـ الجِواء : وهو منطقة تقع بين الدهناء والصَّمان [٣] .

٥ ـ الدَّوّ : ويسمى الآن الدِّبْدِبَة [٤] . ويقع جنوب وادى الباطن (فَلْج) [٥] ، وهو فى طريق البصرة إلى اليمامة ، يفصل بينه وبين الصَّمان وادى طُويلع [٦] ، سكنه بنو عدى بن جُنْدَب [٧] بن العنبر .

٦ ـ السِّيدان : وادٍ يلى الدَّوّ فى الطريق إلى البصرة به مياه لأفناء تميم [٨] .

٧ ـ غَرّ : ويحدد لغدة «بطن غَرٍّ» بأنه يقع بعد الجَوْف بعد أن تخرج من الأحساء [٩] .

٨ ـ يَبْرين : يحددها الهمدانى بقوله : « وعن يمين البحرين ودونها يبرين [١٠] » وبقوله : « يبرين فى شرقى اليمامة وهى على محجة عمان إلى مكة ، وكأنها أدخل فى محاذاة اليمامة إلى الجنوب شيئاً » [١١] ، ويحددها الأصمعى بأنها « بحذاء عُمَان » [١٢] . كان يقيم بها من تميم ناس من بنى عوف بن سعد بن زيد مناة ، وآخرون من بنى عوف بن كعب [١٣] .

---

(١) ملب جزيرة العرب ٤١
(٢) بلاد العرب ٢٧٨
(٣) حواشى بلاد العرب ٢٧٥ (وهناك جواء يقع فى القصيم لا يزال معروفا – المرجع السابق) .
(٤) تحقيقات بلاد العرب ٢٧٥
(٥) المرجع السابق ٢٩٧
(٦) المرجع السابق ٣١٤ (عن : الأمكنة والمياه والجبال « لنصر ») .
(٧) بلاد العرب ٢٤٦–٢٤٨
(٨) المرجع السابق ٣٤٤ (أفناء جمع فنو – بكسر الفاء : أخلاط – « اللسان–فنا ٢٠/٢٤ » أى من بطون مختلفة) .
(٩) المرجع السابق .
(١٠) صفة جزيرة العرب ١٣٧
(١١) المرجع السابق ١٦٥
(١٢) بلاد العرب ٣٤٣ (ورملة يبرين هى التى تعرف الآن بالربع الخالى – المرجع السابق) .
(١٣) المرجع السابق .

٩ - فَلْج : ويقع فى العروض [١] ، ويطلق عليه الآن الباطن [٢] . وهو يخترق شرقى نجد من الدهناء إلى قرب البصرة [٣] . وبه حَفَر الباطن ، وقد سكنه من تميم بنو عدى بن جندب [٤] .

١٠ - الحزْن : وهناك حُزُون ثلاثة : حزْن بنى يربوع . وحزن غاضِرة من بنى أسد ، وحزن كلب من قضاعة [٥] . والذى يعنينا هنا « حزن بنى يربوع » ويسمى الآن الصُّلْب . وهو يقع فى شرقى نجد فى جهات الحَفَر إلى لِينَة [٦] . وعرَّفه نصر بأنه : « صقع واسع نجدى بين الكوفة وفَيْد من ديار يربوع » [٧] .

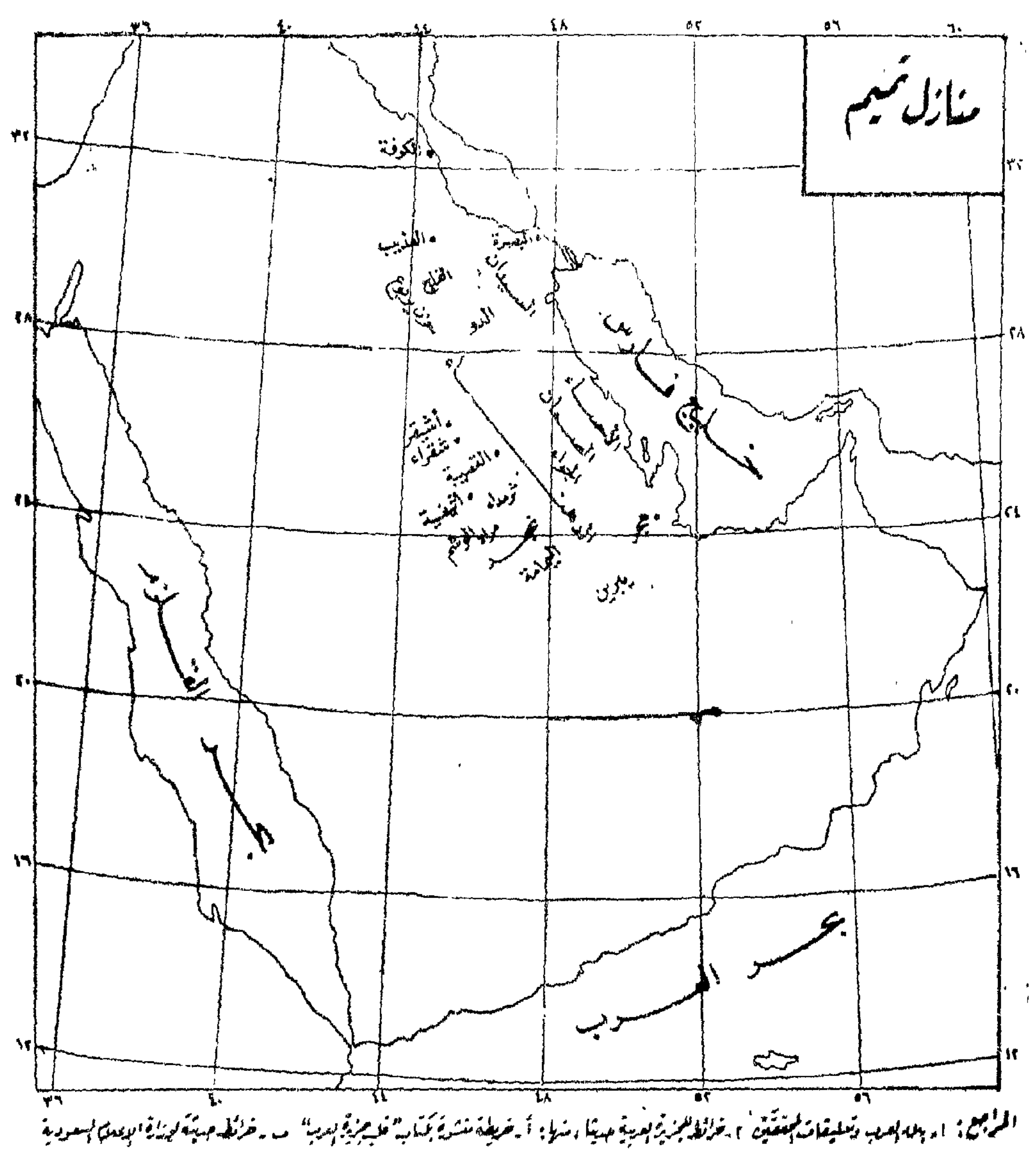
هذه المنازل التى ذكرناها لتميم والتى تقع فى الشمال الشرقى للجزيرة كانت بعد رحيلهم من تهامة فى الجاهلية وظلت لهم حتى ما بعد الإسلام ، ونحب أن نضيف هنا موضعين لهما أهميتهما أنشئا بعد الإسلام وسكنهما تميميون وغير تميميين ، وهما : البصرة والكوفة ، وقد أنشئتا نحو سنة ١٧ هـ [٨] :

(ا) البصرة : وممن كان يقيم بها منهم بنو رياح بن يربوع [٩] ، وبعض الأُهَوِيين [١٠] . وسنعرض لبعض الرواة التميميين الذين كانوا يقيمون بها .

(ب) الكوفة : ويذكر ماسينيون أنها كانت فى الثلاثين سنة الأولى من تأسيسها منقسمة إلى سبع مناطق قبلية كانت تميم تقيم فى إحداها [١١] . وممن كان يسكنها منهم : بنو عامر بن زيد مناة [١٢] ، وبنو عمرو بن سعد بن زيد مناة [١٣] . وبنو حرام من بنى سعد بن زيد مناة [١٤] .

---

(١) صفة جزيرة العرب ١٥٩ (٢) تحقيقات بلاد العرب ٢٧٦
(٣) المرجع السابق . (٤) بلاد العرب ٢٤٦
(٥) المرجع السابق ١٠٣ (٦) تحقيقات بلاد العرب ١٠٢
(٧) المرجع السابق ٢٨١ (عن الأمكنة والمياه والجبال ، لنصر) .
(٨) معجم البلدان ٤٩١/٤ ، وقيل غير ذلك (انظر المرجع السابق بالصفحة نفسها ، و١٩٦/١) .
(٩) عجالة المبتدى ٦٧ (١٠) المرجع السابق ٨٥
(١١) رواية اللغة ١٥٥٤ (عن : خطط الكوفة تأليف ماسينيون ٦ » ترجمة المصعبى ط صيدا ١٩٣٩ ») .
(١٢) جمهرة أنساب العرب ٢١٤ (١٣) الاشتقاق ٢٥٨
(١٤) عجالة المبتدى ٣٨



المراجع: ١- بلاد العرب وتعليقات المحقق ٢- خرائط الجزيرة العربية حديثا، منها: أ- خريطة منشورة بكتاب "قلب جزيرة العرب" ب- خرائط [illegible] لوزارة الإعلام السعودية

(ب) صلة تميم بالقبائل

أولا ــ القبائل المجاورة لتميم :

المساحة التى أقامت بها تميم كانت شاسعة ، لذا لم تكن خالصة لها كلها ، بل شاركتها قبائل أخرى أو فروع لقبائل ، كما إن هناك قبائل أحاطت بها . ومعرفة القبائل المجاورة يفيدنا فى التأثر والتأثير بينهما . نذكر من هذه القبائل :

١ ، ٢ ــ ضبة بن أد بن طابخة ، وعكل بن عبد مناة بن أد ، وقد ذكرنا عند الحديث عن مساكن تميم أنهما كانتا مجاورتين لها فى تهامة ثم رحلوا جميعاً إلى نجد وحلوا منازل بكر وتغلب[١] وجاورت ضبة وعكل بنى حمان فى الفقء باليمامة[٢] .

٣ ــ ربيعة بن نزار : وكانت ديارهم فى « العروض ونجد »[٣] ويحددها صاحب سبائك الذهب بما بين اليمامة والبحرين والعراق[٤] .

٤ ــ أسد بن خزيمة : كانت بلادهم فيما يلى الكَرخ من أرض نجد مجاورين لطيء[٥] وجاورهم من بنى تميم بنو يربوع[٦] . وقد نقل ياقوت عن الهيثم بن عدى أن « الوادى الذى فى بلاد بنى تميم فى أرض بنى سعد يسمونه الدهناء ، يمر فى بلاد بنى أسد فيسمونه مَنْعِجا »[٧] وقد سكنوا بعد الإسلام الكوفة وملكوا الحلة وجهاتها وذلك من سنة ١٩ هـ حتى سنة ٥٨٨ هـ[٨] وتجاوروا فيها مع بنى تميم[٩] .

٥ ــ بكر بن وائل (من ربيعة)[١٠] : كانت ديارهم « من اليمامة إلى البحرين إلى سِيف كاظمة فأطراف سواد العراق فالأُبُلَّة فهيت »[١١] . وقد وقعت بينها وبين

(١) راجع ص ٣١
(٢) بلاد العرب ٢٥٣
(٣) صفة جزيرة العرب ١٧١
(٤) سبائك الذهب ١٨
(٥) معجم قبائل العرب ٢٢/١
(٦) معجم ما استعجم (خو) ٥١٩/٢ ، و(خوى) ٥٢٠/٢
(٧) معجم البلدان ١١٦/٤
(٨) معجم قبائل العرب ٢١/١
(٩) رواية اللغة ١٥٥ (عن خطط الكوفة ٦) وانظر : معجم ما استعجم ١١٣٦/٤
(١٠) جمهرة أنساب العرب ٣٠٣
(١١) صفة جزيرة العرب ١٦٩

بنى يربوع عدة حروب ، منها : حرب بالغَبيط ، وهو واد بالحَزْن لبنى يربوع[١] وأخرى بمُلَيحة من منازل يربوع[٢] .

٦ – بنو عِجْل (فرع من بكر بن وائل)[٣] : كانت مساكنهم من اليمامة إلى البصرة[٤] .

٧ – بنو حَنيفة : وينتمون إلى بكر بن وائل وكانوا يقطنون اليمامة[٥] .

٨ – بنو تغلب : (وهم فرع من ربيعة)[٦] . والمعروف أنهم كانوا يسكنون الجزيرة بين قضاعة وبكر[٧] ، ولكن صاحب العبر يذكر أنهم كانوا بالبحرين[٨] . ولا أعتقد أن بين الروايتين تناقضا ؛ لأن المعروف أن كل قبيلة كان لها فروع متعددة . قد تسكن فى أماكن مختلفة . وفى كلا الرقعتين (الجزيرة والبحرين) كانت تقيم فروع تميمية .

٩ – بنو رزاح (من بنى تغلب) : كانوا يسكنون نَطَاعِ ؛ وهى أرض قريبة من البحرين ، وقد أغارت عليهم فيها تميم[٩] .

١٠ – عبد القيس (من جَديلة من ربيعة)[١٠] : وقد سكنوا البحرين[١١] .

١١ – قَيْس عَيْلان (بن مُضَر)[١٢] : وسبق أن ذكرنا أنها كانت تقطن تهامة ثم نزحت منها إلى نجد عدا فرعا منها هو « هوازن » ، ووجدنا من هذه الفروع من يجاور « تميما » . نذكرها فيما يلى :

---

(١) بلاد العرب ٢٨٣
(٢) معجم ما استعجم ١٢٦٠/٤
(٣) جمهرة أنساب العرب ٣١٢
(٤) معجم قبائل العرب ٧٥٧/٢
(٥) صبح الأعشى ٣٣/١ ، وصفة جزيرة العرب ١٦١
(٦) جمهرة أنساب العرب ٣٠٣
(٧) انظر : صفة جزيرة العرب ١٧٠
(٨) صبح الأعشى ٣٨٢/١ ، ومعجم قبائل العرب ٧٢٦/٢
(٩) معجم ما استعجم (نطاع) ١٣١٣/٤
(١٠) جمهرة أنساب العرب ٢٩٥
(١١) صبح الأعشى ٣٣٧/١ ، وانظر : معجم قبائل العرب ٧٢٦/٢
(١٢) جمهرة أنساب العرب ٢٤٣

١٢ – بنو سُلَيم (فرع من قيس) [١] : كانوا يقيمون فى عالية نجد قرب خيبر [٢] وكانوا من قبل فى البحرين [٣] .

١٣ – باهلة (فرع من قيس) [٤] : وقد أقاموا باليمامة [٥] .

١٤ – غنى (فرع من قيس) [٦] : كانوا يسكنون نجدا [٧] فى أول جبل التسرير وتميم فى شرقيه [٨] .

١٥ – بنو عُقَيل (من قيس) [٩] : سكنوا البحرين ثم أجلوا عنها [١٠] كما سكنوا نجداً [١١] .

١٦ – غطَفان (من قيس) [١٢] : كانت مساكنهم فى نجد [١٣] . وقد فصل بين ديارهم وديار تميم موضع يسمى « ساجِرا » [١٤] .

١٧ – فزارة (وهو ابن ذبيان من غطفان) [١٥] : كانت تعيش بنجد ووادى القرى [١٦] .

١٨ – عبس (فرع من غطفان) [١٧] : كانوا يعيشون بنجد ، وقد فصل بين ديارهم وديار بنى يربوع جبل زَرُود [١٨] .

---

(١) جمهرة أنساب العرب ٢٦١
(٢) صفه جزيرة العرب ١٣١ ، وصبح الأعشى ١/٣٤٥ ، ومعجم قبائل العرب ٢/٥٤٣
(٣) صبح الأعشى ١ / ٣٤٢ ، ومعجم قبائل العرب ٢/٨٠١
(٤) جمهرة أنساب العرب ٢٤٤
(٥) معجم ما استعجم ١/٩٠ ومعجم قبائل العرب ١/٦٠
(٦) جمهرة أنساب العرب ٤٨٠
(٧) معجم ما استعجم ٣/٨٨٣ ، (وانظر مياههم بنجد فى : بلاد العرب ٨١-٩١) .
(٨) معجم قبائل العرب ٣/٨٩٥
(٩) جمهرة أنساب العرب ٤٨٢
(١٠) صبح الأعشى ١/٣٤٢
(١١) انظر مياههم بنجد فى : بلاد العرب ٣-٩
(١٢) جمهرة أنساب العرب ٢٤٨
(١٣) معجم قبائل العرب ٣/٨٨٨
(١٤) معجم ما استعجم ٣/٧١٢
(١٥) جمهرة أنساب العرب ٤٨١
(١٦) صبح الأعشى للقلقشندى ١/٣٣٤ ، ومعجم قبائل العرب ٣/٩١٨
(١٧) جمهرة أنساب العرب ٤٨١ (١٨) معجم ما استعجم ٢/٦٩٦

١٩ ــ بنو عامر (بن صعصعة من هوازن) [١] : كانوا يسكنون نجدا [٢] ، وقد دارت بينهم وبين تميم وقعة فى « ذو نَجَب » [٣] .

٢٠ ــ بنو قُشير (بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) [٤] . ومن ديارهم قَرْن باليمامة ودارة واسط وفلج [٥] ، وقد جاوروا تميا فى المَرُّوت [٦] .

٢١ ــ بنو كلاب (بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) [٧] : ومن بلادهم المَضْجع بسرة نجد [٨] .

٢٢ ــ الضباب (بن كلاب بن ربيعة) [٩] : وكانوا يعيشون بعالية نجد [١٠] .

٢٣ ــ غسان : وقد تجاور بعضهم مع بنى عوف بن عاصم بن ثعلبة بن يربوع عند ماء كِنْهِل [١١] فى بطن غِرّ [١٢] .

٢٤ ــ جرم (من قضاعة) [١٣] : وكانت ديار بعضهم باليمامة والبصرة [١٤] .

٢٥ ــ لخم (من كهلان) [١٥] : وكان لهم ملك بالحيرة نيابة عن الأكاسرة بدأ بعمرو بن عدى ، وانتهى بالمنذر بن النعمان حين قضى خالد بن الوليد على ملكه وانتزعه منه [١٦] ، وقد تولى بنو يربوع ردافتهم على ما سنشير إليه عند الحديث عن مكانتهم فى الجاهلية .

---

(١) جمهرة أنساب العرب ٢٧٢

(٢) معجم قبائل العرب ٢/٧٠٨

(٣) معجم ما استعجم (ذو نجب) ٤/١٢٩٧

(٤) جمهرة أنساب العرب ٤٨٢

(٥) معم قبائل العرب ٣/٩٥٤

(٦) معجم ما استعجم (المروت) ٤/١٢١٣ ، والمجاز ٦٣

(٧) جمهرة أنساب العرب ٤٨٢

(٨) بلاد العرب ١٣٢

(٩) جمهرة أنساب العرب ٢٨٧

(١٠) انظر : بلاد العرب ٩١ وما بعدها وكذلك تعليقات المحققين .

(١١) معجم ما استعجم (كنهل) ٤/١١٣٦

(١٢) بلاد العرب ٣٤٤

(١٣) جمهرة أنساب العرب ٤٥١

(١٤) صفة جزيرة العرب ١٦٣

(١٥) جمهرة أنساب العرب ٤١٩

(١٦) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ١/٣٠ – ٣٢

وكانت بينهم وبين تميم حروب ، منها يوم أوارة كان بين دارم وبين عمرو بن المنذر [١] ويوم طِخْفَة بين بنى يربوع وقابوس بن المنذر بن ماء السماء [٢] .

٢٦ ، ٢٧ — بنو عَدِىّ وتَيْم ابنا عبد مناة [٣] وكانوا ينزلون الفقء ، باليمامة مجاورين لبنى حِمَّان [٤] .

٢٨ — كِنْدَة : ويرجع نسبها إلى كهلان [٥] ، وقد تولى بعضهم الملك على قبائل نجد ، منهم شُرَحْبِيل بن الحارث الذى شمل ملكه بنى حنظلة وطوائف من بنى دارم [٦] .

ثانيا — صلتها بالقبائل غير المجاورة :

لم تقتصر صلات تميم على القبائل المجاورة ، بل تعدتها إلى غيرها من قبائل كانت تقيم فى جميع أنحاء الجزيرة ، وساعد على هذه الصلة تبادل السلع عن طريق الأسواق المنتشرة فى الجزيرة وتعظيم القبائل العربية للكعبة مما يجعلهم يتجهون إلى مكة للحج . وكان لتميم دور مذكور فى هذين الأمرين .

أما بالنسبة للأسواق فقد كان العرب فى الجاهلية يقيمونها فى شهور السنة وينتقلون ن بعضها إلى بعض ويحضرها سائر قبائل العرب من بَعُد منهم ومن قرب ، فكانوا ينزلون دُومة الجندل [٧] أول يوم من ربيع الأول ، ثم ينتقلون إلى سوق هجر بالبحرين فى شهر ربيع الآخر ثم إلى عمان ثم إلى إرم وقرى الشِّحْر حيث يقيمون أسواقهم ثم يرتحلون إلى عدَن ثم إلى « الرابية » بحضرموت ومنهم من يذهب إلى صنعاء ثم يذهبون إلى عكاظ فى الأشهر الحرم [٨] ، وهى بالقرب من عرفة [٩] ، ثم سوق « ذى المجاز » وهى بالقرب

(١) تميم (دائرة المعارف الإسلامية) ١٠/٥٧

(٢) مجمع الأمثال ٢/٤٣٣ ، ويذكر جرجى زيدان (العرب قبل الإسلام ٢٣٨) أن قابوسا هو ابن النعمان بن المنذر .

(٣) جمهرة أنساب العرب ١٩٨

(٤) بلاد العرب ٢٥٣

(٥) عجالة ١٠٨

(٦) العرب قبل الإسلام ٢٤٤

(٧) تقع ما بين الحجاز والشام (معجم ما استعجم ٢/٥٦٥)

(٨) نهاية الأرب للقلقشندى ٤٦٤ (٩) المحبر ٢٦٧

من « عكاظ » من أول ذى الحجة إلى يوم التروية[1] أى الثامن . منه . ثم تقوم « نطاة » بخيبر ، وسوق حجر باليمامة يوم عاشوراء إلى آخر المحرم[2] .

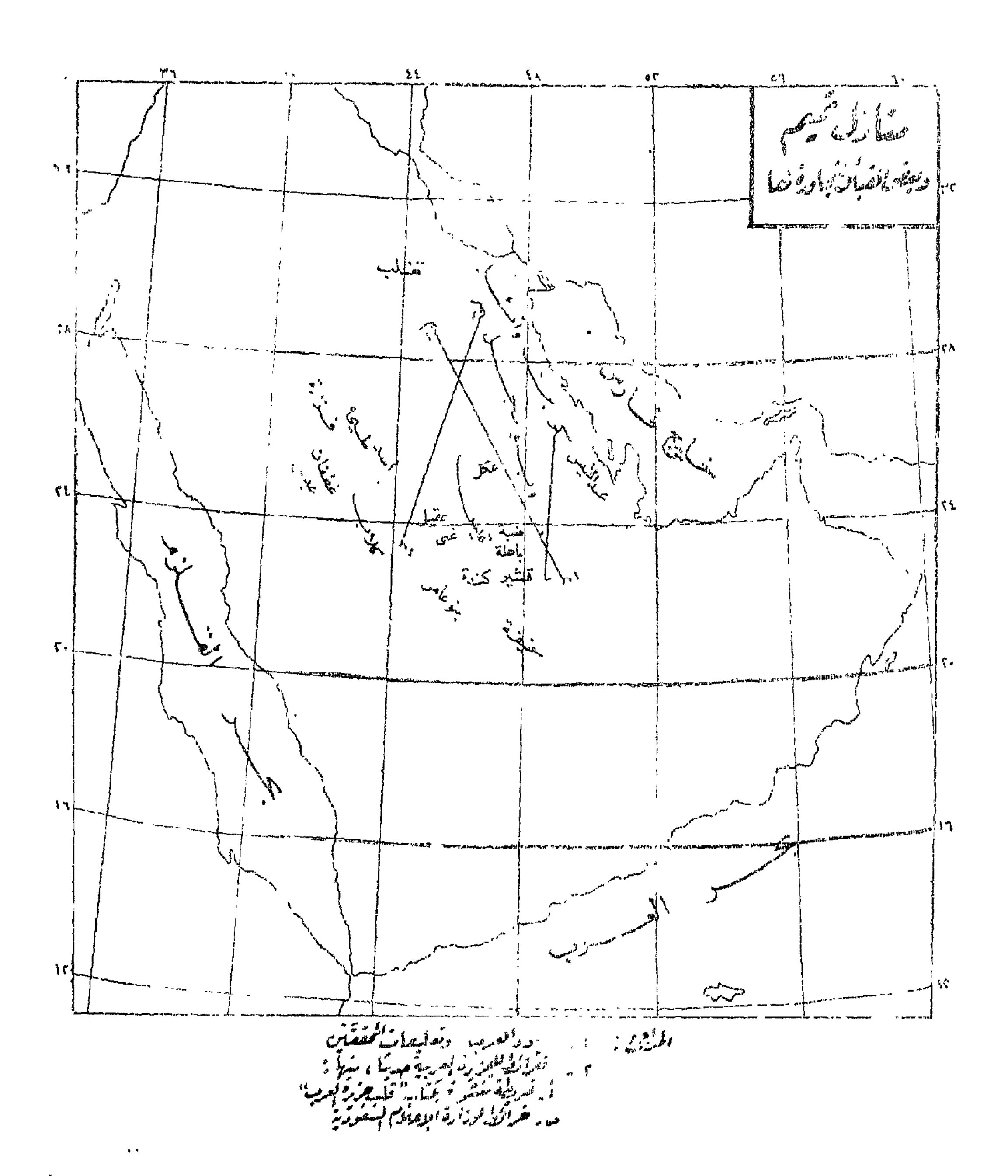
ويروى أن بعض العرب كأسد وطيء كانوا يستحلون المظالم فى الأسواق وكانوا يسمون المحلّين ، وكان بنو عمرو بن تميم وبنو حنظلة بن زيد مناة وشاركهم فى ذلك بنو شيبان وبنو هذيل وبنو كلب يحملون السلاح لمنع الظلم وسفك الدماء وارتكاب المنكر وكانوا لذلك يسمون الذادة المحرّمين[3] . كما كان يتولى فض ما يحدث بهذه الأسواق حكام من تميم[4] ، وآخر من قام بالحكومة فى عكاظ الأقرع بن حابس[5] .

أما بالنسبة للحج فكان التميميون يتولون الإفاضة بالناس من عرفة وسنشير إلى ذلك عند الحديث عن « دياناتهم فى الجاهلية » . وكان من أحكام الحج فى الجاهلية أن يطوف غير القرشى عريانا إذا لم يكن له صديق قرشى يعطيه ثيابه ليطوف بها . وكان هذا الصديق يسمى حِرْمِيًّا ، وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حرمى عياض بن حِمار من بنى مجاشع بن دارم[6][7] .

وتتبين لنا مدى صلة التميميين بأهل مكة وجود مصاهرة بينهما ؛ فوالدة أبى جهل أسماء بنت مُخَرِّبَة بن جندل كانت من بنى نهشل[8] وابنة أخيها أسماء بنت سلمة بن مخربة كانت زوجا لعياش بن أبى ربيعة وهى من المهاجرات إلى الحبشة[9] . كما أن السيدة خديجة رضى الله عنها كانت متزوجة قبل الرسول — صلى الله عليه وسلم — من رجل تميمى يدعى أبا هالة هند بن زُرارة النبّاش بن عدى من بنى جُرْدَة بن أُسَيّد بن عمرو ابن تميم[10] ، وقد توفى بمكة فى الجاهلية[11] وأنجب منها هند بن هند[12] .

---

(١) المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق ٢٦٨
(٣) تاريخ اليعقوبى ١/٢٧٠ ، ٢٧١
(٤) نقائض جرير والفرزدق ١/ ٤٣٨
(٥) المحبر ١٨٢
(٦) جمهرة أنساب العرب ٢٣١
(٧) المرجع السابق ٢٣٠
(٨) المرجع السابق .
(٩) المرجع السابق .
(١٠) المرجع السابق ٢١٠
(١١) الاشتقاق ٢٠٨
(١٢) جمهرة أنساب العرب ٢١٠


منازل تميم
وبعض القبائل المجاورة لها
تغلب
عقيل
باهلة
قشير
بنو عامر
"قلب جزيرة العرب"

ثالثا : تاريخ القبيلة ومكانتها

(أ) تاريخ القبيلة السياسى

عنى علماؤنا القدامى بتميم وأخبارها وألفوا عنها كتبا خاصة ، ذلك إلى جانب تناولها فى عديد من المؤلفات التى تحدثت عن العرب بصفة عامة . نذكر من الكتب الخاصة «أخبار تميم» و «حلف تميم بعضها بعضا» لأبى اليقظان سحيم (عامر بن حفص)[1] (ت ١٩٠ هـ) و «حلف كلب وتميم» لابن الكلبى هشام بن محمد[2] (ت ٢٠٤ هـ) ، و «حلف كلب وتميم» للهيثم بن عدى[3] (ت ٢٠٧ هـ) . وفيما يلى نبذة سريعة عن تاريخ القبيلة السياسى :

(١) فى الجاهلية :

عاشت تميم حياة بدوية لا تخضع لسلطان ولا تحكمها سوى التقاليد القبلية التى تجعل الأفراد لا يأتمرون إلا بأمر شيخ القبيلة الذى يعد الأب الروحى لهم جميعاً . وقد عاشت تميم فى بدء أمرها فى تهامة ثم انتقلت إلى شرق الجزيرة ـ كما ذكرنا عند الحديث عن مساكنها ـ وعاشت فى حروب مع جيرانها ، ولم تتبع حكومة ـ كما كان الشأن مع عرب اليمن مثلا ـ اللهم ما كان من أمر بعض بطونهم فى عهد الحارث بن عمرو الكندى الذى اتصل بقُباذ كِسرى فارس وولاه حكم الحيرة بدل المنذر بن ماء السماء ، واتجهت إليه قبائل نجد ليرلى أبناءه ملوكا عليهم لتنتهى الحروب التى كانت دائرة بينهم والتى كادت تفنيهم ؛ ففرق فيهم أبناءه فتولى شرحبيل بن الحارث بكرَ بن وائل وبنى حنظلة ابن مالك بن زيد مناة وطوائف من بنى دارم والرباب . ولما تولى أنو شروان الأمر بعد موت قباذ ، أعاد المنذر وطرد الحارث ، وحدثت منازعات بين شُرحبيل بن الحارث وأخيه سلمة . انتهت بمقتل شرحبيل[4] ، وبذلك عادت البطون التميمية إلى ما كانت عليه .

---

(١) الفهرست ١٣٨ وفيه «حلق» «بدل» «حلف» .

(٢) المرجع السابق ١٤٠

(٣) المرجع السابق ١٤٥

(٤) العرب قبل الإسلام لزيدان وتعليقات المحقق ٢٤٤ ، ٢٤٥

ونجد أيضاً الحكومة المنظمة تتمثل فى حكم المنذر بن ساوى الأسبذى من بنى دارم حاكم هجر بالبحرين[١] من قبل الفرس[٢] . وقد ظل يحكمها حتى جاء الإسلام فدعاه الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى الدين الجديد فأسلم وأقره حاكما عليها وتوفى بعد موت الرسول قبل ردة أهل البحرين[٣] .

وفى تسميته بالأسبذى عدة أقوال ، فقيل : نسبة إلى أسبذ وهى قرية بهجر نزلها فنسب إليها[٤] . وقال ابن الكلبى : إنما قيل - يعنى لولده - أسبذيون لأنهم كانوا يعبدون فرسا[٥] قال ياقوت : الفرس بالفارسية « أسب » زادوا فيه ذالا تعريبا له[٦] ، وقال الهيثم بن عدى : إنما قيل لهم الأسبذيون أى الجُمّاع[٧] وفسر الفيروزابادى جُمّاعَ الناس بأنهم أخلاطهم من قبائل شتى[٨] .

ويفهم من هذا التفسير الأخير أن حكم المنذر لم يكن قاصرا على ذوى عشيرته من تميم ، ويؤكد هذا ما جاء فى جواب المنذر للرسول -صلى الله عليه وسلم- : « أما بعد يارسول الله : فإنى قرأت كتابك على أهل البحرين ، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم من كرهه ، وبأرضى مجوس ويهود فأحدث لى فى ذلك أمرك »[٩] ، كما يؤكد هذا الاستنتاج أيضاً وصف الخضرى للمنذر بأنه « سَيِّد عبد القيس وتميم »[١٠] .

(ب) بعد الاسلام :

جاء الإسلام وكان ثورة على كثير من التقاليد العربية التى لا تتفق والفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها ، وجاءهم بتعاليم لم يكن لهم بها سابق عهد ، وبنظم لم يكن لهم بها معرفة ، فصدت عنها تميم كما صد عنها غيرهم من العرب ، وظلوا على صدودهم هذا إلى أن تمكن الرسول -عليه الصلاة والسلام- من الانتصار على أكبر معقل فى الجزيرة

---

(١) جمهرة أنساب العرب ٢٣٢
(٢) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ١ / ١٥
(٣) السيرة النبوية ٤/٢٢٢
(٤) جمهرة أنساب العرب ٢٣٢ ، وعجالة المبتدى ١٥
(٥) عجالة ١٥
(٦) معجم البلدان (أسبذ) ١/٢٢٠
(٧) عجالة ١٥
(٨) القاموس (جمع) ٣/١٤
(٩) إنسان العيون ٣/٢٨٤
(١٠) محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية ١/٣٨

وهو مكة المكرمة فى العام الثامن للهجرة[١] فقدم عليه وفد منهم فى العام التاسع – عام الوفود – كان فيه عُطارد بن حاجب بن زُرارة والزِّبْرقان بن بدر والأَقرع بن حابس ، وحضر معهم عُيَيْنَة بن حصن الفرازى[٢] . وقد نادوا الرسول –عليه الصلاة والسلام– من وراء الحجرات فخرج إليهم وهو متأذٍّ من طريقتهم ، وطلبوا منه مناظرتهم خطابة وشعرا ، فأجابهم إلى مطلبهم ثم أَسلموا[٣] ومنهم الأقرع الذى كان قد شهد هو وعيينة الفزارى مع الرسول –صلى الله علية وسلم– فتح مكة وحنينا وحضرا الطائف[٤] وعدهما من المؤلفة قلوبهم[٥] لأَنهما كانا يحاربان معه كجنديين مرتزقين .

ولما توفى الرسول – صلى الله عليه وسلم – ارتدت أَو امتنعت قبائل كثيرة التى كانت حديثة عهد بالإسلام ومنها تميم . وكان الرسول قد عين على تميم عمالا تميميين ، منهم : الزبرقان بن بدر ، وقيس بن عاصم ، ووكيع بن مالك ، ومالك بن نويرة ، وصفوان ابن صفوان . فلما انتقل الرسول إلى الرفيق الأَعلى وفّى بعضهم ، فأَرسل صفوان الزكاة إلى سيدنا أبى بكر ، ومنهم من منعها كمالك بن نويرة ، ومنهم من تردد كقيس[٦] وبينما هم على تلك الحال أقبلت عليهم سجاح بنت الحارث اليربوعية[٧] وكانت تعيش هى وبنو أَبيها فى تغلب ثم ادعت النبوة بعد موت الرسول –صلى الله عليه وسلم–[٨] فوادعها مالك بن نويرة اليربوعى ، ووكيع بن مالك بن حنظلة[٩] وهما من بنى حنظلة[١٠] . ولم يدخل فى أمرها من بنى تميم عَمْرى ولا سَعْدى ، وقامت بينها وبين بطون تميم حروب[١١] ثم اتجهت إلى اليمامة وانضمت إلى مسيلمة الكذاب[١٢] .

أَرسل سيدنا أبوبكر الصديق إلى تميم خالد بن الوليد ليثوبوا إلى رشدهم ، فلما سمعوا به وكانت سجاح قد فارقتهم ندموا على فعلتهم وأَرسلوا الزكاة إلى خالد ، ولم يشذ عنهم

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٣/٤٢–٦١
(٢) تاريخ الرسل والملوك ٣/١١٥
(٣) المرجع السابق ٣/١١٥ – ١٢٠
(٤) أسد الغابة ٢/ ١٢٨
(٥) المعارف ١٤٩
(٦) تاريخ الرسل والملوك ٣/٢٦٧ ، ٢٦٨
(٧) فى جمهرة أنساب العرب (بنت أوس بن حريز) ٢٢٦
(٨) تاريخ الرسل والملوك ٣/٢٦٩
(٩) المرجع السابق ٣/٢٧٠
(١٠) المرجع السابق ٣/٢٧١
(١١) المرجع السابق
(١٢) المرجع السابق

فى موقفه سوى مالك الذى وقف متحيرا وأمر أتباعه أن يتفرقوا ، وجاء إليه خالد فى « البطاح » وقضى على تمرد هؤلاء التميميين[١] ، وبذلك عادت تميم كلها إلى حوزة الخلافة واشتركوا فى الفتوحات الإسلامية بعدئذ . فمن ذلك أنه فى عام ١٤ ﻫ انضم منهم إلى جيش سعد بن أبى وقاص ثلاثة آلاف[٢] .

ثم جاء عهد الإمام على بن أبى طالب وحدثت فيه الفتنة الكبرى وكان بعضهم معه على معاوية إلى أن جاء التحكيم فخرج عليه جمع كبير منهم ، وينسب إلى أحدهم وهو عروة بن جرير من ربيعة بن حنظلة ويقال له : ابن أُدَيّة (نسبة إلى أمه) أنه أول من قال : لا حكم إلا لله ، على مذهب الخوارج يوم صفين[٣] . وفى الكامل للمبرد : إن اسمه عروة بن حُدَير وأُدَية جدة له[٤] ، وقيل إن أول من حكّم رجل آخر من تميم من بنى صريم من بنى سعد بن زيد مناة اسمه الحجاج بن عبد الله ويعرف بالبُرَك ، وهو الذى ضرب معاوية على أليته[٥] . وقد دخل عدد كبير منهم فى الخوارج ، وكانت لهم مع الخلفاء بدءا من سيدنا على ثم بنى أمية من بعده مواقف عدائية .

وقد اتجه بعض التميميين إلى خارج الجزيرة العربية مثل خراسان التى كثر عددهم فيها[٦] ومنهم من اتجه إلى شمال إفريقية وكوّن بنو الأغلب هناك دولة عرفت بدولة الأغالبة[٧] وهم ينتمون إلى مالك بن سعد بن زيد مناة[٨] ، ومنهم من أقام بمصر[٩] .

بنو تميم فى الجزيرة العربية الآن :

بعد أن حدد ابن خلدون منازل تميم فى الماضى ، قال : « ثم تفرقوا فى الحواضر حتى لم يبق منهم أثر يذكر »[١٠] . لكن الواقع الحاضر يخالف ما قرره ابن خلدون ، ففروع تميم ما زالت

(١) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ١/١٧٧
(٢) تاريخ الرسل والملوك ٣/٤٨٦
(٣) جمهرة أنساب العرب ٢٢٣
(٤) الكامل للمبرد ٢/١٣٤
(٥) المرجع السابق ٢/١٤٠
(٦) انظر : نقائض جرير والفرزدق ١/٣٦٨
(٧) جمهرة أنساب العرب ٢٢١
(٨) المرجع السابق .
(٩) انظر : القبائل العربية فى مصر ٩٩
(١٠) تاريخ ابن خلدون ٢/١٢٩ ، وعنه أخذ البستانى فى دائرة المعارف وإن لم يشر إليه (انظر مادة «تميم» بالدائرة) .

منتشرة فى النصف الشرقى من الجزيرة ، وقد كثروا حتى ضرب بهم المثل ، فقيل : «لولا تميم لا نكفأت الأرض بأهلها[١]» . ويمكن حصر هؤلاء التميميين فى ثلاثة بطون ، هى :

١ – بطن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

٢ – بطن سعد بن زيد مناة .

٣ – بطن عمرو بن تميم[٢] .

فمن بنى حنظلة : الوهبة[٣] نسبة إلى محمد بن عاوى بن وهيب[٤] ومنهم بيت الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب بالرياض[٥] وآل البسام والقضاة (آل القاضى) وآل مانع ، وآل شيحة ، وآل مسند، وآل ابن ناصر ، وآل حراز ، والوزان ، وآل شبل ، وآل عثيمين بعنيزة[٦] ، وآل البسام فى زميقة من بلاد الخرج[٧] ، وآل حسن فى أشيقر[٨] وآل معيوف فى جُلاجل وفى روضة سدير[٩] وآل فيروز بن بسام فى بريدة[١٠] ، وآل عبدان فى بريدة وفى الحسا[١١] وآل معضاد (المعاضيد) ومنهم آل ثان حكام قطر[١٢] ، والسواكت فى الزليفى وفى الكويت ، وآل مانع فى أشيقر وشقراء وعنيزة والحسا وآل حميد فى أشيقر[١٣] . ومن بنى حنظلة أيضاً فى عمان بنو مقاعس[١٤] . ويعرفون فى الباطنة بعمان باسم المجاعسة « بإبدال القاف جيما على قاعدة بدو عمان[١٥] ، والحناظلة (نسبة

(١) إسعاف الأعيان فى أنساب أهل عمان ٦٣
(٢) زهر الآداب ٥٥
(٣) تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد ٧٣
(٤) زهر الآداب ٥٧
(٥) قلب جزيرة العرب ١٤٠ وعنه : معجم قبائل العرب ١٢٥
(٦) القبائل التميمية فى عنيزة (مجلة « العرب ») س ٥ ع ١١٦٢/٢
(٧) تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد ٢٢٠
(٨) المرجع السابق
(٩) المرجع السابق ٢٢١
(١٠) المرجع السابق ٢٢٣
(١١) المرجع السابق ٢٢٤
(١٢) المرجع السابق ٢٢٤
(١٣) المرجع السابق ٢٢٦
(١٤) راجع سلسلة نسبة فى ص ٢٧
(١٥) إسعاف الأعيان ٢٤

إلى حنظلة) ، وبنو غدانة (نسبة إلى غدانة بن يربوع بن حنظلة)[١] ، وبنو كليب (نسبة إلى كليب بن يربوع) ، وبنو زيد (من بنى يربوع)[٢] .

ومن بطن سعد بن زيد مناة : العناقر فى ثرمداء . وآل أبو عليان وآل حسن فى بريدة[٣] ، وآل حسنون فى عنيزة[٤] .

ومن بطن بنى عمرو بن تميم : النواصر فى عنيزة[٥] . وآل ماض فى الروضة من سدير وآل حماد وهم فرع من المزاريع فى الحوطة[٦] .

(ب) دياناتهم فى الجاهلية

١ — كانت تميم فى الجاهلية على بقية من دين إبراهيم عليه السلام شأن غالبية العرب فكانوا يعظمون الكعبة ويحجون إليها . وكان لهم دور بارز فى أداء هذه الشعيرة . فلم يكن لحاج أن يغادر عرفة إلا بعد أن يأذن الموكَّل بهذا الأمر ، وكان من آل صفوان ابن شِجنة من بنى سعد بن زيد مناة[٧] .

٢ — وعبد التميميون — كغيرهم من العرب — الأصنام وبجاروها ، وكان من أصنامهم :

(ا) شَمْس[٨] : وقد شاركتهم فى عبادتها بنو أُد كلها (ضبة ، وتيم ، وعدى ، وعُكْل ، وثور)[٩] وكان سدنتها من بنى أُسَيِّد بن عمرو ، وقد هدمها هند

(١) المرجع السابق ٦٦ ، ٦٧ (٢) المرجع السابق ٧٧

(٣) قلب جزيرة العرب ١٤٠ ، ١٤١ (٤) القبائل التميمية فى عنيزة (مجلة العرب س ٥) ١١٦٣

(٥) المرجع السابق

(٦) زهر الآداب ٥٨ ، وللتوسع فى معرفة الفروع التميمية يراجع :

(أ) قلب جزيرة العرب ١٤٠ ، ١٤١

(ب) معجم قبائل العرب ١٢٥ وما بعدها .

(ج) زهر الآداب ٥٥—٦٢

(د) مجلة العرب (السنة الخامسة) .

(٧) جمهرة أنساب العرب ٢١٩ ، والمعارف ٣٦

(٨) جمهرة أنساب العرب ٤٩٣ وضبطه ياقوت فى « معجم البلدان » ٥ / ٢٩٣ ، وابن حبيب فى المحبر ٣١٦ بضم الشين .

(٩) المحبر ٣١٦ ، ومعجم البلدان (شمس) ٥/٢٩٣ (وضبة بن أد وعكل بن عوف بن عبد مناة بن أد ، والثلاثة الباقون أبناء عبد مناة بن أد — جمهرة أنساب العرب ٤٨٠) .

ابن أبى هالة وصفوان بن أسيد بن الحلاحل[1] . ووجدناهم يذكرونها فى تركيب بعض أسمائهم فقالوا عبد شمس .

(ب) رُضاء : وقد عبده بنو ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة وكسرها المستوغر ابن ربيعة[2] ، وقال فى ذلك :

ولقد شددتُ على رضاء شدةً فتركتها قفْرا بقاع أسحما[3]

(ج) ويظهر أنهم عبدوا كذلك « مناة » التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم (ومناة الثالثة الأُخرى)[4] وكانت على البحر الأحمر بين مكة والمدينة[5] ، عبدوها قبل أن يرحلوا من تهامة ويشهد بذلك تسميتهم « زيد مناة » .

٣ـ وشذ منهم نفر – كما شذ من غيرهم من القبائل – خرجوا على دين قومهم إلى أديان أخرى :

(ا) فقيل إن منهم من اعتنق المجوسية مثل : زرارة بن عُدُس ، وابنه حاجب ، والأقرع بن حابس[6] . وقد ذكرنا عند الحديث عن التاريخ السياسى للقبيلة أن المنذر بن ساوى ذكر فى كتابه للنبى – صلى الله عليه وسلم – أن من رعيته من يعتنقون المجوسية ، فلعل من هؤلاء تميميين .

(ب) كما أن ممن نزلوا الحيرة منهم من اعتنقوا المسيحية[7] ، كعدى بن زيد .

---

(١) المحبر ٣١٦ ، وجمهرة أنساب العرب ٤٩٣ ، ومعجم البلدان ٥ / ٢٩٣

(٢) السيرة النبوية ١ / ٨٩ ، وجمهرة أنساب العرب ٤٩٤ ، والأصنام ٣٠

(٣) السيرة النبوية ١ / ٩٠ والأصنام ٣٠ (باختلاف فى العجز) .

(٤) النجم ٥٣ / ٢٠

(٥) الأصنام ١٣ ، وبلوغ الأرب ٢/٢٠٢

(٦) المعارف ٢٦٦

(٧) بلوغ الأرب للآلوسى ٢٤١

(ج) مكانتهم فى الجاهلية

لقد وصف الإمام ابن حزم بنى تميم بقوله : « وهم قاعدة من أكبر قواعد العرب »[1] ولا عجب فى وصفه هذا ، فقد كانت لهم مكانة سامقة بين العرب ؛ واختصوا بأعمال جليلة حتى إن رجلًا من طيئ أدرك الإسلام وصفهم بقوله :

فإن بيت تميمٍ ذو سمعتَ به ... فيه تتمَّت وأرست عِزها مُضَر[2]

من تلك الأعمال العظيمة :

١ ـ الرِّدَافة : وهى أن يُجلس ملكُ الحيرة الرِّدفَ عن يمينه ، فإذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس ، وإذا غزا الملك جلس الردف فى موضعه وخلفه على الناس ونصيبه المرباع من الغنيمة . وكانت الرِّدافة فى الجاهلية لبنى يربوع يتوارثونها ، ويرجع سبب اختصاصهم بها كثرة غاراتهم على ملوك الحيرة ، فصالحوهم على أن يجعلوا لهم الردافة على أن يكفوا عنهم الغارة[3] .

ولما كانت أيام النعمان بن المنذر (ت ٦١٣ م)[4] ، وقيل : أيام ابنه المنذر (ت ٦٣٢ م)[5] سألها حاجب بن زرارة لقومه بنى دارم . فطلب النعمان من بنى يربوع أن يجيبوا إلى ذلك فرفضوا ودارت بينهما حرب فى « طخفة » انتصر فيها بنو يربوع واضطر ملك الحيرة لإقرارهم على الرِّدَافة[6] . وممن تولاها منهم مالك بن نويرة[7] . قال جرير ، وهو يربوعى :

رَبَعْنا وَرَادَفنا الملوك فظلُّوا ... وطابَ الأَحَالِيب الثمَامَ المُنزَّعَا[8]

---

(١) جمهرة أنساب العرب ٢٠٧

(٢) نوادر أبى زيد ٦١

(٣) الصحاح (ردف) ٤ / ١٣٦٣

(٤) العرب قبل الإسلام لزيدان ٢٣٦

(٥) المرجع السابق ٢٣٩

(٦) المرجع السابق ١٣٧ ، ١٣٨

(٧) الكامل للمبرد ٢/٣٥٨ ، ٣٦٠

(٨) ديوانه ٢٢٦ وهو جرير بن عطية الخطفى ، من بنى كليب بن يربوع . عده ابن سلام فى الطبقة الأولى من فحول الشعراء الإسلاميين . توفى سنة ١١٠ هـ (جمهرة أنساب العرب ٢٢٥ ، والخزانة ١/٧٥ ، وطبقات فحول الشعراء ٣١٥ ، ووفيات الأعيان ١ / ٢٩٠) .

٢ ـ الإفاضة بالناس من عرفة فى الحج ، فلم يكن لحاج أن ينتقل من عرفة إلّا بعد أن يأذن أحد الموكلين بذلك وكان من آل صفوان بن شجنة من بنى سعد ، وقد ذكرنا ذلك عند الحديث عن ديانات تميم فى الجاهلية .

٣ ـ التحكيم : كان من بنى تميم حكام يقضون بين المتنازعين فى الأسواق وغيرها[1] .

٤ ـ اشتراكهم مع قبائل أخرى فى الدفاع عما يحدث فى الأسواق من منازعات وظلم[2] .

---

(١) انظر ماكتب تحت عنوان « صلاتهم بالقبائل غير المجاورة لهم » ص ٤١ .

(٢) راجع ماكتبناه تحت عنوان « صلاتهم بالقبائل غير المجاورة لهم » ص ٤١ .

رابعا : مرادفات اللغة التميمية
ومنزلتها بين لغات القبائل

(أ) مرادفات اللغة التميمية

عندما كان اللغويون يريدون النص على ظاهرة تميمية ، كانوا أحيانًا يذكرون ألفاظًا أخرى ترادفها أو تندرج تحتها ، فتشملها هى ولغات أخرى سواها — وهذا بالطبع بخلاف العزو إلى بعض بطونها مثل بلعنبر وبلهجيم — وهذه الألفاظ هى :

أولا — لغة نجد :

والمعروف عن نجد أنه كان موطن معظم التميميين منذ الجاهلية بعد أن رحلوا من تهامة — كما اتضح من الحديث عن مساكنهم — فإذا أطلقت لغة نجد أريد بها :

(أ) لغات تميم ومن كانوا يجاورونهم فى هذه البقعة مثل قيس وأسد ، وكانت اللفظة حينئذ تذكر فى مقابل لغة الحجاز أو أهل العالية [1] .

---

(١) قيل فى تعريف « أهل العالية » عدة أقوال :

(أ) يحددهم ابن دريد (٣٢١ هـ) بأنهم أهل الحجاز وما يليه (الاشتقاق ٥٥) .

(ب) ويحددهم المبرد (ت ٢٨٦ هـ) بأنهم قريش ومن والاها (الكامل ١/١٦) .

وإذا كان هذان التعريفان مقتضبين فإننا نراه موضحا فى التعريفات التالية .

(جـ) مافوق نجد إلى أرض تهامة وإلى ما وراء مكة (الغريب المصنف ١٢٦ / أ) .

(د) اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة ومن قراها وعمائرها إلى تهامة فهى العالية ، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهى السافلة (معجم البلدان « العالية » ٦/١٠٠) .

(هـ) « ماجاور الرمة إلى مكة ، وهم : عكل وتيم ، وطائفة من بنى ضبة ، وعامر كلها ، وغنى ، وباهلة ، وطوائف من بنى أسد ، وعبد الله بن غطفان ومن شقه الشرق : أبان بن درام وهم علويون ، وأهل أمرة من بنى أسد والمامهم ، وطائفة من عوف بن كعب بن سعد بن سليم ، وعجز هوازن ، ومحارب كلها ، وغطفان كلها علويون نجديون » (معجم البلدان « العالية » ٦ / ١٠٠) .

ونلاحظ أن هذا التعريف الأخير رغم أنه أكثر من غيره وضوحا لم يذكر قريشا من العالية ، ولكنه نسب إلى قبائل نجدية ، منهم : أبان بن دارم وهم تميميون . لكن النصوص التى عثرنا عليها تذكر العالية وتعنى بها الحجاز ، لأنها تذكرها مقابل تميم أو نجد بصفة عامة ، وفى ثنايا البحث أمثلة كثيرة لهذا التقابل .

وفى المقارنة بين كل نصين مما يلى توضيح لذلك :

١ ـ الجنس المميز واحده بالتاء :

الأول : قال الفراء (ت سنة ٢٠٧ هـ) : « كل جمع كان واحدته بالهاء وجمعه بطرح الهاء ، فإن أهل الحجاز يؤنثونه . . . وأهل نجد يذكرون ذلك . . . » [١] .

الثانى : وقال أبو حيان (ت سنة ٧٥٤ هـ) : « الجنس الذى ميزوا واحده بتاء يؤنثه الحجازيون ويذكره التميميون وأهل نجد » [٢] .

٢ ـ أفتن :

الأول : يقول الفراء : « . . . وأهل نجد يقولون : أفتنته » [٣] .

الثانى : ينقل النحاس (ت نحو سنة ٣٣٧ هـ) عن الفراء قوله : « وتميم وربيعة وقيس وأسد وجميع أهل نجد يقولون : أفتنت الرجل » [٤] .

٣ ـ القصيا :

الأول : جاء فى « تهذيب اللغة » : « أهل الحجاز قالوا : القُصوى . . . وتميم وغيرهم يقولون : القصيا » [٥] .

الثانى : ورد فى « المخصص » : « قال أهل العالية : القُصوى ، وأهل نجد يقولون : القصيا » [٦] .

(ب) المطابقة للغة التميمية : فمن اللغويين من كان يَذْكر كلمة ، نجد ويجعلها مطابقة للغة تميم أو يعكس ، فيذكر لغة تميم ويعنى بها لغة نجد . وشاهدنا على ذلك :

١ ـ مذ :

الأول : نقل السيوطى (ت سنة ٩١١ هـ) عن نوادر يونس « أهل الحجاز : ما رأيته منذ يومين ومنذ يومان ، وتميم مذ يومين ومذ يومان » [٧] .

(١) المذكر والمؤنث للفراء ١٠١
(٢) البحر المحيط ٨٣/١
(٣) معانى القرآن للفراء ٣٩٤/٢
(٤) إعراب القرآن للنحاس ١٩٧/ب
(٥) تهذيب اللغة ٢١٩/٩
(٦) المخصص ٢٣/١٤
(٧) المزهر ٢٩٨/ب (خ)

الثانى : نقل الصغانى فى رسالته « ماتفرد به بعض الأئمة » عن يونس النص السابق على النحو التالى : « أهل العالية يقولون : ما لقيته مُنذُ اليوم ، وأهل نجد يقولون : مذ اليوم »[1] .

٢ ــ الود :

الأول : قال ابن دريد (ت سنة ٣٢١ هـ) : « الود لغة تميمية »[2] .

الثانى : قال الفيومى (ت نحو سنة ٧٧٠ هـ) : « وأهل نجد يُسَكِّنُون التاء فيدغمون لأبعد القلب فيبقى وَدّ »[3] .

٣ ــ الطريق :

الأول : قال الفراءُ (ت سنة ٢٠٧ هـ) : « والطريق يؤنثه أهل الحجاز ويذكره أهل نجد »[4] .

الثانى : وجاء فى الصحاح : « قال الأخفش : أهل الحجاز يؤنثون الطريق . . . وبنو تميم يذكرون هذا كله »[5] .

٤ ــ السدفة :

الأول : قال أبو زيد (ت نحو سنة ٢١٥ هـ) : « السُّدفة فى لغة قيس الضوء وفى لغة تميم الظلمة »[6] .

الثانى : وورد باللسان : حكى الجوهرى عن الأصمعى : « السُّدْفة والسَّدْفة فى لغة نجد الظلمة ، وفى لغة غيرهم الضوء »[7] .

---

(١) ما تفرد به بعض الأئمة ١٠ (خ) .

(٢) جمهرة اللغة ٧٧/١

(٣) المصباح (وتد) ٦٤٦

(٤) المذكر والمؤنث ٨٧

(٥) الصحاح (زقق) ١٤٩١/٤ ، والنص أيضا فى اللسان (زقق) ٩/١٢

(٦) الغريب المصنف ٢٥٥/أ ، وأمالى القالى ١٢٥/٢

(٧) اللسان (سدف) ٤٦/١١

ثانيا ـ سفلى مضر :

والمعروف أن تميمًا ومن كانوا يجاورونها كقيس وأسد ينتمون إلى مضر ، وكذلك معظم سكان الحجاز كقريش وكنانة وهذيل . وقد أُطلق على سكان الحجاز « عُلَيَا مضر » وعلى سكان نجد « سفلى مضر » ، ويتبين ذلك من مقارنة النصين التاليين :

١ ـ قال أبو حيان (ت سنة ٧٥٤ هـ) فى مضارع حَسِبَ : « والفتح فى السين لغة تميم والكسر لغة الحجاز »[١] .

٢ ـ وجاء فى الصحاح نقلًا عن أبى زيد : « عليَا مضر يحسِب وينعِم وييئِس بالكسر ، وسفلاها بالفتح »[٢] .

ثالثا ـ غير لغة الحجاز :

وقد يراد بتميم غير لغة الحجاز ، ويتضح ذلك من عرض النصين التاليين :

١ ـ قول اليزيدى (ت سنة ٢٠٢ هـ) فى نوادره : « أهل الحجاز برأت من المرض وتميم برئت »[٣] .

٢ ـ قول ابن دريد : « برأت من المرض أبرأُ بُرءا ، وهذه لغة أهل الحجاز وسائر العرب بَرِئت من المرض أَبرَأُ »[٤] .

ومع ذلك فلم أُعالج هذا النوع – إلَّا على سبيل الاستئناس – خشية أن تكون تميم قد شاركت الحجازيين ، إذ قد يكون المراد باللغة الأُخرى غير الحجازية لغة قيس أو أسد أو ربيعة ، وذلك مثل قول النحاس (ت نحو سنة ٣٣٨ هـ) : « أهل الحجاز يبخَلون وقد بَخَلوا ، وسائر العرب بَخِلوا يبخَلون »[٥] . وقد لاحظنا مثل ذلك عند الكلام عن المقارنة بين روايتى أبى زيد والأصمعى عن « السدفة » فقد نسبها أبو زيد بمعنى الظلمة إلى

---

(١) البحر ٢/٣٧٨

(٢) الصحاح (يأس) ٣/٩٩٢

(٣) المزهر ٢/٢٧٦

(٤) جمهرة اللغة ٣/٢٧٧ ، وانظر : اللسان (برأ) ١/٢٢ ، ٢٣

(٥) إعراب القرآن ٢/٤٢أ

تميم ، وبمعنى الضوء لقيس ، وعزاها الأصمعى بالمعنى الآخر أى الضوء لنجد – وهو كما لاحظنا مرادف لتميم ، أو يشمل التميميين ومجاوريهم – وبالمعنى الثانى لغير العرب . والقارئ لرواية الأصمعى بمعزل عن رواية أبى زيد يفهم أن الذين كانوا يعنون بالسدفة الضوء هم الحجازيون ؛ لأنهم المذكورون عادة فى مقابل التميميين والنجديين .

وإلى جانب هذين المترادفين (نجد وسفلى مضر) توصف اللغة التميمية بأوصاف تقابل من شأنها إذا ما قورنت باللغة الحجازية التى كانوا ينظرون إليها على أنها اللغة المشتركة ، فقد وصفت بأنها :

١ – فى مقابل وصف الحجازية بالفصيحة ، ونلمس ذلك بالمقارنة بين النصين التاليين :

(ا) قال الفراء : « والسوق أنثى ، وربما ذكرت . والتأنيث أغلب عند الفصحاء »[١] .

(ب) وقال الأخفش : « أهل الحجاز يؤنثون الطريق والسراط والسبيل والسوق والزقاق والكلاء ، وهو سوق البصرة وبنو تميم يذكرون هذا كله »[٢] .

٢ – وتوصف كذلك بأنها « لغة لا خير فيها » ويتضح ذلك مما يلى :

(ا) جاء فى « معانى القرآن » للفراء : « ذلك وتلك لغة قريش وتميم تقول ذاك وتيك »[٣] . وقد ورد مثل هذا النص فى "شرح الأشمونى وفيه « الحجاز » بدل « قريش »[٤] .

(ب) وجاء فى المزهر : « قال أبو عمرو : أكثر العرب تقول تلك ، وتيك لغة لا خير فيها »[٥] .

---

(١) المذكر والمؤنث للفراء ٩٦

(٢) الصحاح (زقق) ١٤٩١/٤

(٣) معانى القرآن ١٠٩/١

(٤) شرح الأشمونى ١٤٢/١

(٥) المزهر ٢٢٥/١

(ب) اللغة التميمية

ومنزلتها بين لغات العربية

احتلت اللغة التميمية مكانة كبيرة بين لغات العربية ، ونلمس هذه المكانة من تفسير العلماء لقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – : « إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها كافٍ شافٍ »[(١)] . ولقد كثرت الأقوال حول تفسير هذا الحديث إلى نحو أربعين قولاً[(٢)] . والذى يعنينا منها أن من العلماء من فسر الأحرف باللغات مثل أبى عبيدة وثعلب[(٣)] ، وأن من هؤلاء العلماء من عدّ اللغة التميمية إحدى هذه اللغات ، قال أبو حاتم السجستانى (ت نحو سنة ٢٥٥ هـ) : « نزل بلغة قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن وسعد ابن بكر »[(٤)] واعتد اللغويون بهذه اللغة التميمية عندما أرادوا تدوين العربية ، فقد وضعوا قواعد جعلوها أساسًا لتسجيل اللغات إذ حرصوا على أن تكون من اللغات المنعزلة التى لم تتاخم ألسنة أجنبية قد يكون لمجاورتها إياها أثر فى سريان الوهن إليها ، قال أبو نصر الفارابى (ت سنة ٣٥٠ هـ) فى أول كتابه « الألفاظ والحروف » : « والذين عنهم نقلت اللغة العربية ، وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب هم : قيس وتميم وأسد ، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه . وعليهم اتكل فى الغريب وفى الإعراب والتصريف ، ثم هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم . وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضرى قط ولا عن سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم »[(٥)] .

ويتبين لنا مدى اهتمام الرعيل الأول من اللغويين والنحاة بلغة تميم مدحهم إياها حتى فى مجال ذكر عيوبها ، قال سيبويه : « وقد شبه بعض العرب ممن ترتضى عربيته هذه الحروف

---

(١) الإتقان ١٦٤/١ وقد ورد هذا الحديث بروايات متعددة منها : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرءوا ما تيسر منه » (البخارى ٢٤/٦) و« أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف » (تفسير الطبرى ٤٧/١) .

(٢) الإتقان ١٦٤/١

(٣) المرجع السابق ١٦٩/١

(٤) المرجع السابق

(٥) المزهر ٢١١/١ ، ٢١٢ والاقتراح ١٩ وانظر كذلك : فصول فى فقه العربية ١٠٣ ، ١٠٤

الأربعة : الصاد والضاد والطاء والظاء فى فعلت بهن فى افتعلت »[١] . وقد وضح فى موضع سابق من الكتاب أن أصحاب هذه اللغة المعتد بها بنو تميم[٢] . وإذا كانت اللغات تتفاوت فى بلاغتها وفى بعدها عن الحوشى بدليل قول الفارابى : « كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعًا وأبينها إبانة عما فى النفس »[٣] ، فإن تميمًا تميزت لغتها بالفصاحة ، ويدل على ذلك ما رواه الطبرى عن أبى العالية من أنه « قرأ على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من كل خمسٍ رجلٌ فاختلفوا فى اللغة ، فرضى قراءتهم كلّهم فكان بنو تميم أعرب القوم »[٤] .

ثم إن بنى تميم تفاوتوا فيما بينهم فى الفصاحة ، قال أبو عمرو بن العلاء : « أفصح العرب عليًا هوازن وسفلى تميم »[٥] . ويوضح السيوطى « سفلى تميم » بقوله : « يعنى بنى دارم »[٦] .

ولذلك كانت تميم مقصد اللغويين ، حرصوا على أن يسجلوا لغتها من أفواه أبنائها وكان هذا التسجيل على ضربين : إمّا عن طريق التميميين الذين أُطلق عليهم « الرواة » وكانوا يفدون إلى الحضر ، حيث يقيم العلماء ، وإمّا أن يرحل اللغويون أنفسهم إليهم فى مواطنهم .

أولا — طريق الرواية :

تركز علماء اللغة بعد الإسلام فى ثلاثة مدن هى : البصرة والكوفة ثم بغداد . وقد رحل إلى هذه المدن — وعلى الأخص الأوليين — أعراب أخذ عنهم اللغويون ، نذكر من هؤلاء الرواة التميميين :

١ — جهم بن خلف المازنى ، من آل عمرو بن العلاء . كان عالمًا بالغريب والشعر بالبصرة فى زمن خلف والأصمعى[٧] .

---

(١) الكتاب ٤٧١/٤
(٢) الكتاب ٢٤٠/٤
(٣) المزهر ٢١١/١
(٤) تفسير الطبرى ٤٥/١
(٥) المزهر ٢١١/١ ، والإتقان ١٦٩/١
(٦) الإتقان ١٦٩/١
(٧) الفهرست ٧٠

٢ ـ أبو على الحسن بن على الجِرمازى ، نسبة إلى جِرْماز بن مالك بن عمرو بن تميم ، وقيل : إنه نزل بنى الحرماز فنسب إليهم ، قدم البصرة وعاش بها[١] .

٣ ـ أبو الخنساء عباد بن كسيب من بنى عمرو بن جُنْدب من بنى العنبر[٢] قال عنه القفطى : « أخذ الناس عنه طرفًا من اللغة الفصحى ، وهو قديم العهد قد يرد اسمه فى كتب اللغويين وأسندوا إليه جملة من الغريب »[٣] .

٤ ـ أبو الخطاب عمرو بن عامر البَهْدلى ، أخذ عنه الأصمعى[٤] .

٥ ـ أبو المُجِيب الربعى مَرْثَد بن محيًا[٥] ، من بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة[٦] روى عنه ابن الأعرابى[٧] .

٦ ـ أم الهيثم المِنْقرية ، كانت بالبصرة وأخذ عنها أبو عبيدة[٨] وأبو حاتم السجستانى[٩] .

٧ ـ زيد بن كَثْوة العنبرى ، كان يقيم بالبصرة فى عهد الجاحظ[١٠] .

٨ ـ عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، كان يسكن البصرة وقد أخذ عنه المبرد[١١] .

٩ ـ أبو الصقر العدوى[١٢] ، وقد سجل له صاحب « البارع » ، (ت ٣٥٦ هـ) فقال : أبو الصقر وهو رجل من تميم[١٣] .

١٠ ـ هَدَّاب الهجيمى[١٤] .

---

(١) الفهرست ٧٢
(٢) المرجع السابق ٧٣
(٣) إنباه الرواة ٣٨٨/٢
(٤) الفهرست ٧٠
(٥) المرجع السابق وإنباه الرواة ١١٤/٤
(٦) مجالس ثعلب ٣٩٤
(٧) الفهرست ١٠٣
(٨) الأمالى للقالى ٦٩/٣ ، والمزهر ٥٣٩/٢
(٩) انظر : المقاييس (جلس) ٤٧٤/١ والمزهر ١٤٦/١
(١٠) انظر : البيان والتبين ١٦٣/١
(١١) نزهة الألباء ١٢١
(١٢) إنباه الرواة ١٤/٤ ، وفى الفهرست ٧٠ « الصعق » تحريف .
(١٣) البارع ١٤٧ ونص البارع فى التكملة للصغانى وفيه « أبو السقر » .
(١٤) الفهرست ٧٠

والملاحظ أن المعلومات عن هؤلاء الرواة ضئيلة ، بل إن بعضهم اكتفت كتب التراجم بذكر اسمه ، لكننى حرصت على تدوين أسمائهم لانتمائهم إلى بطون تميمية .

ثانيا — الرحلة الى التميميين :

لم يكتف العلماء بتسجيل اللغة التميمية من أفواه الأعراب الذين جاءوا إلى الحضر ، بل ذهبوا بأنفسهم إلى مواطنها فى قلب الجزيرة العربية ، ونذكر من العلماء :

١ ، ٢ — الخليل بن أحمد (نحو سنة ١٧٥ هـ) ، والكسائى (نحو سنة ١٨٩ هـ) : ونلمس ذلك مما رواه ابن الأنبارى من أن الكسائى « خرج إلى البصرة ولقى الخليل بن أحمد وجلس فى حلقته ، فقال رجل من الأعراب : تركت أسدًا وتميمًا وعندهما الفصاحة وجئت إلى البصرة . وقال للخليل بن أحمد : من أين علمك هذا ؟ فقال : من بوادى الحجاز ونجد وتهامة فخرج وأنفد خمس عشرة قنينة حبرًا فى الكتابة عن العرب سوى ما حفظه »(١) .

ومن الأدلة المادية على تأثر الكسائى بالتميميين قوله : « وسمعت فى بنى تميم من بنى يربوع وطهية من ينصب الثاء على كل حال فى الخفض والنصب والرفع »(٢) .

٣ — الفراء : وقد نسب إليه أنه قال : « سمعت رجلين من بنى تميم قال أحدهما : سوغه ، وقال الآخر : سوغته »(٣) .

٤ — أبو زيد الأنصارى سعيد بن أوس : وقد قال بعد تجواله فى الجزيرة العربية وتدوينه عن أهلها : « لست أقول : قالت العرب إلّا إذا سمعته من هؤلاء : بكر بن هوازن ، وبنى كلاب ، وبنى هلال ، أو من عالية السافلة أو سافلة العالية »(٤) . والمقصود بعالية السافلة أهل نجد .

---

(١) نزهة الألباء ٤٣

(٢) المحكم ٣٣٢/٣

(٣) اللسان (سوغ) ٣١٨/١٠

(٤) المزهر ١٥١/١

٥ ـ الأزهري : أبو منصور محمد بن أحمد (ت سنة ٣٧٠ هـ) كان قد أُخذ أسيرًا أيام فتنة القرامطة وخالط فى أسره تميميين ، وتحدث عن هذه الفترة فقال : « وكنت امتحنت بالإسار سنة عارضت القرامطة الحاج بالهَبِير[1] وكان القوم الذين وقعت فى سهمهم عربًا ، عامتهم من هوازن ، واختلط بهم أصرام من تميم وأسد بالهَبِير نشئوا فى البادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النُّجَع ويرجعون إلى أعداد المياه [فى محاضرهم زمان القيظ] ، ويرعون النَّعَم ، ويعيشون بألبانها ، ويتكلمون بطبعائعهم البدوية وقرائحهم التى اعتادوها ، ولا يكاد يقع فى منطقهم لحن أو خطأ فاحش فبقيتُ فى إسارهم دهرًا طويلًا . وكنا نتشتى الدهناء ونرتبع الصَّمان ونتقيظ السِّتارين واستفدت من مخاطباتهم ومحاورة بعضهم بعضًا ألفاظًا جمة ونوادر كثيرة »[2] .

ونلمس تأثره بالتميميين فى استشهاده بهم وذكره مواضع تميمية مر بها : من ذلك قوله :

(ا) « وثرمداءُ : ماءٌ لبنى سعد فى وادى السِّتارين قد وردته يستقى منه بالعقال لقربه »[3] .

(ب) « والحِنَّاءتان : رملتان فى ديار تميم ، قلت : ورأيت فى ديارهم ركِيَّة تُدْعى الحِنَّاءة وقد وردتها وفى مائها صفرة »[4] .

(ج) « ورأيت فى بلاد بنى سعد بن زيد مناة رملةً يقال لها : غَزَّة وفيها أحساء جمة وَنَخْلٌ بَعْل »[5] .

(د) « ونَطَاعِ بوزن قَطَامِ : ماءة فى بلاد بنى تميم قد وردتُها »[6] .

(هـ) « وسمعت أعرابيًّا من بنى تميم يقول : هجعنا هجعة خفيفة وقت السَّحَر »[7] .

---

(١) رمل فى طريق مكة (معجم البلدان ٨/٤٤٤) .
(٢) تهذيب اللغة ١/٧
(٣) المرجع السابق (ثرمد) ١٥/١٦٨
(٤) المرجع السابق (حنأ) ٥/٢٥٢ واللسان (حنأ) ١ / ٥٥
(٥) المرجع السابق (المستدرك) ٤٥
(٦) المرجع السابق (نطع) ٢/١٧٩
(٧) المرجع السابق ١/١٢٩

٦ـ الجوهرى : إسماعيل بن حماد (ت ٤٠٠ هـ) صاحب « تاج اللغة وصحاح العربية » المعروف باسم الصحاح . وقد استقى بعض مادة معجمه مما دونه عن العرب فى أثناء تجواله ببلادهم – ومنهم تميم – من ذلك ما ذكره فى مادة (نخس) قال : "سألت أعرابيًّا من بنى تميم وهو يستقى وبكرته نخيس[1] . فوضعت إصبعى على النِّخاس ، فقلت : ما هذا ؟ وأردت أن أتعرف منه الحاء والخاء ، فقال : نِخاس – بخاء معجمة – فقلت : أليس قد قال الشاعر :

* وَبَكْرَةٍ نِحَاسُها نُحاسُ *

فقال : ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين »[2] .

صنف آخر سمع من التميميين :

هذا ولم تسعفنا التراجم الخاصة ببعض العلماء ببيان ما إذا كانوا قد رحلوا إلى البادية وأخذوا عن سكانها – ومنهم تميميون – أو أنهم قد تلقوا ذلك عن الأعراب الرواة الذين ذهبوا إلى البصرة والكوفة ، نذكر من هؤلاء العلماء :

سيبويه : (ت نحو سنة ١٨٠ هـ) الذى ذكر فى مواضع كثيرة من « الكتاب » أنه سمع من التميميين ، من ذلك قوله :

(ا) « وسمعنا بعض بنى تميم من بنى عدى يقولون : قد ضَرَبَتِهْ وأَخَذَتِهْ »[3] .

(ب) « سمعنا جميع ما ذكرنا لك من الإمالة والنصب فى هذه الأبواب من العرب »[4] .

(ج) « وسألنا العُلْويين والتميميين ، فرأيناهم يقولون من قُدَيْدِيمَة ومن وُرَيِّئَة ، لا يجعلون ذلك إلَّا نكرة »[5] .

(د) « وسمعناهم ينشدون هذا البيت . . . »[6] والضمير « هم » يعود على « بنى تميم » الواردة قبل هذا الكلام .

---

(١) وضع بها نخاس – بكسر النون – وهو شىء يلقم خرق البكرة إذا اتسعت (اللسان – نخس) .

(٢) الصحاح (نخس) ٣/٩٨٢

(٣) الكتاب ٤/١٨٠

(٤) المرجع السابق ٤/١٤٣

(٥) المرجع السابق ٣/٢٩١

(٦) الكتاب ٤/٤٧١



الباب الثاني

المستوى الصوتي



الفصل الأول

الإبدال

توطئة :

الإبدال هو النطق بصوت أو أكثر مكان غيره فى الكلمة[١] . وهو ظاهرة عامة فى كل لغات البشر[٢] ، إذ هو إحدى وسائل نمو اللغة ، بوساطته تكون العديد من ألفاظها . وسنتناول هذا الإبدال التميمى فى ضوء القواعد التى قررها علماء اللغة : القدامى منهم والمحدثون .

شروط الابدال :

(أ) عند القدامى :

اشترط القدامى للإبدال – دون أن يتعرضوا للحركات – تقارب الصوتين ، وقد نص على ذلك صراحة أبو على الفارسى (ت سنة ٣٧٧ هـ) فى قوله : « أصل القلب فى الحروف إنما هو فيما تقارب منها ، وذلك : الدال والطاء والتاء ، والذال والظاء والثاء ، والهاء والهمزة ، والميم والنون وغير ذلك مما تدانت مخارجه »[٣] وقال ابن سيده : « مالم يتقارب مخرجاه البتة فقيل : على حرفين غير متقاربين فلا يسمى بدلاً ، وذلك كإبدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق »[٤] . لكن القدماء الذين ألفوا فى الإبدال كابن السكيت وأبى الطيب لم يلتزموا بهذا الشرط فنجد أبا الطيب يورد مثلاً كلمات وقع فيها الإبدال بين الباء والهاء[٥] ، والثاء والحاء[٦] ، والثاء والخاء[٧] ، والحاء ، واللام[٨] .

---

(١) يعرف الأستاذ عز الدين التنوخى «الإبدال» بأنه « إقامة حرف مكان حرف ، مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة » (مقدمته لكتاب الإبدال لأبى الطيب ٩) وقوله : «حرف» يخرج الحركة وإن كان كلامه يتفق ومادة الكتاب الذى قدم له . ويفهم من تعريفه أن الإبدال يكون فى حرف واحد من حروف الكلمة ، وهذا يخالف ما لاحظناه من إبدال صوتين ساكنين فى بعض الكلمات مثل « لعل » و « لعن » اللتين سنعرض لهما . هذا وقد استعمل اللغويون القدامى مصطلحات أخرى مرادفة للإبدال ، مثل : البدل ، والمبدول ، والقلب ، والمقلوب ، والمحول ، والمضارعة ، والتعاقب ، والمعاقبة ، والاعتقاب ، والنظائر والاشتقاق الكبير أو الأكبر (مقدمة الإبدال لأبى الطيب للتنوخى ٧) .

(٢) من ذلك أن من متكلمى الإنجليزية من ينطقون oupm, hapm بدلا من open, happen أى بإحلال m مكان n

(٣) سر صناعة الإعراب ١/١٩٧ (٤) المخصص ١٣/٢٧٤ (٥) الإبدال لأبى الطيب ١/٨٧

(٦) المرجع السابق ١/١٥٦ (٧) المرجع السابق ١/١٥٧ (٨) المرجع السابق ١/٣١٠

(ب) عند المحدثين :

يوافق الدكتور صبحى الصالح القدماء فى رأيهم ، فيقول : « فالمعول عليه فى باب الإبدال . . . على المخرج لا على الصفة »[١] ، لكن الدكتور إبراهيم أنيس يرى أن العلاقة الصوتية التى تحكم الإبدال هى قرب الصوتين المبدل والمبدل منه فى الصفة أو فى المخرج[٢] ، ثم طبق مقياسه هذا على ما ورد فى كتاب « الإبدال » لابن السكيت (ت سنة ٢٢٤ هـ) فوجد معظمه يتفق مع مقياسه هذا والقليل منه لا يتفق وهذا المقياس ،وحكم على هذا النوع الأخير أنه ليس من الإبدال وأن كلاًّ من الصورتين مستقلة عن الأخرى[٣] .

وإذا كان الدكتور أنيس قد أجاز التبادل عند قرب الصوتين فى الصفة فقط ، فإنه لم يضرب لنا مثالًا واحدًا على لفظين تباعدا مخرجًا وتقاربا صفة وعدّا من الإبدال .

الابدال بين اللغتين :

وقد قرر بعض اللغويين العرب أنه لا يعد إبدالا إذا حدث بين لغتين مثل قشط وكشط لأنهما لغتان لأقوام مختلفين[٤] .

والواقع أن فى هذه مبالغة إذ إننا يجب أن ننظر إلى العربية على اختلاف لغاتها ككل ، وإلّا لألغينا كل ما قيل : إنه إبدال ؛ لأنه وإن لم ينسبه اللغويون إلى قبائل معينة ، فهو ينتمى بالفعل ، فهم — كما سبق أن أوضحنا — أهملوا جانب النسبة . وإن مما أهمل ابن السكيت نسبته عزاه غيره إلى ناطقيه ، مثل تبادل الميم والنون فى « أيم » و « أين »[٥] ، والعين والغين فى « لعل » و « لغن »[٦] ، وغير ذلك مما سنعرض لنسبة إحدى صيغتيه إلى

---

(١) دراسات فى فقه اللغة ٢٣٥

(٢) من أسرار اللغة ٧٥

(٣) راجع : من أسرار اللغة ٧٥–٨٣

(٤) المحكم (كشط) ٩٥/٦ وعنه نقل اللسان (كشط) ٢٦٢/٩ ، فقد ورد فيهما « قال : يعقوب : تميم وأسد يقولون قشطت بالقاف ، وقيس تقول : كشطت ، وليست القاف فى هذا بدلا من الكاف ، لأنهما لغتان لأقوام مختلفين » والحقيقة أن التعقيب ليس لابن السكيت وإنما هو لابن سيده (قارن هذا النص وما ورد بالإبدال لابن السكيت ١١٣ ، ١١٤)

(٥) الإبدال لابن السكيت ٧٧

(٦) المرجع السابق ١١١

تميم . ذلك إلى أن ابن السكيت نفسه ذكر ألفاظًا ونسبها إلى القبائل الناطقة بها ، من ذلك : ذأى لأهل الحجاز ، وذَوَى لأهل نجد(١) ، وقلب الياء جيمًا عند بنى حنظلة(٢) .

أنواع الابدال :

يقسم العلماء الإبدال إلى نوعين : صرفى ، ولغوى ، يقول أبو على القالى (ت ٣٥٦ هـ) : « اللغويون يذهبون إلى أن جميع ما أمليناه إبدال ، وليس هو كذلك عند علماء أهل النحو »(٣) .

والصرفى (أو النحوى) هو الذى يقع فى حروف معينة مثل تاء افتعل إذا جاء بعدها حرف إطباق فتقلب طاء كاصتبر التى صارت اصطبر ، وهو قياسى تسرى قوانينه على كل لغاتها ولا تتخلف .

لكن اللغوى لاينتظم كل لغات العرب .

أما الأول فقد اختلف فى عدد حروفه ، فعدها ابن مالك (ت سنة ٦٧٢ هـ) تسعة جمعها فى قوله : « هدأت موطيا »(٤) وعدها بعضهم اثنى عشر ،جمعها أبو على القالى فى قوله : « طال يوم أنجدته » وأسقط بعضهم اللام وعدها أحد عشر ، وزاد بعضهم الصاد والزاى وعدها أربعة عشر وذكر الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) ثلاثة عشر وجمعها فى « استنجده يوم طال » . أما سيبويه (ت نحو ١٨٠ هـ) فهى عنده أحد عشر : ثمانية من حروف الزيادة ما عدا اللام والسين وثلاثة من غيرها وهى الدال ، والطاء ، والجيم(٥) .

وقد تناولت كتب الصرف هذا النوع بالتفصيل فلا حاجة بنا إلى التعريج عليه .

---

(١) المرجع السابق ١٣٨
(٢) المرجع السابق ٩٥
(٣) الأمالى للقالى ١٨٦/٢
(٤) الألفية : انظر شرح الأشمونى ٢٨٠/٤
(٥) شرح الأشمونى ٢٨٣/٤

أما الذى يهمنا هنا فهو النوع الثانى ، وليس معنى ذلك أن الأصوات التى تناولها الصرفيون لا تدخل فى نطاق الإبدال اللغوى ، وإنما الفرق هو أن وجودها هناك عام فى كل لغات العرب ، أما هنا فهى قاصرة على لغة أو لغات معينة ، وقد يكون استعمالها هنا على أنها شىءٌ غير مستحسن كما سنرى .

وهذا النوع نستطيع أن نقسمه بدوره إلى قسمين :

(أ) مطرد : وهو ما يسير على نمط محدد دون تخلف .

(ب) غير مطرد : وهو ما لا يسير على وتيرة واحدة ، فأحيانا تكثر أمثلته وأحيانًا تقل .

وسندرس الإبدال من زاويتين أولاهما حرة وآخراهما مقيدة أو تركيبية . ولن نقتصر فى دراستنا على الأصوات الساكنة ، وإنما سنتناوله أيضًا فى أشباه أصوات اللين ، والحركات : قصيرها وطويلها ، مستهلين كل صنف بالمطرد منه ثم نثنى بغير المطرد .

أولا : فى الأصوات الساكنة

١ ـ الإبدال الحر

الإبدال الحر هو تحول الصوت اللغوى فى الكلمة إلى آخر دون تأثره بصوت غيره فى الكلمة نفسها ، كما هو الشأن فى الإبدال التركيبى (المقيد)[1] .

والإبدال الحر عند تميم قد يكون للصوت فى كل سياقاته عندهم مثل نطقهم القاف كافا ، وقد يكون فى سياق معين وهذا ما نلحظه فى نطق بعضهم ـ وهم بنو سعد ـ الجيم المشددة فى آخر الكلمة حالة الوقف ياء . وهذان الصنفان يدخلان تحت ما نسميه المطرد .

وقد يكون الصوت المتغير فى كلمة أو بضع كلمات غير مشروط بموقع معين من الكلمة . وهذا النوع يدخل تحت الصنف غير المطرد .

وفيما يلى بيان ما وجدناه معزوا إلى تميم من هذا القسم الحر مبتدئين بما حدث فيه الإبدال عند تميم ومثنين بما كان الأصل فيه عند تميم ثم تطور فأصابه الإبدال عند غيرهم . ثم نعرض بعد ذلك المجهول الأصل ، وهو الذى يصعب بيان أى الصيغتين هى الأصلية أو المتطورة .

أولا ـ عند تميم

(أ) المطرد :

١ ، ٢ ـ الكشكشة والكسكسة :

من الظواهر التى تنسب إلى تميم وتعد مذمومة ظاهرتا الكسكسة والكشكشة ونلاحظ أن سيبويه رغم أنه تناولهما لم يذكر لقبيهما[2] . ويجمل أن نعرض كذلك إلى ظاهرة ثالثة ذات صلة بهما وهى « الشنشنة » ، وفيما يلى تعريف بالظواهر الثلاث .

١ ـ الشنشنة :

ويعرفها الفراء (ت ٢٠٧ هـ) بأنها : فى لغة اليمن تجعل الكاف شينا مطلقا . كلبَّيْشَ اللهم لبَّيْش ،أى لَبَّيْكَ اللهم لبيك[3] . وإذا كان هذا التعريف لم يحدد نوع الكاف ، بل نص على إطلاقها ـ وإن كان قد اقتصر فى التمثيل على كاف المخاطب المذكر ـ فإننا نجد شارح الاقتراح » يوضح كلمة « مطلقا » ، فيقول : « (مطلقا) أى سواء كانت

---

(١) انظر : التطور اللغوى : مظاهره وعلله وقوانينه ١٧ ويطلق عليه « الإبدال التاريخى » .

(٢) انظر : الكتاب ٤/١٩٩ ، ٢٠٠ (٣) المزهر ١/٢٢٢ ، والاقتراح ٩٩

لمذكر أو مؤنث »[1] . وكلام المسعودى عن أهل الشِّحْر يؤيد ذلك ، فهو يذكر أن لغتهم بخلاف لغة العرب ؛ لأنهم يجعلون الشين بدلا من الكاف ، وضرب لذلك مثلين هما : « هل لشَ فيما قلت لشَ » . و « أن تجعلى الذى معى فى الذى معش » بدلا من : « هل لكَ فيما قلت لكَ » و « أن تجعلى الذى معى فى الذى معكِ »[2] .

ونسب القلقشندى هذه الظاهرة إلى حمير[3] ، كما نسبت إلى تغلب[4] .

٣ ــ **الكسكسة :**

وكان للعرب فى استعمالها عدة مناهج :

(ا) قلب كاف الخطاب المؤنث سينا ، مثل أبوسِ وأُمِّسِ ، يريدون « أبوك وأُمكِ .

ونسبت هذه الطريقة إلى بعض بكر ، نسبها إليهم المبرد[5] (ت ٢٨٥ هـ) والثعالبى[6] (ت ٤٢٩ هـ) .

(ب) زيادة سين بعد كاف المؤنث فى الوقف مثل أَعَطَيْتُكِسْ وأُكْرِمُكِسْ[7] ، ونسب هذه الطريقة إلى بكر ابنُ فارس[8] ، والزمخشرىّ[9] (ت ٥٢٨ هـ) ، وإلى بعض البكريين المبرد[10] . ونسبها الفيروزابادى (ت ٨١٧ هـ) إلى تميم[11] ونسبها الأصمعى إلى هوازن .[12] .

(ج) حددها الفراء بأنها إلحاق السين بكاف المخاطب المذكر أو قلب الكاف سينا وعزاها إلى ربيعة ومضر[13] .

---

(١) لهجات العرب ١٢٣ (عن نشر الانشراح ٤٤٣) .
(٢) مروج الذهب ٩٢/١
(٣) صبح الأعشى ١٦٠/١
(٤) العقد الفريد ٢٧٥/٢ ، ٣٢٠/٣
(٥) الكامل للمبرد ٣٧١/١
(٦) فقه اللغة للثعالبى ١٠٧ وعبارته « الكسكسة تعرض فى لغة بكر .... » .
(٧) الكتاب ١٩٩/٤
(٨) الصاحبى ٢٤ ،
(٩) الأساس (كسر) ٨٢٢
(١٠) الكامل ٣٧١/١
(١١) القاموس (كسس) ٢٤٦/٢
(١٢) سر صناعة الإعراب ٢٣٥/١
(١٣) الاقتراح ٩٩ ، والمزهر ٢٢١/١

٣ ـ الكشكشة :

وهى مثل الكسكسة رويت لها عدة أشكال :

(أ) قلب كاف المخاطب المؤنث شينا فى حالة الوقف. فيقولون للمرأة : جعل الله البركة فى دارِش، ويحك مالشِ . ونسبها سيبويه إلى « ناس كثير من تميم وناس من أسد[1] وعزاها الزمخشرى إلى تميم.[2] وحدد المبرد التميميين بأنهم بنو عمرو بن تميم[3]، ونسبها ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) إلى ربيعة[4].

لكنا وجدنا سيبويه يمثل بما يفيد قلب الكاف فى الوصل (إنَّشِ ذاهبة ، وما لشِ ذاهبة، يريد إنك ، ومالك)[5].

(ب) إلحاق شين بكاف المخاطب المؤنث فى الوقف مثل أعطيتكِش وأكرمُكش[6] ونسب ذلك إلى تميم[7]، كما عزى إلى ربيعة[8].

(ج) إجراء الوصل مجرى الوقف : ذكر صاحب المحكم هذا الرأى عقب ذكره زيادة الشين بعد الكاف فى الوقف وسياق كلامه يوحى بأنه خاص بالحالتين السابقتين (قلب الكاف شينا ، وإلحاق الشين بالكاف) لكن الشواهد التى استشهد بها هو وغيره اختصت بحالة قلب الكاف شينا فقط ، فقد استشهد ببيت المجنون :

فعَيناش عيناها وجيدُش جيدها ولكن عظمَ الساق مِنْشِ دقيق[9]

واستشهدوا بنداء أعرابية لجارية : « تعالى إلى مولاشِ يناديش » أى مولاكِ يناديك[10]، وبقراءة بعضهم (قد جعل ربُّشِ تحتشِ سريا)[11]، وقوله : (إن الله اصطفاشِ وطهرشِ)[12].

---

(١) الكتاب ٤ / ١٩٩
(٢) أساس البلاغة (كسس) ٨٢٢
(٣) الكامل ١/٣٧١
(٤) المحكم ٦/٣٩٧
(٥) الكتاب ٤/١٩٩
(٦) المرجع السابق ٤/١٩٩ ، ٢٠٠
(٧) لسان العرب (كشكش) ٨/٢٣٤
(٨) سر صناعة الإعراب ١/٢٣٥
(٩) المحكم ٦/٣٩٨
(١٠) القاموس (كشكش) ٢/٢٨٦
(١١) مريم ١٩/٢٤ ، وانظر القراءة فى : فقه اللغة للثعالبى ١٠٧
(١٢) آل عمران ٣/٤٢ ، وانظر القراءة فى : ألف باء ٢/٤٣١ ، عن الخطابى .

ونجد الفراء بعد أن ينسبها إلى ربيعة ومضر يقسم الناطقين بها إلى فريقين : فريق يستبدل بالكاف شينا ، وآخر يلحق بها شينا ، نراه يقسم كل فريق إلى طائفتين أيضاً ، فمنهم من يتكلم بها فى حالة الوقف فقط ، ومنهم من يتكلم بها فى حالة الوصل ، وأن الفريق الأول منهما ، وهو الذى يقلب الكاف شينا ، يكسر الشين فى حالة الوصل ويسكنها فى الوقف[1] .

نخلص مما تقدم أن أصحاب الكشكشة كانوا فريقين :

(أ) فريق قلب كاف المؤنثة شينا ، وهو بدوره انقسم إلى فئتين : فئة التزمت بذلك فى حالة الوقف دون الوصل ، والأخرى لم تفرق بين وصل ووقف .

(ب) فريق زادوا شينا بعد الكاف المؤنثة ، وهذا الفريق انقسم أيضاً بدوره إلى طائفتين بالنسبة للوقف والوصل .

بين الظواهر الثلاث :

أمامنا ثلاث ظواهر هى الشنشنة والكسكسة والكشكشة ، أما الأولى فقد نسبها بعض اللغويين إلى اليمن ، وبعض آخر حدد من اليمنيين حمير ، والاختلاف فى نسبتها غير جوهرى بالنسبة لنا ؛ لأنها لم تنسب إلى تميم موضوع بحثنا .

وأما الظاهرتان الثانية والثالثة فتتحدان فى القبائل التى نطقت بها ، وهى : مضر ، وربيعة ، وبكر ، وهوازن ، وتميم . وانفردت الكشكشة بنسبتها إلى أسد بالإضافة إلى تلك القبائل .

أما ربيعة ومضر ، فهما شعبان كبيران نسبت إليهما القبائل الأخرى التى نسبت إليها هذه الظاهرة بالإضافة إلى غيرها من قبائل عدنانية ، أو بمعنى آخر كل القبائل التى كانت تقطن شبه الجزيرة العربية عدا اليمنية التى نسبت إليها الشنشنة ، ونلاحظ أن اللغوى الذى نسبها إليهما واحد وهو الفراء . وواضح أن نسبته غير دقيقة ؛ لأن الحجازيين وهم عدنانيون لم ينطقوا بهما . ونرجح أن الظاهرتين الأخيرتين شاعتا بين القبائل الأربعة :

---

(١) المزهر ٢٢١/١

بكر وهوازن وأسد وتميم ، وهى التى كانت تقيم وسط الجزيرة وشرقها ويجمعها التجاور . وليس معنى ذلك أن القبيلة الواحدة كان أفرادها جميعاً ينطقون الظاهرتين معا أو كانوا ينطقون الظاهرة الواحدة بكل صورها ، فالقبيلة الواحدة كانت تتشعب إلى بطون وأفخاذ وقد تكون موزعة جغرافيا يفصل بينها الآلاف من الكيلو مترات .

ويتضح مما عرضنا أن تميما كان ينطق معظمها بالكشكشة وبعضها بالكسكسة ومصدرنا فى نطقهم الكشكشة بصورها المختلفة الصدر الأول من اللغويين وسيبويه الذى نص على نسبتها إلى « ناس كثير من تميم » . وحدد المبرد الناطقين بأنهم بنو عمرو بن تميم . وإذا كان قد نسب إلى التميميين نطقهم إياها بصورها المختلفة ، فإن هذا يعنى توزع هذه الصور فى بطون تميمية لا يجمعها موطن واحد .

أما نسبة الكسكسة إلى تميم فلم نجدها إلا عند الفيروزابادى بصورة واحدة وهى إضافة السين إلى الكاف . وليس هناك ما يمنع من نطقهم بها ، ونرجح أن المتكلمين بها منهم كانوا فى منطقة بعيدة عن متكلمى الكشكشة تأثروا بغيرهم من الناطقين بالكسكسة . .

ولعل مما يعضد نسبة الظاهرتين إلى تميم أنهما مازالا يتكلم بهما فى مناطق يسكنها تميميون ، فمنطقة الخليج مازالت تنطق بالكشكشة بالصور التى نطقت بها تميم ، وجهات القصيم كبريدة وعنيزة وزميقة تنطق الكاف بإحدى الصور التى كان ينطق بها التميميون الكسكسة وفيما يلى توضيح ذلك .

الكشكشة والكسكسة فى ضوء نطقهما الآن :

أما عن كيفية نطق هاتين الظاهرتين ، فقد قلنا إنه كان لكل منهما نطقان : قلب الكاف شينا فى الظاهرة الأولى – كنطق الشنشنة – ، والآخر الاحتفاظ بالكاف مع الشين . والنطقان يستعملان أحياناً فى الوقف وأحياناً فى الوقف والوصل ، وكذلك الشأن بالنسبة للكسكسة . وهى بالنسبة للكشكشة خاصة بكاف المؤنث فقط . ولا نحب أن نقول إن اللغويين لم يصيبوا فى وصف الظاهرتين ، وإن النطق كان واحداً لكل ظاهرة ، وإن الكشكشة

كانت تنطق مثلا « تش » ch فقط[1] ؛ لأننا نجد اليوم فى منطقة الخليج- وقد كانت من قبل ولا تزال موطنا لبعض التميميين - صور الكشكشة التى ذكرها القدماء لا تزال حية . ومن خلال جولات قام بها الدكتور عبد العزيز مطر فى أثناء عمله بتلك المنطقة ، لاحظ ما يلى :

١ - لهجات الخليج بصفة عامة تنطق الكاف تش (ch) فى حالتين :

(ا) إذا جاورت صوت اللين الأمامى (الكسرة وياء المد والفتحة المرققة وألف المد المرققة) سواء سبقها أو لحقها ، وذلك مثل كاذب ويبكى[2] . ولاحظ الدكتور مطر أن أحد هذه الأصوات المجاورة إذا كان قد تغير عن نطقه فى الفصحى فالكشكشة تراعى الأصل ، فمثلا يبارِك تنطق بالكشكشة بسبب الكسرة ، أما دِكان فالكاف عادية لأن كسرة الدال مضمومة الأصل[3].

(ب) فى خطاب المؤنثة ، مثل : أبوكِ .

وما عدا هاتين الحالتين تنطق الكاف المعهودة مثل مَرْكَب[4].

٢ - فى لهجة « المحرّق » ومناطق أخرى تشاركها تنطق الكاف تْش (ch) فى كاف المؤنث فقط . وماعدا ذلك مثل شلونَكْ وكيف ، فكاف عادية[5].

٣ - فى جزيرة سِتْرة وغيرها من القرى مثل توبْلى والكَوَرة و « جِد حفص » تنطق الكاف كما يلى :

(ا) تحول إلى شين خالصة إذا كانت كاف المؤنث مثل : عُمْرِش[6] ، وتشيع هذه الخاصية أيضاً فى القطيف والأحساء من المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية[7]

---

(١) انظر : فى اللهجات العربية ١٢٥

(٢) ظواهر نادرة فى لهجات الخليج العربى ٧٩ ، وانظر بشأن هذه الحالة : لهجات شرق الجزيرة العربية ٨٥ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣

(٣) خصائص اللهجة الكويتية ٣٩ وما بعدها .

(٤) ظواهر نادرة ٧٩ ، ٨٠

(٥) المرجع السابق ٨٠ ، ودراسة صوتية فى لهجة البحرين ٥٥

(٦) ظواهر نادرة ٨١ ، ولهجة البحرين ٥٧

(٧) ظواهر نادرة ٨١ ، ولهجة البحرين ٦٠ ، ٦١

(ب) تنطق تش (ch) فى خطاب المذكر مثل كيف حالتش بدلا من كيف حالَكَ ، ونلقاتشم بخير فى نلقاكم بخير[1] .

هذا ما يتصل بالكشكشة .

أما الكسكسة فلا تزال أيضا لها بقايا فى وسط الجزيرة وتنطق « تْسْ » ونلاحظ ذلك على سبيل المثال لدى سكان بريدة وعنيزة بالقصيم وزميقة وشقراء حيث يسكن تميميون . لكن الظاهرة لم تعد مقصورة على كاف المخاطب أو المخاطبة فيقولون : تسيف حالك فى : كيف حالك .

التفسير الصوتى :

إذا لاحظنا مخارج الأصوات الخمسة (ك ، ش ، س ، تش ، تس) نجد الكاف من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى[2] أى طبقى[3] ، والشين مما بين وسط اللسان ووسط الحنك[4] ، أى غارى[5] ، والسين مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا[6] ، أى أسنانى لثوى[7] ، أما الصوتان « تش » و « تس » فكل منهما مركب من صوتين يبدأ بالتاء ومخرجه مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا[8] أى أسنانى لثوى[9] وينتهى مع الصوت الأول بمخرج الشين وذلك بالامتداد إلى الوراء أى الغار (وسط الحنك) ومع الصوت الثانى بأن يمتد إلى الأمام قليلا .

وقلب الكاف إلى أى من الأصوات الخمسة ، سواء أكان ذلك مع المذكر أم مع المؤنث يتفق وقانون الأصوات الحنكية (palatal law) الذى لاحظه بادوان دى كورتناى

---

(١) ظواهر نادرة ٨٥
(٢) الكتاب ٤/٤٣٣
(٣) المدخل إلى علم اللغة ٧١
(٤) الكتاب ٤/٤٣٣
(٥) المدخل إلى علم اللغة ٦٧
(٦) الكتاب ٤ / ٤٣٣
(٧) المدخل إلى علم اللغة ٤٥
(٨) الكتاب ٤/٤٣٣
(٩) المدخل إلى علم اللغة ٤٥

Baudouin de courtenay سنة ١٨٩٣. وهو أن الأصوات تتقدم من أقصى الحنك (الطبق) إلى الشفتين كالكاف مثلا تصبح سينا (مثلا) [١].

وإذا كان يسبرسن Jespersen يرى أن ذلك مقيد بأن يقترن بهذا الصوت صوت اللين الأمامي وهو الكسرة القصيرة أو الطويلة [٢] ، فإننا نستطيع أن نقرر أنه تم أولا مع المؤنث فقط ثم شمل بعد ذلك المذكر ، وذلك مع الكسكسة أو الشنشنة .

ويمكن أن تكون الشنشنة وبعض صور الكشكشة والكسكسة تمت على مرحلتين :

الأولى : من الكاف إلى الصورتين المزدوجتين تْش ، وتْس .

الثانية : تطور الصوتان عند بعض الناطقين بالظاهرتين إلى « ش » و « س » [٣] فحدثت بذلك الشنشنة وبعض صور الكشكشة والكسكسة . وتحلل الأصوات المزدوجة من سنن التطور اللغوى . وشبيه بذلك تطور الجيم العربية التى ينطق بها فى الفصحى الآن والتى تبدأ بدال مخرجها أصول الثنايا (أى مقدم الحنك) يعقبها شين مجهورة مخرجها وسط الحنك (أى الغار) فتطورت إلى دال ينطقها بعض أهل الصعيد وشين مجهورة وهى الجيم الشامية [٤] .

ذلك إلى مرحلة ثالثة وهى عدم اقتصارها على كاف المؤنثة إذ شملت كاف المذكر أيضاً بالنسبة لناطق الشنشنة والكسكسة فقط .

صفة الأصوات الجديدة :

وفى هذه الظواهر الثلاث لا ينحبس الهواء انحباساً تاماً عند مخرجه كما كان شأنه مع الكاف الشديدة ، بل يسمح للهواء بالمرور وإن كانت منطقة مجرى الهواء مع الشين أوسع منها مع السين [٥] . أما مع « تش » و « تس » فيحتفظ كل من الصوتين بالشدة

---

(١) Jespersen Language ..p. 327 وانظر شرح هذا القانون فى: الأصوات اللغوية ٧٩ ، وفى اللهجات العربية ١٢٣ ، والتطور اللغوى : مظاهره وعلله وقوانينه ٩٢

(٢) Ibid.

(٣) انظر : فصول فى فقه العربية ١٤٩

(٤) المرجع السابق ١٤٨

(٥) انظر : الأصوات اللغوية ٧٧

التى هى صفة للكاف ؛ لأن كلا منهما يتركب من عنصرين أحدهما التاء الشديدة [١] . والملاحظ أن الكاف تتفق والأصوات المبدلة إليها (ش ـ تش ـ س ـ تْس) فى الهمس [٢] .

٢ ، ٤ — بين الجيم والياء :

ظاهرتان متضادتان وجدناهما لدى التميميين ، هما : قلب الجيم ياء ، وقلب الياء جيما . ومن البدهى أنه لم يكن كل تميمى ينطق الظاهرتين ، فلابد أن تكون كل ظاهرة لدى فرع أو فروع لا تنطق الأخرى .

العلاقة بين الجيم والياء :

ولنبدأ ببيان العلاقة التى تربط الصوتين حتى إن أحدهما ينقلب إلى الآخر . إنهما يخرجان من حيز واحد ، وهو ما بين وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى [٣] ، وهما أيضاً مجهوران [٤] . لكن اختلافهما يرجع إلى أن الجيم — كما يقول القدماء — صوت شديد ، أو هو كما يقول المحدثون صوت مزدوج يجمع بين الشدة والرخاوة . يبدأ نطقه بارتفاع مقدم اللسان إلى وسط الحنك الأعلى فيلتصق به ولكنه لا يزول فجأة شأن الأصوات الشديدة وإنما يتم انفصال العضوين ببطء فيحتك الهواء الخارج من الرئتين بهما (أى بالعضوين) كما هو الشأن فى الأصوات الرخوة [٥] . أما الياء فهو صوت بين الشديد والرخو [٦] ، يمر الهواء عند تكونه فيحدث نوعاً من الحفيف أقل من الاحتكاك الذى يحدث مع الأصوات الرخوة [٧] أى يتقارب وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى .

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٤

(٢) انظر المرجع السابق ٤/٤٣٤ ، وانظر بشأن (تش ch)

Jones, An outline of English Phonentics p. 148.

(٣) الكتاب ٤/٤٣٣ وانظر : الأصوات اللغوية ١٢٩ والأصوات اللغوية ١٤٦ ، ١٤٧

(٤) الكتاب ٤/٤٣٤

(٥) المدخل إلى علم اللغة ٦٨

(٦) سر صناعة الإعراب ١/٦٩

(٧) انظر : المدخل إلى علم اللغة ٩٣ ، ٩٤

ولننظر إلى موقف تميم من كل من الظاهرتين :

اولا ـ قلب الجيم ياء :

يذكر أبو زيد (ت نحو ٢١٤ هـ) أن الكلابيين يقولون : الصهاريج والواحد صهريج ، وبنى تميم يقولون : صهاريّ والواحد صهريّ [١] ، وقال أبو على القالى (ت ٣٥٦ هـ) : « ويمكن أن يكون جار لغة فى يار ، كما قالوا الصهاريج والصهاريّ ، وصهريج وصهريّ لغة تميم ، وكما قالوا : شِيَرة لشجرة وحقروه فقالوا شُيَيرة » [٢] .

ولقد شاعت هذه اللغة التميمية فوجدنا الأصمعى ينشد :

* تَحْسَبُه بين الأَنام شِيَرَهْ [٣] *

ووجدنا من يقرأ بها فى كتاب الله ، فقد حكى أبو زيد (هذه الشِّيَرَة) [٤] ، وإن كان أبو عمرو قد كره القراءة بها ونسبها إلى برابر مكة وسودانها [٥] .

ومازالت هذه اللغة حتى وقتنا الحاضر يتكلم بها بعض البدو [٦] ، ونجدها لدى سكان زميقة الذين يقولون مثلا حى ويماعة أى حج وجماعة . كما نجدها شرق الجزيرة العربية فى الكويت والبحرين وقطر وأبى ظبى والبريمى ودبى ، ومن أمثلتها : حَيَر (حجر) ، ويْه (وجه) ، يديد (جديد) ، رِيّال ورَيّال (رجل) ، عَيُوز (عجوز) [٧] . والمتصفح لمعجم الألفاظ الكويتية للشيخ جلال الحنفى يجده يشتمل على عدة ألفاظ تتسم بهذه الظاهرة منها : الين (الجِن) [٨] ، والمسيد (المسجد) [٩] ، والدِّياية (الدجاجة) وجمعها دِياى [١٠] ،

---

(١) الإبدال لأبى الطيب ٢٦١

(٢) الأمالى للقالى ٢/٢١٤ ، والنص فى المخصص ٤/٣٤ ، وفيه « يار لغة فى جار » والمعنى لا يستقيم .وتعقيب القالى على قولهم « حار يار » وهو إتباع ، ويراد باليار الرغيف أخرج من التنور ، وكذلك كل شىء حميت عليه الشمس (اللسان ـ يرر ٨/ ١٥٧ ، ١٥٨) واللفظ مأخوذ من اليرة بمعنى النار (انظر المرجع السابق ١٥٧)

(٣) البحر المحيط ١/١٥٨

(٤) مختصر فى شواذ القرآن ٤ ، والآية فى البقرة ٢ /٣٥

(٥) البحر المحيط ١/١٥٨

(٦) انظر : الشعر عند البدو ١٢٤

(٧) دراسات فى لهجات شرق الجزيرة العربية ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٦ ، وانظر : خصائص اللهجة الكويتية ١٧ وما بعدها .

(٨) معجم الألفاظ الكويتية ٧٧

(٩) المرجع السابق ٣٤٦

(١٠) المرجع السابق ١٣٩

ومَيْنون (مجنون)[(١)] والياعد (وينطق أيضاً جاعد) وهو فراش يتخذ من جلد الضأن بصوفه[(٢)] .

ويذكر الدكتور مطر أن هذه الظاهرة شائعة فى البحرين بمنطقة الحرق وقسم كبير من المنامة ، والجد ، والحالة ، وقلاليى ، والجسرة ، والزلّاق ، والبديّع ، والرقاع الغربى والرقاع الشرقى ، وذكر طائفة من الكلمات كأمثلة لها وأن الجيم فيها غير مرتبطة بموقع صوتى معين[(٣)] .

وإذا كانت هذه البلاد تشيع فيها هذه الظاهرة بحيث تعد من خصائص لهجاتهم فما ذاك إلا لأن من سكان هذه البلاد من ينتمون إلى تميم ، ووجدنا إلى جانب ذلك تسرب هذه الظاهرة إلى مناطق أخرى فى كلمات مفردة ، من ذلك أن أهل بغداد فى القرن السادس الهجرى كانوا ينطقون كلمة « مسجد » بالياء (مسيد)[(٤)] . وقد لاحظت هذا النطق لدى سكان « المخواة » وهم ينتمون إلى زهران[(٥)] . ويوجد فى مدينة أسيوط مسجد يسمى « جامع المجذوب » يطلق عليه العامة « جامع الميدوب » وهذه لاشك من بقايا هذه اللغة لكنها دخيلة عند هؤلاء الأقوام لخلو لغاتهم من هذه الظاهرة .

راى ابن جنى فى شيرة :

ولا نحب أن نختتم الحديث عن هذه الظاهرة دون أن نعرض لرأى ابن جنى فى كلمة شيرة ، فهو يرى أن الياء فيها أصل وليست مبدلة من الجيم ، وحجته فى ذلك :

١ ـ ثبات الياء فى التصغير (شِييرة) ولو كانت بدلا من الجيم لردوها إليها ليدلوا على الأصل .

٢ ـ أن شين شجرة مفتوحة وشين شييرة مكسورة والبدل لا تغير فيه الحركات[(٦)] .

---

(١) المرجع السابق ٦
(٢) المرجع السابق ٧١
(٣) دراسة صوتية فى لهجة البحرين ٢٧–٣١
(٤) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ١٨٧ ، ١٨٨
(٥) انظر : فى سراة غامد وزهران ٢٥٦ ، ٢٥٨
(٦) اللسان (شجر) ٦/٦٢ ، والتاج (شجر) ٣/٢٩١

مناقشة رأى ابن جنى :

١ ــ أما بالنسبة للحجة الأولى فإن الإبدال هنا ظاهرة فى كل جيم ، ودليل ذلك شيوعها الآن فى مناطق كثيرة من الجزيرة العربية ، فهى إذن ليست خاصة بكلمة أو كلمتين فيكون الإبدال للكلمة فى حالة معينة من حالاتها كالإفراد مثلا .

٢ ــ وأما الحجة الأخرى فليس هناك ما يمنع من وجود ظاهرتين فى كلمة واحدة والأمثلة على ذلك كثيرة ، نذكر منها :

أن بعض أهل الصعيد الذين يقلبون الجيم دالا وفى الوقت ذاته يحركون الحرف الحلقى الساكن بفتحة إذا سبقه حرف مفتوح كما كان شأن بنى عُقيل[1] يجمعون : بين الظاهرتين فيقولون مثلا مَعَدون (أى معْجون) .

وبعــد :

فإن هذه الظاهرة رغم شيوعها فى تميم فإنه لم يلتزم بها جميع التميميين ، بدليل أننا وجدنا بعضهم يعكس الأمر فيقلب الياء جيما . وهذا ما سننتقل إلى الحديث عنه .

ثانيا ــ قلب الياء جيما :

لم تنسب هذه الظاهرة إلى تميم بصفة عامة ، بل نسبت إلى بعض بطونهم ، فرأيناها تعزى إلى :

١ ــ بعض بنى سعد وقد نسبها إليهم سيبويه ، وقيدها بحالة الوقف . قال سيبويه : «وأما ناس من بنى سعد ، فإنهم يبدلون الجيم مكان الياء فى الوقف ، لأنها خفية فأبدلوا من موضعها أبين الحروف ، وذلك قولهم : هذا تميجْ ، يريدون : تميمىّ ، وهذا علَجّ ، يريدون : علىّ ، وسمعت بعضهم يقول عَرَبانِجّ يريد عَربانِىّ ، وحدثنى من سمعهم يقولون :

* خالى عُوَيْفٌ وأبو عَلِجّْ *

* المطعمان الشحمَ بالعَشِجّْ *

* وبالغداةِ فلق البَرْنِجّْ *

---

(٢) المحتسب ١/٨٤

يريد بالعَشِىّ والبَرْنِىّ ، فزعم أنهم أنشدوا هكذا »[1] .

وقد وضح البغدادى (ت ١٠٩٣ هـ) موقف بنى سعد بقوله : « بعض بنى سعد يبدلون الياء شديدة كانت أو خفيفة جيما فى الوقف »[2] .

وإذا كانت السعود كثيرة فى بلاد العرب ، فنرجح أن المراد هنا سعد التميمية لأن هذه الظاهرة وردت فى شعر أحد شعرائهم ، وهو هِمْيان بن قحافة السعدى[3] وسنذكر البيت الذى وردت فيه بعد قليل .

٢ — فقيم حَنْظلة ، وقد عزاها إليهم أبو عمرو بن العلاء ، قال : « قلت لرجل من بنى حنظلة : ممن أنت ؟ فقال : فُقَيْمجّ . قال : قلت : من أيهم ؟ قال : مُرِّجّ ، يريد : فُقَيْمِىّ ومُرِّىّ ، وأنشد لهِمْيان السعدى :

* يُطيرُ عنها الوبرَ الصُّهابِجا *

يريد : الصُّهابىّ من الصُّهْبة[4] .

ويفهم من هذا أن المقصود قلب الياء الأخيرة المشددة ، بدليل أن الياء التى وقعت فى وسط الكلمة « فقيمج » لم تقلب هى الأخرى جيما .

ونلاحظ أن هذه الظاهرة نسبت فى الوقت ذاته إلى غير التميميين :

١ — نسبها الفراء إلى بنى دُبير من بنى أسد ، وذكر أنها تكون عندهم الياء الخفيفة[5] .

٢ — نسبها الفراء كذلك إلى طيىء وهى عندهم فى الياء المشددة[6] .

---

(١) الكتاب ١٨٢/٤ فلق : جمع (فلقة بسكون اللام : الشق — البرنى : ضرب من التمر ، وهو أجوده) .
(٢) شرح البغدادى على شواهد الشافية ٢٣٩
(٣) وهو شاعر أموى من بنى عوافة بن سعد بن زيد مناة ، وقيل : من بنى عامر بن الحارث (مقاعس) بن عمرو ابن كعب بن سعد (معجم الشعراء للمرزبانى ١٩٧) .
(٤) سر صناعة الإعراب ١٩٢/١ ، ١٩٣ ، وأمالى القالى ٧٩/٢
(٥) الإبدال لأبى الطيب ٢٦٠/١
(٦) المرجع السابق ٢٥٧/١ ، ٢٥٨

٣ — ويبدو أنها كانت أيضاً عند هذيل ، فقد روى عن ابن مسعود — وهو هذلى — « على كل غَنِيجّ » : يريد غنى[١] ، كما روى عنه أيضاً أنه قال « فلما وضعت رجلى على مُذَمَّر أبى جهل قال : اعل عنِّج » أى : اعل عنى[٢] .

٤ — قضاعة : وهى عندهم فى الياء الواقعة بعد « عين » وقد اشتهرت قضاعة بهذه الظاهرة ، وأطلق عليها « عَجْعَجة قضاعة »[٣] على أن بعض العلماء كالسيوطى لم يقيدها باقتران الياء بالعين[٤] لكن اسمها (العجعجة) يوحى بالتقييد مثل بقية الظواهر التى عرضنا بعضها كالعنعنة والكشكشة .

وبعد : فالملاحظ أن قبائل عربية يجمعها تجاور فى المسكن قلبت الياء جيماً ، ونلاحظ أنها قاصرة على الياء الأخيرة ، وأنها شاعت بصفة خاصة لدى قضاعة . إلا أنها قيدت عندها بوقوع العين قبلها فلقبت بالعجعجة . ومن المحتمل أنها انتقلت منها إلى بعض تميم لكن دون تقيد بحرف العين ، وهم فُقَيْم دارم الحنظلية وبعض بنى سعد (وهى عندهم فى حالة الوقف فقط) . وساعد على هذا الانتقال أن بعض قضاعة كانوا يسكنون اليمامة مجاورين لتميم .

تعليل وجود الظاهرة :

وقد يكون سبب تسرب هذه الظاهره عند تميم أن التميمى - كما قلنا - كان يميل إلى قلب الجيم ياءً . وما دامت هذه إحدى خصوصياته ، فكان ينظر إليها على أنها عيب من العيوب ، فكان يحاول التخلص منها بأن ينطق الجيم صريحة كما هو شأنها لدى عامة العرب ، وكما هى فى الفصحى فأخطأ فى هذه الياء إذ لم يستطع دائما أن يفرق بين الأصلية والمقلوبة ، فكان يقلب الأصلية ياء ظنا منه أنها مقلوبة عن الياء ثم تكرر هذا الخطأ وأصبح قاعدة عند بعضهم .

---

(١) اللسان (شجر) ٦١/٦ ، والتاج (شجر) ٢٩١/٣

(٢) اللسان (عنج) ١٥٥/٣

(٣) الصحاح (عجج) ٣٢٨/١ ، واللسان (عجج) ١٤٤/٣

(٤) الاقتراح ٩٩

ونلحظ مثل هذه الظاهرة لدى بعض سكان الصعيد الذين ينطقون الجيم دالا فنجد بعضهم يحاول التخلص من هذا العيب فلا يفرق أحيانا بين الدال الأصلية والدال المقلوبة فيقلب الدال الأصلية جيما أو جيما قاهرية أحيانا إذا كان يتحدث مع قاهرى.

وشبيه بذلك أيضًا كلمة طوارئ ، فقد رأيتها مكتوبة على جدار إحدى العربات بأسوان « طوارق » . لقد سمعها الأسوانى فظن أن الهمزة هنا ليست أصلية وإنما هى مقلوبة عن القاف ، وأن هذا النطق هو نطق سكان القاهرة . ومثلها أيضًا قول بعض أهل الصعيد : « بيتْهَيّـَگْ لى » بدلا من أن يقول : « بيتهيأ لى » . وهذه الظاهرة وما ذكرناه من أمثلة أخرى مماثلة لها تندرج تحت ما يسمى بـ « الحذلقة » أو المبالغة فى التفصح »[١] .

بين صيغتى ازيم (التميمية) وازجم :

يذكر شَمِر أنه سمع « بعير أزجم – بالزاى والجيم – قال : وليس بين الأزيم والأزجم إلّا تحويل الياء جيمًا وهى فى تميم معروفة »[٢] . وهو البعير الذى لا يرغو[٣] .

وكلام شمر يفهم منه أن تميمًا كانت تنطق الصيغة الجيمية (أزجم) وهذا يتناقض وما عرف عنهم من قلبهم الجيم ياء . ولا زالت هذه الظاهرة عند المحدثين منهم . اللهم إلّا أن يكون ذلك عند من نسبت إليهم الظاهرة المضادة وهم بنو سعد وبنو فُقَيْم . ولكن ذلك مشترط عندهم بحالة الوقف . أما الياء فى هذه الكلمة فغير مشددة وفى وسط الكلمة .

ومما يدل على تناقض شمر أننا إذا رجعنا إلى المادتين (زجم) و (زيم) نجد الأولى تدل على صوت ضعيف ومنه : ما تكلم بزجْمة أى بنبْسَة[٤] . أما (زيم) فتدل على التجمع ومنه : لحم زِيَم ، أى مُكْتنِز[٥] .

ويتبين من هذا أن الصيغة الجيمية هى الأصل فى قولهم : « بعير أزجم » وأن الجيم تحولت إلى الياء . وهذا يتفق ونهج تميم لا العكس كما يقول شمر . وحينئذ يمكن أن نعد « أزيم » عند تميم من الإبدال الحر المطرد .

---

(١) انظر التعريف بهذا المصطلح وأمثلة له فى : التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه ٧٩

(٢) اللسان (زيم) ١٥/١٧١ ، ١٧٢

(٣) المرجع السابق ١٧١

(٤) مقاييس اللغة (زجم) ٣/٤٨

(٥) المرجع السابق (زيم) ٣/٤١

(ب) غير المطرد :

١ ـ قلب الهمزة عينا :

(أ) العنعنة :

نسب إلى تميم قلب الهمزة عينًا ، وأُطلق على هذا النوع من الإبدال « العنعنة » .

وأول ما يتبادر إلى الذهن هو : هل المراد بالعنعنة نطق كل همزة عينًا ، أو أن ذلك خاص بهمزة معينة ؟ وهل هى خاصة بتميم وحدها ، أو أن هناك قبائل أُخرى شاركتها فيها ؟ .

ولنبدأ بالإجابة عن السؤال الأول :

تعريف العنعنة :

لم يتفق اللغويون على إمدادنا بتعريف العنعنة . وقد وجدنا لهم عدة آراء نجملها فيما يلى :

الأول ـ ويحدد وقوعها فى « أن » المفتوحة الهمزة ، مشدّدةً كانت أو مخففة فقط. وممن قال بذلك الفراءُ (ت ٢٠٧ هـ) ، جاءَ فى تهذيب اللغة : « وقال الفراءُ : لغة قريش ومن جاورهم أنَّ ، وتميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون ألف أنَّ إذا كانت مفتوحة عينًا ، يقولون : أشهد عَنَّك رسول الله ، فإذا كسروا رجعوا إلى الألف »[١] .

ونضم إلى ممثلى هذا الرأى :

١ ـ ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) الذى يعرف « العنعنة » بقوله : « أما العنعنة فقلبهم الهمزة فى بعض كلامهم عينًا » ثم استشهد بأَنَّ وأَنْ[٢] : فلعل استعماله كلمة « بعض » ثم استشهاده بأَنَّ وأَنْ فقط يدخله فى فلك هذا الرأى.

٢ ـ ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) الذى ينص على أن تكون العنعنة « فى أَنْ وأَنَّ خاصة »[٣] .

كما نستطيع أن نضم إليهما ابن هشام (ت سنة ٧٦١ هـ) الذى يذكر أنها تكون فى « أن » المصدرية و « أن » المشددة[٤] .

---

(١) تهذيب اللغة (عنن) ١١٢/١ والنص أيضا فى (عنن) باللسان ١٦٨/١٧ ، والتاج ٢/٩

(٢) الصاحبى ٢٤

(٣) شرح المفصل ١٩٨/٨

(٤) مغنى اللبيب ١٣٠/١ ، ١٣١

الثانى ـ ويوسع الدائرة عن الأول فيجعلها خاصة بكل همزة تبدأ بها كل كلمة ، مثل عَنَّك ، وعسْلم ، وعِذَن فى : أنك ، وأسلم وإذن . وهذا الرأى ينقله السيوطى (ت ٩١١ هـ) عن الفراء ، جاء فى المزهر والاقتراح « قال الفراءُ : وخلت لغتهم [أى قريش] من مستبشع اللغات . . . ومن ذلك العنعنة ، وهى فى كثير من العرب فى لغة قيس وتميم ، تجعل الهمزة المبدوء بها عينًا فيقولون فى أنَّك عنَّك وفى أسْلم عَسْلم وفى إذن عِذن »[١] .

ويردد حفنى ناصف وهو من المعاصرين كلام الفراء ، ولكنه يستشهد بعِنَّك وعَنْتَ وعِذَن بدل إنَّك وأنت وإذن[٢] . وقد وضح ذلك ابن الطيب وهو يشرح نص السيوطى بأن حدده بـ « الهمزة المبدوء بها سواء كانت مكسورة أو مفتوحة[٣] » كما نص على أن « إذن هى الجوابية »[٤] .

والملاحظ أن الفراء يتناقض فى تحديده للعنعنة ، فنى حين إنه هنا يجعلها تشمل كل همزة فى أول الكلمة نجده فى النص الذى نقله عنه الأزهرى فى الرأى الأول يجعلها خاصة بأن المفتوحة فقط مشددة كانت أو مخففة . وتناقضه هذا يحتمل أحد أمرين :

(أ) إما صحة نسبتهما له ويكون حينئذ قد ذكر الرأيين فى كتابين مختلفين فى فترتين من حياته ، فصوَّب فى المرة الثانية ما كان قد كتبه فى المرة الأُولى . وليس بأيدينا دليل على ترجيح أحدهما .

(ب) وإما أن أحد الناقلَين (الأزهرى أو السيوطى) لم يتحر الدقة فى نقله ونرجح فى هذه الحالة أن يكون تعريف العنعنة التى وردت فى كتابى الاقتراح والمزهر ، هى للسيوطى نفسه ذكره بعد أن ذكر كلاما للفراء دون التنبيه إلى نهاية كلامه . أما النص الأول فاحتمال الخطأ فيه أقل من الآخر .

---

(١) الاقتراح ٩٨ ، ٩٩ والمزهر ٧٠ / ب = ١ / ٢٢١ ، ٢٢٢ (ط) وضبطت فيه « اذن » و « عذن » بضم الهمزة والعين والصواب بكسرهما كما فى النسخة المخطوطة . ويؤيد ذلك توضيح ابن الطيب فى شرحه للاقتراح فى كتاب « نشر الانشراح » انظر : لهجات العرب لتيمور ٤٦) بأن ذلك فى الفتح والكسر فقط ، وضبط حفنى ناصف لهذا اللفظ المشار إلى مكانه فى الهامش التالى .

(٢) مميزات لغات العرب ١١

(٣) لهجات العرب لتيمور ٤٦ (عن : نشر الانشراح ٤٤١) .

(٤) المرجع السابق .

الثالث – وهو ما نجده لدى جمهرة اللغويين الذين يعرفونها بأنها قلب الهمزة عينا دون تحديد لهمزة معينة ، لكنهم لا يتفقون على منهج فى الاستشهاد على قاعدتهم ، ونستطيع أن نقسمهم إلى فريقين :

(أ) فريق يكتفى بالاستشهاد بنصوص تشتمل على «أن» (مشددة النون أو مخففتها) فقط ونلاحظ ذلك عند :

١ – صاحب «العين» الذى استشهد بقول «شاعرهم» ، أى شاعر بنى تميم :

إن الفؤاد على الذَّلْفاء قد كَمِدا
وحبها موشك عَنْ يصدَع الكبدا[1]

٢ – ٤ – أبو حاتم السجستانى (ت نحو ٢٥٥ هـ) والأزهرى (ت ٣٧٠ هـ) ، والجوهرى (ت ٤٠٠ هـ) الذين يتفقون فى الاستشهاد ببيت ذى الرمة :

أعَنْ تَرَسَّمْتَ من خرقَاءَ مَنْزِلة
مَاءُ الصَّبابَة من عينيكَ مَسْجُوم[2]

٥ – ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) الذى استشهد بما أنشده يعقوب :

فلا تُلهكَ الدنيا عن الدين واعْتَمِلْ
لاخِرةٍ لابُدَّ عَنْ سَتَصِيرُها[3]

(ب) والفريق الآخر لا يحدد همزة معينة ، ونلحظ ذلك فيما أورده صاحبا الجمهرة وتاج العروس :

١ – فابن دريد (ت ٣٢١ هـ) يقول : «العنعنة حكاية كلام نحو قولهم عنعنة تميم ، لأنهم يجعلون الهمزة عينا»[4] ويقول فى موضع آخر : إن «بنى تميم يحققون الهمزة فيجعلونها عيناً»[5] ، ويكرر هذه العبارة فى موضع آخر من معجمه نقلا عن

---

(١) العين ١/١٠٤ (درويش) .
(٢) جمهرة اللغة ٣/٧٦ (عن أبى حاتم) ، وتهذيب اللغة ١/١١١ ، والصحاح (عنن) ٦/٢١٦٧
(٣) المحكم ١/٤٩ (اعتمل : اعمل – اللسان «عمل» ١٣/٥١٢)
(٤) جمهرة اللغة ١/١٦٠ (٥) المرجع السابق ١/٢٣٧

أبى حاتم الذى يعزو قلب الهمزة إلى « بنى تميم ومن يليهم »[1] ونجده فى الموضعين الأخيرين يضرب أمثلة بكلمات بعضها مهموز الأول وبعضها مهموز الوسط وبعضها مهموز الآخر . ومثل لمهموز الأول – نقلا عن أبى حاتم – بـ « عَأَنْ » فى قول ذى الرمة :

أعَنْ ترسمت . . . البيت[2]

وبـ « عَأَنْ » لرجل من أهل اليمامة يُنْحل مجنون قيس :

فعَيْناشِ عيناها وجيدُشِ جيدُها
سوى عَنَّ عظمَ الساقِ مِنْشِ دَقيقُ[3]

ومثل لمهموز الوسط بقول بنى تميم : كعص أى كأص بمعنى أكل[4] ، وبمهموز الآخر بما حكاه عنهم « هذه خباعنا ، يريدون خباؤنا ، ويقولون ، جارية خُبَعَةٌ طُلَعَة ، أى تختبئ مرة وتطلع أخرى »[5] .

٢ – أما صاحب تاج العروس (ت١٢٠٥هـ) فيكتفى بالهمزة التى تمثل فاء الكلمة وذلك فيما نقله عن صاحب العين والكسائى » ، فيقول « قال الليث : وبعض بنى تميم يقول اعتنف الأمر بمعنى ائتنفه وهذه هى العنعنة »[6] ، ويقول : « قال الكسائى يقال كان ذلك منا عُنفة[7] – وعُنُفة – بضمتين – واعتنافا ، أى ائتنافا ، قلبت الهمزة عينا . وهذه عنعنة بنى تميم » .

والذى أراه أن كلمة العنعنة فى هذين النصين اللذين ذكرهما الزَّبيدى ، لم تكن من قول صاحب العين والكسائى ، وإنما العبارتان المختتم بهما النصان « وهذه هى العنعنة » و « هذه عنعنة تميم » من تعقيب الزبيدى عليهما وهذا واضح فى العبارة الأولى ، فقد أوردها الأزهرى سماعا عن بنى تميم دون أن ينص على أنها « عنعنة » رغم أنه ذكرها – كما سبق

(١) المرجع السابق ٧٦/٣
(٢) المرجع السابق ٢٣٨/١ ، ٧٧/٣
(٣) المرجع السابق ٢٣٨/١
(٤) جمهرة اللغة (كمص) ٧٦/٣
(٥) المرجع السابق (خبع) ٢٣٧/١ ، ٢٣٨
(٦) التاج (عنف) ٢٠٥/٦
(٧) المرجع السابق

أن ذكرنا — فى موضع آخر من التهذيب ، قال الأزهرى « وسمعت بعض تميم يقول اعتنفت الأمر بمعنى ائتنفته »[1] . واكتفى بالتعليق على ذلك بقوله : « وهذا كقولهم : أعن ترسمت » .

الرابع — ويذكره الأشمونى (ت ٩٠٠ هـ) الذى يطلقها على الهمزة المتحركة[2] وهو لا يختلف عن سابقه إلا فى قيد تحرك الهمزة ، لكنه يقتصر فى تمثيله على « أن » فى قوله « ظننت عنَّك ذاهب ، أى أنك »[3] .

ومجمل آراء اللغويين أن العنعنة تعنى قلب :

١ — كل همزة كيفما كان موقعها وضبطها .

٢ — الهمزة المتحركة .

٣ — الهمزة المبدوء بها مفتوحة كانت أو مكسورة .

٤ — همزة أنّ وأنْ المفتوحتين فقط .

ونميل إلى رفض الأقوال الثلاثة الأولى ، وذلك لأن :

١ — هذا يعنى أن لغة تميم وغيرها من القبائل التى تشاركها فى العنعنة خالية من كل همزة وفقاً للقول الأول ، أو كل همزة متحركة وفقاً للثانى ، أو كل همزة مفتوحة أو مكسورة بدئ بها ، وذلك يتنافى مع المروى عن تميم ، بل إن النصوص التى استشهد بها على العنعنة لتحوى كلمات مهموزة . مثال ذلك « أشهد » فى أشهد عنك رسول الله و «ماء» فى بيت ذى الرمة و « إن » و « الذلفاء » فى البيت الذى ذكره الخليل ، فهذه الكلمات وغيرها من كلمات لم نذكرها ، لم تقلب همزتها عينا فى حين أن همزة « أنْ » فيها هى التى قلبت . كما أن ذلك يتناقض مع القاعدة التى تقول إن تميما تميل إلى تحقيق الهمزة التى يخففها الحجازيون .

٢ — ونرجح أن المقصود بالعنعنة هو الرأى الأخير ، وهو قلب همزة أنَّ وأن ؛ لأن اللغويين كما سبق أن قلنا كانوا يكتفون بالتمثيل بضرب أمثلة لهما ، ومهما قرىء

---

(١) تهذيب اللغة ٣/٣

(٢) شرح الأشمونى ٢٨٢/٤

(٣) المرجع السابق .

فى الشاذ قوله تعالى : (ولقدْ نعلم أنهم يقولون إنما يُعَلِّمُه بشرٌ)[١] «عَنَّهم» بدل «أنَّهم»[٢] .

٣ ــ ولأن العنعنة المشتقة من «عن» توحى بهذا ، وقد لاحظ ذلك ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) ونص عليه فقال : « وقولهم عنعنة مشتق من قولهم عَنْ عَنْ فى كثير من المواضع . ومجىء النون فى العنعنة يدل على أن إبدالهم إياها إنما هو فى همزة أن دون غيرها . وقد اشتقت العرب أفعالا من الحروف »[٣] ، ويعضد هذا ما يرويه أبو الحسن الأخفش الأوسط (ت نحو ٢١٥ هـ) عن أعرابية من بنى كلاب عندما نطقت أمامه « عنَّى » بدل « أنّى » : « هذه عَنَّتُنَا . وفى رواية عنعنة بنى فلان »[٤] .

وليس معنى رفضنا لغير الرأى الأخير أننا ننكر الكلمات التى قلبت همزتها عينا فى غير « أنْ » و « أنَّ » ونسبت إلى تميم ، بل إننا على العكس من ذلك نقول إنها تتفق وطبيعة تميم ، ولكن لا تسمى « عنعنة » ، وإنما هى كلمات شأنها شأن الكلمات الأخرى التى حدث فيها إبدال . وإن أطلق عليها ابن دريد والزَّبيدى أحيانا عنعنة ــ على فرض اتضاح مفهوم العنعنة عندهما ــ فإن ذلك من باب التجوز .

أصحابها :

نلاحظ أن معظم اللغويين اكتفوا بإضافة هذه الظاهرة إلى تميم فقط ، ومن هؤلاء : صاحب العين[٥] ، والأصمعى[٦] (ت نحو ٢١٦ هـ) ، وابن فارس[٧] ، والجوهرى[٨] ، وابن دريد[٩] والأزهرى[١٠] ، وابن سيده[١١] ، وابن هشام[١٢] ، والأشمونى[١٣] . هذا فى حين إن بعضا آخر كأبى حاتم نسبها إلى تميم ومن والاها[١٤] وفصل بعض هذا الفريق فمنهم من نسبها إلى أسد بالإضافة إلى تميم كأبى جعفر النحاس[١٥] (ت نحو ٣٣٨ هـ) والزمخشرى[١٦] ، وابن يعيش[١٧] . ومنهم

---

(١) النحل ١٠٣/١٦
(٢) شواذ القراءة للكرمانى ٢٦
(٣) سر صناعة الإعراب ٢٣٧/١ وضبطت « أن » بسكون النون .
(٤) النوادر لأبى زيد ٢٢٨ ، ٢٩
(٥) العين ١٠٤/١ (درويش) .
(٦) سر صناعة الإعراب ٢٣٤/١
(٧) الصاحبى ٢٤
(٨) الصحاح (عنن) ٢١٦٧/٦
(٩) جمهرة اللغة ١٦٠/١
(١٠) تهذيب اللغة ١١١/١
(١١) المحكم ٤٩/١
(١٢) مغنى اللبيب ١٣١/١
(١٣) شرح الأشمونى ٢٨٢/٤
(١٤) جمهرة اللغة ٧٦/٣
(١٥) إعراب القرآن ١٢/ أ
(١٦) شرح المفصل ١٤٩/٨
(١٧) المرجع السابق

من نسبها إلى قيس وتميم كالسيوطى نقلا عن الفراء – كما اتضح من نصه الذى ذكرناه آنفا – وأبى الطيب اللغوى [١] . (ت ٣٥١ هـ) وتابعه فى ذلك حفنى ناصف [٢] ، ونسبها الفراء إلى هذه القبائل الثلاث ومن جاورها [٣] . ويبدو أنها كانت عند بنى كلاب [٤] .

وإذا رجعنا إلى الشواهد الخاصة بهذه الظاهرة ، وجدنا بعضها منسوبا وبعضها غير منسوب .

(أ) أمّا غير المنسوب ، فقد وجدنا :

١ – قولهم « أشهد عَنَّك رسول الله » [٥] بدل « أنَّك » . ولا نستطيع أن ننسب هذه الصيغة إلى قوم معينين ، فكل المسلمين يرددون هذه الشهادة .

٢ – البيت الذى أنشده يعقوب ، وهو :

فلا تلهِك الدنيا عن الدين واعْتمِل لآخرة لابُدَّ عن ستصِيرُها

فهذا البيت وإن كان ابن سيده قد أورده بعد أن عرّف العنعنة ونسبها إلى تميم [٦] إلا أننا لا نستطيع أن نجزم بنسبته إليهم ؛ لأننا لاحظنا اللغويين أضافوا العنعنة إلى تميم ثم استشهدوا بشعراء من غير تميم [٧] .

(ب) أما النصوص التى وجدناها منسوبة ، فهى .

١ – قول الراجز :

* تَعَرَّضتَ لى بمكانٍ حِلِّ *

* تَعَرُّضاً لم تأْلُ عن قتلاً لى * [٨]

---

(١) ارتشاف الضرب ٢٢ أ (٢) مميزات لغات العرب ١٣

(٣) تهذيب اللغة ١/١١٢ ، وانظر اللسان (عنن) ١٧/١٦٨ ، والتاج (عنن) ٩/٢٨٣

(٤) انظر : النوادر لأبى زيد ٢٨ ، ٢٩ ، والصفحة السابقة من هذا البحث .

(٥) تهذيب اللغة ١/١١٢ ، واللسان (عنده) ١٧/١٦٨ ، والتاج (عنن) ٩/٢٨٣

(٦) المحكم ١/٤٩ ، واللسان (عنن) ١٧/١٦٨ ، والتاج (عنن) ٩/٢٨٣

(٧) انظر الصحاح (عنن) ٦/٢١٦٦ ، واللسان (عنن) ١٧/١٦٨ ، والتاج(عنن) ٩/٢٨٣ فقد ورد فيها بيت ذى الرمة بعد التعريف بالعنعنة و نسبتها لتميم .

(٨) الصاحبى ٢٤ ، واللسان (أنن) ١٦/١٧٨

وقد عقب ابن منظور على هذا الرجز بقوله « فإنه أراد لم تأل أن قتلا أى قتلتنى فأبدل العين مكان الهمزة وهذه عنعنة تميم »[١] وقائل هذين البيتين هو منظور بن مرثد الأسدى :[٢]

٢ ــ أعَنْ ترَسَّمتَ من خرقاءَ منزلة
ماءُ الصبابة من عينيك مسجوم ..

وقائل هذا البيت هو ذو الرمة ــ كما سبق أن ذكرنا ــ وهو من بنى عدى بن عبد مناة ابن أد بن طابخة[٣] ، فهو يلتقى فى نسبه مع تميم فى أُدّ بن طابخة . ثم إنه كان على صلة بتميم ، فقد كان صاحب « مية » ابنة مقاتل بن طَلَبة بن قيس بن عاصم[٤] .

٣ ــ فما أُبْنَ حتى قلن : ياليت عَنّنا تراب وعنّ الأرض بالناس تُخسف

وهذا البيت لجران العود[٥] ، وهو من بنى نمير من قيس[٦] .

٤ ــ وعَنْ تَخْلِطِى فى طيب الشِّرب بَيْننا من الكَدِرِ الآبِىّ شِرْباً مُطبَّعَا

وقائل هذا البيت يزيد بن الطثرية[٧] وهو من قُشير من قيس[٨]

٥ ــ فعيناش عيناها وجيدُش جيدها سوى عَنَّ عظم الساق منش دقيق

وينسب هذا البيت لمجنون قيس[٩] .

٦ ــ أعن تغنَّت على ساق مُطوَّقةٌ ورقاءُ تدعو هديلا فوق أعوادِ

هذا البيت أنشده ابن هَرْمة لهارون الرشيد[١٠] ، وابن هرمة هذا (إبراهيم بن على)

---

(١) اللسان (أنن) ١٦/١٧٨

(٢) لامية منظور بن مرثد الأسدى (مجلة مجمع اللغة العربية العدد ٢٩ / ٢١٠)

(٣) جمهرة أنساب العرب ١٩٨ ، ٢٠٠

(٤) المرجع السابق ٢١٦

(٥) تهذيب اللغة ١/١١٢

(٦) انظر : جمهرة أنساب العرب ٢٧٢

(٧) اللسان (طبع) ١٠/١٠٤ وفيه « ابن الطثرية » بحذف « يزيد » ، والتاج (طبع) ٥/٤٣٩

(٨) جمهرة أنساب العرب ٤٨٢ ، ٤٨٣

(٩) جمهرة اللغة ١/٢٣٨

(١٠) سر صناعة الإعراب ١/٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ومجالس ثعلب ٨١

وهو وإن كان من بنى الحارث بن فهر بن مالك من قريش[١] إلا أنه تربى فى بنى تميم[٢] ، فهو يمثل البيئة التميمية .

٧ — وفى حديث قيلة « تحسب عَنِّى نائمة » أى تحسب أنى نائمة[٣] . ويذكر صاحب « أُسد الغابة » امرأتين كلتيهما اسمها قيلة إحداهما خزاعية والأُخرى تميمية[٤] ونرجح أن الأَخيرة هى صاحبة هذا الخبر ، لأَن العنعنة لم تعز لخزاعة .

٨ — حديث حُصَين بن مُشَمّت : «أَخبرنا فلان عنّ فلانا حدثه » ، أى أن فلانا[٥] . وحصين هذا تميمى من بنى سعد بن زيد مناة له صحبة برسول الله[٦] ، صلى الله عليه وسلم .

٩ — ونستطيع أن نضم إلى الشواهد المنسوبة قول الشاعر :

إن الفؤاد على الذلفاء قد كمدا

وحبها موشك عن يصدع الكبدا

فهذا البيت قد أورده صاحب العين شاهدا على العنعنة ، فبعد أن عرفها ونسبها إلى تميم عقب بقوله « قال شاعرهم » وذكر البيت[٧] .

وبعد : فإن هذه النصوص المنسوبة أَحدها منسوب لأَسدى وبعضها منسوب لتميميين أو قيسيين ، وهذا يؤكد لنا أن هذه الظاهرة ليست خاصة بتميم وحدها بل شاركتها قيس وأسد . ولا عجب أن تشارك أسد وقيس وغيرهما من قبائل مجاورة تميما فى هذه الخاصية ، لأَن الجوار من عوامل التأَثر والتأْثير . أما تخصيص بعض اللغويين لتميم ، فلأَنها أعظمها شأنا وتمثل الكتلة الشرقية ، كما أرجح ألا تكون منتشرة بينهم انتشارها بين بنى تميم . خاصة وأن الذين اكتفوا بنسبها إلى تميم هم رواد اللغويين أمثال صاحب العين . ولا عجب فى ذلك ، بل العجب أن نرى من اللغويين من ينسبها إلى غير هذه القبائل ، فقد نسبها الثعالبى إلى قضاعة[٨] ، لكن العجب يزول إذا ما أمعنا فى قراءة كلام الثعالبى

---

(١) جمهرة أنساب العرب ١٧٧
(٢) مجالس ثعلب ٨١
(٣) النهاية لابن الأثير ٣/٣١٤
(٤) أسد الغابة ٥/٥٣٢
(٥) النهاية ٣/٣١٤
(٦) انظر نسبه فى جمهرة أنساب العرب ٢٢٠ ، وأسد الغابة ٢/٢٧
(٧) العين (عنن) ١/١٠٤ (درويش)
(٨) فقه اللغة ١٠٧

الذى ينسب إليها، يقول « العنعنة تعرض فى لغة قضاعة، كقولهم: ظننت عنَّك ذاهب؛ أى أنك . . . . »[١] .

وكلمة «تعرض» تفيد أن العنعنة غير متمكنة فى هؤلاء القوم. ثم إن قضاعة قبيلة ذات فروع متعددة[٢] متفرقة فى الجزيرة . ومن فروعها « جَرْم » التى كان بعض ديارها باليمامة[٣] ، فلا يبعد أن يتأثر هذا الفرع بتميم فى العنعنة .

تفسير الظاهرة :

أما تفسير ظاهرة العنعنة هذه فهو أن الانتقال من الهمزة إلى العين (أو العكس) يسوغه قرب مخرجيهما ، فهما كما يرى القدماء صوتان حلقيان : الهمزة من أقصى الحلق والعين من الحيز الذى يليه وهو وسط الحلق[٤] ، وإن كان المحدثون يرون أن مخرج الهمزة هو الحنجرة[٥] . فلقرب مخرجيهما حدث بينهما تبادل . وإن قلب تميم الهمزة عينا يتفق وطبيعتها البدوية ، فهم يرغبون فى إظهارها ، فالعين صوت مجهور[٦] ، أما الهمزة — كما يصفها بعض المحدثين — فهى لا مجهورة ولا مهموسة[٧] ، لأن فتحة المزمار معها مغلقة فلا تسمع ذبذبة الوترين الصوتيين[٨] ، أو هى مهموسة — كما يرى محدثون آخرون[٩] — لذا فإن العين تمثل مشكلة لغير العرب ويندر أن ينطقها واحد منهم بصورة صحيحة[١٠] .

---

(١) المرجع السابق

(٢) نسب عدنان وقحطان ١٤

(٣) صفة جزيرة العرب ١٦٣

(٤) الكتاب ٤/٤٣٣ ، وسر صناعة الإعراب ١/٥٢

(٥) علم اللغة للدكتور السعران ١٧١ ، والأصوات للدكتور بشر ١٤٢ ، واللغة العربية : معناها ومبناها ٧٩

(٦) الكتاب ٤/٤٣٤ ، والأصوات اللغوية ٨٨

(٧) الأصوات اللغوية ٩٠ ، وعلم اللغة ، للدكتور السعران ١٧١ ، والأصوات للدكتور بشر ١٤٢

(٨) الأصوات اللغوية ٩٠ ، والأصوات للدكتور بشر ١٤٢

(٩) اللغة العربية : معناها ومبناها ٧٩

(١٠) الأصوات للدكتور بشر ١٥٦

(ب) قلبت الهمزة عينا فى غير العنعنة (اعتنف — كَعَص — خباع — عدر) :

رأينا ونحن نعرض العنعنة أن التميميين قلبوا الهمزة عينا فى بعض الكلمات وأن ذلك لم يكن محددا بموضع معين من الكلمة ، فقد يكون فى أولها أو فى وسطها أو فى آخرها . والكلمات التى عرضناها هناك هى : اعتنف ومشتقاتها ، وكَعَص أى أكل ، وخِباع وخُبَعة فى مقابل ائتنف ، وكأص ، وخباء ، وخُبَأة . ونضيف إليها هنا عَدَر وأصلها أَدَر[1] وهذا الإبدال فى هذه الكلمات ليس من النوع المطرد . .

خروج عن القاعدة (نزأ — أثكول) :

ينقل أبو حيان عن الخليل أن « تميم تبدل الهمزة من العين ، والعين من الهمزة . يقولون : عَنّى ، وخبع وعَدَر ، بمعنى أنى وخبأ وأدر . ويقولون : نزأ بمعنى نزع ، وقالوا : أُثكول فى عُثْكول »[2] .

ويفهم من كلام الخليل أن قلب العين همزة كان فى ألفاظ معينة . ونستطيع أن ننسب إلى تميم كذلك « استعديت » فى مقابل « استأديت » المعزوة إلى الحجاز . فقد ورد فى الصحاح « وأهل الحجاز يقولون آديته على أفعلته ، أى أعنته ، ويقولون : استأديت الأمير على فلان فآدانى بمعنى استعديته فأعدانى عليه »[3] .

فى اللهجات الحديثة :

ونجد لقلب الهمزة عينًا فى غير العنعنة أمثلة عند البدو المعاصرين فهم يقولون مثلًا : «قُرْعان ومشْعَله وقراعه وسُعال »يريدون بها «قرآن ومسألة وقراءة وسؤال »[4] وما يزال بعض أهل الصعيد يقولون : « لع » بدل « لأ » و «مسعلة »فى «مسألة »، ونلحظ ذلك بصفة خاصة بين كبار السن غير المثقفين . وهذا النوع من الإبدال يوجد أيضًا فى شمال المغرب (تطوان وما حولها) فهم يقولون : تُخَبَّعْ ونشاع الله فى تخبأ وإن شاء الله[5] .

---

(١) ارتشاف الضرب ٢٣ / أ ، والصيغتان بمعنى انتفاخ الخصية (اللسان « أدر » ٥/٧٢ ، « وعدر » ٦/ ٢١٩)

(٢) ارتشاف الضرب ٢٣/أ

(٣) الصحاح (أدا) ٦/٢٢٦٥

(٤) الشعر عند البدو ١٢٠

(٥) لهجة شمال المغرب : تطوان وما حولها ٧٣

في الساميات :

قلب الهمزة عينًا لم تنفرد به العربية دون أخواتها فهو مستعمل ؛ نجده فى لغة التجرى (الحبشية) فيقولون مثلًا : عربع فى أربع[١] .

تعقيب :

إن الذى يتفق وطبيعة تميم قلب الهمزة عينًا وليس العكس . وإن هذا ليتسق ومحافظتهم على تحقيق الهمزة التى خففها الحجازيون على نحو ما سنبينه فى موضعه ؛ وأما نطقهم كلمات على خلاف نهجهم مثل نزأ وأُثكول اللذين مثل بهما الخليل ، فإن هذا النطق لا يعدو أن يكون نوعًا من الحذلقة ، توهم التميمى أن أصلها الهمزة ونطقها بالعين وفق ميل تميم إلى قلب الهمزة عينًا وأراد أن ينطقهما كما ينطقان فى اللغة المشتركة فضل السبيل .

ونستطيع بعد هذا أن نقرر على ضوء هذه الدراسة الخاصة بقلب الهمزة عينًا سواء أكان ذلك فى العنعنة – السابق دراستها – أم فى غيرها ، أنه إذا وردت كلمة بصيغتين إحداهما تشتمل على عين والأخرى على همزة أن نرجح نسبة العينية إلى تميم ومن على شاكلتهم ، وذلك مثل : عِفَّان وإِفَّان بمعنى حين[٢] ، وجعف وجأف بمعنى صرع[٣] ، والعيْكة والأَيْكة بمعنى الشجر الملتف[٤] .

٢ – ابدال العين غينا (لغن):

« لعل » كلمة تفيد الرجاء ، فهى لذلك كثيرة الدوران على الألسنة . وهذه الكثرة جعلت التغيير يصيبها فى كل أصواتها من حذف للصوت الأول ، فقيل : عَلّ[٥] ومن إبدال فى أصواتها الثلاثة ، فقيل : لعَنَّ ، ورَعَنَّ ، ورَغَنَّ ، ولَغَنَّ[٦] ، وقد عُزيت الأخيرة إلى بعض بنى تميم[٧] . وسنتناول هنا إبدال الغين من العين تاركين الخلاف بين النون واللام إلى الحديث عن التغاير .

---

(١) انظر : البحوث والمحاضرات للدورة ٣٣ بمجمع اللغة العربية ١٢٨
(٢) الصحاح (عفف) ١٤٠٦/٤
(٣) المرجع السابق (جأف) ١٣٣٤/٤
(٤) اللسان (عيك) ٣٦٠/١٢
(٥) الإبدال لابن السكيت ٦٤ ، واللسان (علل) ٥٠٢/١٣
(٦) اللسان (علل) ٥٠٢/١٣
(٧) اللسان (لغن) ٢٧٥/١٧

التفسير الصوتى :

إبدال الغين من العين له ما يبرره صوتيًّا ، فهما متجاوران مخرجًا : العين من وسط الحلق ، والغين من أدناه إلى الفم[١] . ويتفقان فى الجهر[٢] إلَّا أن العين متوسطة بين الشدة والرخاوة[٣] ، والغين رخوة[٤] . فلقلب العين غينًا يتقدم مخرج العين إلى الأمام قليلاً جهة الفم مع جعله تام الرخاوة .

وقد وجدنا الاستعمال التميمى يرد فى النماذج الأدبية على لسان شعراء تميميين قال الفرزدق :

قفـا يا صـاحِبـىَّ لغنَّـا نرى العَرَصاتِ أو أثَرَ الخِيَامِ[٥]

حول مخرج الغين :

مخرج الغين من الحلق من أدناه إلى الفم هو رأى سيبويه وتابعه فى ذلك من جاء بعده من القدماء[٦] ، أما المحدثون فيخالفونهم فى تحديد مخرج هذا الصوت وصنوه الخاء ، فيرون أن مخرجهما من أقصى الحنك بعد القاف من جهة الفم[٧] . لكنى أرى أن هذا المقياس خاص بنطق هذين الصوتين فى بعض البلدان العربية الآن كمصر ، أما اللغة الفصحى المشتركة فكانت تلتزم بنطقهما من الحلق بدليل أنهما لا يدغمان ولا يخفيان فى النون الساكنة التى لاحظ العلماء أن لها ثلاثة أحكام :

(ا) الإدغام : ويكون مع ستة أحرف جمعوها فى قولهم : « يرملون » .

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٣ ، وسر صناعة الإعراب ١/٥٢

(٢) المرجع السابق ٤/٤٣٤

(٣) الكتاب ٤/٤٣٥ ، وسر صناعة الإعراب ١/٦٩

(٤) الكتاب ٤/٤٣٤

(٥) اللسان (لغن) ١٧/٢٧٥ . والديوان ٨٣٥ ، ورواية الصدر : ألستم عائجين بنا لعنا (العرصات جمع عرصة ، وهى كل بقعة بين الدور واسعة ، ليس فيها بناء — اللسان عرص) ، والشاعر هو همام بن غالب من بنى مجاشع ابن دارم . ومن أكبر شعراء العصر الأموى . ذكره الجمحى فى الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين (الشعر والشعراء ٤٧٢ ، وطبقات فحول الشعراء ٢٥٠) .

(٦) انظر الأصوات اللغوية ١٢٨

(٧) الأصوات للدكتور بشر ١٥٧ ، ١٥٩ وانظر : اللغة العبرية ١٢٨

(ب) الإظهار : ويكون مع أحرف الحلق الستة : الهمزة والهاء والعين والحاء ، والغين والخاء .

(ج) الإخفاء : ويكون مع بقية الحروف[(١)] .

على أن نطق هذين الصوتين (الغين والخاء) كما يراه علماء الصوتيات المحدثون ليس جديدًا عليهما اقتضاه التطور فى نطقهما وتقدم مخرجهما إلى الأمام قليلًا ، إنما هو منحدر إلينا من بعض القبائل العربية ؛ لأننا إذا استشرنا القراءات القرآنية – وهى صورة للهجات العربية – لنرى هل منها ما يخفى هذين الصوتين فى النون الساكنة ، نجد أبا جعفر أحد الثلاثة بعد السبعة وقارئ المدينة كان يقرأ بإخفائهما[(٢)] .

٣ – ابدال الحاء هاء (مده):

يعزو المبرد (ت سنة ٢٨٥ هـ) إلى بنى سعد بن زيد مناة بن تميم وكذلك إلى لخم ومن قاربها قولهم : « مَدَهَ » بدلًا من « مَدَحَ » ، واستشهد على ذلك بقول رؤبة :

* لله دَرُّ الغانيات المُدَّهِ *

أي المُدَّح[(٣)] .

ورؤبة هذا من بنى سعد . وقد ورد هذا اللفظ أيضًا فى رجز لتيمى من بنى سعد جاهلى أنشده أبو عبيدة ، وهو قوله :

* حَسْبُكِ بعضَ القولِ لا تمَدَّهِي[(٤)] *

وقد أوردت كتب اللغة مشتقات هذا اللفظ مشتملا على الصوتين المبدلين دون نسبة إلى قوم معينين ، جاء فى « الإبدال » لابن السكيت (ت سنة ٢٤٤ هـ) : « الاصمعى يقال : مَدَحَ وَمَدَهَ ، وما أحسن مَدحَهُ ، ومِدْحَته وَمَدْهَه ومِدْهَته »[(٥)] .

---

(١) انظر : اتحاف ٣٢ ، ٣٣

(٢) إتحاف ٣٢ ، وأذكر أنى قرأت «فى تهذيب اللغة» للأزهرى أن المؤلف سمع بعض العرب – ولم يحددهم – ينطقون هذين الصوتين كما ينطقهما المحدثون ، والقارىء هو : أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، تابعى وأحد القراء العشرة ومن أئمة قراء المدينة قرأ على أبى هريرة وابن عباس وروى عنه نافع وتوفى نحو سنة ١٣١ هـ (معرفة القراء ١/٥٨–٦٢) .

(٣) الكامل ٢/١١٢ ، وبيت رؤبة فى شرح ديوانه ١٢٣ وهو رؤبة بن العجاج بن رؤبة من بنى مالك بن سعد . كان يقيم بالبصرة واشتهر بالرجز ، وكان إلى جانب ذلك عالما باللغة وحشيها وغريبها (جمهرة أنساب العرب ٢١٥ وخزانة الأدب ١/٩٠،٩١)

(٤) الصحاح (برزغ) ٤/١٣١٥ ، واللسان (برزغ) ١٠/٢٩٩ ، ٣٠٠ ومنه ضبط البيت

(٥) الإبدال ٩٠

بنو سعد والظاهرة :

نلاحظ أن قلب الحاء هاء ورد فى غير « المُدّه » عند بنى سعد وهو اللفظ الذى نسبه إليهم المبرد ، فقد ورد فى رجز لرؤبة – وهو كما قلنا من بنى سعد – مما يعضد ميلهم إلى اطّراد ذلك ، وإن كنا لا نستطيع الجزم به لعدم النص عليه ، من ذلك :

١ – الأَجْله بدل الأَجْلح ، وهو الذى انحسر شعر مقدم رأسه[1] . وقد ورد فى قول رؤبة فى الأُرجوزة التى وردت فيها كلمة « المُدَّه » :

* بَراق أصلادِ الجبين الأَجْله[2] *

٢ – الكُدّه بدل الكُدّح أى الكسر فى قول رؤبة أيضًا :

* أو خاف صَقْعَ القارعاتِ الكُدَّه[3] *

وقد وردت مشتقات هاتين الكلمتين بالصوتين الحاء والهاء[4] .

التفسير الصوتى :

الحاء والهاء صوتان مهموسان رخوان مخرجهما من الحلق ، إلّا أن الحاء من وسطه والهاء من أقصاه[5] ، وبتعبير المحدثين من الحنجرة[6] أو من داخل المزمار[7] ، فهما متقاربان مخرجًا متحدان صفة ، مما يسوغ التبادل بينهما . لذا جاءت كلمات فى اللغة مشتركة بينهما ، مثل الهقْهقة والحقْحقة أى السير الشديد[8] ، وفى كتب الإبدال أمثلة كثيرة[9] .

---

(١) المصباح (جلح) ١٠٤

(٢) شرح ديوان رؤبة ١٢٣ ، والكامل ١١٢/٢

(٣) شرح الديوان ١٢٥ (الصقع : كل ضرب على يابس – القارعات : الدواهى – شرح الديوان) .

(٤) الإبدال لابن السكيت ٩١

(٥) الكتاب ٤٣٣/٤ ، ٤٣٤

(٦) الأصوات للدكتور بشر ١٥٦ والمدخل إلى علم اللغة ٧٧

(٧) الأصوات اللغوية ٨٨

(٨) الصحاح (هقق) ١٥٧٠/٤

(٩) انظر : الإبدال لابن السكيت ٩٠–٩٤

٤ ـ بين القاف والكاف :

تمهيـد :

قبل أن نعرض للتبادل بين القاف والكاف نرى أن نبدأ بذكر وصفهما .

١ ـ الكاف : وصفت بأنها صوت شديد مهموس مخرجه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى [١] قرب اللهاه [٢] .

٢ ـ القاف : أما القاف فقد كان لها ـ فيما نعلم ـ ثلاث صور [٣] :

(ا) الفصيحة : وقد وصفت بأنها صوت شديد مجهور مخرجها من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى ، فهى والكاف من حيِّز واحد إلَّا أنها أدخل فى الفم [٤] .

(ب) التميمية : ويسميها السيرافى (ت ٣٦٨ هـ) المعقودة [٥] ، وقد وصفها ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) ، فقال : « فأما بنو تميم فإنهم يلحقون القاف بالكاف فتغلظ فيقولون : الكَوم ، يريدون القوم ، فتكون القاف بين القاف والكاف وهذه لغة معروفة فى بنى تميم ، قال الشاعر :

ولا أكَول لكَدر الكَوم كَد نضجت ولا أكَول لباب الدار مكَفول [٦] »

فمخرجها إلى الأمام قليلاً من الفصيحة ، وتجمع بين الشدة والرخاوة [٧] .

(ج) القاف التى كالكاف : عزيت إلى بعض العرب وكانوا يقولون : الكمح فى القمح وقد وصفت بأنها من الحروف المستقبحة [٨] .

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٣ ، ٤٣٤ ، وانظر : علم اللغة للدكتور السعران ١٦٩ ، والأصوات للدكتور بشر ١٣٨

(٢) الأصوات اللغوية ٨٤

(٣) هناك صورة رابعة نجدها الآن لدى سكان عمان ، فهم ينطقونها جيما فيقولون مثلا : جاد ، وجاسم ، والجوم فى : قاد وقاسم والقوم (انظر : إسعاف الأعيان ٢٤)

(٤) الكتاب ٤/٤٣٣ ، ٤٣٤

(٥) ارتشاف الضرب ٤/ب

(٦) جمهرة اللغة ١/٥ (من المقدمة) ، وانظر : الصاحبى ٢٥ (عن ابن دريد) وفيه « يلحقون القاف باللهاة حتى تغلظ جداً »

(٧) انظر : الأصوات اللغوية ٨٦

(٨) ارتشاف الضرب ٤/ب

وما زال لكل صورة من صور القاف هذه امتداد حتى يومنا هذا :

(ا) فالقاف الفصيحة أو الصريحة ينطقها أهل اليمن[١] ، وذكر حفنى ناصف أن لها بقايا في مصر ، إذ توجد في رشيد وضواحيها وإيبار[٢] .

(ب) والقاف التي كالكاف : نجدها في فلسطين فيقولون مثلًا : كال أي قال .

(ج) القاف التميمية : وقد كانت هي الشائعة أيام أبي حيان (ت ٧٤٥ هـ) ، وابن خلدون[٣] (ت ٨٠٨ هـ) يقول أبو حيان : « وهي الآن غالبة في لسان من يوجد في البوادي من العرب حتى لا يكاد عربي ينطق إلا بالقاف المعقودة لا بالقاف الخالصة الموصوفة في كتب النحويين والمنقولة على وصفها الخالص على ألسنة أهل الأداء من أهل القرآن »[٤] وما زالت هذه الصورة هي السائدة اليوم ، نجدها مثلًا في معظم أنحاء الجزيرة العربية ، وينطقها التميميون المقيمون وسطها وشرقها — عدا عُمان — ونجدها في صعيد مصر .

من الوجهة التاريخية :

وأول ما يتبادر إلى الذهن إذا ما أردنا أن نعرف مكانة الصورة التميمية تاريخياً أنها هي القدمى ، لأن ذلك يتفق وطبائع الأمور ، إذ إنها الصورة الأكثر شدة من الثانية . والتخفيف يتناسب واللغة المشتركة المنتقاة ، ومما يؤيد ذلك ما ذهب إليه ابن خلدون من أنها لغة مضر الأولين ، حيث يقول : « فإنهم لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الأمصار ، كما هو مذكور في كتب العربية . . . بل يجيئون بها متوسطة بين القاف والكاف وهي موجودة للجميع أجمع حيث كانوا : من غرب أو شرق حتى صار ذلك علامة عليهم بين الأمم »[٥] ثم يقول : « وهذه اللغة لم يبتدعها هذا الجيل ، بل هي متوارثة فيهم متعاقبة ، ويظهر من ذلك أنها لغة مضر الأولين ، ولعلها لغة النبي صلى الله عليه وسلم بعينها ، ادّعى ذلك فقهاء أهل البيت وزعموا : من قرأ من أم القرآن (اهدنا السراط المستقيم) بغير القاف التي لهذا الجيل ؛ فقد لحن وأفسد صلاته »[٦] .

---

(١) سمعتها من يمنيين كثيرين .
(٢) مميزات لغات العرب ٣
(٣) مقدمة ابن خلدون ٤/١٣٩٣
(٤) ارتشاف الضرب ٤/ب
(٥) مقدمة ابن خلدون ٤/١٣٩٣
(٦) المرجع السابق ٤/١٣٩٤

فقهاء أهل البيت ـ كما يقول ابن خلدون ـ يرون أن الـگاف هي لغة قريش وقت ظهور الإسلام ، لذا يوجبون القراءة بها في القرآن الكريم . وكنت قد سمعت تميميًا حضرميًا ـ قبل أن أطلع على هذا النص ـ يلتزم ذلك، فلعله شيعي [١] .

وسواء أكانت لغة قريش التزمت القاف الصريحة أو الـگاف ، فليس هذا موضوع بحثنا .

ولننتقل بعد هذا إلى :

التبادل بين القاف والكاف :

لقد صادفتنا كلمات رويت مرة بالقاف (المنطوقة گافًا) وأخرى بالكاف ، ونسبت في إحدى الروايتين إلى تميم . وكون التميمي يستبدل بالكاف گافًا أنه رجع بمخرج الصوت إلى الوراء قليلًا مع انحباس الهواء بشدة أكثر وتذبذب الوترين الصوتيين . وكونه ينطق القاف كافًا فهذه القاف أحد أنواع ثلاثة ـ كما ذكرنا من قبل ـ :

إما أنها القاف الفصيحة كما وصفها القدماء ، فالتميمي حينئذ تقدم بمخرج الصوت إلى الأمام ، مع عدم ذبذبة الوترين الصوتيين ، وإما أنها الـگاف التميمية منطوقة عند غيرهم فتحدث العملية السابقة نفسها على أن التقدم إلى الأمام أقل درجة من سابقتها . وإما أنها القاف التي كالكاف فلا تغيُّر حينئذ .

وهذه أمثلة معزوة إلى تميم :

(١) إيثار القاف (الـگاف) قشط (كشط) :

يذكر يعقوب بن السكيت (ت سنة ٢٤٤ هـ) أن تميما كانت تقول : « قشط » بمعنى نزع وكشف شاركتها في ذلك أسد وقيس في مقابل « كشط » عند قريش [٢] . وفي رواية أخرى عن يعقوب أيضا أن أسدًا وحدها هي التي شاركت تميمًا في مقابل (كشط) عند قيس [٣] أو عند قريش [٤] .

---

(١) إمام مسجد بن محفوظ بجدة في عامي ١٩٧٤ م ، ١٩٧٥ م .

(٢) الإبدال ١١٣ ، ١١٤ وأعتقد أن قائل هذا الكلام هو الفراء لنسبة الكلام السابق له (انظر : الإبدال ١١٣) .

(٣) المحكم (قشط) ٩٥/٦ ، واللسان (قشط) ٢٥٥/٩ ، والتاج (قشط)

(٤) المحكم (كشط) ٤٢٢/٦ ، واللسان (كشط) ٢٦٢/٩ ، والتاج (كشط) ٢٠٧/٥

ونحن نرجح نسبة « كشط » إلى « قريش » بدليل ورودها فى القرآن الكريم فى سورة مكية ، قال تعالى : (وإذَا السَّماءُ كُشِطَتْ)[١] ، وقرىء بها كذلك فى القراءات المعتد بها . أما قيس وهى قبيلة نجدية فيناسبها الصيغة التميمية وأعتقد أن الرواية التى تنسب إليها « كشط » حرفت فيها « قريش » إلى « قيس » ومما يرجح هذا التحريف أن الروايتين تنسبان إلى شخص واحد هو يعقوب بن السكيت . والرواية التى تنسب إلى قريش توجد فى كتاب ابن السكيت نفسه . أما التى تنسب إلى قيس فهى فى كتاب المحكم لابن سيده وعنه نقل من جاء بعده ممن رجع إليه مثل ابن منظور والزَّبيدى . ثم إن ابن سيده نفسه يعزو فى موضع آخر وهو « كشط » إلى قريش[٢] . وفى الموضعين ينقل عن ابن السكيت ، كما يذكر فى كتاب آخر غير المحكم وهو « المخصص » رواية ابن السكيت وفيها يعزو الصيغة الكافية (كشط) إلى قريش لا إلى قيس[٣] على أن الذى يعنينا هنا أن تميمًا آثرت القاف (والمراد الكاف) وبلغتها أو بالفصحى القريبة منها قرأ عبد الله بن مسعود[٤] وعامر ابن شراحيل الشعبى ، وإبراهيم بن يزيد النخعى[٥] قوله تعالى : (وإذا السَّماءُ قشطت) .

حداثة الصيغة التميمية :

يتضح قدم الصيغة القرشية وحداثة التميمية باتجاهنا إلى المعاجم اللغوية ، إذ نجد المعنى العام لمادة (كشط) المحو والإزالة[٦] فى حين إننا نجد بعض المعاجم تهمل (قشط) ؛ وذلك مثل مقاييس اللغة لابن فارس ، والصحاح للجوهرى . والمعاجم التى ذكرتُها لاتعدو أن تكرر ما ورد فى (كشط) مع حذف بعض المعانى الواردة فيها .

---

(١) التكوير ٨١/١١

(٢) المحكم (كشط) ٦/٤٢٢

(٣) المخصص ١٣/٢٧٧

(٤) مختصر فى شواذ القرآن ١٦٩ ، وهو : عبد الله بن مسعود الهذلى ، أحد السابقين للإسلام ، وأحد من جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول : « حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة » وتوفى سنة ٣٢ هـ (معرفة القراء ٣٤ ، ٣٥) .

(٥) تاج العروس (قشط) ٥/٢٠٧ ، والقارئان هما :

(أ) هو أبو عمرو الشعبى عامر بن شراحيل الكوفى الإمام الكبير وهو القائل : « القراءة سنة فاقرءا كما قرأ أولوكم توفى سنة ١٠٥ هـ (غاية النهاية ١/٣٥٠) .

(ب) أبو عمران إبراهيم بن يزيد النخعى الكوفى إمام مشهور قرأ عليه سليمان الأعمش ومات سنة ٩٥ وقيل سنة ٩٦ هـ غاية النهاية ١/٢٩ ، ٣٠) .

(٦) انظر على سبيل المثال : مقاييس اللغة (كشط) ٥/١٨٤ ، واللسان (كشط) ٩/٢٦٢ ، ٢٦٣

(ب) ايثار الكاف (بكع) :

يذكر الجوهرى أن « تميم » تقول : « ما أدرى أين بكع ؟ بمعنى أين بَقع »[١] ويوضح ابن منظور (ت سنة ٧١١ هـ) « بقع » بأنها بمعنى ذهب ، ويقول : « كأنه قال : إلى أى بقعة من البقاع ذهب »[٢] ومن هذا يتبين حداثة الصيغة التميمية . واللجوء إلى الساميات يؤيد ذلك ، فإننا نجد « بقع » فى العبرية (باقع : בָּקַע) بمعنى شق واخترق وفتح بلدًا عنوة[٣] ، وهو أيضًا فى الآرامية بالدلالة نفسها בְּקַע[٤] . وهذا المعنى قريب من « ذهب » ولا نجد ذكرًا لكلمة « بكع » .

التفسير الصوتى :

وذلك فى ضوء ما ذكرناه فى التمهيد من وصف لهذين الصوتين :

أولًا : إيثار الـگاف على الكاف : قد يكون مر بمرحلة واحدة أو مرحلتين :

(ا) بالنسبة للمرحلة الواحدة : تحول من الكاف إلى الـگاف مباشرة وذلك بالرجوع بمخرج الكاف إلى الوراء قليلًا مع جهرها وزيادة فى شدتها .

(ب) بالنسبة للمرحلتين : أى من الكاف إلى القاف الفصيحة أولًا بالرجوع بالمخرج قليلًا إلى الوراء مع الجهر بالصوت والاحتفاظ بشدته ، ثم فى المرحلة الثانية بالتقدم بالمخرج إلى الأمام مع الاحتفاظ بالجهر والزيادة فى الشدة .

ثانيًا : إيثار الكاف على القاف : والتحول من القاف إلى الكاف قد يكون :

(ا) مباشرة : وذلك بالتقدم بالمخرج إلى الأمام حيث مخرج الكاف ثم بهمس الصوت .

(ب) غير مباشرة : وذلك بأن ينطقها المتكلمون بالقاف كافًا بتغيير مخرجها وصفتها ـ وذلك كالطريق المباشر ـ ثم توهم التميمى أن هذه القاف كافًا فنطقها كنطق هؤلاء القوم . وقد مررت بهذه التجربة ، إذ سمعت فلسطينيين ينطقون العلم « بوقس » (بوكس) بالكاف فظننت أنه بالكاف وقلدتهم فى نطقهم إلى أن اتضح لى النطق السليم .

---

(١) الصحاح (بكع) ١١٨٨/٣ ، والنص أيضا فى اللسان (بكع) ٣٦٧/٩ ، والتاج (بكع) ٢٨١/٥

(٢) اللسان (بقع) ٣٦٥/٩

(٣) Gesenius, Hebrew and English Lexicon p. 131.

(٤) Ibid.

٥ ـ إبدال القاف غينًا[*] (غس) :

كان التميميون يقولون : « غَسّ » فى مقابل « قَسّ » عند غيرهم بمعنى : دخل فى البلاد وتوغل فيها[١] . وبهذه اللغة قال شاعرهم رؤبة :

* كالحوت لمـا غَسّ فى الأنهار *[٢]

التفسير التاريخى :

إذا رجعنا إلى مادتى (غسس) و (قسس) رأينا الأولى منهما تندرج معانيها تحت المعنى الكلى « الضعف »[٣] أما (قسس) فكما يقول ابن فارس : « معظم بابه تتبع الشيء »[٤] .

من الواضح أن المعنى موضع الاختلاف بين تميم وغيرهم يرجع إلى (قسس) . وهذا يعنى أن الصيغة التميمية أحدث .

التفسير الصوتى :

قلب القاف غينًا له ما يبرره صوتيًا ، فالصوتان متجاوران مخرجًا : الغين ـ كما سبق أن قلنا نقلًا عن سيبويه ـ من أدنى الحلق جهة الفم ، والقاف من المخرج الذى يليه ، وهو أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى وأنهما يتفقان فى الجهر إلَّا أن الغين رخوة والقاف شديدة[٥] . فكان على التميمى أن يعود بمخرج القاف إلى الوراء قليلًا مع ضيق فى مجرى الهواء ليحدث نوعا من الحفيف . أو أن التميمى تقدم بمخرج القاف وفقًا لما يراه بعض المحدثين .

ولتقارب هذين الصوتين تقلب كل قاف غينًا وكل غين قافًا فى أغلبية لهجات الصحراء الشرقية[٦] .

(*) الترتيب الطبيعى لهذا الموضوع أن يكون قبل الموضوع السابق . لكنا اضطررنا إلى تأخيره لضرورة التوسع فى دراسة القاف والمقارنة بينها وبين الكاف .

(١) تهذيب اللغة (المستدرك) ٤٢ ، واللسان (غسس) ٣٣/٨

(٢) المرجعان السابقان

(٣) انظر : مقاييس اللغة (غسس) ٤٨٢/٤ ، واللسان (غسس) ٣٣/٨ ، ٣٤

(٤) مقاييس اللغة (قسس) ٩/٥ ، وانظر اللسان (قسس) ٥٦/٨

(٥) راجع ص ٩٨ ، ١٠١

(٦) دروس فى علم أصوات العربية ١١٤ ، ١١٥

٦ ـ إبدال القاف جيمًا (هِجْرِس) :

ينسب أبو مالك إلى بنى تميم أنهم كانوا يقولون : « هِجْرِس » (بالجيم والراء) ويعنون به الثعلب[١] . ويروى المفضل أن الكلمة كانت تنطق أيضًا « هِقْلِس » (بالقاف واللام) وإنْ لم يُحدِّد الناطقين بها[٢] .

الكلمة إذن بها تبادلان : أحدهما بين القاف والجيم ، والآخر بين اللام والراء ، ويعنينا هنا الأول منهما .

التفسير الصوتى :

ذكرنا من قبل صفة كل من الصوتين : القاف ، والجيم :

١ ـ فالقاف مخرجها من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى ، وهى تجمع بين الشدة والجهارة .

٢ ـ والجيم من وُسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى ، وهو أيضًا شديد مجهور أو كما يقول المحدثون : هو صوت مزدوج يبدأ بالشدة وينتهى بالرخاوة ، كما سبق أن ذكرنا .

الصوتان إذن متقاربان مخرجا ومتحدان فى صفتى الشدة والجهارة وفق رأى القدماء أو يكادان ــ إذا أُخذ برأى المحدثين ، وهذا مسوغ لتبادلهما . لكننا نعلم أن :

١ ــ اليمنيين كانوا ينطقون الجيم بين الكاف والجيم ، ويقولون مثلًا : گمل فى جمل[٣] أى مثل الجيم التى ينطقها سكان القاهرة الآن .

٢ ــ بعض العرب مثل التميميين كانوا ينطقون القاف كالجيم القاهرية الحالية ــ كما سبق أن ذكرنا[٤] .

النطق الأصلى للجيم :

إننى أميل إلى أن الجيم اليمنية (الگيم) هى الأصل ، ثم تطورت عند سواهم إلى الجيم الفصحى وقرأ بها قراء القرآن الكريم ، وذلك بدليل شيوع الجيم فى اللغات السامية الأُخرى

---

(١) تهذيب اللغة ٥٠٩/٦ ، واللسان (هجرس) ١٣٣/٨

(٢) تهذيب اللغة ٤٩٨/٦ ، واللسان (هجرس) ١٣٣/٨

(٣) جمهرة اللغة ٥/١ (٤) راجع ص ١٠١

بهذا النطق، فكلمة جمل مثلًا تنطق فى العبرية גָּמָל qāmāl وفى السريانية ܓܡܠܐ gamlā وفى الحبشية gamal [1]. وفى الأكدية يعنى الفعل gamālu رحم [2].

ويرى « ليتمان » أن التطور تم مع الكَيم التى يليها كسرة ثم عم الحركات الثلاث [3].

وتطور الكَاف إلى جيم إذا وليه صوت لين أمامى (الكسرة القصيرة والطويلة) يتفق وقانون الصوت الحنكى Palatal law وعلى ذلك فإننا نرى أن سبب التبادل بين القاف والجيم فى كلمة « هِجْرِس » يرجع إلى أن اللفظ كان ينطق بالجيم اليمنية فنطقه التميميون « هجرس » بالجيم لعلمهم أنها هى الكَيم ، وأما الذين قالوا « هِقْلِس » فكانوا ينطقون القاف كَافا مثل التميميين لكنهم توهموا أن الكَيم هى الكَاف .

٧ـ إبدال الجيم شينا (أشاءَ) :

استعملت تميم « أشاءَ » ومشتقاته فى مقابل « أجاءَ » عند الحجازيين بمعنى ألجأ واضطر . نقل الجوهرى (ت ٤٠٠ هـ) عن الأصمعى (ت نحو ٢١٥ هـ) أن « شَيَّأْتُ الرّجلَ على الأمر : حملته عليه ، وأشاءَه لغة فى أجاءَه أى ألجأه ، وتميم تقول : شرٌّ ما يُشِيئُكَ إلى مُخَّة عُرْقُوب ، أى يُجيئُكَ » [4] ، وقال أبو عمر الشيبانى (ت نحو ٢١٣ هـ) : « الإشاءة : الاضطرار ، وأهل الحجاز يقولون : الإجاءة » [5] .

التفسير الصوتى :

آثرت تميم فى هذه الكلمة صوت الشين على صوت الجيم . وهذا تبادل له ما يبرره صوتيًّا ، فالصوتان ـ كما وصفهما القدماءُ ـ يتفقان مخرجًا ، فهما من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى [6] وإن كانا يختلفان صفة ، فالجيم شديد مجهور [7] والشين رخو مهموس [8] أو أن الجيم ـ كما يصفه بعض المحدثين ـ صوت مزدوج يجمع بين الشدة

(١) بقايا اللهجات العربية (مجلة كلية آداب القاهرة م ـ ١٠ ج / ١) ٢ ، واللغة العبرية ١٢٧ ، والمدخل إلى علم اللغة ٧٠

(٢) بقايا اللهجات العربية ٢

(٣) المرجع السابق

(٤) الصحاح (شيأ) ٥٩/١ ، وانظر اللسان (جيأ) ٤٥/١ و(شيأ) ١٠١/١

(٥) الجيم ٧٠/١

(٦) الكتاب ٣٣٣/٤

(٧) المرجع السابق .

(٨) الكتاب ٣٣٣/٤

والرخاوة ، وهو فى حقيقته صوت دال مغوَّر ينطق من سقف الحنك الصلب يعقبه صوت شين مجهور[١] . والذى حدث فى هذه الكلمة هو أن صوت الجيم انحلَّ عند تميم إلى أحد مكونيه وهو الشين التى همست بعد أن كانت مجهورة[٢] ، وفق رأى المحدثين . وأما بالنسبة لرأى القدماء فإن الجيم تغيرت صفتها من شدة وجهر إلى رخاوة وهمس .

نظائر لهذا الابدال فى العاميات :

ولقلب هذه الجيم شينًا نظائر فى العاميات العربية . من ذلك أن المصريين يقولون : « وش » فى وجه و « اشتر » فى اجتر .

لغة تميم والأدب :

وجدنا الصيغة التميمية مستعملة فى الأَدب العربى نثره وشعره فمن أمثال العرب « قد أشئتَ عُقيْلُ إلى عقلك » أى قد اضطررت إلى عقلك[٣] ، وقال زهير بن ذؤيب العدوى :

فيالَ تميم صابِرُوا قد أُشِئْتُمُ   إليه وكونوا كالمُحرَّبةِ البُسُّل[٤]

وقال الأخطل — وإن كان غير تميمى — :

* وأطعن إن أُشِئْتُ إلى الطِّعان »[٥]

تذييل :

ولا أُحب أن أنهى الكلام فى هذا الموضوع دون أن أُسجل أنه من الجائز أن تكون هذه الشين المبدلة من الجيم هى الصوت الذى بين الجيم والشين ، وذكره سيبويه بقوله : « والجيم التى كالشين[٦] ، وأنه حرف من حروف « غير مستحسنة ولا كثيرة فى لغة من ترتضى عربيته ولا تستحسن فى قراءة القرآن ولا فى الشعر »[٧] . لكنه لم يصفه ولم يمثل له ولم ينسبه إلى قوم معينين . وإذا كانت اللغة بصفة عامة وكذلك اللغات المنسوبة للقبائل

(١) المدخل إلى علم اللغة ٦٨ ، وانظر : الأصوات للدكتور بشر ١٦١
(٢) انظر : المدخل إلى علم اللغة ٦٩
(٣) الجيم ١/٧٠
(٤) الصحاح (شيأ) ١/٥٩
(٥) الجيم ١/٧٠ ، وهو فى ديوانه ١٩٢ ، وهو عجز بيت والرواية فيه : * وتطعن إن أشئت إلى الطعان *
(٦) الكتاب ٤/٤٣٢
(٧) الكتاب ٤/٤٣٢

ومنها هذا اللفظ وصلت إلينا عن طريق الكتابة . والكتابة وسيلة غير تامة الدقة فى وصف النطق وعلى الأخص القديم ، فإن هذا يجعلنا لا نستطيع الجزم بأن الشين التى وردت فى النص هى التى ذكرها سيبويه . اللهم إلّا إن كانت لدى بعض بطون تميم التى عاشت فى أطراف الجزيرة مجاورة لبعض الفرس متأثرة بنطقهم لهذا الصوت .

٨ – إبدال الطاء صادًا (حصب) :

آثر النجديون – ومنهم تميميون – « حصب » على « حطب » وشاركهم فى استعمالهم هذا أهل اليمن ، قال الزَّبيدى (ت ١٢٠٥ هـ) « الحصب : (الحطب) عامة » . وقال الفراءُ : هى لغة اليمن[١] (و) كل (مّا يرمى فى النار) من حطب وغيره ، فهو (حصب) وهو لغة أهل نجد كما روى عن الفراء[٢] أيضا[٣] .

التفسير الصوتى :

الصاد والطاءُ متجاوران مخرجًا فالأُولى – كما لاحظ القدماءُ – مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا العليا والثانية من أُصولها[٤] أو – كما يقول المحدثون – هما صوتان أسنانيان لثويان إلّا أن مخرج الطاء مما بين مقدمة اللسان واللثة والأَسنان العليا[٥] ، وأن الصاد تخرج بوضع طرف اللسان فى اتجاه الأَسنان ومقدمته مقابل اللثة العليا[٦] . ويتفقان فى أنهما من أصوات الإطباق[٧] ، غير أن الطاء شديدة[٨] والصاد رخوة[٩] ، والطاء مجهورة[١٠] والصاد

---

(١) نص قول الفراء فى تهذيب اللغة ٤/٤٦٠ « الحصب فى لغة أهل اليمن : الحطب »

(٢) نص الفراء فى تهذيب اللغة ٤/٤٦٠ ، واللسان (حصب) ١/٣١١ « الحصب فى لغة أهل نجد : مارميت به فى النار » .

(٣) تاج العروس (حصب) ١/٢١٤ وما بين قوسين نص القاموس وآثرنا النقل من التاج عن القدماء لإيجازه وشموله ، ثم إنا أشرنا فى الحاشيتين السابقتين إلى النصوص الواردة عن القدماء .

(٤) الكتاب ٤/٤٣٣

(٥) المدخل إلى علم اللغة ٤٥ ، ٥٩ ، ٦٠

(٦) المرجع السابق ٦٣ ، ٦٤

(٧) الكتاب ٤/٤٣٦

(٨) الكتاب ٤/٤٣٤

(٩) المرجع السابق ٤/٤٣٥

(١٠) المرجع السابق ٤/٤٣٤

مهموسة [١] . ويرى المحدثون من علماء اللغة المصريين – وفقا لسماعهم قُرّاء القرآن الكريم بمصر – أن الطاء مهموسة [٢] .

التبادل بين الصوتين جائز إذن وله نظائر أُخرى فى العربية [٣] .

الصيغتان فى الساميات :

إذا رجعنا إلى الساميات نجد العبرية والحبشية تستعملان الصيغة الطائية (حطب) فقط ، أى غير النجدية ، ففى العبرية חָטַב بمعنى يقطع ، ويجمع الخشب ، والخشب الذى تقاد به النار وهو فى الحبشية *haṭaba* ، بمعنى يقطع الخشب أو يجمع حطب النار [٤] . وهذا يؤكد ما نقله صاحب اللسان عن عكرمة من أن « حصب جهنم هو حطب جهنم – بالحبشية » [٥] .

الصيغتان فى القرآن الكريم :

وردت كلمة « حصب » فى قوله تعالى : (إِنَّكُمْ وما تعْبدونَ مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جهَنَّم) [٦] ، وقد قرئت وفق الصيغة التميمية (النجدية) ولم يقرأ بالطاء إلّا فى الشاذ من القراءات ، فقد نسب إلى الإمام على أنه قرأها بالطاء [٧] . ونجد الصيغة الطائية ترد فى آيتين هما : قوله تعالى : (وأَمَّا القَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجهَنَّم حَطَبًا) [٨] ، وقوله : (وَامْرأَتَهُ حَمَّالَةَ الْحطَب) [٩] .

من الوجهة التاريخية :

وإن استعمال القرآن الكريم للصيغة الطائية فى آيتين واستعماله إياها وإن كان . فى قراءة شاذة ووجودها فى العبرية والحبشية ليدعو إلى أنها القدمى والنجدية الجديدة .

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٤

(٢) الأصوات اللغوية ٦٢ ، وعلم اللغة للدكتور السعران ١٦٨ ، والأصوات للدكتور بشر ١٣٠ ، والمدخل إلى علم اللغة ٦٠

(٣) الإبدال لابن السكيت ١٢٠

(٤) Gesenius, Hebrew and English Luxicon p. 310.

(٥) اللسان (حصب) ٣١١/١

(٦) الأنبياء ٩٨/٢١

(٧) تهذيب اللغة ٢٦٠/٤

(٨) الجن ١٥/٧٢

(٩) المسد ٤/١١١

٩ ـ إبدال اللام نونا (إسرائين) :

كان بنو تميم يقولون إسرائين (بالنون) فى إسرائيل[١] ، وهذا اللفظ علم أعجمى دخل العربية من العبرية فتصرف فيه العرب فهو فى العبرية יִשְׂרָאֵל yisrāʾēl يسرائيل[٢] ويقول الدكتور يعقوب بكر « ولعله مركب من yisrē يشرى : يحارب و ʾēl : الله أى يحارب الله[٣] وواضح أن اللام أصل فى الكلمة ، وهذا يعنى أن النون عند بنى تميم ليست هى الأصل وإنما مبدلة من اللام .

وللتبادل بين هذين الصوتين نظائر كثيرة فى العربية مثل علوان الكتاب وعنوانه[٤] ، وهتلت السماء وهتنت[٥] .

التبادل الصوتى عبر التاريخ :

ولم يقتصر التبادل بين هذين الصوتين على عصور الاحتجاج بل استمر طوال عصور التوليد حتى عصرنا الراهن . فمن ذلك قول أهل الأندلس فى القرن الرابع الهجرى فى الطعام زُوَال بدلا من زُؤَان وزُؤّان (أى حب يخالط الحنطة)[٦] وقول أهل صقلية فى القرن الخامس الهجرى أدان الله لنا على العدو بدل أدال[٧] ، وقول أهل بغداد فى القرن السادس الجُنُنّار وزجّان الحمام بدل الجُلُنّار وزَجال الحمام[٨] . وفى الوقت الراهن يقول أهل تطوان بالمغرب سْناحْ ، وطّيْحَانْ ، ولْ فْنْ بدلا من السلاح والطحال والفُل[٩] ، ويقولون لا رِنْجْ ولْ غْنْمِ بدلا من النارنج والغنَم[١٠] . وسمعت أحد العامة من أبناء صعيد مصر يقول دِلَمُو وصوابها دِنَمو فهى معربة عن الكلمة الأجنبية dynamo (مولد كهربائى) .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/٣٣١

(٢) الدخيل فى اللغة العربية للدكتور فؤاد حسنين (مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة) م١٠ ج ٢ ص ٨٣ ، والمعجم الكبير ١/٢٧٨

(٣) المعجم الكبير ١/٢٧٨ ، وانظر : ٦٨٠ (ولم ينسب التأصيل السامى للدكتور يعقوب بكر وفقا لنهج المعجم الذى لا يشير إلى المشتركين فى إعداد مواده فى ثنايا المعجم) .

(٤) الصحاح (عنا) ٦/٢٤٤١

(٥) الإبدال لابن السكيت ٦١

(٦) لحن العوام ١٦٨ ، ولحن العامة للدكتور مطر ١٠٦

(٧) لحن العامة ١٥٠

(٨) لحن العامة ١٩٠ ، (والجلنار) : زهر الرمان — القاموس ١/٣٨٩

(٩) لهجة شمال المغرب ٨٢

(١٠) المرجع السابق ٨٣

التفسير الصوتى :

والتبادل بين اللام والنون له ما يبرره صوتيا فهما متحدان صفة . فكلاهما مجهور[١] متوسط لا هو بالشديد ولا بالرخو[٢] . ومتقاربان فى المخرج . فاللام من بين حافة اللسان (من أدناها إلى منتهى طرف اللسان) وبين ما يليها من الحنك الأعلى[٣] . ومخرج النون مما بين طرف اللسان وما فويق الثنايا[٤] . لكن مجرى الهواء يختلف مع كل منهما ، فهو مع النون يتخذ مجراه من الأنف[٥] ، فى حين إنه مع اللام يتخذ مجراه من الفم[٦] . فلقلب اللام نونا ينتقل مخرج اللام إلى مخرج النون ويتخذ الهواء مجراه من الأنف .

١٠ – إبدال الميم نونا (الأَيْن) :

كان « أهل الحجاز يسمون الجان من الحيات الأَيْم ، وبنو تميم يقولون : الأَيْن »[٧] .

الصلة الصوتية بين الصوتين :

النون والميم وإن كانا غير متقاربين مخرجا ، متحدان صفة فالنون مخرجها – كما سبق أن قلنا – مما بين طرف اللسان وما فويق الثنايا[٨] . ومخرج الميم مما بين الشفتين[٩] . ويشترك الصوتان فى أن مجرى الهواء معهما دون سائر الحروف من الأنف[١٠] ، كما أنهما مجهوران[١١] ومتوسطان بين الشدة والرخاوة[١٢] . وفى العربية أمثلة للإبدال بين هذين الصوتين أوردتها المعاجم اللغوية وكتب الإبدال[١٣] وذلك مثل إِبْزيم وإبزين للحديدة التى تكون فى طرف

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٤ وانظر : سر صناعة الإعراب ٦٩/١

(٢) المدخل إلى علم اللغة ٣٤

(٣) سر صناعة الإعراب ٥٢/١

(٤) المرجع السابق

(٥) الأصوات اللغوية ٦٦ ، والمدخل إلى علم اللغة ٦٦

(٦) الأصوات اللغوية ٦٤

(٧) المخصص ١٠٩/٨ وانظر : مقاييس اللغة ١٦٦/١ وعزا الصيغة التميمية فقط .

(٨) سر صناعة الإعراب ٥٢/١

(٩) الكتاب ٤٣٣/٤

(١٠) الكتاب ٤٣٤/٤ ، والأصوات اللغوية ٦٧

(١١) الكتاب ٤٣٤/٤

(١٢) سر صناعة الإعراب ٦٩/١ ، والأصوات اللغوية ٤٥ ، ٦٦

(١٣) انظر : الإبدال لابن السكيت ٧٧–٨٣ ، والإبدال لأبى الطيب ٤٢٣/٢–٤٤٣

حزام السَّرج يسرج بها[١] . والغَيْم والغيْن ، أى السحاب[٢] والمدى والنَّدى بمعنى الغاية[٣] ، ومن ذلك أيضًا أن جمع الغائبين فى العربية (هُمْ) يقابله فى المهرية (إحدى لغات جنوب الجزيرة) هُنْ[٤] .

الابدال فى عصور التوليد :

ولقد استمر التبادل بين هذين الصوتين بعد عصور الاحتجاج من ذلك أن أهل الأندلس فى القرن الرابع الهجرى كانوا يقولون : « حَلْزوم » بدلًا من « حَلَزون » للدود الذى يغيب فى قشره ويتطلَّع منه[٥] ، ويقولون كذلك « خمَّمْت » وأصلها فى الفصحى « خمَّنْت »[٦] وكان أهل بغداد يقولون فى القرن السادس الهجرى : « مِنْطر » لضرب من الثياب يتخذ من الصوف ، وهو يسمى فى الفصحى « مِمطر »[٧] ، كما كانوا يقولون : سمك منقور والأصل « ممقوز »[٨] ، وهو سمك ينقع فى الخل والملح يتخذ إدامًا[٩] .

فى الوقت الراهن :

ونسمع أهل مصر يقولون فى وقتنا هذا : فاطنه وإنبابه ونطر وبهتين بدلًا من فاطمة وإمبابة ومطر وبهتيم . ويقال فى جهات من صعيد مصر (البدارى وما حولها) . رامِخ ، للبلح قبل أن يستوى ، ويطلق عليه فى بعض جهاته (أولاد طوق شرق بسوهاج) « نارِخ » وذلك بإحداث قلب مكانى فى الكلمة ثم إبدال النون من الميم ، وأصل هذه الكلمة الرُّمخ فى لغة طيىء بمعنى البلح[١٠] . ومنه أيضًا ملِّين فى ملِّيم .

---

(١) لحن العوام للزبيدى ١٥ ، ١٦

(٢) المصباح (غيم) و (غين) ٤٦٠

(٣) الإبدال لابن السكيت ٨٠

(٤) فقه اللغات السامية ٨٦

(٥) لحن العوام ١٨٨ ، وانظر : لحن العامة للدكتور مطر ١٠٥

(٦) لحن العوام ٢٧١ ، ولحن العامة ١٠٥

(٧) تقويم اللسان ١٨٧

(٨) المرجع السابق ١٨٥

(٩) انظر : اللسان (مقر) ٣٢/٧

(١٠) لسان العرب (رمخ) ٤٩٦/٣

وقيس عيلان من القبائل المجاورة لتميم فى نجد فإمَّا أن يكون الشاعر متأثرًا بلغة تميم ، وإمَّا أن يكون التميميون مشاركين للتميميين . وكما قلنا من قبل كثيرا ما يطلق لفظ تميم ويراد به النجديون .

وهذا الذى انتهينا إليه يتفق وما ذهب إليه من قبل ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، فهو يقول : « الهمزة والياء والميم ثلاثة أُصول متباينة : الدُّخَان ، والحيَّةُ ، والمرأة لا زوج لها »[١] ، ويقول : « الهمزة والياء والنون يدل على الإعياء وقُرب الشىء . . . وأما الحَيَّةُ التى تُدْعى الأَين ، فذلك إبدال والأَصل الميم »[٢] .

١١ – إبدال الزاى لاما (لغب) :

يقال : أَخذ بزَغْب رقبته ولَغْب رقبته ، وذلك إذا تبعه وقد ظن أنه لم يدركه فلحقه أَخذ برقبته أَو لم يأْخذ ، وهى باللام فى تميم[٣] .

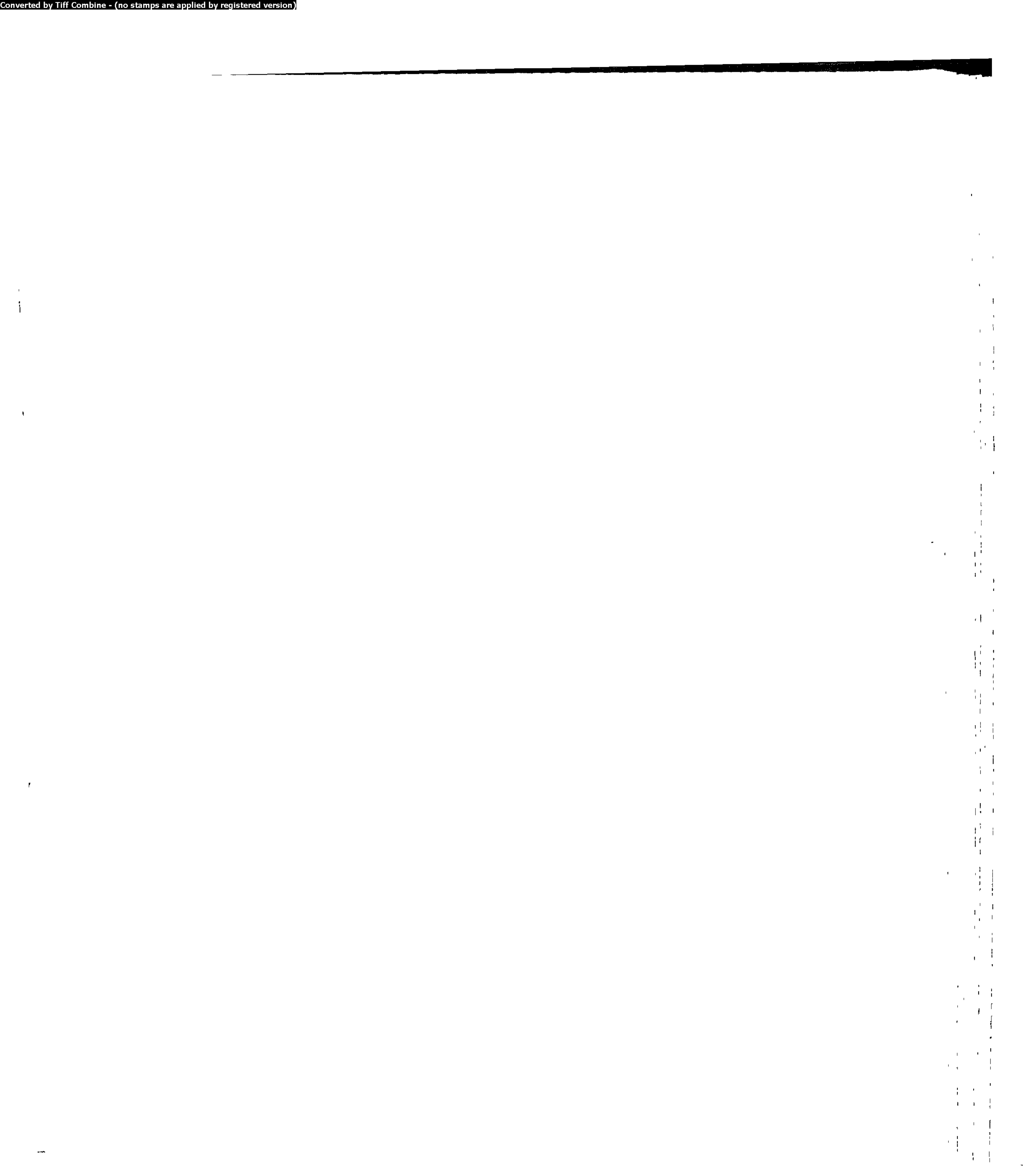
التفسير الصوتى والتاريخى :

مخرجا اللام والزاى ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا ، إلا أن مخرج اللام أدخل فى الحنك قليلا[٤] ذلك إلى أنها صوت متوسط بين الشدة والرخاوة . أما الزاى فهى صوت رخو[٥] ، كما تتميز بأَن مجرى الصوت معها يضيق جداً عند مخرجها محدثاً صفيراً[٦] .

وإذا رجعنا إلى مادتى (لغب) و (زغب) وجدنا الأُولى تدور معانيها حول التعب والمشقة[٧] . أما الزغب فهو أول ما ينبت من الريش[٨] ، وكذلك ما يشبهه من شعَر صغير[٩] . ومعنى ذلك أن المعنى الأَصلى هو غير التميمى وأن الإبدال حدث عند التميميين ،

---

(١) مقاييس اللغة ١٦٥/١
(٢) المرجع السابق ١٦٧/١
(٣) تهذيب ١٣٨/٨ ، ١٣٩
(٤) الكتاب ٤٣٣/٤
(٥) المرجع السابق ٤٣٥/٤
(٦) الأصوات اللغوية ٧٤
(٧) مقاييس اللغة (لغب) ٢٧٦/٥ ، ٢٧٧ ، واللسان (لغب) ٢٣٨/٢ — ٢٤٠
(٨) مقاييس اللغة (زغب) ١٣/٣
(٩) القاموس (زغب) ٧٩/١



وذلك بتأخر المخرج إلى الوراء قليلا حيث مخرج اللام ، واتساع مجرى الصوت بحيث لا يسمع له صفير .

ورغم أن الصوتين يكادان يصدران من مخرج واحد إلا أن تميز الزاى بالصفير جعل التبادل بينهما شبه شاذ غريب على السمع . ومع ذلك فنجد له نظائر فى العربية من ذلك : فى أجواف الإبل أزيز وأليل أى صوت ، وزُهاء مئة ولهاء مئة أى قدر ، وزُحْزِح ولُحْلِح [١] .

١٢ ـ إبدال التاء طاء (أفلط) :

نسب إلى تميم أنها كانت تقول : أفلطنى فى أفلتنى ، وقد نعتت هذه اللغة بأنها قبيحة [٢] وأفلت هنا بمعنى تخلَّص بسرعة . وقد أورد اللغويون شاهداً على ذلك نسب إلى ساعدة ابن جؤية ، هو :

بأصدق بأسًا من خليل ثمينةٍ
وأمضى إذا ما أفلطَ القائمَ اليدُ [٣]

وساعدة هذا من تميم هذيل [٤] ، مما جعلنى أميل إلى أن تميما المعنية هى الهذلية ، إلا أن شارح ديوان الهذليين قد أعفانا من نسبة اللفظ بهذه الدلالة إلى تميم هذيل ، إذ ذكر لنا أن « فلط » هنا بمعنى فاجأ [٥] . كما ورد أيضاً بهذه الدلالة الهذلية عند شاعر هذلى آخر لا ينتمى لتميم هذيل هو المتنخل ، فقد قال :

أفْلَطَها الليلُ بعِيرٍ فتسْـعى ثوبُها مجتنِبُ المَعْدِلِ [٦]

ويرى ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) أن اللام فى « فلط » بمعنى فاجأ ، أى بالدلالة الهذلية مبدلة من الراء ، وأصل الكلمة « فرط » [٧] .

---

(١) الإبدال لأبى الطيب ٢/١٠٥

(٢) الصحاح (فلط) ٣/١١٥٠ ، وانظر : المزهر ١/٢٢٤ (عن الصحاح (واللسان) فلط) ٩/٢٤٧

(٣) اللسان (فلط) ٩/٢٤٧ والمراد : أفلط القائم (بضم الميم) اليد (بفتح الدال) فقلب . والبيت فى شرح ديوان الهذليين ٣/١١٦٩

(٤) انظر ترجمته فى: المؤتلف ٨٣

(٥) شرح ديوان الهذليين ٣/١١٦٩ ، وانظر : تاج العروس (فلط) ٥/٢٠٠

(٦) شرح ديوان الهذليين ٣/١٢٦٠ (المعدل : الطريق)

(٧) المقاييس (فلط) ٤/٤٥١

التفسير الصوتى :

المسوغ لإبدال التاء طاء أنهما من مخرج واحد : وهو أصول الثنايا العليا[١] . ولكن يرجع قبح اللغة التميمية هنا أن الطاء كما وصفها القدماء حرف مطبق مجهور نظيره المنفتح الدال ، فى حين إن التاء منفتح مهموس[٢] ، والانتقال من التاء إلى الطاء عملية تحتاج إلى جهد ، خاصة وأنه لا يوجد بالكلمة صوت مطبق آخر يساعد على عملية الإطباق هذه ، كما سنلاحظ عند قلبها طاء فى التماثل .

وأعتقد أنه كان لدى العرب نوعان من الطاء : نوع نظيره الدال وهو الفصيح وكان مجهوراً ، والآخر نظيره التاء وكان مهموسا ، وأنه كان ظاهرة فى بعض القبائل وقد تكون منها تميم بدليل ورود هذه الظاهرة عندها كما فى هذا اللفظ وكما نلاحظه فى تاء الفاعل بعدأصوات الإطباق، على ما سندرسه فى التماثل . وهذا النوع الأخير هو الذى ينطق فى مصر[٣] ويقرأ به مجيدو القرّاء ، ولعله كذلك فى اليمن ولقد سمعت بعضهم يقرأ قوله تعالى (إهدنا الصراط) بالتاء بدلا من الطاء[٤] .

أما أن الطاء الفصيحة كان نظيرها المنفتح الدال لا التاء — كما نص على ذلك سيبويه — فإنى ألاحظ فى القراءات القرآنية أن التاء تدغم فى الطاء[٥] ، بخلاف الدال فإنها لا تدغم فيها[٦] . والذى ألاحظه أن المطبق ونظيره المنفتح لا يدغمان[٧] وهو السين والصاد ، والذال والظاء[٨] .

كما ألاحظ أن العربى فى نظمه للشعر يجعل القافية أحياناً دالا وأخرى طاء وهو ما سماه الخليل « الإجازة »[٩] .

وما زال هذا الصوت ينطق — كما وصفه سيبويه — فى صنعاء والمناطق الشمالية من اليمن[١٠] .

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٣

(٢) المرجع السابق ٤/٤٣٤ ، ٤٣٦ ، والأصوات اللغوية ٦١–٦٣

(٣) الأصوات اللغوية ٦٣

(٤) إمام مسجد ابن محفوظ بجدة سنة ١٩٧٥ م .

(٥) انظر : إتحاف ٢٣

(٦) المرجع السابق

(٧) المرجع السابق ٢٣ ، ٢٤

(٨) الكتاب ٤/٤٣٦

(٩) اللسان (جوز) ٧/١٩٥

(١٠) الصوت والدلالة فى اللهجات اليمنية ١١٧

يمكن إذن أن نقول — إن صح هذا الحَدْس — إن التاء قلبت فى لغة تميم إلى نظيرها المطبق وهو الطاء . أما إذا لم يصح ظنى فيمكن أن نفسر الظاهرة بأن التاء تحولت إلى نظيرها المجهور وهو الدال ، ثم قلبت الدال إلى نظيرها المطبق وهو الطاء . ولعل مما يؤيد رأيى فى هذه الحالة ورود كلمات بالتاء والدال والطاء مثل : ترياق ودرياق وطرياق[1] . ومَتَّ ومَدّ ومطَّ[2] ، وافْلعطَّ الرجلُ (أى اشتدت جفونه فصارت كشعَر الزِّنْج) وافْلعَدّ وافْلعَتَّ[3] .

وأظن أننا لا نكون بعيدين عن الصواب بعد هذا ، إذا قلنا إنه إذا وردت لنا صيغتان لكلمة إحداهما بالتاء والأخرى بالطاء أن نرجح نسبة الطائية إلى تميم ، وذلك مثل اللتخ واللطخ[4] .

١٣ — إبدال الثاء فاء (جدف) :

الجَدَث بمعنى القبر فى لغة الحجاز بالثاء ، وهو عند التميميين بالفاء (الجَدَف)[5] .

التفسير الصوتى :

قلب الثاء فاء تبرره القوانين الصوتية إذ إن مخرج الثاء مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا[6] ، فهو صوت أسنانى ، وهو أيضاً رخو[7] مهموس[8] . أما الفاء فمخرجه من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا[9] ، فهو شفهى أسنانى . وهو كذلك رخو[10] مهموس[11] ، فالصوتان إذن متجاوران مخرجا متحدان صفة . لذا وردت فى العربية على اختلاف عصورها كلمات كثيرة اشتركت كل كلمتين فى هذين الصوتين مع اتحاد معنييهما .

---

(١) اللسان (درق) ١١/٣٨٤

(٢) المرجع السابق (تبن) ١٦/٢٢٠

(٣) المخصص ١/٦٧

(٤) اللسان (لتخ) ٤/١٩

(٥) المحتسب ٢/٦٦ ، وانظر المصباح (جدث) ٩٢ ، وعزا الصيغة الثانية إلى تهامة ، والفائية إلى نجد .

(٦) الكتاب ٤/٤٣٣ ، والأصوات اللغوية ٤٧

(٧) الكتاب ٤/٤٣٥ ، والأصوات اللغوية ٤٧

(٨) الكتاب ٤/٤٣٤

(٩) المرجع السابق ٤/٤٣٣

(١٠) المرجع السابق ٤/٤٣٥

(١١) المرجع السابق ٤/٤٣٤

التبادل بين الصوتين عبر التاريخ :

(أ) في عصور الاحتجاج :

من الكلمات التى حدث فيها إبدال بين الثاء والفاء وأبدلت الثانية من الأولى : الثروة والفروة بمعنى كثرة العدد من الناس والمال[١] ، وثم وفم[٢] وهو حرف عطف يفيد التراخى ، والحُفالة والحُثالة ، أى الردىء من كل شىء[٣] ، وقد حوت كتب الإبدال طائفة من هذا الصنف[٤] .

(ت) فى عصور التوليد :

ولم يقتصر هذا التبادل على عصور الاحتجاج بالعربية ، بل استمر حتى عصرنا الحاضر ، ففى القرن الخامس الهجرى لاحظ ابن مكى الصقلى (ت ٥٠١ هـ) أن أهل صقلية كانوا يقولون فُمّ بدل ثم[٥] ، وأفْرَم بدل أثْرم[٦] ، وهو الذى انكسرت ثنيته[٧] .

وفى الوقت الراهن لاحظ الدكتور عبد العزيز مطر خلال جولاته بالخليج العربى أن الشيعة بالبحرين يقلبون كل ثاء فاء[٨] ، وذلك مثل : فوب ، ومفلا ، وافنين وفلافه ، وفمانيه بدلا من ثوب ، ومثلا ، واثنين ، وثلاثة ، وثمانية[٩] . وكذلك يفعل أهل القطيف فيقولون مثلا : فلافة وفلافين بدلا من ثلاثة وثلاثين[١٠] . وهم يشتركون مع أهل البحرين فى اعتناق المذهب الشيعى .

الصيغة القدمى :

إذا كان التميميون قد خالفوا غيرهم فقالوا « جدف » فى « جدث » وهو اسم مفرد ، فإن كتب اللغة نصت على أن الجمع فى الصيغتين أجداث بالثاء فقط[١١] وكذلك وافق

---

(١) اللسان (فرا) ٢٠/١٠ (٢) القاموس (فم) ٤/١٦٠
(٣) اللسان (حفل) ١٣/١٦٧
(٤) انظر : الإبدال لابن السكيت ١٢٥ — ١٢٧
(٥) لحن العامة للدكتور مطر ٢٢٢ (عن : تثقيف اللسان)
(٦) المرجع السابق ١٥٠ ، ٢٢٢ (عن : تثقيف اللسان)
(٧) المصباح المنير (ثرم) ٨١
(٨) ظواهر نادرة فى لهجات الخليج العربى ٢٦
(٩) المرجع السابق
(١٠) عن : حمودى مباركى — كاتب العدل برحيمة .
(١١) اللسان (جدث) ٢/٤٣٣

التميميون الحجازيين فى نطق الفعل ، يقول ابن جنى « وقالوا : أَجْدثت له جدثا ، ولم يقولوا أجدفت »[1] وهذا ما حدا به إلى الميل بأن الفاء بدل من الثاء ، لكنه عقب على ذلك بقوله : « وقد يجوز أن يكونا أصلين إلا أن أحدهما أوسع تصرفا من صاحبه »[2] . واحتمال أصالة الصيغتين بعيدة ، لأن الصوتين متقاربان مخرجا متحدان صفة — كما قلنا — . وإن استعمال « جدث » دون « جدف » فى اللغات السامية بالمعنى الوارد هنا ، يرجح أن صوت الثاء هو الأصل وأن الفاء الذى نطقت به تميم هو البدل . فى العبرية גָּדִישׁ gādīš (جاديش) بمعنى القبر[3] . وفى السريانية gdīšā (جْديشا)[4] .

أما جدف גִּדֵּף فهى فى العبرية المتأخرة بمعنى قطع وأنكر المعروف . وفى الآرامية ܓܕܦ gdaf بمعنى كفر[5] .

١٤ — إبدال الباء فاء (مصطفة) :

كان لبنى حنظلة وهم بطن من تميم نطق خاص بكلمة « مصطبة » . ونستهل دراستها بعرض النصين التاليين عن معجم لسان العرب :

١ — « قال الأزهرى : سمعت أعرابياً من بنى فزارة يقول لخادم له : ألا وارفع لى عن صعيد الأرض مِصْطَبَةً أبيت عليها بالليل . فرفع له من السَّهْلة شِبه دكان مربع قدر ذراع من الأرض يتقى بها من الهوام بالليل . قال : وسمعت آخر من بنى حنظلة سماها المِصْطفَّة بالفاء »[6] .

٢ — « قال الأزهرى : سمعت أعرابياً من بنى حنظلة يسمى المَصْطَبَة المَصْطفَة بالفاء »[7] .

---

(١) المحتسب ٢/٦٦

(٢) المرجع السابق

(٣) Gesenius, Hebrw and English Lexicon, p. 155.

(٤) المعجم الكبير (جدث) عن خبير اللغات السامية

(٥) Gesenius, Hebrew and English p. 154

(٦) اللسان (صطب) ٢/١١ والمادة ليست فى « تهذيب اللغة » المطبوع .

(٧) اللسان (صطف) ١١/٩٥ والمادة ليست فى « تهذيب اللغة » المطبوع .

الصلة الصوتية بين الصوتين :

الصوتان موضع الخلاف فى هذه الكلمة هما : الباء ، والفاء المتجاوران مخرجا . فالباء مما بين الشفتين[١] ، أما الفاء فمن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا[٢] ، فالتبادل بينهما تجيزه القوانين الصوتية .

وهناك أمور ثلاثة جديرة بالتعليق عليها فى هذه الكلمة ، وهى :

١ — نسب النص الأول الخاص بهذه الكلمة نطق الباء لأحد بنى فزارة فى مقابل الفاء لبنى حنظلة من بنى تميم . ونطق الباء ليس خاصاً ببنى فزارة ، وإنما هو النطق الذى شاع فى اللغة المشتركة ، ودليل ذلك :

(ا) ما نقله ابن منظور عن الأزهرى فى مادة (صطف) وهو النص الثانى الذى ذكرناه والذى يفهم منه شيوع نطق الباء فى اللغة المشتركة .

(ب) ما روى عن ابن سيرين من أنه قال « وأقمت على مَصْطَبة بالبصرة »[٣] .

(ج) قول أبى الهيثم « المِصْطبَّة — بالتشديد — مجتمع الناس ، وهو شبه الدكان تجلس عليها »[٤] .

٢ — ضبط الباء والفاء المبدلة منها : ضبطت الفاء فى النص الأول بالتشديد ، وكذلك الباء فى « تاج العروس »[٥] وفى قول أبى الهيثم الآنف ذكره . ولكن ضبط بفتح الباء والفاء دون تشديد فى النص الثانى الذى نقله ابن منظور عن الأزهرى .

٣ — ضبط الميم : ضبطها بعض اللغويين بالفتح وبعضهم الآخر بالكسر . وقد لاحظنا الكسر فى النص الأول بالنسبة للغة بنى فزارة وكذلك كسر الفيروزابادى الميم فى « مصطبة »[٦] ،

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٣

(٢) المرجع السابق

(٣) لسان العرب (صطب) ٢/١١ ، ١٢

(٤) المرجع السابق ٢/١٢

(٥) تاج العروس (صطب) ١/٣٣٤

(٦) القاموس (صطب) ١/٩٢

ونرى الفتح فى قول ابن سيرين السابق ذكره . ورأينا الفتح والكسر فى قول أبى الهيثم السابق إيراده .

كل هذا الخلاف مرجعه أن الكلمة سريانية الأصل[١] . (ܡܣܛܒܬܐ) mastabto

ونرجح أنه كان ينطق كذلك لدى العرب فالذين نطقوا الكلمة بكسر الميم عاملوا الكلمة على أنها اسم لآلة . والذين فتحوا نظروا إليها – إلى جانب أنها تنطق كذلك فى الأصل مفتوحة – على أنها اسم مكان ، والذين نطقوا بالباء وهم الأكثر راعوا الأصل . وأما الناطقون بالفاء وهم بنو حنظلة ، فقد قلبوا الباء فاءً . أما تشديد الفاء مرة وعدم تشديدها أخرى ، فأرى أنه تصحيف لأن المنسوب إليهم الحالتان قوم معينون هم بنو حنظلة ومصدر النسبة واحد وهو الأزهرى ، وإن تعددت المادتان الوارد بهما النص .

---

(١) الألفاظ السريانية فى المعاجم العربية (مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق م ٢٥ ج ١٠) ١٧

ثانيا : ما احتفظت فيه تميم بالأصل

وهذا الصنف كله غير مطرد :

١ – إبدال الحاء عينًا (الحرْجلة) :

ذكر الخليل أن « العَرْجلة » القطيع من الخيل ، وهى بلغة تميم «الحَرْجَلة »[١] ومعنى ذلك أن تميا آثرت فى هذه الكلمة الحاءَ على العين .

الصيغة القدمى :

هذه الكلمة مأخوذة من الكلمة الآرامية *ḥargĕlā* « حرجلا »[٢]. ونطق الكلمة بالحاء فى الآرامية يجعلنا نقرر أن الصيغة التميمية هى القدمى تطورت عند غيرهم .

التفسير الصوتى :

تتفق العين والحاء فى المخرج ، فهما حلقيان من حَيِّز واحد ، وهو وسط الحلق[٣] إلَّا أن العين مجهورة والحاء مهموسة[٤] ، أى أن غير التميميين جهروا بالصوت بعد أن كان مهموسًا . والتبادل بين هذين الصوتين أمر طبيعى . وفى كتب الإبدال أمثلة كثيرة له ، منها : الحَبَكَة والعَبَكَة ، وهى الحَبَّة من السويق[٥] وسَجَع الحمام وسَجَح[٦] ، كما نجد لهما أمثلة كثيرة فى لهجاتنا الحديثة ، من ذلك شْعْط ، وعْكّى بدلًا من شَحَطه (أى جعله يضطرب) وحَكى فى تطوان[٧] ، وذلك بإبدال الحاء عينًا كما هو الشأن فى كلمة حرجلة . ونجد عكس ذلك لديهم يبدلون العين حاء كما فى سْحْتَرْ ولْ كْحْكْ بدلًا من سعتر والكعك[٨] .

ونلاحظ التبادل بين الصوتين فى العامية المصرية إذ تستعمل الصوتين العين والحاء حرف استقبال . الحاءُ يستعملها أهل القاهرة فى مثل قولهم : حيكتب ، والعين يستعملها سكان الصعيد فيقولون : عيكتب .

---

(١) الصحاح (عرجل) ١٧٦٣/٥ ، وانظر : اللسان (حرجل) ١٥٨/١٣ ، و(عرجل) ٤٦٥/١٣

(٢) الدخيل فى اللغة العربية (مقال نشر بمجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة) م / ١٠ ج ٢ ص ١٠٣

(٣) الكتاب ٤٣٣/٤ (٤) المرجع السابق ٤٣٤/٤

(٥) الصحاح (حبك) ١٥٧٨/٤ و (عبك) ١٥٩٨/٤

(٦) القاموس (سجح) ٢٢٧/١، و(سجع) ٣٦/٣ ، وانظر أمثلة أخرى فى : الإبدال لابن السكيت ٨٦ ، ٨٧

(٧) لهجة شمال المغرب ٧٧ (٨) المرجع السابق ٨١

٢ ـ إبدال القاف كافا (زحلوقة) :

كانت تميم تقول : « زُحلوقة » وتجمعها على « زَحاليق » وتعنى بها « آثار تزلج الصبيان من فوق إلى أسفل وشاركتهم فى هذا النطق هوازن »[١] . ونطق بعض العرب ـ من غير أهل العالية ـ هذا اللفظ بالكاف فقالوا : « زُحْلُوكة »[٢] . وسنعود إلى هذا اللفظ عند الحديث عن « التبادل بين الأصوات المتباعدة » .

ويمكن أن يكون قلب الگاف كافًا مر بمرحلة واحدة أى من الگاف التميمية إلى الكاف مباشرة ، أو مر بمرحلتين ، أى إلى القاف الفصيحة ثم منها إلى الكاف سواء أكان ذلك عند من ينطقون القاف كافًا أم عند غيرهم . وقد وضحنا من قبل الصلة الصوتية بين هذه الأصوات الثلاثة الگاف والقاف الفصيحة والكاف .

٣ ـ إبدال الضاد ظاء (فاض) :

عرض كثير من العلماء للصيغتين « فاضت نفسه » و « فاظت » بمعنى مات وتعددت آراء العلماء فى نسبة كل صيغة . ومجمل هذه الاراء :

١ ـ ينسب الكسائى (ت ١٨٩ هـ) الصيغة الضادية (فاضت نفسه) إلى ناس من تميم ولم ينسب الأخرى[٣] . وهذا يعنى أنها المستعملة فى اللغة المشتركة .

٢ ـ نسب السرقسطى (ت نحو ٤٠٠ هـ) الضادية إلى تميم فقط دون تعرض للظائية[٤] . وهذا يتفق والرأى السابق مع تعميمه النسبة إلى جميع التميميين .

٣ ـ عزا أبو عبيدة (ت نحو ٢٠٩ هـ) الضادية إلى تميم والظائية إلى قيس[٥] .

٤ ـ ذكر الفراءُ (ت ٢٠٧ هـ) أن الصيغة الضادية خاصة بتميم وأشرك معهم كلبًا ، وعد الظائية هى الفصحى[٦] .

---

(١) الإبدال لابن السكيت ١٤٤
(٢) اللسان (زحلك) ٣٢٠/١٢
(٣) الغريب المصنف ٢٢٥ / ب ، وإصلاح المنطق ٣١٧ ، والمخصص ١٢٦/٦ ، عن أبى عبيد .
(٤) الأفعال ٣٣/٤
(٥) اللسان (فيض) ٧٧/٩
(٦) اللسان (فوظ) ٣٣٣/٩

٥ – ونسب الضادية أيضًا إلى تميم وقيس وقضاعة ، والظائية إلى الحجاز وطيء[١] .

٦ – عزا أبو زيد (نحو ٢١٥ هـ) الصيغة الضادية إلى بنى ضبة وحدهم والظائية إلى بقية العرب[٢] .

نخلص من ذلك أن العلماء المذكورين اتفقوا على نسبة « فاض » إلى تميم سوى أبى زيد الذى عزاها إلى ضبة وحدهم . ثم إن هؤلاء الذين نسبوها إلى تميم لم يتفقوا على قول موحد ، فمنهم من قصره على بعض تميم ، ومنهم من نسبه إليهم جميعا بل أشرك معهم قبائل أخرى ، هى : ضبة ، أو قضاعة وقيس ، أو كلب .

أما الصيغة الظائية فبالرغم من وجود خلاف بين العلماء فى نسبتها إلى أقوام معينين ، فإن هناك شبه إجماع على أنها المستعملة فى اللغة المشتركة .

ومرد الخلاف بين العلماء هو مدى اتصالهم بقبائل العرب وملاحظة لغاتهم ، فمن عزا إلى تميم بصفة عامة قد يكون لاحظها عندهم جميعا ، أو لدى بعضهم ولكنه عممها . وكل من عزا إلى قبيلة أخرى ، فإن تحديده على قدر علمه .

ونلاحظ أن أبا عبيدة نسب الصيغة الظائية إلى قيس فى حين إن غيره ضم القيسيين إلى الناطقين بالضادية كتميم . وأرجح أن ما نسب إلى أبى عبيدة فيه تحريف ، إذ المقصود « قريش » لا « قيس » ؛ وذلك لأن الظائية عزيت عند غيره إلى الحجاز التى تضم قريشًا وغيرها ، والتى يذكرها بعض اللغويين مرادفة لها . ثم إن الظائية وصفت بأنها الفصحى وهذا يتلاءم وقريشًا لا قيسًا . والذى يعنينا هنا أن تميمًا آثرت الصيغة الضادية . وسواء أكان هذا النطق لدى بعضهم أو عامًّا فيهم ، فإنها خاصية من خاصياتهم . ومن الملاحظ أن القبائل التى ذكر العلماء أنها شاركتهم فى هذا النطق هى من القبائل التى كانت تجاورهم فى المسكن مما يجعل ذلك أمرا طبيعيًّا .

---

(١) المرجع السابق (فيظ) ٩ /٣٣٤

(٢) المرجع السابق .

الصيغة القدمى :

إذا اتجهنا إلى المادتين فى كتب اللغة لنتبين المعنى الكلى لكل منهما ، نجد أن (فيض) تدل على سيولة الشيء بعد امتلائه[١] . يقال : فاض الماءُ والدمع ونحوهُما : كثر حتى سال[٢] . ومن ذلك أيضًا : فاض أى مات[٣] .

أما (فيظ) فلا تشتمل من المعانى إلَّا على فاظ بمعنى مات[٤] وكذلك مادة (فوظ)[٥] . وما دامت الصيغة الضادية تشتمل على عدة معان ترجع إلى السيولة بعد الامتلاء ، والظائية لاتشمل إلَّا معنى فرعيًا واحدًا ورد أيضا فى الضادية ، فإن ذلك يعنى أن الصيغة التميمية هى القدمى والأُخرى هى الحديثة رغم أنها شاعت فى اللغة المشتركة .

تفسير الظاهرة :

الضاد كما وصفها سيبويه صوت مجهور[٦] ، رخو[٧] ، مطبق[٨] يخرج من بين أول حافة اللسان وما يليه من الأَضراس[٩] ، ويقول صاحب النشر : « والمخرج للضاد المعجمة من أول حافة اللسان وما يليه من الأَضراس من الجانب الأَيسر عند الأَكثر ومن الأَيمن عند الأَقل ، وكلام سيبويه يدل على أنها تكون من الجانبين »[١٠] .

أما الظاءُ فقد وصفها سيبويه أيضًا بأَن مخرجها مما بين طرف اللسان وأَطراف الثنايا[١١] ، وأنها مجهورة[١٢] ورخوة[١٣] ومطبقة[١٤] .

الصوتان إذن متفقان صفة متجاوران مخرجًا .

(١) مقاييس اللغة (فيض) ٤/٤٦٥ ، ٤٦٦ ، واللسان (فيض) ٩/٧٦ — ٧٨

(٢) اللسان (فيض) ٩/٧٦

(٣) مقاييس اللغة (فيض) ٤/٤٦٦ ، واللسان (فيض) ٩/٧٦ — ٧٨

(٤) انظر : مقاييس اللغة (فيظ) ٤/٤٦٦ ، اللسان (فيظ) ٩/٣٣٣ ، ٣٣٤

(٥) اللسان (فوظ) ٩/٣٣٣

(٦) الكتاب ٤/٤٣٤

(٧) المرجع السابق ٤/٤٣٥

(٨) المرجع السابق ٤/٤٣٦

(٩) المرجع السابق ٤/٤٣٣

(١٠) النشر ١/٢٠٠

(١١) الكتاب ٤/٤٣٣

(١٢) المرجع السابق ٤/٤٣٤

(١٣) المرجع السابق ٤/٤٣٥

(١٤) المرجع السابق ٤/٤٣٦

وهناك ضادٌ وظاء غير هذين ذكرهما سيبويه على أنهما غير مستعملين فى اللغة المشتركة فهما من الأصوات غير المستحسنة فى لغة من ترتضى عربيته ولا تستحسن فى قراءة القرآن ولا فى الشعر[١] . ولم يصف هذين الصوتين – وكذلك بقية الأحرف غير المستحسنة – وإنما اكتفى بقوله عن الضاد بأنها « الضعيفة »[٢] وأنها تتكلف من الجانب الأيمن ، وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف »[٣] .

ويظهر أنه كان للضاد نطق غير هذين اللذين ذكرهما سيبويه ، فالسيوطى ينقل فى الهمع عن أبى حيان قوله : « وذهب الخليل إلى أن الضاد شجرية من مخرج الجيم والشين »[٤] .

وإن اختلاف النطق لهذين الصوتين جعل التفريق بين نطقيهما من الأمور العسيرة . ولذا اهتم العلماء بوضع مؤلفات لتحديد الفرق بينهما كأرجوزة ابن قتيبة ، و « الفرق بين الأحرف الخمسة » للبطليوسى[٥] .

ولصعوبة النطق بهذين الصوتين سقطا من الأكدية والعبرية وحل محلهما الصاد التى أصبحت تقابل فيهما ثلاثة أصوات فى العربية هى الصاد والضاد والظاء[٦] .

وإذا كانت تميم تنطق الضاد والظاء حسب وصف سيبويه للحروف التسعة والعشرين المستحسنة – وهذا ما نميل إليه ؛ لأن لغة تميم إحدى اللغات الستة التى اعتدّ بها اللغويون ، ولأن العلماء لم يشيروا إلى وجود هذا العيب كما أشاروا إلى العيوب الأخرى مثل العنعنة والكشكشة – فإن الصوتين متفقان صفة متجاوران مخرجًا كما قلنا . ومن الملاحظ أن طريقة نطق الضاد أصعب من الظاء ، بل هى كما يقول السيوطى : « أصعب الحروف

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٢

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

(٤) همع الهوامع ٢/٢٢٨.

(٥) انظر : مشكلة الضاد العربية وتراث الضاد والظاء فى مجلة المجمع العلمى العراقى ٢١/٢١٤–٢٤٠

(٦) أسس علم اللغة ١٤٣

فى النطق »[١] . ويقول برجشتراسر « فالضاد العتيقة حرف غريب جدا غير موجود حسبما أعرف فى لغة من اللغات إلّا العربية »[٢] .

وإذا طبقنا نظرية السهولة التى تنادى بأن الإنسان يميل فى نطقه إلى الاقتصاد فى المجهود العضلى[٣] ، وطبقنا كذلك ما لاحظه يسبرسن Jespersen — فى ضوء دراسته للغات البدائية فى أنها تحوى أصواتًا صعبة — أننا كلما بحثنا فى المراحل السابقة للغة ما وجدناها تحوى أصواتًا صعبة[٤] . إننا إذا طبقنا ذلك نستطيع أن نؤكد ما ذهبنا إليه من أن الصيغة التميمية (فاض) هى الأصل وأن الصيغة الأخرى (فاظ) هى الفرع.وهذا الذى ذهبنا إليه قد لاحظه القدماءُ من قبل ، جاء فى تاج العروس « الضاد حرف هجاء ،وهو حرف مجهور وهو أحد الحروف المستعلية يكون أصلًا لا بدلًا »[٥] .

٤ – بين الراء واللام (مُبَرْسَم . هِجْرِس . لَغَنّ) :

١ – ذكر أبو عمرو بن العلاء أن « قيس تقول للمريض : مُبَلْسَم ، وتميم تقول : مُبَرْسَم »[٦] .

٢ – كانت تميم تطلق على الثعلب « هِجْرِس » ونطقه بعض العرب « هِقلس »[٧] .

٣ – كان التميميون يقولون أيضًا : « لغن » ونطقها بعض العرب « رَغَنّ »[٨] .

التفسير التاريخى :

أمامنا ثلاثة ألفاظ تعددت صور نطق كل منها ،ويعنينا هنا أن تميمًا آثرت فى اثنين منها الراء على اللام وفى الثالثة اللام على الراء والصيغ التميمية هى الأصلية تطورت عند غيرهم ، وفيما يلى بيان ذلك :

---

(١) همع الهوامع ٢/٢٢٨
(٢) التطور النحوى ١٨
(٣) الأصوات اللغوية ٢٣٤
(٤) قضايا لغوية ١٢٦
(٥) تاج العروس ٢/٤٠٦
(٦) تهذيب اللغة ١٣/١٥٨
(٧) المرجع السابق ٦/٤٩٨ .
(٨) اللسان (لغن) ١٧/٢٧٥

١ – مُبرسَم ومبلسم :

الصيغتان مشتقتان من « برْسَام » و « بِلْسَام »[١] وهما يرجعان إلى أصل فارسى هو « بَرْسام » بمعنى مرض الصدر ، واكتئاب وورم فى المعدة[٢] والكلمة مركبة من كلمتين هما : « بَرْ » أى صدر[٣] و « سام » بمعنى ورم أو مرض[٤]. ومعنى ذلك أن الصيغة التميمية هى القدمى والقيسية متطورة عنها .

٢ – هِجْرس وهقلس :

وترجيحنا هنا قدم الصيغة التميمية ؛ لأنها هى التى شاعت بدلالة أُخرى هى القرد عند الحجازيين[٥] .

٣ – لغن ورغن :

وإذا كان التميمى فى الكلمتين السابقتين آثر الراء على اللام ؛ فإنه هنا فعل العكس وهو فى الحالين مؤثر للصيغة القدمى وترجع أصالة اللام هنا إلى أنها هى التى كانت شائعة فى اللغة المشتركة وإن كانت بصورة أُخرى هى (لعل) لكنها تشترك مع التميمية اللام الأُولى .

التفسير الصوتى :

ما حدث من تطور فى هذه الكلمات الثلاث من إبدال الراء لاما أو العكس يتفق وقانون الإبدال ، فالصوتان يشتركان فى أن كلاًّ منهما صوت مجهور ومتوسط بين الشدة والرخاوة[٦] وأنهما يخرجان من حيز واحد ، فاللام مما بين حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان وبين ما يليها من الحنك الأعلى والراء من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا

---

(١) انظر : اللسان (برسم) ٣١٢/١٤ و (بلسم) ١٤ / ٣٢٢

(٢) F.Steingass, Persian - English Dictionary p. 174.

(٣) Ibid p. 166.

(٤) Ibid. p. 643.

وانظر فى المواضع الثلاثة السابقة : تفسير الألفاظ الدخيلة ٩

(٥) اللسان (هجرس) ١٣٣/٨

(٦) الكتاب ٣٣٤/٤

مع دخوله فى ظهر اللسان قليلًا[1] . ورغم اتحاد هذين الصوتين فى الصفة إلَّا أن الراء التى اختارتها تميم فى كلمتين أوضح فى السمع من اللام[2] .

وفى كتب اللغة — وعلى الأخص الإبدال — أمثلة كثيرة للتبادل بين هذين الصوتين[3] مثل الطِّرجهالة والطِّرجهارة لإناءٍ كالفِنْجانة[4] .

ومن ذلك أيضًا قول بعض العامة فى مصر : « السَّحالِى » ويعنون « الصحارى » .

٥ — إبدال اللام نونًا (جَبْرئيل) :

كان بنو تميم — وشاركهم فى ذلك القيسيون — يقولون : « جَبْرَئيل » فى حين إن بنى أسد كانوا ينطقونه جِبْرين بالنون[5] . وهذه الكلمة علم أعجمى من الكلمة العبرية גַּבְרִיאֵל (جَبْريئيل) بمعنى رجل الله[6] . وهذا يعنى أن الصيغة الأسدية هى المتطورة عن التميمية .

وقد ذكرنا فى القسم السابق الصلة بين هذين الصوتين (اللام والنون) مما يجعل أحدهما يبدل منه الآخر .

موقف القراءات من الصيغة التميمية :

ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم ثلاث مرات فى قوله تعالى : (مَنْ كان عَدُوًّا لِجِبْريل)[7] وقد قرأ ثلاثتها وفق النهج التميمى (جَبرئيل) حمزة والكسائى[8] وخلف[9] والأعمش ، والعُلَيْمى عن أبى بكر[10] .

(١) سر صناعة الإعراب ٥٢/١

(٢) فى اللهجات العربية ١٨٩

(٣) انظر على سبيل المثال : الإبدال لابن السكيت ١١٥—١١٧

(٤) اللسان (طرجهل) ٤٢٥/١٣

(٥) تفسير الطبرى ٣٨٨/٢ ، ٣٨٩ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٤/أ .

(٦) Gesenius, Hebrew and English Lexicon p. 150.

(٧) البقرة ٩٧/٢ ، وانظر اللفظ فى الآيتين : البقرة ٩٨/٢ ، والتحريم ٤/٦٦

(٨) السبعة ١٦٧ ، والتيسير ٧٥

(٩) تحبير ٨٨

(١٠) إتحاف ١٤٤ ، وفيما يلى تعريف بهؤلاء القراء :

الصيغة التميمية فى الشعر :

وإذا ما عرجنا على الشعر نجد الصيغة التميمية تردعلى لسان أحد الشعراء التميميين وهو جرير فى قوله يهجو الأخطل :

عبدوا الصَّلِيبَ وكذَّبوا بمُحَمَّد ... وبجَبْرَئيلَ وكذبوا ميكالا[١]

كما وردت فى قول كعب بن مالك الأنصارى :

شهدْنا فما تُلْقَى لنا من كتيبَة ... يدَ الدهر إلَّا جبْرئيل أمامُها[٢]

٦ - إبدال الثاء فاء (لثام - ثوم) :

(أ) لثام :

ذكر أبو زيد (ت نحو ٢١٥ هـ) أن « تميم تقول : تلثمت على الفم وغيرهم تلفمت »[٣] . ولم يكن الخلاف بين تميم وغيرها محصوراً فى الفعل وإنما تعداه إلى الاسم والمصدر ، فقيل : لِثام ولفام[٤] ، وتلثُّم وتلفُّم[٥] . إلَّا أن الفراء فرق بين الصيغتين

= (ا) حمزة : هو أبوعمارة بن حبيب الزيات التميمى ولاء . أحد القراء السبعة المشهورين . قرأ على سليمان الأعمش وابن أبى ليلى وجعفر الصادق (التيسير ٦، ٧، ٩،معرفة القراء ١ / ٩٣ - ٩٩) .

(ب) الكسائى : هو على بن حمزة الكسائى ، أحد الأئمة السبعة المشهورين ومن أئمة الكوفة . قرأ على حمزة واختار من قراءته وقراءة غيره قراءة متوسطة . وتوفى سنة ١٨٩هـ (السبعة فى القراءات ٧٨ ، وغاية ١ / ٥٣٥- ٥٤٠) وكان إلى جانب ذلك إماما فى اللغة والنحو (نزهة الألباء ٤٢ - ٤٨) .

(ج) خلف : هو أبو محمد خلف بن هشام البزاز أحد القراء العشرة المشهورين وأحد الرواة عن سليم عن حمزة (اتحاف٧) وتوفى سنة ٢٢٩هـ (التيسير ٧) .

(د) الأعمش : وهو أبو محمد سليمان بن مهران الأسدى ولاء . قرأ القرآن على يحيى بن وثاب ، وقرأ عليه حمزة الزيات وغيره . توفى سنة ١٤٨هـ (معرفة القراء ١ / ٧٨ - ٨٠) ، وغاية النهاية ١ / ٣١٥ ، ٣١٦) .

(هـ) العليمى : هو أبو محمد يحيى بن محمد بن قيس العليمى(بضم العين وفتح اللام) الأنصارى الكوفى. أخذ عن أبى بكر شعبة (أحد راويى عاصم) ، وكان ثقة صحيح القراءة . توفى سنة ٢٤٣هـ ((لطائف الاشارات ١ / ١٤٠).

(هـ) أبوبكر : هو شعبة بن عياش الأسدى بالولاء أحد راويي عاصم توفى بالكوفة سنة ١٩٤ هـ (التيسير ٦) .

(١) ديوانه ٣٦١ ، وتفسير الطبرى ٢/٣٨٨ ، ٣٨٩

(٢) الصحاح (جبر) ، واللسان (جبر)٥/١٨٤

(٣) الغريب المصنف ٣٤/أ (باب لباس النساء وثيابهن) والنص أيضا فى اللسان (لثم) ١٦/٥ ، و(لفم) ١٦/١٩ وانظر : الصحاح (لفم) ٥/٢٠٣٠ ، والتاج (لثم) ٩/٥٥ ، و (لفم) ٩/٦١

(٤) اللسان (لثم) ١٦/٥ ، و (لفم) ١٦/١٩

(٥) الصحاح (لفم) ٥/٢٠٣١

فجعل اللثام على الأنف واللفام على الأرنبة[1] . ولا أعتقد أن هناك فرقًا فى الدلالة بينهما ؛ وإنما مرد ما ذكر من تفريق إلى اختلاف عادات القبائل فى طريقة التلثم ، وهذا لا يكون مدعاة لتغيير فى بعض أصوات الكلمة ، وإنما تصادف أن رأى مسجل اللغة من ينطق لثاما يضعه على أنفه ، ومن ينطق لفاما يضعه على الأرنبة .

(ب) ثوم :

قال تعالى : (فادْعُ لنا ربَّك يخْرِج لنا مِما تُنْبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِها وقِثّائِها و ومِها وَعَدَسِها وَبَصَلِها)[2] . وقد فسر الفوم بأنه :

١ — الحنطة .

٢ — الثوم المشاكل للبصل وأن الفاء مبدلة من الثاء . وهذا رأى الكسائى والفراء[3] .

ويذكر الكرمانى (ت ٥٠٥ هـ) أن الثوم لغة بنى تميم وبها قرأ ابن مسعود ، وابن عباس[4] .

ويعنينا هنا أن كلمة الثوم المشاكل للبصل نطقت أيضًا بالفاء وأن النطق الأول خاص ببنى تميم ، فأى النطقين هو الأصل وأيهما المتطور عنه ؟

إذا لجأنا إلى الساميات نجد أن الشين العبرية تقابل التاء فى الآرامية والثاء فى العربية . وإذا كانت كلمة الثوم فى العربية يقابلها شوم šūm فى العبرية وتَوْما tawmā فى الآرامية ، وهذا يعنى أن أصل الكلمة فى العربية بالثاء وأما الفاء فتطور عنها[5] . ويؤكد أيضًا قدم النطق التميمى وتطور الآخر عنه .

وقد ذكرنا عند الحديث عن « الإبدال عند تميم » الصلة بين الصوتين التى تجعل إبدال أحدهما من الآخر أمرا تقره القوانين الصوتية .

---

(١) اللسان (لثم) ١٦/٥

(٢) البقرة ٢/٦١

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١/٤٢٥

(٤) شواذ القراءة للكرمانى ٢٦ والقارىء الثانى هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب . قرأ القرآن على أبى وروى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — وعمر وعثمان وعلى وغيرهم ، وقرأ عليه خلق كثير لا يحصون أمثال مجاهد وسعيد بن جبير والأعرج . توفى سنة ٦٨ هـ (معرفة القراء ١/٤١ ، ٤٢) .

(٥) فصول فى فقه العربية ٤٩

ثالثا : المجهول الأصل

وهذا النوع كله من غير المطرد :

١ – بين القاف والكاف (النُّكَّه) :

يذكر الجوهرى أن « النُّكَّه » من الإبل : التى ذهبت أصواتها من الضعف ، وهى لغة تميم فى النُّقَّه[1] . وقد وردت الصيغة التميمية على لسان رؤبة الراجز التميمى فى قوله :

* بعد اهتضام الراغيات النُّكَّه *[2]

وإذا رجعنا إلى مادتى هاتين الصيغتين فى المعاجم العربية ، وجدنا أن النون والكاف والهاء (نكه) تدل على ريح فم الإنسان[3] . أما (نقه) فهى بمعنى برئ من المرض وبمعنى فهم[4] ، ولا أجد صلة تربط ريح الفم بالإبل التى ذهبت أصواتها من الضعف، وهذا ما لاحظه ابن فارس من قبل حيث قال بعد أن ذكر المعنى الكلى للمادة (نكه) : « ويقولون –وما أدرى كيف هو ؟ – : إن النكه من الإبل التى ذهبت أصواتها من الضعف »[5] . لكننا إذا رجعنا إلى مقلوب هذه المادة الأخيرة (نهك) فإننا نجد من دلالاتها الضعف من أثر المرض[6] .

أما إذا توجهنا إلى الساميات فنجد أن (نقه) فى العبرية والآرامية נקה بمعنى نظف، ومنه الكلمة العربية «نقى»[7]. لكن (نكه) נָכָה (ناخا) من معانيها فى العبرية أصيب بمرض[8] .

---

(١) الصحاح (نكه) ٦/٢٢٥٤ / والنص أيضا باللسان (نكه) ١٧/٤٤٨

(٢) شرح الديوان ١٢٦(اهتضام : قسر ، والبعير إذا رغا ذل) .

(٣) مقاييس اللغة (نكه) ٥/٤٧٤

(٤) اللسان (نقه) ١٧/٤٤٧

(٥) مقاييس اللغة (نكه) ٥/٤٧٤

(٦) اللسان (نهك) ١٢/٣٩٠

(٧) Gesenius, Hebrew and English p. 667.

(٨) Ibid, p. 640

ومعنى ذلك أحد احتمالات ثلاثة :

١ ـ أن العربى استعمل (نقه) فى معنى مضاد لمعناها الأصلى على سبيل التفاؤل ، والعربى كثيرًا ما يستعمل كلمات مبتعدًا عن معناها لهذا السبب ، وذلك مثل استعماله السليم بمعنى للديغ[1] ، ثم قلب التميمى القاف كافًا ، أى أن نطقه هو المتأخر تاريخيًا .

٢ ـ أن الكلمة مقلوبة عن « نهك » عند التميمى ثم تحولت الكاف قافًا عند غير بنى تميم ، فاللغة التميمية تمثل حينئذ مرحلة بين مرحلتين أخريين .

٣ ـ أن الأصل « نكه » كما هو الشأن فى العبرية ثم تحولت إلى « نقه » عند غير التميميين .

وقد ذكرنا عند الكلام عن « القاف التميمية والكاف » فى التطور التاريخى عند تميم الصلة التى تربط بين هذين الصوتين مما يجعل إبدال أحدهما من الآخر مستساغا ، سواء مرت الصيغة ـ منهم أو إليهم ـ بمرحلة واحدة أم بمرحلتين .

١ ـ بين الراء والواو (التَّوْصيص) :

يذكر أبو زيد أن « التَّرْصيص : ألا يُرى إلَّا عيناها ، وتميم تقول : هو التوصيص . قد رصَّصْتُ ووصَّصت »[2] .

موضع الخلاف بين الصيغتين هو الراء والواو ، وهما صوتان مجهوران[3] متوسطان بين الشدة والرخاوة[4] . ويصف القدماء مخرجيهما بأن الراء من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا العليا غير أنها أدخل فى ظهر اللسان قليلًا[5] ، وأن مخرج الواو مما بين الشفتين[6] ، لكن المحدثين يقررون أن مخرج الواو ليس من بين الشفتين كما ظن القدماء

(١) اللسان (سلم) ١٥/١٨٤

(٢) الغريب المصنف ٣٤/أ

(٣) الكتاب ٤/٤٣٤

(٤) سر صناعة الإعراب ١/٦٩

(٥) الكتاب ٤/٤٣٣ وسر صناعة الإعراب ١/٥٢

(٦) الكتاب ٤/٤٣٣ ، وسر صناعة الإعراب ١/٥٣

بل هو فى الحقيقة من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك غير أن الشفتين حين النطق بهما تستديران[١] ، فالواو والراء بالإضافة إلى أنهما متفقان فى الصفة يتقاربان فى المخرج إذ الأولى من أقصى الحنك والأخرى من وسطه .

نخلص مما سبق أن بين الراء والواو صلة تدعو إلى إمكان التبادل بين الترصيص والتوصيص وبين الفعلين وصّص ورصّص . لكننا مع ذلك يصعب علينا معرفة الصيغة القدمى والأخرى المتطورة عنها ؛ لأن مادة (رصص) تدل على إحكام الشىء وجمعه وضم بعضه إلى بعض[٢] . وتدل (وصص) على إحكام العمل من بناءٍ وغيره[٣] . فالمعنى الكلى للصيغتين واحد .

ومن أمثلة الإبدال بين هذين الصوتين فى العربية قولهم : إنه لرزين الرأى ووزينه[٤] ورَمِه اليوم وكذلك ومِه بمعنى اشتد حره ، ورجل وَفيق فى أمره ورَفيق[٥] .

٣ – بين الراء واللام (فرق) :

ذكر قطرب (ت سنة ٢٠٦ هـ) أن تميمًا كانت تقول : فرق الصبح ، وغيرهم : فلق الصبح[٦] .

وإذا رجعنا إلى المادتين (فرق) و (فلق) فى كتب اللغة نجد المعانى الواردة فى كل منهما تندرج تحت معنى كلى واحد ، هو الفصل بين شيئين والتمييز بينهما[٧] . فمن الصعب إذن الحكم على أصالة إحداهما وتطور الأخرى عنها .

وقد ذكرنا عند الحديث عن « الراء واللام » فيما احتفظت فيه تميم بالأصل تفسير التبادل بين هذين الصوتين .

---

(١) الأصوات اللغوية ٤٣
(٢) اللسان (رصص) ٨/٣٠٦ ، ٣٠٧
(٣) انظر : المرجع السابق (وصص) ٨/٣٧٤
(٤) الإبدال لأبى الطيب ٢/٩٩
(٥) المرجع السابق ٢/١٠١
(٦) الأزمنة والأمكنة ١/٣٢٧
(٧) انظر : اللسان (فرق) ١٢/١٧٤ و(فلق) ١١٨٤/٧٧١٢

٤ ـ بين أصوات الصفير : السين والصاد والزاى (لصق) :

نسب إلى تميم أنها كانت تقول : لصِق يلصَق لصوقا ، وقيس تقول : لسِق ، وربيعة تقول : لزق[1] .

والأصوات الثلاثة السين والصاد والزاى تتفق فى أنها من مخرج واحد وهو طرف اللسان وفويق الثنايا[2] ، وأنها جميعها رخوة[3] . ويحدث عند النطق بها صفير عال لا يشركها فى نسبة علوه غيرها من الأصوات[4] . وموضع الخلاف بينها أن الزاى صوت مجهور والصوتين السين والصاد مهموسان[5] ثم تختلف الصاد عن السين فى أن اللسان مع الصاد يتخذ شكلًا مقعرًا وهو ما يطلق عليه الإطباق[6] . أما السين فهو المقابل المنفتح له[7] . وإذا رجعنا إلى المواد (لصق) ، و (لزق)و(لسق) فى تهذيب اللغة[8] ولسان العرب[9] نراها تدل على « الاتصال » ونجد من الصعب معرفة أيها الأصل .

ولكن إذا صح ما ذهب إليه الدكتور عبد الصبور شاهين من أن إبدال المجهور مهموسًا أكثر من قلب المهموس مجهورًا[10] ، فإن هذا يعنى قدم « لزق » على الصيغتين الأخريين « لسق » و « لصق » .

ونلاحظ إلى جانب ذلك أن استعمال تميم الكلمة بالصاد (لصق) يتفق ونهج فرع منهم وهم بنو العنبر أو بنو عمرو بن تميم – وبنو العنبر بطن منهم ـ فقد كانوا يقلبون السين صادًا إذا وليها أحد حروف الاستعلاء ومنها القاف ـ على ما سنوضحه فى « التماثل التخلفى

---

(١) تهذيب اللغة ٣٧١/٨ ، واللسان (لصق) ٢٠٥/١٢ ، والتاج (لسق) ٦١/٧

(٢) الكتاب ٤٣٣/٤

(٣) المرجع السابق ٤٣٥/٤

(٤) الأصوات اللغوية ٧٤

(٥) الكتاب ٤٣٤/٤

(٦) المرجع السابق ٤٣٦/٤

(٧) الأصوات اللغوية ٧٦

(٨) انظر : التهذيب (لصق) ٣٧١/٨ و(لزق) ٤٣٠/٨ ، ٤٢١ و (لصق) ٤٠٦/٨ ، ٤٠٧

(٩) اللسان (لصق) ١٢ / ٢٠٥ ، ٢٠٦ و (لزق) ٢٠٥/١٢ ، و (لسق) ٢٠٥/١٢

(١٠) القراءات القرآنية ٢٠٥

الجزئى المنفصل » ـ والقول بهذا معناه أن الصيغة التميمية هى الحديثة ويعنى فى الوقت ذاته أمرًا آخر وهو وجودها عند فرع من تميم فقط . وفى الوقت نفسه نحب أن نقرر أنه ليس أمرًا حتميًّا أن تكون كل كلمة من هذا النوع صيغتها الصادية متطورة عن السينية وفقًا للقانون العنبرى لأن هذا يعنى خلو كل كلمة تشتمل على حرف إطباق من الصاد .

والنتيجة بعد هذا كله أننا لانستطيع الجزم بقدم أى من الصيغ الثلاث .

٥ ـ بين الصاد والزاى (الهيصم) :

يذكر ابن منظور أن « الهَيْصم : حجر أملس يتخذ منه الحِقَاق . وأكثر ما يتكلم به بنو تميم . وربما قلبت فيه الصاد زايًا »[(١)] . وقد وضحنا فى الحديث عن الكلمة السابقة الصلة بين صوتى الصاد والزاى مما يجعل التبادل بينهما مستساغًا .

ويفهم من كلام صاحب اللسان أن الصيغتين كان يتكلم بهما فى بنى تميم وأن الصيغة الصادية هى القديمة تحولت عند بعضهم إلى الزائية . وهذا يخالف ما أشرنا إليه عند الحديث عن الكلمة السابقة (لصق) من ملاحظة للدكتور عبد الصبور شاهين من إبدال المجهور مهموسًا أكثر من عكسه .

إننا لانستطيع الجزم بقدم أى من الصيغتين ، فنحن إذا اتجهنا إلى كتب اللغة نجد ألفاظًا وردت بالصيغتين وليس من اليسير الحكم على أصالة أى منهما ، من ذلك نَشَزت المرأة على زوجها ونَشَصت[(٢)] ، والشَّرْز والشَّرْص بمعنى الغِلظ[(٣)] .

كما أن قلب الصاد زايا له نظائر فى عامياتنا ، فأهل القاهرة يقولون : أزدير بدل قصدير ، وفى تطوان وما حولها يقولون فى صعلوك : زعلوك[(٤)] .

---

(١) اللسان (هصم) ٩٦/١٦ ، وانظر : التاج (هصم) ١٠٦/٩

(٢) الإبدال لابن السكيت ١٠٥ وانظر : اللسان (نشز) ٢٨٥/٧ و (نشص) ٣٦٦/٨

(٣) الإبدال ١٠٥ ، وانظر : اللسان (شرز) ٢٢٨/٧

(٤) لهجة شمال المغرب ٨٠

رابعا : بين الأصوات المتباعدة

١ ــ بين الهمزة والنون (مئشار) :

قال ابن سيده : « ونشرته بالمِنْشار ووشرْتهُ وأشَرْتهُ . . . وزعم الفارسى أن تميمًا تهمز المِئْشار وغيرهم لايهمزه »[١] .

ويفهم من هذا النص أن تميمًا كانوا يقولون : « مِئشار » بالهمز وغيرهم يقول : « مِنشار » بالنون . والصلة المخرجية بين الهمزة والنون بعيدة إذ إنَّ الهمزة من أقصى الحلق كما يقول القدماء[٢] أو هى من الحنجرة وفق تعبير المحدثين[٣] ، فى حين إن النون من فويق الثنايا ملتقيًا مع طرف اللسان[٤] . فلا نستطيع إذن أن نفسر الخلاف بين بنى تميم وغيرهم بتبادل هذين الصوتين . وقد تنبه إلى هذا ابن سيده من قبل فأدرجه تحت عنوان « ومما يجرى مجرى البدل »[٥] .

وقبل أن نفسر سر هذا الاختلاف نلجأ إلى معجماتنا العربية لنرى موقفها من المادتين (أشر) و (نشر) . نجد أن المادة الأُولى تدل على الحدة ، ومنه الأُشْر وهو رقة وحدة فى أطراف الأَسنان[٦] . ويعلق ابن فارس على هذا المعنى فيقول : « وأَشَرْتُ الخشَبةَ بِالْمِئْشَار من هذا »[٧] . أمّا (نشر) فتدل على فتح الشيء وتشعبه ومنه « نشرت الخشبة بالمنشار »[٨] .

فهل يعنى هذا أن كلاًّ من « المنشار » و « المئشار » ترجع إلى مادة غير التى تشتق منها الأُخرى ، وهذا يعنى أيضا أن اللفظين مترادفان ؟

إننى أميل إلى أن أصل الكلمتين واحد هو « نشر » . أمّا كيف وصلت إلينا هاتان الصيغتان ؟

---

(١) المخصص ٢٨٧/١٣ (٢) الكتاب ٤٣٣/٤ (٣) علم اللغة للدكتور السعران ١٧١
(٤) الكتاب ٤٣٣/٤ (٥) المخصص ٢٨٧/١٣
(٦) انظر : مقاييس اللغة (أشر) ١٠٨/١ ، ١٠٩
(٧) المرجع السابق ١٠٩
(٨) المرجع السابق (نشر) ٤٣٠/٥

استعمل العربي صيغة اسم الآلة من (نشر) ، فقال : « مِنْشار » ثم تطور هذا اللفظ إلى « ميشار » والصلة بين النون والياء تسوغ التبادل بينهما ، فإذا كان مخرج النون – كما سبق أن قلنا ، نقلًا عن سيبويه – فوق الثنايا فإن مخرج الياء قريب منها ، فهي من وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى[1] . ذلك إلى أن النون تشترك هي والراء واللام في أنها أكثر الأصوات الساكنة وضوحًا في السمع وهذا وجه شبهها مع أصوات اللين[2] .

ثم تطورت الكلمة إلى مرحلة ثالثة وهي الصيغة التميمية (مئشار) لأنه لما كان من عادة التميمي تحقيق الهمزة التي يسهلها الحجازي نظر إلى هذا اللفظ فتوهم أن الياء هنا مقلوبة عن الهمزة فحققها وقال : « مئشار » .

٢ – بين النون والهاء (تفكن) :

(ا) قال تعالى : (فَظَلْتُم تفكَّهُون)[3] . قرأ جمهور القراء : « تَفكَّهُون[4] » وقرأ أبو حرام العكلي : « تَفَكَّنون »[5] .

(ب) فسر ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) اللفظين بأن تفكه بمعنى تعجب ، وتفكّن بمعنى تَنَدَّم[6] .

(ج) فُسِّر اللفظان بـ « تعجبون » ونسب « تفكهون » إلى أزد شنوءة ، و « تفكنون » إلى تميم[7] .

(د) فسر اللفظان بـ « تَنَدَّمون » ونسبت الهائية إلى أزد شنوءة والنونية إلى بني تميم[8] وكذلك إلى عُكل[9] .

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٣
(٢) الأصوات اللغوية ٦٣
(٣) الواقعة ٥٦/٦٥
(٤) البحر ٨/٢١٢
(٥) مختصر في شواذ القرآن ١٥١ ، والبحر ٨/٢١٢
(٦) مختصر في شواذ القرآن ١٥١
(٧) المزهر ١/٤٧٣
(٨) الإبدال لأبي الطيب ٢/٤٥٩ ، واللسان (فكن) ١٧/٢٠١ ، (فكه) ١٧/٤٢٠
(٩) اللسان (فكه) ١٧/٤٢٠

نخلص مما سبق أن « تفكهون » قرئت بالهاء والنون وفسرت اللفظة الأُولى بـ « تعجبون » والثانية بـ « تندمون » ، كما فسر اللفظان مرة بـ « تعجبون » وأُخرى بـ « تندمون » ، وكلا التفسيرين يحتملهما ولا يناقض الآخر .

وإذا رجعنا إلى مادتى اللفظين وجدنا (فكه) تفيد التعجب[١] و (فكن) تدل على الندامة[٢] . لذا أُرجِّح تفسير اللفظين كما وضحهما ابن خالويه بأن « تفكهون » بمعنى تعجبون فقط . والصيغة الأُخرى وهى التميمية بمعنى تندمون فقط . ومرجع ما قيل من تفسير فى الروايتين الأُخريين أن تفسير الآية الكريمة يحتمل المعنيين ، وهذا واضح من ذكر بقية هذه الآية والآيتين السابقتين لها : (أَفَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُون . أَأَنْتُم تزرَعُونَهُ أَمْ نحْنُ الزَّارِعُونَ . لَوْ نَشَاءُ لجعلْنَاهُ حُطَاما فظَلْتُم تَفَكَّهُون)[٣] .

تفسير القراءة باللفظين :

والكلمة وردت فى القرآن وفق اللفظة الأَزدية (تفكهون) بدليل قراءة جمهور القراء بها . أَما اللفظة التميمية فقد قرئ بها فى الشاذ . ومرجع القراءة بها – فيما أَرى – ضعف فى سمع المتلقى أَو عدم تيقظه عند السماع فتهيأَ له أَن القارئ نطق « تفكنون » بالنون وساعد على ذلك أَن سياق الآية احتمل ذلك .

حقيقة إن الهاء والنون صوتان متباعدان مخرجا ، فالأَول من أَقصى الحلق[٤] أَو بتعبير بعض المحدثين من الحنجرة[٥] ، والثانى من فويق الثنايا[٦] أَو بتعبير آخر من اللثة[٧] ، وإنهما يختلفان أَيضًا فى الصفات فالهاء صوت مهموس رخو[٨] والنون صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة[٩] ، إلَّا أَن عدم وضوح الهاء فى السمع يجعلها لا تسمع بدقة . وهذا

---

(١) انظر اللسان (فكه) ١٧/٤١٩–٤٢١
(٢) انظر : اللسان (فكن) ١٧/٢٠١
(٣) الواقعة ٥٦/٦٣ – ٦٥
(٤) الكتاب ٤/٤٣٣
(٥) الأصوات للدكتور بشر ١٥٦ ، والمدخل إلى علم اللغة ٧٧
(٦) سر صناعة الإعراب ١/٥٢
(٧) المدخل إلى علم اللغة ٦٤
(٨) الأصوات اللغوية ٨٨ والمدخل إلى علم اللغة ٨٠
(٩) الأصوات اللغوية ٦٦

أمر نبه إليه الخليل بن أحمد من قبل إذ قال معللًا بدء معجمه بالعين دون الهمزة والألف (وفق رأى القدماء ومنهم الخليل) والهاء السابقين لها فى المخرج ، فقال : « لم أبدأ بالهمزة ؛ لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف . ولا بالألف ؛ لأنها لا تكون فى ابتداء كلمة ولا فى اسم ولا فعل إلّا زائدة أو مبدلة ، ولا بالهاء ، لأنها مهموسة خفية لا صوت لها »[١] .

ودليل ذلك أن الألف تمال إذا سبقت بكسرة بينها وبين حرف متحرك مثل عماد ولا تحسب الهاء حرفًا ، فلذا تمال الألف فى مثل يضربها على ما سنوضحه عند الحديث عن أسباب الإمالة .

٣ – بين الخاء والجيم (أصلج) :

سمع الأزهرى غير واحد من أعراب قيس وتميم يقول للأصم : أصلج ، وعزا إلى بنى أسد ومن جاورهم أنهم كانوا يطلقون عليه الأصلخ (بالخاء)[٢] .

والخاء والجيم صوتان متباعدان مخرجًا ، فالأول حلقى والثانى مما بين وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى[٣] ، مما يحول بين تبادلهما . ويبدو أن من العلماء الأقدمين من تنبه إلى هذا وأرجع الخلاف إلى تصحيف الخاء إلى جيم[٤] مما جعل علماء غيرهم يؤكدون وجود اللغتين وينفون التصحيف ، قال الصغانى : « الصَّلَج (بالتحريك) : الصَّمَم ، والأَصْلج : الأصم ، وليس بتصحيف الصّلخ (بالخاء) ، بل هو لغة صحيحة فصيحة لأعراب : قيس وتميم »[٥] .

وإذا كان تباعد الصوتين ينفى وجود تطور صوتى بين الكلمتين ، وإذا كان العلماء قد نفوا فكرة التصحيف ، – وهذا ما نراه – لأن الأزهرى نص على أنه سمع الصيغة الجيمية من أعراب قيس وتميم ، وهو عالم ثقة . وقد أورد اللغويون الكلمة بهذه الصيغة بتصرفاتها

---

(١) المزهر ٩٠/١

(٢) اللسان (صلج) ١٣٥/٣ ، والنص ليس بالتهذيب المطبوع .

(٣) الكتاب ٤٣٣/٤

(٤) وممن يرى هذا الرأى من المحدثين الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب : فصول ٢٤٩

(٥) التكملة والذيل (صلج) ٤٥٧/١ ، وانظر : القاموس (صلج) ١٩٧/١ دون نسبة .

المتنوعة من اسم (الصَّلَج) ، وصفة (الأَصلج) ، وفعل (تَصالَج)[١] ، ومصدر (التصالُج)[٢] فما سر الصلة بين هاتَين الكلمتين ؟

أرى أنه يمكن تفسير ذلك بأن الصيغة الخائية (أصلخ) مرت فى طريقها إلى أصلـگ بمرحلتين :

الأُولى — الخاء عند قوم ممن كانوا ينطقون الجيم كيما ،فكانت الكلمة تنطق أصلـگ. وإذا كانت الخاء تنطق من الحلق بأول منطقة من جهة الفم[٣] والكَيم وهى من مخرج الكاف[٤] وهو كما يحدده سيبويه بأنه أقصى اللسان وما فوقه من الحنك ، أى بينه وبين مخرج الخاء مخرج القاف[٥] . فإن التبادل بين الصوتين ممكن .

وربما كان مخرج الخاء عند قوم كانوا ينطقونها كما تنطق الآن بمصر أى من مخرج الكاف ، وهو المعروف بالطبق[٦] وسبق أن عرضنا لذلك . وفى هذه الحالة يكون الإبدال أكثر جوازًا من الحالة السابقة ؛ لأن الصوتين من مخرج واحد .

الثانية — إن التميميين نطقوا هذه الجيم بلغتهم أى نطقوا الكَيم جيمًا .

٤ ـ بين القاف والفاء (زحلوقة) :

ينسب الأصمعى إل تميم أنهم كانوا يقولون : الزحاليق (بالقاف) ويعنون بها آثار تزلُّجِ الصبيان من فوق إلى أسفل ، وأهل العالية يقولون : زحاليف (بالفاء) والواحدة زحلوفة[٧] ، وزحلوقة عند تميم[٨] . ونسبت الصيغة القافية أيضًا إلى من يلى تميم من هوازن[٩] .

---

(١) التكملة والذيل والصلة (صلج) ٤٥٧/١ ، والقاموس (صلج) ١٩٧/١

(٢) القاموس (صلج) ١٩٧/١

(٣) الكتاب ٤٣٣/٤

(٤) انظر : الأصوات اللغوية ٨٣

(٥) الكتاب ٤٣٣/٤

(٦) انظر : المدخل إلى علم اللغة ٧١ ، ٧٢

(٧) الرحل والمنزل (ضمن كتاب البلغة) للأصمعى ١٢٩ ، وانظر أيضا : الغريب المصنف ٦٢ / أ (عن الأصمعى) والصحاح (زحلف) ١٣٦٨/٤ (عن الأصمعى) ، والإبدال لابن السكيت ١٤٣ والأمالى للقالى ١٧٨/٢ (وهو نص كلام ابن السكيت) ، ٤١/١ ، ٤٢ (عن ابن دريد) .

(٨) المراجع السابقة عدا « الرحل والمنزل » .

(٩) راجع : الإبدال لابن السكيت ١٤٤ ، والأمالى للقالى ١٧٨/٢

وقد وردت الصيغة التميمية فى قول علقمة التميمى يصف فرسا :

وجوْفٌ هواءٌ تحت متْنٍ كأنَّهُ   من الهضْبةِ الخلْقاءِ زُحْلوقُ مَلْعبِ [(١)]

كما وردت فى رجز لرؤبة فى قوله :

* من خرَّ فى طِخْطاخِهِ تزحْلقا * [(٢)]

تفسير التبادل :

إذا نظرنا إلى مخرجى الصوتين القاف والفاء نجدهما متباعدين ، فالأولى من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك ، والفاء صوت شفوى أسنانى [(٣)] . وإذا كان هذا التباعد يحول ون تبادلهما ، فكيف نفسر هذا الاختلاف بين الكلمتين ؟

هناك احتمالات أربعة ، هى :

١ — رغم أن الصوتين متباعدان لكن يمكن تفسير الاختلاف وفقا لقانون لاحظه بادوان دى كورتناى Baudouin de courtenay سنة ١٨٩٣ Post Palatal velar وهو أن الأصوات تتقدم من أقصى الحنك إلى الأسنان والشفتين ، فالكاف والقاف مثلا تصبحان باء أو ياء وأحيانا سينا [(٤)] ، ومعنى ذلك أن الصيغة القافية التميمية هى الأصل وصيغة أهل العالية هى المتطورة

٢ — والتفسير الثانى هو أن كلاًّ من الكلمتين تكونت بطريق النحت ، وهو وسيلة تم بوساطتها تكوين كثير من الكلمات الزائدة عن ثلاثة أحرف . وقد لاحظ ذلك بعض علمائنا السابقين أمثال ابن فارس [(٥)] فزحلف أصلها منحوتة من « زحف » و « زلف » أو « زحل » والألفاظ الثلاثة تدل على الاندفاع والتقدم [(٦)] .

---

(١) شرح ديوان علقمة ٩٨ (الخلقاء : الملساء) :
والشاعر هو علقمة بن عبدة بن ناشرة ، من بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة ، عرف بعلقمة الفحل . عده ابن سلام فى الطبقة الرابعة من الجاهليين (جمهرة أنساب العرب ٢٢٢ ، وطبقات فحول الشعراء ١١٥ ، ١١٦) وله ديوان مطبوع .
(٢) شرح ديوانه ٥٦ (الطخطاخ : الكثرة من الماء) .
(٣) الكتاب ٤/٤٣٣
(٤) Jespersen, Language p. 327.
(٥) انظر : الصاحبى ٢٢٧
(٦) انظر : مقاييس اللغة (زحف) ٣/٤٩ ، و (زلف) ٣/٢١ ، و (زحل) ٣/٤٩

و « زحلق » منحوتة من « زحل » و « زلق » وكلا اللفظين يدل أيضًا على التقدم[١] .

٣ ـ أصل الكلمتين « زحل » وهى كما قلنا تدل على التقدم ، ثم زيدت عليها القاف عند تميم والفاء عند أهل العالية ، ويعضد هذا الرأى أننا نجد من العرب من كان يقول : زحاليل بدلًا من زحاليق وزحاليف[٢] فكرروا الحرف الأخير .

٤ ـ أنها تكونت بطريق التغاير Dissimilation وهذا رأى الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب ، فهو يرجح أن « زحلف » نتج بطريق المخالفة من زحّف ، وأن زحلق نتج من زَلّق »[٣] .

وإذا كان الفرض الأول بعيد الاحتمال بدليل أن يسبرسن (Jespersen) يرى أن إعمال القانون الذى لاحظه « بادوان » مقيد بأن يلى الصوت المحوّل صوت اللين الأمامى وهو الكسرة القصيرة أو الطويلة . وهذا غير متحقق فى الصيغة القافية ، فإن الفروض الثلاثة الأخرى يمكن احتمال أحدها .

---

(١) انظر : مقاييس اللغة (زلق) ٣/٢١ وقارنها بمادة (زلج)
(٢) اللسان (زحلك) ١٢/٣٢٠
(٣) التطور اللغوى : مظاهره وعلله وقوانينه ٣٩ ، ٤٠
(٤) Jespersen, language....p 27 وانظر : فى اللهجات العربية ١٢٣

٢ ـ الابدال المقيد (التركيبى)

(أ) التماثل

توطئــة :

التماثل (assimilation) هو تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض[١] تأثرًا يؤدى إلى تماثلها أو تقاربها صفة ومخرجًا وهو ظاهرة شائعة فى كل اللغات بصفة عامة[٢] ، وهو أنواع يراعى فى تقسيمها عدة اعتبارات ، فهو مثلًا :

١ ـ كلى او جزئى :

(ا) الكلى (total) وذلك حين يتماثل الصوتان مثل الشَّمس[٣] بإدغام اللام فى الشين .

(ب) جزئى (partial) مثل من أنبأك[٤] فهى تنطق أمْبأك بقلب النون ميمًا متأثرة بالباء التى تشاركها فى المخرج .

٢ ـ اتباعى او تخلفى :

(ا) الإتباعى progressive وفيه يتأثر الصوت الثانى بالأول كما فى ازدان من ازتان[٥] .

(ب) التخلفى regressive وفيه يتأثر الصوت الأول بالثانى كما فى قراءة الكسائى « يصدر » بإشمام الصاد زايًا فى قوله تعالى : (حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ) فتأثرت الصاد المهموسة بالدال المجهورة فانقلبت إلى صوت مجهور هو الزاى[٦] .

---

(١) مجموعة المصطلحات العلمية والفنية (مجمع اللغة العربية بالقاهرة) ١٦٣/٧ والتجاور لا يعنى التلاصق (دراسة الصوت اللغوى ٣٢٤)

(٢) الأصوات اللغوية ١٧٨

(٣) مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ١١٣/٧

(٤) المرجع السابق

(٥) المرجع السابق والتطور اللغوى : مظاهره وعلله وقوانينه ٢٢ وأطلق عليه الدكتور رمضان عبد التواب « المقبل » .

(٦) مجموعة المصطلحات العلمية ١١٣/٧ والآية من سورة القصص ٢٣/٢٨ ، ويسميه الدكتور رمضان عبد التواب « المدبر » (التطور اللغوى ٢١٢) .

٣ ـ متصل او منفصل :

(ا) المتصل (contact أو contigous) ويكون بين الصوتين المتلاصقين[1] ، كما فى الأمثلة التى ذكرناها فى الأنواع السابقة .

(ب) المنفصل (distant أو noncontigous) مثل قلب السين صادا فى صراط بتأثير الطاء[2] .

أنواع التماثل إذن ثمانية ، هى :

١ ـ الكلى الإتباعى المتصل .

٢ ـ الكلى الإتباعى المنفصل .

٣ ـ الجزئى الإتباعى المتصل .

٤ ـ الجزئى الإتباعى المنفصل .

٥ ـ الكلى التخلفى المتصل .

٦ ـ الكلى التخلفى المنفصل .

٧ ـ الجزئى التخلفى المتصل .

٨ ـ الجزئى التخلفى المنفصل .

ونضيف إلى هذه الأنواع نوعًا تاسعا وجدناه عند تميم وهو « التماثل التبادلى » وسنوضحه فى موضعه .

ولننتقل بعد هذا إلى التماثل عند بنى تميم ، وهو عندهم فى الأصوات الساكنة وفى أشباه أصوات اللين وفى الحركات . كما أنه فى كل صنف من الأصناف التسعة ـ إن وجد عندهم ـ يكون مطردًا وغير مطرد معًا ، أو يشتمل على واحد منهما فقط . ولنتناول هنا التماثل بين الأصوات الساكنة ـ ونترك الحديث عنه بين الحركات إلى ما بعد دراسة التبادل الحر بينها ـ وقد لاحظناهم عندهم فى ستة أنواع فقط .

---

(١) دراسة الصوت اللغوى ٣٢٥ ويطلق عليه الدكتور أحمد مختار عمر « المتاخم » .

(٢) المرجع السابق ويسميه الدكتور أحمد مختار « غير المتاخم أو التباعدى » .

أولا — التماثل الكلى الاتباعى المتصل :

وهو مطرد فقط ، ويكون فى :

قلب تاء الفاعل طاء :

ويتمثل هذا النوع عند تميم فى تاء الفاعل عند إسنادها الفعل لامه طاء مثل « خبطُّ »[(١)] . والأصل « خَبَطَ » أضيف إلى الفعل تاء الفاعل فصار « خبَطْت » بإسكان لام الفعل ثم تأثرت التاء بالطاء فقلبت إلى صوت مماثل لها فأصبحت خبَطْط . فاجتمع صوتان ساكنان من جنس واحد سكن أولهما فأدغم فى الثانى فأصبح « خَبَطُّ » وإذا كانت التاء المتأثرة (الأمامية) والتى أدغمت فيها سابقتها ليست من بنية الفعل ، وإنما جىء بها لغرض وهو الدلالة على الفاعلية فعد هذا النوع من التماثل قبيحًا ، ولقد عقب سيبويه على هذه اللفظة التى وردت فى بيت لعلقمة بن عَبْدة وأنشد وفق هذه اللغة ، وهو قوله :

وفى كل حىٍّ قد خبَطُّ بنِعْمة فحُقَّ لِشأسٍ من نَداك ذَنُوبُ[(٢)]

بقوله : « وأعرب اللغتين وأجودهما ألَّا تقلبها طاء ؛ لأن هذه التاء علامة الإضمار ، وإنما تجىءُ لمعنى وليست تلزم هذه التاءُ الفعل »[(٣)] .

أما التفسير الصوتى لقلب التاء طاء ، فقد تناولناه عند الحديث عنهما فى الإبدال الحر .

* * *

ثانيا — التماثل الكلى الاتباعى المنفصل :

وهو غير مطرد ويتمثل فى كلمة : (الأثاثى) .

قال ابن السكيت : « وهى الأثافى واحدة بنى تميم الأثاثى »[(٤)] والأثافى جمع أُثْفية ، وهى الحجَر الذى يوضع عليه القدر[(٥)] .

---

(١) الكتاب ٤/٢٤٠ وانظر : المخصص ١٣/٢٧٠ ، وأبنية الأسماء ٢٣ . وعزى فى الأخير لقوم من تميم .
(٢) البيت فى الكتاب ٤/٤٧١ الشعر والشعراء ١١٠ وخاطب علقمة ، فى هذه القصيدة أبا شمر الغسانى وقد أسر أخاه شأسا وبعض بنى تميم — الشعر والشعراء (خبطت : أسديت — الذنوب : الدلو) .
(٣) الكتاب ٤/٤٧٢
(٤) الإبدال ١٢٧ ، والمزهر ١/٤٦٥
(٥) اللسان (أثف) ١٠/٣٤٤

الصيغة القدمى :

إذا كان قد عزى إلى تميم خلاف عن غيرهم من العرب فى صيغة الجمع ، فلم يذكر أحد – فيما أعلم – وجود خلاف بينهم وبين غيرهم فى صيغة المفرد مما يدل على أن التطور أصاب التميمية وأن الأخرى هى الأصل . ويؤيد هذا أن اللفظ نظير فى كل من الآرامية اليهودية والسريانية ، فقد ورد فيهما بالفاء وليس بالثاء ، فهى فى الآرامية اليهودية tĕfāyā (تفايا) . وفى السريانية tĕfayyā (تفَيًّا) ومعناها الموقد يوضع عليه القدر[1] .

والتطور الذى حَدَث فى الصيغة التميمية تم عن طريق التماثل إذ أثرت الثاء فى الفاء فقلبت إلى صوت مجانس لها . وساعد على ذلك تقارب الصوتين فى المخرج . وقد وضحنا ذلك عند الحديث عن هذين الصوتين فى « الإبدال الحر » .

* * *

ثالثا – التماثل الجزئى الاتباعى المتصل :

وهو عندهم مطرد فقط ، ويكون فى :

١ – قلب تاء الفاعل طاء :

تبدل تميم كل تاء فاعل طاءً إذا وقعت بعد أصوات الإطباق :الصاد والضاد والظاء فى فعلتُ ، وكانت هذه الأصوات لامًا للفعل وذلك مثل فحَصْطُ بدلًا من فحَصْتُ[2] ، وجِضْطُ بدل جِضْتُ[3] والأصل فحَصَ وجاضَ[4] وعندما أضيفت إليها التاءُ صارا فحصت وجضت بإسكان لام الفعل وتأثرت التاء بالصوت السابق المتاخم لها لأنه ساكن فقلبت إلى صوت مطبق آخر هو الطاء . والصلة بين هذين الصوتين التاء والطاء وضحناها عند الكلام عنهما فى التبادل الحر .

أما فى حالة صوت الإطباق الرابع وهو الطاء فقد عالجناه فى التماثل الكلى .

(١) نصوص فى فقه اللغة العربية ١/٨٨ (الهامش رقم ٢) .

(٢) الكتاب ٤/٢٤٠ والمخصص ١٣/٢٧٠

(٣) أبنية الأسماء ٢٣ وعزا الظاهرة إلى « قوم من بنى تميم »

(٤) ومعنى : جاض : مال وحاد ، وجاض عن القتال : فر ، وجاض فى مشيته : تبختر (اللسان « جيض » ٨/٤٠١)

حول كلمة « الإستمة » :

وجدنا هذه الكلمة والتى تعنى « معظم الشىء ووسطه » ترد بأربع صيغ منسوبة كلها إلى تميم ، وهى :

١ – أُسْتُمَّة (بالسين والتاء) .

٢ – أُسْطُمَّة (بالسين والطاء) .

٣ – أُصْتُمَّة (بالصاد والتاء) .

٤ – أُصْطُمَّة (بالصاد والطاء) .

جاء فى اللسان « سُطُمَّةُ البحر والحسب وأُسْطُمَّتُه ، واسْطُمُّه : وسطه ومجتمعه ، والجمع الأساطم ... قال : وتميم تقول : أساتِمُ »[1] . وورد فيه أيضًا « الأُصْتمة : معظم الشىء تميمية . التاءُ فيها بدل من الطاء . وفلان فى أُصتمة قومه مثل أُصطمتهم . التهذيب : والأصاتم جمع الأُصْطُمَّة بلغة تميم ، جمعوها بالتاء كراهة تفخيم أصاطم فردوا الطاء إلى التاء »[2] .

ونحن إزاء هذا الاضطراب نرى أن الذى يتفق والبيئة التميمية اجتماع الصاد والطاء فى الكلمة ، ومما يرجح ذلك ما أنشده الجوهرى لرؤبة :

* وصلت من حنظلة الأُسْطُمَّا *

وتعقيبه عليه بقوله : « ويروى بالصاد »[3] .

وإذا صح نسبة « الأساتم » إلى تميم فلا يناسب منهجهم نطقها « الأصاتم » فإنهم إذا كانوا قد قلبوا تاء الفاعل طاء لورودها بعد الصاد فمن باب أولى أن يقلبوا التاء هنا طاء لورودها بعد الصاد ، كما لا يتفق وهذه البيئة إحدى روايتى بيت رؤبة وهى « الأُسطما » وعلى الأخص نسبتها إلى بلعنبر الذين كانوا يقلبون السين صادًا إذا جاء بعدها أحد حروف الاستعلاء[4] . وعلى كلٍّ فإن تعدد صيغ هذه الكلمة يرجع إلى أنها معربة عن الكلمة اليونانية

---

(١) اللسان (سطم) ١٥/١٧٨ ، وانظر التاج (سطم) ٨/٣٣٦

(٢) اللسان (صتم) ١٥/٢٢٥ ، وانظر التاج (صتم) ٨/٣٦٤ والجزء المنقول عن الأزهرى فى التهذيب ١٢/١٥٨

(٣) الصحاح (سطم) ٥/١٩٤٩

(٤) انظر : التماثل الجزئى التخلفى المنفصل المطرد ص ١٥٢

« ستُوما » (بمعنى الفم ، ومصب النهر ، والشق فى الأرض أو الصخر ينبثق منه جدول ، والمخرج أو المدخل عامة ، ومقدم الشىء)[(١)] .

٢ — قلب تاء الفاعل دالا :

يذكر سيبويه أن بنى تميم « قالوا : فُزْدُ فى فُزْتُ » وأن « الذال إذا كانت بعدها التاء فى هذا الباب بمنزلة الزاى »[(٢)] وذلك مثل أخذْدُ فى أخذْتُ[(٣)] .

وهذا التماثل الكلى الإتباعى المتصل تفسيره أن الدال والتاء تشتركان فى المخرج ، وهو التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا[(٤)] . لكنهما يفترقان فى صفة الجهر والهمس ، فالدال مجهورة والتاء مهموسة[(٥)] ، فلما وقعت التاء بعد أحد الصوتين الذال والزاى وهما مجهوران[(٦)] ، تأثرت التاء بجهرها فقلبت إلى نظيرها المجهور وهو الدال .

والذى يجعل الإبدال هنا قبيحا أن التاء (وهى تاء الفاعل) أتى بها لمعنى ،فهى ضمير له وظيفته فى الجملة شأنه هنا كشأنه حين قلب طاء لاتصاله بالصاد والضاد والطاء والظاء ، وذلك بخلاف تاء افتعل فقد قلب العربى التاء دالا إذا كانت فاء الافتعال الزاى أو الدال أو الذال وذلك مثل ازدان وادعى واذّكر[(٧)] وأصلها ازتان وادتعى واذتكر . والتاء هنا من بنية الفعل وليست أجنبية عنه .

ولنا هنا وقفة[(*)] قصيرة ، فقد عزا صاحب « لهجة تميم » إلى التاج (فى حرف الدال) إبدال تميم تاء الضمير الواقعة بعد الدال دالا كجلَدُّ فى جَلَدْتُ[(٨)] ، وإننا :

---

(١) دراسات مقارنة فى المعجم العربى ٤٣ (عن فرنكل ٢٣١) .
(٢) الكتاب ٤/٢٤٠ وانظر أبنية الأسماء ٢٦ مقارنا بإبدال الطاء من التاء ص ٢٣ .
(٣) أبنية الأسماء ٢٦
(٤) الكتاب ٤/٤٣٣
(٥) المرجع السابق ٤/٤٣٤
(٦) المرجع السابق ٤/٤٣٤
(٧) الخصائص ٢/١٤٢ (النجار)
(٨) لهجة تميم ٩٦
(*) موضع هذا التعقيب « التماثل الكلى الإتباعى المتصل » ولما لم يكن لتميم نهج خاص فى إبدال التاء دالا ينضوى تحت هذا الصنف ذكرناه هنا .

١ ـ إذا رجعنا إلى التاج نجده يذكر ذلك دون عزوه إلى تميم أو غيرهم ونجده يذكر أنه نقل عن ابن القطاع ، فيقول : « وزاد ابن القطاع أنها تُبْدل من تاء الضمير الواقعة بعد الدال كجَلَدُّ فى جَلَدْتُ وبعد الزاى ، قالوا : فى جُزْتُ جُزْدُ[1] » .

٢ ـ وإذا ما اتجهنا بعد ذلك إلى «أبنية الأسماء والأفعال والمصادر » لابن القطاع نراه يذكر أن « من قال : جِضْطُ قال فى فزت وأخذت فُزْدُ وَأَخَذْدُ »[2] أى أن التاء تقلب بعد الذال والزاى وأن ذلك عند قوم من تميم كما ذكر عند كلامه عن إبدال الطاء من التاء[3] . وابن القطاع هنا يتفق وما ذهب إليه سيبويه وإن اختلف معه فى أنه قصر ذلك على بعض التميميين ، وأما سيبويه فقد عمم ذلك عندهم ، وقد وضحنا ذلك من قبل .

ومن هذا يتبين :

(ا) عزو صاحب « لهجة تميم » إلى الزَّبِيدى ما لم يذكره .

(ب) خطأ الزبيدى فى فهم كلام ابن القطاع بأن أبدل بالذال (المعجمة) الدال المهملة وضرب لها مثالا داليًا من عنده .

* * *

رابعا وخامسا : التماثل الجزئى التخلفى المتصل والمنفصل :

وهما مطردان ويتمثلان فى :

قلب السين صادا :

جاء فى الصحاح[4] : « قال قطرب محمد بن المستنير : إن قومًا من بنى تميم يقال لهم : بلعنبر يقلبون السين صادًا عند أربعة أحرف : عند الطاء والقاف والغين والخاء إذا كن بعد السين ، ولا تبالى أثانية أم ثالثة أم رابعة بعد أن تكون بعدها . يقولون : سراط وصراط ، وبسطة وبصطة وسيقل وصيقل[5] وسَرَقت وصَرَقت ومَسْغَبة ومَصْغَبة ، ومِسْدَغة ومِصْدَغة ، وسَخَّر لكم وصَخَّر لكم ، والسَّخَب والصَّخَب » .

وأمثلة التماثل المتصل الواردة بهذا النص هى : بسطة ، ومسغبة ، وسخر ، التى تحولت إلى بصطة ومصغبة وصخر . وبقية الأمثلة خاصة بالتماثل المنفصل .

(١) التاج (حرف الدال) ٢/٢٨٦ (٢) أبنية الأسماء ٢٦
(٣) المرجع السابق ٢٣ (٤) مادة (صدغ) ٤/١٣٢٣ .
(٥) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها (اللسان – صقل ١٣/٤٠٣)

وقطرب هنا لم يعز قلب السين صادا إلى تميم كلها بل إلى فصيلة من بنى عمرو هى بلعنبر . ونجد بجانبه من يتوسع فى المنسوب إليهم ومن يضيق دائرة النسبة ، فالفراء يمثل الفريق الثانى كما توحى بذلك عبارته فهو يقول : « ونفر من بلعنبر . . . »[1] أما الرأى الآخر فيرويه لنا يونس عن عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى (ت سنة ١١٧ هـ) فهو ينسب هذه الظاهرة إلى بنى عمرو بن تميم ، جاء فى « طبقات فحول الشعراء لابن سلام : وقلت [أى ابن سلام] ليونس هل سمعت من ابن أبى إسحاق شيئًا ؟ قال : قلت له : هل يقول أحد الصَّويق ؟ يعنى السويق . قال : نعم ، عمرو بن تميم تقولها . وما تريد إلى هذا ؟ عليك بباب من النحو يطرد وينقاس »[2] .

والذى نميل إليه أن ذلك كان خاصًّا ببنى العنبر جميعًا ـ كما ذكر قطرب ـ فهو :

(ا) ليس خاصًّا ببعض أفرادها لأن هذه الظاهرة وصفت بأنها مطردة كما رأينا عند عبد الله الحضرمى وهو وإن كان قد عمم أبناء بنى عمرو فهو إذن لا يجعلها خاصة بفريق من بنى العنبر ثم إن اطرادها عند طائفة من العلماء وإن لم ينسبوها ، مثل : ابن دريد[3] وسيبويه[4] وابن جنى[5] ، والبطليوسى[6] دليل على شمولها .

(ب) وهو خاص ببنى العنبر وحدهم بدليل الإشارة إليها وحدها فى كلمات أخرى غير تلك التى ذكرها قطرب ، من ذلك صلغ ومشتقاتها فى سلغ[7] والصَّاق فى الساق[8] والصَّويق فى السويق[9] . ولعل قصر هذه الظاهرة على بنى العنبر لأنهم أشهر فروع بنى عمرو .

---

(١) اللسان (سرط) ٩/١٨٥
(٢) طبقات فحول الشعراء ١٥
(٣) الاقتضاب ٢٠٣
(٤) جاء فى اللسان (صلغ) ١٠/٣٢٤ : «وزعم سيبويه أن الأصل السين (أى أصل صلغ) والصاد مضارعة لمكان الغين » .
(٥) المحتسب ٢/١٦٨
(٦) انظر : الأحرف الخمسة للبطليوس
(٧) اللسان (سلغ) ١٠/٣١٧ (سلغت الشاة والبقرة : تمت أسنانها)
(٨) اللسان والتاج (سوق)
(٩) جمهرة اللغة ٣/٤٤

على أن بعض اللغويين كان ينسب بعض الألفاظ التى تندرج تحت هذه القاعدة إلى تميم بصفة عامة ، من ذلك لصق فى مقابل لسق لقيس ولزق لربيعة[١] .

وأعتقد أن هذه النسبة شبيهة بنسبة الحضرمى إلى بنى عمرو ، لم يراع أصحابها الدقة فلم يكتفوا بالنسبة إلى الفصيلة وإنما نسبوا إلى القبيلة ككل رغم أنها خاصة بفرع صغير منها . ولعل مما يعضد عدم عموم الظاهرة فى تميم :

(ا) ما نسب إلى الفراء من أنه قال : « سمعت رجلين من بنى تميم قال أحدهما : سوغه وقال الآخر : سوغته »[٢] . فالتميمى هنا ينطق الكلمة بالسين فى حين إنه يليها « غين » ، وفى حين أيضًا إننا نجد اللغويين ينصون على أن الصاد فيها لغة[٣] ، بل إننا نجد الفراء ينسب هذه الظاهرة (أى النطق بالصاد) إلى بنى سُليم وهوازن وأهل العالية وهذيل[٤] ولم ينسبها إلى بلعنبر .

(ب) كما أن مما يرجح عدم شيوع هــذه الخاصية فى كل تميم ما يروى عن رؤبة أنه قال :

* وبلَّ بردُ المـاء أعضادَ اللَّسَقْ *[٥]

ورؤبة من بنى سعد بن زيد مناة[٦] وهو رغم ولوعه بالغريب استعمل « اللسق » ولم يستعمل « اللصق » وهما بمعنى لصوق الرئة بالجنب من العطش[٧] .

تفسير الظاهرة :

وعلى كل فظاهرة قلب السين صادًا وجدت لدى بعض التميميين وهى تتناسب وبيئتهم البدوية ، فلو رجعنا إلى وصف العلماء لهذين الصوتين لوجدنا أنهما من مخرج واحد

---

(١) اللسان والتاج (لسق) و (لصق) .
(٢) اللسان والتاج (سوغ) ومعنى سوغه أى يتلوه .
(٣) اللسان (سوغ) ٣١٨/١٠
(٤) اللسان (صوغ) ٣٢٥/١٠ ، والتاج (صوغ) ٢٣/٦
(٥) الصحاح (لسق) ١٥٥٠/٤
(٦) جمهرة أنساب العرب ٢١٥
(٧) الصحاح (لسق) ١٥٥٠/٤

هو ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا العليا مع رجوع اللسان إلى الوراء قليلًا وأنهما صوتان رخوان مهموسان إلّا أن الصاد تتميز بأنها صوت مطبق أى أن اللسان عند النطق بها يكون مقعرًا منطبقًا على الحنك الأعلى كما تتميز بأنها حرف استعلاء أى أن أقصى اللسان وطرفه يتصعدان نحو الحنك الأعلى[١] .

وإذا ما حاولنا أن نعرف الصفة المشتركة بين الحرف الجديد (الصاد) والحروف الأربعة : (الطاء والقاف والغين والخاء) التى يعد وجود واحد منها بعد السين عاملًا من عوامل إقلابه لوجدناه الاستعلاء ، وقد علل ذلك ابن جنى من قبل فقال : « وذلك أن حروف الاستعلاء تجتذب السين عن سفالتها إلى تعاليهن والصاد مستعلية »[٢] .

وبيّن أن هذا نوع من التماثل التخالفى وهو أيضًا جزئى منه المتصل والمنفصل . وقد يعترض شخص فيقول : إن حروف الاستعلاء سبعة ولقد ذكرت منها أربعة مؤثرة والخامس هو الناتج وبقى حرفان هما الضاد والظاء ، فالاستعلاء إذن ليس هو الصفة المشتركة .

لقد طرأ على خاطرى هذا الاعتراض فأخذت أستقرى الكلمات العربية فلم أجد كلمة تشتمل على سين أو صاد ويليها ضاد أو ظاء ، بل لم أجد إلّا كلمات نادرة سبقت فيها السين الضاد مثال ذلك : الضرس ، والضَّغْوس أى الحريص النهم[٣] ، والضمس أى المضغ[٤] والضَّهْس أى العض بمقدم الفم[٥] والضَّبِيس (الحريص والجبان)[٦] .

واتجاه بلعنبر هذا لا يعنى نسبة كل كلمة تشتمل على صاد إليهم وحدهم وحظره على غيرهم ، وإنما هو مطرد لديهم ، فكلمة « سراط » وردت بالسين والصاد ونسبت الصورة الثانية إلى قريش والأولى إلى عامة العرب ، وأرى أن بلعنبر شاركوا قريشًا فى صيغتهم ، إذ إن ذلك قاعدة لديهم .

---

(١) الأصوات اللغوية ٧٥ ، ٧٦ ، والأصوات للدكتور بشر ١٥٣
(٢) المحتسب ١٦٨/٢
(٣) مقاييس اللغة ٣٦٣/٣ ، وجمهرة اللغة ٢٤/٣
(٤) مقاييس اللغة ٣٧٢/٣ ، وجمهرة اللغة ٢٤/٣
(٥) مقاييس اللغة ٣٧٥/٣ ، وجمهرة اللغة ٢٥/٣
(٦) مقاييس اللغة ٣٨٦/٣

ولنقف هنا وقفة قصيرة مع الدكتور إبراهيم أنيس فهو يخالف ما أورده اللغويون من أن السراط هو الأقدم لأن معناه العام « المرور »[١] ويرى أن الأصل هو النطق بالصاد ثم تطور حتى شاع نطق آخر بالسين ، ويستدل على ذلك بورود الكلمة فى القرآن الكريم بالصاد[٢] .

ونحب أن نقول إن القرآن الكريم يلتزم الأفصح ، وهناك فرق بين الأقدم والأفصح . والكلمة ليست عربية الأصل ، وإنما هى أعجمية تكلم بها العرب وتصرفوا فيها شأن معظم المعربات . وقد تنبه إلى ذلك بعض علماء العربية ، فقد روى عن ابن عباس وغيره من أهل العلم أنها بالرومية[٣] . وعلق الدكتور السيد يعقوب بكر على ذلك بقوله : « وقوله بالرومية أى باليونانية . وهذا صحيح فى اليونانية المتأخرة سترات[٤] « طريق » وهذه من أصل لا تينى متأخر strata »[٥] .

وقد دخل هذا اللفظ اليونانى الآرامية اليهودية والسريانية ، فهو فى الآرامية ʾisṯerāṯā (إسطراطا) ، و ʾisṯerāṯēyā (اسطراطيا) ، و sĕraṯyā (سرطيا) ، وفى السريانية ʾestĕrāṯ (إسطراط)[٦] .

ويقول جفرى : إن الكلمة اليونانية انتقلت إلى العربية بوساطة الآرامية[٧] .

ودخولُ الكلمةِ العربيةَ عن الآرامية هو المرجح على دخولها من اليونانية أو اللاتينية بدليل اشتمال الكلمة على صوت الطاء الذى أبدله الآراميون من التاء ، ولكن الكلمة ظلت عندهم محافظة على السين كما كانت عند اليونان واللاتين ولم تقلب صاداً . والذى أميل

---

(١) اللسان (سرط) ٩ / ١٨٥ ، والتاج (سرط) ٥ / ١٥٢ ، وانظر : مقاييس اللغة (سرط) ٣ / ١٥٢ و(صرط) ٣/٣٤٩

(٢) فى اللهجات العربية ١٢٩

(٣) الصاحبى ٤٣ (تحقيق السيد صقر)

(٤) عن سوفوكليس

E.A. Sophocles, Greek Lexicon of the Roman and Byzantine periods, 2/1014.

(٥) دراسات مقارنة فى المعجم العربى ١٢٣ ، وانظر : بقايا اللهجات العربية (بحث نشر بمجلة كلية الآداب م ١٠) ١٨/١ فقد ذكر أن « سراط مشتقة من كلمة لاتينية وهى Strata''

(٦) المرجع السابق ١٢٤

(٧) المرجع السابق عن :

Jeffery, The foreign Vocabulary of the Qurʾan, p. 196.

إليه أن الكلمة دخلت العربية محافظة على صوت السين هذا مع إدخال تغييرات أُخرى فأضحت سراطا ، ثم نطقها بنو العنبر بالصاد وفق قاعدتهم فى مثيلاتها ، ومنهم انتقلت إلى قريش الذين كانوا ينتقون من الوفود التى تفد عليهم من الحجيج وغيرهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم [١] ، وهذا الذى نميل إليه يتفق وتعقيب أبى بكر محمد بن السرى السراج (ت ٣٠٦ هـ) على قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) [٢] ، فقد جاء فى كتاب « الحجة فى علل القراءات » لأبى على الفارسى : قال أبو بكر : والاختيار عندى الصاد للخفة والحسن فى السمع » [٣] .

ولننتقل بعد هذا إلى التراث اللغوى لنرى مدى تمثله للغة بلعنبر :

١ ــ القراءات الشاذة :

نجد القراءات الشاذة قد استعملتها ، وهى حجة من ناحية اللغة ، فمن ذلك :

(أ) قرأ يحيى بن عُمارة [٤] (وأصبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) [٥]

(ب) يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأ (والنخل باسقات) [٦] (باصقات) [٧] .

وأرى أننا لسنا هنا فى حاجة إلى أن نستشهد بقوله تعالى : (السراط) وأن نقول إن جمهور القراء قرأها بالصاد [٨] لأن الكلمة شاعت بالصاد أكثر من شيوعها بالسين .

٢ ــ فى البيئة التميمية حديثا :

وظاهرة قلب السين صاداً لا تزال تحتفظ بها البيئة التميمية ، ففى الكويت يقولون مثلا : الصبخ ويعنون بها الأرض السبخة [٩] ، ويقولون الصخلة للسخلة [١٠] ، ومن أمثالهم

---

(١) المزهر ٢١٠/١
(٢) الفاتحة ٦/١
(٣) الحجة ٣٧/١
(٤) المحتسب ١٦٨/٢
(٥) لقمان ٢٠/٣١
(٦) ق ٥٠ / ١٠
(٧) المحتسب ٢٨٢/٢
(٨) انظر : تحبير التيسير ٤١ ، ٤٢ وإتحاف ١٢٣
(٩) معجم الألفاظ الكويتية ٢٤١ ، وخصائص اللهجة الكويتية ٧٤
(١٠) معجم الألفاظ الكويتية ٢١٦ ، وخصائص اللهجة الكويتية ٧٤

« الطول طول نخله والعگل عگل صِخله »[١] وصخَّن بمعنى سخَّن[٢] ، والصَّخا أي السخاء[٣] وهذا ما نجده في بعض جهات صعيد مصر .

ونلحظ الظاهرة كذلك لدى بعض شعراء البدو الذين يمثلون البيئة التميمية ، فها هو العوني يقول :

عِرْق الصَّخَا بَحْر النَّدى رِهْنِ العدا لا اشْتبَّتِ الهيجا تِعِرفُه جمَالها[٤]

يريد السخاء .

ويقول أيضاً :

تهْابْ صطوتْكُم ويرجى نوالكـم
وْضديدْكُمْ دايم يحسب خُطورْها[٥]

يريد سطوتكم .

والعوني هذا هو : محمد بن عبد الله (ت ١٣٤٢ هـ) ولد في بريدة وهو وإن لم يكن من ذوي البيوتات[٦] إلا أنه يمثل البيئة التميمية لأن بريدة وما جاورها – كما سبق أن قلنا – يسكنها تميميون .

وإننا لنجد من التميميين المعاصرين من يقلب السين صاداً حتى مع غير الحروف الأربعة ، فمحمد بن عبد الله القاضي (ت ١٢٨٥ هـ) وهو تميمي الأصل من آل بَسّام بعنيزة وينتهي نسبه بمالك بن حنظلة بن زيد مناة[٧] ، يقول :

جتْني سْهوم الموتْ يوم وْگفَتْ لـي
گلُبِيَ غدَا مِسْمارْ وخْـدُودَهْ الماص[٨]

يريد الماس .

---

(١) معجم الألفاظ الكويتية ٢١٦
(٢) خصائص اللهجة الكويتية ٧٤
(٣) المرجع السابق ٧٣
(٤) الشعر عند البدو ١٢٢
(٥) الشعر عند البدو ١٢٣
(٦) المرجع السابق ٣٢٥ ، ٣٣٦
(٧) المرجع السابق ٣٠٦
(٨) المرجع السابق ١٢٢

سادسا : التماثل التبادلي :

وهو أن يتأثر صوت سابق بصوت تال (وهذا تماثل تخلفى) ثم يتأثر التالى بالسابق (وهذا تماثل إتباعى) . وقد يكون بالعكس أى إتباعى ثم تخلفى . ويطلق على العمليتين معاً تماثل تبادلى[١] .

ولا حظنا النوع الأول (أى المكون من تماثل تخلفى ثم إتباعى) عند تميم فى عدة ألفاظ هى أعْهد ، ومَعَهُم ، ومَعَ هؤلاء فنطقوها : أَحَّد ، ومَحُّم ، ومحَّاؤلاء .

وفيما يلى تحليل للتطور التبادلى عند تميم فى كل لفظ على حدة :

١ — أحد :

أصل هذا اللفظ « أعْهد » وقد ورد فى قوله تعالى : (ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان)[٢] ونطقته تميم « أَحَّد »[٣] . وتم ذلك بأن قلبت العين (المجهورة والمتوسطة بين الشدة والرخاوة ، كما يرى القدماء[٤] أو المجهورة الرخوة ، كما يرى المحدثون)[٥] . حاء ، وهما من مخرج واحد وهو الحلق[٦] بسبب مجاورة الهاء التى تتفق معها [(أى معها الهاء)] فى الهمس والرخاوة[٧] فصارت « أحْهد » وهذا تماثل تخلفى جزئى متصل . فاجتمع صوتان متفقان صفة ومتجاوران مخرجا هما الحاء والهاء ، ثم انتقل مخرج الثانى إلى مخرج الأول فاجتمع صوتان من جنس (أحْحَد) أولها ساكن والثانى متحرك فأُدغما . وهذا تماثل كلى إتباعى متصل .

٢ — محم :

ونستهل ذلك بعرض الروايتين التاليتين :

(أ) قال سيبويه : « قول بنى تميم « مَحُّمْ » ، يريدون مَعَهُم »[٨] .

---

(١) التسمية للدكتور رمضان عبد التواب .
(٢) يس ٣٦/٦٠
(٣) مختصر فى شواذ القرآن ١٢٥
(٤) الكتاب ٣/٤٣٤ ، ٤٣٥
(٥) المدخل إلى علم اللغة ٧٥
(٦) الكتاب ٤/٤٣٣
(٧) المرجع السابق ٤/٤٣٤
(٨) المرجع السابق ٤/٤٥٠

(ب) قال ابن منظور : « غَلَبَت الحاءُ على العين فى لغة سعد فيقولون : كنت مَحُّمْ فى معنى مَعَهُمْ »[١] .

ونلاحظ أن الرواية الأُولى عممته فى تميم . أما الثانية فقد قصرته على بطن منهم هم بنو سعد . وإذا كانت السعود فى العرب كثيرة ولم تحدد الرواية أى بنى سعد هم فإن الرواية الأُولى تقطع الشك باليقين ولا تدع مجالا لاحتمال أنهم غير سعد التميمية . وما فعله التميميون فى هذا اللفظ شبيه بـ (أَحَّد) . وإذا كان هناك بعض الخلاف فى اللفظين إذ إن الصوت الأَول فى هذا اللفظ وهو العين غير ساكن (معَهم) ورغم ذلك قد أُدغم فيما يليه (بعد قلب كل منهما إلى حاء) فإن توضيح ذلك يحتمل أحد أمرين :

الأَول : إن « مَعَهُم » وهو مكون من كلمتين « مَعَ » والضمير « هم » كان ينطق بسكون العين ، والناطقون متأثرون فى ذلك بنطق ربيعة لهذا اللفظ[٢] ، وهى قد جاورت بطونا من تميم .

الثانى : إن هذا الإدغام يتفق ومذهب أَبى عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) فى الإدغام ، وهذا ما أُرجحه ، لأَن أَبا عمرو تميمى ومن الجائز جدًّا أنه قرأ بهذه الطريقة لأَنه وجدها تتفق ولغة قومه التى درج عليها ولا تخالف ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم . وعند أَبى عمرو يمكن أن يكون الصوت المدغم متحركا بشرط أن يكون الصوتان من كلمتين[٣] ، كما هو الشأن فى هذا اللفظ المركب من كلمتين هما « مع » و « هم » . وبمقتضى مذهب أَبى عمرو فإن الإدغام فى هذا اللفظ يمكن أن يكون قد تم بقلب العين حاءً بتأْثير الهاء فصار (مَحَهُم) ثم قلب الهاء حاءً بتأْثير الحاء فأَصبح (مَحَحُم) . والمرحلة الأُولى تماثل جزئى تخلفى منفصل ، والثانية تماثل كلى إتباعى منفصل . ثم أدغمت الحاء فى الحاء فقالوا محُّم ، وذلك بعد إسكان الحاء الأُولى .

---

(١) اللسان (ستت) ٢/٣٤٤ ، ٣٤٥

(٢) اللسان (معع) ١٠/٢١٨

(٣) السبعة فى القراءات ١١٦

٣ ــ مَحَّاوُلا :

وذكر سيبويه أن قول بنى تميم « مَحَّاؤلاء يريدون مع هؤلاء »[1] وإن ما قلناه عن « مَحّم » يصدق على هذا اللفظ .

وبعد: فإننا نستطيع الحكم على كل كلمة اشتملت على عين تلتها هاء بأن تميما كانت تقلب الصوتين « حاء » عن طريق التماثل التبادلى . وليس ذلك خاصاً بهذه الكلمات الثلاث .

(ب) التغاير

توطئة :

من سنن العربية أنها تكره توالى الأمثال فى الكلمة[2] ، لذا فإننا نجدها تلجأ إلى التغاير (Dissimilation) وهو حدوث اختلاف بين الصوتين المتماثلين فى الكلمة الواحدة[3] فهو ، بعكس التماثل . ومن أمثلته قلب أحد صوتى التضعيف فى الكلمة إلى صوت لين طويل (واو مد ، أو ياء مد ، أو ألف مد) أو قلبه إلى أحد الأصوات المتوسطة Liquids الشبيهة بأصوات اللين[4] وهى اللام والراء والميم والنون[5] التى يتسع معها المجرى بما يقرب من اتساعه مع أصوات اللين[6] . وللتغاير عدة صور منها :

(ا) تغاير المجاورة Contact مثل إنجاص فى إجّاص .

(ب) تغاير المباعدة distant مثل بغدان فى بغداد[7] .

والتغاير ظاهرة فى كل اللغات ليست قاصرة على لغة دون أخرى[8] ، وهو عند تميم قد يكون بين الأصوات الساكنة ، وقد يكون بين الحركات . ونكتفى هنا بالنوع الأول ،

---

(١) الكتاب ٤/٤٥٠

(٢) الأشباه والنظائر ١/١٨

(٣) مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التى أقرها مجمع اللغة العربية (مصطلحات علمى الأصوات واللغة) ٣/١٤٣

(٤) الأصوات اللغوية ٢١١ (٥) المرجع السابق ٢٤ يطلق عليها « الأصوات المائعة »

(٦) مجموعة المصطلحات العلمية ٣/١٤١

(٧) المرجع السابق ٣/١٤٣ .

(٨) انظر : دراسة الصوت اللغوى ٣٣٠

ونرجئ الثانى إلى ما بعد دراسة الحركات . والكلمات التى حدث تخالف فى أحد أصواتها الساكنة ، وعزيت إحدى الصيغتين إلى تميم ، وهى :

أيما ، وذانيك ، وسنبل ، ويغضى ، ولغن ، ويُمْلى ، والمنّ ، ودهده عند تميم ، وذلك فى مقابل : أمّا ، وذانّك ، ويغضض ، ولعل ، ويملل والمنا ، ودهدى عند غيرهم . أما سنبل فأصلها سَبَّل – كما سنبين – وإن لم يعز هذا الأصل لأحد .

والتغاير فى هذه الكلمات قد يكون حدث عند تميم . وقد تكون هى التى حافظت على الأصل وحدث التغاير عند غيرها . ونلاحظ أن الذى تم فى هذه الكلمات كلها من النوع غير المطرد .

أولا : التغاير عند تميم :

(أ) تغاير المجاورة :

١ – أيما :

« أيما » عند بنى تميم وشاركهم فى ذلك بنو عامر وذلك فى مقابل « أمّا »[١] فى اللغة المشتركة . وهذه الصيغة لم تكن عامة فى بنى تميم ، وإنما كانت لغة كثير منهم[٢] وبهذه اللغة أنشد بيت عمر بن أبى ربيعة (٩٣ هـ) :

رَأَتْ رجلا أَيْما إذا الشمسُ عارضَتْ
فَيَضْحَى وأَيما بالعَشِّى فيَخْصَرُ[٣]

وسنذكر عند الحديث عن « الكسر والفتح » أن تميما فتحت همزة « إمّا » التفصيلية ، فنطقتها كما تنطق الشرطية (أمّا) ، ولم يحدد العلماء الذين نصوا على قلب الميم الأولى ياء أنها خاصة بالشرطية أو التفصيلية . وإذا كان الشاهد الذى ذكرناه خاصاً بالشرطية ، فإن هناك شواهد خاصة بالتفصيلية ، منها قول الشاعر وإن كان مجهول القائل لدينا :

لا تفسدوا آبالكم أَيْمَا لنا أَيْمَا لكم[٤]

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٧/أ

(٢) انظر : مجمع البيان للطبرسى ٦٦/١ وقد نسب الفتح إلى « كثير من تميم » .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٧/أ والبيت فى الديوان ١٢١ برواية « أما » فى الموضعين (عارضت : قابلت والضمير محذوف أى « عارضته » – يخصر : يبرد « عن هامش الديوان ») .

(٤) همع الهوامع ١٣٥/٢ ، وشرح الدرر ١٨/٢٢

٢ ـ ذانِيك :

ذانِيك بدلا من ذانِّك بإبدال النون الثانية ياء مد ، وهو اسم إشارة للبعيد . وهذا الاسم نطق بعدة صور : ذانِ ، وذانِّ (بتشديد النون وكسرها) وقد نسبت هذه الصيغة أيضاً إلى تميم ـ وسنتناولها عند الحديث عن بنية الكلمة ـ وذانِّي وذانَى ، وذانِي [١] ، ويقول أبوحيان عن هذه الأخيرة : « فذانِيك بياء بعد النون المكسورة ، وهى لغة هذيل ، وقيل بل هى لغة تميم [٢] . وإذا كان الغالب ألاَّ تنطق القبيلة الواحدة بصيغتين فى آن واحد ، وإذا كان من العسير تحديد تطور النطق فى عصور الاحتجاج ونسبة كل صيغة إلى زمن معين فنحن أمام أحد احتمالين :

إما أن بعض فروع القبيلة تكلم بهذه الصيغة ، وبعضها بتلك .

وإما أن تكون قد تكلمت بإحدى الصيغتين ولم تتكلم بالأخرى ؛ وفى هذه الحالة نرجح أن تميما تكلمت بالصيغة المشددة ، وأن هذه الصيغة ـ التى نعرضها هنا والتى تأرجحت نسبتها ما بين بنى تميم وهذيل ـ هذلية وأن المراد بتميم إحدى البطون الهذلية ، نسبة إلى تميم بن سعد بن هذيل [٣] .

وهذه النسبة إلى هذيل لا تتعارض وما نسب إلى تميم من تغاير ؛ إذ إن هذه الظاهرة ليست خاصة بتميم دون غيرها من قبائل ـ وهذا واضح من دراسة القسم الثانى من هذا الموضوع ، وهو « التغاير عند غير بنى تميم » ـ بل ولا بالعربية فقط .

٣ ـ أَفْضَى :

ذكر الأصمعى أنه « يقال : لا يَفْضُضِ الله فاك ؛ وتميم وقيس ومن دنا منهم يقول : يُفْضِى الله فاك » [٤] وأصل الفعل فَضَّ يفُضّ بمعنى كسر [٥] ، ومنه الدعاء : لا يَفْضُضِ اللهُ فاك ، أى لا يكسر أسنانك [٦] . وهذا ما شاع فى اللغة المشتركة ـ كما يفهم من كلام الأصمعى ـ أما بنو تميم فكرهوا توالى الأمثال فأبدلوا بصوت التضعيف الثانى ياء مد .

(١) البحر ٧/١١٨ (٢) المرجع السابق .
(٣) انظر نسب هذا البطن فى : جمهرة أنساب العرب ٤٦٦
(٤) شرح ديوان العجاج ٩٣ (٥) المصباح (فضض) ٤٧٥
(٦) اللسان (فضض) ٩/٧٢

٤ ــ أملى :

يُمْلِى عند تميم وشاركتهم فى ذلك قيس فى مقابل يُمْلل عند الحجازيين وأسد ــ كما يذكر الفراء ــ [١] وتطور هذا الفعل عند تميم شبيه بالفعل السابق إذ الأصل « مَلّ » تطور إلى «أفعل» « عند أصحاب اللغتين واتخذ عند تميم طريق المخالفة بين المتماثلين .

وقد وردت اللغتان فى القرآن الكريم ، قال تعالى (فهى تُمْلَى عليه بكرة وأصيلا) [٢] وفق اللغة التميمية ، وقال جل شأنه (فليملل وليه بالعدل) [٣] كما كان يتكلم الحجازيون .

٥ ــ سنبل :

ونضم إلى الكلمات الأربعة السابقة التى عزيت صيغة المخالفة فيها إلى تميم هذا الفعل ، فقد نسب إلى تميم قولهم : سَنْبَل الزرعُ فى مقابل أسبل عند الحجازيين وبنى هميان [٤] . والجذر الثلاثى لهذا الفعل هو « سبل » تطور من الثلاثى عند الحجازيين إلى أسبل ، وعند التميميين إلى سنبل مارا بمرحلة أخرى سابقة هى سبّل (وإن لم ينص على ذلك أحد من اللغويين) بقلب أحد صوتى التضعيف إلى نون ، أحد الأصوات المتوسطة الشبيهة بأصوات اللين وهو تطور شبيه بتطور كلمة رز إلى رنز عند عبد القيس [٥] . والدليل على أن النون هو الصوت الطارئ بدل أحد صوتى التضعيف أنه يطلق على السنبلة فى السريانية šebbaltā المتطورة عن [٦] šebbultā كما يوافقها فى العبرية [٧]

šibbōlet שִׁבֹּלֶת

وأرجح أن من هذا الصنف الذى عرضناه كلمة « تَقَضَّى » عند تميم فى مقابل « تقضض » عند غيرهم ، وذلك لورودها فى قول العجاج التميمى :

* تَقَضِّىَ البازى إذا البازى كسر [٨] *

---

(١) اللسان (ملل) ١٤/١٥٤ والتاج (ملل) ٨/١٢٠

(٢) الفرقان ٢٥/٥

(٣) البقرة ٢/٢٨٢

(٤) التاج (سبل) ٧/٣٦٨

(٥) لسان العرب (أرز) ٧/١٦٩ ،وارتشاف الضرب ٢٨ أ

(٦) فقه اللغات السامية ٧٢ (الفقرة ١٣١)

(٧) التطور اللغوى ٣٨

(٨) شرح الديوان ٢٨ وهو العجاج بن رؤبة الراجز المشهور وهو أبو رؤبة الراجز . كان عالما باللغة وحشيها وغريبها ، توفى فى عهد الوليد بن عبد الملك (خزانة الأدب ١/٩٠ ، ومقدمة ديوانه للمحقق ٧)

(ب) تغاير المباعدة :

وهذا النوع نلاحظه فى نطق بعض التميميين لكلمة « لغن » فى مقابل لعل[١] فى اللغة المشتركة . وقد تناولنا عند الحديث عن الإبدال الحر التبادل بين الصوتين العين والغين . ونطق تميم اللام الثانية يعد من التغاير المتباعد لوجود فاصل بين اللامين ، وقد قلبت نونا لقرب مخرجى الصوتين واتحادهما صفة[٢] .

ثانيا : التغاير عند غير بنى تميم :

ويعنى هذا القسم قدم الصيغة التميمية وحداثة الأخرى :

(أ) تغاير المجاورة :

المَنّ :

ونلاحظ ذلك فى كلمة «المَنّ» ، وهو كيل أو ميزان يوزن به وقد تطورعند غيرهم إلى « المَنَا »[٣] بإبدال صوت التضعيف ألف مد .

(ب) تغاير المباعدة :

١ — هيهات :

يذكر يونس أن تميا كانت تقول : هيهات هيهات ، وأهل الحجاز يقولون : أيهات أيهات[٤] ، وإذا كانت تميم قد آثرت فى هذا اللفظ الهاء على الهمزة التى نطق بها الحجازيون. فالملاحظ أن الصيغة التميمية هى التى شاعت وأصبحت عضواً فى اللغة المشتركة بدليل استعمال القرآن الكريم لها فى قوله تعالى (هيهات هيهات لما توعدون)[٥] . ومعنى ذلك أن التطور كان عند أهل الحجاز ، وأنه تم بطريق التغاير ، فبعد أن كانت الكلمة تشتمل على صوتين من جنس واحد وهما الهاء والهاء قلب أولهما إلى صوت آخر ، وهو الهمزة وساعد على ذلك تقارب الصوتين الجديد والأصلى فى المخرج .

---

(١) اللسان (لغن) ٢٧٥/١٧ ، والتاج (لغن) ٣٣٥/٩

(٢) راجع ص ١١٣

(٣) اللسان (منى) ١٦٧/٢٠

(٤) المزهر ٢٩٨ / ب (خ) .

(٥) المؤمنون ٣٦/٢٣

٢ ــ دهده :

يقال : دهدهتُ الحجرَ ودهديتهُ . ونطق التميميون الصيغة الأولى وأهل العالية (أى الحجاز) الصيغة الثانية[1] وهو من المتباعد لوجود فاصل بين المتماثلين اللذين قلب ثانيهما ألف مد .

٣ ــ ماجاء على فعّل عند تميم وفاعل عند غيرهم :

ولا نحب أن نترك هذا الموضوع دون أن نقف وقفة سريعة مع ما جاء على « فعّل » عند تميم و « فاعل » عند غيرهم إذ إن هناك طائفة من الأفعال وردت على الوزن الأول عندهم وعلى الثانى عند غيرهم وهذه الأفعال هى : رأّى وراءى ، وصَعّر وصاعر ، وضعّف وضاعف . وتطور هذه الأفعال عند غير التميميين يحتمل أحد أمرين :

١ ــ أنها والتميمية تطورتا عن فعل ثلاثى ، واتجهت إحداهما إلى تضعيف العين عند تميم وإلى مضاعفة حركة الصوت الأول عند غيرهم .

٢ ــ أنها تطورت عن فعّل التميمية بطريق التغاير التخلفى المجاور ، وحينئذ تدخل هذه الأفعال فى موضوعنا هذا .

على أننا على أى من الاحتمالين سندرسها فى الباب التالى .

---

(١) المخصص ٢٨٧/١٣

(ج) بين التماثل والتغاير

نقل أبو حنيفة عن أبي عمرو أن « الدِّنْدن : أُصول الصِّلِّيان المُحيل في لغة تميم . وفي لغة بني أسد الدِّنْدم بالميم »[١] . وقد ذكرنا في الإبدال الحر الصلة بين الميم والنون التي تسوغ التبادل بينهما . وقلنا — هناك — : إننا نميل إلى تطور الصيغة النونية عن الميمية . لكن هذا الميل لا يرقى إلى درجة الترجيح فلذا لن نعالج هذه الكلمة معتبرين أيًّا من الصيغتين الأصل . غير أننا نحب أن نسجل أنه :

١ — إذا كانت الصيغة الأسدية هي الأصل ، فإن الصيغة التميمية تطورت بالتماثل ، بأن قلبت الميم نونًا لتماثل النون السابقة لها . وهذا تماثل كلي إتباعي منفصل .

٢ — إذا كانت الصيغة التميمية هي القدمى ، فالصيغة الأسدية تطورت بطريق التغاير . فبدلًا من وجود صوتين من جنس واحد في الكلمة خالف الثاني الأول وانتقل إلى صوت الميم الذي في الصيغة . وهذا تغاير تقدمي متباعد .

(د) الفصل بين الأمثال

من سنن العربية — كما قلنا — أنها تكرة توالي الأمثال . لذا لجأت إلى التغاير ، لكنه لم يكن الطريق الوحيد للهروب من اجتماع الأصوات المتماثلة . فقد ينشأ فاصل بين الصوتين يخفف من هذا الاجتماع[٢] . وقد لجأت تميم إلى هذا الطريق فعزلت بين الصوتين المتماثلين بأحد أصوات المد الثلاثة الألف في كلمة « شرار » وفيما يلي عرض لهذه الكلمة :

شَرار :

كانت تميم تقول : « شَرار » في مقابل « شَرَر » بمعنى ما يتطاير من النار متبددًا في كل جهة[٣] ، وإذا كانت الصيغة الثانية (شرر) لم تعز إلى قوم معينين : فلأنها هي التي كانت تنطق في اللغة المشتركة بدليل ورودها في القرآن الكريم والقراءة بها وحدها في قوله تعالى : (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ)[٤] . وورود الصيغة الأولى عند تميم وحدها دون بقية العرب يجعلنا نرى أنها الحديثة وأن التميميين زادوا الألف بين الصوتين المتماثلين كراهية توالي الأمثال.

---

(١) النبات ٥/١٧٥ ، وانظر : التكملة للصغاني (دمم) واللسان (دمدم) ١٥/٩٩ . (والصليات : نبت « اللسان — صلا — ١٩/٢٠٣ » ، والحيل : ما أتت عليه السنة « اللسان — حول — ١٣/٢٠٠ ») .

(٢) التطور اللغوى ٤٤ ، وانظر : اللغة لفندريس ٩١

(٣) البحر ٨/٤٠٢

(٤) المرسلات ٧٧/٣٢

ثانيا : بين أشباه أصوات اللين والحركات

لقد سهل علينا فى الأصوات الساكنة التمييز بين معظم الصيغ من حيث تطورها التاريخى ، فأمكننا أن ندرس ما يدخل تحت الإبدال التركيبى المبنى على ضرورة معرفة الصيغة القدمى والأخرى المتطورة عنها ، لكن تحقيق ذلك ليس من اليسير بالنسبة لأشباه أصوات اللين ، وكذلك بالنسبة للحركات . والحالات التى نستطيع الجزم بالحكم عليها قليلة بالنسبة لحالات الأصوات الساكنة . لذا سنضطر إلى دراستها كلها — دون تجزئتها كما فعلنا مع الأصوات الساكنة — مندرجة كلها تحت الإبدال الحر مشيرين فى أثناء هذه الدراسة إلى ما نراه يندرج تحت الإبدال التركيبى أو نرجح أنه منه ، محددين الصنف الذى ينتمى إليه . ومشيرين أيضًا إلى الصيغة القدمى — سواء أكانت تميمية أم غير تميمية — إن أمكن تحديدها .

ثم بعد أن ننتهى من هذه الدراسة نخصص عنوانًا للإبدال التركيبى (المقيد) فى أشباه أصوات اللين وفى الحركات فنشير إلى الكلمات التى رأينا أو رجحنا أنها تكونت عن طريق هذا النوع فى أثناء دراستنا إياها من قبل ، ونضم إليها أيضًا — دارسين — ما يندرج تحته مما لم ندرسه .

١ ــ الابدال الحر

(أ) بين أشباه أصوات اللين

(بين الواو والياء)

روى اللغويون لنا عدة كلمات نطقت بالواو والياء ، فإلى أى من الصوتين كان الاتجاه الغالب لتميم . لنعرض أولًا الكلمات التى وجدناها منسوبة إلى تميم ، ثم نناقشها لنصل إلى النهج الذى تسير عليه . وأحب أن أسجل أن هذه الكلمات بعضها أسماء وبعضها أفعال ومصادر . وراعيت فى الفعل أن يظهر فيه شبه صوت اللين (الواو أو الياء) وذلك بإسناده إلى ضمير الفاعل فتقول مثلًا : « ضَحَوْت » ؛ لأنه فى حالة عدم إسناده نقول : « ضحا » فيدخل فى دائرة الحركات الطويلة .

أولا ــ ايثار الواو :

عزى إلى تميم قولها : حَوْثَ ، وسوغ ، وضحوت ، وقَلَنْسُوة ، وقِنوة ، وذلك فى مقابل : حيثُ ، وسيغ ، وضحيْت ، وقَلنسِية ، وقُنْية ، وفيما يلى عرض لكل كلمة :

١ ــ حَوْثَ :

نقل الأزهرى عن صاحب العين أن للعرب فى « حَيْثُ »لغتين : الأولى : وهى العالية حيْثُ مضمومة الثاء والأخرى « حوْثَ » لبنى تميم[1] . ورغم ورود الكلمة فى القرآن الكريم ٣٤ أربعًا وثلاثين مرة[2] إلّا أنها لم تقرأ بالنهج التميمى – فيما أعلم – وهذا النطق الواوى لم يكن بالطبع نطق جميع التميميين ؛ لأنه وردت روايات أُخرى نسبت « حَيْثَ » بالياء وبفتح الثاء لبنى يربوع وطهية ــ وسنعرض لذلك عند الحديث عن الضم والفتح ــ ومرجعنا فى فتح الثاء من « حوثَ » تهذيب اللغة للأزهرى . أمّا ابن منظور – وهو ناقل عن

(*) هذا المصطلح يقابل (Semi - vowels) وقد استعمله الدكتور إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية ٤٢). ووضع الدكتور السعران بدله « أشباه الصوائت » (علم اللغة ١٩٧) ، ويرى الدكتور بشر أن يقال « أنصاف الحركات» (الأصوات ١٠٨ ، ١٧٠) واستعمل الدكتور أحمد مختار « أنصاف العلل » دراسة الصوت اللغوى ٢٦٧ ، ٢٨٣) .

(١) التهذيب (حيث) ٥/٢١٠ ، وانظر اللسان (حيث) ٢/٤٤٥

(٢) انظر : معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢٢١ ، ٢٢٢

التهذيب ـ فقد ضبطها بالضم[1] (حوثُ) على أنه ضبطها فى موضع آخر من المادة نفسها وهى مادة (حيث) بالضم والفتح (حوثُ) وذكر فى موضع ثالث (مادة حوث) « ومن العرب من يقول : حوثَ فيفتح »[2] .

وهذه الصيغة لم تكن خاصة بالتميميين دون سواهم ، فقد نسبت كذلك إلى طيئ ؛ بل إن اللحيانى قصرها عليهم ، جاء فى المحكم « حوْثُ لغة فى حيثُ إمّا لغة طيئ وإمّا لغة تميم ، وقال اللحيانى : هى لغة طيئ »[3] ونسبها كذلك مضمومة الثاء إليهم فقط ابن هشام فى مغنى اللبيب[4] والفيروزابادى فى القاموس[5] .

ونميل إلى أن « حوث » بضم الثاء لطيئ وبفتحها لتميم ، لاتفاق الفتح ونطق بطنين من تميم لها مفتوحة وبالياء ، كما سبق أن ذكرنا .

٢ ـ سوغ :

والسَّوْغ هو التالى ، يقال : هو سَوْغُه وهى أُخته سوغه ، إذا لم يكن بينهما ولد[6] . وسمع الفراءُ « رجلين من بنى تميم قال أحدهما : سوغه ، وقال الآخر : سوغته »[7] . وهناك صيغة أُخرى تحمل الدلالة نفسها وتنطق بالياء ، « قال المفضل : هو سوغ هذا وسيغ هذا بالواو والياء »[8] . وإذا كانت الواوية نسبت إلى بنى تميم فاليائية هى إذن لغيرهم .

٣ ـ ضحوت ضُحُوًّا :

ذكر الفراءُ أن « تميم تقول : ضَحَوْتُ للشمس أَضحو »[9] . ويذكر شَمِر الفعلَ التميمى ومصدره دون عزوه ويقارنه بفعل ذى صيغة أُخرى ، فيقول : « ضَحِى يضحى ضُحِيًّا

---

(١) اللسان (حيث) ٢/٤٤٥

(٢) المرجع السابق (حوث) ٢/٤٤٤

(٣) مادة (حوث) ٣/٣٨٤

(٤) ١/١١٦

(٥) مادة (حوث) ١/١٦٤

(٦) اللسان (سوغ) ٩/٣١٨

(٧) المرجع السابق .

(٨) المرجع السابق .

(٩) تهذيب اللغة (ضحا) ٥/١٥٢

وضحا يَضْحُو ضُحُوًّا[(١)] » . وهذا يعنى أن بنى تميم كانوا يقولون فى المصدر « ضُحُوًّا » بالواو وغيرهم كان ينطقه « ضُحِيًّا » بالياء .

٤ – قَلَنْسُوة :

وتنطق هذه الكلمة بالواو عند تميم فى مقابل قُلَنْسِية بالياء عند أهل الحجاز[(٢)] . وهى غطاء يلبس فى الرأس . ويرى الأب طوبيا العنيسى أن الكلمة معربة عن اليونانية kalyptra ومعناها الأصلى : غطاء رأس المرأة ، ثم أُطلق على النصيف يغطى به الاكليرس رءوسهم[(٣)] . وهذا التعريب سبب اختلاف العرب فى نطق الكلمة الذى وجدناه يختلف بين التميميين والحجازيين فى ثلاثة مواضع :

(ا) إيثار تميم الواو على الياء ، وهذا الذى يعنينا هنا .

(ب) نطقهم القاف مفتوحة فى حين أن الحجازيين ضموها .

(ج) ضمهم السين التى كسرها الحجازيون .

وسنتناول الظاهرتين الأخيرتين فى موضعيهما .

٥ – قِنْوة :

نطق التميميون قِنْوة فى مقابل قُنية عند الحجازيين[(٤)] ، وذلك بمعنى الكِسْبة . وهناك لغتان أُخريان ، هما : قُنوة وقِنية[(٥)] .

---

(١) تهذيب اللغة (ضحا) ٥/١٥١

(٢) المزهر ٢٩٨/ب وضبط . قلنسوة من اللسان (قلس) والقاموس (قلس) ٢/٢٤٠ وفيه : « إذا فتحت ضممت السين وإذا ضممت كسرتها » . واكتفى المزهر المطبوع بضبط الحروف الثلاثة الأولى من الصيغتين بفتح القاف واللام وسكون النون . وواضح أنه خطأ .

(٣) تفسير الألفاظ الدخيلة ٥٧

(٤) المزهر ٢٩٨ / ب

(٥) اللسان (قنا) ٢٠/٦٣

ثانيا : ايثار الياء :

(أ) المطرد :

١ ـ ما جاء على فعلى :

توطئــة :

القاعدة العامة فى كل لفظ جاء على « فُعْلى » أو « فَعْلى » وكانت لامه معتلة بالواو أو الياء :

أولًا : ما جاء على فُعْلى :

١ ـ إن كانت لامه معتلة بالواو :

(ا) تسلم هذه الواو إن كان اسمًا مثل حُزوى (اسم موضع) .

(ب) وإن كان صفة قلبت الواو ياءً مثل الدنيا والعليا . إلَّا ما شذ مثل القُصوى عند أهل الحجاز إذ بقيت لامها سالمة دون إقلاب .

٢ ـ وأما إن كانت معتلة بالياء فتسلم هذه الياء سواء أكانت :

(ا) فى اسم مثل فُتيا .

(ب) أم فى صفة مثل القُصيا مؤنث الأَقصى .

ثانيًا : ما جاء على فَعْلَى :

١ ـ إذا كانت اللام ياء :

(ا) قلبت واوا فى الاسم مثل تَقْوى وفتوى .

(ب) وسلمت فى الصفة مثل خَزْيا مؤنث خَزْيان .

٢ ـ وإذا كانت واوا بقيت اللام سالمة فى كل من :

(ا) الاسم مثل دَعْوى .

(ب) والصفة مثل نَشْوى[1] .

---

(١) شرح الأشمونى ٤/٣١٠ – ٣١٢ ، وانظر : شرح ابن عقيل ٢/٥٦٤ ، ٥٦٥

ولنعرض بعد ذلك الروايات الثلاث التالية :

١ ـ قال محمد بن السرى : أبو بكر بن السراج (ت ٣١٦ هـ) : « الدنيا مؤنثة مقصورة تكتب بالألف . هذه لغة نجد وتميم خاصة ، إلَّا أن أهل الحجاز وبنى أسد يلحقونها ونظائرها بالمصادر ذوات الواو ، فيقولون : دَنْوَى مثل شَرْوَى ، وكذلك يفعلون بكل فُعْلى موضع لامها واو يفتحون أولها [ويقلبون ياءها واوًا . وأمَّا أهل اللغة الأُولى فيضمون الدال] ويقلبون الواو ياءً ؛ لأنهم يستثقلون الضمة والواو »[١] .

٢ ـ جاء فى اللسان : « وفى الحديث : (ما هذه الفُتيا التى شَعَبْت بها الناسَ) أى فرَّقتهم . والمُخاطَب بهذا القول ابن عباس فى تحليل المتعة والمخاطِب له بذلك رجل من بلهجيم »[٢] .

٣ ـ قال ابن السكيت : « ما كان من النعوت مثل العُليا والدُّنيا فإنه يأْتى بضم أوله وبالياء لأنهم يستثقلون الواو مع ضمة أوله ، فليس فيه اختلاف إلَّا أن أهل الحجاز قالوا : القُصْوَى ، فأظهروا الواو ، وهو نادر وأَخرجوه على القياس إذ سكن ما قبل الواو . وتميم وغيرهم يقولون : القُصْيا »[٣] .

وبعد هذا التقديم ، فإن نظرة فى النصوص الخاصة بالوزن « فُعْلَى » يتبين لنا :

١ ـ إذا كان النص الأول يقرر أن المعتل اللام بالواو جاء على وزن « فُعلى » فإن تميمًا تضم الفاء وتقلب الواو ياء لعدم الجمع بين الضمة والواو ، وتقول : « دُنيا » على « فُعْلَى » أمَّا الحجازيون فيفتحون الفاء ويبقون على الواو ، فيقولون : « دَنوَى » على « فَعْلَى » وفق قاعدة أُخرى قياسية .

٢ ـ ووفقًا للقاعدة القياسية الخاصة بهذين الوزنين : (فُعْلَى ، وفَعْلَى) وجدنا الهُجَيْمى ـ كما فى النص الثانى ـ ينطق «فُتْيَا» بضم الفاء وبقلب الواو ياء ، ونطقت كذلك عند غيرهم « فَتْوَى » بفتح الفاء وسلامة الواو وفق قاعدة أُخرى .

---

(١) البحر ٢٨٢/١ وما بين القوسين المعقوفتين سقط من المطبعة وأثبتناه من المخطوطة ج ٢ (رقم ٥٤ تفسير) بدار الكتب المصرية .

(٢) اللسان (شعب) ٤٨٠/١

(٣) تهذيب اللغة (قصا) ٢١٩/٩ ، واللسان (قصا) ٤٤/٢٠ والتاج (قصا) ٢٩٥/١٠

٣ – وإذا كان التميميون قد قالوا : « القُصْيا » فضموا الفاء وقلبوا الواو ياءً ، وقال الحجازيون « القُصوى » – كما فى النص الثالث – فضموا الفاء وأبقوا الواو دون إقلاب ، فإن التميميين وفق القاعدة القياسية التى سار عليها العرب واستقرت عليها العربية والتى وضحناها فى التوطئة التى قدمنا بها لدراسة ما جاء على « فُعْلَى » عند تميم. وأمَّا الشذوذ فقد كان فى نطق الحجازيين. ولكنهم رغم هذا الشذوذ فإن لغتهم فى هذه الكلمة هى القدمى لمحافظتها على الواو وعدم إبدالها ، بخلاف الصورة التميمية ، فإنها الحديثة المتطورة .

ونلاحظ أن ما فعلته تميم من ضم الفاء وقلب الواو الواقعة لامًا ياءً تسير وفق قانون المخالفة.

٢ – باب وجل :

وهو كل فِعْل مثال من باب (فَعِل يفعَل) . والقاعدة الخاصة بهذا الباب – كما سنتناول ذلك مفصلا عند الحديث عن التلتلة – أن غير الحجازيين يكسرون حرف المضارعة عدا الياء فتفتح من كل فعل كان من باب « فَعِل يفعَل » لكن إذا كان من باب « وَجِل » وأسند للغائب ، فإن فيه أربع لغات ، وهذه اللغات الأربعة هى .

١ – يَوْجَل وهى لغة أهل الحجاز .

٢ – يَيْجَل وهى لغة تميم .

٣ – ياجل وهى لغة قيس[1] .

٤ – يِيجَل وهى لغة بنى أسد[2] .

والذى يعنينا هنا المقارنة بين اللغتين الحجازية الواوية (يَوْجل) والتميمية (يَيْجل) . ونلاحظ أن كلاً من اللغتين راعت فى هذا الفعل قاعدة لغتها ، فكلاهما فتح حرف المضارعة

---

(١) الجيم ٣/٣٠٥

(٢) ذكر الجوهرى هذه اللغات الأربعة ، ونسب الرابعة فقط لأسد (انظر الصحاح « وجل » ٥/١٨٤٠) لكن سرقسطى نقلا عن أبى زيد نسبها إلى قشير وعقيل (الأفعال ٤ « القسم الأول /٢٧٠ » وهما بطنان من قيس ، راجع : جمهرة ابن حزم ٤٨٢) .

الياء إلّا أن الحجازية حافظت على الواو (فاء الكلمة) أمّا التميمية فقلبتهاياءً . وقد علل سيبويه ذلك بكراهية الجمع بين الواو والياء[1] وهذا تماثل إتباعى منفصل ، لوجود فاصل بين الواو والياء فى يَوْجل . وهوالفتحة القصيرة .

(ب) غير المطرد :

نطق التميميون خمسة ألفاظ بالياء نطقها غيرهم بالواو ، هى : حِفاية ، وأُسَيِّد ، وقَلَيْت ، وقُنيان ، وهدايا . وفيما يلى عرض لكل منها :

١ ـ حِفاية :

يقال : حفى بالرجل حَفَاوَة وحِفَاوة وحِفاية : بالغ فى إكرامه[2] . وقد عُزى المصدر الثالث وهو اليائى إلى تميم[3] . ونلاحظ أن الصيغة التميمية تكونت بالتماثل المنفصل وهو تماثل كلى لاتفاق الياء والكسر فى الجنس .

٢ ـ أُسيد :

أُسَيِّد وأُسَيْود تصغير أسود . واختار التميميون الصيغة الأُولى فسموا بها ، فبَنُو أُسَيِّد نسبة إلى أُسَيِّد بن عمرو بن تميم[4] . وصنيع تميم من التماثل الإتباعى المتصل .

٣ ـ قَلَيْت قَلْيا :

ذكر اليزيدى (ت ٢٠٢ هـ) فى نوادره أن « أهل الحجاز » يقولون : « قَلَوْت البُرَّ . وكلُّ شىءٍ يُقلى فأنا أقلوه قَلْوًا ، وتميم : قَلَيْت البر فأنا أقليه قَلْيًا . وكلهم فى البغض سواء يقولون : قَلَيْتُ الرجلَ ، فأنا أقليه قليًا »[5] . وإذا كانت تميم قد اختارت الياء وآثرتها على الواو التى هى للحجازيين ، وذلك فى إحدى دلالتى الكلمة ، وهى وضع الحب على النار ، فإن هذا يجعلنا نميل إلى أن الصيغة التميمية هى القدمى ، وأن التطور أصاب الحجازية لاتفاق اللغتين فى استعمال اليائية فى دلالة أُخرى هى البغض .

---

(١) الكتاب ٢/٢٥٧ ٤/١١١ وسيبويه لم يحدد إلا الناطقين بالواو وهم أهل الحجاز أما اللغات الثلاث الأخرى فلم يعزها .

(٢) اللسان (حفى) ١٨/٢٠٣ (٣) الأفعال للسرقسطى ١/٣٧٥

(٤) الاشتقاق ٢٠٦ (٥) المزهر ٢/٢٧٧

٤ ـ قُنْيان :

القِنْو : حمل الكِبَاسَة[1] ، أى عُنْقود النخل[2] . وقد نطق العرب جمع هذا اللفظ بصيغ أربع فقال الحجازيون : قِنوان ، وقالت قيس : قُنوان ، وهو عند تميم وضبة قُنيان[3] وعند كلب قِنيان[4] . ونلاحظ أن الصيغتين الحجازية والتميمية تمتا بطريق التغاير ، فمن ضم أول الكلمة اختار الياء ، ومن كسره نطق بالواو . وذلك بخلاف قيس التى جمعت بين الضمة والواو وكلب التى جمعت بين الكسرة والياء ، وهو عند كل منهما تماثل كلى .

وإذا كان الجمع نطقت لامه واوا وياء ، فإن العرب يجتمعون فى المفرد فيقولون : قِنْو ، وقُنْو (بالواو) ولا يقولون : قِنْى (بالياء)[5] . ومعنى هذا أن الصيغة التميمية حديثة ، تطورت عن القيسية بالتغاير الكلى المتباعد .

٥ ـ هدايا :

يذكر أبو زيد أن الهَداوَى لغة عليَا مَعَدّ ولغة سفلاها الهدايا[6] . وإذا كان أبو زيد لم ينسب هدايا إلى تميم صراحة ، وإنما عزاها إلى سفلى معد . وهذه النسبة أشبه بسفلى مضر التى تعنى المضريين المقيمين فى نجد ، وإن كان التعبير بسفلى معد أوسع لاشتماله على بنى مضر وبنى ربيعة ؛ لأن معدا جد لكل منهما فهما ابنا نزار بن مَعَدّ[7] . أمّا عليَا معد فالمراد بهم بنو مضر وربيعة المقيمون بالحجاز ، وإن كنت أرى أن المراد هنا كل المقيمين بالحجاز سواء أكانوا ممن ينتمون إلى معد أو غيرهم ممن ينتمون إلى اليمن كالأنصار ، ودليلنا على ذلك عزو هداوى فى موضع آخر من كل من التهذيب واللسان إلى أهل المدينة[8] .

---

(١) المصباح (قنا) ٥١٨

(٢) المرجع السابق (كبس) ٥٢٤

(٣) تهذيب اللغة (قنا) ٩/٣١٥ ، واللسان (قنا) ٢٠/٦٧

(٤) اللسان (قنا) ٢٠/٦٧

(٥) اللسان (قنا) ٢٠/٦٧

(٦) تهذيب اللغة (هدى) ٦/٣٨٢ ، واللسان (هدى) ٢٠/٢٣٣

(٧) جمهرة أنساب العرب ١٠

(٨) التهذيب ٦/٣٨٢ ، واللسان (هدى) ٢٠/٢٣٣

وهدايا وهداوى مفردهما هديَّة على وزن فَعِيلة والجمع الغالب لهذا الوزن وغيره من كل اسم رباعى قبل آخره مدة ومختتم بتاء تأْنيث هو فعائل[(١)] ، وأصل هدايا هدائىُ ثم دخلها الإعلال فصارت إلى هذه الصورة .

نخلص مما تقدم أن الصيغة التميمية توافق ما سارت عليه اللغة المشتركة ، وأمَّا الخروج على النهج العام للعربية فهو خاص بالصيغة الأُخرى (هداوَى) .

النفسير الصوتى :

يرى القدماء أن مخرج الواو مما "بين الشفتين[(٢)] ، وأن الياء من وسط اللسان بينه "وبين الحنك الأعلى[(٣)] فهما على هذا متباعدان مخرجًا مما يجعل شرط التبادل منعدمًا .

لكن المحدثين عالجوا مخرج الواو من زاوية أُخرى غير التى نظر إليها القدماء ، إذ جعلوا مدار تحديد المخرج على حركة اللسان وقرب أَحد أجزائه من الحنك الأعلى ، فمخرج الواو عندهم هو أَقصى اللسان حين يقترب من أَقصى الحنك ويصحب ذلك استدارة الشفتين[(٤)] ؛ أَمَّا الياء فيوافقون القدماء فى تحديدهم[(٥)] وهم فى هذا يعتمدون على جونز فى وصفه[(٦)] لهما . يضاف إلى ذلك أن الصوتين يتفقان فى الجهارة[(٧)] .

ومن القدماء من لاحظ أن مخرج الواو ليس مقصورًا على الشفة ، يقول المبرد : « والشفة مخرج الواو والباء والميم ، إلَّا أن الواو تهوى فى الفم حتى تتصل بمخرج الطاء والضاد وتتفشى حتى تتصل بمخرج اللام »[(٨)] .

---

(١) ينقل ابن سيده تعليل القدامى تطور هذه الكلمة فيقول : «أما هدايا فعلى القياس أصلها هدائى [بضم الباء] ، ثم كرهت الضمة على الياء فأسكنت فقيل هدائى ثم قلبت الياء ألفا استخفافا لمكان الجمع فقيل هداءا كما أبدلوها فى مدارى [بفتح الراء] ولا حرف علة هناك إلا الياء — ثم كرهوا همزة بين ألفين لأن الهمزة بمنزلة الألف إذ ليس حرف أقرب إليها منها فيصورها ثلاث همزات ، فأبدلوا من الهمزة ياء لخفتها ولأنه ليس حرف بعد الألف بأقرب إلى الهمزة من الياء ولا سبيل إلى الألف لاجتماع ثلاث ألفات فلزمت الياء بدلا . ومن قال هداوى [بفتح الواو] أبدل الهمزة واوا لأنهم قد يبدلونها منها كثيرا » (المحكم ٤/٢٦٩ وعنه نقل اللسان ٢٠/٢٣٣) .

(٢) الكتاب ٤/٤٣٣ (٣) المرجع السابق

(٤) الأصوات اللغوية ٤٣ (٥) المرجع السابق

(٦) Jones, An out line of English phonetics p.191, 194.

(٧) الكتاب ٤/٤٣٤ ، والأصوات اللغوية ٣٦ ، والأصوات للدكتور بشر ١٧١

(٨) المقتضب ١/٣٣٠

التبادل بين هذين الصوتين إذن تجيزه القوانين الصوتية . وفى كتب اللغة عديد من الكلمات حدث فيها التبادل بينهما وإن لم تنسب إحدى الصيغتين إلى قوم معينين .

وباستعراض الكلمات التى عثرنا عليها منسوبة إلى تميم وخالفت غيرها فى الواو أو الياء يتبين لنا أنها :

أولًا : بالنسبة للواو : آثرتها فى خمس كلمات هى : حوث (عند بعض التميميين) وسوغ ، والفعل ضحوت ومصدره ضُحُوّ ، وقلنسوة ، وقِنوة .

ثانيًا : بالنسبة للياء : اتجهت إليها فى :

(ا) حالتين قياسيتين هما :

١ ـ المعتل اللام بالواو مما جاء على « فُعْلَى » بقلب واوه ياء ، فى حين إن الحجازيين نطقوه على « فَعْلَى » بفتح الفاء واللام .

٢ ـ فاء المضارع من باب (فَعِل يفعَل = وجل) المثال المسند للغائب وقد حافظ الحجازيون على الواو .

(ب) فى خمس كلمات مفردة هى :

حِفاية ، وأُسيِّد ، والفعل قَلَيْت ومصدره قَلْيا ، وقُنيان ، وهدايا .

ونلاحظ أن إحدى هذه الكلمات وهى هدايا وافقت فيها تميم اللغة المشتركة وخالفتها الحجازية .

ومن هذا العرض يتبين أن تميمًا آثرت الياء على الواو وهذا بخلاف ما قرره بعض العلماء المحدثين[1] .

وللتعقيب بقية عند الحديث عن (الضم والكسر) .

---

(١) انظر : التعاقب والمعاقبة للدكتور أحمد علم الدين الجندى (مجلة مجمع اللغة العربية) ٤٠/١١٥

(ب) بين الحركات

اولا – الحركات القصيرة

خالفت تميم غيرها فى ضبط طائفة من الكلمات ما بين ضم وكسر ، وكسر وفتح ، وضم وفتح لأحد أصواتها ، وسنعرض لكل وجه من أوجه الخلاف لنعرف إلى أيها اتجهت .

ولن نتعرض هنا للأفعال ؛ لأننا نلاحظ أن حركة عين الفعل تحكمها المغايرة فى كثير من الأحيان ، فما كان مكسورًا فى الماضى يكون فى المضارع مفتوحًا فى الغالب وبالعكس(١) . فلو أردنا هنا وضع اعتبار لحركة العين فى كل من الماضى والمضارع لوقعنا فى اضطراب . ولنكتف بدراسته فى موضوع مستقل (مستقبل الفعل الثلاثى) فى الباب التالى .

وسنبدأ بالمطرد ثم نثنى بغير المطرد مراعين فى ترتيب الكلمات النظام الهجائى ، إلّا إذا وجدت ألفاظ أخرى ذات صلة بلفظ ما كاشتراكه معه فى الوزن . وهذا النوع الأخير سنجعله فى مقدمة غير المطرد لاحتمال أن يكون من المطرد .

١ – بين الضم والكسر

(ا) الميل الى الضم :

أولا – شبه المطرد :

١ – ٧ : ما جاء على « فُعْلة » عند تميم و « فِعْلة » عند غيرهم :

١ – ٤ : أُسوة وعدوة وعشوة وقدوة : ذكر اليزيدى (ت ٢٠٢ هـ) فى نوادره أن أهل الحجاز كانوا يقولون : « تركته بتلك العدوة ، وأوطأته عِشوة ، ولى بك إسوة وقِدوة وتميم تضم أولئك الأربعة »(٢) . وفيما يلى حديث خاص عن كل كلمة من الكلمات الأربعة التى ضمت تميم أوائلها وكسرها الحجازيون متناولين إياها وفق الترتيب الهجائى :

(١) انظر : « مستقبل الفعل الثلاثى » فى الباب التالى .

(٢) المزهر ٢٩٩/أ (خ) = ٢٧٧/٢ (ط) وضبط « العدوة » و «عشوة » بالفتح .

١ ـ أُسوة :

وهى بمعنى القدوة[١] ، ونسب الضم أيضًا إلى قيس بجانب تميم[٢] . وقد وردت فى كتاب الله ثلاث مرات إحداها فى سورة الأحزاب[٣] فى قوله تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) والأخريان فى سورة الممتحنة[٤] .

وقد قرأ وفق النهج التميمى (أُسْوة) بضم الهمزة فى الايات الثلاث عاصم[٥] من السبعة والأعمش[٦] من الأربعة عشر .

٢ ـ عُدوة :

العُدْوة : جانب الوادى[٧] ، وقد وردت فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : (إِذْ أَنْتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى)[٨] . وقد قرأ باللغة التميمية من الأربعة عشر (عُدْوة) نافع ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة والكسائى ، وأبو جعفر ، وخلف والأعمش[٩] .

وهناك لغة ثالثة هى العَدْوة (بالفتح) سنذكرها عند الحديث عن الضم والفتح .

---

(١) اللسان (أسا) ٣٧/١٨

(٢) إتحاف ٣٥٤

(٣) ٢١/٣٣

(٤) الآيتان ٤ ، ٦

(٥) التيسير ١٧٨ وهو أبو بكر عاصم بن أبى النجود بهدلة الأسدى ولاء ، شيخ قراء الكوفة وأحد السبعة . روى عن زر بن حبيش ، وروى عنه حفص وغيره . توفى سنة ١٢٩ هـ (معرفة القراء الكبار ٧٣/١ — ٧٧) .

(٦) إتحاف ٣٥٥

(٧) اللسان (عدا) ٢٦٧/١٩

(٨) الأنفال ٤٢/٨

(٩) انظر : إتحاف ٢٣٧ ، وفيما يلى تعريف بمن لم يسبق ترجمته من القراء :

(أ) نافع : هو نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم المدنى أحد القراء السبعة المشهورين أخذ القراءة عن الأعرج وأبى جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح وروى عنه سليمان بن مسلم بن جماز والأصمعى وعثمان بن سعيد الملقب بورش توفى سنة ١٦٩ (السبعة فى القراءات ٥٣—٦٤) .

(ب) ابن عامر : هو عبد الله بن عامر اليحصبى إمام القراءة فى الشام وأحد القراء السبعة تابعى توفى سنة ١١٨ هـ (التيسير ٥ ، ٦ ، ومعرفة القراء الكبار ٦٧/١ — ٧٠) .

٣ ـ عُشْوة :

ومعنى هذه الكلمة ركوب الأمر على غير بيان[١] وأوطأه عُشوة أى حمله على أن يركب أمرًا غير مستبين الرشد ، وربما كان فيه عَطَبُه[٢] .

وفى الكلمة لغة ثالثة سنعرض لها عند الحديث عن « الضم والفتح » .

٤ ـ قُدْوة :

وهى بمعنى فَعَل مثل فِعْل غيره تَأَسِّيًا به[٣] . ويبدو أن اللغة التميمية هى التى شاعت وأخذت بها اللغة المشتركة ، بدليل قول الفيومى : « والضم أكثر من الكسر »[٤] .

٥ ـ رُفْقَة :

الرفقة : الجماعة يرافقون فى السفر ولا يفترقون[٥] . وعزا الفراءُ ضم رائِها إلى تميم وكسرها إلى قيس[٦] . وقد أكد الفيومى وابن منظور نسبة اللغتين إلى أصحابهما[٧] . وكما أن تميمًا اختلفت عن قيس فى نطق هذين اللفظين وهما مفردان (اسم جمع) فإنها اختلفت عنها فى صيغة الجمع أيضًا فقالت تميم : رُفَق وقالت قيس : رِفَق إلى جانب رفاق عند الاثنين[٨] :

٦ ـ غُلظة :

وقد نطقته تميم ـ كما قال الفراءُ (ت سنة ٢٠٧ هـ) ـ بضم الغين ونطقه الحجازيون وكذلك بنو أسد بكسرها[٩] . وورد اللفظ فى قوله تعالى : (ولْيَجِدُوا فِيكُم غِلظَة)[١٠] ولكنه لم يقرأ وفق النطق التميمى (غُلظة) إلَّا فى الشاذ من القراءات ، قرأ به أبان بن تغلب[١١] .

---

(١) اللسان (عشا) ١٩/٢٨٩ — (٢) المرجع السابق

(٣) المصباح (قدو) ٤٩٤ — (٤) المرجع السابق

(٥) انظر : اللسان (رفق) ١١/٤١٠ — (٦) إصلاح المنطق ١٣٠

(٧) المصباح ٤٩٤ ، واللسان (رفق) ١١/٤١٠

(٨) انظر : اللسان (رفق) ١١/٤١٠

(٩) إعراب القرآن للنحاس ٩٠/ب وانظر إصلاح المنطق ١٣٠ عن الفراء، وعزى فيه الكسر إلى « قيس » فقط

(١٠) التوبة ٩/١٢٣

(١١) مختصر فى شواذ القرآن ٥٥، ٥٦ ، وهو أبو سعد أبان بن تغلب الربعى الكوفى . قرأ على عاصم والأعمش وتوفى سنة ١٤١ هـ وقيل سنة ١٥٣ هـ (غاية النهاية ١/٤) .

وفى اللفظ لغة ثالثة بفتح الغين سنعرض لها عند الحديث عن « الضم والفتح » .

٧ـ مُرْية :

ذكر يونس (ت سنة ١٨٣ هـ) فى نوادره أن « أهل الحجاز مِرية وتميم مُرية »[١] وإذا كان يونس لم يحدد المراد بالمرية فإننا إذا رجعنا إلى المعاجم نجدها تستعملها بمعنيين :

(ا) الشك والجدل ، وضُبطت بضم الميم وكسرها ، وذكر ثعلب (ت سنة ٢٩١هـ) أنهما لغتان دون عزوهما[٢] .

(ب) المسح على ضرْع الناقة لتدر اللبن . وذكر أيضًا بالضم والكسر وإن كان الضم هو الأعلى . لكن ثعلبًا أنكر الضم ورد عليه ابن برى — (ت سنة ٥٨٢ هـ) نقلًا عن ابن دريد (ت سنة ٣٢١ هـ) بأن الضم هو اللغة العالية واستشهد على ذلك بقول الشاعر :

شامذًا تتقِى المُبِسَّ على المُرْ يَة كرْهًا بالصِّرف ذى الطُّلاءِ[٣]

فى الأُسلوب الأَدبى :

(ا) وبالمعنى الأَول ورد اللفظ فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : (فَلَا تكُ فِى مِرْيَة مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ)[٤] . وقد قرأ الجمهور بالكسر . أَمَّا اللغة التميمية فقد قرأ بها الحسن[٥] والسلمى وأبو رجاء وأبو الخطاب السدوسى[٦] . ونسب أبو حيان وصاحب الإتحاف الضم إلى أسد بالإضافة إلى تميم عند عرض هذه الآية[٧] .

---

(١) المزهر ٢٩٨/ب (خ) = ٢٧٦/٢ (ط) . (٢) اللسان (مرا) ١٤٦/٢٠

(٣) المرجع السابق (والشاعر هنا يشبه الحرباء بناقة قد شمذت بذنبها أى رفعته، والصرف : صبغ أحمر، والطلاء : الدم — المرجع السابق » والمبس : الذى يدر الناقة للحلب ، انظر : اللسان « بسس » ٣٢٥/٧) .

(٤) هود ١٠٩/١١

(٥) البحر ٢١١/٥، وإتحاف ٢٥٥ ، وهو الحسن بن يسار البصرى ، قرأ على حطان الرقاشى عن أبى موسى الأشعرى توفى سنة ١١٠ هـ (غاية النهاية ٢٣٥/١) . وهو أحد القراء الأربعة عشر (إتحاف ٧) .

(٦) البحر ٢١١/٥ ، وفيما يلى تعريف بهؤلاء القراء الثلاثة :

(أ) السلمى : هو أبو عبدالرحمن عبدالله بن حبيب بن ربيعة السلمى الضرير ولد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وكان قارىء الكوفة . توفى سنة ٧٤ هـ (غاية النهاية ٤١٣/١) .

(ب) أبو رجاء : هو عمران بن تيم ـ وقيل ابن ملحان أبو رجاء العطاردى البصرى أسلم فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره . تلقن القرآن عن أبى موسى . توفى سنة ١٠٥ هـ (غاية النهاية ٦٠٤/١) .

(ج) أبو الخطاب السدوسى : هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسى البصرى ، روى القراءة عن أنس بن مالك وتوفى ١١٧ هـ (غاية النهاية ٢٥/٢ ، ٢٦) . (٧) البحر ٢١١/٥ ، وإتحاف ٢٥٥

(ب) أما استعمال اللفظ بالمعنى الآخر وفق اللغة التميمية فى الأُسلوب الأَدبى فقد عرضنا من قبل بيتًا ذكرنا أنه ورد فيه مضمومًا ، أى كما كان ينطقه التميميون .

٨ – ١٠ : فُعلان عند تميم وفِعْلان عند الحجازيين (رُضوان – صُنوان – قُنيان) :

٨ – رُضوان :

ضمت تميم الراء من هذا اللفظ وشاركتها فيه قيس واختار الحجازيون الكسر[١] وهو الذى شاع بدليل أن اللفظ ورد فى القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة[٢] وقد قرأه القراءُ الأَربعة عشر فى جميع مواضعه بالكسرة سوى الحسن الذى قرأ بالضم ، وأبى بكر بن عَيّاش الذى قرأها هو الآخر بالضم ما عدا فى قوله تعالى : (يَهْدِى بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ)[٣] ، فقد روى عنه الضم والكسر[٤] .

٩ – صُنوان :

ذكر الفراءُ أن « صنوان بالضم لغة تميم وقيس والكسر لغة أهل الحجاز »[٥] والصِّنوان جمع صِنْو ، وهو المِثْل ، وكذلك الفرع يجمعه وآخر أصل واحد[٦] أو أكثر[٧] ، وقيل : إنه اسم جمع لا جمع تكسير ؛ لأَنه ليس من أبنيته[٨] ، وقد استعمل القرآن الكريم هذا اللفظ فى قوله تعالى : (وَفِى الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ

---

(١) التبيان ٤١٣/٢ وانظر : المصباح ٢٢٩ ولم ينسب الكسر والبحر المحيط ٣٩٨/٢ وعزا الضم أيضا لبكر .

(٢) انظر : معجم ألفاظ القرآن الكريم ٣٣٢

(٣) المائدة ١٦/٥

(٤) إتحاف ١٧٢ وهو أبو بكر شعبة بن عياش الأسدى بالولاء من قراء الكوفة وأحد راويى عاصم. توفى بالكوفة ١٩٤هـ (التيسير ٧) وقيل ١٩٣ هـ (غاية النهاية ٣٢٧/١) .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١٠٦ / ب وانظر : المحتسب ٣٥١/١ ، والبحر ٣٥٧/٥ (دون عزو للفراء فى المرجعين الأخيرين) .

(٦) البحر ٣٥٧/٥

(٧) اللسان (صنا) ٢٠٤/١٩

(٨) البحر ٣٥٧/٥

صِنْوان وَغيْر صِنْوَان)[١] . وقرأ جمهور القراء وفق اللغة الحجازية[٢] . أمّا اللغة التميمية فلم يقرأ بها إلّا فى الشواذ : قرأ بها أبو عبد الرحمن السلمى[٣] وحفص عن عاصم[٤] .

١٠ ـ قُنيان :

القُنوة الكِباسة[٥] ، وهى عنقود النخل[٦] . وفى جمعه أربع صيغ ، هى : قُنوان ، وقُنيان (جمع قُنو) ، وقِنوان وقِنيان (جمع قِنو) ، ونسبت الصيغة الأُولى إلى قيس والثانية إلى تميم وضبة ، والثالثة إلى الحجازيين ، والرابعة إلى كلب[٧] .

ويعنينا هنا أن التميميين ومعهم بنو ضبة ضموا أول الكلمة التى كسرها الكلبيون والحجازيون ، وإن اشتملت الكلمة على خلاف آخر بالنسبة للصيغة الحجازية التى نطقت عندهم بالواو بدلًا من الياء . ولهذا الخلاف موضع آخر تحدثنا عنه تحت عنوان « بين أشباه أصوات اللين » وبالصيغة التميمية أنشد الفراءُ قول الشاعر :

* ومالَ بقُنْيان من البُسْرِ أحمرا *[٨]

١١ ـ ١٣ : ما جاءَ على « فُعُول » معتل اللام : (عُصِى ـ دُلِى ـ قُسِىّ) :

١١ ـ عُصِىّ :

فى هذه الكلمة لغتان : إحداهما بضم العين وكسر الصاد (عُصِى) ، والثانية بكسرهما (عِصِى) وعزا هارون القارئ الأُولى إلى بنى تميم[٩] ، وشاعت الثانية فى اللغة المشتركة ،

---

(١) الرعد ٤/١٣

(٢) لم يشر إلى اختلاف القراءة فى الكتب الخاصة بالقراءات السبع كالتيسير للدانى (انظر ١٣١) والقراءات العشر كتحبير التيسير (انظر ١٢٧) ، والأربعة عشر كإتحاف فضلاء البشر (انظر : ٢٦٩) .

(٣) المحتسب ٣٥١/١ ، ومختصر فى شواذ القرآن ٦٦

(٤) مختصر فى شواذ القرآن ٦٦ وهو حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدى البزاز من قراء الكوفة وأحد راويي عاصم توفى سنة ١٩٠ هـ (التيسير ٦) .

(٥) اللسان (قنا) ٦٧/٢٠

(٦) المصباح (كبس) ٥٢٤

(٧) اللسان (قنا) ٦٧/٢٠

(٨) اللسان (قنا) ٦٧/٢٠

(٩) إعراب القرآن للنحاس ١٣١/ب وهارون بن موسى من قراء البصرة مات قبل المئتين (غاية النهاية ٣٤٨/٢)

إذ قرأ بها جمهور القراء قوله تعالى : (قال بَلْ أَلْقُوا فإذا حِبَالُهم وعِصِيهم يُخَيَّلُ إليْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعَى)[١] ، وقوله : (فأَلْقَوا حِبَالَهُمْ وعِصِيهم)[٢] . أَمَّا اللغة التميمية (عُصِى) فلم يقرأ بها من القراء الأربعة عشر سوى الحسن[٣] .

و « عُصِى » جمع عَصَا على وزن « فُعُول » وجمع « فَعَل » على «فُعُول » وإن كان قليلًا ، فإن له نظائر مثل أَسَد وأُسود[٤] ، فأَصل الكلمة إذن عُصُوو قلبت الواو الثانية لتطرفها ياء[٥] . ثم كسرت الصاد لتناسب الياء فأصبحت الكلمة عُصِى كما هو الشأن عند تميم . ثم تطورت الكلمة بعد ذلك بأَن كسرت العين لتتابع كسرة الصاد ، وقد قرر ذلك النحاس ، فقال : « من كسر أَتبع الكسرة الكسرة »[٦] . وهذا تماثل كلى تخلفى منفصل . الصورة الأَخيرة هى التى سادت فى اللغة المشتركة كما قلنا ، فالصورة التميمية تمثل إذن من الوجهة التاريخية مرحلة أقدم من المشتركة[٧] .

١٢ ، ١٣ – دُلِىّ وقُسِىّ :

يضيف القرطبى (ت سنة ٦٧١ هـ) إلى عصى كلمتين أُخريين فيقول : « ونحوه [أى عُصِى] دُلِىّ ودِلِىّ وقُسِىّ وقِسِى »[٨] وواضح أن أصل الكلمتين « دُلُوو » و « قُسُوو » على « فُعول » بعد القلب المكانى من قووس ، وأنهما مرتا بالمراحل التى مرت بها « عصى » إلَّا أَن « قِسِى » مرت بمرحلة أُخرى سابقة إذ حدث بها قلب مكانى ؛ لأَن المفرد « قوْس » فبجمعه على « فُعول » يكون « قُووُس » .

ونميل إلى أن ذلك كان قاعدة فى كل ما لامه حرف علة وورد بصيغتين فُعُول وفِعول

---

(١) طه ٢٠/٦٦

(٢) الشعراء ٢٦/٤٤

(٣) إتحاف ٣٠٤ ، وانظر : بشأن الآية الأولى : إعراب القرآن للنحاس ١٣١ / ب

(٤) انظر : شرح ابن عقيل ٢/٤٦٦

(٥) الشافية (ضمن شرحها) ٣/١٦١

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١٣١ / ب ، وانظر تفسير القرطبى ١١/٢٢٢ (دون عزو للنحاس) .

(٧) أى أن الكلمة مرت بالمراحل التالية عُصُوو — عُصُوى عُصُيى عُصِىّ (التميمية) عِصِىّ (المشتركة) .

(٨) الجامع لأحكام القرآن ١١/٢٢٢

بضم الفاء وكسرها دون عزو إلى الناطقين بهما وذلك مثل ثُدِىّ وثِدِىّ جمع ثدْى،[١] فيعزى الضم وهو الأَقدم إلى تميم ، والكسر إلى اللغة المشتركة ، وهو الأَحدث .

ويرى صاحب « لهجة تميم » أن نطق تميم لهذه الكلمات الثلاث (بضم أولها وكسر ثانيها) يتنافى ونهجها فى الميل إلى الإتباع ، وكذلك التخفيف[٢] ، أى إسكان الصوت الثانى من الكلمة .

أما الإتباع فلم يكن خاصًا ببنى تميم ، بل كان عندهم وعند غيرهم ، وهى فى ميلها إلى التماثل مالت إلى التخالف فى كلمات أُخرى .

وأما بالنسبة للتخفيف – كما سنرى – فقد كانت تميم تخفف الكلمات التى تشتمل على ثلاثة أصوات متحركة ليس أولها وثانيها متحركين بالفتحة . وعُصِى وماشابهها لم تشتمل إلّا على صوتين متحركين ، فلا تنطبق عليها شروط التخفيف .

ثانيا – (١٤ – ٢٣) : ما جاء على غير أوزان : « فُعلة » و « فُعلان » و « فُعول » :

١٤ – بُسْط :

البِسْط (بكسر الباء) : الناقة التى تترك وولدها لا يمنع منها ولا تعطف على غيره[٣] . وفى اللفظ لغتان أُخريان فيذكر الفراءُ (ت سنة ٢٠٧ هـ) أن بنى تميم كانوا يقولونها « بُسْط » (بضم الباء) ، كما يذكر الكسائى أن بنى أسد كانوا ينطقونها بضمتين أى بُسُط[٤] .

١٥ – بُطاح :

يذكر ابن دريد (ت سنة ٣٢١ هـ) أن « بُطاح : موضع من بلاد بنى تميم ، ويقال : بِطاح أيضًا ، وهو الموضع الذى قاتل فيه خالد بن الوليد أهل الردة »[٥] .

---

(١) لسان العرب (ثدى) ١١٧/١٨

(٢) لهجة تميم ١٤٥

(٣) اللسان (بسط) ١٢٨/٩

(٤) التكملة (بسط) ١٠٧/٤

(٥) جمهرة اللغة ٢٢٥/١

وبالتمعن فى قول ابن دريد نرى أن هذا الموضع الذى كان يقيم فيه تميميون كانوا يضمون أوله ، وأنه كان ينطق مكسور الأول عند غيرهم . ويؤيد رأينا هذا أن الصغانى (ت ٦٥٠ هـ) والفيروزابادى (ت ٨١٧ هـ) ذكراه مضموماً فقط على أنه منزل لبنى يربوع[١] .

١٦ — سُخْرِيًّا :

« سِخْرِيًّا بالكسر لغة قريش ، وبالضم لغة تميم[٢] » . وقد ورد هذا اللفظ فى كتاب الله ثلاث مرات :

الأولى : قوله تعالى : (فاتَّخذتموهم سِخْرِيًّا حتَّى أنسوكم ذِكْرى)[٣] .

والثانية : قوله : (أتَّخذناهم سِخْرِيًّا أمْ زاغت عَنْهم الأبْصار)[٤] .

والكلمة فى الآيتين بمعنى الاستهزاء[٥] .

والثالثة : قوله عز وجل : (وَرَفعْنا بَعْضَهم فوْق بَعْض دَرَجَات لِيتَّخِذ بَعْضهمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا)[٦] . وسخريًّا هنا بمعنى القهر والإخضاع[٧] .

ورغم أن النص الذى ذكر اختلاف الصيغ جاء للتعقيب على الآية الثانية الواردة بسورة (ص) إلَّا أن الخلاف بين تميم وغيرهم فى اللفظ بمعنييه ورد فى الآيات الثلاث للقراءة بها مضمومة ومكسورة .

أما آيتا (المؤمنون) و (ص) فقد قرأهما وفق النهج التميمى (سُخريًّا) بضم

(١) التكلمة والذيل والصلة (بطح) ٢/٤٩ ، والقاموس المحيط (بطح) ١/٢١٦ ، وقد نظر بـ « غراب »

(٢) غريب القرآن على لغات القبائل (المنسوب لابن عباس) ٩٩ والنص أيضا فى : ما ورد فى القرآن من لغات القبائل لأبى القاسم (بهامش الجلالين) ٢/١٥٦

(٣) المؤمنون ٢٣/١١٠

(٤) سورة ص ٣٨ / ٦٣

(٥) مجمع البيان ٤/١١٨

(٦) الزخرف ٤٣/٣٢

(٧) مجمع البيان ٤/١١٨

السين من القراء الأربعة عشر : نافع ، وحمزة ، والكسائى[١] ، وأبو جعفر ، وخلف[٢] ، والأعمش[٣] . وقرأها الباقون بالكسر[٤] وفق اللغة القرشية . أما آية الزخرف ، فقد قرءوها جميعًا بضم السين (سُخريًّا) عدا ابن محيصن الذى قرأ بكسرها[٥] .

١٧ – اسْم :

استعمل العرب لكلمة « اسم » صيغًا أربع هى :

(ا) اِسْم بكسر همزة الوصل .

(ب) اُسم (بضم همزة الوصل) وهذا ما روى عن أحد فروع تميم ، وهم بنو عمرو ابن تميم وانتشرت هذه الصيغة أيضًا فى قضاعة .

(ج) سِم بكسر السين .

(د) سُم بضم السين .

ولم تنسب الصيغتان الأخيرتان لقوم معينين[٦] ، وكذلك الأولى التى نلاحظ أنها التى شاعت فى اللغة المشتركة .

التطور التاريخى للكلمة :

١ – يرى بعض العلماء أن الكلمة ثلاثية جذرها (ا س م) وأن الهمزة كانت مضمومة أو مكسورة ثم حذفت فانتقلت حركتها إلى السين[٧] .

٢ – وقريب من هذا رأى بعض الكوفيين أن أصل الكلمة (وس م) بمعنى علامة ، حذفت فاء الكلمة وهى الواو وعوض عنها بهمزة الوصل[٨] .

---

(١) السبعة فى القراءآت ٤٤٨ ، والتيسير ١٦٠

(٢) تحبير التيسير ١٤٧

(٣) إتحاف ٣٢١

(٤) المرجع السابق

(٥) المرجع السابق ، وهو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمى بالولاء . مقرىء أهل مكة مع ابن كثير . كان له اختيار فى القراءة على مذهب العربية فرغب الناس عن قراءته إلى قراءة ابن كثير . توفى سنة ١٢٣ هـ (غاية النهاية ٢/١٦٧) وهو أحد الأربعة بعد العشرة (إتحاف ٧) .

(٦) اللسان (سما) ١٩/١٢٦ (٧) المرجع السابق (٨) المصباح (سما) ٢٩٠

٣ـ ويرى غيرهم أن السين هي فاء الكلمة وأن المحذوف هو لامها[١] فجذر الكلمة إذن (سمو) .

٤ ـ لكني أعتقد أن الكلمة ثنائية (سم) نطقها بعضهم مكسورة السين وبعضهم الآخر مضمومتها ، ثم زيدت عليها همزة الوصل في أولها ، وضبطت هذه الألف وفق ضبط السين ودليل ذلك استعمالها في اللغات السامية غير العربية :

(ا) فهو في الأكدية شُمُ šumu

(ب) وفي آرامية العهد القديم شُم (وهي متأثرة بنطق الأكديين) .

(ج) وفي الفينيقية شِمْ .

(د) وفي العبرية شِمْ (بإمالة الشين بكسرة طويلة) šēm

(ه) وفي السريانية شِمْ šem

(و) وفي النبطية شِمْ šem

(ز) وفي اللغات الحبشية سِمْ sem

(ح) وفي اللغات العربية الجنوبية سم (ولا تعرف حركة السين كيف كانت تنطق)[٢] .

ونلاحظ أن الكتلة الشرقية من اللغات السامية نطقت الصوت الأول مضمومًا في حين إن الغربية سواء أكانت شمالية أم جنوبية نطقته مكسورًا ومن المحتمل أن يكون بنو عمرو ابن تميم وشاركهم في ذلك بنو ضبة قد تأثروا بالكتلة الشرقية للغات السامية .

١٨ ـ عُضْد :

نطق العرب كلمة « عضد » بصيغ ست ، هي :

١ ـ عَضُد .   ٢ ـ عُضْد ، وهي التي نطقتها تميم .

---

(١) المنصف ١/٦٠

(٢) دراسات في اللغة العربية ٥٦

٣ ـ عُضُد . ٤ ـ عَضِد .

٥ ـ عَضْد . ٦ ـ عِضْد .

ولم تنسب الصيغ الأربع الأخيرة[١] ، وشاعت الأولى فى اللغة المشتركة . وموضع المقارنة هنا بين :

(ا) عُضْد المضمومة الأول التى نطقها التميميون .

(ب) عِضْد المكسورة والتى لم يحدد ناطقوها .

ونلاحظ أن هذه الكلمة وردت فى قوله تعالى : (وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا)[٢] ولم يُقرأ ـ فيما نعلم ـ فى القراءات متواترها وشاذها وفق اللغة التيمية (عُضْد)[٣] .

١٩ ـ قُبلًا :

قال صاحب كتاب « ما ورد فى القرآن من لغات القبائل » : « قُبُلًا بالضم لغة تميم وبالكسر لغة كنانة »[٤] وذلك تعقيبًا على قوله تعالى : (وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا)[٥] . وقد قرئت الكلمة بضم القاف والباء (قُبُلا) وبكسرها وفتح الباء (قِبَلا وقرأ بالضم جميع القراء الأربعة عشر سوى نافع وابن عامر وأبى جعفر الذين قرءوا بالكسر[٦] . وقيل : إن قُبُلا جمع قبيل ، وإن قِبَلًا بمعنى مقابلة وعيانًا[٧] . لكن النص الذى أمامنا لا يرى أن لها غير معنى واحد هو الثانى . وأما الخلاف فى الحركات فمصدره أن الضم خاص بتميم والكسر بكنانة . والملاحظ أن النص لم يوضح نطق الباء والمعروف عن تميم أنهم كانوا يسكنونها فى مثل هذه الحالة لأن الكلمة لا تبدأ عندهم إلَّا بمقطع مغلق ما لم يكن المقطعان الأولان مفتوحين ، ومعنى ذلك أن تميمًا كانوا يقولون : « قُبْلًا » . وقد نسب إليهم ذلك

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٢٢ / أ

(٢) الكهف ٥١/١٨

(٣) راجع : إتحاف ٢٩١ ، ومختصر شواذ القرآن ٨٠

(٤) ما ورد فى لغات القرآن (هامش الجلالين) ١٣٧/١

(٥) الأنعام ١١١/٦

(٦) إتحاف ٢١٥

(٧) الحجة لابن خالويه ١٤٨

صراحة . وسنتناوله عند الحديث عن « عدم تتابع حركات ثلاث » وعلى ذلك فإننا لا نرى أن الذين قرءوا بالضم من الأربعة عشر الذين ذكرناهم تتفق قراءتهم واللغة التميمية .

٢٠ – قُثَّاء :

يذكر الفراءُ أن كسر القاف « لغة أهل الحجاز والضم لغة تميم وبعض بني أسد »[١] . ووردت هذه الكلمة في قوله تعالى : (فادْعُ لنا رَبَّكَ يُخْرِجْ لنا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِها وقِثَّائِها وفومِها وَعَدَسِها وَبَصَلِها)[٢] والقراءة وفق اللغة الحجازية مما يدل على سيادتها ، واستعمالها في اللغة المشتركة ، لذا وصف صاحب « زاد المسير » الكسر بأنه أجود من الضم[٣] . أما التميمية فلم يَقْرأ بها إلّا في الشاذ يحيى بن وثاب[٤] .

٢١ – قَلَنْسُوة :

قَلَنْسُوة بضم السين عند تميم وكسرها (قُلَنسِية) عند الحجاز[٥] ونلاحظ أن ضم السين عند تميم وكسرها عند الحجازيين بسبب تجاور شبه صوت اللين التالي وهو الواو عند تميم والياء عند الحجازيين ، أو العكس أي أن شبه صوت اللين بسبب الضمة والكسرة السابقتين . وتعد الحالة الأولى عند الفريقين التميمي والحجازي تماثلًا كليًّا تخلفيًّا متصلا ، وفي الحالة الثانية يعد تماثلًا كليًّا إتباعيا متصلا وذلك عند فرض أصالة أي منهما .

٢٢ – أَيْمُ :

ذكر السيوطي لكلمة « أَيْمُن » عشرين صيغة منها : « (إِيمُ) بالكسر والضم لغة سليم ، (وأَيمُ) بالفتح والضم لغة لتميم (وإِيمِ) بكسرتين . . . إلخ »[٦] .

---

(١) زاد المسير ١/٨٨
(٢) البقرة ٢/٦١
(٣) زاد المسير ١/٨٨
(٤) مختصر في شواذ القرآن ٦ وهو : يحيى بن وثاب الأسدي بالولاء الكوفي، كان إماما في القراءة توفي سنة ١٠٣ هـ (غاية النهاية ٢/٣٨٠) .
(٥) المزهر ٢٩٨/ب (خ) (عن يونس) .
(٦) همع الهوامع ٢/٣٩ وما بين القوسين من « جمع الجوامع » .

والذى يعنينا هنا أن تميمًا كانت تقول : « أَيمُ » بضم الميم فى حين إن من العرب من كان يقول : « ايمِ » بكسر الميم ، أى أن المقارنة بين ضم الميم عندهم وكسرها عند غيرهم . وأصل هذه الصيغ « أَيْمُن » جمع « يمين »[١] ؛ لأنها تفيد القسم . فكل ما فعلته تميم هنا أنها رخمت « أيمن » فحذفت نونها . ونطقها الميم بالضم دليل على قدم هذه الصيغة عن أختها موضع المقارنة « ايمِ » بكسر الميم والتى تعد أحدث منها تاريخيًّا .

ويرجع سبب هذا الميل عند غيرهم إلى وجود الياء ، فحدث فى الكلمة نوعان من التماثل الكلى الإتباعى بأن أثرت فى الميم فكسرت وحدث كذلك تماثل كلى تخلفى متصل فكسرت الهمزة .

* * *

(ب) الميل الى الكسر :

اولا : المطرد :

١ ـ جمع الاسم الرباعى المعتل العين بالياء المسبوق آخره بحرف مد :

القاعدة العامة فى جمع الاسم الرباعى المسبوق آخره بحرف مد زائد مثل رغيف أن يجمع جمع كثرة على « فُعُل » فى اللغة المشتركة و « فُعْل » عند تميم ما لم يكن مضعفًا ، أو معتل العين بالواو ، فله حكمه الذى سنعرض له عند الحديث عن « جمع التكسير » .

ويهمنا ما كان معتل العين بالياء ، فيذكر سيبويه أن القاعدة العامة جمعه على فُعُل فيقال فى جمع بَيُوض : بُيُض ، وفى جمع صَيُود صُيُد ، وينقل عن يونس أن من العرب من يقولون : صِيد وبِيض بكسر الصوت الأول ، وهم الذين يقولون : « فُعْل » فى « فُعُل »[٢] أى بنو تميم[٣] .

التفسير الصوتى :

وتعليل ذلك أنهم أرادوا أن يقولوا وفق مذهبهم : صُيْد وبُيْض فلما سلبت الياء الضمة بإسكانها تأثرت حركة فاء الكلمة بها فكسرت . وهذا من التماثل التخلفى المتصل . وسنشير إلى هذه الظاهرة أيضًا فى جمع التكسير .

---

(١) المصباح (يمن) ٦٨٢ (٢) الكتاب ٦٠٢/٣ (٣) المرجع السابق ٦٠١/٣

٢ ـ هاء الغائب المفرد والمثنى والجمع المسبوق بكسرة أو ياء :

القاعدة العامة فى هاء الغائب أن تضبط بالضم مثل ضرَبَهُ وتكسر بعد الكسر أو الياء الساكنة مثل : مَر بِهِ وعَلَيْهِ . وقد خالف الحجازيون فضموا الهاء فى الحالتين [١] . أما بنو تميم وشاركهم فى ذلك القيسيون وبنو سعد ـ فقد شاركوا اللغة المشتركة فكسروا الهاء [٢] .

ونلاحظ أن اللغة الحجازية حافظت على الأصل وهو ضم الهاء من الضمير فى حالة عدم اتصال لفظ سابق به . أما الكسر فهو المحدَث . وقد تم بتأثير الكسرة أو الياء فهو من التماثل الكلى الإتباعى المنفصل [٣] :

وفى النطق التميمى اقتصاد فى جهد العضلات ، لذا حرصت عليه اللغة المشتركة مخالفة ما درجت عليه اللغة الحجازية رغم ما بينهما من صلة وثقى إذا استمدت معظم خصائصها منها .

ويتبين موقف اللغة المشتركة واتفاقها مع التميمية من أن القراء يكادون يجمعون على القراءة وفق النهج التميمى . ومن هذه القراءات التى خرجت على الإجماع فقرئت وفق اللغة الحجازية :

(ا) « عليه » فى قوله تعالى : (ومن أَوْفى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ) [٤] فلم يقرأ بضم الهاء من القراء الأربعة عشر سوى حفص [٥] .

(ب) أنسانيهُ : فى قوله تعالى : « وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ) [٦] فى قراءة حفص عن عاصم كذلك [٧] .

---

(١) همع الهوامع ١/٥٨ ، وإتحاف ١٢٣

(٢) إتحاف ١٢٣

(٣) انظر : التطور اللغوى ٢٥

(٤) الفتح ٤٨/١٠

(٥) السبعة فى القراءات ٦٠٣ ، وإتحاف ٣٩٥

(٦) الكهف ١٨/٦٣

(٧) السبعة فى القراءات ٣٩٤ ، وإتحاف ٢٩٢

(ج) « عليهُم » فى قوله تعالى : (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم)[١] . فقد قرأ بضم الهاء حمزة والكسائى من السبعة[٢] .

ثانيا : غير المطرد :

١ - رِجْز :

ذكر صاحب « إتحاف فضلاء البشر » فى معرض حديثه عن قوله تعالى : (وَالرُّجْزَ فاهْجُر)[٣] أن ضم الراء من « الرجز » لغة الحجاز وكسرها لغة تميم[٤]

وقد وردت هذه الكلمة فى كتاب الله عشر مرات[٥] ، وضبطت كلها فى المصحف المطبوع فى مصر ، وفقًا لقراءة حفص عن عاصم بكسر الراء ما عدا آية المدثر (وَالرُّجزَ فاهْجُر) التى ضبطت بضم الراء .

ومعنى الرجز فى هذه الآيات العذاب ما عدا آية الأنفال (وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطان) فإنه بمعنى وساوس الشيطان ، وآية المدثر ، فإنه بمعنى عبادة الأوثان ، أو عام فى كل ذنب[٦] . وواضح أن المعنيين الأخيرين جديدان على العربية ولدا مع التعاليم الجديدة التى جاء بها الإسلام ، وأنهما نشآ بطريق المجاز ، والعلاقة هى السببية . والمعنيان قريبا الصلة بالمعنى الأصلى وخاصة المعنى الأول منهما إذ يصعب التفرقة بينهما ، فوساوس الشيطان لاتعدو أن تكون نوعًا من العذاب .

لدينا إذن معنيان فقط : أحدهما بمعنى العذاب وضبط بكسر الراء (الرِّجز) وآخر بمعنى ما يؤدى إلى العذاب وقد ضبط بضم الراء . ولا أظن أن العرب كانوا ينطقون اللفظ بنطقين أحدهما بكسر رائه والآخر بضمها وذلك بسبب اختلاف المعنى لأن تعدد المعنى عن طريق التطور المجازى ليس مسوغًا لتغيير حركة الكلمة وهذا شأن العرب فى كل الألفاظ

---

(١) الفاتحة ١/٧

(٢) السبعة فى القراءات ١٠٩

(٣) المدثر ٧٤/٥

(٤) إتحاف ٤٢٧

(٥) البقرة ٢/٥٩ ، والأعراف ٧/١٣٤ مكرر ، ١٣٥ ، ١٦٢ ، والأنفال ٨/١١ ، والعنكبوت ٢٩/٣٤ وسبأ ٣٤/٥٠ ، والجاثية ٤٥/١١ والمدثر ٧٤/٥

(٦) معجم ألفاظ القرآن الكريم ١/٤٧٢

التى أخذت معنى جديدًا مثل الصلاة والزكاة . أما مرجع الاختلاف فى النطق فلا يعدو أن يكون قبليًّا ، أى أن الضم خاص بقوم والكسر نهج آخرين . واختلاف النطق فى آية عن غيرها من الآيات مرده أن كل قارئ من الأئمة قرأ على جماعة ثم اختار لنفسه قراءة [١] .

موقف القراءات القرآنية :

الذين قرءوا هذا اللفظ من آية المدثر على النهج الحجازى من الأربعة عشر ، هم : حفص (عن عاصم) ، وأبو جعفر ، ويعقوب ، وابن محيصن ، والحسن ، والباقون قرءوا على النهج التميمى ، أى نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم (برواية أبى بكر شعبة بن عياش) وحمزة ، والكسائى ، وخلف ، واليزيدى ، والأعمش [٢] .

أما اللفظ فى الآيات الأخرى ، فلم يقرأ به على النهج الحجازى سوى ابن محيصن [٣] وهذا يعنى أن غيره من الأئمة الأربعة عشر قرءوا على النهج التميمى . وكثرة القراء بالكسر فى كل الآيات دليل على أن اللغة المشتركة أخذت بالنطق التميمى .

ويذكر أبو حيان (ت سنة ٧٤٥ هـ) فى معرض حديثه عن قوله تعالى : (فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ) [٤] أن الضم لغة بنى الصعدات والكسر لغة غيرهم ، وبحثت عن هؤلاء القوم فى كتب الأنساب كجمهرة أنساب العرب لابن حزم وغيره ، فلم أهتد

---

(١) الإبانة ٤٥

(٢) إتحاف ٤٢٧ ، وقارن بما ذكر فى الصفحة ٧ فقد ورد فيها جميع أسماء الأئمة الأربعة عشر . وفيما يلى تعريف بمن لم يسبق ترجمته من هؤلاء القراء :

(أ) ابن كثير : هو عبد الله بن كثير الدارى الكنانى ولاء . إمام القراء فى مكة وأحد السبعة المشهورين . تابعى . توفى بمكة سنة ١٢٠ هـ (التيسير ٤ ، ومعرفة القراء ٧١ ، ٧٢) .

(ب) أبو عمرو : هو أبو عمرو بن العلاء المازنى التميمى . قيل : إن اسمه زبان وقيل : العريان ، وقيل : يحيى . إمام القراءة فى البصرة وأحد السبعة المشهورين توفى بالكوفة سنة ١٥٤ هـ (التيسير ٥) وكان إلى جانب ذلك إماما فى اللغة والنحو (طبقات النحويين واللغويين ٣٥) .

(جـ) اليزيدى : هو أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة اليزيدى البصرى مولى بنى تميم . أخذ عن حمزة وأبى عمرو ابن العلاء وخلفه فى القراءة ، وروى عنه أولاده . وكان أيضا عالما نحويا ، توفى سنة ٢٠٢ هـ (غاية النهاية ٢/٣٧٥–٣٧٧ ، وبغية الوعاة ٢/٣٤٠) وهو أحد الأربعة بعد العشرة (إتحاف ٧) .

(٣) إتحاف ١٣٧

(٤) البقرة ٢/٥٩

إليهم ، ورجعت كذلك إلى نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية من البحر المحيط »[١] لاحتمال أن يكون هناك تصحيف أصاب الكلمة عند الطبع فوجدتها كما فى المطبوعة .

وقد يكون المقصود بالصعدات أهل الصعود ، أى أهل العالية — وهم حجازيون — فإذا كان كذلك فلا تناقض بين نصى أبى حيان وصاحب الإتحاف .

من الوجهة التاريخية :

يذكر برجشتراسر أن كلمة « رجز » دخيلة فى العربية من الآرامية و أنها تنطق فيها rugzā بمعنى الغضب[٢] وكلامه هذا يعنى أن الصيغة الحجازية (رُجز) أقدم من التميمية (رِجز) .

٢ — الشِّقة :

الشُّقة (بضم الشين وكسرها) : السفر البعيد[٣] . وعزا أبو حاتم الكسر إلى تميم[٤] . أما الضم فهو الذى أخذت به اللغة المشتركة بدليل قراءة جمهور القراء به فى قوله تعالى : (وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِم الشُّقة)[٥] . أما اللغة التميمية فلم يقرأ بها إلَّا فى الشاذ ، قرأ بها عيسى بن عمر[٦] وقد نسب الطبرسى الضم إلى قريش والكسر إلى قيس[٧] . أما نسبة الضم إلى قريش فلا يتعارض مع اكتفاء أبى حاتم بنسبة الكسر ومع قولنا : إن الضم اختصت به اللغة المشتركة ؛ لأنها أخذت معظم خصائصها من لغة قريش . وكذلك لا تعارض فى نسبة الكسر إلى قيس ؛ لأن الخاصية الواحدة قد تشترك فيها أكثر من قبيلة .

٣ — مِشط :

بكسر الميم عند تميم وبضمها فى اللغة المشتركة ، وهو اسم لآلة يمشط بها الشَّعَر . والآلة يناسبها كسر الميم[٨] مما يجعلنا نرجح قدم الصيغة التميمية .

---

(١) رقم ٥٤ تفسير　　　　(٢) التطور النحوى ٢٢٥

(٣) اللسان (شقق) ٥١/١٢　　　　(٤) البحر ٤٥/٥

(٥) التوبة ٤٢/٩

(٦) مختصر فى شواذ القرآن ٥٣ ، والبحر ٥/٥ ، وهناك قارئان مشهوران اسم كل منهما « عيسى بن عمر » هما :

(أ) عيسى بن عمر الهمدانى : مقرىء الكوفة بعد حمزة ، توفى سنة ١٥٦ هـ (غاية النهاية ٦١٢/١ ، ومعرفة القراء ٩٩/١).

(ب) عيسى بن عمر الثقفى : من علماء البصرة فى النحو ، ومؤلف كتابى « الجامع » و « الإكمال » كان له اختيار فى القراءة . توفى سنة ١٤٩ (غاية النهاية ٦١٣/١ ، ونزهة الألباء ١٣ — ١٦)

(٧) مجمع البيان ٣٢/٣　　　　(٨) المصباح (مشط) ٥٧٤

٤ – مِنْتِن :

قال ابن سيده : أنتن الشيءُ فهو مُنْتِن ، وهى بلغة أهل الحجاز . . . إلَّا أن طائفة من العرب جلّهم من تميم ، يقولون : شيءٌ مِنْتِن فيتبعون الكسر الكسر »[١] وواضح أن الأصل فى هذه الكلمة الضم ؛ لأنها اسم مفعول فعله غير ثلاثى وقد فسر ابن سيده كسر الميم على أنه من التماثل التخلفى ، إذ تبعت الميم حركة التاء التالية لها . وهذا التفسير يتفق وما يذهب إليه علماء اللغة المحدثون ، ونضيف إلى قوله : إن هذا التماثل كلى منفصل.

وإذا كان التميمى قد أتبع الميم حركة التاء فإن من العرب من أتبع التاء حركة الميم ، فقال : « مُنْتُن »[٢] وهو تماثل كلى إتباعى متباعد .

٥ – هِنّا :

هَنا اسم إشارة للمكان القريب[٣] وعزى إلى تميم – وشاركتها قيس – كسر الهاء مع تشديد النون[٤] . وسنتناول هذا اللفظ بشيء من التفصيل فى الباب التالى .

٦ – هيهاتِ :

نطق العرب هذا اللفظ بصور متعددة ، فنطق بفتح التاء فى لغة الحجاز وبكسرها عند تميم وأسد وبضمها عند بعض العرب وبتنوينها مضمومة ومكسورة ومفتوحة[٥] بالإضافة إلى صيغ أخرى[٦] . والذى يعنينا هنا المقارنة بين الكسر المعزو إلى تميم والضم المنسوب إلى بعض العرب غير المحددين . وبهذه اللغة التميمية قرأ – وإن كانت القراءة شاذة – أبو جعفر وشيبة قوله تعالى : (هَيْهات هَيْهات لِمَا تُوعَدُون)[٧] بكسر التاء[٨] .

ولنا عودة إلى هذا اللفظ عند المقارنة بين « الفتح والكسر » ، وفى الباب الخاص بالنحو .

---

(١) المخصص ٢٠٦/١١
(٢) الاقتضاب ٢٦٨
(٣) تسهيل الفوائد ٤١
(٤) الغريب المصنف١٩٣/ب
(٥) المفصل للزمخشرى (ضمن شرح ابن يعيش) ٦٥/٤
(٦) انظر شرح الأشمونى ١٩٩/٣
(٧) المؤمنون ٣٦/٢٣
(٨) البحر ٤٠٤/٦ والقارىء الأخير هو : شيبة بن نصاح بن سرجس ، مولى أم سلمة رضى الله عنها. عرض على عبد الله ابن عياش وكان مقرىء المدينة المنورة وقاضيها . توفى سنة ١٣٠ هـ (غاية النهاية ٣٢٩/١، ٣٣٠)

(ج) ألفاظ تارجحت الروايات بين نسبة ضمها وكسرها الى تميم :

١ ـ جاء فى الغريب المصنف لأبى عبيد : « أبو زيد : المطرف والمصحف والمِغزل . تميم تكسرها وقيس ترفعها »[1] .

٢ ـ وورد فى تهذيب اللغة الأزهرى : « وقال الفراء : يقال : مُصحَف ومِصحَف كما يقال : مُطرف ومِطرف . قال : وقوله : مُصْحف من أُصْحِف أى جُمعت فيه الصحف ، قال : وأُطرِف : جعل فى طرفيه العلمان . قال : فاستثقلت العربُ الضمة فى حروف فكسرت الميم وأصلها الضم ، فمن ضم جاء به على أصله ومن كسره فلاستثقاله الضمة ، وكذلك قالوا فى المُغزَل : مِغزلًا والأصل مُغزِل من أُغزِل أى أُدير »[2] .

٣ ـ جاء فى الجمهرة : « تميم تقول : مُطرف ومُصحف وأهل الحجاز يقولون : مِطرف ومِصحف »[3] .

وهناك روايات خاصة بكل لفظ على حدة :

(أ) مصحف :

ينسب ابن سيده وابن منظور والزَّبيدى إلى أبى عبيد كسر ميم مصحف عند تميم وضمها عند قيس[4] وأبو عبيد مصدره فى ذلك أبو زيد كما فى النص الأول . وينقلون أيضًا أن اللحيانى يحكى عن الكسائى الفتح[5] ، ونسب صاحب الجمهرة فى نص غير ذلك النص العام كسر الميم إلى تميم والضم إلى نجد[6] ، وذكر محقق الجمهرة فى الحاشية أن الكسر فى إحدى النسخ لأهل الحجاز[7] .

---

(١) الغريب المصنف ١٥٥/ب ، وانظر هذا النص منسوبا باختلاف فى ألفاظه فى : إصلاح المنطق ١٣٦ ، وتهذيب اللغة (صحف) ٢٥٤/٤ ولسان العرب (صحف) ٨٨/١١

(٢) تهذيب اللغة (صحف) ٢٥٤/٤

(٣) جمهرة اللغة ٣٦٩/٢

(٤) المحكم (صحف) ١١٥/٣ ، واللسان (صحف) ٨٨/١١ ، والتاج (صحف) ١٦١/٦

(٥) المراجع الثلاث السابقة .

(٦) جمهرة اللغة ١٦٢/٢

(٧) المرجع السابق : الحاشية رقم ٤

(ب) مغزل :

يذكر صاحب المحكم وعنه نقل صاحب اللسان أن ميم مغزل تضم وتكسر وتفتح وأن الكسر لتميم والضم لقيس وهو الأصل والفتح أقلها[١] ، لكن ابن الأنبارى وصاحب المصباح نسبا الضم لتميم دون تعرض لمن يكسر[٢] .

(ج) مطرف :

ذكر صاحب المخصص أن تميمًا تكسر أوله وقيسًا تضمه[٣] .

تعرض هذه الروايات ثلاثة ألفاظ تدخل تحت باب المشتقات ، لكنها لا تنتمى إلى مشتق بعينه ، بل تتأرجح بين اسم المفعول واسم الآلة ، وقبل مناقشة هذه الألفاظ نناقش ما نراه فى هذه الروايات من تناقض فى نسبة الضم والكسر .

تتفق الروايات التى عرضناها فى نسبة الكسر إلى تميم والضم إلى قيس دون إشارة إلى موقف الحجازيين ولم يشذ عنها إلّا إحدى روايتى ابن دريد التى تنسب الضم لتميم والكسر للحجاز . وإنى أميل إلى صحة الروايات الأولى التى مصدرها أبو زيد (ت سنة ٢١٥ هـ) والتى رواها عنه تلميذه أبو عبيد[٤] وعن هذا الأخير نقل صاحب المحكم وعنه نقل صاحبا اللسان والتاج ، كما ذكر عبارة أبى زيد الأزهرى وابن السكيت . وأبو زيد متقدم فى الزمن عن ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ[٥] وأبو زيد هذا ممن ذهب إلى البادية وشافه الأعراب ونقل عنهم[٦] وقد شهد له علماء العربية بالأمانة فى نقل اللغة حتى إن سيبويه كان « إذا قال : سمعت الثقة يريد أبا زيد الأنصارى »[٧] ، ذلك إلى أن الضبط الذى نسب إليه كان بالعبارة بخلاف ما ورد فى الجمهرة فمضبوط ضبط قلم حتى إن كلمة « مصحف » وردت مرتين

---

(١) المحكم (غزل) ٢٦٤/٥ ، واللسان (غزل) ٤/١٤ ، وانظر : التاج (غزل) ٤٢/٨
(٢) شرح القصائد السبع لابن الأنبارى ١٠٨ ، والمصباح (غزل) ٤٤٦
(٣) المخصص ٦٨/٤
(٤) نزهة الألباء ٩٦
(٥) نزهة الألباء ١٧٥
(٦) النوادر لأبى زيد ١
(٧) نزهة الألباء ٨٧

وضبطت فى كل منهما ضبطًا يختلف عن الاخر ، نسبت فى إحداهما إلى تميم الضم وفى الأخرى الكسر . وإننى هنا أُخالف ما ذهب إليه الدكتور علم الدين الجندى من نسبة الضم إلى تميم بانيًا ترجيحه على أنه من صفات الخشونة التى تناسبها محتجًا بنسبة الضم إلى قيس ونسبته أيضًا إلى نجد فى إحدى روايتى الجمهرة وإلى تميم عند الفيومى[(١)] .

وعلى فرض أن الضم من صفات الخشونة التى تناسب البيئات البدوية كتميم فإن اللغات لا تسير على منطق واحد فى اختيار الحركات وإلَّا لوجدنا هذه اللغة خالية من كل كسرة وتلك خالية من كل ضمة . ذلك إلى أننا سنلاحظ عند الحديث عن « الهمز » أن الكسرة كانت عند العرب أقوى من الضمة .

وإذا كانت النصوص المعزوة إلى أبى زيد اكتفت بنسبة الكسر إلى تميم والضم إلى قيس ولم تشر إلى موقف الحجازيين ، فلعل مرجع ذلك إلى شهرتها فى ذلك الحين ، ونميل إلى أنها كانت تضم هذه الكلمات شأنها فى ذلك شأن قيس ، وذلك لأمرين :

١ ـ إن قيسًا أقرب مسكنًا إلى الحجاز من تميم وكانت على صلة أكبر بقريش بدليل أنهم كانوا يرسلون أطفالهم للرضاعة فى بنى سعد ، وبنو سعد هؤلاء فرع من قيس .

٢ ـ إن صاحب المحكم وكذلك صاحب تهذيب اللغة فيما نقله عن الفراء ذكرا أن الضم هو الأصل[(٢)] . والأصل عند اللغويين لا يعنى سوى اللغة الحجازية لأنهم كانوا يعتبرونها القدمى لنزول القرآن بها واللغات الأخرى متطورة عنها .

* * *

(د) لفظ تأرجحت الروايات بين نسبة فتحه وكسره الى تميم :

تأرجحت الروايات بين نسبة فتح السين وكسرها من كلمة « سم » إلى تميم مقابل ضمها عند أهل العالية :

---

(١) اللهجات العربية فى التراث ٤٨٤

(٢) راجع النص الثانى المنقول عن تهذيب اللغة للأزهرى ص ١٩٨ ، ورواية المحكم الخاصة بـ « مغزل » بالصفحة السابقة.

١ ــ نسبة الفتح الى تميم :

عزا يونس إلى تميم الفتح ، فينقل عنه الأزهرى قوله : « أهل العالية يقولون : السُّم والشُّهد يرفعون ، وتميم تفتح السم والشهد »[(١)] .

٢ ــ نسبة الكسر الى تميم :

ويذكر الفيومى أن فى اللفظ ثلاث لغات ، هى الفتح وهو الأكثر – دون عزوه لقوم معينين – والضم ونسَبه إلى أهل العالية والكسر ونسَبه إلى تميم[(٢)] .

ونلاحظ أن صاحب المصباح يتفق ويونس فيما نقله عنه الأزهرى فى عزو الضم إلى أهل العالية . ويبدو أن فتح السين هو الأصل بدليل وجود اللفظ فى العبرية والآرامية sammi- بفتح السين فيهما[(٣)] . والجمع sammim هو المستعمل .

ومع ترجيحنا نسبة الفتح على الكسر عند تميم ؛ لأنه معلوم الراوى وهو يونس المشهود له بصدق الرواية ، وبعدم معرفتنا بصاحب الرواية التى ذكرها الفيومى ، إلا أننا نرى عدم إدخال هذا اللفظ فى المقارنة خشية أن تكون رواية الفيومى هى الصواب .

* * *

التعقيب :

هذا عرض للكلمات التى جمعناها ، والتى وردت بصورتين : مضمومة ومكسورة ونسبت إحداهما إلى تميم والأخرى إلى غيرهم ، ومنه يتبين :

أولا : أن تميما آثرت الضم على الكسر فى ٢٢ اثنتين وعشرين كلمة مفردة ، منها واحدة لم يشع ضمها بين التميميين جميعا ، وإنما نسبت إلى عمارة منهم وهو بنو عمرو ابن تميم ، وهذه الكلمة هى « اسم » ، ووجدنا كذلك :

(أ) سبع كلمات وردت عندهم على « فُعْلة » وعند غيرهم على « فِعْلة » .

(ب) ثلاث كلمات نطقوها على « فُعلان » ونطقها غيرهم على « فِعلان » .

(ج) ثلاث كلمات ضمت عندهم فاء «فُعول» المعتلة اللام وكسرت عند غيرهم .

---

(١) تهذيب اللغة (سمم) ١٢/٣١٨ ، واللسان (سمم) ١٥ / ١٩٥ والتاج (سمم) ٨/٣٤٦ ، وإصلاح المنطق ١٠٤ ، والضبط فى الأخير بالقلم .

(٢) المصباح (سمم) ٢٨٩

(٣) Rabin, Ancient .... p. 102.

ثانيا : اتجهت إلى الكسر :

(أ) فى حالتين قياسيتين ، هما :

١ـ فاء الجمع المعتل العين بالياء والذى ورد على وزن « فُعُل » فى المشتركة .

٢ـ هاء الغائب المثنى والجمع المسبوق بياء أو كسرة .

(ب) وفى ست كلمات مفردة .

ثالثا : وردت ثلاث كلمات اختلفت الروايات فى نسبة ضمها أو كسرها إلى تميم وإن كنا نرجح الكسر . كما ورد لفظ رابع اختلفت الروايات بين نسبة كسره وفتحه إلى تميم مقابل ضمه عند غيرهم ولم نرجح أى الحركات ، فلم نعتد به فى المقارنة .

ومعنى ذلك كله أنه يصعب علينا أن نجزم أو نرجع اتجاه تميم إلى أى من الضم أوالكسر فإذا وردت لنا كلمة ذات صيغتين : مضمومة ومكسورة من غير المطرد لا نستطيع أن نرجح نسبة أيهما إلى تميم ، وإن عدم الترجيح يصبح مؤكدا إذا ضمنا إلى هذه الألفاظ مالاحظناه عند الحديث عن «الواو والياء» من ميل تميم إلى الياء إذا أدخلنا فى اعتبارنا المطرد ومن عدم اتضاح ميولها إذا اكتفينا بالكلمات المفردة ، ذلك لأنه لا فرق بين الواو والضمة إلا أن اللسان مع الواو يزداد ارتفاع جزئه الخلفى (back tongue) حتى تضيق المسافة بينه وبين أقصى الحنك (soft palate) ، وكذلك الأمر بالنسبة للكسرة والياء ، فهو مع الثانية يزداد ارتفاع مقدم اللسان (front of tongue) تجاه وسط الحنك (hard palate)[1] . وهذا الاتجاه إلى الجمع بين الحركات وأشباه أصوات اللين هو ما يراه ويدعو إليه الدكتور علم الدين الجندى[2] .

وإننا على الرغم من عدم ترجيحنا إلى اتجاه معين لتميم ، نميل إلى أن ما جاء على « فُعْلة » و « فِعْلة » ، وكذلك ما جاء على « فُعلان » و « فِعلان » وعلى « فعول » المعتل اللام بكسر الفاء وضمها ، أن نعزو الضم إلى تميم لأن اللغات تميل إلى الاطراد فيما جاء على أوزان معينة ، وهذا ما نلحظه فى اللهجات العامية .

(١) Jones, An out line of English phonetics p. 191, 194
والأصوات اللغوية ٣٣، ٤٢ ، والأصوات للدكتور بشر ١٧١

(٢) التعاقب والمعاقبة (بحث نشر بمجلة مجمع اللغة العربية ١٢٨/٤٠)

ويعزز هذا الرأى أنه لم يرد مما جاء على هذه الأوزان منسوبا إلى قوم معينين – فيما نعلم – سوى هذه الكلمات .

حول رأى الدكتور أنيس فى ميل التميميين الى الضم :

إن ما انتهينا إليه من عدم اتجاه التميميين إلى أى من الضم أو الكسر لا يتفق وما ذهب إليه كثير من المحدثين وعلى رأسهم الدكتور إبراهيم أنيس من ميل قبائل وسط الجزيرة وشرقها بوجه عام إلى الضم لبداوتها وميل القبائل الحجازية إلى الكسر لتحضرها معللا ذلك بأن الضم صفة من صفات الخشونة ولأنه يحتاج إلى جهد عضلى أكثر لتحرك أقصى اللسان حين نطقه بخلاف الكسر الذى يتحرك معه أدنى اللسان وهو أيسر من تحرك أقصاه[1] .

ونلاحظ أن الدكتور أنيس كانت مقارنته عامة بين القبائل التى عاشت فى شرق الجزيرة وبين التى عاشت فى غربها (الحجازية) ، ولم تكن مقتصرة على التميميين وحدهم فى مقابل جميع الحجازيين وكذلك المخالفين من شرق الجزيرة كما هو الشأن فى بحثنا .

ولكن لنا أن نتساءل هل كانت قبائل عرب الجزيرة حقاً أكثر تحضرا من قبائل شرق الجزيرة ؟

إننا إذا استثنينا المدن الكبرى ، وهى : مكة والمدينة والطائف ، نستطيع أن نجيب بالنفى ، فكلهم كانوا يعيشون حياة بدوية متشابهة . ولنا تعقيب على هذا الرأى سنذكره فى خاتمة دراسة الحركات .

---

(١) اللهجات العربية ٩٥ ، ٩٦

٢ ـ بين الكسر والفتح

(أ) الميل الى الكسر :

أولا ـ المطرد :

١ ـ التلتلة :

كان للعرب نهجان فى ضبط حرف المضارعة لأنواع الأفعال الآتية :

أولا : إذا كان ثلاثيا من باب فعِل يفعَل ، مثل : عَلِم يعلَم ، ، وخشِى يخشى ، وخال يخال ، وعَضّ يعَضّ .

ثانيا : إذا كان أكثر من أربعة أحرف بما فيها من أحرف الزيادة (أى خماسى وسداسى) وهو أن يكون :

١ ـ مبدوءا بهمزة وصل ، مثل استعان .

٢ ـ مبدوءا بالتاء بأن كان على وزن تفعَّل مثل تعلَّم ، وتفاعل كتشاجر ، وتفعلل كتدحرج

ونهجا العرب فى هذه الأفعال :

١ ـ فتح حروف المضارعة ، وهذا مذهب الحجازيين .

٢ ـ كسر حروف المضارعة إلا إذا كان ياءً فيكون مفتوحا ، ونسب ذلك إلى بقية العرب سوى أهل الحجاز .

وشذ عن هذه القاعدة :

١ ـ مضارع « أبى » رغم أنه ليس من باب « فعِل يفعَل » . وحدث فى هذا الفعل شذوذ آخر ، وهو كسر حرف المضارعة إذا كان ياء ، فيقال : يِئْبىَ . وعلل سيبويه هذا الشذوذ بأن مضارع هذا الفعل مفتوح العين ، فهو يشبه مضارع « فَعِل » ، ولما كان الشبه غير تام ، فقد خالف بأن كسر مع المبدوء بياء[1]

---

(١) الكتاب ٢/١١٠ – ١١٢ ، وانظر : المخصص ١٤/٢١٦ ، ٢١٧

٢ ـ مضارع حبَّ فكسرت حروف المضارعة بما فيها الياء فيقال : إِحِب ويِحب[1] وهذا الفعل مكسور العين فى المضارع – وهذا الكسر يعد شذوذا فى مضعف الثلاثى المتعدى لأن القاعدة عند العرب ضم العين فى المضارع[2] .

وإذا كان سيبويه (ت نحو ١٨٠ هـ) ومن نقل عنه قد نسبوا هذه الظاهرة إلى العرب كافة سوى أهل الحجاز[3] . وهذا يعنى أن التميميين كانوا ينطقون كذلك بوصفهم غير حجازيين ، فقد وجدنا بعض اللغويين لا يكتفون بالإطلاق العام (أى غير الحجازيين) بل حددوا قبائل بعينها كسرت هذا الصوت . فاللِّحيانى (ت ٢٥٥ هـ) فى نوادره ينقل عن الكسائى (ت ١٨٩ هـ) نسبة هذه الظاهرة إلى تميم وقيس وهذيل وأسد وجميع العرب تهومها وجرمها ويمنها[4] ، ونرى النحاس (ت نحو ٣٣٨ هـ) وأبا حيان (ت ٧٤٥ هـ) ينسبانها إلى تميم وأسد وقيس وربيعة ، ويضيف إليهم أبو حيان – نقلا عن إلى جعفر الطوى (ت ٤٦٠ هـ) هذيلا[5] ، وينسبها صاحب اللسان إلى القبائل الأربع التى نسب إليها النحاس ، فيقول : وتِعْلم بالكسر لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب ، وأما أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل فيقولون تَعلم »[6] .

واكتفى بعض اللغويين عند معرض الحديث عن بعض الأفعال بعزوها إلى تميم ، ونجد ذلك مثلا عند ابن جنى[7] (ت ٣٩٢ هـ) والنحاس[8] ، وأبى حيان[9] .

---

(١) الكتاب ١٠٩/٤ ، وشرح الشافية ١٤٢/١ (ولم يعالج سيبويه هذا الفعل مع كسر حرف المضارعة ، وانما مع ما أتبع فاؤه عينه الحلقية المكسورة) .

(٢) انظر : شرح الشافية ١٤٢/١

(٣) انظر : المراجع الثلاثة السابقة

(٤) بغية الآمال ٥٥ (خ)

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/ب ، والبحر ٢٣/١

(٦) اللسان (وق) ٢٨٣/٢٠ منسوبا إلى أبى عمرو عن سيبويه

(٧) المحتسب ٣٣٠/١

(٨) إعراب القرآن ٧٦ / ب

(٩) البحر ٥ / ٢٦٩

وعلى الرغم من نسبة هذه الظاهرة إلى الكتلة الشرقية لسكان الجزيرة العربية إلّا أننا نجد أبا زيد الأنصارى (ت نحو ٢١٥ هـ) يعكس النسبة فينسب الكسر إلى عليا مضر والفتح إلى سفلاها[١] والمعروف أن عليا مضر هم الحجازيون وسفلاها سكان نجد ، فكلامه مخالف للروايات المتواترة فى نسبة هذه الظاهرة ، فهو منه أو من الفيومى سبق قلم .

وعلى الرغم من أن سيبويه عرض هذه الظاهرة عرضًا مفصلًا إلّا أنه لم يطلق عليها اسمًا معينًا ، وكان هذا شأن كل اللغويين الذين تناولوا هذه الظاهرة وأشرنا إليهم من قبل ، لكنها اشتهرت باسم « تلتلة بهراء »[٢] . وبهراء من قضاعة[٣] وليست من تميم كما ذكر حفنى ناصف[٤] ، أمّا لماذا نسبت إليهم دون غيرهم؟ ذلك لأنها من الخصائص اللهجية التى عدتها الفصحى من العيوب التى يجب أن تتجنب مثلها مثل الكشكشة والعنعنة . ولما كانت الظاهرة الواحدة لا تنفرد بها قبيلة واحدة فلم ينسبوا فى معرض الحديث عن الظواهر إلى القبيلة الواحدة أكثر من ظاهرة ، وهذا ما نلاحظه لدى أحد الجرميين[٥] — فيما يرويه الأصمعى (ت نحو سنة ٢١٥ هـ) — حين سأل معاوية : من أفصح العرب ؟ فأجابه : « قوم تباعدوا عن عنعنة تميم وتلتلة بهراء وكشكشة ربيعة ، وكسكسة بكر . . . »[٦] وهذا النص مروى بروايات متعددة[٧] .

ورغم أن هذه الروايات غير متفقة فى عدد الصفات المذمومة وفى أصحابها ، إلّا أنها متفقة فى عدم نسبة أكثر من ظاهرة لقبيلة معينة فى الرواية الواحدة فرواية درة الغواص مثلًا تنسب الكشكشة لربيعة فى حين إن رواية الكامل للمبرد تنسبها لتميم ، والأولى تنسب لتميم العنعنة والثانية تهملها .

---

(١) المصباح (يأس) ٦٨٣

(٢) انظر : مجالس ثعلب ١ / ٨١ ، وعنه ابن جنى فى : سر صناعة الإعراب ١ / ٢٣٤ وانظر : أيضا : اللسان (تلل) ١٣/٨٤ والقاموس (تلل) ٣/٣٤٠ ، ودرة الغواص ١١٤ .

(٣) جمهرة أنساب العرب ٤٤١ ، ٤٧٨

(٤) مميزات لغات العرب ٢١

(٥) وهو الذى يرجح الدكتور رمضان عبد التواب أنه المسئول عن تلقيب كل لغة بلقب معين (فصول فى فقه العربية ١١٧)

(٦) درة الغواص ١١٤

(٧) العقد الفريد ٢ / ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٣ / ٣٢٠ ، ٣٢١ والبيان والتبيين ٢٣/٢١ ، ومجالس ثعلب ١/ ٨٠ ، ٨١ ، وسر صناعة الإعراب ١ / ٢٣٤ ، وألف باء ٢/٤٣٢ (وانظر هذه الروايات فى : فصول فى فقه العربية ١١٧-١١٩)

تعليل التسمية :

سبب إطلاق لفظ « تلتلة » على هذه الظاهرة يحتمل أحد أمرين :

١ ـ إن التلتلة فى اللغة تعنى الزعزعة والقلقلة[١] . ومعنى ذلك أن الناطقين بهذه الظاهرة خالفوا ما شاع فى اللغة المشتركة ، بأن زعزعوا ضبط حرف المضارعة من الفتح إلى الكسر. وهذا لا يعنى بالطبع ـ إن كان هو المراد ـ قدم الفتح على الكسر ، لأن واضع المصطلح لم يضع فى اعتباره التطور التاريخى للغة منذ أقدم عصورها ، وإنما نظر إلى المخالف المعيب على أنه هو الحادث فى اللغة .

٢ ـ إن واضح المصطلح لاحظ أن ذلك يقع فى أحرف المضارعة سوى الياء ، أى التاء والهمزة والنون فاشتق من التاء اسمًا ، وذلك من باب إطلاق الجزء على الكل .

موقف القراءات القرآنية :

وقفت القراءات القرآنية من هذه الظاهرة نفس الموقف الذى وقفته من العيوب النطقية كالكشكشة ، فلم تعتد بها القراءات المتواترة ، وإنما قرئ بها فى الشاذ منها ، فقد قرأ بها فى القرآن الكريم كله فى جميع أفعاله المطّوعى[٢] ولم يختلف عنه إلّا فى ثلاثة مواضع هى : (كَى تَقر عَيْنُها) و (وَلَا تَضحى) وكلاهما بسورة طه و (أَلَّا تَطْغَوا) بسورة الرحمن[٣] .

وفيما يلى أمثلة لقراءات لغير المطّوعى :

١ ـ « نستعين » فى قوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين)[٤] : قرأ بكسر النون يحيى بن وثاب[٥] ، والأعمش[٦] ، وعبيد بن عمير الليثى ، وزِرّ بن حُبيش ، والنَّخَعى[٧] ، وجناح بن حبيش[٨] .

---

(١) اللسان (تلل) ٨٥/١٣

(٢) هو الحسن بن سعيد المطوعى ، أحد راويى الأعمش من الأربعة عشر (إتحاف ٧) توفى سنة ٣٧١ هـ (غاية النهاية ٢١٤/١) .

(٣) إتحاف ١٢٢ مع تعليق الضباع رقم / ٤ ، وانظر : القراءات الشاذة للقاضى ٢١

(٤) الفاتحة ٥/١

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/ب ، والبحر ٢٣/١ ، والإبانة ٧٦

(٦) إعراب القرآن ٢/ب ، والبحر ٢٣/١

(٧) البحر ٢٣/١ وفيما يلى ترجمة للقارئ الثانى : هو أبو مريم زر بن حبيش الأسدى الكوفى ، عرض على ابن مسعود وعثمان وعلى ، وعرض عليه عاصم والأعمش . توفى سنة ٨٢ هـ (غاية النهاية ٢٩٤/١) .

(٨) مختصر شواذ القرآن ١

٢ – « آسى » فى قوله تعالى : (فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ)[١] : قرأ « إِيسَى » يحيي بن وثّاب والأعمش وطلحة بن مُصَرِّف[٢] .

٣ – « تمسكم » فى قوله تعالى : (فَتَمَسَّكُم النَّار)[٣] : قرأ بكسر التاء يحيي بن وثاب والأعمش[٤] وعلقمة وابن مُصَرِّف ، وحمزة فيما روى عنه[٥] .

الظاهرة فى الساميات :

وظاهرة كسر حرف المضارعة ليست قاصرة على العربية دون أخواتها الساميات فهى فى العبرية والحبشية والآرامية والسريانية[٦] والأجريتية[٧] ويذكر الدكتور خليل يحيي نامى أن المستشرق الألمانى Barth (بارث) عدّ هذه الظاهرة قانونًا عامًّا فى اللغات السامية العربية ، فهى فى العبرية والسريانية والأجريتية واللغات العربية غير أن كسر حرف المضارعة انتقل فى اللغتين العبرية والسريانية من وزن فَعِل يفعَل إلى بقية الأوزان ففيها كلها بكسر حرف المضارعة ، وذلك باستثناء الأفعال الحلقية الفاء والجوفاء والمضعفة فى اللغة العبرية فحروف المضارعة فيها مفتوحة[٨] .

الظاهرة فى الوقت الراهن :

يشيع فى لهجاتنا العامية الآن كسر حرف المضارعة وليس ذلك قاصرا على التاء والهمزة والنون بالشروط التى ذكرها علماؤنا وإنما شمل الياء أيضًا فنحن نقول فى القاهرة : يِكتب ، ويِرسم ، ويِشترى .

وقد لاحظ الدكتور نامى وجود هذه الظاهرة عند أهل صنعاء حديثًا ، فيما عدا الأفعال الحلقية الفاء فإنهم يفتحونها أو يضمونها وذلك مثل يَعطش[٩] .

---

(١) الأعراف ٩٣/٧

(٢) إعراب القرآن ٧٦/ب والقارئ الأخير هو : طلحة بن مصرف بن عمرو الهمدانى تابعى كوفى . أخذ القراءة عن الأعمش ويحيى بن وثاب ، وروى عنه الكسائى ، وكان يلقب بسيد القراء . توفى سنة١١٢ هـ غاية النهاية ٣٤٣/١)

(٣) هود ١١٣/١١ (٤) المحتسب ٣٣٠/١ ، وإعراب القرآن ١٠٠/ أ ، والبحر ٢٦٩/٥

(٥) البحر ٢٦٩/٥ (٦) فصول فى فقه العربية ١٢٥

(٧) دراسات فى اللغة العربية للدكتور نامى ٤٠

(٨) المرجع السابق (٩) المرجع السابق ٤٢–٤٤

وإذا ما اتجهنا إلى شرق الجزيرة العربية (البلاد التى تقع على الخليج) نجد مؤلف كتاب « لهجات شرق الجزيرة » يذكر لنا أن حرف المضارعة يكون أحيانًا مكسورًا وأحيانًا أخرى مفتوحًا ، وضرب أمثلة على ذلك دون أن يحدد نوع ما يكسر وما يفتح . لكننا لو تمعنا فى الأمثلة التى ضربها مكسورة كانت أو مفتوحة نجد المكسورة هى التى تنطبق عليها شروط التلتلة كما حددها القدماء وذكرناها من قبل فنجد مضارع كتب مفتوحًا وشرب مكسورًا[١] (وهو على فعِل يفعَل) ونجدهم يكسرون حرف المضارعة للفعل يِتَسبح (وهو مضارع الفعل الماضى) المبدوء بالتاء تِسَبَّح أو تْسَبَّح[٢] ، وكذلك يِتْكَابل (مضارع تِكَابَل أو تْكَابلْ ، ويِتْسولَفْ مضارع تْسُولَفْ[٣] ، وهذه الأفعال يبدأ ماضيها بالتاء ، ونجد أيضًا يِنْكِسِرُ ويِحْمَر ويِسْتَعْجل (مضارع انكسر ، واحمَرّ ، واستعجل)[٤] وهى أفعال بدأت فى الماضى بهمزة وصل .

ونلاحظ أن الكسر شمل الياء مع أحرف المضارعة الأُخرى[٥] وإن كنا نجد أحيانًا أفعالًا من غير الأنواع التى حددها القدماء ، من ذلك فى قطر يِبْرك ، ويِكْدُر ، ويِظْهر ، ويِطلَع ، وماضى هذه الأفعال بَرك ، وكَدْر وظَهر وطَلع[٦] .

الصيغة القدمى :

أثار اللغويون من قدماء ومحدثين مسألة أصل الصيغتين ، فبعضهم يرى أن الأصل فتح حرف المضارعة وأن الكسر عارض ، والبعض الاخر يرى خلاف ذلك ، أى أن الكسر هو الأصل والفتح هو العارض ، ولكل حجته .

(أ) اصالة الفتح :

وهو ما رآه القدماء ، نراه عند سيبويه وتابعه من جاء بعده ، فهو يقول : « ويدلك على أن الأصل فى فَعِلْتُ أن يُفْتَح يَفْعَل منه على لغة أهل الحجاز سلامتها فى الياء ، وتركُهم

---

(١) دراسات فى لهجات شرق الجزيرة ١٢٤
(٢) المرجع السابق ١٢٧
(٣) المرجع السابق ١٢٨
(٤) المرجع السابق
(٥) هذا بشأن لهجات الجزيرة ككل ، وانظر بشأن الكويت : المرجع السابق ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، وبشأن البحرين : ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، وبخصوص اللهجة القطرية ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، وبشأن دبى : ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦ ، وبشأن أبى ظبى : ٢٦٥ ، ٢٦٧
(٦) المرجع السابق ٢٣٤

الضم فى يَفْعُل ، ولا يُضَمّ لضمة فَعُل فإنما هو عارض »[١] ويتابع ابن سيده سيبويه فى حجته ويزيد عليه فيقول : « وصارت لغتهم الأَصل لأَنَّ العربية أَصلها إسماعيل عليه السلام وكان مسكنه مكة »[٢] .

ونرى من المحدثين الدكتور إبراهيم أَنيس يتساءل دون أَن يجيب عمَّا إذا كانت الظاهرة دخلت العربية عن طريق بهراء من العبرية والآرامية[٣] .

(ب) أَصَالة الكَسْر :

وإلى ذلك ذهب الدكتور رمضان عبد التواب ، وبنى رأيه على أَساس أَن الكسر ظاهرة سامية قديمة ، فهو من سمات العبرية والسريانية والحبشية ، وبدليل استمراره حتى الآن فى اللهجات العربية الحديثة[٤] .

وإذا كان الشطر الأَول من برهانه – وهو وجودها فى الساميات الغربية – له ما يرجحه فى الميزان ، إلَّا أَننا لا نتفق معه فى الشطر الثانى ، وهو أَن استمرارها فى اللهجات العربية الحديثة دليل على أَصالتها ، ذلك أَن هذه اللهجات تستعمل دائمًا إما متوارثة عن لغات عربية ، قد يكون بعضها محافظًا على الصيغة القدمى ، وإما متطورة عن هذه اللغات غيرت نهجها وفقًا لقوانين لغوية .

وعلى كل فمن الصعب الجزم بقدم أَى من الحركتين ، فإذا كانت اللغات السامية الغربية قد مالت إلى الكسر ، فإن اللغات السامية الشرقية لم تفعل ذلك – كما يفهم من تخصيصهم الغربية بها – كما أَن العربية وهى غربية لم تمل إلى ذلك إلَّا فى وزن ثلاثى واحد من ستة أَوزان هو فَعِل يفعَل وفيما زاد عن أَربعة أَحرف وبدأَ بالهمزة أَو التاء عند بعض العرب وهذا يعنى أَن الفتح فى العربية – بغض النظر عن الساميات بصفة عامة – هو الأَقدم وأَن ما حدث من كسر قد يكون بتأْثير من الساميات الغربية .

(١) الكتاب ٤/١١١

(٢) المخصص ١٤/٢١٧

(٣) فى اللهجات العربية ١٣٩

(٤) فصول فى فقه العربية ١٢٥

ومما يرجح حداثة الكسرة فى العربية أنها كانت فى زمن تسجيل العربية خاصة – فيما يتصل بالثلاثى – بوزن واحد من ستة أوزان وتطورت بعد ذلك فى مواطن كثيرة حتى شملت كل الأوزان الأخرى – كما ذكرنا من قبل – فنحن نقول فى القاهرة : بِكتِب ونِكتِب وفى نجد موطن التميميين يقولون فى أمثالهم : « شِفْ حَالَه ولا تِساله »[1] ويقولون : « يعْطه الله على قَدِرْ حالَه »[2] فقد نطق الفعلان سأل وأعطى بكسر حرف المضارعة ، وذكرنا من قبل أفعالًا تستعمل فى قطر مكسورة ولا تنطبق عليها قيود التلتلة ولاحظنا أن الأفعال التى كسر حرف مضارعها فى شرق الجزيرة كسرت الياء إلى جانب الأحرف الأخرى . فلو كان الكسر هو الأصل ثم تطور إلى الفتح فى خمسة أوزان (بالنسبة للثلاثى) وبقى السادس مكسورًا دون تطور ، لوجدنا الكسر يختفى تمامًا من لهجاتنا العربية المعاصرة ، لكننا وجدنا الأمر بالعكس تقل نسبة الفتح وتزداد بالتالى نسبة الكسر ، وهذا ما يرجح أصالة الفتح فى العربية ثم تطوره إلى كسر . فلما جاء زمن تسجيل العربية لم يكن التطور قد اكتمل دوره ، ثم اكتمل بعد ذلك على لسان بعض العاميات .

٦ – كسر ياء المتكلم المضاف اليها جمع المذكر السـالم :

القاعدة عند إضافة جمع المذكر السالم فى حالتى النصب والجر أن تفتح ياء المتكلم بعد أن تدغم فيها ياء الجمع ، فيقال مثلًا : رأيت محاربىَّ ، ومررت بمحاربىَّ . والأصل محاربيي ، وفى حالة الرفع تكون الصورة نفسها ، فيقال : هؤلاء محاربىَّ وإن كان الأصل محاربُوى . لكن لما اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياءً وأدغمت الأولى فى الثانية ثم قلبت ضمة الباء كسرة لتجانس الياء ، فأصبحت محاربىَّ[3] .

لكن بنى يربوع – وهم بطن من تمم – كانوا يكسرون ياء المتكلم فى حالة الوصل مخالفين القاعدة العامة التى تفتحها[4] .

---

(١) الأمثال العامية فى نجد ١/١٣٦ (رقم ٣٧١)

(٢) المرجع السابق ١/٢٤٨ (رقم ٦٣٧)

(٣) انظر : شرح ابن عقيل ٢/٩٠

(٤) إتحاف ٢٧٢

التفسير الصوتى :

والتفسير الصوتى لهذا النهج اليربوعى أن حركة الياء تأثرت بالكسرة السابقة . وهى حركة آخر الكلمة قبل دخول علامة الجمع عليها . وهذا تماثل كلى إتباعى منفصل . هذا فى حالتى النصب والجر . أما فى حالة الرفع فإن مرحلة التماثل هذه تمت بعد مرحلة أخرى وهى تأثر ضمة آخر الكلمة قبل إلحاق علامة الجمع بالياء التالية لها وذلك بطريق التماثل الكلى التخلفى . وبهذا يتم تطور الكلمة فى حالة الرفع هذه عن طريق التماثل الكلى التبادلى . هذا على فرض أن اللغة المشتركة هى القدمى .

موقف القراءات القرآنية :

بهذه اللغة اليربوعية قرئ قوله تعالى : (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيِّ)[١] بالياء المشددة المكسورة ، قرأ بها من السبعة حمزة[٢] . ومن الأربعة بعد العشرة الأعمش . كما قرأ بها يحيى بن وثّاب وحُمْران بن أَعْين وجماعة من التابعين[٣] .

٣ ـ كسر فاء فَعِيل وفَعِل الحلقى العين :

قرر سيبويه أن التميمى كان يتبع حركة فاء الكلمة لحركة عينها إذا كانت مكسورة وجاءت على أحد وزنى « فَعِيل » و « فَعِل » بشرط أن تكون العين أحد أصوات الحلق الستة ، وهى : الهمزة والهاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، والخاء ، سواء أكان ذلك فى اسم أو فعل ، وذلك مثل : لَئِيم ، وشَهِيد ، وسعيد ، ونحيف ، ورغيف ، وبخيل ، وضَحِكٌ ، ولَعِبٌ ، ووَخِم . وقد اكتفى سيبويه بعزو الظاهرة إلى تميم[٤] . ونجدها تنسب إليهم وحدهم أيضًا فى مواضع كثيرة من كتب اللغة كالمحكم واللسان والتاج عند معرض الحديث عن بعض الكلمات التى تتمثل فيها الظاهرة ، مثل : بِعير[٥] ، وذِهِبَ فى ذَهِبَ[٦] ،

---

(١) إبراهيم ٢٢/١٤

(٢) السبعة فى القراءات ٣٦٢

(٣) إتحاف ٢٧٢ ، والقارئ الأخير هو : أبو حمزة حمران بن أعين الكوفى مقرئ كبير ، أخذ القراءة عن يحيى ابن وثاب ومحمد بن على الباقر وأخذ عنه حمزة الزيات ، وتوفى نحو سنة ١٣٠ هـ (غاية النهاية ٢٦١/١) .

(٤) الكتاب ١٠٧/٤ ، ١٠٨

(٥) اللسان (بعر) ١٣٧/٥ ، والتاج (بعر) ٥٢/٣

(٦) المحكم (ذهب) ٢١١/٤ ، واللسان (ذهب) ٣٨١/١ ، والتاج (ذهب) ٢٥٨/١ وذهب هنا بمعنى زال عقله

ورئِى فى رَئِى[1] والضِّئِين وهو جمع ضائن ومعناه : ذو الصوف من الغنم[2] . ولكننا وجدنا صاحب العين يضم إليهم سفلى مضر[3] ، والمعروف أن سفلى مضرهم بنو تميم ومن كان يجاورهم من سكان نجد . وقد أكد نُصَير الرازى[4] هذه النسبة فعزاها إلى عامة قيس وتميم وأسد فيقول : « إذا أرادت الناقة أن تضع قيل : مَخِضَت وعامة قيس وتميم وأسد يقولون : مِخِضت بكسر الميم ويفعلون ذلك فى كل حرف كان قبل أحد حروف الحلق فى فِعِلت وفى فِعِيل ، يقولون : بِعِير وزِئِير وشِهِق ونِهِلَتِ الإبل وسِخِرت منه »[5] . لكننا وجدنا أبا جعفر النحاس عند معرَض حديثه عن « الرِّحِيم » يُخرج بنى أسد من المجموعة التى تُتبع ويضمها إلى الحجازيين الذين كانوا ينطقون باللغة المشتركة ويستبدل بهم فى لغة الإتباع ربيعة ، فيقول : « وهذه [أى الرَّحِيم] لغة أهلِ الحجاز وبنى أسد . وقيسٌ وربيعةُ وبنو تميم تقول : رِحِيم وبِعِير ورِغِيف »[6] .

وعلى كل فإن جميع العلماء الذين أفردوا نسبة هذه الظاهرة أو نسبوها إلى أكثر من قبيلة أجمعوا على عزوها إلى تميم .

فى القراءات القرآنية :

قرئ بهذه اللغة فى الشواذ ، فقد رُوى أن أبا السَّمَّال قرأ « بِهِيمة » بكسر الباء[7] فى قوله تعالى : (أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ)[8] .

فى الوقت الراهن :

لاتزال هذه الظاهرة فى نجد حتى وقتنا هذا ، وأصدق دليل على وجودها تسجيل أمثالهم العامية لها . فمن هذه الأمثال « بِعِير الظهر مْعَدَّم » والمراد ببعير الظهر بعير الركوب[9] و « بِغِيضه وجادت بنت »[10] .

---

(١) اللسان (رأى) ١٩/١١ (٢) اللسان (ضأن) ١٧/١١٩

(٣) العين (شهد) ٣/٣٩٨ وتهذيب اللغة : شهد) ٦/٧٥ ، واللسان (شهد) ٤/٢٢٧

(٤) هو نصير بن أبى نصير الرازى . أخذ عن الكسائى والأصمعى وأبى زيد (تهذيب اللغة « المقدمة ») ١/٢٢

(٥) تهذيب اللغة (مخض : ٧/١٢٢ واللسان (مخض) ٩/٩٥ ، والتاج (مخض) ٥/٨٣

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١/ب

(٧) مختصر فى شواذ القرآن ٣١ ، والقارىء هو : أبو السمال قعنب بن أبى قعنب العدوى البصرى . له اختيار فى القراءة شاذ عن العامة ، وروى عنه أبو زيد سعيد بن أوس (غاية النهاية ٢/٢٧) .

(٨) المائدة ٥/١ (٩) الأمثال الشعبية فى قلب الجزيرة العربية — القسم الأول ٤٧ (رقم ١٢٤) .

(١٠) المرجع السابق ٤٧ (رقم ١٢٥) .

تفسير الظاهرة :

أثر صوت الحلق فى سابقه فتبعه فى كسره فحدث تماثل كلى تخالفى منفصل وقد يتساءل البعض : لِمَ لَمْ يكن التماثل إتباعيًّا فيؤثر الصوت الأول فى صوت الحلق

لقد أجاب سيبويه عن هذا التساءل بقوله : « ولم تُفتح هى [أى حروف الحلق] أنفسُها هنا ؛ لأنه ليس فى الكلام فَعِيْلٌ ، وكراهية أن يلتبس فَعِلٌ بفَعَلٍ فيخرج من هذه الحروف فَعِلٌ ، فلزمها الكسر ها هنا وكان أقرب الأشياء إلى الفتح[1] » .

لكن هذه الإجابة غير شافية ، لأن العربى لو زاد وزنًا جديدًا ، وكذلك لو نطق كل ما جاء على فَعَلٍ فَعَلاً لتقبل منه . والتفسير هو أن طبيعة الأصوات الحلقية تؤثر فى غيره ولا تتأثر هى بغيرها ، بل إن أصوات الحلق نفسها يؤثر ما هو أبعد منها عن الفم فيما ه أقرب للفم ، فالحاء مثلًا تتأثر بالهاء ولا تؤثر فيها . وقد لاحظ ذلك سيبويه وهو يتك عن الإدغام ، فقال : « ولا تدغم الحاء فى الهاء ، كما لا تدغم الفاء فى الباء ؛ لأن ما كا أقرب إلى حروف الفم كان أقوى على الإدغام ، مثل : امْدَحْ هِلَالًا ، فلا تدغم »[2] .

وألاحظ مثل هذا التأثير على لهجة بلدنا (البدارى وما حولها) ، فكل (فَعِيل) عنده (فِعِيل) سواء أكان ثانيه صوت حلق أو غير حلق ، مثل : رِغِيف ، وسِلِيم ، وكِبِير وطِوِيل ، إلّا إذا كان الصوت الأول حلقيًّا فيحتفظ بالفتح ولا يتأثر بتاليه القريب من الفم مثل : عبد الحَمِيد ، وحَلِيم ، وغَفِير . ويستثنى من ذلك أيضًا بعض أسماء الأعلام مث سَمِير ، وأعتقد أن مرد هذا الاستثناء إلى أن هذا العلم دخيل على البيئة لعدم تسمية الأجيا السابقة به .

ثانيا : غير المطرد :

١ ـ ٣ : ما جاء على فِعْلة عند تميم و « فَعِلة » عند غيرهم (كلمة ـ معدة ـ نقمة)

١ ـ كِلْمة :

نسب إلى تميم لفظ « كِلْمة » بكسر أولها وسكون ثانيها ، وإلى الحجازيين « كَلِمة

(١) الكتاب ٤/١٠٨

(٢) المرجع السابق ٤/٤٤٩

بفتح أولها وكسر ثانيها[١] . وينقل الجوهرى عن الفراء أن فى هذا اللفظ ثلاث لغات ، هى : كَلِمَة ، وكِلْمة ، وكَلْمة دون أن يعزوها لأصحابها[٢] . لكننا إذا رجعنا إلى ما جاء على « فَعْلَة » من الأسماء الصحيحة فى « ديوان الأدب » لانجد « كَلْمة »[٣] ونرى ابن هشام يذكر هذه اللغات فى شرح « شذور الذهب » وينسب الصيغتين غير الحجازيتين (كِلْمَة ، وكَلْمة) إلى تميم[٤] .

إذا كانت المصادر القديمة اكتفت بنسبة كَلمة إلى الحجاز وكِلْمة إلى تميم ، فمعنى نسبة ابن هشام الصيغة الثالثة (كَلْمة) إلى تميم – إن صحت – أن بعض التميميين كانوا ينطقون الفتح والآخرون كانوا ينطقون بالكسر ، وأن الكسر هو الذى شاع بين غالبيتهم بحيث اكتفى هؤلاء اللغويون الأوائل عند جمعهم اللغة بنسبته إليهم .

وعلى كل فمهما يكن من أمر فإن التميميين – سواء كلهم أو بعضهم – نطقوا بالكسر ، والحجازيين بالفتح . وهما موضوع دراستنا .

أما إسكان تميم للصوت الثانى من الكلمة فهذا يتفق ونهجها فى بدء الكلمة بمقطع مغلق (وهذا ما سنتناوله فى موضعه) .

موقف القراءات القرآنية :

الصيغة الحجازية هى التى سادت وأصبحت من اللغة المشتركة ، وقد جاء بها التنزيل الحكيم : (قُلْ يا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعالَوْا إِلَى كَلِمة سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبيْنَكُم)[٥] . وأما الصيغة التميمية ، فقد قرئ بها فى الشواذ قرأ أبو السمال « إلى كِلْمة »[٦] .

---

(١) تهذيب اللغة ١٠/٢٦٤ ، والخصائص ١/٢٥ ، واللسان (كلم) ١٥/٤٢٨ ، وشرح المفصل ١/١٩ ، وتاج العروس (كلم) ٩/٤٩ ، وديوان الأدب ١/٢٠١ ، والصحاح (كلم) ٥/٢٠٢٣ واكتفى المرجعان الأخيران بنسبة اللغة التميمية .

(٢) الصحاح (كلم) ٥/٢٠٢٣

(٣) انظر : ديوان الأدب ١/١٤٦

(٤) شرح شذور الذهب ١١

(٥) آل عمران ٣/٦٤

(٦) مختصر فى شواذ القرآن ٢١

٢ ، ٣ : مِعْدَة ، ونِقْمَة :

جاء فى شرح شافية ابن الحاجب : « وإنما جمع مَعِدة ونَقِمَة على فِعَل بكسر الفاء وفتح العين ؛ لأنهم يقولون فيهما عند بنى تميم وغيرهم مِعْدَة ونِقْمَة ككِسْرَة نحو : كِتْف فى كَتِف فجمعا على ذلك ، فمِعَدٌ ونِقَمٌ فى الحقيقة جمع فِعْلة لاجمع فَعِلة وأما غيرهما نحو كَلِمة وخَلِفة فلا يجىء على وزن كِسْرَة إلّا عند بنى تميم »[1] .

هذا النص يشير إلى خاصيات تميمية ثلاث ، اجتمعت فى كلمتى : معدة ونقمة ، وهى :

١ — ميل تميم إلى كسر الحرف الأول منها فى حين إنه مفتوح فى اللغة المشتركة .

٢ — بدء الكلمة عند تميم بالمقطع المغلق القصير فسكنت الصوت الثانى فى حين إن اللغة المشتركة بدأت بمقطع مفتوح مكسور الصوت الثانى .

٣ — إن الجمع هنا راعى الصيغة التميمية فقط دون الحجازية .

والذى يعنينا هنا أن بنى تميم كسروا أول الكلمة فقالوا : معْدة ونِقْمة فى حين إن اللغة المشتركة فتحت الحرف نفسه فقالت : مَعِدة ونَقِمة . وإذا كان جمع الصيغتين التميمية والمشتركة للكلمتين واحد وهو مِعَدٌ ونِقَمٌ . وهذا الوزن خاص بالصيغة التميمية — كما قرر النص المعروض — وذلك بخلاف الكلمات ذات الصيغتين الشبيهتين بهاتين ، فقد كان لكل من التميميين واللغة المشتركة وزن فى الجمع يختلف عن الآخر وهو فى الوقت ذاته يتفق وصيغة الاسم المفرد عند كل قبيل ، من ذلك مثلًا جمع كِلْمَة على كِلَم عند تميم وكَلِمة على كَلِم فى اللغة المشتركة ، على ما سنعرض له عند الحديث عن جمع التكسير — وانفراد صورة لجمع الصيغتين واتفاقها قياسًا مع التميمية يؤكد لنا أن الصيغة التميمية هى الأصلية ، وأنها تطورت فى اللغة المشتركة دون أن يتطور الجمع ليلائم المفرد .

٤ — تِمِام :

قال اليزيدى فى نوادره : « أهل الحجاز : ولدته لتَمام مفتوح وتميم تكسر »[2] .
والمقصود هنا « تِمَام الحمل »[3] وقد ورد نص شبيه بهذا فى « الأزمنة والأمكنة »

(١) شرح الشافية ١٠٨/٢ (٢) المزهر ٢٩٩/ب (خ) (٣) المصباح (تمم) ٧٧

للمرزوقى منسوبًا إلى ابن الأعرابى واستبدل بأهل الحجاز عليا مضر[١] ولا تناقض بينهما إذ المراد بالاثنين سكان غرب الجزيرة .

٥ ـ الحج :

قال يونس فى نوادره : « الحجاز الحَج وتميم الحِج »[٢] . وقد وردت هذه الكلمة فى القرآن الكريم عشر مرات[٣] ويعقب النحاس على قوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحج)[٤] ـ بعد أن نسب الفتح لأهل الحجاز والكسر لأهل نجد ـ بقوله : « فالفتح على المصدر والكسر على أنه اسم »[٥] .

والواقع أن نسبة الصيغتين إلى قبيلتين ثم التفرقة بينهما على أن إحداهما مصدر والأخرى اسم ، خلط فى التفسير ، فهما إما أن اهما مسمى واحدًا ينتمى إلى قبيلتين أو مسميين ينتميان إلى قبيلة واحدة . وعلى كل فنسبة الكسر إلى تميم فى مقابل الفتح إلى الحجاز ورد فى أكثر من مصدر .

موقف القراءات القرآنية :

نلاحظ أن الآية الكريمة : (وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ من اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)[٦] تقاسم القراء قراءة كلمة « حج » وفق اللغتين ، فقرأ بالكسر (حِج)من القراء حفص وحمزة والكسائى[٧] وأبو جعفر وخلف[٨] والأعمش والحسن[٩] وقرأ بقية الأربعة عشر بالفتح وفق اللغة الحجازية[١٠] . أما الآيات الأخرى فقرئت كلها بالفتح ، ولم يقرأ بالكسر سوى الحسن[١١] .

---

(١) الأزمنة والأمكنة ١/٣٣٩

(٢) المزهر ٢٩٨/ب (خ) ، وانظر : البحر ٣/١٠ ونسب الكسر لنجد والفتح لأهل العالية ، والإتحاف ١٧٨ ونسب الكسر لنجد و الفتح للحجاز و أهل العالية و أسد .

(٣) انظر : معجم ألفاظ القرآن الكريم ١/٢٤٨

(٤) البقرة ٢/١٨٩

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١/٢ أ

(٦) آل عمران ٣/٩٧

(٧) السبعة فى القراءات ٢١٤ ، والتيسير ٩٠

(٨) تحبير التيسير ٩٨

(٩) إتحاف ١٧٨

(١٠) المراجع الأربعة السابقة

(١١) إتحاف ١٧٨ والقراءات التى وافقت اللغة التميمية وافقتها فى كسر الحاء فقط ، بخلاف النطق بالجيم ؛ لأن النهج العام عندهم قلب الجيم ياء

التفسير الصوتى :

إذا كان النهج العام لتميم – كما ذكرنا – قلب كل جيم ياء فان كسر الحاء بسبب المجاورة لهذه الياء ، فهو تماثل كلى تخلفى متصل .

٦ – حِفاية :

يذكر السرقسطى أن للفعل « حَفِىَ » مصدران ، هما : حَفاوة وحِفاية وعزا الأخير لتميم[1] ، وزاد صاحب اللسان مصدرًا ثالثًا هو « حِفاوة[2] » . وقد عرضنا هذه الكلمة عند الحديث عن « أشباه أصوات اللين » .

٧ – زِعم :

سيرد هذا اللفظ عند الحديث عن « الضم والفتح » فقد نسب يونس الضم لتميم والفتح للحجاز . وفى اللفظ لغة ثالثة هى « زِعم » نسبها صاحب البحر إلى بعض تميم وبعض قيس . أى أن بعض التميميين نطقوا الكسر فى مقابل الفتح عند الحجازيين .

٨ – شجرة :

ذكرنا عند الكلام عن قلب الجيم ياء أن تميمًا كانوا يقولون : « شِيرة » بكسر الشين فى مقابل شَجرة بفتحها . والذى دعاهم إلى الكسر وجود الياء التالية المنقلبة عن الجيم ، وهو تماثل كلى تخلفى :

٩ – شِرب :

كان معظم سكان نجد يفتحون الشين من كلمة « شرب » فى حين إن بعض بنى سعد من تميم – كما زعم الكسائى – كانوا يكسرونها[3] . ويذكر اليزيدى أن الفتح لأهل الحجاز والضم لتميم – وسنتناول ذلك فى موضعه – ولا نرى تناقضا بين القولين ، وإنما هذا يعنى أن معظم النجديين كانوا يشاركون الحجازيين فى نطقهم بالفتح وأن الضم كان لتميم وشذ بعضهم فكسر اللفظ بدلًا من أن يضمه .

---

(١) الأفعال ١/٣٧٥ (٢) اللسان (حفا) ١٨/٢٠٣ (٣) زاد المسير ٨/١٤٥

١٠ ـ ضِبارى :

(ا) قال الصغانى (ت سنة ٦٥٠ هـ) :

« وفى الرِّباب ضَبَارىّ بالفتح ، وفى تميم ضِبارىّ بالكسر »[١] .

(ب) قال الفيروزابادى :

« وضِبارَى بالكسر والقصر : رجل من تميم ، وبالفتح فى الرِّباب »[٢] .

وإذا رجعنا إلى مادة (ضبر) فى لسان العرب[٣] ، والقاموس المحيط[٤] نجد المعنى الكلى لها هو المتانة والقوة . ولهذا اشتق العرب أسماء منها أطلقوها على أولادهم . من هذه الأسماء « ضبارة » فى ربيعة[٥] وضِبارى بكسر أوله عند تميم وبفتحه عند الرباب ـ وهما موضوع حديثنا ـ وإذا أردنا أن نقارن بين النصين نجدهما يتفقان فى نسبة الكسر والفتح إلى أصحابهما ولكن العلمين يردان فى التكملة مشددى الآخر مع كسر ما قبله ، أما الفيروزابادى فيذكرهما على أنهما مقصورين .

وإنى لأميل إلى ضبط صاحب القاموس ، لأنه بالعبارة بخلاف ضبط التكملة فإنه ضبط قلم ، وهذا النوع قابل للتصحيف .

وقد علق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم محقق الجزء الثالث من التكملة على كلمة « الرِّباب » معتمدًا على القاموس فعرفهم بأنهم « أحياء بمكة سموا بذلك ؛ لأنهم أدخلوا أيديهم فى رُبّ وتعاقدوا »[٦] . لكن الذى فى القاموس أنهم « أحياء ضَبّة »[٧] . وقد ذكر ابن حزم أنهم بنوا عبد مناة بن أُدّ (تَيْم ، وعَدِىّ ، وعَوْف « عُكْل » ، وثَوْرُ ، وأشيب) ؛ لأنهم تحالفوا مع بنى عمهم ضبة على بنى عمهم تميم بن مر فغمسوا أيديهم فى رُبّ ثم خرجت عنهم ضبة واكتفت بعددها[٨] .

---

(١) التكملة (ضبر) ٨١/٣

(٢) القاموس (ضبر) ٧٣/٢

(٣) اللسان ١٥٠/٦ – ١٥٢

(٤) القاموس ٧٥/٢

(٥) ضبط فى التكملة ٨١/٣ بفتح الضاد ، وضبط فى القاموس ٧٤/٢ بضم الضاد

(٦) التكملة ٨١/٣ (الحاشية ٣)

(٧) القاموس (ربب) ٧١/١

(٨) جمهرة أنساب العرب ١٩٨

ويلتقى هؤلاء مع تميم فى أُدّ بن طابخة ، فتميم بن مر بن أُدّ بن طابخة — كما ذكرنا عند الحديث عن نسبه — وكذلك عبد مناة بن أُدّ ، وضبة بن أُد كما كانوا يجاورونهم فى مساكنهم [1]. فالخلاف فى نطق الاسم قاصر على قبائل عاشت فى النصف الشرقى من الجزيرة .

١١ — مَطلِع :

آثرت تميم « مَطلِع » بكسر اللام فى مقابل « مَطلَع » بفتحها فى اللغة المشتركة ، وهو اسم يدل على زمان أو مكان الطلوع أو الحدث نفسه غير المرتبط بزمن . وسندرسه مبينين علة اختيار تميم للكسر دون الفتح عند الحديث عن « المصدر الميمى » و « اسمى الزمان والمكان » .

١٢ — طِنفِسة :

قال يونس (ت سنة ١٨٢ هـ) فى نوادره : « أهل الحجاز طَنْفَسَة وتميم طِنْفِسَة [2] » . ويرجع اختلاف العرب فى فتح أول الكلمة وكسرها إلى أنها أعجمية أصلها فى الفارسية tanfasa و tanfa بمعنى بساط من نوع فاخر [3] . والملاحظ أن النطق التميمى هو المتطور . وقد تم بطريق التغاير التخالفى المتباعد .

١٣ — كِثْرة :

« الكَثْرة بفتح الكاف وتميم بكسر الكاف » [4] . وقد تم ذلك كسابقه عن طريق التغاير التخالفى . وورد هذا اللفظ مرتين فى القرآن الكريم [5] لكنه لم يقرأ وفق اللغة التميمية ، فيما نعلم .

١٤ — نِعجة :

نطق بعض التميميين هذا اللفظ بكسر النون [6] . مخالفين النطق الشائع الذى كان يفتحها .

---

(١) راجع ص ٣١ ، ٣٧ ، وانظر بشأن « الرباب » اللسان (ربب) ٣٨٨/١

(٢) المزهر ١٩٨/ب (خ) = ٢٧/٢ (ط) وأهملت المطبوعة ضبط الصيغتين .

(٣) Steingass, persian - English Dictionary p. 289

(٤) البحر ٢٤/٥ (٥) المائدة ١٠٠/٥ ، والتوبة ٢٥/٩ (٦) البحر ٣٩٢/٧

التفسير الصوتى :

كانت الجيم تنطق ياء عند التميميين فتأثرت حركة النون بها فكسرت وهذا تماثل كلى تخلفى متباعد .

موقف القراءات القرآنية من الصيغة التميمية :

وردت هذه اللفظة فى قوله تعالى : (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ)[١] . وقد قرأها الجمهور بفتح النون[٢] وقرأها بالكسر – كما نسب لتميم – الحسن وابن هرمز[٣] .

١٥ – نِهْى :

نقل ابن السكيت (ت سنة ٢٤٤ هـ) عن أبى عبيدة (ت نحو سنة ٢٠٩ هـ) قوله : « تميم من أهل نجد يقولون : نِهْى للغدير ، وغيرهم يقولون : نَهَى[٤] » . وبالتمعن فى كلام أبى عبيدة نستنتج أن الخلاف فى فتح النون وكسرها خلاف بين النجديين أنفسهم . اتجه التميميون إلى الكسر فى حين إن غيرهم من النجديين مالوا إلى الفتح . ويعضد هذا الاستنتاج أن الكلمة خاصة بالنجديين فى مقابل الغدير فى لغة غيرهم ، جاء فى اللسان : « وقيل : هو [أى النهى] الغدير فى لغة أهل نجد »[٥] . وسنتناول ذلك فى باب الدلالة .

وقد كان للياء الواقعة فى طرف الكلمة أثر فى كسر التميميين للنون ويعد هذا تماثلاً كلياً تخلفياً منفصلا ؛ لأن الكلمة فى أصلها مصدر للفعل « نهى » وهو ثلاثى متعد قياس مصدره على فَعْل[٦] .

---

(١) ص ٢٣/٣٨ (٢) البحر ٣٩٢/٧

(٣) المرجع السابق والمحتسب ٢٣٢/٢ ، وشواذ الكرمانى ٢٠٨ ، وفيهما «الأعرج» بدل « ابن هرمز» وهما واحد وهو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج المدنى ، تابعى أخذ القراءة عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى ، وروى عنه نافع . توفى سنة ١١٧ هـ بالإسكندرية (معرفة القراء ٦٣/١ ، ٦٤) .

(٤) إصلاح المنطق ٣٥ والنص منقول عن ابن السكيت فى البارع ١٢

(٥) اللسان (نهى) ٢١٩/٢٠

(٦) انظر : شرح ابن عقيل ١٢٣/٢

١٦ – هيهاتِ :

ذكرنا عند الحديث عن « الضم والكسر » أن العرب نطقوا هذا اللفظ بصيغ متعددة . ويعنينا هنا المقارنة بين كسر التاء الذى انتهجه التميميون وفتحها الذى عزى إلى الحجاز [(١)] وهو الذى آثرته أيضًا اللغة المشتركة بدليل قراءة جمهور القراء به قوله تعالى : (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعدُونَ) [(٢)] .

ونلاحظ أن التميمى فى كسره التاء – مخالفًا اللغة المشتركة التى كانت تفتحها – تأثر بالياء السابقة لها ، فصنيعه هذا من التماثل الكلى الإتباعى المنفصل ، على فرض أن اللغة المشتركة هى الأصلية .

١٧ – وتر :

قال أبو على القالى (ت سنة ٣٥٦ هـ) : « والوِتْر : الذَّحل (بكسر الواو لا غير) ، والوَتر (بفتح الواو وكسرها) : الفرد ، ويقرأُ : والشَّفع والوَتْر ، والوِتْر . الفتح لغة أهل الحجاز ، والكسر لغة تميم وأسد وقيس » [(٣)] .

تعليق :

أولا : يقرر أبو على القالى أن لكلمة « وتر » مدلولين :

١ – العدد ، ومنه صلاة الوتر .

٢ – الذحل وهو بمعنى الثأْر [(٤)] .

كما يقرر أنه بالمعنى الأول يختلف التميميون ومن جاورهم من قيس وأسد عن الحجازيين فى ضبط أوله ، أما المعنى الآخر ، وهو الذَّحل ، فيتفقون هم ومجاوروهم وأهل الحجاز فى كسره ، ووجدنا عدة روايات تعضد ذلك وإن اختلفت أحيانا فى تحديد المنسوب إليهم بأن وسعت الدائرة أو ضيقتها أو أطلقت عليهم أسماء أخر ، فنجد :

(أ) الأصمعى (ت ٢١٥ هـ) يجعل المقابلة بين الحجاز وبين تميم وقيس [(٥)] .

---

(١) المفصل (ضمن شرح المفصل) ٦٥/٤ (٢) المؤمنون ٣٦/٢٣

(٣) الأمالى للقالى ١٢/١ (٤) اللسان (ذحل) ٢٧٢/١٣ (٥) إعراب القرآن للنحاس ٣١٢ / أ

(ب) يونس (ت ١٨٢ هـ) يجعلها بين تميم وأهل العالية[1] .

(ج) اليزيدى (ت ٢٠٢ هـ) يكتفى بقصر المقارنة على المعنى الأول وهو الفرد بين الحجاز وتميم[2] .

(د) أبا حيان يقارن بين قريش وتميم[3] .

ثانيا : نجد إلى جانب ذلك « اللحيانى » ينسب إلى الحجازيين الفتح فى المعنيين وإلى النجديين الكسر فيهما[4] .

ثالثا : ونجد أيضا الجوهرى :

(أ) ينسب إلى أهل العالية الكسر فى العدد والفتح فى الذَّحْل .

(ب) ويعزو إلى أهل الحجاز الفتح فى العدد والكسر فى الذَّحَل .

(ج) ويقول إن تميما تكسر فى المعنيين[5] .

رابعا : وبخلاف الجوهرى نرى الفيومى يذكر الآراء الثلاثة التى ذكرها الجوهرى ، لكنه يعكس فيما يخص أهل العالية والحجاز ، فينسب إلى كل منهما ما نسبه الجوهرى الآخر ، فعنده :

(أ) الكسر لتميم فى المعنيين .

(ب) الفتح فى العدد والكسر فى الذَّحْل لأهل العالية .

(ج) الكسر فى العدد والفتح فى الذَّحْل للحجازيين[6] .

وإذا ضربنا صفحا عما ذكره صاحب المصباح بوصفه غير لغوى أصيل : بالإضافة إلى أنه متأخر واحتمال التصحيف راجح عنده ، فإننا نجد الجوهرى يفرق هنا بين

---

(١) إصلاح المنطق ٣٥ ، واللسان (وتر) ٧/١٣٥ ، ١٣٦

(٢) المزهر ٢/٢٧٧ (٣) البحر ٨/٤٦٧

(٤) المحكم ٢٠/١٧ أ

(٥) الصحاح (وتر) ٢/٨٤٢ وعنه نقل اللسان (وتر) ٧/١٣٦

الحجازيين وأهل العالية . وأهل العالية يطلقون في هذه الحالة على عالية المدينة ، وذلك بخلاف الإطلاق العام المراد به أهل الحجاز عند المقارنة بينهم وبين النجديين .

وسواء أصح الرأيان : الثاني (رأي اللحياني) ، والثالث (رأي الجوهري) أم لم يصحا ، فإن الإجماع على أن تميما كانت تكسر في المعنيين وأن الفتح في المعنين عند غيرهما هو موضع الخلاف .

القراءات واللغة التميمية :

ورد الوتر بمعنى العدد فقط في القرآن الكريم في قوله تعالى : (والشفع والوتر)[١] .

وقد قرأ بكسر الواو وفق اللغة التميمية من القراء الأربعة عشر : الكسائي ، وحمزة[٢] وخلف[٣] والحسن والأعمش[٤] والباقون قرءوا بالفتح[٥] .

١٨ — الولاية :

تستعمل كلمة الولاية بمعنى :

١ — الربوبية .

٢ — التولي ومعناه النُّصرة ، والقرب والدنو .

٣ — في السلطان : تعني السلطان نفسه ، وكذلك البلاد التي يحكمها[٦] .

ويقرر اليزيدي أن أهل الحجاز يفتحون في المعنيين الأوليين ويكسرون في المعنى الأخير الخاص بالسلطان . أما تميم فتكسر في كل الدلالات ، يقول : « أهل الحجاز : الوَلاية في الدين ، والتولي مفتوح ، وفي السلطان مكسور ، وتميم تكسر الجميع »[٧] وإذا كان الجميع يتفقون في السلطان فيبدو أنها دلالة محدثة لأنها مرتبطة بالتنظيم الإداري الذي نشأ بعد تأسيس الدولة الإسلامية وأنه أطلق في أول الأمر للدلالة على الوظيفة وهي حرفة قياس مصدرها على « فِعالة » .

---

(١) الفجر ٨٩/ ٣

(٢) السبعة في القراءات ٦٨٣ ، والتيسير ٢٢٤

(٣) تحبير ١٩٦

(٤) إتحاف ٤٣٨

(٥) المراجع الأربعة السابقة .

(٦) لسان العرب (ولى) ٢٠/٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣

(٧) المزهر ٢٩٩/أ

موقف القراءات القرآنية من الصيغة التميمية :

وردت هذه الكلمة فى كتاب الله مرتين :

الأولى : فى قوله تعالى : (... والذين آمنوا ولم يُهاجروا مالكم من وَلَايَتِهِم من شىء حتى يهاجروا)[1] . وهى هنا يمكن أن تكون بمعنى النصرة . أى المعنى الثانى وهو « التولى » الذى فتحه الحجازيون وكسره التميميون . ويمكن أن تكون أيضا بمعنى السلطان فتكسر على أى حال ، فلننظر فى كتب القراءات لنرى موقفها من اللغتين بالنسبة لهذه الآية .

لقد قرأ بالكسر أى وفق النهج التميمى فى المعنيين أووفق الحجازى بالدلالة الثانية من الأربعة عشر : حمزة[2] والأعمش[3] . وقرأ الباقون بالفتح أى وفق النهج الحجازى[4] .

الثانية : هى قوله تعالى : (هُنالِكَ الوَلايةُ للهِ الحقِّ هو خَيْرٌ ثواباً وخَيْرٌ عُقْباً)[5] وهى هنا بمعنى الربوبية ، أى أن الحجاز تفتح الواو وتميم تكسرها . ولقد قرأ باللغة التميمية (بكسر الواو) حمزة والكسائى[6] ، وخلف[7] ، والأعمش[8] .

* * *

(ب) الميل الى الفتح :

١ — أَمَّا :

أَمَّا (بفتح الهمزة) تفيد المجازاة ، مثل : أَمَّا زيدٌ فله درهم ، وتلزم الفاء جوابه وإِمَّا (المكسورة الهمزة) تكون فى موضع أو ، مثل : ضربت إما زيدا وإما عمرا . ولابد من تكرارها بخلاف المفتوحة التى يتم الكلام بدون تكرارها . وإذا كررت مثل قوله تعالى : (أَمَّا من استغنى فأَنت له تصدّى . وماعليك أَلَّا يَزَّكَّى وأَمَّا من جاءك يسعى وهو يخشى فأَنت عنه تلهى)[9] فإن الكلام مستغن من قبل ذكر أَمَّا الثانية[10] . وقد فتح التميميون

---

(١) الأنفال ٧٢/٨
(٢) السبعة فى القراءات ٣٠٩ ، والتيسير ١١٧
(٣) إتحاف ٢٣٩
(٤) المراجع الثلاث السابقة .
(٥) الكهف ٤٤/١٨
(٦) السبعة فى القراءات ٣٠٩ ، و التيسير ١٤٣
(٧) تحبير ١٣٥
(٨) إتحاف ٢٣٩
(٩) عبس ٥/٨٠—١٠
(١٠) المقتضب ٢٨/٣ ، ٢٩

همزة إمَّا المكسورة[1] . والمعروفة بالتفصيلية ونطقوها مثل الشرطية وعلى هذه اللغة قول القمقام :

تُلَقِّحُها أمَّا شمالٌ عَرِيَّـــةٌ وأمَّا صَبًا جنْحَ العَشِىِّ هَبُوبُ[2]

وسنرى عند الحديث عن المخالفة أن كثيرا من بنى تميم يبدلون الميم الأولى ياءً .

٢ – بَساط :

البِساط : المكان الواسع من الأرض ، ويعزو الأصمعى (٢١ ه) فتح الباء إلى تميم[3] . وقد روى اللفظ فى قوله تعالى (والله جَعَلَ لكم الأرْضَ بسَاطا)[4] ولانعرف من أصحاب القراءات المتواترة والشاذة من قرأ وفق اللغة التميمية . وفتح تميم للباء يعد من التماثل الكلى التخالفى المنفصل على فرض أن الصيغة المشتركة هى القدمى .

٣ – جَبْرئيل :

كانت تميم – وشاركتها فى ذلك قيس – تقول جَبْرئيل فى مقابل جبْريل عند أهل الحجاز[5] ، أى أنها كانت تفتح الصوت الأول وهو الجيم الذى كانت تنطقة ياء – كما سبق أن وضحنا عند الحديث عن التبادل بين هذين الصوتين – فى حين أنه ينطق بكسر الجيم عند الحجازيين مع حذف الهمزة .

وهذا اللفظ دخيل فى العربية[6] ، فهو عبرى الأصل[7] גַּבְרִיאֵל (جَبْرِيئِيل) بمعنى رجل الله[8] .

التفسير الصوتى :

إذا كان التميمى قد آثر الفتح فإن ذلك يتفق ونطقه فى لغته الأصلية كما أنه يتفق ونهج تميم فى التلتلة من كسرهم حرف المضارعة إلا أن يكون ياء فيفتحونها استثقالا

---

(١) تسهيل الفوائد ١٧٦ ، وارتشاف الضرب ٢٧١/ب ، وهمع الهوامع ١٣٥/٢ وشرح التصريح ١٨٤/٢ ، والدرر اللوامع ١٨٢/٢ ونسب فى الأربعة الأخيرة إلى قيس وأسد بالإضافة إلى تميم .

(٢) الدرر اللوامع ١٨٢ (شمال وجنوب : نوعان من الرياح – عرية : باردة – جنح العشى : أى حين مالت الشمس للغروب – الدرر ١٨٢) .

(٣) تلخيص البيان فى مجازات القرآن ٣٤٩

(٤) نوح ١٩/٧١

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١٤ / أ ، وتفسير الطبرى ٣٨٨/٢

(٦) المعرب ١١٣

(٧) Jeffery, The Foreign vocabulary p. 100.

(٨) Gesenius, Hebrew p. 150.

للكسرة مع الياء ، وذلك لأنهم كانوا يقلبون الجيم ياء . أما كسر الحجازيين الصوت الأول فهذا يتفق والياء التالية المخففة عن الهمزة (جبريل) ، وهو من التماثل التخلفى المنفصل .

٤ ـ جَداية :

الجداية ـ بفتح الجيم وكسرها ـ : الذكر والأنثى من أولاد الظباء إذا بلغ ستة أشهر أو سبعة وعدا[1] وعزا ابن الأعرابى الفتح إلى تميم[2] .

٥ ـ حَصاد :

الحَصاد (بكسر الحاء وفتحها) مصدر حَصَد وقال الفراء : «الكسر للحجاز والفتح لنجد وتميم »[3] . والمصدر القياسى حَصْد (بفتح الحاء)[4] فالتميمى أطال بنية المصدر القياسى بمضاعفة حركة الصوت الساكن الثانى وفى الوقت ذاته حافظ على حركة الصوت الأول (الحاء) بخلاف الحجازى الذى كسره . وعمله هذا من باب التغاير التخلفى المتباعد .

٦ ـ رَبوة :

نطق العرب هذه الكلمة مثلثة الراء تمثل كل حركة لغة :

(أ) الضم فى اللغة المشتركة .

(ب) الفتح لتميم ،

(ج) الكسر ، ولم يحدد ناطقوه .

ويهمنا أن نشير هنا إلى المقارنة بين الفتح لغة تميم والكسر الذى نطق به بعض العرب . ونرجئ تفصيل الحديث عن هذه الكلمة إلى (الضم والفتح) حيث المقارنة بين التميمية واللغة المشتركة .

---

(١) اللسان (جدا) ١٤٧/١٨

(٢) النوادر لأبى مسحل ٢٥٢/١

(٣) البحر ٢٣٤/٤

(٤) المرجع السابق .

٧ – رَبِّيُّون :

يذكر ابن جنى أن فى كلمة «رَبِّيُّون» ثلاث لغات : كسر الراء وفتحها وضمها وعزا الفتح إلى تميم ولم ينسب الضم[1] . أما الكسر فهو اللغة المشتركة بدليل قراءة جمهور القراء به[2] قوله تعالى : (وكَأَيِّن من نبيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّون كَثِيرٌ)[3] وقد قرىء أيضا باللغتين الأخريين . ويعنينا هنا أن الذى قرأ وفق اللغة التميمية هو ابن عباس[4] .

والرِبِّيون جمع رِبِّى نسبة إلى الرَّب وإلى هذا ذهب الأَخفش[5] ، فالمقصود بهم الأَتقياء الورعون .

أو أن الرِبِّى نسبة إلى الرِّبة وهى الجماعة كما ذهب الفراء[6] .

أو هو جمع رِبِّىّ بمعنى الجماعة الكثيرة ، كما ذهب أبو طالب[7] .

وعلى القولين الأَولين – وأولهما أقرب إلى النفس – فإن الصيغة التميمية هى الأَصلية لاتفاق المنسوب والمنسوب إليه فى فتح الراء . أما الضم ؛ فإنه أشبه بدُهرى نسبة إلى الدهر ، كما علله أبو حيان . وأما الكسر فمثل إمسى نسبة إلى أمس ، كما قال الأخفش[8] .

٨ – سَيِنين :

نطق هذا اللفظ بعدة صور ، فقيل :

١ – سِينين بكسر السين وبياء تليها .

٢ – سَينين بفتح السين وبياء تليها[9] .

٣ – سِنين بكسر السين وحذف الياء التى تليها[10] .

---

(١) البحر ٣/٧٤ (٢) المرجع السابق . (٣) آل عمران ٣/١٤٦
(٤) مختصر فى شواذ القرآن ٢٢ والبحر ٤/٢٣٤
(٥) التبيان للطبرسى ٣/٥١٧ ، واللسان (ربب) ١/٣٩٢
(٦) المرجع السابق . (٧) المرجع السابق . (٨) البحر ٣/٧٤
(٩) المرجع السابق ٨/٤٩٠ (١٠) مختصر فى شواذ القرآن ١٧٦

٤ ــ سيناء بفتح السين .

٥ ــ سِيناء بكسر السين[١] .

وقد عزيت الصيغة الثانية (سَينين) إلى تميم وبكر[٢] . ووردت الكلمة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : (والتين والزيتون وطُور سينين)[٣] . وقرأ وفق اللغة التميمية أبو رجاء وابن أبى إسحاق وعمرو بن ميمون[٤] إلا أن ابن خالويه يذكر أن الأخيرين قرآ بكسر السين وبحذف الياء الأولى (سِنين)[٥] . وأما الجمهور فقد قرءوا بكسر السين وبياء تليها (سِينين)[٦] .

٩ ــ الصَّرْع :

الصَّرْع : الطرح بالأَرض[٧] ، وخصه الأَزهرى بالإنسان ، فقال « الصَّرع : الطرح بالأَرض للإنسان[٨] » ونقل أبو عبيد عن أَبى زيد أَن « الصِّرع لغة قيس والصَّرع لغة تميم كلاهما مصدر صَرَعت »[٩] . وورد كلام أَبى زيد فى « إصلاح المنطق » لابن السكيت دون عزوه إلى راوٍ معين[١٠] ونقل الجوهرى الصيغتين منسوبتين إلى الناطقين بهما نقلا عن ابن السكيت[١١] وعن الجوهرى نقل صاحبا اللسان[١٢] والتاج[١٣] .

---

(١) اللسان (سين) ٦٤/١٧

(٢) البحر ٤٩٠/٨

(٣) التين ٢،١/٩٥

(٤) البحر ٤٩٠/٨ والقارىء الأول هو أبو بحر عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى كان إماما فى العربية والقراءة . قرأ على يحيى بن يعمر وتوفى سنة ١١٧ هـ (نزهة الألباء ١١-١٣) .

وهناك شخصان اسمهما عمرو بن ميمون : أحدهما تابعى كوفى وهو أبو عبد الله الأودى . أخذ القراءة عن ابن مسعود وتوفى نحو ٧٥ هـ ، والثانى هو أبو عثمان عمرو بن ميمون بن حماد بن طلحة الكوفى أخذ القراءة عن حمزة (غاية النهاية ٦٠٣/١) .

(٥) مختصر فى شواذ القرآن ١٧٦

(٦) البحر ٤٨٩/٨

(٧) اللسان (صرع) ٦٤/١٠

(٨) تهذيب اللغة (صرع) ٢٥/٢

(٩) الغريب المصنف ١٤٤

(١٠) إصلاح المنطق ٣٦

(١١) الصحاح (صرع) ١٢٤٢/٣

(١٢) اللسان (صرع) ٦٤/١٠

(١٣) التاج (صرع) ٤١١/٥

الصيغة المشتركة :

نلاحظ أن القبيلتين اللتين نسبت إليهما الصيغتان نجديتان ، ولم يحدد اللغويون أيهما التى شاعت وأخذت بها اللغة المشتركة ، وأرجح أنها التميمية لأن وزن « فَعْل » بفتح الفاء هو الغالب فى مصدر الفعل الثلاثى المتعدى من أى باب كان مثل قتل قَتْلا وضَرَب ضَرْبا وحَمِد حَمْداً[1] .

١٠ ـ عَجْلزة :

العجلزة (بفتح العين واللام ، وبكسرهما) : الشديدة الخَلْق ، أو الشديدة الأسر المجتمعة الغليظة[2] وهى نعت للفرس[3] والناقة[4] ، وفى الخيل أعرف[5] . لكنها لم تستعمل مع المذكر منه واستعملت مع مذكر الناقة ، فقيل جمل عجلز[6] بدون تاء . وقد تكلمت تميم بالكلمة مفتوحة (عَجْلَزة) ونطقتها قيس بالكسر (عِجْلِزة)[7] .

وهنا نتساءل : هل كانت الكلمة قاصرة على هاتين البيئتين أو أنها لم تكن قاصرة عليها واستعملتها اللغة المشتركة ؟ وإذا كانت قد استعملتها فبأى الحركتين : الفتح أو الكسر أخذت ؟

لقد وردت الكلمة فى شعر امرئ القيس وبشر بن أبى خازم وهما جاهليان[8] بالكسر مما يدل على أن اللغة المشتركة آثرت لغة قيس ، وذلك فى قول امرىء القيس :

بعِجْلِزَةٍ قد أتْرَزَ الجرىُ لحمها كُمَيْتٍ كأنها هراوة مِنْوَال[9]

وقول بشر :

وخَيْلٍ قد لبستُ بجمع خَيْل على شَقَّاء عِجْلِزَةٍ وقاح[10]

هذا إلا إذا كان ضبط الكلمة من صنع محققى الديوانين .

(١) شرح شافية ابن الحاجب ١/١٥٦
(٢) اللسان (عجلز) ٧/٢٤٠
(٣) المرجع السابق .
(٤) إصلاح المنطق ١٣٨
(٥) اللسان (عجلز) ٧/٢٤٠
(٦) المرجع السابق .
(٧) إصلاح المنطق ١٣٧ ، واللسان (عجلز) ٧/٢٤٠
(٨) عد ابن سلام بشر بن أبى خازم فى الطبقة الثانية لشعراء الجاهلية « طبقات ٨١ »
(٩) ديوان امرىء القيس ٣٧
(١٠) ديوان بشر ٤٧ (الشقاء : الطويلة ، والمراد بها فرس طويلة) .

١١ - لام كى (لام التعليل) :

عزا خلف الأحمر (ت نحو ١٨٠ هـ) إلى بنى العنبر كسر لام التعليل[١] وقرر ابن مالك ما ذكره خلف وضم إلى بنى العنبر العُكْليين[٢] .

وعكل هم بنو عمومة تميم نسبة إلى عكل بن عوف بن عبد مناة بن أد[٣] فهم يلتقون معا فى أُد .

ووجدنا بهذه اللغة قراءات قرآنية ، فقرأ أبو السمال (وما كان الله لَيعذبهم)[٤] بفتح اللام[٥] ، وقرأ سعيد بن جبير (وإن كان مكرُهم لَتزول منه الجبالُ)[٦] بفتح اللام[٧] .

١٢ - نَعام :

تقول العرب : نَعْمَ عَيْن ، ونَعْمَ ، ونُعْمَة ، ونَعْمَة ، ونِعْمَة ، ونُعْمى ، ونَعَام ، ونِعام ، ونُعامَ ، ونعامة ، ونَعيمَ ، ونُعامى . والمراد بهذه التعبيرات الاثنتى عشرة : أَفْعَلُ ذلك كرامة لك وإنعاماً بعينك ، وما أشبهه[٨] . وقد سمع أبو زيد « أعرابيا من بنى تميم يقول : نَعْم وَنَعامَ عَيْن »[٩] . والمقارنة هنا بين حركتى النون فى كلمة « نعام » فالتميمى نطقها مفتوحة وبعض العرب نطقها مكسورة .

١٣ - وَجْد :

عزى فتح الواو فى هذه الكلمة لتميم مقابل ضمها فى اللغة المشتركة ، وكسرها ، دون تحديد للناطقين بها . ونرجىء الحديث عنها إلى « الضم والفتح » حيث المقارنة مع اللغة المشتركة .

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٢/ب وانظر : مشكل إعراب القرآن ١٠٠ (دون عزو لخلف) .
(٢) تسهيل الفوائد ١٤٥ (٣) جمهرة أنساب العرب ٤٨٠ (٤) الأنفال ٨/٣٣
(٥) مختصر فى شواذ القرآن ٤٩ (٦) إبراهيم ١٤/٤٦
(٧) تسهيل الفوائد ١٤٥ والقارىء هو : سعيد بن جبير بن هشام الأسدى الوالبى ، تابعى أخذ القراءة عن ابن عباس وأخذ عنه أبو عمرو بن العلاء . قتله الحجاج سنة ٩٤ هـ وقيل ٩٥ هـ (غاية النهاية ١/٣٠٥) .
(٨) لسان العرب (نعم) ١٦/٦٠
(٩) إصلاح المنطق ١١٨ ، ١١٩ ، والنص فيه : قال : وسمعت أعرابيا ... والضمير يعود على أبى زيد (راجع ص ١١٨) لكن ابن سيده يذكر فى المخصص (١٥/٨٦) نص ابن السكيت « بخلاف » ويذكره على النحو التالى : «ابن السكيت نعم ونعمة عين ونعام عين قال : وسمعت أعرابيا من بنى تميم يقول : ونعام عين» وفضلا عن اختلاف النصين (راجع النصين بتمامهما فى الكتابين) يفهم من «وسمعت» أن السامع هو « ابن السكيت » وهذا غير صحيح . ومثل هذا كثير عند ابن سيده .

١٤ــ أَيْمُ :

ذكرنا عند الحديث عن « الضم والكسر » أن لهذه الكلمة عشرين صيغة ويهمنا هنا :

(ا) أن تميما كانت تقول أَيمُ بفتح الهمزة وضم الميم .

(ب) وأن بنى سليْم كانوا يقولون اِيمُ بكسر الهمزة وضم الميم .

(حـ) ومن العرب من كان يقول اِيمِ أى بكسر الهمزة والميم .

ولم يحدد أى بنى سُليم ، وهم كثيرون أشهرهم بطن من قيس[1] .

والذى يعنينا هنا أن بنى تميم كانوا يؤثرون فتح الهمزة فى حين إن غيرهم من العرب كان يكسرها . وإذا رجعنا إلى ما علقنا به عند الحديث عن الضم والكسر وما قلناه من أن « أَيْمُ » التميمية هى الصيغة القدمى بعد حذف النون ، تبين لنا أن فتح الهمزة هو الأصل وكسرها هو مرحلة تالية وأنه أى الكسر بسبب وجود الياء ، فهو من التماثل التخلفى المتصل .

* * *

تعقيب :

يتبين لنا بعد عرض الحالات التى خالف فيها التميميون غيرهم فى الاتجاه إما إلى الفتح وإما إلى الكسر أنهم :

أولا : آثروا الكسر فى :

(أ) ثلاث حالات قياسية ، هى :

١ــ التلتة .

٢ــ الياء المضاف إليها جمع المذكر السالم ، وهذه الحالة الأخيرة كانت خاصة ببطن من تميم هم بنو العنبر .

٣ــ فاء « فَعِيل » و « فَعِل » إذا كان عينه حلقيا .

---

(١) جمهرة أنساب العرب ٤٦٨

(ب) فى ١٨ ثمانى عشرة كلمة مفردة ، ونلاحظ على هذه الكلمات أن :

١ — منها ثلاث كلمات جاءت عندهم على « فِعْلة » وعند غيرهم على « فَعِلة » ونميل إلى أن ذلك كان قاعدة عندهم ؛ لأن ما ورد من هاتين الصيغتين منسوبًا نسبت « فِعْلة » إلى تميم .

٢ — ومنها ٣ ثلاث كلمات (زِعم ، وشِرب ، ونِعجة) نسبت إلى بعض التميميين ولم تكن عامة عند جميعهم .

٣ — مالت تميم إلى الكسر فى ثلاث كلمات فى مقابل الفتح عند قبائل نجدية ، وهذه الكلمات ، هى : زِعم ، وشِرب ، وضِبارى . ونلاحظ أن كلمتين من هذه الثلاث لم تشع لدى التميميين وهى زعم وشرب ، كما ذكرنا فى الفقرة السابقة .

٤ — يتبقى بعد ذلك إحدى عشرة كلمة كانت المقارنة بين التميميين جميعًا وبين اللغة الحجازية أو المشتركة (بعد استبعاد شبه المطرد الذى يمثله ما جاء على فِعْلة وفَعِلة) .

ثانيًا :

(ا) لم نجد لدى التميميين حالات مطردة آثروا فيها الفتح على الكسر .

(ب) اتجهوا إلى الفتح فى أربعة عشر كلمة مفردة . ونلاحظ على هذه الكلمات أن :

١ — اثنتين منها لم تكن عامة لدى التميميين ، وهما : رَبوة ، ولام كى التعليل .

٢ — ثلاث كلمات كانت المقارنة بين التميمية ولغات سكان شرق الجزيرة ، وهى : الصرع ، وعجلزة ، وايم .

٣ — كلمتا « رَبوة » ، و « وَجد » قورن بين التميميين وبعض العرب الذين لم يحددوا ، وقد نطقت هذه اللفظة فى المشتركة بضم الراء .

٤ — وبقية الكلمات الثمانية كانت المقارنة بين التميمية وبين اللغة المشتركة أو الحجازية .

ونخلص من هذا كله إلى أن تميا آثرت الكسر على الفتح وأن هذا يدعونا إلى ترجيح نسبة الكسر إليهم إذا ما ورد لفظ قد نطق بالحركتين دون أن تعزى إحداهما إلى قوم معينين . وهذا الترجيح يقترب من اليقين مع كل ما جاء على « فَعِلة » و « فِعْلة » فتنسب الصيغة الثانية إليهم . وتعليل اتجاه تميم إلى الكسر فى مثل هذا الوزن هو نفس التعليل الذى ذكرناه عند الحديث عن « فُعْلة » و « فُعْلان » عندهم فى مقابل « فِعْلة » و « فِعْلان » عند غيرهم .

التفسير الصوتى لتبادل الصوتين :

الفتحة والكسرة صوتان متقاربان مخرجًا مما يسوغ تبادلهما . والفرق بينهما هو أن اللسان مع الأُولى يكاد يكون مستويًا والفم مع ارتفاع خفيف فى مؤخره[1] . وهو فى الوسط بين المقياسين a و ɑ. عند جونز[2] .

أما مع الكسرة فهو يشبه المقياس i عند جونز أيضًا[3] ، أى أن مقدم اللسان يرتفع نحو الحنك إلى أقصى درجة بحيث لايخرج عن كونه حركة[4] . ووضع اللسان مع الحركتين يرينا أن الفتح أيسر فى نطقه من الكسر الذى يحتاج إلى جهد عضلى أكثر وهو ما وجدناه لدى التميميين ويتفق مع بداوتهم وخشونتهم

(١) الأصوات اللغوية ٣٢

(٢) الأصوات للدكتور بشر ١٩٦

(٣) الأصوات اللغوية ٣١

(٤) Jones, An out line p. 31. وانظر : الأصوات اللغوية ٣١

٣ – بين الضم والفتح

(أ) الميل إلى الضم :

أولا – المطرد :

تبين لنا عند الحديث عن أشباه أصوات اللين (الواو والياء) أن كل ما جاء على « فُعلى » بضم الفاء وكان معتل اللام بالواو فإن التميميين كانوا يوافقون اللغة المشتركة ويقلبون الواو ياء فيقولون مثلا : « فُتيا » أما الحجازيون فكانوا يفتحون الفاء ويبقون الواو فيقولون : « فَتْوى » .

(ب) غير المطرد :

١ – ٤ : ما جاء على فُعلة (عُدوة – وعُشوة – وغُرفة – وغُلظة) :

١ – ٣ : عُدوَة ، وعُشْوة ، وغُلْظَة :

رأينا عند الحديث عن « الضم والكسر » أن هذه الكلمات جاءت على « فُعْلة » بضم أولها عند تميم ، في حين أن الحجازيين نطقوها بالكسر . وقد ورد في هذه الكلمات نطق ثالث هو فتحها ولم تحدد نسبته إلى قوم معينين[1] ، وهو الذي يعنينا هنا مقارنة النهج التميمي به .

وهذه اللغة التي فتحت لم تكن واسعة الانتشار ، بدليل أن لفظين من هذه الألفاظ الثلاثة وردت مفتوحة في القرآن الكريم ، ولا يقرأ بها إلا في الشواذ ، فقد قرأ قوله تعالى : (إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَة الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى)[2] بفتح العين من « عدوة » قتادة[3] . وقرأ بفتح الغين من « غلظة » في قوله تعالى : (وليَجِدُوا فِيكُم غِلْظَة)[4] المفضل عن الأعمش وعاصم[5] . وذكرنا عند الحديث عن الضم والكسر القراءات التي وافقت اللغة التميمية .

---

(١) انظر بشأن عدوة ، بفتح أولها : اللسان (عدا) ١٩/٢٦٧ (عن اللحياني) وبشأن عشوة : اللسان (عشا) ١٩/٢٨٩ وبخصوص « غلظة » إعراب القرآن للنحاس ٩/ب

(٢) الأنفال ٨/٤٢

(٣) مختصر في شواذ القرآن ٥٠

(٤) التوبة ٩/١٢٣

(٥) إعراب القرآن ٩/ب ، والقارىء الأول هو أبو محمد المفضل بن محمد الضبي : مقرىء كوفي . قرأ على عاصم وكان من جلة أصحابه . توفي سنة ١٦٨ هـ (معرفة القراء ١٠٨ ، ١٠٩)

٤ – غرفة :

يقرر اليزيدى أن التميميين ضموا فاء الكلمة فى حين أن الحجازيين فتحوها ، قال : « أهل الحجاز : غرفت غَرفة وتميم غُرفة »[١] وهى اسم مرة . وقد جاءت الصيغة الحجازية على وزن « فَعْلة » ، وفق القاعدة العامة لاشتقاق هذا النوع من الأسماء من الفعل الثلاثى[٢] . وورد اللفظ فى قوله تعالى : (إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غَرْفَةً بِيَدِهِ)[٣] . وقرأه بضم أوله كما كان ينطقه بنو تميم من العشرة ابن عامر والكوفيون (عاصم وحمزة والكسائى)[٤] ويعقوب[٥] .

٥ – بُخْل :

ذكر الفراء أن لهذه الكلمة أربع صيغ ، هى : بُخُل لأسد ، وبُخْل لتميم ، وبَخَل ، وبَخْل لأهل الحجاز[٦] . ويعنينا هنا أن نقارن بين حركتى الصوت الأول الذى ضمه التميميون وفتحه الحجازيون . ووردت الكلمة فى قوله تعالى : (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) فى سورتى النساء[٧] والحديد[٨] ، وبلغة تميم (البُخْل) قرأ الآية الأولى ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو ، وابن عامر[٩] ، وأبو جعفر ، ويعقوب ، واليزيدى والحسن والأعمش[١٠] من الأربعة عشر ، وقرأ آية الحديد جميع القراء الذين قرءوا الآية الأولى بالإضافة إلى ابن مُحَيصن[١١] .

٦ – ثُمر :

جاء فى « غريب القرآن على لغات القبائل » و « ما ورد فى القرآن من لغات القبائل » « ثَمَره بالفتح لغة كنانة وبالضم لغة تميم »[١٢] وذلك تعقيبًا على قوله تعالى : (انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ)[١٣] .

---

(١) المزهر ٢٩٩/أ خ = ٢٧٧/٢ (ولم تضبط الصيغتان فى المطبوع) .
(٢) شرح الشافية ١٧٩/١ — (٣) البقرة ٢٤٩/٢ — (٤) السبعة فى القراءات ١٨٧
(٥) تحبير ٩٢ — (٦) البحر ٢٤٦/٣ ، ٢٤٧ — (٧) ٣٧/٤
(٨) ٢٤/٥٧ — (٩) السبعة فى القرآت ٢٣٣
(١٠) إتحاف ١٩٠ (وقارن أسماء القراء هنا والذين قرءوا «البخل» بالتحريك، بأسماء الأئمة الأربعة عشر جميعهم ص٧)
(١١) السبعة فى القراءات ٦٢٧ والإتحاف ٤١١ (وقارنا بأسماء الأئمة ص ٧) .
(١٢) غريب القرآن على لغات القبائل ٩٠ و « ماورد فى القرآن من لغات » ١ / ١٣٦
(١٣) الأنعام ٩٩/٦

وقد ورد لفظ « ثمر » فى كتاب الله أربع مرات غير هذا الموضع[1] . وقال اللغويون : إن ثَمَرة جمعها ثَمَر ، وثَمَر تجمع على ثُمُر (جمع الجمع) وجمع الثُّمُر أثمار[2] . لكن النص الذى عرضناه يذكر أنه لا فرق بين « ثَمَر » اسم الجنس وثُمُر إلّا أن الأولى كنانية ، والثانية تميمية .

وإذا كان من نهج التميميين أن يسكنوا الصوت الثانى ، إذا اشتملت الكلمة على ثلاثة حركات متوالية ، أى أن الكلمة تبدأ بمقطع مغلق قصير – على ما سنعرضه بالتفصيل فيما بعد – فالتميمى كان يقول : « ثُمْر » ، وإنما لم ينبه إليه النص ؛ لأن الكلمة التى تشتمل على ظاهرتين غالبًا ما يركز اللغويون على إحداهما ، وقد ينبهون على الظاهرة الثانية فى موضع آخر ، وذلك مثل كلمة « الحج » فنجد يونس (ت نحو سنة ١٨٢ هـ) يكتفى بذكر الخلاف فى نطق الحاء ما بين فتحها وكسرها[3] ، وإن كان فى الكلمة خاصية تميمية أخرى وهى قلب الجيم ياء .

القراءات واللغة التميمية :

إذا رجعنا إلى الآيات الكريمة لنرى موقف القراء من اللغة التميمية نجد :

(ا) قرأ جمهورهم وفق اللغة الكنانية (ثَمَره) أى بفتحتين فى الآيات الخ[illegible] ، ففى آيتى الأنعام ويس قرأ بها جميع القراء الأربعة عشر عدا حمزة والكسائى وخلف والأعمش فقد قرءوا بضمتين (ثُمُره)[4] أى وفق اللغة التى نسبت إلى تميم هنا ، وإن كنا نرى خلاف ذلك ، أى أن التميمية كانت بضم الأولى وسكون الثانية .

(ب) وبالنسبة لآيتى الكهف : (وَكَانَ لَهُ ثَمَر) و (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ) قرأ وفق الكنانية التى اتخذتها اللغة المشتركة عنصرا من عناصرها عاصم[5] ، وأبو جعفر ، ورَوْح ،

---

(٢) الأنعام ٦/١٤١ ، والكهف ١٨/٣٤ ، ٤٢ ويس ٣٦/ ٣٥

(٢) لسان العرب (ثمر) ٦٥/١٧ (عن أبى الهيثم) .

(٣) المزهر ٢٩٨ /ب (خ)

(٤) إتحاف ٢١٤

(٥) التيسير ١٤٣

ورُوَيْس فى الأولى[١] (وهما راويان ليعقوب)[٢] وقرأ أبو عمرو بضم الأول وسكون الثانى (ثُمْر) ، و (بثُمْره) أبو عمرو[٣] والحسن واليزيدى[٤] ، أى وفق النهج التميمى . أما بقية الأربعة عشر فقرءُوا بضمتين[٥] باللغة المنسوبة فى النص إلى بنى تميم .

٧-زُعم :

نسب يونس فى نوادره ضم الزاى من كلمة « زعم » إلى تميم وفتحها إلى الحجازيين[٦] . وقيل : إن الفتح فى المصدر والضم فى الاسم[٧] . ولو صح هذا لم يكن هناك وجه للمقارنة التى يشترط فيها اتحاد الدلالة .

الصيغة التميمية فى القراءات القرآنية :

ورد اللفظ فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : (فَقَالُوا هَذا لِلهِ بِزَعْمِهِم)[٨] ، وقوله : (. . . لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَشَاء بِزَعْمِهِم)[٩] وقرأ وفق النهج التميمى الكسائى[١٠] ، والشَّنَبُوذى[١١] (أحد راويى الأعمش)[١٢] وقرأ بقية الأربعة عشر بالفتح[١٣] كما نطق الحجازيون .

وهناك لغة ثالثة هى « زِعم » بالكسر نسبها صاحب البحر إلى بعض قيس وتميم[١٤] .

---

(١) تحبير ١٣٥ (٢) إتحاف ٧ وفيما يلى تعريف بالقراء الثلاثة :

(أ) روح : هو أبو الحسن روح بن عبد المؤمن الهذلى ولاء البصرى النحوى كان ضابطاً مشهوراً من أوثق أصحاب يعقوب توفى سنة ٢٣٤ أو ٢٣٥ هـ (لطائف الإشارات ١/١٠٤)

(ب) رويس : هوأبو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤى ، عرف برويس إمام فى القراءة . ومن أصحاب يعقوب توفى سنة ٢٣٨ هـ (غاية النهاية ٢/٢٣٤ ، معرفة القراء ١/١٧٧ ، لطاف الإشارات ١/١٠٤) .

(ج) يعقوب : هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمى أحد القراءالعشرة ومنأئمة أهل البصرة سمع منالكسائى وحمزة ، وتوفى سنة ٢٠٥ هـ (غاية النهاية ٢/٣٨٦ — ٣٨٩) .

(٣) التيسير ١٤٣ (٤) إتحاف ٢٩٠ (٥) المرجع السابق

(٦) المزهر ٢٩٨/ب (خ) = ٢٧٦ (ط) دون ضبط اللفظ فى اللغتين بالمطبوعة ، وانظر تهذيب اللغة (زعم) ٢/١٥٨ (عن الليث والمراد به صاحب العين) ، واللسان (زعم) ١٥/١٥٦

(٧) البحر ٤/٢٢٧ (٨) الأنعام ٦/١٣٦ (٩) الأنعام ٦/١٣٨

(١٠) السبعة فى القراءات ٢٧٠ ، والتيسير ١٠٧ (١١) إتحاف ٢١٧

(١٢) المرجع السابق ٧ ، وهو أبو الفرج محمد بن أحمد بن إبراهيم الشنبوذى الشطوى ، من كبار أئمة القراء . اختص بابن شنبوذ حتى نسب إليه (لطائف الإشارات ١٠٦) . (١٣) إتحاف ٢١٧

(١٤) البحر ٤/٢٢٧

٨ - شُرْب :

قال اليزيدى: «أهل الحجاز شربت الماءَشَربًا ،وتميم شربت الماء شُرْبًا »[١] وإذا كان الغالب مجىء مصدر الفعل المتعدى - ما لم يكن له معنى خاص -[٢] على فَعْل مثل ضرب ضَرْبًا وحَمِد حَمْدًا[٣] ، لذا لا عجب أن نرى عند الاختلاف بين المصدرين هنا أن ينسب « شَرْب » بفتح الشين إلى الحجازيين ، لأن اللغة المشتركة أخذت معظم خصائصها منها ، وقد شاعت هذه الصيغة حتى أن معظم النجديين نطق بها[٤] . وذكرنا عند الحديث عن « الفتح والكسر » أن بنى عمرو من تميم كانوا يكسرون الشين . وقال الزجاج : الشَّرب المصدر والشُّرب بالضم الاسم[٥] ، ولكن يقف دون هذا القول نسبة الصيغتين إلى لغتين .

وبهاتين اللغتين قرئ قوله تعالى : (فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيم)[٦] قرأها بضم الشين كما كان ينطقها التميميون نافع وعاصم وحمزة[٧] وأبو جعفر[٨] والحسن والأعمش[٩] .

٩ - صُدْقة :

الصدقة (بفتح الصاد وضم الدال ، وبضم الصاد وسكون الدال) : المَهْر[١٠] وقد عزا الفراء الصيغة الأولى (صَدُقة) إلى أهل الحجاز . والصيغة الثانية (صُدْقة) إلى تميم[١١] . وترتب على اختلاف صيغى المفرد اختلاف فى الجمع فقيل : صَدُقات وصُدْقات[١٢] . وورد فى قوله تعالى : (وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نحلة)[١٣] وقرأها جمهور القراء وفق اللغة الحجازية أما التميمية (صُدْقاتهن) فقرأ بها فى الشواذ قتادة وأبو السمال[١٤] .

(١) المزهر ٢٩٩ / أ (خ) = ٢٧٧/٢ (ط) دون ضبط الصيغتين فى المطبوع .
(٢) مثل « فعالة » بكسر الفاء الدالة على الحرفة (شرح الشافية ١٥٣/١) .
(٣) المرجع السابق ١٥٦/١
(٤) زاد المسير ١٤٥/٨
(٥) المرجع السابق .
(٦) الواقعة ٥٥/٥٦
(٧) السبعة فى القراءات ٦٢٣ ، والتيسير ٢٠٧
(٨) تحبير ١٨٣
(٩) إتحاف ٤٠٨
(١٠) اللسان (صدق) ٦٥/١٢
(١١) معانى القرآن ٥٩/٢
(١٢) اللسان (صدق) ٦٥/١٢
(١٣) النساء ٤/٤
(١٤) مختصر فى شواذ القرآن ٢٤

١٠ ـ عُدُس :

عدس من أسماء الأعلام وهو فى تميم بضم العين والدال (عُدُس) ، وفى سائر العرب بضم العين وفتح الدال (عُدَس) [١] . وعدس التميمى هو عدس بن عبد الله بن دارم [٢] . وسبق الحديث عنه عند « نسب القبيلة » . وكنا نتوقع أن تنطق الدال ساكنة لأن ذلك قياسى عند تميم ـ كما سيتضح عند الحديث عن : عدم تتابع حركات ثلاث ـ ولكنها جاءت مخالفة لنهجهم .

١١ ـ عُضْد :

ذكرنا عند الحديث عن « الضم والكسر » ست صيغ لكلمة « عَضُد » يهمنا منها ـ هنا ـ صيغتان ، هما : عُضْد (بضم أولها) وهى لغة تميم ، وعَضُد (بفتح أولها) وهى التى أخذت بها اللغة المشتركة .

والمقارنة بين اللغتين تبين إيثار تميم ضم أول الكلمة على فتحه فى اللغة المشتركة.

١٢ ـ فُواق :

الفُواق : الراحةُ والإفاقة [٣] نطقته تميم بضم الفاء والحجاز بفتحها [٤] وورد اللفظ فى قوله تعالى : (وَمَا يَنْظُر هَؤلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِن فَوَاق) [٥] وقد قرئ وفق النهجين التميمى والحجازى . قرأ وفق التميمى (فُواق) من الأئمة الأربعة عشر حمزة والكسائى [٦] وخلف والأعمش [٧] .

١٣ ـ قُرْح :

« قرح بالفتح لغة الحجاز والضم لغة تميم » [٨] وهو بمعنى الجرح [٩] وورد فى قوله تعالى : (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ) [١٠] وفى قوله : (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ

---

(١) مختلف القبائل ٢٩٣ ، والإيناس فى علم الأنساب ٢٠٧ والمحكم (عدس) ٢/٢٩١ ، وحواشى ابن برى (عدس) ٢/٢٨٨
(٢) الإيناس ٢٠٧
(٣) معانى القرآن للفراء ٣/٤٠٠ (٤) إتحاف ٣٧٢
(٥) سورة ص ٣٨/١٥ (٦) السبعة فى القراءات ٥٥٢ ، وإتحاف ٣٧٢
(٧) إتحاف ٣٧٢ (٨) غريب القرآن على لغات القبائل ٢٩ ، وما ورد فى القرآن من لغات ١/٦٩
(٩) انظر : اللسان (قرح) ٣/٣٩١ (١٠) آل عمران ٣/١٤٠

والرَّسُول مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُم الْقَرْحُ)[١] . وقد قرأ وفق اللغة التميمية من القراء الأربعة عشر (قُرْح) : عاصم (برواية أبي بكر) ، وحمزة والكسائى[٢] وخلف[٣] . والأعمش[٤] والباقون بالفتح[٥] .

١٤ ـ مُثْلَة :

المَثُلة (بفتح الميم وضم الثاء) والمُثْلة (بضم الميم وسكون الثاء) : العقوبة . والجمع مَثُلات ومُثْلات[٦] . وعزا الفرا الصيغة الثانية إلى تميم[٧] . وقد وردت صيغة الجمع فى قوله تعالى : (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ المَثُلَاتُ)[٨] وقرئت بفتح الميم وضم الثاء مما يدل على أنها الصيغة التى شاعت فى اللغة المشتركة ، وقرأها كما كان ينطقها التميميون يحيى ابن وثاب[٩] .

١٥ ـ يُنْع :

يَنع الثَّمر (بفتح الياء وضمها) : نضوجه[١٠] والفتح لغة أهل الحجاز والضم لغة نجد[١١] . ووردت هذه الكلمة فى قوله تعالى : (انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ)[١٢] . وقد قرأ وفق النهج النجدى (التميمى) ، أى « يُنْعه » ، بضم الياء ابن مُحَيصن[١٣] .

* * *

---

(١) آل عمران ٣/١٧٢
(٢) السبعة فى القراءات ٢١٦
(٣) تحبير التيسير ٩٩
(٤) إتحاف ١٧٩
(٥) المرجع السابق
(٦) مجمع البيان ٣/٢٧٧ ، وانظر : اللسان (مثل) ١٤/١٣٧
(٧) معانى القرآن ٢/٥٩
(٨) الرعد ١٣/٦
(٩) مختصر فى شواذ القرآن ٦٦
(١٠) اللسان (ينع) ١٠/٢٩٧
(١١) النهر الماد ٤/١٩١
(١٢) الأنعام ٦/٩٩
(١٣) إتحاف ٢١٤

(ب) الميل الى الفتح :

أولا ـ المطرد :

جمع الاسم الرباعى المسبوق آخره بمد :

النهج التميمى أن تبدأ الكلمة بمقطع مغلق قصير – كما سنعرض لذلك – وإذا كانت القاعدة العامة فى جمع الاسم المسبوق آخره بمد ، أن يجمع على فُعُل مثل رَسُول ورُسُل ، فإن التميمى كان يسكن الحرف الثانى فيقول : « فُعْل » إلَّا إذا كان عين الكلمة ولامها من جنس واحد فيبقى الضم خشية الالتباس بسبب الإدغام الذى يحدث من التقاء صوتين من جنس واحد أولهما ساكن ، فيقال فى جمع سرير وذلول : سُرُر وذُلُل . ومن التميميين – وهذا الذى يعنينا هنا – من كانوا يقابون الضمة فتحة لسهولتها فى النطق ، فيقولون : سُرَر وذُلَل[1] . وبهذه اللغة قرأ أبو السمال « سُرَر »[2] فى قوله تعالى : (عَلَى سُرُر مُتَقَابِلِينَ)[3] .

ثانيا : غير المطرد :

١ – ٣ : ما جاء على فُعَالى وفَعَالى (سكارى وغيارى وكسالى) :

قال ابن السكيت : « وأهل الحجاز يقولون : سُكارى وكُسالى وغُيارى بالضم ، وبنو تميم يفتَحون »[4] .

هذه الكلمات الثلاث جاءت على وزنى « فُعالى » و « فَعالى » . وقد مالت تميم إلى فتح أولها فى مقابل ضمها فى اللغة الحجازية . وفى اتجاه تميم هذا تماثل كلى تخالفى منفصل ، على فرض أن اللغة المشتركة هى القدمى .

موقف القراءات القرآنية :

وقد ورد اللفظان الأول والثانى فى القرآن الكريم وقرأهما الجمهور باللغة الحجازية مما يعضد أنها اللغة المشتركة ، وقرئ بلغة تميم فى القراءات الشاذة ، « فسكارى » وردت فى قوله تعالى : (لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى)[5] وقوله : (وَتَرَى النَّاسَ سُكَارى

---

(١) المصباح ٦٩٨
(٢) مختصر فى شواذ القرآن ٧١
(٣) الحجر ٤٧/١٥
(٤) إصلاح المنطق ١٤٩ ، وانظر بشأن « سكارى وكسالى » مختصر فى شواذ القرآن ٢٦
(٥) النساء ٤٣/٤

وما هُمْ بِسُكَارَى . وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ)[١] . وقد قرأهما عيسى على النهج التميمى[٢] أى بفتح السين ، وقرأ الآية الثانية منهما على هذا النهج التميمى أيضًا أبو نَهيك[٣] .

وَ« كسالى» وردت فى قوله تعالى : (وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى)[٤] وقوله : (ولَا يأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّاوهُمْ كُسَالَى)[٥] . وقد قرأ بفتح أولها عيسى »[٦] .

ونميل إلى أن نضم إلى هذه الكلمات كل كلمة جاءت على فُعالى وفَعالى ، فننسب الضم للحجاز والفتح لتميم ، وذلك مثل « ضُعافى » التى قرئ بصيغتيها المضمومة الأول والمفتوحة قوله تعالى : (ولْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ)[٧] ، فقد علق عليها ابن خالويه بقوله : « ضُعَافى وضَعافى فى مثل سُكارى وسَكارى عن عيسى»[٨] .

ومما يؤيد فتح أولها عند تميم نسبة الفتح فى « ضعف » إلى تميم والضم للحجاز . وسنتناول هذه الكلمة فى ترتيبها وإننا لم ندرج هذه الكلمات مع القسم المطرد لعدم وجود دليل قاطع لدينا على ذلك .

٤ ـ جَلّ :

جُلّ الدابة وجَلّها : ما تلبسه لتصان به[٩] وعزى فتح الجيم إلى تميم[١٠] .

٥ ـ حَدّان :

حَدان : اسم علم سمى به فى تميم حَدّان بن قُرَيع من بنى سعد بن زيد مناة (بفتح الحاء)[١١] ، وفى الأزد حُدّان بن شُمس بن عمرو (بضم الحاء)[١٢] .

---

(١) الحج ٢٢/٢
(٢) مختصر فى شواذ القرآن ٢٦
(٣) المرجع السابق ٢٦ ، ٩٤ ، وهو أبو نهيك علباء بن أحمر اليشكرى الخراسانى، عرض على عكرمة مولى ابن عباس وله حروف من الشواذ (غاية النهاية ١/٥١٥) .
(٤) النساء ٤/١٤٢
(٥) التوبة ٩/٥٤
(٦) مختصر فى شواذ القرآن ٢٦
(٧) النساء ٤/٩
(٨) مختصر فى شواذ القرآن ٢٤
(٩) اللسان (جلل) ١٣/١٢٥
(١٠) جمهرة اللغة ١/٥٤
(١١) مختلف القبائل ٢٩١ ، والإيناس فى علم الأنساب ١٠٣
(١٢) مختلف القبائل ٢٩١

٦ ـ حيْثَ :

حيث : ظرف مكان مبهم . وقد سمع الكسائى بعض التميميين وهم بنو يربوع وطهية ينطقونها مبنية على الفتح (حيثَ) مخالفين اللغة المشتركة التى كانت تبنيها على الضم[١] .

ومن التميميين من قال « حوثَ » . وقد تناولنا هذه الصيغة عند الحديث عن « أشباه أصوات اللين » . على أن من العرب من كان يعرب هذه الكلمة . وسنتناول ذلك فى الباب الخاص بالنحو .

٧ ـ تَذْنوب :

التذنوب (بضم التاء وفتحها) : البُسْر الذى بَدَت نكت الإرطاب من قِبَل ذنبه ، واحدته تَذْنُوبة[٢] ، فالكلمة مشتقة إذن من كلمة ذنَب أُضيفت إليها التاء فى أولها والواو فى آخرها . وقد عزا الفراء إلى التميميين فتح التاء من « تَذْنوب » وإلى بنى أسد ضمها (تُذْنوب)[٣] .

ونلاحظ أن المقارنة هنا بين قبيلتين تنتميان إلى بيئة واحدة هى نجد .

وصنيع بنى أسد يعد من التماثل الكلى المنفصل وإن كنا لا نستطيع تحديد ما إذا كان أماميًّا أم خلفيًّا لعدم معرفة أصالة أى من التاء والواو فى الكلمة . هذا على فرض أن صيغتها هى المتطورة ، كما يعد صنيع التميميين من التغاير المتباعد إذا كانت الصيغة الأسدية هى القدمى.

٨ ـ رَبيون :

ذكرنا عند الحديث عن « الكسر والفتح » أن هذه الكلمة نطقت مثلثة الراء . ويعنينا أن نسجل هنا أن التميميين نطقوا بفتح الراء (رَبِّيُّون) وأن من العرب من نطقها مضمومة.

٩ ـ رَبوة :

الربوة : هى كل ما ارتفع من الأرض وعلا[٤] . ومن طبيعة شبه الجزيرة كثرة مثل هذه الروابى وانتشارها فى جميع أنحائها . وهذا ما يجعل العرب على اختلافهم يستعملون

---

(١) المحكم ٣٣٢/٣ (٢) اللسان (ذنب) ٣٧٦/١
(٣) تهذيب اللغة (ذنب) ٤٤٠/١٤ (٤) المرجع السابق (ربا) ٢٧٣/١٥

هذا اللفظ . وشيء طبيعي أن نجد لكلمة هذا القدر من الشيوع عدة صيغ فذكر لها ابن منظور تسعًا ، هي : الرَّبْوُ ، والرَّبْوَة ، والرِّبْوَة ، والرُّبْوة ، والرَّباوة ، والرُّباوة ، والرِّباوة ، والرابية ، والرَّبَاة[١] . وموضوع درسنا هنا « رَبوة » (المفتوحة الراء) وهي التي نطقها التميميون والمضمومة والتي كانت لسان حال اللغة المشتركة لكثرة انتشارها ، جاء في « تهذيب اللغة » : « قال أبو العباس فيها ثلاث لغات : رَبوة ، ورِبوة ، ورُبوة . الاختيار رُبْوة ، لأنها أكثر اللغات ، والفتح لغة تميم »[٢] .

موقف القراءات القرآنية من الصيغة التميمية :

وردت كلمة « ربوة » في كتاب الله مرتين : إحداهما في قوله تعالى : (كمثلِ جنَّة بربْوَة أصابَها وَابل)[٣] وقوله : (وَجَعَلْنا ابْن مرْيَم وأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْناهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذاتِ قرار)[٤] . وقد قرأهما من القراء العشرة وفق النهج التميمي (رَبْوة) عاصم وابن عامر[٥] .

١٠ – رَفغ :

الرفغ (بضم الراء وفتحها) : أصل الفخِذين من باطن ، وكذلك أصل الإبطين[٦] . ونسب ابن السكيت فتح الراء لتميم وضمها لأهل العالية[٧] وذكر الفيومي أهل العالية والحجاز في مقابل تميم[٨] .

١١ – شَهْد :

الشهد (بضم الشين وفتحها) : العسل ما دام لم يُعصر شمْعُه[٩] وعزا يونس ضم الشين إلى أهل العالية وفتحها إلى بني تميم[١٠] .

---

(١) لسان العرب (ربا) ١٩/١٩
(٢) تهذيب اللغة (ربا) ٢٧٣/١٥
(٣) البقرة ٢٦٥/٢
(٤) المؤمنون ٥٠/٢٣
(٥) السبعة في القراءات ١٩٠ ، وتحبير ٩٣
(٦) اللسان (رفغ) ٣١١/١٠
(٧) إصلاح المنطق ١٠٣
(٨) المصباح (رفغ) ٢٣٣
(٩) اللسان (شهد) ٢٢٩/٤ ، والمصباح (شهد) ٣٢٤
(١٠) تهذيب اللغة (سمم) ٣١٨/١٢ ، واللسان (سمم) ١٩٥/١٥ والتاج (سمم) ٣٤٦/٨ (والضبط فيها بالعبارة) وإصلاح المنطق ١٠٤ (والضبط بالقلم) . وانظر : المصباح (شهد) ٣٢٤ (دون عزو إلى يونس في الأخير) .

١٢ ـ صَدف :

جاء فى البحر المحيط : « ويقال : صدف بضمهما وبفتحهما ، وبضم الصاد وسكون الدال وعكسه[١] وقال بعض اللغويين : وفتحهما لغة تميم وضمهما لغة حمير »[٢] .

ويفهم من كلام أبى حيان أن لكلمة « الصدف » أربع صيغ ، هى : صُدُف ، وصَدَف ، وصُدْف . أما الرابعة فغير واضحة لأنه لا يمكن أن نضبط بعكس كلمة « صُدْف » فنقول : « صْدُف » . وأرى أن صواب كلامه وفتح الدال » بدلًا من « وسكون الدال » لأن هذا يتفق والصور الأربعة التى ذكرها الفيروزابادى لهذا اللفظ ، فقد ضبط صور الكلمة بالتنظير ، فقال : « كجَبَل ، وعُنُق ، وصُرَد ، وعَضُد : منقطع الجبل أو ناحيته وقرئ بهن »[٣] على أن « الصُّدْف » بضم الصاد وسكون الدال ، هى أيضًا إحدى صور الكلمة بدليل أن ابن محيصن وأبا بكر[٤] قرآ بها قول الله تعالى : « . . . بَيْنَ الصُّدْفَيْنِ)[٥] .

وعلى كل فإن الذى يعنينا هنا ضم الصاد والدال عند حمير وفتحهما فى اللغة التميمية وهذا يبين لنا ميل تميم فى هذه الكلمة إلى الفتح فى مقابل الضم عند غيرهم.وباللغة التميمية قرأ الآية السابقة : (بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ) من القراء الأربعة عشر : نافع وعاصم (من غير رواية أبى بكر بن عياش) وحمزة والكسائى وأبو جعفر وخلف والحسن والأعمش[٦] .

١٣ ـ صَلَب :

الصُّلب : كل شىء من الظهر فيه فَقار[٧] ويذكر الفراءُ أنه على وزن « قُفْل » لغة الحجاز ، وأنه بفتح الصاد واللام (الصَّلَب) لغة تميم وأسد[٨] .

---

(١) كذا بالأصل وأرجح أن الصواب : « وبضم الصاد وفتح الدال وعكسه » وسأوضح ذلك فى التعليق .
(٢) البحر ٦/١٥٧
(٣) القاموس (صدف) ٣/١٦١
(٤) إتحاف ٢٩٥
(٥) الكهف ١٨/٩٦
(٦) قارن بين القراء الذين قرءوا بغير الفتح فى الإتحاف ٢٩٥ بذكر جميع القراء الأربعة عشر فى الإتحاف ٧
(٧) اللسان (صلب) ٢/١٤
(٨) البحر ٣/١٩٣ (عن كتاب « لغات القرآن » للفراء)

وقد ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم مرة واحدة فى قوله تعالى : (يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرائِبِ)[١] ولم أر – فيما أعلم – من قرأ وفق النهج التميمى . ولكن على هذا النهج روى لنا قول العجاج الراجز التميمى فى وصف امرأة :

* رَيَّا العِظام فَعْمَةُ المُخَدَّم *

* فى صَلَب مثلِ العِنان المُؤْدَمِ *[٢]

١٤ – ضَعف :

ورد فى كتاب « إعراب القرآن » للنحاس : « قال أبو عمرو بن العلاء : الضُّعف لغة أهل الحجاز ، والضَّعف لغة تميم فأمَّا التفريق بينهما فلا يصح ، أعنى فى المعنى »[٣] .

ولقد جاءت كلمة « ضعف » فى كتاب الله أربع مرات فى آيتين هما :

١ – قوله عز وجل : (الْآنَ خفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا)[٤] وقد قرأ بالفتح كالنهج التميمى حمزة وعاصم[٥] وخلف[٦] والأعمش[٧] وأما بقية الأربعة عشر فبالضم[٨] .

٢ – وقوله تعالى : (اللهُ الَّذِى خلقكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بعْد ضَعْف قُوَّة ثمَّ جعلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَة)[٩] . وقرأ الألفاظ الثلاث بالفتح أبو بكر[١٠] (أحد راويى عاصم) وحمزة[١١] والأعمش[١٢] .

---

(١) الطارق ٨٦/٧

(٢) الديوان ٢٩٣ والصحاح (صلب) ١٦٤/١ وفيه « فخمة » وهما بمعنى . (المخدم : موضع الخدام ، وهو الخلخال – العنان المؤدم : الذى ظهرت أدمته مما يلى اللحم) .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٨٤/أ ، وانظر / البحر المحيط ٥١٨/٤ ، والمصباح (ضعف) ٣٦٢

(٤) الأنفال ٦٦/٨

(٥) السبعة ٣٠٩ والتيسير ١١٧

(٦) تحبير ١١٦

(٧) إتحاف ٢٣٨

(٨) المراجع الأربعة السابقة

(٩) الروم ٥٤/٣٠

(١٠) التيسير ١٧٥ ، وعزا ابن مجاهد إلى حفص الضم (السبعة ٣٠٩) وينقل صاحب الإتحاف عن حفص قوله « ما خالفت عاصما إلا فى هذا الحرف » وعقب على ذلك بأنه « قد صح عنه (أى حفص) « الفتح والضم » (إتحاف ٣٤٩)

(١١) السبعة ٣٠٩ ، والتيسير ١٧٥

(١٢) إتحاف ٣٤٩

١٥ ـ عُقْر :

ذكر الأصمعى (ت ٢١٦ هـ) أن عُقر الدار وعَقْرها : أصلها ، وأن الضم لغة الحجاز والفتح لغة نجد[١] . والمعروف أن نجدا تشمل تميمًا وغيرها . وأعتقد أن الصيغة التميمية (عَقر) هى القدمى بدليل أن العرب اشتقوا من هذا اللفظ كلمة « عَقار » بمعنى المنزل والأرض والضياع[٢] ولم تنطق إلّا مفتوحة الأول .

١٦ ـ قَلنسوة :

قَلنسوة (بفتح القاف) عند تميم ، و « قُلَنسية » بضم القاف عند الحجازيين . وقد تناولنا هذا اللفظ من قبل عند الحديث عن « أشباه أصوات اللين » . وعند « الضم والكسر » .

١٧ ـ لَحْد :

اللحد (بضم اللام وفتحها) ، ما يحفر فى جانب القبر[٣] . وقد نطق التميميون الكلمة بفتح اللام ، ونطقها أهل العالية بضمها[٤] .

١٨ ـ نَعام :

ذكرنا عند الحديث عن « الكسر والفتح » أن لهذا اللفظ اثنتى عشرة صيغة ، يعنينا هنا أن نشير إلى أن تميمًا كانت تقول : نَعْمَ ونَعَامَ عَيْن (بفتح النون فى الصيغتين) ، وأن غيرهم ـ دون تحديدهم ـ كانوا يقولون : نُعْمَ عَيْنٍ ونُعامَ .

١٩ ـ وَجْد :

الوَجد (بضم الواو وفتحها وكسرها) : اليسار والسعة[٥] . وفتح الواو لغة تميم والضم هو الذى شاع فى اللغة المشتركة بدليل قراءة جمهور القراء[٦] بها قوله تعالى : (أَسْكِنُوهُنَّ

---

(١) الغريب المصنف (نعوت الدور وما فيها) ٦١ / ب ، وانظر : أضداد ابن السكيت ١٦٤ ، والرحل والمنزل المنسوب لابن قتيبة (ضمن البلغة) ١٦٨ ، واللسان (عقر) ٢٧٤/٦ ، ونسب الجوهرى الضم فقط (عن الأصمعى) لأهل المدينة « الصحاح (عقر) ٧٥٥/٢ » .

(٢) الرحل والمنزل ١٢٨ ، واللسان (عقر) ٢٧٤/٦

(٣) إصلاح المنطق ١٠٣ ، والمصباح (لحد) ٥٥٠

(٤) إصلاح المنطق ١٠٣

(٥) اللسان (وجد) ٤٥٨/٤

(٦) معانى القرآن للفراء ١٦٤/٣ (وذكر إجماع القراء على القراءة بالضم) .

مِنْ حيثُ سكَنْتم مِنْ وُجْدِكُمْ)[١] . أما الكسر فكان لبعض العرب ولم يحددهم صاحب اللسان الذى حرص على ذكر اللغات الثلاث[٢] وقد قرئ فى القراءات الشاذة وفق اللغة التميمية (وَجْد) وكذلك بالكسر (وجْد) . وإذا كان الفرَّاءُ لم ينص إلَّاعلى القراءة بالضم ونفى ما عداها فيقول : « وقد أجمع القراء على رفع الواو من (وُجْدِكُمْ) . . ولو قرءُوا (مِنْ وَجْدِكُمْ) كان صوابًا لأنها لغة تميم »[٣] ، فهو لم يضع فى اعتباره القراءات الشاذة وهى التى تتمثل فى قراءة الأعرج وابن أبى عَبْلة وفق اللغة التميمية ويعقوب وعمرو بن ميمون وطلحة وابن إدريس وَفْق اللغة التى كسرت[٤] .

لفظان ملحقان :

ونرى أن نلحق بهذه الكلمات لفظين لم ينص عليهما صراحة ، وهما الزَّهو ، واللَّمَى :

١ ـ الزَّهو : وهو البُسْر إذا ظهرت فيه الحمرة ، وقد ورد بضم الزاى وفتحها وعزى الضم فقط إلى أهل الحجاز[٥] .

٢ ـ اللَّمَى وهى سُمْرَةَ الشفتين واللِّثات . وعزا الهجرى الضم إلى أهل الحجاز ولم يعز الفتح[٦] .

والذى يجعلنا نرى أن تميمًا كانت تفتح الفاء من هاتين الكلمتين أن اللغويين كانوا فى الغالب يقابلون بين تميم والحجاز .

---

(١) الطلاق ٦/٦٥ — (٢) اللسان (وجد) ٤٥٨/٤

(٣) معانى القرآن للفراء ١٦٤/٣

(٤) مختصر فى شواذ القرآن ١٥٨ ، وفيما يلى تعريف بمن لم يسبق ترجمته من القراء :

(أ) ابن أبى عبلة : إبراهيم بن أبى عبلة واسمه شمر بن يقظان الشامى الدمشقى . ثقة كبير تابعى أخذ القراءة عن أم الدرداء الصغرى هجيمة بنت يحيى ، وواثلة بن الأسقع . وروى عنه مالك بن أنس وتوفى نحو سنة ١٥٢ ﻫ (غاية النهاية ١٩/١) .

(ب) ابن إدريس : هو أبو محمد عبد الله بن إدريس بن يزيد الكوفى كان إماما حجة ، أخذ القراءة عن نافع والأعمش . توفى سنة ١٩٢ ﻫ وقيل سنة ١٩٤ ﻫ (غاية النهاية ٤٠٩/١ ، ٤١٠) .

(٥) الغريب المصنف ١٢٨ ب عن (الأصمعى) ، واللسان (زها) ٨٢/١٩ (عن أبى حنيفة) .

(٦) اللسان (لما) ١٢٥/٢٠ ، والتاج (لمى) ٣٣٢/١٠

ألفاظ تأرجحت الروايات بين نسبة ضمها وفتحها الى تميم :

أولًا : ما جاء على مَفْعُلة وَمَفْعَلة : (مَبقُلة ومزرُعة ومشرُعة ومقبُرة وميسُرة ومسرُبة ومَشْرُفة) :

نطق العرب هذه الألفاظ السبعة بصيغتين : إحداهما بضم عين الكلمة والأخرى بفتحها. وهذه الألفاظ روى بعضها برواية واحدة نسبت الضم لتميم والفتح للحجاز أو العكس ، وروى بعضها بروايتين عزت إحداهما الضم لتميم والفتح للحجاز وخالفت الأخرى فنسبت الفتح لتميم والضم للحجاز . وفيما يلى بيان ذلك :

(أ) عزو الضم لتميم :

ونلاحظ ذلك فى مَبقُلة ومَزْرُعة ومَشْرُعة :

١ – مبقلة : وهى مكان زرع البقل ، ويذكر أبو حنيفة (ت ٢٨٠ هـ) أنها بالضم والفتح وأن الضم لتميم[1] .

٢ ، ٣ – مزرعة ومشرعة : والأولى تعنى مكان الزرع[2] والثانية مَورد الشاربة[3] وعزا يونس فتح عين الكلمتين إلى أهل الحجاز وضمها إلى بنى تميم[4] .

(ب) ما ورد بروايتين :

وذلك كلمة « مقبرة » وهى موضع القبور[5] وقد اختلفت الروايات فى ضم عينها وفتحه :

١ – فنسب يونس (ت ١٨٢ هـ) الضم لتميم والفتح لأهل الحجاز[6] .

٢ – وعكس أبو حيان (ت سنة ٧٤٥ هـ) النسبة وذلك فى معرض حديثه عن « ميسرة »[7] .

---

(١) النبات لأبى حنيفة ٥/٦٣

(٢) اللسان (زرع) ١٠/٣ والمصباح (زرع) ٢٥٢

(٣) اللسان (شرع) ١٠/٤٠

(٤) المزهر ٢٩٩/ب والضبط بالقلم .

(٥) اللسان (قبر) ٦/٣٧٦

(٦) المزهر ٢٩٩/أ (خ) .

(٧) البحر ٢/٣٤٠

(ج) عزو الفتح لتميم

وذلك فى مَيْسَرة ومسرَبة ومشرَفة .

والمَيْسَرة مصدر ميمى[١] ، ويذكر النحاس فى معرض تعقيبه على قوله تعالى : (فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ)[٢] أن « مَيْسَرَة أفصح اللغات ، وهى لغة أهل نجد ، ومَيْسُرة ، وإن كانت لغة أهل الحجاز فهى من الشواذ »[٣] . ويفهم من كلام النحاس أن الفتح شاذ فى لغة أهل الحجاز . ويجىء أبو حيان فيضم إلى هذه الكلمة « مقبرة ومشرفة ومسربة » ويذكر أن الفتح وهو الكثير لغة نجد والضم وهو القليل لغة أهل الحجاز[٤] .

ومسربة بمعنى الشَّعَر المستدق الذى يأْخذ من الصدر إلى السرة[٥] .

أما مشرفة فلعها محرفة عن « مشرعة » التى نسبها يونس مضمومة العين إلى تميم ، أو « مشرقة » وهى الموضع الذى تشرق عليه الشمس[٦] . أما « مشرفة » بالفاء فلم أجد لها ذكرا فى المعجمات التى اطلعت عليها كديوان الأَدب[٧] ، واللسان[٨] ، والمصباح[٩]

تعقيب :

والذى أرجحه أن تميا كانت تقول « مفعُلة » بالضم فى كل هذه الأَلفاظ وأن ما ورد بخلاف ذلك فبسبب التصحيف ، ذلك لأَن أحد الأَسماء التى وردت بضم العين عند تميم اسم موضع ينبت فيه البقل ذكره عالم نباتى لغوى وهو أبو حنيفة ، وثلاثة أَلفاظ وجدناها مضبوطة فى مخطوطة المزهر وهى نسخة حرصت على الضبط الدقيق . ذلك إلى أن هناك مكانا ذكره الفارابى (ت ٣٥٠ هـ) مما جاء على « مَفْعُلة » بضم العين وقال : « وبالدهناء خبراء يقال لها مَعْقُلة ، سميت بذلك لأَنها تمسك بالماء كما يعقل الدواء البطن »[١٠] والمراد بالخبراء أنه مكان يبقى فيه الماء إلى القيظ وينبت فيه السدر والأَراك[١١] . وهذا المكان ضبط بضم القاف فقط لأَنه نطق وفق نطق المقيمين بجواره ونرجع أَنهم — أو منهم — تميميون لأَن من التميميين من كان يقيم فى هذه المنطقة:

(١) شرح الشافية ١/١٧٢
(٢) البقرة ٢/٢٨٠
(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢٩٩/ب
(٤) البحر ٢/٣٤٠
(٥) اللسان (سرب) ١/٤٤٨
(٦) اللسان (شرق) ١٢/٤٠ ، ٤١
(٧) انظر : ١/٢٨٢–٢٨٨
(٨) (شرف) ١١/٧٠/٧٦
(٩) (شرف) ٣١٠
(١٠) ديوان الأدب ١/٢٨٨
(١١) اللسان (خبر) ٥/٣٠٩

ثانيا : ألفاظ مفردة :

١ ـ أرومة :

(ا) جاء فى اللسان : « والأُرومة والأَرومةُ ، الأَخيرة تميمية : الأَصل ، والجمع أُرُوم »[١].

(ب) وجاء فى تاج العروس : « (والأَرومة) بالفتح (وتضم) لغة تميمية : الأَصل (ج أُرُوم) »[٢] .

هاتان روايتان متناقضتان إحداهما ـ وهى رواية اللسان ـ نسبت فتح الهمزة إلى تميم ، والأخرى نسبت إليها الضم . وقد رجعت إلى أصول اللسان[٣] وهى نفسها الإضافة إلى اللسان من مراجع التاج[٤] ، فلم أَجدها تذكر النص الذى أَورده صاحب اللسان مما يرجح سقوطها من النسخ التى اعتمد عليها ناشرو هذه الكتب. أَو نسخة المحكم المخطوطة التى رجعت اليها بدار الكتب المصرية .

وأرى أَن الصواب هو نسبة الضم إلى تميم ، لأَن المحكم لم يذكر سوى الفتح[٥] وهذا يشعر بأَنها اللغة المشتركة ، ولأَن الأَزهرى ذكر هذا اللفظ بالفتح أَيضا ونقل عن الليث أَنه « لا يقال أُرومة بضم الهمزة »[٦] .

وبإضافة قول الليث ـ والمراد به صاحب العين ـ هذا إلى كلام اللغويين الذين يذكرون أَن الضم إحدى لغتين يدل على أَنه القليل ، واللغويون كثيرا ما يعنون بالقليل غير الحجازية ، مما يجعلنا نرجح رواية صاحب التاج التى تنسب الضم إلى تميم على رواية اللسان ، ويزيد هذه الرواية ترجيحا أَن ضبط اللسان بالقلم وضبط الزبيدى بالعبارة .

---

(١) اللسان (أرم) ٢٨١/١٤

(٢) تاج العروس (أرم) ١٨٤/٨

(٣) هى تهذيب اللغة للأزهرى و الصحاح للجوهرى والمحكم لابن سيده والنهاية فى غريب الحديث لابن الأثير . وهناك أصل خامس وهو حواشى ابن برى ولكن لا توجد نسخ خطية إلا للمواد التى تبدأ بأول الكتاب وتنتهى بمادة « وقش » وقد طبعها مجمع اللغة العربية فى جزئين .

(٤) انظر : تاج العروس ٣/١

(٥) المحكم ٣/٢٠ ب (خ)

(٦) تهذيب اللغة ٢٠٠/٥

٢ـ الحوب :

الحوب بضم الحاء وفتحها بمعنى الإثم. وقد عزيت إحدى الصيغتين إلى تميم والأخرى إلى الحجاز . ولكن لم يتفق العلماء فى تحديد نسبة الصيغتين ، وفيما يلى بيان ذلك :

(أ) عزو الضم الى تميم :

عزا ابن منظور ضم الحاء إلى تميم وفتحها إلى الحجازيين ، فقال : « الحَوب والحُوب والحَاب : الإثم ، فالحَوْب بالفتح لأهل الحجاز والحُوب بالضم لتميم »[(١)] . وتابع الزبيدى ابن منظور ، فقال « فالحَوْب بالفتح لأهل الحجاز والحُوب بالضم لتميم »[(٢)] .

(ب) عزو الفتح الى تميم :

نرى ذلك عند الفيومى ، فيقول « فالضم لغة الحجاز والفتح لغة تميم »[(٣)] ونسب صاحب الإتحاف الفتح فقط إلى بنى تميم عند معرض حديثه عن قوله تعالى : (وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُم إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيرا)[(٤)] وذكر أنه لم يقرأ بها من الأربعة عشر غير الحسن ، وضبط اللفظ بالعبارة[(٥)] .

وإذا رجعنا إلى مصادر اللسان ، وهى أيضا - بالإضافة إلى اللسان نفسه - من مراجع التاج ، لانجد إشارة للغتين فى الصحاح والمحكم ولكننا نجد صاحب التهذيب يذكرهما ، فينقل قول الفراء : « هما لغتان : فالحُوب لأهل الحجاز والحَوب لتميم »[(٦)] . فهو إذن يتفق معه ضبط المصباح . ولما كان ضبط التهذيب بالقلم وضبط اللسان والتاج بالعبارة ، فالأمر يحتمل الشك ، إذ يجوز أن يكون المحقق قد اعتمد على المصباح ، ولما كان الحكم فى هذه الحالة اللجوء إلى مخطوطات التهذيب ، فإننى لجأت إلى مصورتين بمكتبة مجمع اللغة العربية أعلم أنه رجع إليهما فى تحقيق التهذيب ، فوجددت مادة (حوب) مع مواد أخرى مجاورة لها ساقطة من إحدى النسختين ، ووجدت الأخرى تضبط الصيغتين بفتح الحاء[(٧)] .

(١) اللسان (حوب) ٣٢٩/١
(٢) التاج (حوب) ٢٢٥/١
(٣) المصباح (حوب) ١٥٥
(٤) النساء ٢/٤
(٥) إتحاف ١٨٦
(٦) تهذيب اللغة (حوب) ٢٦٨/١٥
(٧) نسخة برقم ١٤٠٩٩ (مصورة عن دار الكتب) .

قد يرى بعض الأشخاص أننا يمكن أن نستعين بالقراءات القرآنية ، فالصيغة التى قرأ بها جمهور القراء تنسب إلى الحجاز ، لأن اللغة المشتركة أخذت معظم خصائصها منها ، والصيغة الأخرى تعزى إلى تميم . ويبدو أن هذا ما فعله صاحب الإتحاف . وهذا الرأى وإن كان فى جملته صحيحا إلا أن اللغة المشتركة قد تأخذ من غير الحجازية ، وفى هذا البحث واجهنا كثيرا مما اتفقت فيه تميم واللغة المشتركة . ومن المحتمل أن تكون الصيغة التميمية هنا مما اشتركت فيه وهذه اللغة . وذلك ما نميل إليه إذ إننا عند المفاضلة اللغوية بين معجم لغوى كاللسان وآخر كالمصباح نقف إلى جانب اللسان بوصفه كتابا لغويا . أما المصباح فهو فى الأصل جامع لألفاظ فقهية[1] ، ثم أخذ صاحبه ينميه بعد ذلك . وإن حرص ابن منظور على الضبط بالعبارة يعنى تأكده مما اطلع عليه من نسخة التهذيب وهى من غير شك غير النسخة التى رجعنا إليها ولم تمدنا بأية فائدة .

- كلمة تأرجحت الروايات بين نسبة فتح صوتها الثانى واسكانه الى تميم، وهى مضمومة عند الحجازيين :

١ - قال الفيومى : « ويوم الجُمعة سمى بذلك لاجتماع الناس به وضم الميم لغة الحجاز وفتحها لغة بنى تميم وإسكانها لغة عُقيل وقرأ بها الأعمش»[2] .

٢ - ورد فى الإتحاف : « وعن المطوّعى : الجُمْعة بسكون الميم لغة تميم »[3] .

يفهم من النص الأول أن تميما اتجهت إلى فتح الميم من الكلمة فقالوا « جُمَعة » فى حين إن الحجازيين ضموها وقالوا « جُمُعة » . لكننا نعلم أن نهج تميم فى مثل هذا اللفظ أن تضبط الميم بالسكون وهذا ما سجله النص الثانى .

وإذا ما انتقلنا منه إلى مؤلف له عراقة فى التقدم الزمنى ، وهو الفراء صاحب « معانى القرآن » نراه يذكر الصيغ الثلاث وينسب التثقيل (جُمُعة) لعاصم وأهل الحجاز - والمقصود بهم القراء الذين كانوا يقيمون بالحجاز - ولا ينسب التخفيف (جُمْعة) إلى أصحاب لغة معنيين .

---

(١) انظر مقدمة المصباح للفيومى صفحة (م) .

(٢) المصباح (جمع) ١٠٨ ، ١٠٩

(٣) إتحاف ٤١٦

لكنه ينسب الصيغة الثالثة التي نسبها الفيومي إلى تميم وهي «جُمَعَة» إلى بني عُقَيل ولا يعزو إليها قراءة معينة ، وإنما يردف هذه النسبة بقوله «لو قرئ بها كان صواباً»[1] . أما إذا اتجهنا إلى اللسان فنراه يسجل ما دونه الفراء دون نسبة إليه مع تغيير في الألفاظ ، لكنه يضبط «الْجُمَعة» التي نسبها الفراء إلى عُقَيل بسكون الميم ، وهو ضبط مخالف لما سجله الفراء في كتابه خاصة وأنه عقب عليها بنفس تعقيب الفراء وهو «ولو قرئ بها كان صواباً[2]» ، والمعروف أنه قرئ بإسكان الميم كما في النص الثاني ، فهو لا يحتاج إلى مثل هذا التعقيب ، أما فتح الميم فلم نر من قرأ به ولذا فالتعقيب يناسبه ، وهذا يجعلنا ننسب التصحيف لرواية اللسان .

وننتهي مما سبق إلى أننا نرى أن صواب نطق كلمة «جمعة» عند تميم بسكون الميم فليس مكانها إذن تبادل الحركات وإنما موضوع تال هو «عدم تتابع الحركات» .

* * *

التعقيب :

هذا ما ورد من كلمات بصيغتين : إحداهما مضمومة ، والأخرى مفتوحة وقد عزيت إحداهما لتميم . ومن عرضها تبين لنا :

أولا – أن تميما مالت إلى الضم في :

١ – حالة واحدة مطردة ، وهي فاء فُعلى المعتل اللام بالواو مثل فُتيا .

٢ – خمسة عشر لفظا مفردا ، منها :

(أ) أربعة ألفاظ جاءت على «فُعْلة» عندهم و«فَعْلة» عند غيرهم (عدوة وعشوة وغلظة وغرفة) والمقارنة في أحد هذه الألفاظ (غرفة) بين تميم والحجاز والثلاثة الأخرى بينها وبين قبائل غير محددة من غير أهل الحجاز .

(ب) والأحد عشر لفظا الأخرى كانت المقارنة :

١ – في سبع بين الحجازيين (بُخل ، وزُعم ، وشُرب ، وصُدْقة ، وفُواق ، وقُرح ، ويُنع) .

---

(١) معاني القرآن ١٥٦/٣ (٢) راجع نص اللسان في (جمع) ٤٠٩/٩ ، وقارنه بنص الفراء .

٢ ـ فى ثلاث مع اللغة المشتركة (عُضْد ، مُثْلة ، عُدس)

٣ ـ فى لفظ مع كنانة (ثمر)

ثانياً ـ أنها اتجهت إلى الفتح فى :

١ ـ حالة واحدة مطردة (جمع الرباعى المسبوق بمد مما عينه ولامه من جنس واحد على فُعَل) .

٢ ـ تسعة عشر لفظاً مفردات منها :

(أ) ٣ ثلاثة ألفاظ يمثلون حالة شبه مطردة (فَعالى وفُعالى : سَكارى وكسالى وغيارى) وكانت المقارنة بينهم وبين الحجازيين .

(ب) لفظ لم يكن عاما عند التميميين وكانت المقارنة بين قبائل مجهولة (حيثَ)

(ج) الخمسة عشر لفظا الباقية قورن :

١ ـ سبعة منها مع الحجازيين (رَفْغ ، وشَهد ، وصَلَب ، وضَعف ، وعَقْر وقَلنسوة ، ولَحد) .

٢ ـ ثلاثة ألفاظ مع اللغة المشتركة (رَبوة ، وجَل ، وحَدَّان) .

٣ ـ لفظان مع قبائل محددة من غير الجحازيين (تَذْنوب « أسد » ، وصدف « حمير ») .

٤ ـ ثلاثة ألفاظ مع قبائل غير محددة (رَبيون ، ونَعام ، ووَجْد) .

فإذا ما أضفنا إلى الضم ما رجحنا نسبته إلى تميم وهو :

١ ـ حالة واحدة شبه مطردة (ضم عين مَفْعُلة فى : مبقُلة ومزرُعة ومشرعة ومقبرة ومسربة وميسرة ـ بالإضافة إلى مشرُفة التى رجحنا أنها محرفة عن مشرعة أو مشرقة ـ ومعقلة التى وردت بالضم فقط) .

٢ ـ لفظان مفردان (أُرومة ، وحُوب) .

وأضفنا أيضاً إلى الفتح اللفظين : زَهو ولَمَى كانت النتيجة أن تميا :

(ا) ضمت فى :

١ ـ حالة واحدة مطردة .

٢ ـ حالتين شبه مطردتين .

٣ ـ ثلاثة عشر لفظاً مفردا .

(ب) وفتحت فى :

١ ـ حالة واحدة مطردة .

٢ ـ حالة واحدة شبه مطردة .

٣ ـ ثمانية عشر لفظاً مفردا .

وفى الحالين سواء أضفنا هذه المرجحات أم لم نضفها ، فإنه يصعب علينا القول بميل تميم إلى أى من الحركتين الضمة أو الفتحة ، وإنما كل ما نستطيع تقريره أنها اتجهت فى أوزان معينة إلى حركة بعينها ،

ثانيا : بين الحركات الطويلة

(أ) بين الف المد وياء المد

اختلف التميميون عن غيرهم فى إيثار حركة طويلة على أخرى شبيهة بها فى الطول. والمقارنة هنا بين ألف المد وياء المد ، أو بتعبير آخر بين الفتحة الطويلة والكسرة الطويلة . لقد قالت تميم : بَرِىء ، وعِفْراة ، وقار فى مقابل : بَراء ، وعِفْرِيت ، وقِير عند غيرهم .

١ - بَرِىء :

كان أهل الحجاز يقولون : أنا منك براء ، وتميم وسائر العرب يقولون أنا منك برىء[1] . وبرىء وبراء كلاهما صفة مشبهة وردا فى القرآن الكريم ، قال تعالى : (وإِذْ قال إبراهيم لأبيه وقومه إننى براءٌ مما تعبدون)[2] وذلك وفق اللغة الحجازية وقال جل شأنه : (إنى بَرِىءٌ مما تشركون)[3] وهذه الآية ورد فيها اللفظ وفق اللغة التميمية .

٢ - عِفراة :

نطق التميميون « عِفراة » وشاركهم فى ذلك الطائيون[4] . وذلك فى مقابل « عِفْرِيت » الواردة فى قوله تعالى : (قال عِفْرِيت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك[5]) ، وقد ذكر لهذه الكلمة أربع صيغ أخرى غير الصيغتين السابق ذكرهما ، والصيغ الست ، هى : عِفْر ، وعِفْرية ، وعِفْرِيت ، ، وعَفَرِيت ، وعِفْراةٌ ، وعُفارية[6] .

ومرجع تعدد هذه الصيغ احتمال أن تكون الكلمة غير عربية الأصل فعربها العرب بصور متعددة ، فينقل لنا « جفرى » عن هِس (Hess) وڤولرز (Vollers) أنهما

---

(١) المزهر ٢٩٩/أ (خ) = ٢٧٦/٢ (ط) عن اليزيدى ، واللسان (برأ) ٢٤/١ عن اللحيانى .

(٢) الزخرف ٢٦/٤٣ (٣) الأنعام ٧٨/٦

(٤) مختصر فى شواذ القرآن ١٠٩ (٥) النمل ٣٩/٢٧

(٦) مختصر فى شواذ القرآن ١٠٩

يريان أن الكلمة مأخوذة عن اللفظ الفهلوى « āfritan » وهى نفسها فى الفارسية الحديثة آفريد (اسم مفعول من « أفريدن » بمعنى مخلوق)[١]

القراءات واللغة التميمية :

وردت هذه الكلمة فى آية واحدة من كتاب الله ، وهى الآية التى ذكرناها آنفا ، ولم يقرأ باللغة التميمية إلا فى الشواذ ، قرأ بها أبو حَيْوة[٢] .

٣ ـ قار :

القار مادة سوداء تطلى بها الإبل وكذلك السفن ليمنع الماء من دخولها[٣] .

والكلمة آرامية الأصل من ܩܝܪܐ kīrā : (قيرا)[٤]. ونلاحظ أن الصيغة الحجازية (قِير) تتفق ونطق الكلمة فى لغتها الأصلية ، وهذا يدل على أن التميمية أحدث منها .

تعقيب :

مالت تميم فى الألفاظ الثلاثة السالفة إلى ألف المد فى لفظين وفى ياء المد فى الثالث . وفى كلمتين من الثلاثة حدد المقابل لتميم صراحة بالحجاز ولم يحدد فى الثالثة (عِفريت) التى كانت شائعة فى اللغة المشتركة ، بدليل قراءة جميع القراءات المتواترة بها . ويمكن أن نعدها حجازية ، لأن المشتركة أخذت معظم خصائصها منها .

وهناك كلمة رابعة استبعدناها نقلها أبو عمرو عن « التميمى » ، وهى قوله « البَجَال :

Jeffery, The foreign vocabulary of the Qur͗an p. 215.

ويىكر جفرى قول جرم (Grimm) أن الكلمة من العربية الجنوبية (المرجع السابق)

(٢) مختصر فى شواذ القرآن ١٠٩ ، وهو شريح بن يزيد أبو حيوة الحضرمى الحمصى قارىء الشام له قراءة شاذة. روى القراءة عن الكسائى ، وروى عنه ابنه حيوة قراءته ، كما روى عنه قراءة الكسائى . توفى سنة ٢٠٣ هـ (غاية النهاية ١/٣٢٥)

(٣) اللسان (قير) ٦/٤٣٨

(٤) الدخيل فى اللغة العربية (بحث نشر بمجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد م / ١١ ج / ٢ – ديسمبر ١٩٤٩ م) ١٠ وغرائب اللغة العربية ٢٠٠ .

الرجل السيد السمح » . ويذكر الأصمعى لهذه الدلالة صيغتين هما « بجيل وبَجال »[١] ولكن خشية أن يكون التميمى هذا راويا لا يعبر عن لغة قومه استبعدناها وفق النهج الذى اتبعناه وذكرناه فى المقدمة ولكننا نشير إلى هذا اللفظ هنا على سبيل الاستئناس ، إذ يحتمل أن يكون التميمى هذا معبرا عن لغة قومه . وإذا صح هذا فإنه حينئذ يكون متفقا مع نهج تميم فى إيثار الألف على الياء ويكون لدينا ثلاثة ألفاظ بالألف مقابل واحد بالياء . وكان المتوقع خلاف ذلك كى يتسق نهجهم هنا وما لاحظناه عند التبادل بين « الكسر والفتح » ، إذ مالت تميم إلى الأول والحجاز إلى الثانى وذلك لأن ألف المد ليست إلا فتحة طويلة وياء المد عبارة عن كسرة طويلة. وهذا أمر قرره المحدثون ولاحظه بعض القدماء من قبل . وفيما يلى توضيح ذلك .

الصلة بين الفتحة وألف المد :

يقول ابن جنى : « اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين ، وهى الألف والياء والواو . فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث ، وهى الفتحة والكسرة والضمة . وقد كان متقدمو النحويين (رحمهم الله) يسمون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة ... ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذى هى بعضه »[٢]

الفرق إذن بين الفتحة وألف المد وكذلك بين الكسرة وياء المد ليس إلا فرقا فى الكمية الذى يستغرقه نطق كل منهما . فالألف هى فتحة طويلة ، والياء كسرة طويلة[٣] . وإن مخرج الفتحة هو نفسه مخرج الألف ومخرج الكسرة هو نفسه مخرج الياء ، ووضع اللسان مع الفتحة والألف واحد وكذلك مع الكسرة وياء المد .

وبعد ، فإننا إذا ضممنا الكلمتين اللتين مالت فيهما تميم إلى الألف إلى تلك الألفاظ التى آثرت فيها الفتح على الكسر ، وضممنا الكلمة التى نطقتها بالياء إلى الكلمات التى اتجهت فيها تميم إلى الكسر ، فإن كفة الكسر لا تزال هى الراجحة .

---

(١) إصلاح المنطق ١٢٢ ، وانظر : المخصص ١٥/٨٧

(٢) سر صناعة الإعراب ١/١٩ ، ٢٠ (٣) الأصوات اللغوية ٣٨

(ب) بين واو المد وياء المد

عزى إلى بعض التميميين وشاركهم فى ذلك بنو فقعس (وهم بطن من بنى أسد) أنهم كانوا يضمون أول الفعل الثلاثى الأجوف عند بنائه للمفعول ويخلصون هذا الضم فيقولون مثلًا : سُوط (من ساط يسوط بمعنى خلط)، وشُوط (من شاط يَشيط بمعنى قارب الاحتراق) مخالفين لغة قريش التى كانت تكسر الأول وتخلص هذا الكسر فتقول : سِيط وشِيط ، ومخالفين كذلك أكثر قيس وأسد الذين كانوا يُشمُّون الكسر الضم[1] . ونلاحظ أن اللغة المشتركة أخذت بلغة قريش .

وإذا كانت القاعدة العامة عند بناء الفعل الثلاثى للمفعول أن يضم أوله ويكسر ما قبل آخره ، فمعنى ذلك أن الأصل فى المعتل الوسط مثل الفعلين السابقين أن يقال : سُوِطَ وشُيِطَ والذى حدث عند بعض التميميين أن ضمة الصوت الأول أثرت فى حركة كل من الواو والياء المكسورتين فتحولت فى كل منهما إلى ضمة (سُوُط وشُيُط) وهذا تماثل كلى إتباعى منفصل وثقلت الضمة على كل من الواو والياء فحذفتا فالتقت ضمتان قصيرتان فأصبحتا ضمة طويلة .

---

(١) شرح بانت سعاد ٦٨ ، ٦٩ .

كلمة ختامية

بعد هذه الدراسة عن أشباه أصوات اللين (وكانت بين الواو والياء) والحركات القصيرة (بين الضم والكسر ، والكسر والفتح ، والضم والفتح) . والحركات الطويلة لاحظنا أن تميما :

(أ) آثرت :

١ ــ الياء على الواو .

٢ ــ الكسرة على الفتحة .

٣ ــ الفتحة الطويلة على الكسرة الطويلة .

٤ ــ الضمة الطويلة على الكسرة الطويلة .

(ب) لا يوجد خط واضح للاتجاه إلى واحد من الصوتين :

١ ــ الضمة والكسرة . ٢ ــ الضمة والفتحة .

وإننا إذا ضممنا الياء والواو (وهما من أشباه أصوات اللين) إلى الكسرة والضمة وكذلك ضممنا الفتحة والكسرة الطويلتين إلى الفتحة والكسرة ، والضمة والكسرة الطويلتين إلى الضمة والكسرة ؛ لأن كل مجموعتين من جنس واحد تكون النتيجة :

(ا) إيثار تميم الكسر على الفتح .

(ب) عدم اتضاح خط معين بين :

١ ــ الضمة والكسرة . ٢ ــ الضمة والفتحة .

وعند المقارنة بين هذه الحركات الثلاث وكذلك بين أشباه أصوات اللين ، يرى بعض علماء اللغة المحدثون أن الضمة وكذلك الواو تحتاجان إلى الجهد الأكثر تليها الكسرة والياء ، يلى ذلك الفتحة القصيرة والطويلة[1] ــ وهذا يعنى اتجاه تميم إلى الطريق الوسط . لكن يبدو أن هذا الحكم غير دقيق وأن الجهد الأكثر يبذل مع الكسرة وتليها الضمة تليها الفتحة ، وهذا مالاحظه الدكتور رمضان فى اقتراحه بشأن رسم الهمزة فى وسط الكلمة[2]

(١) انظر : فى اللهجات العربية ٩٦

(٢) انظر : تاريخ الهمزة وقواعد كتابتها (بحث نشر فى كتاب : فى أصول اللغة) ٣ / ٢٩١ .

٢ ــ الابدال المقيد (التركيبى)

(أ) التماثل

التماثل بين أصوات اللين (Vowel harmoney) ويطلق عليه أيضا « انسجام أصوات اللين » . وإذا كنا قد قسمناه فى الأصوات الساكنة إلى ثمانية أنواع بالإضافة إلى نوع تاسع هو التماثل التبادلى ، فإنه هنا أربعة أنواع فقط ، لأن التماثل فى الحركات من النوع الكلى total فقط . وهذه الأنواع ، هى :

١ ــ الإتباعى المتصل

٢ ــ الإتباعى المنفصل

٣ ــ التخلفى المتصل

٤ ــ التخلفى المنفصل .

وكل واحد من هذه الأربعة قد يكون فى الكلمة الواحدة ، أو فى الكلمتين المتلاصقتين ويكون مطردا وغير مطرد . والنطق غير التميمى قد يكون هو الأصل ، فالتماثل حينئذ تميمى وقد يكون النطق التميمى هو الأصل فالتماثل حينئذ عند غير التميميين أما إذا كان النطق الأصلى مجهولا ، فمن الصعب علينا حينئذ الحكم بتحديد أصحاب التماثل : أهم بنو تميم أم غيرهم ؟ لذا سنضطر إلى الاشارة إليه تحت عنوان «بين التماثل والتغاير» .

وقد أشرنا ونحن ندرس الإبدال الحر فى الحركات إلى الحالات والألفاظ التى تمت أو يحتمل أنها تمت عن طريق الإبدال التركيبى (التماثل والتغاير) وفيما يلى عرض لجوانب التماثل مكتفين بالعرض السريع لما تناولناه فى الإبدال الحر .

أما الذى لم يعالج وهو الإمالة وما يكون فى كلمتين متلاصقتين ، فسنتناوله بالتفصيل . ولما كانت الإمالة تشتمل على أكثر من نوع من أنواع التماثل ، فسندرسها مستقلة بعد عرض الأنواع الأربعة .

أولا : التماثل عند تميم :

١ ـ الاتباعى المتصل :

وهو غير مطرد :

ونلاحظ ذلك فى :

أُسَيِّد عند تميم (اسم علم) وأسيود عند غيرهم وهما تصغير أسود ، فتأثرت الواو بالياء السابقة الملاصقة فقلبت ياء وأدغمت الأُولى فى الثانية .

٢ ـ الاتباعى المنفصل :

وهو مطرد وغير مطرد :

(أ) المطرد :

١ ـ كسر هاء الغائب المفرد والمثنى والجمع : ويحدث ذلك إذا سبقت بكسرة مثل بِهِ وبِهِما وبِهِم أو ياء ساكنة مثل عليْه وعليْهما وعليْهم . والأَصل ضم الهاء كما هو عند الحجازيين ، فتأَثرت فى الحالة الأولى حركة الهاء بالكسرة غير المجاورة لها وكذلك بالياء فى الحالة الثانية فكسر وشاع ذلك فى اللغة المشتركة .

٢ ـ باب وجِل المسند للغائب : وهو كل مثال من باب فَرِح ، قلبت الواو ياء بتأثير حرف المضارعة ، فقيل يَيْجل فى يَوْجل .

٣ ـ الفعل الثلاثى الأَجوف عند بنائه للمجهول مثل قُول وبُوع والأصل فيها قُوِل وبُيِع .

٤ ـ الوقف على الهمزة فيما جاء على فُعِل وفِعُل : القاعدة أنه إذا كان الوقف على الهمزة وسبقت بساكن فتنقل حركة الهمزة للساكن السابق لها ، فإذا ترتب على هذا النقل أن كان الوزن الجديد على فُعِل مثل « من البُطِىء » أو فِعُل مثل « هو الرِّدُء » أتبع بعض التميميين ما أصله ساكنا حركة ما قبله فقالوا :« من البُطُؤْ ، وهو الرِّدِىء » .

(ب) غير المطرد :

١ — فى كلمة واحدة :

عُدُس : بضم العين والدال عند تميم وبفتح الدال (عُدَس) عند غيرهم وهو تماثل إتباعى منفصل . ويمكن أن نعده متصلا ، لو كانت هناك مرحلة وسطى بين غير التميمية والتميمية ، وهى إسكان الدال ، وهى تميمية أيضا (عُدْس) لاتفاق ذلك وبدئهم الكلمة بمقطع مغلق قصير .

٢ — فى كلمتين متلاصقتين :

ونلاحظ ذلك فى :

قُمُ الليل : « قُمْ » فى قوله تعالى (قُمِ الليل)[1] فعل أمر مبنى على السكون وقد التقت الميم الساكنة بساكن بعده فى الكلمة التى تليه . ومن خصائص العربية ألا يلتقى ساكنان إلا فى مواضع خاصة ليس منها هذه الحالة ، فكان على العربى أن يحرك الصوت الأول. والقاعدة العامة فى اللغة المشتركة أن تكسر الأول فتقول فى هذه الآية الكريمة (قُمِ الليل). وهى قراءة الجمهور ، بدليل أن كتب القراءات السبع والعشر والأربعة عشر لم تشر إلى ورود خلاف فى قراءتها[2] . وحكى قطرب أن البعض حرك بالفتحة فقال (قُمَ الليل)[3] . ونسب إلى بنى العنبر تحريك الميم بالضمة وأن أحدهم تلا الآية (قُم الليل)[4] بضم الميم من « قُمُ » . وهم فى نطقهم هذا خالفوا النهج العام الذى يكسر الميم وجعلوها تتبع حركة الصوت الساكن السابق له وهو القاف

---

(١) المزمل ٢/٧٣

(٢) انظر : السبعة فى القراءات ٦٥٨ ، والإتحاف ٤٢٦

(٣) المحتسب ٣٣٦/٢

(٤) المرجع السابق ٣٣٥

٣ ـ التخالف المتصل :

(١) المطرد :

كسر فاء جمع الاسم الرباعى المعتل بالياء المسبوق آخره بحرف مد مثل صيود فتجمع على صُيُد وتصير عند تميم صِيد . والقاعدة أن تكون عندهم على صُيْد .

(ب) غير المطرد :

١ ـ الحج : لاحظنا التخالف المتصل عند تميم فى كلمة « الحج » التى نطقها التميميون بكسر الحاء التى فتحت فى اللغة المشتركة ، وذلك بتأثير الياء الساكنة التى تليها المنقلبة عن الجيم وفقاً لقاعدة عامة عندهم .

٢ ـ شِجَرَة : كسرت الشين عند التميميين وهى مفتوحة فى اللغة المشتركة متأثرة بالياء التى تليها المبدلة من الجيم .

٤ ـ التخالف المنفصل :

(أ) المطرد :

كسر فاء فَعيل و : ويكون ذلك إذا كانت عين الكلمة حرفَ حلق مكسورة ، مثل : رِحيم وسِحِر فى رَحيم وسَحِر .

(ب) غير المطرد :

(أ) فى كلمة واحدة :

ونراه عندهم فى :

١ ـ مِنْتِن : وهى مُنتِن بضم الميم عند غيرهم ، لأنها اسم فاعل من أنتن وقد تأثرت حركة الميم بحركة التاء التى تليها .

٢ ـ نِعجة : كسرت النون عند تميم وهى مفتوحة فى اللغة المشتركة متأثرة بالياء المبدلة من الجيم .

٣ ـ نِهى : بمعنى غدير وقد كسرت النون لتماثل الياء التى هى من جنسها والواقعة لاما للكلمة .

(ب) فى كلمتين متلاصقتين :

وتلاحظ ذلك عند تميم فى التعبير : « الحمدِ لِله » (بكسر الدال واللام) ، وفيما يلى عرض له :

الحمدُ لله : هاتان الكلمتان رغم أنهما يكونان جملة تامة ، إلا أنهما بمنزلة الكلمة الواحدة لكثرة استعمالهما مقترنتين [١] ، وقد وردت بصور أربع :

(أ) الحمدُ لِله بضم الدال وكسر اللام .

(ب) الحمدَ لِله بفتح الدال وكسر اللام .

(ج) الحمدُ لُله بضم الدال واللام .

(د) الحمدِ لِله بكسر الدال واللام [٢] .

أما الصورة الأُولى فهى التى شاعت فى اللغة المشتركة وقرأ بها الجمهور حيث وردت فى كتاب الله [٣] . قال ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) ـ بعد أن عرض الوجوه الأَربعة ـ « سمعت ابن مجاهد يقول : لا يقرأ بشىءٍ من ذلك إلا بما عليه الناس فى كل مِصْر : الحمدُ لِله ، بضم الدال وكسر اللام » [٤] .

وأما الصور الثلاث الأُخرى ، فهى لغات قرىء بها فى الشاذ :

(أ) فرواية فتح الدال ، قيل إن النصب على المصدر ، وهى لغة قيس ، قرأ بها عيينة ورؤبة بن العجاج [٥] .

(ب) ورواية ضم الدال واللام أتبع الناطق حركة اللام لحركة الدال . وهذا تماثل إتباعى منفصل . وقد نسبه النحاس لبعض ربيعة [٦] وقرأ به إبراهيم بن أبى عبلة [٧] .

(ج) وأما الوجه الأَخير (كسر الدال واللام) ، فهو الذى يعنينا ؛ لأَنه كما ذكر النحاس خاص ببنى تميم [٨] ، وعزى كذلك إلى بعض غطفان [٩] . وليس هذا

---

(١) انظر : القراءات الشاذة للقاضى ٢١

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١/ب

(٣) إتحاف ١٢٢

(٤) إعراب ثلاثين سورة ١٩

(٥) إعراب القرآن ١/ب . ونسبها لرؤبة أيضا ابن خالويه فى مختصر فى شواذ القرآن ١

(٦) المرجع السابق

(٧) مختصر فى شواذ القرآن ١ ، وإعراب ثلاثين سورة ١٨

(٨) إعراب القرآن ١ /ب

(٩) القراءات الشاذة ٢١

بمستبعد لمجاورتهم إياهم فى المسكن . وقد قرأ به الحسن ونسبت القراءة أيضاً إلى رؤبة[1] . وتوجيه هذه اللغة أن التميمى أتبع حركة الدال لحركة اللام السابقة لها والمفروض أن تكون حركة الدال مضمومة لابتداء الكلام بالحمد .

ثانيا : ما احتفظت فيه تميم بالأصل :

يشمل هذا النوع الألفاظ التى احتفظت فيها تميم بالصيغة القدمى وتطورت عند غيرهم بطريق التماثل .

(أ) التخلفى المتصل :

إِيمُ : عند بنى سُليم والصيغة القدمى – كما وضح لنا عند الكلام عنها فى الإبدال الحر – أَيمُ التميمية ، فأَثّرت الياء فى الهمزة السابقة لها فكسرت .

(ب) التخلفى المنفصل :

١ – وعِصِى ومّا شبهها عند الحجازيين : وهى ألفاظ معتلة اللام بالواو جمعت على « فُعول »ووجدنا منها غير هذا اللفظ منسوباً إلى تميم « قُسِى ودُلىّ « فقلبت الواو ياء لتطرفها وتأثرت عين الكلمة بالياء المتطرفة فكسرت وهكذا نطق التميميون ، ثم تأثرت فاء الكلمة عند الحجازيين بكسرة العين فكسرت .

٢ – جِبريل : بكسر الجيم عند الحجاريين والأصل فتحها والكسر تأثر بالكسرة الطويلة

٣ – رِبِّيون : والأَصل « رَبِّيون » كما نطقه التميميون ثم نطقت الراء بكسرها بتأثير الياء فى اللغة المشتركة .

(ج) تماثلان اتباعى وتخلفى :

ايمِ : بكسر الهمزة والميم عند بعض العرب والنطق التميمى (أَيمُ) بفتح الهمزة وضم الميم هوالأَصل فأَثرت الياء فى الصوتين من أمام (وهو منفصل) ومن خلف (وهو متصل) .

---

(١) مختصر فى شواذ القرآن ١

الإمالة (*)

الإمالة من الظواهر التى عزيت إلى تميم . وقد تناولتها الكتب المؤلفة فى النحو والقراءات بدءا من كتاب سيبويه ، فى مقابل الفتح ، وذكرت لكل منها أسماء أخرى . فالفتح يسمى أيضا النصب[١] والتفخيم[٢] . ويستعمل فى مقابل الإمالة الكسر والبَطْح والاضجاع[٣]

ويقسم العلماء الإمالة إلى قسمين : شديدة ، ومتوسطة[٤] :

(أ) الشديدة : وعرفت بأنها تقريب الفتحة من الكسر ، والألف من الياء ، من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه[٥] ، وتسمى أيضا : المحض والاضجاع والبطح والكسر[٦] ، والكبرى[٧] ، وهى المقصودة عند الإطلاق[٨] .

(ب) المتوسطة : وهى ما بين الفتح والإمالة الشديدة وتسمى التقليل والتلطيف ، وبين بين ، وبين اللفظين[٩] ، والترقيق[١٠] ، والصغرى[١١] .

(*) سنرمز للإمالة سواء أكانت فى الكلمات التى وردت فى نصوص قديمة ، أم التى ينطقها المحدثون بألف قصيرة تحت الحرف السابق للفتحة القصيرة أو الطويلة متابعين فى ذلك القدماء . وبالنسبة للكلمات التى رواها العلماء لكلمات تصور الإمالة قديما بعد عصور الاحتجاج ، نسجلها كما وردت فى الكتب المنقول عنها ونكتبها بين قوسين وفق هذا المنهج ، مثل : كتيب (كتاب) إمالة «كتاب»

(١) انظر : الكتاب ٤/١٣٣ ، ١٤٣ ، والمقتضب ٣/٤٢ ، والحجة للفارسى ١/٢٨٨ ، وارتشاف الضرب ٤٩/أ

(٢) الحجة لابن خالويه ٦٦ ، وإعراب ثلاثين سورة ١٥٩ ، والصاحبى ٢٠ ، ولطائف الإشارات (عن الكامل للهذلى «ت ٤٦٥ هـ» ١/٨١ ، والبحر ١/٥٩

(٣) شرح الأشمونى ٤/٢٢٠

(٤) النشر ٢/٢٩

(٥) إبراز المعانى ١٥٢

(٦) النشر ٢/٢٩

(٧) إتحاف ٧٤

(٨) المرجع السابق وشرح الأشمونى ٤/٢٢٠

(٩) النشر ٢/٢٩

(١٠) شرح الشافية ٣/٤

(١١) إتحاف ٧٤

والملاحظ أن من هذه المصطلحات ما يطلقه بعضهم على الإمالة بصفة عامة ويطلقه غيرهم على أحد أقسامها وهى الشديدة أو الكبرى. ولعل مرجع ذلك أن المقصود بالإمالة عند إطلاقها الإمالة الكبرى .

أما الفتح فهو أحد الحركات الثلاثة : الفتح والضم والكسر . وقد تناولناه من قبل وبينا وضع اللسان عند النطق به .

ويذكر ابن جنى أنواعا أخرى للإمالة لم تنسب إلى بنى تميم ، وهى :

١ ـ إمالة الكسرة نحو الضمة ، مثل : قيل وبيع .

٢ ـ إمالة الفتحة نحو الضمة ، وهى التى تكون قبل ألف التفخيم فى مثل : الصلاة والزكاة .

٣ ـ الضمة المشوبة بكسرة نحو مذعور[1]

على أن المقصود بالإمالة عند إطلاقها إمالة الألف نحو الياء أو الفتحة نحو الكسرة ـ كما يطلق عليها بعضهم[2] ـ وقد نسبت إلى تميم فيمن نسبت إليهم .

تعريفها :

وعلينا أن نقف هنا ـ بعد هذا التقرير ـ وقفة عند تعريفها لنقدم لها التعريف الدقيق .

إننا إذا رجعنا إلى تعريفات القدماء للإمالة نجدها لا تكاد تخرج عن واحد من أربعة :

١ ـ أن تنحو بالألف نحو الياء[3] .

٢ ـ أن يُنْحى بالفتحة نحو الكسرة[4]

٣ ـ وجمع بعضهم بين الألف والفتحة ، فقال : أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء[5]

---

(١) سر صناعة الإعراب ٥٩/١

(٢) المرجع السابق ٥٨/١

(٣) المقتضب ٤٢/٣

(٤) الشافية (انظر : شرح الشافية)٤٣/٣

(٥) أسرار العربية ١٦٠ ، وتسهيل الفوائد ٣٢٥ ، والنشر ٢٩/٢

٤ – ووضح بعضهم الجمع بين الألف والفتحة بأنه حين يكون بالألف نحو الياء يلزم أن ينحى بالفتحة قبلها نحو الكسرة[1] .

وإذا كان العلماء فى تناولهم للإمالة ذكروا لها أنواعا ثلاثة :

(أ) إمالة الألف كما فى عابد ومساجد وعالم[2]

(ب) إمالة الفتحة السابقة للراء المكسورة مثل : من الكبر[3]

(ج) إمالة الفتحة السابقة لتاء التأنيث عند الوقف كما فى ضربت ضربة[4]

فإن معنى وجود هذه الأنواع الثلاثة ، وإن الأول منها خاص بالألف والاخرين خاصان بالفتحة ، أننا نرتضى التعريف الثالث على ظاهره دون توضيح ، وهو : أن ينحى بالألف نحو الياء وبالفتحة نحو الكسرة .

الفرق بين امالة الفتحة وامالة الألف :

ذكرنا عند الحديث عن الحركات الطويلة أنه لا فرق بين الفتحة وألف المد ، ولا بين الكسرة وياء المد ، وأن الفرق بينهما هو فى كمية الزمن الذى يستغرقه نطق كل منهما ، إذ إن مخرج الفتحة هو عينه مخرج الألف وكذلك مخرج الكسرة هو مخرج الياء ، ووضع اللسان مع الفتحة والألف واحد ، وكذلك مع الكسرة وياء المد ، واللسان مع الفتحة والألف اللينة – أو بعبارة أخرى الفتحة الطويلة – يكاد يكون مستويًا مع الفم مع ارتفاع خفيف فى وسطه[5] . أما الكسرة وياء المد – أو الكسرة الطويلة – فهما يقابلان ما يشبه المقياس (i) عند « جونز »[6] أى يرتفع أول اللسان نحو الحنك الأعلى إلى أقصى درجة ممكنة بحيث لا يخرج عن كونه حركة وتكون الشفتان منفرجتين[7] .

---

(١) إرتشاف الضرب ٤٩/أ ، وهمع الهوامع ٢/٢٠٠ (٢) الكتاب ٤/١١٧

(٣) المرجع السابق ٤/١٤٢ (٤) المرجع السابق ٤/١٤٠

(٥) الأصوات للدكتور بشر ١٩٧ (٦) الأصوات اللغوية ٣١

(٧) Daniel Jones: An outline of English phoenetics p. 31.

وإذا ما ازداد اللسان فى ارتفاعه انحبس النفس ونشأ صوت ساكن احتكاكى هو : j الياء

Jones, An out line p. 31

وانظر : الأصوات اللغوية ٣١

وإذا أخذ اللسان وضعا بين الموضعين السابقين فتنتج الإمالة. أى أن اللسان يكون مستويًا مع قاع الفم عند نطق الفتحة قصيرة كانت أو طويلة، فإذا ما بدأ فى الصعود حدثت الإمالة بدرجاتها مبتدئة بأصغرها وعندما يزداد صعوده تحدث الكسرة طويلة كانت أو قصيرة. فلا فرق إذن بين إمالة الفتحة والألف.

لكننا وجدنا اهتمام العلماء انْصبَّ على إمالة الألف، فقد أطال العلماء من نحويين وقراء الحديث عنها، فنسبوها إلى الناطقين بها ومنهم بنو تميم. وذكروا الشروط الواجب توفرها فيها كى تمال، وذلك بخلاف النوعين الآخرين وهما: الفتحة السابقة للهاء فى حالة الوقف، والفتحة السابقة للراء المكسورة. ولم ينسبا إلى قوم معينين أو بالأحرى لم تذكر نسبتهما إلى تميم صراحة. ولا أدرى هل يدخلان تحت القول العام للنحويين الذى ينسب لتميم الإمالة، أو أن هذا القول خاص بالألف لاقتران ذلك الكلام بها وبشرح أسبابها؟.

لذا نجد أنفسنا غير ملزمين بالحديث عنهما، ولنقتصر فى حديثنا عن الألف الممالة.

تميم والامالة:

المتتبع لأقوال العلماء فى الإمالة يتبين أنها كانت قد عمت الجزيرة، ولكن بتفاوت، فمنهم من أكثر كتميم ومجاوريهم، ومنهم من كان مقلاً كأهل الحجاز. قال أبو حيان: «وأصحاب الإمالة تميم وقيس وأسد وعامة أهل نجد، وأصحاب الفتح الحجازيون إلّا فى مواضع قليلة»[١]. كما عزيت أيضًا إلى هوازن وبكر بن وائل وسعد بن بكر[٢]. وعزى ذلك إلى أهل اليمن أنهم كانوا يميلون فى أكثر الكلام[٣].

لكننا نجد إلى جانب ذلك ابن الأنبارى ينسب إلى الحجازيين الإمالة، فيقول: «وهى [الإمالة] تختص بلغة أهل الحجاز ومن جاورهم من بنى تميم وغيرهم»[٤]. إلّا أن قول ابن الأنبارى هذا يخالف ما أجمع عليه العلماء من قلّته لدى الحجازيين، ويخالف ما رواه

---

(١) ارتشاف الضرب ٤٩/أ، وانظر: همع الهوامع ٢/٢٠٠، وشرح الأشمونى ٤/٢٢١، وإبراز المعانى ١٥٢ ولم يشر إلى أن الحجازيين يميلون فى مواضع قليلة.

(٢) منجد المقرئين ٢٣٣ (وسعد بن بكر بن هوازن، وهم الذين استرضع فيهم الرسول –صلى الله عليه وسلم– جمهرة أنساب العرب ٢٦٥).

(٣) همع الهوامع ٢/٢٠٤

(٤) أسرار العربية ١٦٠

صفوان بن عَسَّال[١] ، من أنه سمع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقرأ : (يَا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّة)[٢] ، فقيل : يا رسول الله تميل وليس هى لغة قريش ، قال : « هى لغة الأخوال ، يعنى بنى سعد »[٣] .

والذى يعنينا هنا هو أن بنى تميم كانوا يميلون . ونلاحظ أن العلماء فى تحديدهم لأسباب الإمالة خلطوا فى دراستها بين أحوالها عند مختلف العرب[٤] ، فلذا قد يكون من هذه الأسباب ما لا يتفق والنهج التميمى ، وقد لاحظ ذلك سيبويه وسجل لنا ملاحظته هذه ، فقال : « واعلم أنه ليس كلٌّ من أمال الألفات وافق غيره من العرب ممن يُميل ، ولكنه قد يخالف كلٌّ واحد من الفريقين صاحبَه ويميل بعضٌ ما ينصبُ صاحبُه . وكذلك من كان النصب من لغته لا يوافق غيره ممن ينصب ، ولكن أمره وأمر صاحبه كأمر الأولين فى الكسر ، فإذا رأيت عربيًّا كذلك فلا ترينه خَلَّط فى لغته ، ولكن هذا من أمرهم[٥] » . ورغم تسجيل سيبويه هذه الملاحظة إلَّا أنه لم يتداركها ، فلم ينسب كل نوع منها إلى ناطقيها ، فهو وإن كان – فيما نعلم – أكثر من عزا بعض أنواعها إلى ناطقيها من العرب ولكنه كثيرًا ما يكتفى بنسبتها إلى بعض العرب دون تحديدهم . فمن ذلك قوله : « وقال ناس »[٦] و « وقد قال قوم فأمالوا أشياء ليست فيها علة مما ذكرنا فيما مضى ، وذلك قليل »[٧] و « وقال ناس يوثق بعربيتهم »[٨] وقوله : « واعلم أن بعض من يقول : عابد من العرب فيميل ، يقول : مررت بمالك فينصب »[٩] .

وعدم نسبة كل خاصية إلى أصحابها ليس راجعًا إلى عدم معرفة سيبويه بأصحابها لأن حديثه عن الإمالة وحالاتها يدل دلالة قاطعة على معرفته بهم ، وقد نص على ذلك صراحة فقال : « سمعنا جميع ما ذكرنا لك من الإمالة والنصب فى هذه الأبواب من العرب »[١٠] . لكن إغفاله النسبة يرجع إلى النهج الذى سار عليه هو وغيره من اعتبارهم العربية كلًّا لا يتجزأ .

---

(١) من بنى مراد وانظر ترجمته فى : أسد الغابة ٢٧/٣

(٢) مريم ١٢/١٩

(٣) لطائف الإشارات ٨١/١ (عن الكامل للهذلى)

(٤) انظر على سبيل المثال : أسرار العربية لابن الأنبارى ١٦٠ – ١٦٣

(٥) الكتاب ١٢٥/٤

(٦) الكتاب ١٢٣/٤

(٧) الكتاب ١٢٧/٤

(٨) الكتاب ١٢٨/٤

(٩) الكتاب ١٣٤/٤

(١٠) الكتاب ١٤٣/٤

وسنحاول هنا تحديد بعض أسباب الإمالة أو بمعنى آخر حالاتها ونسبة كل حالة إلى تميم إن كانت خاصة بها مستعينين بسيبويه — بصفة خاصة — لأنه وإن كان فى معظم الأحيان يذكر بعض العرب دون تحديدهم ، كما سبق أن ذكرنا ، إلّا أنه كان أكثر من غيره عناية بنسبة الخصائص إلى أصحابها . وهذه الأسباب هى :

١ — الكسرة المتأخرة عن الألف ، مثل : عالِم وعابِد [١] ، وكذلك إذا كانت الكسرة عارضة ، مثل : مررت ببابِه ، وأخذت من مالِه ، أى فى حالة الجر ، ويصف سيبويه هذه الحالة الأخيرة بأنها أضعف من سابقتها [٢] .

ويفهم من كلام سيبويه أن هذا الصنف الممال من الكلمات لا يميله أهل الحجاز . فبعد أن ذكر هذا السبب والسبب التالى الخاص بالألف المسبوقة بكسرة قال : « وجميع هذا لا يميله أهل الحجاز » [٣] .

٢ — الكسرة المتقدمة على الألف ، وذلك إذا كانت فى :

(ا) حرف بينه وبين الألف حرف متحرك ، مثل : عِماد ، وكِلاب ، واسوِداد .

(ب) حرف بينه وبين الألف حرفان الأول منهما ساكن — لأنه ليس بحاجز — مثل : سِرْبال وشِمْلال [٤] .

(ج) حرف بينه وبين الألف هاء وحرف آخر ؛ لأنها خفية ، مثل : يريد أن يضربها والناطق بمثل هذا المثال كأنه يقول : يريد أن يضربا [٥] .

ويذكر سيبويه أن هذا الصنف المسبوق بالكسر لا يميله أهل الحجاز ، ويذكر فى موضع ثان أن الذين يميلونه ناس كثير من العرب ، ويقول فى موضع ثالث : إن المميلين هم بنو تميم وقوم من قيس وأسد ممن ترتضى عربيته [٦] .

---

(١) المرجع السابق ٤/١١٧
(٢) المرجع السابق ٤/١٢٢
(٣) المرجع السابق ٤/١١٨
(٤) المرجع السابق ٤/١١٧ ، ١١٨
(٥) المرجع السابق ٤/١٢٣ ، ١٢٤
(٦) قارن بين ما ورد فى الكتاب ٤/١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥

٣ ـ إذا كانت الألف لامًا وكان أصلها واوًا أو ياء وكانت العين مفتوحة . وهذه الألف إذا كانت :

(ا) يائية الأصل تمال ؛ لأن أصلها ياء[١] ، مثل : الهدى[٢] ، واستوى[٣] . وقد عزيت الإمالة فى الأولى إلى تميم وفى الثانية إلى نجد[٤] .

(ب) واوية الأصل تمال ؛ لأن الغالب فى هذه الألف أن تكون ياء . وهذا يتضح فى الزائد عن ثلاثة ، إذ يقلب كله ياء . وهذا النوع قسمان :

الأول ـ ثلاثى ، وهو إمّا :

١ ـ اسم مثل المَكا والعَشا . وقد يتركون الإمالة فى كلمات محفوظة ، مثل : قَفَا ، وعصَا ، والقطَا[٥] .

٢ ـ وإمّا فعل مثل غزا ، وهذا يمال ؛ لأنه لايثبت على حال فيقال مثلًا : غُزى عند البناء للمجهول فتدخله الياء[٦] .

الثانى ـ الاسم الزائد عن ثلاثة أحرف[٧] ، وذلك مثل مِغْزى .

وعلق سيبويه على هذا النوع الثالث بجميع فروعه (وهو إذا كانت الألف لاما وكان أصلها واوًا أو ياء وكانت العين مفتوحة) بقوله : « وجميع هذا لا يميله ناس كثير من بنى تميم وغيرهم »[٨] .

---

(١) الكتاب ١١٨/٤

(٢) البحر ٥٩/١

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٧/ب

(٤) المرجعان السابقان

(٥) الكتاب ١١٩/٤ وعبارة سيبويه : «وقد يتركون الإمالة فيما كان على ثلاثة أحرف من بنات الواو نحو قفا وعصا والقنا والقطا وأشباههن من الأسماء ، وذلك أنهم أرادوا أن يبينوا أنها مكان الواو ويفصلوا بينها وبين بنات الياء ، وهذا قليل يحفظ ، وقد قالوا الكبا والعشا والمكا [ممالة] وهو جحر الضب ، كما فعلوا ذلك فى الفعل». وقد عكس المبرد فجعل الأصل عدم الامالة ، جاء فى المقتضب ٤٤/٣ « فأما الأسماء فلا يجوز فيها الإمالة إذا كانت على ثلاثة أحرف ، لأنها تنتقل انتقال الأفعال ، لأن الأفعال تكون على فعل وأفعل ونحوه ، والأسماء لا تتصرف وذلك قولك قفاً وعصاً لا يكون فيهما ولا فى بابهما إمالة ، لأنهما من الواو . ولكن رحى وحصى ونوى هذا كله تصلح إمالته » .

(٦) الكتاب ١١٩/٤

(٧) المرجع السابق ١٢٠/٤

(٨) الكتاب ١٢٠/٤

ويرى الدكتور عبد الفتاح شلبي أن قول سيبويه هذا خاص بالحالة الأخيرة وهى الاسم الثلاثى الذى تجاوز ثلاثة أحرف وكان من بنات الواو [١]، لكن سياق الكلام لا يحتمل ذلك ، فسيبويه بعد أن عرض للحالتين الأوليين للإمالة ذكر أن الحجازيين لا يميلون — وقد أشرنا إلى ذلك من قبل — ثم عرض لهذه الحالة بفروعها ، وعقب بقوله : « وجميع هذا . . . » مما يدل على أنه يعنى كل ما ذكره بعد نصه على عدم إمالة الحجازيين .

ويرى الدكتور علم الدين الجندى رأى الدكتور شلبى [٢] ناسبا كلام سيبويه إلى السيرافى شارح الكتاب لا إلى سيبويه . لكننا إذا ما رجعنا إلى كتاب شرح السيرافى نجد هذا الكلام مكتوبًا بمداد أحمر كعادة الناسخ فى كل كلام سيبويه [٣] .

٤ — كل اسم كانت آخره ألف زائدة للتأنيث أو لغيره ، مثل : حُبْلى ومِعْزى . ونص سيبويه على أن ناسًا كثيرين لا يميلون هذه الألف [٤] وإن لم يحددهم .

٥ — كل ألف تقع عينًا للكلمة ، وكان أصلها واوًا أو ياء ، إذا كان أول فعَلْت منهما مكسورًا ، مثل : خاف ، وطاب ، وفى ذلك يقول سيبويه : « ومما يميلون ألفه كل شىء كان من بنات الياء والواو مما هما فيه عين إذا كان أول فَعَلْتُ مكسورًا ، نحوْا نحْوَ الكسر ، كما نحوا نحو الياء فيما كانت ألفه فى موضع الياء وهى لغة لبعض أهل الحجاز . فأما العامة فلا يميلون . ولا يميلون ما كانت الواو فيه عينًا إلا ما كان منكسر الأول ، وذلك : خاف وطابَ وهابَ » [٥] . وإذا كان سيبويه لم يحدد موقف التميميين صراحة من الإمالة فى هذا الصنف من الكلمات واكتفى بأن نص على أن بعض الحجازيين يميلون اليائى فقط ، فإننا نجد الفرَّاء يوضح أن الإمالة عند التميميين ومن جاورهم فيما كان مكسور الفاء عند إسناده لضمير الرفع سواء أكان يائيًّا مثل طِبت ، أم واويًّا مثل خِفت ، أما الواوى الذى لا تكسر فاؤه عند الإسناد فلا يمال وذلك مثل قال ، جاء فى شرح المفصل : « أهل الحجاز يفتحون ما كان مثل شاء وخاف وجاء وكاد ، وما كان من ذوات الياء والواو ، قال : وعامة أهل نجد من

---

(١) الإمالة فى القراءات القرآنية واللهجات العربية ٨٥ ، ٨٦

(٢) اللهجات العربية ٢٠٩

(٣) انظر : شرح السيرافى ٥/٣٣٣

(٤) الكتاب ٤/١٢٠

(٥) المرجع السابق ٤/١٢٠ ، ١٢١

تميم وأسد وقيس يسرون إلى الكسر من ذوات الياء فى هذه الأشياء ، ويفتحون فى ذوات الواو مثل : قال وجال »[1] .

ونلاحظ هنا أن الفراء ينفى الإمالة فى هذه الأنواع من الأفعال عن الحجازيين خلافًا لسيبويه الذى جعلها خاصة باليائى منها .

ونجد رأيًا ثالثًا يذكره كل من أبى حيان والأشمونى ، وهو أن الحجازيين فريقان :

(ا) فريق أمال اليائى فقط ، مثل طاب .

(ب) وآخر أمال اليائى والواوى كما كان يفعل التميميون[2] .

وقد عرض أبو حيان لعشرة أفعال من هذا الصنف أمالها حمزة عين تسعة منها أصلها ياء وهى : جاء ، وشاء ، وضاق ، وران ، وزاد ، وخاب ، وطاب ، وحاق ، وزاغ . والفعل العاشر عينه واو وهو « خاف » ناسبًا الإمالة لتميم والتفخيم للحجاز[3] .

٦ ـ الألف المسبوقة بياء ، مثل : كيَّال ، وبيَّاع ، وشيْبان . وأهل الحجاز وكثير من العرب لا يميلونها[4] .

ويبدو أن بنى تميم كانوا يميلون هذا النوع من الكلمات ، بدليل أن سيبويه لم ينفها عنهم . وتعليلها بأن « قبلها ياء فصارت بمنزلة الكسرة التى تكون قبلها نحو سِراج وجمال »[5] يدل على أنها عند بنى تميم إذ إن هذا المسبوق بالكسرة لاحظنا أن تميمًا تميله والحجاز لا تميله .

٧ ـ الإمالة للإمالة مثل « عمادًا » ، فالألف الثانية تمال لإمالة الأولى ، قال سيبويه : « وقال ناس : رأيت عمادا فأمالوا للإمالة »[6] .

---

(١) شرح المفصل ٩/٥٤

(٢) ارتشاف الضرب ٥٠/ا وشرح الأشمونى ٤/٢٢٤

(٣) البحر ١/٥٩ وقد فصل صاحب النشر هذا السبب فجعله سببين :
الأول ـ الإمالة لأجل الكسرة المقدرة فى المحل الممال ، مثل «خاف» لأن أصلها خوف [بفتح الخاء وكسر الواو].
الثانى ـ الإمالة لأجل كسرة تعرض فى بعض أحوال الكلمة مثل طاب ، لأنه إذا اتصل بها ضمير رفع كسرت الفاء فقيل طبت [بكسر الطاء](النشر ٢/٣٣) .

(٤) الكتاب ٤/١٢١ ، ١٢٢

(٥) الكتاب ٤/١٢١

(٦) المرجع السابق ٤/١٢٣

٨ـ الإمالة للشبه بالألف الزائدة كالألف فى طلبنا . وهذا قليل[1] .

٩ ـ الإمالة الشاذة وذلك لكثرة ترددها على ألسنة المميلين ، نحو : الحجاج[2] . ومن هذا الشاذ أيضًا مال وباب . والمميلون هنا بعضهم أمال فى الجر وهم الكثير ، والقليل منهم أمال أيضًا فى الرفع والنصب إلى جانب الجر ، فيقال : هذا باب وهذا مال[3] .

١٠ ـ الإمالة للفرق بين الاسم والحرف ؛ وذلك لأن الإمالة خاصة بالأسماء والأفعال . لكن إذا سمى بالحرف أُميل ، جاء فى الكتاب « ومما لا يميلون ألفه حتى وأمّا وإلّا . فرقوا بينها وبين ألفات الأسماء ، نحو : حُبْلَى وعَطْشَى . وقال الخليل : لو سمَّيت رجلًا بها وامرأة جازت فيها الإمالة »[4] . وإن كان ابن مقسم حكى الإمالة فى حتى عن بعض أهل نجد واليمن وأمالها حمزة والكسائى إمالة خفيفة[5] .

هذه عشرة أسباب استنبطناها من كلام سيبويه ، وقد ذكرنا من قبل أن السبب الخامس منها فصله صاحب النشر وتناوله على أنه سببان . وبقى من الأسباب التى ذكرها أيضًا صاحب النشر ـ وهو الذى تناولها بالتفصيل أكثر من غيره ـ سبب واحد وهو الياء بعد الألف وضرب له مثلًا بكلمة « مبايع »[6] وهذه الياء مكسورة فإذن لم يذكرها سيبويه لأنها تندرج تحت الكسرة المتأخرة بعد الألف . أما الياء المفتوحة والمضمومة فقد أشار إليهما صاحب « شرح الشافية » وقال : إنهما لا يؤثران[7] . فسيبويه إذن يتفق مع صاحب النشر فى جملة الأسباب .

ونلاحظ أن الأسباب الثلاثة الأخيرة غير مطردة ولا تأتى إلّا فى كلمات معينة .

موانع الامالة :

اولا : الأصوات المستعلية :

تمتنع الإمالة إذا وجد بالكلمة أحد أصوات الاستعلاء السبعة ، وهى : الصاد والضاد والطاء والظاء والقاف والغين والخاء . ولكن هذا المنع مقيد بقيود ، هى :

١ ـ إذا سبق واحد منها الألف (الفتحة الطويلة) مباشرة ، مثل : قاعد ، أو كان بينهما حرف على ألّا يكون المستعلى مكسورًا أو ساكنًا يلى كسرة .

---

(١) المرجع السابق ٤/١٢٧
(٢) المرجع السابق ٤/١٢٧
(٣) المرجع السابق ٤/١٢٨
(٤) المرجع السابق ٤/١٣٥ ، وانظر ما بعد النص
(٥) ارتشاف الضرب ٥٠/ب
(٦) النشر ٢/٣٢
(٧) شرح الشافية ٣/١٠

فإذا كان المستعلى مكسورًا أو يقع بينه وبين الألف حرف غير ساكن أميلت الألف مثل قِباب ومِصباح .

٢ – إذا تلا الألف مباشرة مثل عاصِم ، أو كان بينها وبين الألف حرف مثل نافِخ أو حرفين مثل مواعِيظ[1] .

٣ – يشترط لعدم الإمالة أن يكون سببها الكسرة الظاهرة ، أى أن ذلك خاص بالسببين الأول والثانى[2] . بخلاف ما يمال بسبب الكسرة المقدرة أو الياء المقدرة مثل خاف وغزا وسقى فتمال حينئذ[3] .

ونستطيع أن نجزم أن هذه الموانع سرت على اللغة التميمية ، وإن لم ينص عليها سيبويه صراحة . ولكنه قال عن الألف المسبوقة بأحد هذه الأصوات المستعلية : « ولا نعلم أحدًا يميل هذه الألف إلا من لا يؤخذ بلغته »[4] ، وكذلك قوله عن الألف التى يليها أحد هذه الأصوات : « واعلم أن هذه الألفات لا يميلها أحد إلا من لا يؤخذ بلغته »[5] . ولما كانت اللغة التميمية مميلة ولغتها من اللغات التى اعتد بها اللغويون ، فهى إذن لم تكن تميل مع هذه الأصوات .

ثانيا : الراء :

والراء ما لم تكن مكسورة شأنها شأن الأصوات المستعلية فهى تحول دون الإمالة إن وجدت قبل الألف أو بعدها[6] .

اجتماع الراء والصوت المستعلى :

وإذا اجتمع صوت مستعل[7] وراء مكسورة بعد ألف فى كلمة غلبت الراءُ إن كان المستعلى سابقًا فتمال الألف حينئذ ، وذلك مثل : غارِم وطارِد .

---

(١) الكتاب ٤/١٢٨ – ١٣١

(٢) لم ينص على ذلك سيبويه صراحة ، وإنما يفهم من الأمثلة التى ضربها فى حالتى الإمالة وعدمها مع هذه الحروف ومن النحاة من نص على ذلك صراحة (انظر : شرح ابن عقيل ٢/٥٢٤) .

(٣) الكتاب ٤/١٣١ ، ١٣٢

(٤) الكتاب ٤/١٢٩

(٥) المرجع السابق

(٦) المرجع السابق ٤/١٣٦

(٧) وكذلك الراء المفتوحة (أسرار العربية ١٦٢)

وأما إذا كان المستعلى تاليًا الألف فهو الذى يغلب فتقول دون أن تميل : هذه ناقة فارق ، وأينق مفاريق [١] . وهناك مواقف أخرى متعددة للعرب من الراء وإمالتها مع الألف أو فتحها معها [٢] .

التعليل الصوتى :

(أ) عند القدماء :

علل كثير من العلماء القدماء – بدءًا من سيبويه – عدم الإمالة مع أصوات الاستعلاء ، يقول ابن الأنبارى : « لأن هذه الحروف تستعلى وتتصل بالحنك الأعلى فتجذب الألف إلى الفتح وتمنعه من التسفل بالإمالة » [٣] .

ويفهم من كلام ابن الأنبارى هذا أن عدم الإمالة هنا نوع من التماثل وعبارة سيبويه أقرب فى نصها على ذلك ، وهى « فلما كانت الحروف مستعلية وكانت الألفُ تَستعلى وقربت من الألف كان العمل من وجه واحد أخف عليهم » [٤] .

وإذا وقع المستعلى مكسورًا بعد الألف منع الإمالة : « لأنه يؤدى إلى التصعيد بعد الانحدار ؛ لأن الإمالة تقتضى الانحدار وهذه الحروف تقتضى التصعيد ، وذلك صعب ثقيل » [٥] .

أما إذا وقع مكسورًا قبل الألف فلا يمنع الإمالة ؛ لأنك « أضعفت استعلاءه ثم إذا أملت انحدرت بعد تصعد . والانحدار بعد التصعد سهل خفيف » [٦] .

اجتماع الراء وصوت الاستعلاء :

وعللوا غلبة الراء المكسورة صوتَ الاستعلاء أو الراء المفتوحة بأن « الكسرة فيها بمنزلة كسرتين فغلبت بتسفلها تصعد المستعلى ، وكما غلبت الراء المكسورة الحرف المستعلى فكذلك الراء المفتوحة المشبهة به » [٧] .

---

(١) الكتاب ٤/١٣٧
(٢) المرجع السابق ٤/١٣٧ – ١٤١
(٣) اسرار العربية ١٦١
(٤) الكتاب ٤/١٢٩
(٥) اسرار العربية ١٦١
(٦) المرجع السابق ١٦١ ، ١٦٢
(٧) المرجع السابق ١٦٢

وإن تعليل القدماء ليشوبه شيء من الغموض – بالنسبة لى – فإذا كان حديثهم عن الأصوات المستعلية أنها تتصل بالحنك الأعلى ، فهو مقبول . لكن إقرانهم الألف (الفتحة الطويلة) بها وقولهم عنها إنها تتجه إلى أعلى ، فهذا غير مقبول . ويرجع ذلك إلى أنهم عدوا مخرجها من أقصى الحلق (١) .

ثم ما المراد بالتسفل ؟ وهل المقصود به اتجاه اللسان نحو أسفل الحنك ؟ إن هذا هو المفهوم من كلامهم لكن لم قرنوا به الكسرة (القصيرة والطويلة) والإمالة مع أن اللسان معهمالا يتجه إلى أسفل كما سنرى ؟ .

أو هل يراد به النطق من وسط الحنك وهو مخرج الياء وليس مؤخر الحنك والحلق باعتبار أن الألف كما كانوا يرون تنطق كما تنطق الهمزة من الحلق (الحنجرة) . إن كان هذا ما يعنونه فإن العلماء حديثًا أثبتوا أن مخرج الألف (الفتحة الطويلة) من وسط الحنك بعد الياء .

(ب) عند المحدثين :

إننا لو تركنا القدامى جانبًا واتجهنا إلى المحدثين ، لا نجد لأحدهم – فيما أعلم – تعليلا لعدم الإمالة مع الأصوات المفخمة .

وعلى ذلك فلنحاول تقديم تفسير لما حاول القدماء تعليله ولم تطمئن إليه النفس . ولنبدأ أولًا بتقديم الحقائق التالية :

١ – إن الأصوات المفخمة (وهى المستعلية والراء المفخمة) (٢) يرتفع مؤخر اللسان عند النطق بها إلى أعلى مع تحريكه إلى الوراء قليلا (٢) . وإذا كان صوت الراء كما وصفه القدماء – مكررًا (٣) وأيدهم فيه المحدثون يقول الدكتور أنيس موضحًا معنى التكرار : « الراء صوت مكرر لأن التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلى الثنايا العليا يتكرر فى النطق بها ، كأنما يطرق طرف اللسان حافة الحنك طرقًا لينًا يسيرا مرتين أو ثلاثًا » (٤) .

وتعد الراء من الأصوات المفخمة – مثلها مثل الأصوات المستعلية – إذا لم يسبقها كسر (٥) .

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٣

(٢) راجع : دراسة الصوت اللغوى ٢٧٨ ، ٢٧٩

(٣) الكتاب ٤/٤٣٥

(٤) الأصوات اللغوية ٦٦

(٥) كما ذكرنا ذلك من قبل اعتمادا على كلام سيبويه ، لكن الدكتور أنيس يرى أنها لا تعد مفخمة إلا إذا كانت مفتوحة ولم يسبقها كسر ، أو ساكنة وسبقها فتح (انظر : الأصوات اللغوية ٦٥) .

٢ ـ وإذا ما رجعنا إلى ما ذكرناه عند الحديث عند « الفرق بين إمالة الفتح وألف المد » وجدنا :

(ا) أن اللسان مع الفتحة القصيرة والطويلة يكاد يكون مستويا مع الفم وهو ما يشبه الرمز α في مقاييس جونز Jones

(ب) وأنه مع الكسرة القصيرة والطويلة الطويلة يرتفع مقدمه نحو الحنك الأعلى إلى أقصى ما يمكن بحيث لا يخرجه عن كونه حركة وهو شبيه بالرمز (i) عند جونز[1] .

(ج) وأنه مع الإمالة يكون إذن بين الموضعين السابقين أى بين α و i بمقاييس جونز.

٣ ـ ونضيف إلى ذلك :

(ا) أن اللسان مع الضمة القصيرة والطويلة يتجه جزؤه الخلفي نحو الحنك ، فهو أشبه بالحركة المعيارية u عند جونز . وإن كان مع العربية أقل ارتفاعًا[2] .

(ب) أن كل صوت ـ ومنها الأصوات المفخمة ـ تتأثر بالحركة المشكلة بها أو بما يسبقها من حركات ، فإذا كانت متحركة عدت ذات صوتين : الصوت الساكن نفسه ، والحركة المشكلة به .

إننا إذا ما وضعنا هذه الحقائق أمام أعيننا وأردنا أن نفسر عدم الإمالة مع الأصوات المستعلية وكذلك الراء المفخمة ، أمكننا أن نقول :

١ ـ تمتنع الألف عن الإمالة إذا سبقت بصوت مستعل ما لم يكن مكسورًا أو مسبوقًا بصوت مكسور ـ وفى هذه الحالة لابد أن يلى الألف صوت مكسور ـ وذلك ، مثل : صَالِح ، وسبب الامتناع أن اللسان مع المستعلى يكون مؤخره صاعدًا نحو الحنك ، ومع الألف يكاد يكون مستويًا مع الفم ، ومع الكسرة التى تليه يكون مقدمه صاعدًا ، أى أنه يوجد لدينا (صعود من الخلف + استواء + صعود من الأمام) فيحتفظ اللسان بتوازنه فلا تحدث إمالة .

---

(١) انظر : Jones, An outline p. 31.,32 والأصوات للدكتور بشر ١٩٦ ، ١٩٧

(٢) الأصوات للدكتور بشر ١٩٧

٢ ــ لكن إذا كان صوت الاستعلاء مكسورًا مثل قِباب . أو كان ساكنًا وسبق بكسرة مثل مِصْباح ، وليس من الضرورى فى هاتين الحالتين أن يلى الألف صوت مكسور :

فنى الحالة الأُولى (قِباب) يكون لدينا : استعلاء = صعود من الخلف + كسر = صعود من الأَمام + أَلف = استواء .

وفى الحالة الثانية (مِصْباح) يكون أَمامنا : كسر= صعود من الأَمام + استعلاء = صعود من الخلف + أَلف = استواء .

يتوالى فى هاتين الحالتين هنا صعودان دون أن يفصل بينهما استواء كما فى الحالة السابقة ، فيتغلب صعود الكسرة وهو الأَمامى ، فتحدث الإِمالة .

٣ ــ أَما إذا تلا الأَلف صوت مستعلٍ مباشرة أَو فصل بينهما حرف أَو حرفان وفى هذه الحالة يكسر ما بعد الأَلف .

فإِذا جاءَ المستعلى بعد الأَلف مباشرة مثل « عاصِم » فيكون لدينا : الأَلف = استواء + صوت استعلاء = صعود خلفى + كسر= صعود من الأَمام . وإذا ورد بين الأَلف والمستعلى فاصل مثل « نافِخ » ، ويكون الوضع شبيهًا بالسابق ، أَلف = استواء + كسر = صعود من الأَمام + استعلاء = صعود من الخلف .

فلدينا إذن استواء يليه صعودان أَمامى وخلفى فيحدث توازن فيبقى استواء اللسان كما هو ولا تنتج إمالة .

٤ ــ وعند اجتماع الصوت المستعلى والراء المكسورة بعد الأَلف :

(ا) فإِمَّا أَن يكون المستعلى قبل الأَلف مثل طارِد ، وعندئذ يكون لدينا :

المستعلى = صعود خلفى + الأَلف = استواء + الراء المكسورة = صعودان أَماميان فيؤثر الصعودان الأَماميان فتحدث إمالة .

(ب) وإن كان المستعلى بعد الأَلف مثل « فارِق » فيكون معنا :

الأَلف = استواء + الراء المكسورة = صعودان أَماميان + المستعلى = صعود خلفى .

فكنا ننتظر أَن يؤثر الصعودان الأَماميان فتحدث إمالة ، لكن حدث العكس وذلك بسبب تقدم الاستواء فيما يبدو .

أيهما أقدم : الامالة أو الفتح ؟

(أ) رأى القدماء :

وجدنا ابن الأنبارى فى « أسرار العربية »[١] ، وابن يعيش فى « شرح المفصل »[٢] ، والسيوطى فى « الإتقان »[٣] ، والأشمونى فى شرح ألفية ابن مالك[٤] ، يذكرون أن الفتح هو الأصل والإمالة هى الفرع . أى المحدثة بدليل أنها تحتاج إلى أسباب للنطق بها ، بخلاف الفتح فإنه لايحتاج إلى ذلك .

ونجد إلى جانب هذا رأيًا آخر يقول : إن كلاً من الإمالة والفتح أصل ؛ وحجته أنه لاتوجد إمالة أو فتح إلّا بسبب[٥] .

(ب) رأى المحدثين :

ناقش الدكتور أنيس الأصالة والفرعية : فقسم الألفات الممالة نحو الياء صنفين[٦] :

الأول : ألفات أصلها ياء مثل باع ، ويفترض أن مثل هذا الفعل مر بمراحل ثلاثة ، ويوافقه عليها الدكتور رمضان عبد التواب — وذلك فى حديثه عن كل من الواوى واليائى — موضحًا إياها بالمقارنات السامية وبالركام اللغوى فى العربية مضيفًا إليها مرحلة رابعة سابقة لها[٧] . وهذه المراحل ممثلة بالفعل « باع » وتطوره ، هى :

الأولى — بَيَعَ : وقد نطق على نمط الفعل الصحيح تمامًا . وهذه المرحلة بقيت فى اللغة الحبشية فى بعض الأفعال الجوفاء وفى كل الأفعال الناقصة أو من نوع اللفيف المفروق . وقد بقيت فى العربية أمثلة لها مثل هَيِف[٨] التى تعزى إلى لغة الحجاز على نحو ما سنتناوله فى الباب التالى .

الثانية — بَيْع : فالألف كانت تنطق صوت لين مركب[٩] Diphthong هو « ai » ويسميها الدكتور رمضان عبد التواب « مرحلة التسكين »[١٠] .

---

(١) ص ١٦١

(٢) ١٥٤/٩

(٣) ٣١٥/١

(٤) ٢٢١/٤

(٥) النشر ٣١/٢

(٦) انظر : فى اللهجات العربية ٦٥-٦٨

(٧) انظر : أسباب الشذوذ فى اللغة ٢ — ٨

(٨) المرجع السابق ٣ (وهذه المرحلة لم يشر إليها الدكتور أنيس) .

(٩) فى اللهجات العربية ٦٥

(١٠) أسباب الشذوذ فى اللغة ٣

الثالثة – بيع بالإمالة أى بتطور ai إلى ē [1]، ويطلق الدكتور رمضان على هذه المرحلة « انكماش الأصوات المركبة » [2] (contraction of diphthong) وهى الشائعة فى الحبشية فى الأفعال الجوفاء [3].

الرابعة – باع : بتطوير صوت الإمالة ē إلى ā ، أى إلى فتح خالص واستشهد الدكتور أنيس على ذلك بتطور كلمة شَىْء إلى شِىء ثم إلى شاء فى بعض لهجات مصر [4]، وعلل الانتقال من الإمالة إلى الفتح بالاقتصاد فى الجهد العضوى [5].

الثانى : ألف ممالة ليس أصلها ياء كما فى كتاب . فهذه أصلها الفتح ، ثم تطورت إلى إمالة لوجود كسرة بالكلمة . وهذا نوع من الانسجام بين أصوات اللين . والتطور إلى الإمالة هنا يتفق ونظرية السهولة والاقتصاد فى الجهد العضوى [6].

تعقيب :

وكلام الدكتور أنيس على هذين النوعين – وكذلك عرض الدكتور رمضان عبد التواب لتطور النوع الأول – يعنى أن الذى تم وفق قاعدة التماثل هو النوع الثانى فقط . وهذا الرأى له وجاهته . ولعل مما يؤيد قولهما بأن الإمالة هى القدمى فيما أصله ياء . وأضم إليه الواوى الأصل الذى تنطق فاؤه مكسورة مثل خاف مما عرضناه عند إسناده لضمير الرفع المتحرك فى السببين الثالث والخامس :

١ – إن كلمةً مثل « باع » كانت تنطق ممالة « بِاع » وهى المرحلة التى تمثلها فى العربية اللغة التميمية وحافظت عليها كما حافظت عليها الحبشية فى كل الأفعال الجوف [7]. وإن الألف كانت تنطق ممالة « ē » مغلقة فى العبرية والآرامية والآشورية ، فكلمة نار العربية

---

(١) فى اللهجات العربية ٦٥

(٢) أسباب الشذوذ فى اللغة ٦

(٣) المرجع السابق .

(٤) شبيه بما لاحظه الدكتور أنيس ، قول سكان مدينة البدارى (أسيوط) علاه فى على إيه (والهمزة تنطق ممالة) ، وما سمعته من أحد العامة بالقاهرة « ساماهم على وجوههم » فى قوله تعالى (سيماهم على وجوههم) .

(٥) فى اللهجات العربية ٦٧

(٦) المرجع السابق .

(٧) فقه اللغات السامية (الفقرة ٢٢٢) .

أصلها فى السامية القديمة *ʔawī(ē)ru* تنطق فى العبرية *nēr* (نور) ، والكلمة السامية القديمة *kawī(ē)ru* صارت فى الاشورية *kēnu* وفى الآرامية *kēnā* « ثابت »[1] .

وإن بروكلمان ليعد هذه مرحلة تالية لمرحلة كانت تستعمل صوت اللين المركب ai (é) (diphthong)[2] . ولقد تركت هذه المرحلة بقايا ، كقول : طيئ – فى الوقف والوصل – أفعَى فى أفْعَىْ وحُبْلَى فى حُبْلَى[3] . على أن من المستشرقين من يرى أن السامية الأم كانت تستعمل الحركة الطويلة ē إلى جانب الحركات الثلاث ā و ī و ū [4] وهذا يعنى أن الإمالة لم تكن مسبوقة بمرحلة صوت اللين المركب ولا بالمرحلة السابقة لها .

ثم تطورت « باع » من الإمالة الفتح فى البيئة الحجازية .

٢ – ومما يعضد قدم الإمالة فى اليائية أن البيئة التميمية التى كان يعيش معظمها فى الصحراء منعزلًا – والتى من المعقول أن تحافظ على الصفات القديمة – حرصت على الإمالة فيما هو يائى الأصل ، فى حين إنها إذا كانت زائدة فى آخر الاسم – مثل حُبْلَى – فإن ناسًا كثيرين من تميم وغيرهم لا يميلونه ، وتعليل ذلك أنه لم يكن ممالًا فى الأصل عندهم وإنما أماله بعضهم عن طريق القياس الخاطىء .

٣ – ومن الأدلة أيضًا على قِدَم الإمالة فى الكلمات اليائية الأصل أو الواوية المكسورة فاء فعلت احتفاظها بالإمالة عند مجاورتها لأصوات الاستعلاء ، وذلك مثل : طاب ، وسقى ، وخاف ، ومعطى[5] .

٤ – ومما يرجح حداثة مرحلة الفتح على مرحلة الإمالة أننا نجد الإمالة كادت تتلاشى فى النصف الشرقى من الجزيرة العربية موطن المميلين قديماً كما سنذكر .

---

(١) المرجع السابق (الفقرة ٦٦) .
(٢) المرجع السابق نفسه .
(٣) الكتاب ٤/١٨١ كما نسب إلى فزارة وبعض قيس فى الوقف ، ونسب إلى بعض طيىء أيضا قولهم أفعو (المرجع السابق).
(٤) انظر ماكتبه رابين Rabin, Ancient - West-Arabian p. 110, 111.
(٥) راجع : الكتاب ٤/١٣٢

التفسير الصوتى :

الكلمات الممالة إذن صنفان :

١ ـ ما الإمالة فيه الأصل ثم تحولت عند الحجازيين إلى الفتح وذلك فيما كانت ألفه يائية الأصل مثل باع أو مكسورة الفاء عند إسناده لضمائر الرفع المتحركة مثل خاف وهم فى نطقهم هذا يبتغون السهولة ، إذ إن وضع اللسان مع الفتح ـ كما سبق أن ذكرنا ـ يكاد يكون مستويًا مع قاع الفم ، فى حين إنه مع الإمالة يكون ما بين الوضع السابق وارتفاع مقدمه نحو الحنك حيث تنطق الكسرة القصيرة أو الطويلة .

٢ ـ الإمالة بسبب وجود كسرة سابقة أو تالية للألف ، وهذه متطورة عن الفتح . واللسان فى نطقه إياها بدلا من تنقله فى وضعين : أحدهما وضعه مع الألف ، وهو استواؤه مع الفم ، والآخر : وضعه مع الياء ، وهو قرب مقدمه من الحنك : فإنه يأخذ وضعا وسطا بين الاثنين . وفى ذلك أيضا تسهيل فى النطق . وهذا النوع الأخير هو الذى يعد من التماثل عند تميم .

إمالة الألف عبر التاريخ :

من الطبيعى وقد عمت الإمالة مساحةً شاسعة من شبه الجزيرة العربية أن تنتشر بعد الفتوحات الإسلامية فى بلاد شاسعة وفق استقرار الناطقين بها فى تلك البلدان . وقد نطق بها بالفعل فى الهند وسوريا ولبنان ومالطة وافريقية العربية فى بلاد المغرب واسبانيا وجزيرة صقلية[١] . ويذكر ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ) أن جبل حراء كانت العامة [أى عامة بغداد] تغلط فيه فى ثلاثة مواضع : يفتحون الحاء ، ويقصرون ، ويميلون »[٢] كما ذكر أنهم كانوا يميلون « حتى » رغم أنها حرف[٣] .

---

(١) الإمالة فى اللهجات والقراءات القرآنية ٢٩٢ (نقلا عن : Grünet (max) Die Imala p. 8.

(٢) تقويم اللسان ١١٣

(٣) المرجع السابق ١١٧

ويروى لنا ابن مكى (ت ٥٠١ هـ) فى « تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » أن أهل صقلية كانوا ينطقون خُبِّيز وحُمِّيض ونيب[١] (خبّاز وحمّاض ونَاب) . وكان أهل صقلية يقولون كذلك : رحمين (رحمان) وسليم (سلام) وشديد (شداد) وعبد الكيفى (الكافى) وهليل (هلال) والحيرث (الحارث) فى مقابل : رحمان ، وشداد ، وعبد الكافى ، وهلال والحارث[٢] .

ويذكر ابن الخطيب : أن ألسنة أهل غرناطة فصيحة عربية ، وتغلب عليهم الإمالة[٣] فكانوا يقولون باب للباب ، ومال للمال[٤] وماد للمائدة[٥] .

فى العصر الحاضر :

ومازال الناطقون بالعربية موزعين بين مميلين وغير مميلين .

(أ) فى مصر :

كان الدكتور عبد الفتاح شلبى قد أجرى منذ نحو ثلاثين عاما استفتاء لبعض المصريين بشأن الإمالة تبين له فيه أن الإمالة تظهر فى مدينة بلبيس بمحافظة الشرقية وفى محافظتى المنوفية والبحيرة وأجزاء من الفيوم[٦] وهو يعزو انتشارها إلى نزول قيس فى هذه الجهات[٧] . ونسمع أهل بورسعيد يقولون امبارح فى امبارح . ويقرر الدكتور عبد العزيز مطر أن بدو ساحل مريوط ينطقون بها[٨] فهم يقولون مثلا : حساب ، ورمال ، وذاكر ، وشاكر[٩] فى حساب ورمال وذاكر وشاكر .

(ب) فى المغرب :

والإمالة منتشرة أيضا فى المغرب ، فيذكر بروكلمان أن أهل تونس يقولون بيب[١٠] (باب) ويلاحظها الدكتور عبد المنعم سيد عبد العال فى « تطوان وما حولها » فهم يقولون

(١) لحن العامة ١٥٥ عن (تثقيف اللسان) .
(٢) الإمالة ٢٩٣ (نقلا عن Die Imala p. 10)
(٣) الإحاطة ١/١٣٤
(٤) الجمانة فى إزالة الرطانة ٢١ (٥) المرجع السابق ٣٣
(٦) الإمالة ٣٠٠ (٧) المرجع السابق .
(٨) لهجة البدو فى إقليم ساحل مريوط (انظر الفصل الخاص بالإمالة) ٥٠ وما بعدها .
(٩) المرجع السابق ٥٢ ، ٥٣ (١٠) فقه اللغات السامية ٥٣ (الفقرة ٦٧) .

مثلا مْكْنِيس وفِيس فى مكناس وفاس[1] . ومن أمثالهم لَلّى فاتك بْلال فِاتك بْحِال[2] وبلال أصلها بليلة ، وبحِال أصلها بحول[3] .

(ج) بين التميميين :

ومن العجيب أن التميميين الذين سمعنا كلامهم ، أو حكيت لنا لهجتهم من المقيمين بالجزيرة العربية ، نرى أن الإمالة تكاد تتلاشى من كلامهم ، فنى تسجيل لصالح الحميدى وهو من وادى الدواسر نجده ينطق الكلمات التالية بدون إمالة : صالح ، رَيّال (رجل) ينْعَاب (أى يعاب عليه) ، عايلين (أى عجلون) ؛ المعدال (عصا) ما يْجَوِّزْنَا صلاةِ العشاء كما أننا نجد هذا النطق فى عنيزة وبريدة وزميقة وهى مدن معظم سكانها تميميون .

ونلاحظ أن هذه الكلمات خالية من أصوات التفخيم وسبقت الألف أو تليت بكسرة . ولكن تلحظ الإمالة عند أهل البحرين فى أواخر الكلمات . وهى تختلف ما بين إمالة كبرى وصغرى[4] .

* * *

(ب) التغاير فى الحركات

التغاير فى الحركات ، وهو عكس « انسجام أصوات اللين » ، وهو مجاور أو متباعد وكل منهما قد يكون مطردا وغير مطرد . والصيغة التميمية إما أنها هى المتطورة ، أو الأصلية ثم تطورت عند غيرهم لكننا لم نلاحظ سوى الأول ، وهو :

التغاير عند تميم :

والذى لاحظناه عندهم من النوع المتباعد ، وهو مطرد وغير مطرد :

(أ) المطرد :

١ — ما أصله على « فُعُل » مما عينه ولامه من جنس واحد : وهو جمع الاسم الرباعى المسبوق آخره بمد مثل سُرُر جمع سَرير . وكان بعض التميميين ينطقونه بفتح العين ،

(١) لهجة شمال المغرب : تطوان وما حولها ٩٣
(٢) المرجع السابق ٩٢
(٣) المرجع السابق ٩٣
(٤) دراسات فى لهجات شرق الجزيرة ١٠٨

فيقولون «مُرَر» وسبب هذه المخالفة أن القاعدة العامة عند تميم إسكان الصوت الثانى . ولخشية إدغام العين فى اللام فتحها بعضهم .

٢ – المعتل اللام بالواو مما جاء على فُعْلَى : وهذا النوع ينطقه الحجازيون محتفظين بالواو على الأصل ، فهم يقولون مثلا دَنْوى . أما التميميون فيقلبون الواو ياء ثم يخالفون فيضمون فاء الكلمة فيقولون دُنيا .

(ب) غير المطرد :

١ – قُنيان : بضم القاف والياء عند تميم المتطورة عن قِنوان القيسية ؛ لأن المفرد قُنوة.

٢ – طِنْفِسَة : بكسر الطاء وفتح السين عند تميم أما الصيغة الأخرى فهى بفتح الطاء والسين .

* * *

(ج) بين التماثل والتغاير

من الكلمات ماله صيغتان يجهل أيهما الأصلية . إحدى هاتين الصيغتين يظهر فيها التماثل ويظهر فى الأخرى التغاير . وتعزى واحدة منهما إلى بنى تميم . ويترتب على ذلك أنه لو كانت الصيغة المتماثلة (سواء أكانت تميمية أم غير تميمية) هى الأصلية تكون المتغايرة هى المتطورة ، وبالعكس . وقد لاحظنا ذلك فى :

أولا : ألفاظ شبه مطردة (سَكارى وغَيارى وكَسالى) :

كان بنو تميم يقولون : سَكارى وغَيارى وكَسالى بفتح أولها ويضمها الحجازيون . ولو كانت الصيغ غير التميمية هى الأصلية فهذا يعنى أنها تطورت بطريق التماثل التخلفى المنفصل عندهم ، أما إذا كان العكس وكانت التميمية هى الأصلية فالتطور إذن صاحب الصيغ الحجازية بطريق التخالف المتباعد .

ثانيا : ألفاظ مفردة :

١ – ٥ : أُسوة وعُدوة ، عُشوة ، وقُدوة ، وصُنوان ، وقُنوان : هذه الكلمات ضم أولها عند تميم وكسر عند الحجازيين . وشأنها شأن الكلمات السابقة تطورت إما عند تميم عن طريق التماثل وإما عند الحجازيين بطريق التغاير .

٦ ــ مُرية : بضم الميم عند تميم وبكسره عند الحجازيين . وهى بعكس الكلمات السابقة فهى إما تطورت من التغاير المنفصل عند تميم إلى التماثل المنفصل عند الحجازيين ، وإما أن التطور كان عكسيا .

٧ ــ هيهاتِ : وهى بفتح التاء فى اللغة المشتركة وفى ذلك تغاير منفصل بين الياء والفتحة ، وبكسرها عند تميم وفى ذلك تماثل إتباعى منفصل . وهناك احتمالان ــ اجهل أصالة أى من الصيغتين ــ إما تطور تميمى من التغاير إلى التماثل ، وإما غير تميمى من التماثل إلى التغاير .

* * *

(د) عدم تتابع ثلاث حركات (*)

ونستطيع أن نلحق بالتغاير عدم تتابع ثلاث حركات ، فقد كان لكثير من التميميين نهج خاص بالكلمة التى تشتمل على ثلاث حركات متوالية ، ــ شاركتها فيه بكر وتغلب ــ وهذا النهج يقضى بإسكان الصوت الثانى منهما ما لم يكن مفتوحا ومسبوقا باخر مفتوح مثل جَمَل قال سيبويه : « هذا باب ما يسكَّن استخفافا ، وهو فى الأَصل متحرك ، وذلك قولهم فى فَخِذ فَخْذٌ ، وفى كَبِدٍ كَبْدٌ ، وفى عَضُدٍ عَضْدٌ ، وفى الرَّجُل رَجْلٌ ، وفى كَرُم الرَّجُل كَرْمَ ، وفى عَلِمَ عَلْمَ ، وهى لغة بكر بن وائل وأناس كثير من بنى تميم ... وأماما توالت فيه الفتحتان ، فإنهم لا يسكنون منه ... وذلك نحو : جَمَل وحَمَل ونحو ذلك . ومما أشبه الأول فيما ليس على ثلاثة أحرف قولهم : أَراك مُنْتَفْخاً تُسكن الفاء ، تريد مُنْتَفِخاً ، فما بعد النون بمنزلة كَبْد . ومن ذلك قولهم : انْطَلْقَ بفتح القاف لئلا يلتقى ساكنان »[1] . وذكر ابن سيده هذا النص دون عزوه لسيبويه وضمنه أن لغة التخفيف كثيرة أيضا فى تغلب[2] .

(*) لم ندرس هذا الموضوع بعد التغاير مباشرة ؛ لأنه لا يشترط فى الحركات ــ أو الأوليين منها ــ أن تكون كلها من جنس واحد .

(١) الكتاب ٤/١٠٣ ــ ١٠٥ . (٢) المخصص ٤/٢٢٠ ، ٢٢١ .

وإن عدم تتابع هذه الحركات ليقتضى أن كل كلمة تبدأ بثلاث حركات تبدأ عندهم بمقطع مغلق قصير ، مالم تكن الأُولى والثانية فتحة قصيرة ؛ ونلاحظ أن الكلمات ذات النهج التميمى قد تكون :

١ – إما أفعالا مثل كَرْمَ بدلا من كَرُمَ عند غيرهم ، وإما أسماء ، وهذه الأسماء قد تكون مفردة مثل فَخْذ فى فَخِذ أو غير مفردة مثل أُزْرٌ جمع إزار وهى عند غيرهم أُزُر[١] .

٢ – ثلاثية كالكلمات التى ذكرناها أو غير ثلاثية مثل مُنْتَفْخ فى مُنْتَفِخ[٢] .

٣ – حركاتها فى أول الكلمة ؛ مثل كَبْد فى كَبِد أو فى وسطها مثل يُعَلِّمْهُم فى يُعَلِّمُهُم[٣] أو فى آخرها مثل منتفخ .

٤ – حركاتها فى كلمة مستقلة مثل رَجْل فى رَجُل . أو فى كلمة مركبة من كلمتين مثل يُعلِّمْهم فى يُعَلِّمُهُم[٤] وأَلْسِنتْهم فى « أَلْسِنَتُهُم[٥] » . ونلحظ ذلك فى ضمير الغائب المنفصل المرفوع مذكرا كان أو مؤنثا إذا سبق بالواو مثل وَهْوَ بدلا من وَهُوَ ، أو الفاء مثل فَهْىَ ، أو لام الابتداء مثل لَهْىَ . أو ثُمَّ نحو ثُمَّ هْوَ ، أو بكلمة آخرها متحرك مثل يُمْلِ هْوَ[٦] .

استثناء من القاعدة :

ويستثنى مما سبق كلمات شذت عن القاعدة العامة ، وهى إما مجموعة تتفق فى صفات معينة يساغ لنا أن نقول إنها قياسية أو مطردة ، وإما ألفاظ خاصة لا يربط الكلمة بالأخرى أى رباط .

---

(١) سنورد هذه الكلمة ضمن الأمثلة التى سنذكرها .

(٢) انظر هذه الكلمة فى نص سيبويه السابق .

(٣) المحتسب ١/١٠٩

(٤) المحتسب ١/١٠٩

(٥) شواذ القراءة للكرمانى ١٣٣

(٦) إتحاف ١٣٢ وقد نسب المؤلف سكون الضمير إلى نجد وتحريكه إلى الحجازيين ، واستشهد بآيات قرآنية وردفيها الضمير مسبوقا بحرف من الحروف التى ذكرها مبينا أنه قرىء وفق النهج التميمى بالإضافة إلى قراءته باللغة الحجازية .

(أ) المطرد :

ذكرنا عند الحديث عن « الضم والفتح » أن جمع الاسم الرباعي المسبوق آخره بصوت مد جمع كثرة على « فُعُل » وبالتالي يصير عند تميم « فُعْل » وذلك مثل « رسُول » فتجمع على « رُسُل » عند الحجازيين و « رُسْل » عند تميم إلا إذا كانت لام الكلمة وعينها من جنس واحد مثل سُرُر جمع سرير ، فقد انقسم التميميون إلى طائفتين :

الأولى – حافظت على ضم عين الكلمة فقالت : « سُرُر » .

والأخرى فتحتها فقالت : سُرَر .

(ب) غير المطرد :

ولاحظنا ذلك في :

١ – عشَرة :

وذلك عند تركيبها مع عدد آخر ، أي من إحدى عشرة إلى تسع عشرة وقد اختلف نهجهم عن الحجازيين حالة تأنيثه فقط :

أولا : سكن الحجازيون الشين[1] ، وهم في نطقهم هذا يوافقون نطقه مذكرا (عشر) .

ثانيا : كان للتميميين نهجان :

(ا) بعضهم كسر الشين .

(ب) وبعضهم فتح الشين[2] .

وكان الفريق الأول هو الأكبر بدليل أن كثيرا من اللغويين اقتصروا على نسبته اليهم[3] .

---

(١) المزهر ٢٩٨ / ب (خ) .

(٢) أوضح المسالك ٢٤٨ ، و شرح الأشموني ٦٧/٤ وشرح التصريح ٣٤٤/٢

(٣) الكتاب ٥٥٧/٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ١١/أ ، والمحتسب ٢٦٠/١ ، والصحاح (عشر) ٧٤٦/٢ ، والمخصص ١٠٢/١٧ ، والمفصل (ضمن شرح المفصل) ٢٦/٦ ، وشرح المفصل ٢٧/٦) .

ونلاحظ أن التميميين الذين فتحوا ساروا وفق نهجهم العام الذى ذكرناه ، لأن الصوت السابق للشين مفتوح ، وأما الذين كسروا فرغم أن ذلك يتفق ونهجهم فى إيثار الكسر على الفتح ، إلا أنهم خالفوا النهج من زاوية أخرى حيث كان يجب عليهم أن يسكنوا الصوت الثانى كما فعل الحجازيون ..

وبلغتيهم قرأ الأعمش « عشَرة » و « عشِرة » بفتح الشين وكسرها[1] فى قوله تعالى : (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا)[2]

واذا أردنا أن نعرف أى الاتجاهات الثلاثة (اتجاها تميم واتجاه الحجاز) يتفق واللغات السامية ، فإننا نرى :

١ ـ أن السريانية تنطقها بالسكون ʿesrā ܥܣܪܐ[3] فهى تتفق والحجازية

٢ ـ والحبشية تنطقها بالفتح ʿašartı[4] ، كما كان ينطقها بعض التميميين ، وقريب من هذا النطق فى العبرية ، فهى تنطق بفتحة ممالة إلى الكسرة

עֶשֶׂר ʿéser

٣ ـ نطق بالكسر فى الأكدية ešeret[6] كما نطقه باقى التميميين .

وإنه لمن الصعب بعد هذا العرض أن نحكم على أى ضبط من هذه الثلاث أنه هو الأصل .

وعلى كل فإن مخالفة القاعدة فى هذا اللفظ لم تكن لدى التميميين جميعا ، وإنما كانت لدى بعضهم فقط .

٢ ـ عُدُس :

لاحظنا عند الحديث عن «الضم والفتح» ، أن بنى تميم ضموا الدال من اسم العلم «عُدُس» ، فى حين ان غيرهم من العرب فتحوها فقالوا «عُدَس» وكان القياس التميمى أن يسكنوها فيقولوا «عُدْس» ، لكنهم ـ كما سبق أن ذكرنا وكما سنذكر أيضا ـ

---

(١) مختصر فى شواذ القرآن ص ٦ ، (٢) البقرة ٢/٦٠

(٣) Moscati, An Introduction. ... p. 116.

(٤) المرجع السابق وانظر : فقه اللغات السامية ١٠٦

(٥) Moscati, An Introduction p. 116.

(٦) Moscati, An Introduction ... p. 116.

تغلبت عليهم ظاهرة التماثل، فأتبعت الدال الصوت السابق لها وهو ضمه العين . ومن المحتمل ألا يكون ذلك قد شاع لدى جميع التميميين؛ لأن هذا العلم كان مسمى به لدى أحد بطونهم فقط وهم بنو عبد الله بن دارم[١] .

أمثلة للمطرد وموقف القراء منه :

وأرى بعد هذا أن أذكر طائفة من الألفاظ التى نصت عليها كتب اللغة والتفسير والقراءات ونسبتها إلى تميم ، وموقف القراء منها إن كانت قد وردت فى الكتاب العزيز وقرئ بها وفق النهج التميمى ، نذكرها مرتبة ترتيبا هجائيا إلا إذا جمع نص بين طائفة منها فعزاه إلى تميم ورأينا ذكره أو الإشارة إليه .

١ ــ ٢٤ : أذن وألفاظ أخرى :

قال البناء الدمياطى : «واختلف فى تسكين عين (القُدُس) وخطوات . واليسر والعسر ، وجزءا ، والأكل ، والرعب ، ورسلنا وبابه ، والسحت ، والأذن ، وقربة . وجرف ، وسبلنا ، وعقبا ، ونكرا ، ورحما ، وشغل ، ونكر ، وعربا ، وخشب ، وسحقا ، وثلثى الليل ، وعذرا ، ونذرا . . . وجه إسكان الباب كله أنه لغة تميم وأسد وعامة قيس ، ووجه الضم أنه لغة الحجازيين»[٢] .

ذكر هذا النص أربعا وعشرين كلمة كان لتميم فيها نطقهم الخاص الذى يتفق ونهجهم، وهو تخفيف الصوت الثانى ، وقد وردت كلها فى القرآن الكريم وورد بعضها أكثر من مرة وقرئت وفق اللغة التميمية إلى جانب قراءتها وفق غيرها[٣] . ونكتفى بتوضيح القراءة فى أحد هذه الألفاظ وهو :

أذن :

وردت كلمة «أذن» فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : (. . . أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأُذُن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص)[٤]. كما وردت فى

(١) انظر : جمهرة أنساب العرب ٢٣٢ وتعليق المحقق بالهامش (رقم / ٢) .
(٢) إتحاف ١٤١ — ١٤٣
(٣) المرجع السابق ١٤١ ، ١٤٢ (٤) المائدة ٥/٤٥

أربع آيات أخرى [١] . وقد قرأها كلها فى جميع المواضع وفق النهج التميمى (أُذْن) من القراء الأربعة عشر نافع [٢] .

٢٥ – ٢٨ : أُزْر وألفاظ أُخْرى :

أُزُر جمع إزار وقد نص سيبويه على تخفيفه مع كلمات أخر جاءت على هذا الوزن وتتفق كلها فى أن مفردها رباعى ثالثه مد ، فقال : «فإذا أردت أكثر العدد بنيته على فُعُل ، وذلك حِمار وحُمُر وخمار وخُمُر وإزار وأُزُر وفراش وفُرُش. وإن شئت خففت جميع هذا فى لغة تميم» [٣] .

وقد وردت كلمة «فُرُش» فى قوله تعالى : (وفُرُش مرفوعة) [٤] وقرأها كما كان ينطقها التميميون (فُرْش) أبو حَيْوة [٥] .

٢٩ – بُخْل :

لهذه الكلمة أربع صيغ ، هى : بُخُل (بضمتين) ، وقد نسبها الفراء لأسد ، وبضم الأول وتخفيف الثانى ، وهى الصيغة التميمية كما نسبها الفراء أيضا [٦] ، وبفتحين وبفتح فسكون [٧] . ويهمنا هنا المقارنة بين الصيغتين الأوليين : الأسدية والتميمية التى نلاحظ أن جمهور القراء انتهجها فى قوله تعالى : (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبُخْل) [٨] : قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة من السبعة [٩] ، وأبو جعفر ويعقوب من بقية العشرة ، واليزيدى والحسن من الأربعة بعد العشرة [١٠] .

٣٠ – ٣٦ : الثُّلْث إلى التُّسْع :

يذكر النحاس أن «لغة أهل الحجاز وبنى أسد الثُّلُث والربُع إلى العُشُر ولغة بنى تميم وربيعة الثُّلْث بإسكان اللام إلى العُشْر» [١١] . وقد اجتمعت الكلمات : الثلث والربع

---

(١) التوبة ٩/٦١ ، والحاقة ٦٩/١٢ ، ولقمان ٣١/٧

(٢) التيسير ٩٩ ، وإتحاف ١٤٢

(٣) الكتاب ٣/٦٠١

(٤) الواقعة ٥٦/٣٤

(٥) مختصر فى شواذ القرآن ١٥١

(٦) البحر ٣/٢٤٦ ، ٢٤٧

(٧) المرجع السابق ٣/٢٤٦

(٨) النساء ٤/٣٧ ، والحديد ٥٧ / ٢٤

(٩) السبعة فى القراءات ٢٣٣

(١٠) انظر تحبير ١٠٢ ، وإتحاف ١٩٠ مقارنا ما ورد بهذين المرجعين بما ورد فى الإتحاف ٧ .

(١١) إعراب القرآن ٤٤/ب

والسدس والثمن فى الآيتين الكريمتين (. . . فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثُلُثا ماترك ، وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس . . . . الخ الآيتين)[1] . وقرأ هذه الكلمات الأربع وفق النهج التميمى الحسن ونُعَيْم بن ميسرة[2] .

ووردت كلمة الثلث أيضا فى قوله تعالى : (فإن كانتا اثْنَتَيْن فلهما الثُّلُثان)[3] وقوله : (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثُلُثَى الليل ونصفه وثلثه)[4] . وقرأ وفق النطق التميمى (ثُلْثه) من الآية الثانية ابن كثير فى رواية[5] و «ثُلْثَىْ » ابن عامر[6] برواية هشام[7] .

٣٧ــ حُبْك :

الحُبُك : طرائق النجوم فى السماء[8] ، وهى جمع حِباك وحَبِيكة[9] . وقد سكنت تميم الباء فقالت «حُبْك »[10] وبلغتهم قرأ الحسن[11] قوله تعالى : (والسماء ذاتِ الحُبْك)[12] .

٣٨ــ حَرْم :

قال ابن جنى «وأما (حَرْم) بفتح الحاء وتسكين الراء فمخفف من (حَرِم) على لغة بنى تميم »[13] . وقد وردت هذه الكلمة فى قوله تعالى : (وحَرامٌ على قرية أهلكناها أنهم لايَرْجِعُون)[14] . وقرأ عِكْرِمة «حَرْمٌ » بدل «حرام »[15] وهى بمعنى واجب[16] . وخفف التميميون راء «حَرِم » فقالوا «حَرْم » وبلغتهم قرأ ابن عباس بخلاف[17] .

---

(١) النساء ١١/٤ ، ١٢

(٢) مختصر فى شواذ القرآن ٢٥ ، وهو أبو عمرو نعيم بن ميسرة الكوفى ، نزل الرى وكان ثقة . روى الحروف من أبى عمرو بن العلاء وعاصم بن أبى النجود ويروى عنه حروف شواذ من اختياره . توفى سنة ١٧٤ هـ . (غاية النهاية ٣٤٢/٢ ، ٣٤٤)

(٣) النساء ١٧٦/٤

(٤) المزمل ٢٠/٧٣

(٥) مختصر فى شواذ القرآن ١٦٤

(٦) المرجع السابق

(٧) إتحاف ١٤٢

(٨) اللسان (حبك) ٢٨٩/١٢

(٩) معانى القرآن للفراء ٨٢/٣

(١٠) المحتسب ٢٨٦/٢ ، ٢٨٧

(١١) المرجع السابق ٢٨٦

(١٢) الذاريات ٧/٥١

(١٣) المحتسب ٦٦/٢

(١٤) الأنبياء ٩٥/٢١

(١٥) المحتسب ٦٥/٢

(١٦) المرجع السابق .

(١٧) المرجع السابق ٦٦

٣٩ ـ حُلْم :

ورد هذا اللفظ فى قوله تعالى (لِيَسْتأْذِنْكم الذين مَلَكَتْ أَيمانُكم والذين لم يبلغوا الحُلُم ثلاثَ مراتٍ . . . وإذا بلغ الأطفال منكم الحُلُم . . .)[1] وبلغة تميم قرأ الحسن وأبو عمرو فى رواية[2] حددها ابن خالويه بأنها عن عبد الوارث[3] . كما قرأ الكلمة أيضا بهذه اللغة المطوعى[4] .

٤٠ ـ رَحْب :

الموضعان اللذان ورد فيهما هذا اللفظ هما قوله تعالى : (. . . وضاقت عليهم الأرض بما رَحُبَتْ . . .)[5] . وقوله : (وعلى الثلاثة الذين خُلِّفُوا حتى إذا ضاقت عليهمَ الأرضُ بما رَحُبَتْ . . .)[6] ، وقرأه وفق اللغة التميمية (رَحْبَتْ) زيد بن على[7] .

ونلاحظ أن هذه الكلمة فعل ماض جاءت على وزن «فَعُل » فى اللغة المشتركة مما يؤكد أن التميميين فى بدئهم الكلمة بمقطع قصير مغلق لم يكونوا يفرقون بين الاسم والفعل .

٤١ ـ سُقْف :

سُقْف عند تميم وفى اللغة المشتركة سُقُف جمع سَقْف وباللغة المشتركة قرأ الجمهور قوله تعالى : (. . . لجعلنا لمن يَكْفُر بالرحمن لبيوتهم سُقُفا من فضة . . .)[8] وقرأ وفق اللغة التميمية (سُقْفا) أبو رجاء[9] .

---

(١) النور ٥٨/٢٤ ، ٥٩

(٢) البحر ٤٧٢/٦

(٣) مختصر فى شواذ القرآن ١٠٣ ، وهو أبو عبيدة عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان العنبرى ولاء البصرى . كان ثقة حجة عرض القرآن على أبى عمرو ، وروى القراءة عن ابن عامر وروى عنه ابنه عبد الصمد . توفى سنة ١٧٩ هـ (غاية النهاية ٤٧٨/١) .

(٤) إتحاف ٣٢٦

(٥) التوبة ٢٥/٩

(٦) التوبة ١١٨/٩

(٧) البحر ٢٤/٥

(٨) الزخرف ٣٣/٤٣

(٩) البحر ١٥/٨

٤٢ ـ قُبُل :

تناولنا كلمة «قُبُلُ» عند الحديث عن «الضم والكسر» وقلنا هناك إن من العرب من ضم القاف والباء وقال «قُبُلا» ومنهم من كسر القاف وفتح الباء . ويعنينا هنا أن الذين ضموا القاف ـ ومنهم تميم ـ فريقان : فريق ضم الباء وفريق أسكنها وهم بنو تميم ، وبلغتهم قرأ أبو رجاء والحسن[1] قوله تعالى : (إلَّا أن تَأْتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا)[2] .

بعد هذه النماذج من الكلمات المؤكدة للقاعدة التى ذكرناها نختم الحديث عن هذا الموضوع بالكلام عن :

تفسير الظاهرة :

إن تسكين الصوت الثانى للكلمة المشتملة على ثلاثة أصوات متحركة يعنى أن المقاطع إذا كانت عند غير التميميين ثلاثة متتالية وكانت مفتوحة كلها فى حالة الفعل الماضى الثلاثى ، وكان الأولان مفتوحين والأخير مغلقا فى الاسم فإنه عند تميم اثنان أولهما مغلق . واتجاه تميم هذا يتفق وقانون السهولة law of least effort[3] : لأن فى صنيعهم هذا اقتصادا للجهد العضلى . واحتفاظ تميم بمقاطع ثلاثة متحركة إذا كان الصوتان الأولان متحركين بالفتحة لايخرج عن جنوحهم إلى الجهد الأقل ؛ لأن وضع اللسان ـ كما سبق أن ذكرنا ـ يكون مع الفتحة أيسر من وضعيه مع الضمة والكسرة ، فهو يكاد يكون مستويا مع قاع الفم ، لكن مقدمه يرتفع إلى أعلى مع الكسر ، ومؤخره يرتفع مع الضمة إلى أعلى[4] وهذا يتطلب مجهودا أكثر فى النطق .

---

(١) البحر ١٣٩/٦

(٢) الكهف ٥٥/١٨

(٣) انظر شرح هذا القانون فى : الأصوات اللغوية ٢٣٤ ، والتطور اللغوى وقوانينه ٤٧ ، ودراسة الصوت اللغوى ٣١٩ ويطلق عليه مؤلفه «قانون الجهد الأقل» .

(٤) انظر : الأصوات اللغوية ٣١-٣٣ ، والمدخل إلى علم اللغة ٩٣ ، ٩٤

الفصل الثانى

الهمز

اولا : الهمز والتخفيف

كان للعرب فى نطق الهمزة نهجان : تحقيقها وتخفيفها ، وقد نسب الأول إلى بنى تميم فى مقابل التخفيف الذى كان سمة من سمات اللغة الحجازية ، جاء فى « لسان العرب » « قال أبو زيد : أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون وقف عليها عيسى بن عمر[1] ، فقال : ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر ، وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا »[2] والمقصود بالنبر هنا نطق الهمزة[3] أى تحقيقها ، ويذكر ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) أن أهل التحقيق هم تميم وقيس ، وأصحاب التخفيف هم قريش وأكثر أهل الحجاز[4] . وقد تكون الهمزة مفردة ، وقد تكون مجتمعة مع غيرها ، وحينئذ قد تكون الهمزتان :

(أ) فى كلمة واحدة

(ب) فى كلمتين متجاورتين .

(أ) الهمزة المفردة :

يفهم من نص أبى زيد السابق أن تميما كانت تحققها ويؤيد هذا النص نصوص أخرى كثيرة عرضت لكلمات مفردة ، نذكر منها :

١ — قال يونس فى نوادره : « أهل الحجاز جونة بلا همز وتميم جؤنة بالهمز »[5] .

٢ — جاء فى « إعراب القرآن » للنحاس : « لغة أهل الحجاز جِبريل ولغة تميم وقيس جَبْرئيل »[6] .

---

(١) توفى سنة ١٤٩ هـ (نزهة الألباء ١٥)

(٢) اللسان (حرف الهمزة) ١٤/١

(٣) اللسان (نبر) ٣٩/٧

(٤) شرح المفصل ١٠٧/٩

(٥) المزهر ٢٩٨ / ب (خ)

(٦) إعراب القرآن ١٤/أ

٣ – وجاء فيه أيضاً : « قال أبو عمرو بن العلاء : أهل الحجاز لا يهمزون رؤيا ، وتميم وبكر يهمزونها »[١] .

٤ – قال صاحب « إتحاف فضلاء البشر » : « وأما مرجئون بالتوبة ، وترجىء بالأحزاب فقرأهما ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة وكذا يعقوب بالهمز من أرجأ بالهمز لغة تميم . وافقهم ابن مُحَيْصِن واليزيدى والحسن ، والباقون بغير همز »[٢] .

الهمزة التى يلحقها التخفيف :

إذا كانت الرواية التى نقلناها عن أبى زيد – وغيرها من روايات لم نعرض لها أو نشر إليها لاتفاقها معها فى الفكرة – لم تحدد موضعا معينا للهمزة التى يلحقها التحقيق والتخفيف ، فلم تفرق بين الهمزة فى أول الكلمة أو فى وسطها أو فى آخرها فإننا نلاحظ أن التسهيل مما يصعب النطق به فى أول الكلمة مالم تكن متصلة بأخرى سابقة لها ، ووجدنا سيبويه ينص على ذلك فيقول : « ألا ترى أن الهمزة إذا كانت مبتدأة محققةٌ فى كل لغة[٣] » .

ونخلص مما سبق أن الهمزة المفردة قد تكون فى وسط الكلمة أو فى آخرها ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلا أدرى ما الذى حمل ابن دريد على قوله : « وبنو تميم يهمزون أحرفا مما كان على وزن فَعْل ، فى موضع العين من الفَعْل ألفٌ ساكنة ، نحو الفأْس والرأْس والكأْس والرأْل »[٤] . ومما يدل على غرابة رأى ابن دريد هذا أننا نجد سيبويه يفتتح حديثه عن التحقيق بقوله : « فالتحقيق قولك : قرَأْت ، ورَأْس ، وسَأَل ، ولؤُم ، وبئْس وأشباه ذلك »[٥] . فالهمزة ليست ساكنة فى كل الأمثلة التى ضربها ، كما نجد أمثلة مفردة منسوبة إلى تميم لا تنطبق عليها القيود التى حددها ابن دريد وسبق أن ذكرنا منها : جَبرئيل ، ومُرجئون ، وتُرجىءُ .

---

(١) المرجع السابق ١٠١ / أ
(٢) إتحاف ٥٩
(٣) الكتاب ٣/٥٤٥
(٤) جمهرة اللغة ٢/٢٩٣ ، (والرأل : ولد النعام – اللسان « رأل » ١٣/٢٧٧)
(٥) الكتاب ٣/٥٤١

وإذا كان ابن دريد قد قصر على تميم تحقيق الهمزة الساكنة نحو فأْس وَرأْس فإننا نجد « حفنى ناصف » يعزو إليها قلبها إلى حرف من جنس حركة ما قبلها ، ويعقب على ذلك بقوله : « وكأن جميع السكان عندنا تميميون إذ لم يسمع لهم همزات فى مثل هذه الكلمات »[(١)]. وواضح أن كلام حفنى ناصف مخالف لما أجمع عليه من نسبة التحقيق لتميم .

خروج على القاعدة :

واذا كان الحجازيون – ومنهم أهل مكة – قد خففوا الهمزة ، والتميميون حققوها ، فإنا وجدنا القاعدة تخالف فى بعض الكلمات ، فعزى إلى تميم أنها كانت تخفف النبى والبرية والذرية والخابية وذوى وَعظايَة فى حين أن غيرهم من المخففين حققوها . وفيما يلى توضيح لما أجملناه :

١ – ٤ : النبي والبَريِّة والذُّريَّة والخابية :

أولا – نقل الجوهرى عن سيبويه أن العرب خالفوا نهجهم فى هذه الكلمات الأَربع ، فخففها المحققون وحققها أهل قريش رغم أنهم من المخففين ولم يحققوا سواها ، جاء فى الصحاح : « قال سيبويه : ليس أَحد من العرب إلا ويقول : تَنَبَّأ مسيلمة بالهمز ، غير أَنهم تركوا الهمز فى النبي كما تركوه فى الذُّرية والبَريَّة والخابِية ، إلا أَهل مكة فإنهم يهمزون هذه الأَحرف ولا يهمزون فى غيرها ويخالفون العرب فى ذلك »[(٢)] .

ثانيا – ذكر ابن السكيت أن يونس قال بمثل قال هذا الرأْى[(٣)]

مناقشة ما نسب الى سيبويه ويونس :

(أ) مانسب الى سيبويه :

إذا ما رجعنا إلى « الكتاب » ، نجد سيبويه يقول : « وقالوا نبى وبريّة فألزمها أهل التحقيق البدل . وليس كل شيء نحوُهما يُفعل به ذا ، إنما يؤخذ بالسمع . وقد بلغنا

---

(١) مميزات لغات العرب ٢٦

(٢) الصحاح (نبأ) ١/٧٤ ؛ ٨٥

(٣) إصلاح المنطق ١٧٩

أن قوما من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبيءٌ وبريئةٌ ، وذلك قليل رديء »[١] ، فسيبويه لم يذكر سوى نبيء وبريئة ، ولكنه لم يمنع ورود غيرهما . ونلاحظ أيضا أنه لم يخصص نسبتها إلى أهل مكة ، بل إلى قوم من أهل الحجاز من أهل التحقيق. ولعل إسناد الجوهرى الكلمات الأربع وعزوه همزها إلى أهل مكة لاختلاط كلام كل من سيبويه ويونس عليه .

ويفهم من كلام سيبويه أن أهل الحجاز منهم أهل تحقيق وأهل تخفيف ، وأن الذين كانوا ينبرون الكلمتين (نبي وبرية) من أهل التحقيق. وهذا الذى نستنتجه يتفق وقول سيبويه فى موضع آخر « واعلم أن الهمزة التى يحقق أمثالها أهل التحقيق من بنى تميم وأهل الحجاز وتجعل فى لغة أهل التخفيف ... »[٢]

واذا رجعنا إلى النص الذى سبق أن نقلناه عن أبى زيد ، وهو « أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدنية لا ينبرون ... » نجده بعد أن ذكر الحجازيين بصفة عامة خصص هذيلا وأهل مكة وأهل المدينة وهذا يعنى أن المحققين من أهل الحجاز من غير هؤلاء الثلاثة ، وهذا يعنى بالتالى أن أهل مكة لم يكونوا ينبرون هذين اللفظين .

(ب) ما نسب الى يونس :

ذكر ابن السكيت أن يونس قال إن أهل مكة كانوا ينبرون الألفاظ الأربعة[٣] لكننا نجد إلى جانب ذلك ابن سيده يعزو إلى يونس كلمتين فقط هما اللتان ذكرهما سيبويه ، وهما النبيء والبريئة . جاء فى المخصص . « قال أبو عبيد : قال يونس : أهل مكة يخالفون غيرهم من العرب يهمزون النبيء والبريئة وذلك قليل فى الكلام[٤] » وليس بين أيدينا أثر ليونس يمكن أن يهدينا إلى حقيقة نصه كما أرشدنا كتاب سيبويه إلى تصويب ما نسب إليه .

---

(١) الكتاب ٣/٥٥٥

(٢) الكتاب ٣/٥٥٣ ، ٥٥٤ والنص فى المخصص ١٤/١٣ دون إشارة إلى سيبويه .

(٣) إصلاح المنطق ١٧٩

(٤) المخصص ١٤/٨

وعلى كل فنحن نخلص من كل ما سبق إلى أن سيبويه وأستاذه يونس اتفقا على أن اللفظين « نبي وبرية » خففهما أهل التحقيق وهذا يعني أن ذلك كان نهج بني تميم ، وحققهما بعض الحجازيين ونسب يونس ذلك إلى أهل مكة ، ونسبه سيبويه إلى محققين ممن كانوا يقيمون بالحجاز دون أن يحددهم . وإن اقتصار سيبويه في كتابه على اللفظين نبي ، وبرية ، ونقل أبي عبيد عن يونس هذين اللفظين فقط ، ليجعلنا نميل إلى أن هذين اللفظين فقط دون سواهما هما اللذان وردا بالهمز . ويرجح هذا الميل أن ثلاثا من هذه الكلمات الأربع وردت في القرآن الكريم وهي : نبي ، وبرية ، وذرية . ووجدنا نافعا يقرأ النبيّ وبابه : (أي نبي والنبوة والأنبياء والنبيون والنبيين) حيث وقع في القرآن بالهمز[1] ، ووجدناه أيضا ويشاركه ابن ذكوان يقرآن البرية بالهمز في الموضعين اللذين وردا في سورة البينة[2] في قوله تعالى : (أولئك هم شر البرية . إن الذين آمنو وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية)[3] . وابن ذكوان أحد راويي ابن عامر[4]

أما الكلمة الثالثة وهي « ذريّة » فعلى الرغم من ورودها — مفردة أو مضافة إلى ضمير اثنتين وثلاثين مرة[5] ، فإنها لم تقرأ — فيما أعلم — مهموزة .

واني لا أميل إلى أن ما نسب إلى يونس من عزوه همز الألفاظ الأربعة — كما في رواية — أو اللفظين — كما في رواية أخرى — إلى أهل مكة ، وذلك لأن إحدى هذه الألفاظ وهي « نبيء » خاطب بها أعرابيٌّ النبيَّ — صلى الله عليه وسلم — مهموزة فانكر ذلك ، فعن أبي ذر رضى الله عنه قال : « جاء أعرابي إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : يا نبيء الله ، فقال : لست نبيء الله ، ولكني نبي الله » (أخرجه الحاكم وصححه)[6] . فتحديد أبي ذر لمخاطب الرسول بأنه أعرابي تصريح بأنه ليس من أهل مكة ، لأن الأعرابي ساكن

---

(١) التيسير ٧٣ ، وإتحاف ٥٨ ، ١٣٨

(٢) الآيتان ٦ ، ٧

(٣) إتحاف ٥٩ ، ٤٤٢

(٤) المرجع السابق ٧

(٥) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٢٧٠

(٦) إتحاف ٥٨ ، وهو محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري ، ويعرف أيضا بابن البيع . توفى سنة ٤٠٥ هـ .

البادية[١] . وقد ورد هذا الحديث برواية أُخرى : جاء فيها « ... فقال – أى النبى صلى الله عليه وسلم – إنّا معشر قريش لانَنْبِر »[٢] ويعنى ذلك أن قريشا لاتهمز هذا اللفظ ولا غيره وهذا يتفق وما رأيناه من أن المراد بمن كانوا ينبرون هذه الألفاظ هم محققون من سكان الحجاز من غير أهل مكة والمدينة وهذيل . وحديث الرسول عليه الصلاة والسلام لا يتعارض وقراءة نافع للفظة بالهمز ، لأنه يقصد أن كلمة « نبى » لشيوعها بدون همز أفصح من « نبىء[٣] » .

وعلى كل فسواء أكان أهل مكة نطقوا الكلمتين الأخريين (الخابئة والذريئة) مهموزتين وفق إحدى الروايتين المعزوتين إلى يونس أو لم ينطقوهما وفق الرواية الأُخرى ، أم نطق هذه الكلمات غيرُهم من العرب ، فإن الذى نسب إلى عامة العرب ومنهم تميم التخفيف ، وهذا هو الذى يعنينا .

نظرة تاريخية الى الصيغ التميمية :

يذكر ابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) هذه الكلمات الأربع تحت عنوان « ومما تركت العرب همزه وأصله الهمز[٤] » ، ومعنى هـذا أن الصيغ التميمية هى المتطورة وغيرها هى الأصلية . ولكنا نجده فيما يخص كلمة « برية » يذكر أنها من برأ الله الخلق ، أى خلقهم[٥] . وينقل عن الفراء (ت ٢٠٧ هـ) بشأن هذا اللفظ (برية) وكذلك لفظ « نبى » قوله « فإن أخذت البرِّية من البَرَى ، وهو التراب ، فأصلها غير الهمز . وكذلك النبى – صلى الله عليه وسلم – هو من أنبأ عن الله جل وعز فتُرك همزه . وإن أخذته من النَّبْوة وهو الارتفاع من الأرض ، أى شرف على سائر الناس فأصله غير الهمز »[٦] .

ونجد كذلك من اللغويين من يقول إن أصل « الذرية » (فُعْلِيّة) من ذرَّ الله الخلق أى فرّقهم[٧] . هذا إلى جانب من يقول إنها من ذرأ الله الخلق أى خلقهم ، لغة فى ذرا[٨]

أما بالنسبة للخابية فإنهم يرون أنها من خَبأ وتركت العرب الهمزة[٩] .

---

(١) اللسان (عرب) ٢/٧٥ ، ٧٦
(٢) اللسان (نبر) ٧/٤٠
(٣) انظر : إتحاف ٥٨ (تعليق أبى عبيد على الحديث) .
(٤) إصلاح المنطق ١٧٨
(٥) المرجع السابق ١٧٩
(٦) المرجع السابق .
(٧) اللسان (ذرر) ٥/٣٩١
(٨) اللسان (ذرا) ١٨/٣١٢
(٩) اللسان (خبأ) ١/٥٥ ، (خبا) ١٨/٢٤٤

ونستخلص من كل ما سبق حداثة الخابية ، والتردد فى أصالة الكلمات الأخرى (نبي وبرية وذرية) مهموزة أو غير مهموزة .

ولكن فيما يخص الكلمتين « نبى » وبرية (بمعنى الخلق) يرى جفرى Jeffery أنهما دخيلتان من اللغات السامية الشمالية وأنهما دخلتا من الآرامية[1] ، ويعقب « رابين » على ذلك باحتمال وصولهما العربية فى صورتهما الآرامية بدون همزة[2] .

وإذا صح هذا فإنه يعنى أن الصيغتين التميميتين أقدم من الصيغتين الأخريين وأن الهمز ناشىء .

٥ ـ ذوى :

ذكر الأصمعى (ت ٢١٦ هـ) أن أهل نجد ـ وتميم منهم ـ يقولون : ذَوَى البقلُ ، والحجازيون يقولون ذأى[3] بمعنى ذبل .

وأرى أن الصيغة النجدية هى القدمى والحجازية هى المتطورة عنها ، وأنهم نطقوها مهموزة مبالغة فى التفاصح والحذلقة فى بادىء الأمر . ودليلنا على هذا :

١ ـ إذا رجعنا إلى المادتين « ذوى » و « ذأى » وجدنا لكل منهما معنى عاماً يختص بها ، فذى « ذأى » تدل على ضرب من السير[4] أما « ذوى » فتدل على يبس وجفوف[5] .

٢ ـ إن التخفيف من « ذأى » إلى « ذوى » لا يسير وفق النهج العام للعرب فى تخفيف المهموز إلا إذا كان شاذا ؛ لأن تخفيف مثل هذه الهمزة وهى المفتوحة المسبوقة

---

(١) The foreign vocabulary p. 276, 277.

(٢) Ancient West - Arabian p. 133.

(٣) الأمالى للقالى ٢/١٨٦ ، ١/٢١٥

(٤) مقاييس اللغة (ذأى) ٢/٣٦٩

(٥) المرجع السابق (ذوى) ٢/٣٦٣

بفتحة يكون بقلبها همزة بين بين[1] . وعلى العكس من ذلك فإنه إذا كان الأصل « ذوى » فيمكن أن يتطور إلى « ذأى » وذلك لأن الواو تسقط وتبقى حركتها . ولما كانت الحركة لا تقوم بمفردها فحدث قفل مقطعى وهو ما عبر عنه بالهمزة .

٦ - عَظاية :

عَظاية عند تميم فى مقابل عَظاءة عند أهل العالية[2] . وهى سامّ أبْرَص أو على خِلْقتها أُعَيْظم منها شيئاً[3] . وإذا بحثنا عن مادة (عظأ) فى « لسان العرب » و « تاج العروس » باعتبارهما أكبر معجمين ، فلا نجد لها ذكرا ، لكن إذا اتجهنا إلى مادة (عظى) وجدنا أن أصل اللفظ يائى ، وأن عظاه بمعنى ساءه ، وأسخطه واغتاله فسقاه ما يقتله[4] . يضاف إلى ذلك أن هذه الكلمة شأنها شأن سابقتها (ذأى) ، إذ يمكن إبدال «عظاءة» من « عظاية » لا العكس . الصيغة التميمية إذن هى القدمى وأن أهل العالية قلبوا الياء همزة على سبيل التفاصح .

وبعد : فهذه ستة ألفاظ همزت عند غير التميميين وخففت عند التميميين ، وبتحليلها تبين لنا :

١ - أن اثنين منها (ذوى وعظاية) أصلهما غير مهموزين وهمزهما غير التميميين على سبيل التفاصح .

٢ - وأن اثنين منها يظن أنهما دخيلان بدون همز (نبى ، وبرية) فعاملهما التميميون كنطقهما عند قومهما وتوهم من همزهما -من غير تميم- أن الأصل فيهما الهمز فهمزوهما .

---

(١) انظر : الكتاب ٥٤١/٣ ، ٥٤٢

(٢) المخصص ١٠٠/٨ والمصباح المنير ٤١٧

(٣) اللسان (عظى) ٣٠٢/١٩

(٤) اللسان (عظى) ٣٠٣/١٩ والتاج (عظى) ٢٤٧/١٠

٣ — وبالنسبة لكلمة « الخابية » فالهمزة هى الأصل . ولعل سبب التخفيف أن العرب كانت تطلق « الخابية » على النار التى خمد لهبها ، وفعلها « خبا » بمعنى سكن[1] . فاستعير هذا اللفظ للدلالة الأخرى المهموزة .

٤ — وأما كلمة « الذرية » فالوهن يدخل فى نسبة همزها ، وقد لا حظنا من قبل أن الألفاظ الثلاثة التى وردت فى القرآن الكريم ، لم يقرأ أحدها وهو هذا اللفظ إلا بالتميمية .

التطور فى بعض تصاريف « رأى » :

تعددت مناهج العرب بشأن تصريف الفعل « رأى » (إذا كان بالعين وليس بمعنى العِلْم) فى الماضى والمضارع والأمر بصوره المختلفة المجردة والمزيدة ،ويعنينا منها ما يتصل بتميم ، وفيما يلى عرض لذلك :

١ — الماضى : حققه جميع العرب ومنهم الحجازيون الذين كان نهجهم التخفيف ، ولم يخففه إلا بعض العرب وكانوا قليلا ،جاء فى المحكم : « قال اللحيانى : قال الكسائى : اجتمعت العرب على همز ماكان من رأيت واسترأيت وارتأيت من رؤية العين . وبعضهم يترك الهمز ، وهو قليل »[2] ولم أر من اللغويين من حدد هؤلاء الذين تركوا الهمز .

٢ — المضارع : ترك جميع العرب همزه — و نهم تميم — فقالوا : يَرَى وترى وأرى . . . عدا تيْم الرِّبَاب فكانوا يهمزون[3] ويقولون مثلا : هو يرأى ، ونحن نرأى . وأما مانقله أبو حيان عن كتاب «اللوامح »[4] من أن تميما كانت تهمز وتقول مثلا تَرْأى[5] فمرجع ذلك أن تميما اشتهرت بتحقيق الهمز . ولما كان لهذا الفعل صفة خاصة كانت مجهولة عند من نسبه ، ظن أن شأنه شأن غيره من كلمات مهموزة فنسب الهمز إلى تميم . وقد يكون وَهْما

---

(١) اللسان (خبا) ٢٤٤/١٨

(٢) المحكم ١٤٦/٢٠ أ (خ) والنص دون نسبة للكسائى (باختلاف) فى تهذيب اللغة ٣١٩/١٥

(٣) المحكم ١٤٦/٢٠ أ (خ) ، واللسان (رأى) ٤/١٩ ، ٥ وليس صحيحا ما ذكره مؤلف « لهجة تميم » أن تيم الرباب فرع من تميم (ص ١٦٠) ، وإنما هم بنو عمومتهم .

(٤) هو كتاب « اللوامح فى شواذ القراءات » لأبى الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازى (انظر : أبو حيان النحوى للدكتورة خديجة الحديثى ١٩٦) .

(٥) البحر ٥١٢/٨

منشؤه احتمال تصحيف « تيم » لتكون «تميم» . ونصّ سيبويه على نسبة التخفيف إلى تميم صراحة عند حديثه عما جاء على « فَعَالِ » علما لمؤنث ، فقال : « فأَمّا ما كان آخره راء فإن أهل الحجاز وبنى تميم فيه متفقون ، ويختار بنو تميم فيه لغة أهل الحجاز كما اتفقوا فى يرى »[(١)] .

ولعل فى نص سيبويه وموافقة السيرافى[(٢)] له ما يطمئن الدكتور الجندى من أن التميميين لم يكونوا يهمزون الفعل المضارع من رأى[(٣)] .

٣ـ الأمر : وكان للعرب فيه نهجان :

(أ) ترك الهمز : وهو نهج الحجازيين ، فكانوا يقولون : ر ذلك للمفرد ، ورَىْ للمفردة ، وريَا للمثنى بنوعيه ، ورَوْا لجمع الذكور ، وَرَيْنَ لجمع الإناث[(٤)] .

(ب) تحقيق الهمز : وكان نهج بنى تميم[(٥)] ، فكانوا يقولون مثلا : ارأ ، وارْأيا .

تعقيب :

اذا كان تحقيق الهمزة يعد مرحلة أقدم من تخفيفها ، فهذا يعنى أن هذا الفعل لم يسر على وتيرة واحدة فى تطور تصاريفه الثلاث (الماضى والمضارع والأمر) ، وإنما خالف غيره من كلمات تطورت لدى الحجازيين وبقيت محافظة على صورتها القديمة لدى تميم ومن جاورهم . ونلاحظ أنه :

١ ـ بالنسبة لصيغة الماضى ظلت محافظة على الهمز عند العرب حتى عند الحجازيين عدا القليل من العرب الذين أشار إليهم الكسائى دون أن يحددهم .

٢ ـ فى صيغة الأمر : كان تطورها كغيرها من أفعال وأسماء . حافظ التميميون على التحقيق وتطورت عند الحجازيين ، فهى إذن قد قطعت مرحلة أطول من صيغة الماضى .

---

(١) الكتاب ٣/٢٧٨

(٢) انظر تعليق السيرافى بهامش المرجع السابق .

(٣) انظر : اللهجات العربية ٢٥٥ ، ٢٥٦

(٤) المحكم ٢٠/١٤٦ أ (خ) ، وتهذيب اللغة ١٥/٣١٩

(٥) المرجعان السابقان .

٣ـ الفعل المضارع : قطع شوطا أكبر فى تطوره من الماضى والأمر ، فتطور لدى العرب جميعا حتى التميميين ، ولم يحافظ على نهجه القديم إلا عنده تيم الرباب .

* * *

الهمزتين المجتمعتان :

إذا كان النهج التميمى فى الهمزة المفردة واضحا . فإنه إذا اجتمعت همزتان سواء أكانتا فى كلمة واحدة أم فى كلمتين متجاورتين . فإن نهجهم غير جلى ؛ لأن العلماء فى دراستهم لهذا النوع خلطوا بين المحققين جميعا . وسنذكر فيما يلى مناهج العرب محاولين استخلاص النهج التميمى .

(أ) فى كلمة واحدة :

الهمزتان فى كلمة واحدة لهما حالات ثلاث . وهى : أن تكون الأولى متحركة والثانية ساكنة . أو العكس ، أو أن تتحركا معا . وفيما يلى بيان ذلك ضاربين صفحا عن الصيغ الافتراضية التى ذكرها العلماء :

١ ـ تحرك الأولى وسكون الثانية :

تبدل الثانية حرف مد يجانس ما قبلها ، مثل : آثر ، وأوثر ، وإيثار[1] وأصلها أأثر ، وأؤثر ، وإئثار .

٢ ـ تحرك الثانية وسكون الأولى :

وتكون فى الصيغة الموضوعة على التضعيف ، وذلك إذا كانتا فى موضع العين ، وعندئذ تدغم الأولى فى الثانية مثل سُؤَّال[2] .

٣ ـ تحرك الهمزتين معا :

وكان لهذا الصنف خمس حالات :

الأولى : قلب الثانية وجوبا ياء أو واوا ، وفى هذه الحالة لا تقع الثانية لاما[3] وحينئذ قد تكون مكسورة أو مضمومة أو مفتوحة :

(أ) إن كانت مكسورة قلبت ياء بأى حركة تحركت الأولى مثل أيمّة .

---

(١) شرح الأشمونى ٤/٢٩٨ ، وانظر : شرح الشافية ٣/٥٣

(٢) شرح الأشمونى ٤/٢٩٨ ، وانظر شرح الشافية ٣/٥٥

(٣) تحرك الهمزتين مع كون الثانية لاما ضرب له العلماء أمثلة افتراضية مثل قرأى — على وزن جعفر — من قرأ أ (انظر : شرح الشافية ٣/٥٦) .

(ب) إن كانت مضمومة جعلت واوا صريحة فمضارع يؤم للمتكلم أَوُم ، وأُوم ، وإوم[1]

(ج) إن كانت مفتوحة :

١ ـ بعد همزة مكسورة قلبت ياء مثل إِيَم (من الفعل أَمَّ) .

٢ ـ بعد الضمة تقلب واوا مثل أُوَيدم .

٣ ـ بعد فتحة تقلب واوا عند غير المازنى مثل أَوَم (من أَمَّ) وعند المازنى أَيَمَّ (بقلب الهمزة ياء)[2] .

الثانية تحقيقها مثل أَئمة وخطائىء . وقد نقل ذلك أبو زيد عن بعض العرب دون أن يحددهم[3] .

الثالثة ـ تخفيف الثانية مثل أَيمة.وهذا التخفيف شبيه بتخفيف الهمزة المتحركة المتحرك ماقبلها وهو غير همزة[4] .

الرابعة ـ تحقيقهما وزيادة ألف بينهما ، فيقال أائمة (آئمة)[5] .

الخامسة ـ تحقيق الاولى وتخفيف الثانية وزيادة ألف بينهما مثل أايمة (آيمة)[6] .

وقياسا على الهمزتين المتلاصقتين فى كلمتين والأولى منهما استفهامية ـ على ماسنعرض ـ نعزو الصنف الرابع إلى تميم والخامس إلى الحجازيين ، وإن كنا نرى احتمال نطق التميميين لجميع الصور الأخرى بوصفهم من المحققين .

القراءات ومناهج المحققين :

ولقد قرأ القراء هذا النوع وفق المناهج المختلفة التى نسبت للمحققين[7] .

---

(١) المرجع السابق ، ويفترض الأخفش إيم للأخير وإن كان الوزن غير مستعمل عند العرب .

(٢) شرح الشافية ٣/٥٥ ، وشرح الأشمونى ٤/٢٩٩

(٣) شرح الشافية ٣/٥٨ (٤) المرجع السابق

(٥) المرجع السابق (٦) المرجع السابق

(٧) انظر : القراءات الخاصة بكلمة « أئمة » فى الإتحاف ٢٤٠

(ب) فى كلمتين :

عند اجتماع همزتين فى كلمتين لا تكون الثانية إلا متحركة لأنها فى أول الكلمة ؛ أما الأولى فهى إما استفهامية وإما غير استفهامية .

أولا – الأولى استفهامية[1] : وذلك مثل قوله تعالى (أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون)[2] وقد كان للعرب فى هذه الحالة مناهج أربعة :

١ – تحقيق الأولى وتخفيف الثانية[3] .

٢ – تحقيقهما[4] .

٣ – تحقيقهما وزيادة ألف بينهما[5] .

٤ – تحقيق الأولى وتخفيف الثانية وزيادة ألف بينهما[6] .

وعزى النهج الثالث إلى بنى تميم والرابع إلى الحجازيين[7] ، أما الأول والثانى فكانا لمحققين وإن لم يحددوا – فيما أعلم – .

موقف القراءات من نهج المحققين :

إذا اتجهنا إلى القراء الأربعة عشر لنرى موقفهم من قوله تعالى : (أأنذرتهم) كمثال لهمزتين أولاهما استفهامية – وجدناهم يقرءون وفق مناهج المحققين على النحو التالى .

١ – ورش ورويس وابن كثير قرءوا بتحقيق الأولى وتخفيف الثانية .

---

(١) وقد عد علماء القراءات هذا النوع فى الكلمة الواحدة ذات الهمزتين (انظر : السبعة فى القراءات ١٣٦ ، والتيسير ٣١ ، وإتحاف ٤٤) .

(٢) البقرة ٢/٦

(٣) المقتضب ١/٢٩٥ والحجة للفارسى ١/٢١٢

(٤) الحجة للفارسى ١/٢٠٤

(٥) الكتاب ٣/٥٥١ ، والمقتضب ١/٢٩٩ ، والحجة ١/٢٠٨

(٦) الحجة ١/٢١٢

(٧) الكتاب ٣/٥٥١ ، وشرح المفصل ٩/١١٨ – ١٢٠ (وفيه عرض للمناهج الأربعة) .

٢ـ ابن ذكوان وهشام ؛ وعاصم وحمزة والكسائى وروح وخلف والحسن والأعمش حققوهما .

٣ـ هشام قرأ بتحقيقهما وزيادة ألف بينهما[١] وهو النهج الذى عزى إلى التميميين .

(ب) الأولى غير استفهامية :

والأولى إما متحركة أو ساكنة ، أما الثانية فكما قلنا لا تكون إلا متحركة .

أولا : الهمزتان متحركتان : وذلك نحو قوله تعالى : (فقد جاء أشراطها) [٢] وكانت مناهج العرب على النحو التالى :

١ـ الحجازيون كانوا يخففون الهمزتين[٣] .

٢ـ وغير الحجازيين ساد بينهم :

(أ) تحقيق الأولى وتخفيف الثانية .

(ب) تحقيق الثانية وتخفيف الأولى[٤] .

(ج) تحقيقهما جميعا ، يقول الرمانى (٣٨٤ هـ) : « وهو مذهب كثير من بنى تميم وقرأ بذلك القراء وثبت من أوكد الوجوه التى تثبت بها الأخبار الصحيحة »[٥] .

(د) حذف أولى المتفقتين كما فى (جاء أشراطها) .

(هـ) قلب أولى المتفقتين حرف مد صريح[٦] .

وبكل هذه المناهج التى عزيت إلى المحققين قرأ القراء[٧] .

---

(١) إتحاف ١٢٨ وفيما يلى تعريف بورش وهشام :

(أ) عثمان بن سعيد المصرى الملقب بورش أحد راويى نافع . توفى بمصر سنة ١٩٧ هـ (التيسير ٤) .

(ب) هشام بن عمار الدمشقى ، أحد راويى ابن عامر . وتوفى بدمشق ٢٤٥ هـ (التيسير ٦) .

(٢) محمد ١٨/٤٧

(٣) الكتاب ٥٥٠/٣ وشرحه للرمانى ١٣١/أ ، وشرح الشافية ٦٦/٣ ، وشرح المفصل ١١٩/٩

(٤) الكتاب ٥٤٩/٣ ، وشرح المفصل ١١٨/٩

(٥) شرح الكتاب للرمانى ١٣١ / أ

(٦) شرح الشافية ٦٥/٣ ، ٦٦

(٧) راجع : إتحاف ٥١ — ٥٣

ثانيا : سكون الأولى وتحرك الثانية :

وذلك مثل « أقرئْ أباك السلام » وكان نهج العرب فى نطقهما على النحو التالى :

١ ـ خففهما الحجازيون ، فقالوا « أقرىَ بَاك السلام » .

٢ ـ غير الحجازيين كانوا طوائف أربع :

(أ) تحقيق الأولى ونقل حركة الثانية المخففة اليها ، فيقال : أقرىءَ باك .

(ب) تحقيق الثانية وحدها وقلب الأولى المخففة حرف مد وفق نطق الحرف السابق ، فيقال : أقرى أباك .

(ج) تحقيقهما وذلك كما فى الهمزتين المتحركتين .

(د) إدغام الأولى فى الثانية ، فقالوا : أقر أّباك[1]

التفسير الصوتى :

نخلص مما سبق أنه إذا اجتمع فى الكلمة أو فى الكلمتين همزتان متجاورتان :

١ ـ فإن الحجازيين كانوا يخففونهما إذا كانت الأولى ساكنة ، وإذا كانتا متحركتين حققت الأولى وخففت الثانية وزيد بينهما ألف .

٢ ـ إن المحققين نطقوا بعدة صور ، هى : تحقيقهما أو تحقيق إحداهما وتخفيف الأخرى ، وزيادة ألف بين المحققتين أو المخففة إحداهما .

٣ ـ إنه لم ينسب إلى التميميين صراحة إلا فى حالة الهمزتين المتحركتين فى كلمتين وكانت أولاهما همزة استفهام ، وقسنا عليها مالم تكن الأولى استفهامية . وهذه النسبة لا تعنى أن التميميين اقتصروا فى نطقهم عليهما ، لأن حالات اجتماع الهمزتين كثيرة ومتنوعة . ولذا فإننا نرى احتمال نطق التميميين لجميع الصور التى عزيت إلى المحققين ، وأنها كانت موزعة فى البطون التميمية .

٤ ـ الطرق التى عامل بها المحققون الهمزتين غير تحقيقها ـ لأن ذلك هو الأصل ، وكذلك غير إدغام الهمزة الأولى الساكنة فى المتحركة التى تليها ، وذلك قانون عام فى جميع الأصوات الصامتة ـ هى : الحذف ، والإبدال ، والتخفيف ، وتحقيقهما وزيادة ألف بينهما . وقد لجأ المحققون إلى هذه الطرق الأربع هروبا من توالى الصوتين المتماثلين ، وهو مما يدخل فى باب التغاير (dissimilation) :

---

(١) شرح الشافية ٣/٦٦

(أ) الحذف :

وهو حذف إحدى الهمزتين ، وقد يحل صوت آخر مكانها .

أولا : الحذف دون إحلال صوت آخر : ونلاحظ الحذف دون إحلال صوت آخر مكانها لدى المحققين الذين تنتمي إليهم تميم في الكلمتين المتجاورتين إذا كانتا متفقتين كما في قوله تعالى (فقد جاءَ أشراطها)[1] و (ومن وراءِ إسحاق)[2] .

ثانيا : الحذف مع إحلال صوت آخر : وقد يكون صوت لين وشبه صوت لين :

١ ــ صوت اللين :

(أ) في الكلمة الواحدة : إذا اشتملت الكلمة على همزتين الأولى متحركة والثانية ساكنة كآمن . والذي حدث هو أن الهمزة الثانية سقطت ومدت حركة الهمزة الأولى ، أي أنه عوض عن الصوت الساقط بطول الحركة . وهذا الصنيع يعد من التماثل الكلي الإتباعي المتصل . وبتعبير آخر تحول التماثل الكلي المنفصل في الكلمة إلى متصل .

(ب) في الكلمتين : وذلك بحذف أولى المتفقتين ومد حركة الصامت السابق لها ، مثال ذلك (فقد جا أشراطها) .

٢ ــ شبه صوت اللين :

وهو الواو والياء ومواضعه هي مواضع الإبدال التي سنتناولها فيما يلي .

(ب) الابدال :

ويراد به قلب الهمزة ياء أو واوا . وإذا نظرنا إلى مخرج الهمزة وهو الحنجرة[3] ومخرج كل من الياء والواو وهما وسط الحنك مع الياء وأقصاه مع الواو[4] ، نجدهما متباعدين مما يحول دون التبادل بين الهمزة وإحداهما . وأما تفسير مالاحظناه من قلب الهمزة إلى هذين الصوتين ، فإنه لما اجتمعت همزتان متتاليتان فوفقا لميل العربية إلى التخلص من توالي الأمثال[5] ، حذفت الهمزة الثانية وبقيت حركتها :

---

(١) محمد ٤٧/١٨ (٢) هود ١١/٧١

(٣) المدخل إلى علم اللغة ٧٧ (٤) الأصوات اللغوية ٤٢

(٥) وذلك على نحو ما نلاحظ في صيغ تفعل و « تفاعل » و « تفعلل » مع تاء المضارعة إذ يغلب أن يكتفي بإحدى التائين مثل « تذكرون » في تتذكرون » (انظر : التطور اللغوي وقوانينه ١٤٥)

(أ) فى حالة اليـاء :

١ ـ اذا كانت كسرة ـ وهى فى هذه الحالة قد تسبق بكسرة أو ضمة أو فتحة فى الكلمة الواحدة أو فى الكلمتين بسكون . ولما كان من المتعذر أن ينطق صوت صامت consonant وهو الهمزة وتليه حركتان (الحركة الخاصة بها وحركة الصوت المحذوف) تولد بين الحركتين صوت يسمى « الانزلاق » وهو الياء هنا ، فكلمة « أئمة » تطورت على النحو التالى :

أئمة ʾaʾimmah ← أ ـِ مة ʾaimmah بسقوط الهمزة الثانية وبقاء حركتها ـ وهذه الحالة هى التى تعرف بهمزة « بين بين » أو التخفيف ـ ← أيمة ʾayimmah بحلول الصوت الانزلاقى الياء بدل كسرة الهمزة المحذوفة[1] .

٢ ـ إذا كانت الهمزة الثانية مفتوحة ، أو مضمومة ، وكانت الأولى السابقة لها مكسورة تتغلب الكسرة على الفتحة والضمة ، ثم تتم العملية التى تحدثنا عنها فى الحالة السابقة مثل إيَمّ .

(ب) فى حالة الواو :

١ ـ إذا كانت حركة الهمزة الثانية الباقية بعد حذفها ضمة ، وتكون بعد ضمة أو فتحة فيحدث لهما ما حدث مع الياء ، بيد أن الذى تكون هنا هو الصوت الانزلاقى الواو .

٢ ـ إذا كانت الهمزة الثانية مفتوحة والأولى مضمومة ، وهنا يحدث الصوت الانزلاقى الواو .

وقفة :

لقد تبين لنا أن الحركات الثلاث كانت من حيث قوتها عند العرب : الكسرة (وتتبعها الكسرة الطويلة والياء) ، تليها الضمة (وتتبعها الضمة الطويلة والواو) ، تليهما الفتحة (وتتبعها الفتحة الطويلة) . ولذلك راعى علماء العربية ذلك فى الرسم

---

(١) من حديث شخصى مع الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب .

الإملائى للهمزة المتوسطة . إذ غلبوا الكسرة على كل من الضمة والفتحة ، سواء أكانت حركة للهمزة أم للحرف السابق لها[١] .

لكن علماء اللغة المحدثين وعلى رأسهم الدكتور إبراهيم أنيس يخالفون مالاحظناه من ترتيب لهذه الحركات من حيث قوتها ، فهى عندهم الضمة فالكسرة فالفتحة[٢] وبنوا على ذلك ميل لغات البدو إلى الضم مقابل الكسر عند الحضر ، وإن كنا فى بحثنا هذا لم نلاحظ بالنسبة لتميم (وهى بدوية) بمقارنتها مع الحجازية رجحان إحدى الكفتين على الأخرى ، بل لاحظنا ميل التميميين إلى شبه صوت اللين الياء فى مقابل الواو عند الحجازيين ، كما لاحظنا كسر ما فتحه غيرهم وهذا ما يجعل الميزان الذى وضعه الدكتور أنيس يختل من وجهة نظرنا .

(ج) التخفيف :

ويذكر سيبويه أن المراد به همزة « بين بين »[٣] وذلك بأن يكون مخرج الهمزة بينها وبين الحرف الذى منه حركتها . فإذا كانت مفتوحة تجعل بين الهمزة والألف وإذا كانت مضمومة تكون بين الهمزة والواو ، وإذا كانت مكسورة تكون بين الهمزة والياء[٤] ، « أى هى [همزة] ضعيفة ليس لها تمكن المحققة ولا خلوص الحرف الذى منه حركتها »[٥] .

وقد لاحظنا التخفيف عند المحققين فى اجتماع الهمزتين المتحركتين فى كلمة واحدة وفى اجتماعهما فى كلمتين متلاصقتين :

١ ـ فى الكلمة الواحدة : تخفف الثانية اذا كانت متحركة وما قبلها متحركة .

---

(١) انظر : تاريخ الهمزة وقواعد رسمها فى العربية (فى الجزء الثالث من كتاب فى أصول اللغة) ٢٩١

(٢) فى اللهجات العربية ٩٦

(٣) الكتاب ٣/٥٤١

(٤) سر صناعة الإعراب ١/٥٣ ، وهامش الكتاب (من شرح السيرافى) ٣/٥٤١ والمراد بالألف هنا الفتحة الطويلة .

(٥) سر صناعة الإعراب ١/٥٥ .

٢ ـ فى الكلمتين : والأولى ليست استفهامية ، فهما إذن متحركتان وكان . للمحققين طريقان :

(أ) منهم من خفف الأولى وحقق الثانية .

(ب) ومنهم من خفف الثانية وحقق الأولى .

والتفسير الصوتى لهذا التخفيف أو النطق بهمزة بين بين ، أن الهمزة سقطت وبقيت حركتها ولم تتأثر بالحركة السابقة لها تأثرا يجعلهما يكونان معا شبه صوت لين ، ولم تحذف الحركة مع الهمزة بدليل أن علماء العربية عدوا هذه الهمزة حرفا صامتا له قيمة فى الوزن العروضى[1] .

(د) زيادة ألف بين المحققين :

بقيتْ حالة للمحققين عزيت إلى تميم صراحة وهى تحقيق الهمزتين وزيادة ألف بينهما . والتميمى هنا تهرب من توالى الأمثال بزيادة هذه الألف وهذا ما لاحظناه فى غير المهموز ودرسناه فى موضع خاص ألحقناه بالتغاير .

---

(١) انظر : سر صناعة الإعراب ١/٥٤

ثانيا : ابدال الهمزة بالواو المكسورة

الواقعة فاء لـ « فعال »

عزى إلى تميم أنهم كانوا يقلبون الواو المكسورة فى أول الكلمة التى على وزن «فِعال» همزة ، قال الخليل (ت نحو ١٧٥ هـ) : « تقول : وَسِد فلانٌ فلانا ، وتوسد هو إذا وضع رأسه على وِسادة ، وان كان من التراب والحجارة . ولغة تميم إسادة . وكذلك لغتهم فى كل واو مكسورة فى الأَدوات على بناء فِعال وفِعالة »[1]

ويؤكد ابن منظور (ت ٧١١ هـ) قول الخليل ، فينقل عن ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) أن « الوَقْط والوقيط كالرَّدْهة فى الجبل يستنقع فيه الماء »[2] ويعقب على ذلك بأن لغة تميم فى جمعه الإقاط مثل إشاح ، يصيرون كل واو تجىء على هذا المثال ألفا »[3]

ألفاظ على غير « فعال » :

وإذا كانت هذه هى القاعدة عند تميم ، فقد وجدنا بالإضافة إلى ذلك ألفاظا أخرى تعزى إليها ليست على « فِعال » ، فقد كانت تقول : آصدت البابَ ، بمعنى أطبقت شيئا عليه ، وأكَّدت تأكيدا ، أما الحجازيون فكانوا يقولون : وكَّدت توكيدا[4]

أصالة الهمزة فى « أكاف » عند تميم :

كان التميميون يقولون الإكاف وينطقه الحجازيون الوِكاف ، وهو ما يوضع على ظهر الدابة . ولم يقتصر الأَمر على الاسم وإنما تعداه إلى الفعل فنسب إلى تميم « آكف » وإلى الحجاز « أَوكف » بمعنى وضع الإكاف على الدابة[5]

وكلمة « الوكاف » تنطبق عليها الشروط التى حددها الخليل لقلب الواو همزة ، فهى أداة على « فِعال » واوها مكسورة . لكن الأَمر بالنسبة لهذه الكلمة يختلف عن

---

(١) البارع ١٤٦

(٢) اللسان (وقط) ٩/٣١٢ ، ٣١٣ ، والنص فى المحكم (وقط) ٦/٣٢٩

(٣) اللسان (وقط) ٩/٣١٣ (٤) المزهر ٢/٢٧٧

(٥) تهذيب اللغة (وكف) ١٠/٣٩٥ واللسان (أكف) ١٠/٣٥١ ، (وكف) ١١/٢٨١ ، والمزهر ٢/٢٧٧ (والإكاف وهو بردعة الحمار ونحوه المعجم الكبير — أكف ١/٣٩١ ») .

غيرها من كلمات فتميم لم تقلب الواو همزة وإنما الأصل هو الهمزة وقلبت واوا عند الحجازيين[1]. وتتبين أصالة الهمزة من أن الكلمة دخيلة من الآرامية ܐܘܟܦܐ ʾawkfā وفى السريانية لغة بكسر الهمزة[2].

اكاف واللغة المشتركة :

شاعت الصيغة التيميمة لهذه الكلمة وهى « إكاف » واستعملتها اللغة المشتركة، فقد روى عن أسامة بن زيد أن النبى صلى الله عليه وسلم « ركب حمارا عليه إكاف تحته قطيفة فَدَكِيَّةٌ وأردف وراءه أسامة »[3].

كما وردت الصيغة نفسها فى رجز للعجاج، وهو قوله :

* كالكوْدن المشدودِ بالإكاف *[4]

تضاد الخاصية :

إذا كانت تميم قد آثرت الهمزة على الواو سواء أكان ذلك فى نوع من الألفاظ مطرد قلبت فيه تميم الواو همزة أم كان فى ألفاظ أخرى لا تنطبق عليها قاعدة الإطراد أم أنها هى التى حافظت على الهمزة وأبدلها غيرهم واوًا، فإننا نرى الأمر على العكس فى صيغتى « أَرَّخ » و « ورّخ » إذا آثرت تميم الواو على الهمزة، جاء فى « الأزمنة والأمكنة »، « ورّخت توريخًا لغة بنى تميم وأرخته تأْريخًا لغة قيس »[5].

ونلاحظ أن تميمًا احتفظت فى هذه الكلمة بالأصل وأن القيسيين هم الذين أبدلوا الواو همزة إذ إن كلمة « وَرْخ » تدل على معنى القمر أو الشهر فى كثير من اللغات السامية[6].

الخلاصـة :

نخلص مما تقدم أن تميمًا :

١ ــ قلبت الواو همزة مكسورة فى كل ما جاء على « فِعال » اسمًا لآلة أو أداة إلّا فى لفظ واحد أصله بالهمزة وقلب عند غيرهم واوا وهو « إكاف »، فأصبح « وكاف ».

(١) غرائب اللغة العربية ١٧٣ (٢) المعجم الكبير (أكف) ١/٣٩١

(٣) صحيح مسلم ١٤٢٢

(٤) شرح الديوان ١١٢ (الكودن : البغل — اللسان «كدن» ١٧/٣٣٦)

(٥) الأزمنة والأمكنة ٢/٢٦٧ (٦) المعجم الكبير (أرخ) ١/١٨٧

٢ ـ قلبت الهمزة فى غير ما سبق واوًا فى كلمات معينة والأمثلة التى عزيت لها كانت الهمزة فيها مفتوحة .

٣ ـ ظهر الطريق المضاد فى كلمة « وَرَّخ » فنطقتها تميم بالواو ونطقتها قيس بالهمزة . وقد حافظت تميم على النطق الأصلى .

مشاركة الهذليين للتميميين فى الخاصية :

عزيت هذه الخاصية التميمية أيضًا إلى هذيل فيذكر أبو حيان أن « ذلك مطرد فى لغة هذيل ، يبدلون من الواو المكسورة الواقعة أولًا همزة »[١] ، كما نسبها إليهم المرادى[٢] . وعزا ابن دريد إليهم « إشاح »[٣] و « إسادة »[٤] مقابل وشاح ووِسادة . كما عزيت إليهم كلمة « أُقتت » بدلا من « وقتت » والهمزة فى هذه الحالة الأخيرة مضمومة[٥] .

ويتبين من هذا أن قلب الواو المكسورة فى أول الهمزة مما جاء على « فِعال » كان مطردًا عندهم كما هو الشأن عند التميميين ، فهم بهذا يتفقون أيضًا مع تميم وإن لم تتفق القبيلتان فى الكلمات المفردة . أما ضمها فوجود كلمة منسوبة إليهم من هذا النوع لا يعد دليلا على اطراده عندهم . وإن اتفاق تميم فى خاصية مع قبيلة عربية أخرى ليس غريبًا ولا شاذًا عن سنن اللغات العربية ، فقد شاركت تميم غيرها فى خصائص كثيرة مما عرضنا وسنعرض .

وقد تناول الدكتور أحمد علم الدين الجندى هذه الخاصية على أنها هذلية[٦] ـ وذلك بناء على كلام اللغويين الذين ذكرنا أنهم عزوها لهذيل ـ فنسب إليهم قلب الواو الأولى همزة فى حالتى الكسر والضم وعزز رأيه بوجود الخاصية فى بعض أشعار الهذليين .

وليس لنا اعتراض على ما ذهب إليه الدكتور الجندى ، ولكن الاعتراض على نفيه هذه الخاصية عن تميم وإثباتها للهذليين وحدهم ، يقول : « وأُرجح أن الذى دفعه [أى ابن منظور] إلى ذلك الرأى هو أن الهمزة من خصائص تميم فى الأصل ، وهو كذلك ، إلّا أن الفصحى قد اتخذت الهمز شعارًا لها وأصبح الهمز ينتمى إليها أكثر من انتمائه إلى بيئة

---

(١) البحر ٥/٣٣٢

(٢) حاشية الصبان على الأشمونى ٤/٢٩٦

(٣) جمهرة اللغة ٢/١٦١

(٤) المرجع السابق ٢/٢٦٧

(٥) مقدمة كتاب « المبانى » (ضمن : مقدمتان فى علوم القرآن) ٢٢٣ – مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٤ . والكلمة ساقطة من طبعة الخانجى ١٩٧٢م) .

(٦) فى بحثه المقدم – ضمن أعمال لجنة اللهجات – إلى مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى الجلسة الثالثة للدورة الثامنة والأربعين (فى ١٩٨٢/٢/٢٤) بعنوان « من الخصائص اللغوية لقبيلة هذيل القديمة » .

تميم . ولهذا أرى أن هذيلًا وهى التى تسهل الهمز شعرت بالنقص لهذا فحققوا هذه الصيغ بالشروط التى أشرنا إليها كرد فعل لإحساسهم بشعورهم بالنقص فى الظاهرة العامة عندهم وهى تسهيل الهمز » .

وابن منظور لم ينفرد بنسبة هذه الظاهرة إلى تميم وإنما عزاها إليهم الخليل بن أحمد ، وعنه نقل القالى . وإذا كانت هذيل قد قلبت الواو همزة ، فلم يكن ذلك لشعور بالنقص ؛ لأن هذه الهمزة تقع فى أول الكلمة ، ويستوى فى تحقيقها المحققون والمخففون إذ الجميع متفقون على تحقيقها والأمر كذلك بالنسبة للغات السامية بعد تخفيفها الهمزة . والأمثلة التى ضربها الدكتور الجندى وذكر اللغويون أن ناطقيها ممن لم يكونو يحققون ورغم ذلك همزوها وهى فى الأصل غير مهموزة . وهذه الأمثلة هى : حلَّأْتُ السويق ، ورثأْت ، زوجى واستلأمت الحجر ، ولبَّأت بالحج — ليست مهموزة الأول .

أما القول : بأن هذه الخاصية وجدت فى شعر هذلى ، فقد وجدت كلمة « إكاف » فى رجز لرؤبة . ثم إن عدم وجود الخاصية فى الشعر ليس دليلًا على عدم وجودها فى لغة أولئك الشعراء ؛ لأن الشعراء كانوا فى الغالب يترفعون عن ذكر خصائصهم اللغوية . ذلك إلى أننا لم ننفها عن الهذليين .

والخلاصة أننا لا نستطيع أن ننفى نسبة هذه الخاصية إلى أى من القبيلتين ؛ لأننا نحتكم إلى نصوص للغويين ، ومن الصعب ترجيح ما ينسب إلى قبيلة على ما ينسب إلى أخرى . اللهم إلّا إذا قلنا : إن هناك تصحيفا ، وهو ما نراه بعيدًا بين كلمتى « تميم » و « هذيل » .

تفسير الظاهرة :

مخرج الهمزة — كما سبق أن تبين لنا — من الحنجرة ، والواو مما بين أقصى اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى ، فهما متباعدان ولا توجد علاقة صوتية تجعلها يتبادلان . أما تفسير ذلك فهو أن التميمى توهم أن الواو أصلها همزة وأن غيره نطقها من باب التخفيف ، فنطقها هو همزة . وصنيعه هذا **يعد من باب الحذلقة** . .

ثالثا : نبر الهمز (*)

جاء فى الدرر اللوامع : « ربما فر من التقاء الساكنين فى المتصل بإبدال همزة مفتوحة من الألف . . . والفارُّ من ذلك عُكْل وتميم ، تجعل همزة مفتوحة بدل الألف ، نحو قول هؤلاء : الفأرّ ، من دأبّة ، وشأبّة ، وقرئ فى الشواذ ولا الضألّين »[1] .

هذا النص يبين لنا أن التميميين – وشاركهم العُكْليون ، وهم بنو عمومة تميم – لم يكتفوا بالمحافظة على تحقيق الهمز ، وإنما همزوا صوت اللين الألف (الفتحة الطويلة) ، إذا وليها صوت مضعف وحركوا هذه الهمزة بالفتحة لتتفق مع الألف ، وذلك فى حالة الوصل فقط .

موقف القراءات القرآنية :

أولًا : تعتد القراءات الشاذة بالكلمات التى أصابها التهميز ووردت فى القرآن الكريم فنرى :

١ – أيوب السختيانى[2] يقرأ : « وَلَا الضَّألِّين »[3] .

٢ – الحسن وعمرو بن عبيد يقرآن (جَأَنٌّ)[4] « والجَأَنّ »[5] بالهمز وتشديد النون[6] .

ثانيًا : وتروى لنا قراءات للتهميز فى غير الموضع الذى حدده النص وهو التقاء الساكنين ، من ذلك :

(*) «نبر الهمز» مصطلح وضعه مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى مقابل (accent glottal) (مجموعة المصطلحات العلمية ٩/١٠٤) .

(١) الدرر اللوامع ٢/٢٣٠

(٢) هو أبو بكر أيوب بن أبى تميمة كيسان السختيانى البصرى كان ثقة ثبتا فى الحديث . سمع أبا العالية و توفى سنة ١٣١ هـ (تذكرة الحفاظ ١/١٢٢) .

(٣) المحتسب ٢/٣٠٥ ، ومختصر فى شواذ القرآن ١

(٤) النمل ٢٧/١٠ ، الرحمن ٥٥/٥٦ (٥) الحجر ١٥/٢٧

(٦) المحتسب ٢/١٣٥ ، ٣٠٥ ومختصر فى شواذ القرآن ٧١ ، والقارىء الثانى هو : أبو عثمان عمرو بن عبيد البصرى ، روى عن الحسن البصرى وتوفى سنة ١٤٤ هـ (غاية ١/٦٠٢) .

١ ـ قراءة قُنْبُل (عَنْ سَأْقَيْهَا)[١] و (بالسُّؤْق)[٢] و (عَلَى سُؤْقه)[٣] بالهمز فى الكلمات الثلاث[٤] .

٢ ـ قراءة ابن كثير (ضِئْزَى)[٥] فى قوله تعالى : (تِلْكَ إِذَن قِسْمَةٌ ضِيزَى)[٦] .

ومن هذا يتبين أن التهميز لم يكن خاصًا بألف المد وحدها ، ولا بحالة الوقف فقط ، وإنما بكل أصوات المد دون التقييد بأن يليها صوتان من جنس واحد أولهما ساكن ، وأُرجح أن هذا التهميز كان نهج تميم فى هذه الكلمات وفى كلمات أُخرى غيرها ، بدليل ما نسب للعجاج وهو تميمى من أنه كان يقول : العأْلم والخأْتم فى العالم والخاتم[٧] .

أما سبب اقتصار صاحب الدرر على الحالة التى حددها فى النص المنقول عنه فلأن مجال تعليقه كان على التقاء الساكنين فى الوصل .

تفسير الظاهرة :

الكلمات التى أصابها التهميز صنفان :

(أ) صنف اشتمل على مقطع طويل مغلق فى وسطه . وهذا النوع من المقاطع لا يجوز فى العربية إلّا فى آخر الكلمة فى حالة الوقف عليها أو فى وسطها بشرط أن يكون التالى له مبتدئًا بصامت يماثل الصامت الذى ختم به[٨] ، وهو الذى تمثله الكلمات التى أصاب التهميز بعضها مثل « الضَّأَلِّين » ، هذا فى النثر . أما فى الشعر فهذا المقطع لا يجوز إلّا فى الوقف على القافية . فإذا أراد الشاعر استخدام لفظ يحتوى على هذا المقطع قسمه إلى مقطعين وذلك بهمز صوت اللين[٩] وهذان المقطعان

---

(١) النمل ٤٤/٢٧

(٢) سورة ص ٣٣/٣٨

(٣) الفتح ٢٩/٤٨

(٤) التيسير ١٦٨ ، والقارىء : محمد بن عبد الرحمن المكى المخزومى ويلقب قنبلا . أحد راويى ابن كثير . توفى بمكة سنة ٢٨٠ هـ (التيسير ٤ وانظر : تبصير المنتبه ١١٣٩) .

(٥) التيسير ٢٠٤

(٦) النجم ٢٢/٥٣

(٧) البحر ١٦٣/٦

(٨) فصول فى فقه العربية ١٩٤ ، ١٩٥

(٩) المرجع السابق ١٩٥ ، ١٩٦

الجديدان أولهما قصير مفتوح ، وثانيهما قصير مغلق فـ « ضَالْ » فى « الضَّالِّين » تصير : ضَ (مقطع قصير مفتوح) + أَلْ (مقطع قصير مغلق) .

ثم انتقلت بعض هذه الصيغ من الشعر إلى النثر .

(ب) والصنف الآخر وهو الذى لا يحتوى على المقطع الطويل المغلق فى وسطه مثل « سوْق » فقد همز من باب الحذلقة .

الصيغ التميمية من كلا الصنفين تعد إذن من الوجهة التاريخية أحدث من غير المهموزة .

رابعا : المقصور والممدود

يعرف النحاة المقصور بأنه الاسم المنتهى بألف لازمة[١] ، والممدود بأنه الاسم الذى فى آخره همزة تلى ألفًا زائدة[٢] ويشترط أن يكونا معربين . أما عدهم « هؤلاء » منهما فمن باب التجوز[٣] .

وقد صادفتنا أربعة ألفاظ وردت مقصورة وممدودة عزيت إحدى الصيغتين منها إلى تميم ، وهى : أولى ، والزنا ، والشرا ، وماه . فإلى أى منهما مالت تميم ؟ لنتناول كل كلمة على حدة ثم نعلق عليها جميعًا بصفة عامة .

١ — أولى :

هذا الاسم يقابله فى العبرية وآرمية العهد القديم ʾēllē و ʾēl

وفى الحبشية فى المذكر ʾellū وفى المؤنث ʾellā[٤] .

ونحن هنا أمام أحد أمرين :

١ — إمّا أنّ هاتين اللغتين الساميتين قد حافظتا على الأصل وهو عدم الهمز ، وأن الحجازية هى التى زادت عليها الهمزة كما زادتها فى كلمات خالفت فيها المجموعة الشرقية مثل نبيء .

٢ — وإمّا أنّ الأصل هو الهمز وحذف من اللغات السامية شأن كل مهموز ، وهذا يعنى أن الحجازية هى التى حافظت على الأصل فى هذه الكلمة وأن التطور تميمى .

وقد ذكر ابن منظور ثلاث صيغ لكلمتنا هذه :

(ا) هؤلاءٍ : ممدودة منونة ونسبت لبنى عُقَيْل .

(ب) هؤلاءِ : ممدودة مبنية على الكسر ونسبت إلى الحجاز .

(ج) هؤلا : مقصورة ونسبت إلى تميم[٥] .

---

(١) شرح ابن عقيل ٢/٤٣٧

(٢) المرجع السابق ٤٣٩

(٣) شرح الشافية ٢/٣٢٦

(٤) فقه اللغات السامية ٨٩ (الفقرة ١٥٤) .

(٥) اللسان (هذا) ٢٠/٣٤٠ ، ٣٤١

ونجد نسبة الصيغتين الحجازية والتميمية في مصادر عربية كثيرة مثل شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك[١] وأوضح المسالك[٢] وشرح شذور الذهب[٣] وشرح قطر الندى[٤] لابن هشام ، وهمع الهوامع للسيوطي[٥] ، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك[٦] على أن من العلماء من لم يجعل الصيغة الثانية خاصة بتميم ، فقد ذكر الشيخ خالد الأزهري الصيغتين (الحجازية والتميمية) نقلًا عن الفراء في كتابه « لغات القرآن » ونسب الصيغة المقصورة إلى أهل نجد من بني تميم وقيس وربيعة وأسد[٧] وعزاها النحاس إلى بعض أسد وقيس بالإضافة إلى تميم[٨] .

الصيغة التميمية واللغة المشتركة :

اعتدت الفصحى بالصيغة الحجازية ، ورغم ذلك وجدناها تستعمل أحيانًا اللغة التميمية . فنجدها في قول الأعشى (ت سنة ٧ هـ) :

هَؤلى ثم هَؤلَى كُلاًّ اَعْطـ يْت نِعَالًا مَحْذُوَّةً بمِثَالِ[٩]

٢ — الزِّنَاء :

استعمل التميميون الصيغة الممدودة (الزِّنَاء) في مقابل المقصورة (الزِّنا) عند الحجازيين[١٠] . وقد وردت التميمية في الشعر التميمي ، عند جرير والفرزدق[١١] ، كما وردت عند شعراء غير تميميين ونجدها في مثل قول النابغة الجعدي[١٢] .

٣ — الشراء :

نسب لأهل نجد القصر في مقابل المد (الشِّراء) إلى تهامة[١٣] وفي رواية أخرى إلى الحجاز[١٤] . ونَجْد كان يقطنها تميميون وغير تميميين .

---

(١) شرح ابن عقيل ١/١٣٣ (٢) ص ٢٥
(٣) ص ١٤٠ (٤) ١/٥٦
(٥) ١/٧٥ (٦) ١/١٢١
(٧) شرح التصريح ١٥١ (٨) إعراب القرآن ١/٨
(٩) ديوان الأعشى الكبير ١١
(١٠) اللسان (زنا) ١٩/٧٩ (عن اللحياني) ونسب المد في الصحاح (زنى) ٢٣٦٨ لأهل نجد .
(١١) ديوان جرير ٣٠ ، ١٣٤ ، وشرح ديوان الفرزدق ٢٧٣ (١٢) اللسان (زنا) ١٩/٧٩
(١٣) اللسان (شرا) ١٩/١٥٨ (١٤) التاج (شرا) ١٠/١٩٦

٤ ـ ماءة :

والمقصود بها الركية وقد استعملها التميميون ممدودة (ماءة) فى مقابل الصيغة المقصورة « ماة » عند بعض العرب الذين لم يحددوا[١] .

نحن أمام أربع كلمات وردت كل منها بصيغتين : مقصورة وممدودة ، نسب إلى تميم المد فى كلمتين منهما هما الزناء وماءة ونسب إلى الحجازيين المد فى الاثنين الأخريين (أولاء والشراء) وواحدة منهما (الشراء) عزى إليهم (أى الحجازيين) فى رواية وفى أخرى إلى تهامة .

الحكم على نهج التميميين ومقارنته بنهج الحجازيين لا يتضح بهذه الكلمات الأربع وحدها .

وإذا كان الدكتوران عبده الراجحى وعلم الدين الجندى يريان أن التميميين ومعهم أسد وقيس وربيعة كانوا يقصرون ، وأن الحجازيين كانوا يمدون :

(ا) فإن الدكتور الراجحى بنى رأيه على ما نسبه العلماء للصيغتين : أولى وأولاء[٢] . وتقعيد قاعدة لا يبنى على كلمة واحدة .

(ب) وإن الدكتور علم الدين الجندى بنى رأيه على :

١ ـ أولى : ونطق الحجازيين لها ممدودة والتميميين وبنى أسد وقيس وربيعة مقصورة[٣] . وهذا ما سلمنا به من قبل .

٢ ـ زكريا : ونسب المد والقصر لأهل الحجاز واستنتج أن قبائل شرق الجزيرة كانوا يقصرون معتمدا على نهج قراء الكوفة فى قراءة هذه الكلمة[٤] . لكننا لاحظنا فى أكثر من موقف أن القراء لم يكونوا يمثلون لغاتهم ، وهذا أمر توصل إليه من قبل الدكتور الراجحى[٥] ، ذلك إلى أن التميميين كانوا ينطقونه مشددا ، فيذكر الأخفش أن هذه الكلمة فيها أربع

---

(١) اللسان (موه) ١٧/٤٤٠

(٢) انظر اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ١٦٨ وقارن بما ورد بالمرجعين اللذين أشار إليهما وهما البحر المحيط . وشرح التصريح .

(٣) اللهجات العربية فى التراث ٤٣٥

(٤) اللهجات العربية فى التراث ٤٣٨

(٥) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ٢٠٤

لغات دون عزو إحداها ، وهى : زكرياء (بالمد) وزكريا (بالقصر) ، وزَكَرِىّ (بتشديد الياء والصرف) ، وَزَكَرٌ[١] ، فهوعلم أعجمى الأصل[٢] ، من المحتمل أنه من السريانية ܙܟܪܝܐ [٣] لذا تصرف فيه العرب كثيرًا كشأنهم فى المعربات . سمع الاسم لأول مرة وتصرف فيه كل سامع حسب إدراكه ووعيه وشاعت كل صيغة لدى بيئة كل سامع . وهذا ما نلحظه فى عصرنا الحاضر لدى العامة بالنسبة للألفاظ الأجنبية التى تذكر لأول مرة ، بل وللألفاظ العربية الفصيحة لأن شأنها عندهم شأن المعربات وذلك لجدتها على أسماعهم .

ونسب الفراء الصيغتين الممدودة والمقصورة إلى أهل الحجاز[٤] . والصيغة المشددة إلى تميم وغيرها ، وقد صرف هذا الاسم بهذه الصيغة رغم أنه أعجمى وفى ذلك يقول النحاس : « ما كان فيه ياء مثل هذا انصرف »[٥] .

وميل تميم لإعراب هذا الاسم يتفق وما سنذكره فى الباب الخاص بالنحو تحت عنوان « بين الصرف ومنعه » . وميلها إلى التشديد يتفق وما نلاحظه أيضًا من اتجاهها إلى التشديد عند الحديث عن تشديد الأسماء وتخفيفها .

فلا وجه للمقارنة إذن .

٣ ــ المِلْطاء : وهى القشرة الرقيقة التى بين عظم الرأس ولحمه[٦] ونسبها ممدودة إلى الحجاز اعتمادا على نص ورد بالمصباح[٧] . وبالرجوع إلى المصباح نجده يعزو القصر إلى غير الحجازيين دون أن يحددهم[٨] . ونجد إلى جانب ذلك من ينسب إلى الحجازيين السِّمحاق للدلالة على هذا المعنى[٩] .

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٤/ أ

(٢) المعرب ١٧١

(٣) Jeffery foreign vocabulary of the Qnr›an P.151

(٤) لم ينطق كل الحجازيين بالطبع الصيغتين ، وإنما نطق فريق هذه وفريق تلك .

(٥) إعراب القرآن ٣٤/ أ

(٦) اللسان (ملط) ٢٨٥/٩

(٧) اللهجات العربية فى التراث ٤٣٨

(٨) المصباح (لطى) ٥٥٤

(٩) اللسان (ملط) ٢٨٥/٩

٤ ـ السداء (البلحُ) : ونسب المد لأهل المدينة ولم ينسب القصر[1] .

الكلمات الثلاث السابقة إذن ليس بين صيغتيها تقارن بين الكتلتين الغربية والشرقية (ومنها تميم) .

٥ ـ الشراء : واعتمد على الرواية التى نسبت المد إلى تهامة والقصر لنجد[2] .

٦ ـ صَدّاء : الواردة فى المثل « ماءٌ ولا كصدّاء »[3] . وإذا ما رجعنا إلى « لسان العرب » نجده يعزو المثل – عن أبي الهيثم – إلى قَذُور بنت قيس بن خالد الشيبانى وكانت زوجة لقيط بن زرارة ، فلما مات تزوجها رجل من قومها ، فقالت هذا المثل عندما طلب منها المقارنة بينه وبين زوجها السابق[4] . ولقيط : أحد زوجى القائلة تميمى[5] ، وهى وزوجها الآخر شيبانيان . ومعنى ذلك أن الثلاثة لا ينتمون إلى البيئة الحجازية وإنما إلى شرق الجزيرة .

٧ ـ الزناء : وعندما جاء إلى هذه الكلمة وذكر بيتى الفرزدق والجعدى مال إلى أن المد فى البيتين للضرورة[6] ، لكن الضرورة كان من الممكن قبولها لو لم يكن المدّلغة ، ذلك إلى أن مما يعضد ورودها فى البيتين على أنها لغة مجيئها ممدودة فى بيتين ـ أشرنا إليهما من قبل – لجرير وهو تميمى .

نخلص من كل ما سبق أننا لا نسلم للدكتور الجندى إلّا بكلمة واحدة هى «أُولاء» التى يمكن أن تقارن بين البيئتين التميمية والحجازية وأن كلاًّ منهما خالفت نهجها فى هذه الكلمة . إذ إن المد يتسق والبيئة التميمية والقصر والبيئة الحجازية ، فالمد ليس سوى تحقيق الهمز والقصر ليس إلّا تخفيفها . ومما يرجح اتجاه التميميين إلى المد :

١ ـ وجود مواضع تميمية ممدودة مثل الأحساء ، وثرمداء والجواء والحناءة وشقراء ، واللُّهَيْماء :

(١) اللهجات العربية فى التراث ٤٣٩

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق

(٤) اللسان (صدأ) ١/١٠٤

(٥) جمهرة أنساب العرب ٢٣٢

(٦) اللهجات العربية فى التراث ٤٣٩

(أ) وقد وردت « ثرمداء » فى شعر علقمة :

وما أنتَ أم ماذِكرُها رَبعيَّةً يُخَطُّ لها من ثَرْمداءَ قليب[1]

كما وردت فى قول العجاج :

* بثَرْمَداءَ جَهْرَةَ الفِضَاحِ *[2]

(ب) والحِنَّأة : قال عنها الأزهرى : « ورأيت فى ديارهم [أى بنى تميم] ركية تدعى الحنأة وقد وردتها »[3] .

(جـ) واللُّهيْمَاء : وهو ماء كان ينزله ناس من بنى مجاشع[4] .

٢ ـ ومن أسماء أعلامهم « حَبْنَاء » وهو والد الشاعر المغيرة بن حبناء[5] .

٣ ـ كان بنو تميم يعبدون صنما اسمه « رُضاء » ذكرناه عند الحديث عن « دياناتهم » قال فيه المستوغر بن أبى ربيعة يوم أن هدمه :

* ولقد شددْتُ على رُضَاء شدَّة *

وفى رأيى أن المد هو الأصل ؛ لأنه عبارة عن همز والقصر فرع منه وأن وجود كلمات مقصورة فى البيئة التميمية ليس معناه أنها تقصر الممدود ، بل إنها تطورت عندهم ، ووجود كلمات ممدودة فى البيئة الحجازية يعنى بقاء محافظتها على الأصل . وفى كل لغة توجد كلمات خارجة عن قاعدتها . ونحن فى عاميتنا المصرية رغم أننا لا نمد الكلمات بل نقصرها ونبدل الألف المقصورة هاء فنقول : حمرة وخضرة بدلًا من حمراء وخضراء ، ننطق بعض كلمات ممدودة فنقول : سناء ، وشفاء ، وصفاء ، ونجلاء ، وأسماء ، والسبب فى نطق هذه الأسماء ممدودة أن أول من سمى بها حديثا مثقفون فنطقوها كما كانت تنطق فى اللغة المشتركة ، ثم تابعهم العامة فى نطقها ممدودة .

(١) شرح ديوان علقمة ٢٠
(٢) شرح الديوان ٤٣٩
(٣) تهذيب اللغة ٥/٢٥٢
(٤) معجم ما استعجم ٤/١١٦٤ ، ١١٦٥
(٥) الأغانى ١٣/٨١

ورغم اتجاه تميم إلى المد ، نجد بعض المحققين يحرصون على كتابة بعض أماكنهم مقصورة رغم كتابتها ممدودة فى المخطوطات التى اعتمدوا عليها :

١ ـ نلاحظ ذلك بالنسبة لكلمة « رُضاء » فقد كتبت مقصورة فى كتاب « الأصنام » ويذكر أحمد زكى باشا محقق الكتاب تعليقا على هذا الصنم بعد أن ذكره مقصورا « رُضى » « أن البغدادى جعله ممدودا » كما قال (أى المحقق) « وفى هامش نسختنا (أى المخطوطة) ما نصه : رُضَى صوابه رُضاء بلا تنوين »(١) .

٢ ـ ونلاحظ ذلك أيضا عند محقق « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم . فقد جاء فيه وعُصَيْمة بن عاصم بن قيس بن عاصم ، قطعت يده يوم الوَقَبى »(٢) . وقد علق المحقق على هذا الموضع بقوله : رسمت فى أ مرة الرقبا ومرة الوقبا وفى سائر النسخ : الوقباء »(٣) .

---

(١) الأصنام ٣٠ هامش رقم ٢

(٢) جمهرة أنساب العرب ٢١٦

(٣) المرجع السابق الحاشية رقم ٥

الفصل الثالث

القلب المكانى

نسب إلى تميم عدة ألفاظ خالفت فيها غيرها من اللغات فى ترتيب أصوات الكلمة مع احتفاظ الصورتين بدلالة واحدة ، وهذه الألفاظ هى : جبذ ، ورَعمْلى ، وصاقِعة ، وطُوُوى (أى أحد) ، وأُطْسُمّة ، وعثى ، وقرع ، ومَعِيق ، وهَلِع ، وذلك فى مقابل : جذب ، ولعمرى ، وطوئى ، وأُسطمة ، وعاث ، ورقع ، وعَمِيق ، وعَلِه . وتسمى هذه الظاهرة بالقلب المكانى ، يقول ابن فارس : « ومن سنن العرب القلب ، وذلك يكون فى الكلمة وفى القصة ، كقولهم : جذب وجبذ ، وبكَلَ ولَبَكَ[1] وهو كثير قد صنفه علماء اللغة »[2] .

ويرجع وجود القلب إلى صعوبة التتابع الصوتى لمجموعة من المقاطع ، وذلك لعدة أسباب ، منها :

١ ــ عدم سماع الكلمة بوضوح ، لذا نرى أنه يكثر فى البيئات الصحراوية حيث تضطر ظروف حياة ساكنيها إلى المخاطبة من مسافة بعيدة أحيانا .

٢ ــ أخطاء الأطفال ، فالطفل ينطق بتقديم وتأخير ، ثم لا يجد من يصوب له فينشأ على النطق الجديد ، وقد يقيم هذا الطفل بعد كبره بعيدًا عن عشيرته فينشأ أبناؤه على خطأ أبيهم ، ثم تصبح هذه خاصية لهم فينطقون الكلمة بترتيب يختلف عن ترتيب غيرهم . والطفل يخطىء فى الترتيب لعدم سماعه الكلمة بوضوح ، أو كما يقول يسبرسن : إن الطفل يصعب على ذاكرته الضعيفة تذكر سلاسل الأصوات مرتبة[3] .

والقلب المكانى ليس خاصًا بالعربية دون غيرها ، بل هو ظاهرة فى كل الألسنة وإن كان من اللغويين من ينكر وجوده فى غيرها ، يقول أحمد فارس الشدياق : « وفى الحقيقة

---

(١) وهما بمعنى خلط ، انظر : اللسان (بكل) ١٣/٦٦

(٢) الصاحبى ٢٠٢

(٣) مسطرة اللغوى (تصدير العدد ٢٩ من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة) ٩ عن :
Jespersen, Language p. 180. 181.

فإن اللثغة والقلب والإبدال فى العربية غريب جدًّا لا يعرف فى غيرها من اللغات »[١] ، لكن الواقع يؤيد وجوده ، فمن أمثلته فى الفرنسية الكلمة العامية areoplane المقلوبة عن aéroplane (طائرة) ، والكلمة اللاتينية scintilla[٢] (مثقال ذرة) التى تحولت إلى stincilla ، ثم أصبحت فى الفرنسية etencelle . ومن أمثلته فى الساميات ʾersentū و ʾesfentū (كَمْ) فى الحبشية ، و śimlā و śalmā (شملة) فى العبرية و bĕśorā و sĕbartū (بشارة) فى الآرامية و dipšu و dišpu (عسل) فى الاشورية[٣] .

كما نلحظ القلب داخل فروع الفصيلة اللغوية بالنظر إلى الفصيلة ككل ، فكلمة « ركبة » العربية نشأت عن هذا الطريق بدليل أنها فى الأكدية burku وفى العبرية בֶּרֶךְ bérek وفى الآرامية ܒܘܪܟܐ burkā وفى الحبشية berk[٤] .

ونلحظ القلب بوضوح فى عامياتنا ، فيقال فى بعض جهات مصر : برطمان وفى بعضها بطرمان (والكلمة فارسية الأصل تنطق عندهم « مرتبان »[٥]) ويقال كذلك : أرانب وأنارب ويقال فى بعض جهات أسيوط : نَعَل وينعل ومنعول فى مقابل لعن ويلعن وملعون . ومن أمثلة ذلك أيضا كلمة « زجاجة » التى تنطق فى صعيد مصر جزازة (كَزازة) ومن العجيب فى هذه الكلمة أن أهل الصعيد نطقوا الجيم — بعد أن نقلوا مكانها — كما ينطقها أهل القاهرة . أما أهل القاهرة فينطقونها كما ينطقها أهل الصعيد بعد قلبهم الكاف همزة كما هو شأنهم . وواضح أن الكلمة مرت بمراحل أقدمها نطقها « زجاجة » ثم حدث فيها قلب مكانى على يد من ينطقون الجيم كَيا كبعض القبائل اليمنية ، ومن هؤلاء انتقلت صورة الكلمة إلى من ينطقون القاف كافا كأهل الصعيد ، ومنهم انتقلت إلى من ينطقون القاف همزة فقالوا : « أزازة » . ومن أمثلة الكلمات المقلوبة عن الفصحى فى المغرب : نْوَلْ

(١) الجاسوس على القاموس ١٣٦

(٢) Marouzo, Lexique de la Terminologie Linguistique, p. 144.

(٣) فقه اللغات السامية ٨١ (الفقرة ١٤٦)

(٤) التطور النحوى ٣٦

(٥) المعجم الوسيط ١/٥٠

(اللون) وسَّدَّاج (سجادة)[1] ، لُغْوَف (الغفوة)[2] ، إلى غير ذلك من كلمات كثيرة في مختلف عامياتنا[3] .

وقد رأى بعض العلماء كابن جني أن هذا النوع من الكلمات صنفان :

١ ـ صنف تتصرف صيغتاه مثل جذب وجبذ ، فكلاهما يأتي منه المضارع والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول . فمثل هذا الصنف تعد كل صيغة منه مستقلة عن أُختها ، وليست إحداهما مقلوبة عن الأُخرى .

٢ ـ صنف قَصُر أحدهما عن الآخر في تصرفه ولم يساوه فيه ، وحينئذ تعد الصيغة الأوسع تصرفا أصلًا للأُخرى ، وذلك مثل « أنى » و « آن » ، فالأُولى يأتي منها مصدر هو الإنى بخلاف آن التي ليس لها مصدر[4] .

وهذا الذي ذهب إليه ابن جني لانوافقه عليه :

١ ـ لانوافقه في أن الصيغتين إذا تساوتا في التصرف ، فكل منهما أصل وليست إحداهما مقلوبة عن الأُخرى ، والرأى أن إحداهما مقلوبة عن الأُخرى وأن ذلك حدث منذ زمن بعيد مما جعل الناطقين بالصيغة الجديدة يتصرفون فيها تصرفا كاملًا . ومما يؤيد رأينا هذا أننا نجد كل صيغة تنتمي إلى بيئة لاتتكلم الصيغة الأُخرى ، كما في جبذ وجذب فتميم تتكلم الأُولى دون الثانية ولو كانت كل منهما أصلية لتكلمت بالصيغتين .

٢ ـ كما أننا لا نوافقه فيما يخص الصنف الثاني ، وهو أن الصيغة الأكثر تصرفًا تعد الأصلية والأُخرى مقلوبة عنها ؛ لاحتمال أن يكون القلب قد تم منذ أمد بعيد وطغت الصورة الجديدة على القديمة فتناولتها الألسنة بمختلف تصاريفها وهجرت معظم تصاريف الصيغة الأصلية

مناقشة حول الصيغ التميمية :

وإذا عدنا إلى الصيغ التميمية التي عرضناها وجدنا :

---

(١) لهجة شمال المغرب ١٠٢

(٢) لهجة شمال المغرب ١٠٣

(٣) انظر طائفة من هذه الكلمات في : التطور اللغوى ٥٩ ، ٦٠

(٤) الخصائص ١/٤٦٧ ، ٤٦٨

١ ـ جبذ :

نسب إلى تميم جبذ فى مقابل جذب فى اللغة المشتركة[١] . وقد أنكر بعض اللغويين كابن السراج[٢] (ت سنة ٣١٦ هـ) ، وابن جنى[٣] (ت سنة ٣٩٢ هـ) أن تكون إحداهما مقلوبة عن الأخرى ؛ لأن كلا منهما متصرفة فى نفسها ، فنقول : « جَذَب يجذب جذبًا فهو جاذب والمفعول مجذوب ، وجبذ يجبِذ فهو جابذ والمفعول مجبوذ »[٤] . لكن يدحض هذا الرأى ـ كما سبق أن قلنا ـ نسبة كل صيغة إلى بيئة معينة ، وأن الصيغة التميمية (جبذ) هى المستعملة وحدها الآن بالمغرب[٥] . أما التصرف فلا يدل إلّا على أن الكلمة المقلوبة استعملت منذ أمد بعيد . وليس هذا قاصرًا على هذه الكلمة .

٢ ـ رَعَمْلى :

يذكر اليزيدى (ت سنة ٢٠٢ هـ) أن تميمًا كانت تقول : « رَعَمْلى » وكان الحجازيون يقولون : « لعمرى »[٦] ، وواضح أن الصيغة التميمية هى المقلوبة لأن اللام للقسم وموضعها فى أول الكلمات .

٣ ـ صاقِعة :

عزا المبرد (ت سنة ٢٨٥ هـ) إلى تميم قولهم : « صاقعة وصواقع » مخالفين الحجازيين الذين كانوا يقولون : « صاعقة » و « صواعق » واللغة الأخيرة هى التى شاعت فى اللغة المشتركة[٧] ، وقد ضم النحاس (ت نحو سنة ٢٣٨ هـ) إلى تميم فى النطق بالصيغة الخاصة بهم « بعض ربيعة »[٨] . ولا عجب فى ذلك ، فقد تجاورت بطون من القبيلتين ، بل إننا لنميل إلى أنها لم تتخط تميمًا إلى بعض ربيعة فقط ، وإنما انتقلت إلى قبائل أخرى ، بدليل

---

(١) تهذيب اللغة (جذب) ١٥/١١ — (٢) المصباح (جبذ) ٨٩

(٣) الخصائص ٤٦٧/١ — (٤) المرجع السابق ٤٦٧/١

(٥) الألفاظ المغربية العامية التى لها أصل فصيح للأستاذ محمد الفاسى ٥٩ .

(٦) المزهر ٢٧٧/٢

(٧) الكامل للمبرد ٢٣٧/٢ ، وانظر : البحر ٨٤/١ ، واللسان (صقع) ٦٨/١٠ ، ٦٩ والتاج (صقع) ٤١٤/٥ (عن الفراء) وقد أشار إلى بنى تميم فقط دون الحجازيين .

(٨) إعراب القرآن ٥/ب

أنها تنطق الآن فى جبال السراة (المخواة) لدى بنى عمر ، وهم فرع من زَهْران[1] اليمنى الأصل[2] .

ويبدو أن الصيغة الجديدة منهما موغلة فى القدم ، بدليل الاتساع فى تصريفهما ؛ فاستعمل منهما الفعل ، جاء فى الأفعال لابن القرطية (ت ٣٦٧) « وصَقِع الإنسان بمعنى صعِق لغة تميم »[3] . كما استعمل الجمع إلى جانب المفرد ، وهذا ما حدا بأبى حيان (ت سنة ٧٤٥هـ) إلى أن يحكم على أن الصيغتين لم يحدث بينهما قلب ، بل إن كلًّا منهما تعد أصلًا بذاته[4] ، لكن يرد على ذلك نسبة كل صيغة إلى بيئة معينة وعدم نطقها الصيغة الأخرى. وقد لاحظت ذلك عند أهل المخواة الذين ينتسبون إلى زهران أنهم لا ينطقون إلّا بتقديم القاف على العين .

موقف القراءات القرآنية :

لم تهمل القراءات القرآنية لغة تميم فى هذه الكلمة فينسب إلى الحسن البصرى أحد القراء الأربعة بعد العشرة قراءة « الصواقع » بدلا من « الصواعق » فى قوله تعالى : (يَجْعَلُون أصابعَهم فى آذانهم من الصَّواعق حذر الموت)[5] ، وقرأ أيضا « الصواقع » بدلا من » الصاعقة »[6] فى قوله تعالى :(فأخذتْهُم الصَّاعِقةُ وهم يَنْظرون)[7] كما نسب إليه كذلك قراءة « الصاقعة » بدل « الصاعقة » الواردة فى قوله تعالى : (فَأَخَذَتْهم الصَّاعِقة) فى سورة البقرة[8] وغيرها من الآيات[9] .

موقف الشعر من هذه الكلمة :

ولم يقتصر استعمال الصيغة التميمية على القراءات القرآنية ، بل استعملت أيضا فى الشعر ، فقد وجدناها فى شعر تميمى وغير تميمى ، فمن ذلك قول جرير وهو تميمى :

أَرَى الشَّيب فى وجه الفرزدقِ قد عَلا لهازِمَ قِرْد رَنَّحَتْه الصواقِعُ[10]

---

(١) انظر : فى سراة غامد وزهران ٢٥٤ ، ٢٥٨

(٢) المرجع السابق ٢٠٦

(٣) الأفعال ٢٤٣

(٤) البحر ١/٨٤ ، ٨٦

(٥) البقرة ٢/١٩ وانظر القراءة منسوبة إلى الحسن فى : مختصر فى شواذ القرآن ٣ والبحر ١/٨٦ ، والإتحاف ١٣٠ ، والقراءات الشاذة ٢٣

(٦) إتحاف ٣٩٩

(٧) الذاريات ٥١/٤٤

(٨) ٢/٥٥

(٩) مختصر فى شواذ القرآن ١٤٥

(١٠) الديوان ٢٩٢ (واللهازم ج لهزمة ، وهى العظم الناتئ باللحى تحت الأذن وهما لهزمتان – اللسان « لهزم » ١٦/٣١)

ويقول أبو النجم العِجْلى (١٣٠ هـ) :

* تَشَقُّقَ البَرْقِ عن الصواقع * [1]

وأبو النجم هذا من بنى عجل وهم من بكر [2] ، وبكر من ربيعة [3] التى نسبت إليها الظاهرة فى هذه الكلمة .

ويقول الصَّلَتان العَبْدى فى حكومته بين جرير والفرزدق التميميَّيْن :

يُناشِدُنى النَّصْرَ الفرَزْدَقُ بعدما ... ألحَّت عليه من جرير صَواقِعُ [4]

٤ ـ طُؤْوِىّ :

طُؤْوِى وطُوئِىٌّ بمعنى أحد ، وقد نسبت الصيغة الأُولى إلى تميم والثانية إلى كِلاب [5]

ونلاحظ أن العجاج وهو تميمى لم يستعمل الصيغة التى كانت تنطقها قبيلته ، وإنما استعمل الكلابية وذلك فى قوله :

* وبلدة ليس بها طوئىٌّ * [6]

٥ ـ أُسْطُمَّة :

يذكر السيرافى أن أُطْسُمَّة الشىء بمعنى معظمُه ومجتمعه [7] دون نسبة إلى قوم معينين وقد ذكرنا عند الحديث عن قلب التاء طاء أن تميما كانوا يقولون فى الدلالة على هذا

---

(١) البحر ١/٨٤ (باختلاف) والرواية المذكورة عن : اللسان (صقع) ١٠/٦٨ والبيت غير منسوب فيه .

(٢) انظر : جمهرة أنساب العرب ٣١٢ ، ٣١٤

(٣) المرجع السابق ٤٦٩

(٤) الشعر والشعراء ٤٧٨ ، والشاعر من عبد القيس (المرجع السابق ٤٧٥) .

(٥) اللسان (طآ) ١٩/٢٢٦ (عن أبى زيد)

(٦) المرجع السابق

(٧) اللسان (طسم) ١٥/٢٥٥

المعنى أُسْطُمَّة وأُصْطُمَّة وأُسْتُمَّة وأُصْتُمَّة ، وقد ذكرنا أيضا أن الكلمة معربة عن اللفظ اليونانى stuma (ستوما) ومعنى ذلك أن « أُطْسُمَّة » غير التميمية هى الصيغة المقلوبة عن « أُسْطُمة التى حدث تبادل بينها وبين الصيغ الثلاث الأخرى المنسوبة إلى تميم فى صوتى السين والصاد وصوتى التاء والطاء .

٦ ـ عَاثَ :

عَثَى وعَاث بمعنى أَفْسَد . وقد نسب اللحيانى الصيغة الأولى إلى الحجاز والثانية إلى تميم[1] . وقد وردت الصيغة الحجازية فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : (ولا تَعْثَوا فى الأَرْض مُفْسِدين)[2] وقرأ وفق اللغة التميمية ابن مسعود ، فقرأ (ولا تعيثوا)[3] .

وأرى أن وجود الصيغتين هنا لم يحدث عن طريق القلب المكانى ، وإنما مرده إلى أنهما تكونا بالتغاير Dissimilation فالصيغتان ترجعان إلى « عَثّ » ومعناها الكلى « الإفساد »[4] ثم تحول أحد صوتى التضعيف (الثاء) إلى صوت لين طويل هو الألف ، نطقه التميميون قبل الثاء ، وكان عند الحجازيين بعد الثاء . واحتفظت الصيغتان الجديدتان بالدلالة القديمة بدليل قراءة الآية الكريمة بهما .

٧ ـ قَرِع :

يذكر الأزهرى (ت ٣٧٠ هـ) أن « تميما تقول : خُفَّان مُقْرعان ، أى مُثْقلان ، وأَقْرَعْتُ نَعْلى وخفى إذا جعلت عليهما رقعة كثيفة[5] وإذا اتجهنا إلى ابن فارس لاهتمامه بتأصيل المواد اللغوية ، نجده يذكر أن معظم مادة (قرع) يدل على ضرب الشىء[6] .

---

(١) اللسان (عيث) ٤٧٦/٢ ، والتاج (عيث) ٦٣٤/١

(٢) البقرة ٦٠/٢ ، والأعراف ٧٤/٧ ، وهود ٨٥/١١ ، والشعراء ١٨٣/٢٦ والعنكبوت ٣٦/٢٩

(٣) مختصر فى شواذ القرآن ٦

(٤) فالعثة : السوسة التى تلحس الصوف ، والعثاث : الأفاعى ، ويقال : عثت العثة الصوف والثوب : أكلته (انظر : اللسان « عثث » ٤٧٢/٢ ، ٤٧٣) .

(٥) تهذيب اللغة (قرع) ٢٣٣/١ ، واللسان (قرع) ١٤١/١٠

(٦) مقاييس اللغة (قرع) ٧٢/٥

وإذا بحثنا فى هذه المادة بالمعجمات المطولة ، لا نجد صلة بين المعانى الواردة فيها وبين دلالة كلمة الرقعة[١] ، مما يدل على حداثة الصيغة التميمية .

وإذا كان التميمى استعمل « أَقرع » على وزن « أَفعَل » بمعنى وضع الرقعة ، فإننا لا نجد فى مادة (رقع) الفعل على « أَفعَل » ؛ أى أَرقع بدلالة أَقرع وإنما نجده على « فَعَل » (رَقَعَ)[٢] . وتفسير ذلك هو ميل التميمى إلى « أَفْعَل » فى مقابل « فَعَل » عند غيره – كما سيتضح لنا عند دراسة هذا الموضوع – فهو عندما قلب الفعل قلباً مكانيا راعى نهجه ، فأضاف إليه همزة فى أوله .

٨ – مَعِيق :

مِعِيق وعَمِيق : ونسبت الصيغة الأُولى إلى بنى تميم[٣] . أما الثانية فنسبت إلى الحجاز أحياناً[٤] ، وأحياناً أُخرى لم تنسب[٥] فى حين إن الأُخرى (التميمية) نسبت مما يدل على أن اللغة المشتركة استعملتها ويؤيد هذا الاشتراك قراءة جمهور القراء بها فى قوله تعالى : (يأتين من كل فجٍّ عَمِيق)[٦] ، على ما سنوضحه عند الحديث عن موقف القراءات القرآنية . وهاتان الصيغتان (الحجازية والتميمية) شأنهما شأن صاعِقة ، وجذب وجبذ من حيث التصريف ، قال الأزهرى : وتقول العرب : بئر عَمِيقة ومَعِيقة ، وقد أَعمقتُها وأَمعقتُها ، وقد عَمُقت ومَعُقت معاقة ، وإنها لبعيدة العَمْق والمَعْق »[٧] . إلا أننا وجدنا الأزهرى ينقل عن العين ، فيقول : « وقال الليث فى قوله (من كل فجٍّ عَمِيق) ، ويقال مَعِيق . والعميق أكثر من المعيق فى الطريق »[٨] . ولكن ينقض ذلك اقتصار تميم على صيغة واحدة هى « معيق » .

---

(١) انظر على سبيل المثال : اللسان (قرع) ١٠/١٣٤ – ١٤٢

(٢) انظر : اللسان (رقع) ٩/٤٩٠ – ٤٩٢ ، وإنما استعمل الفعل « أرقع » لازما بمعنى جاء برقاعة وحمق (اللسان « رقع » ٩/٤٩١) .

(٣) تهذيب اللغة ١/٢٩٠ (عن الفراء) ، وانظر : اللسان (عمق) ١٢/١٤٢ ، ١٤٣ ، (معق) ١٢/٢٢٢ ، والتاج (عمق) ٧/٢٤ ، و (معق) ٧/٧١

(٤) المراجع السابقة .

(٥) البحر ٦/٣٦٤

(٦) الحج ٢٢/٢٧

(٧) التهذيب ١/٢٩٠

(٨) المرجع السابق ، وانظر : تاج العروس (معق) ٦/٧١ ، ٧٢

موقف القراءات القرآنية من الصيغة التميمية :

وردت مادة «عمق» في القرآن الكريم مرة واحدة بصيغة « عميق » في قوله تعالى : (يأْتين من كل فجٍّ عَمِيق)[١] وقد قرأها جمهور القراء هكذا بلغة الحجاز ، أما باللغة التميمية (مَعِيق) فقد قرأ بها ابن مسعود[٢] .

موقف الشعر التميمي من هذه الكلمة :

وإذا اتجهنا إلى الشعر وجدنا رؤبة التميمي يستعمل الصيغة التميمية في رجزه أكثر من مرة ، فيقول :

* أَسَّسَه بين الغريب والمَعَق *[٣]

ويقول أيضاً :

* وإن هَمِى مِنْ بعد مَعْق مَعْقا *[٤]

ويقول كذلك :

* وإن عَدُو جُهْدَهُ تمَعَّقَا *

* ضُمِّرْنَاهُ بالمكروه حتى يَضْعُقَا *[٥]

٩ ــ هَلِع :

يذكر السرقسطي (ت بعد ٤٠٠ هـ) أن بني تميم كانوا يقولون هَلِع بمعنى حزن وغيرهم كان يقول عَله[٦] ، ولو تتبعنا المعاني الواردة في المادتين لوجدناه :

(أ) الهَلَع ، ويعني :

١ ــ الجَزَع ، وقيل أسوؤه[٧] .

٢ ــ الحِرْص[٨] .

---

(١) الحج ٢٢/٢٧ (٢) البحر ٦/٢٦٤
(٣) الديوان ١٠٧
(٤) الصحاح (معق) ٤/١٥٥٥ واللسان (معق) ١٢/٢٢٣ (٥) الديوان ١١٢ ، والتاج (معق) ٧/٧٢
(٦) الأفعال ١/١٧٢ (٧) اللسان (هلع) ١٠/٢٥٣
(٨) انظر : المرجع السابق ٢٥٤

٣ ــ الحزن (وهو ما نسب إلى تميم فى مقابل عَله) .

٤ ــ الجوع[١] .

٥ ــ الجبن[٢] .

٦ ــ السرعة[٣] .

(ب) العله ، ويعنى :

١ ــ خبث النفس[٤] .

٢ ــ الشره[٥] .

٣ ــ الدهش[٦] .

٤ ــ الذهاب والمجىء من الفزع[٧] .

٥ ــ الجوع[٨] .

ووضح أن المعنى الكلى للمادتين هو الفزع الشديد الذى يجعل الإنسان بالتالى حريصاً ، وجبانا ، ويسرع فى الأمر فزعاً ، والجوع قرين الفزع ، قال تعالى : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَىْءٍ مِنَ الخَوفِ والجُوعِ)[٩] .

من الصعب إذن الحكم على أى من المادتين بأنها الأصلية ، إلا إذا عددنا اللغة المشتركة هى القدمى لورودها فى قوله تعالى : إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً[١٠]) وحينئذ نرجح قدم الصيغة التيميمية .

* * *

---

(١) المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق .
(٤) المرجع السابق (عله) ١٧/٤١٤ .
(٥) المرجع السابق .
(٦) المرجع السابق .
(٧) المرجع السابق .
(٨) المرجع السابق .
(٩) البقرة ٢/١٥٥ .
(١٠) المعارج ٧٠/١٩ .

هذه تسعة ألفاظ تغيرت أماكن أصواتها ، ونسبت إحدى صورتيها إلى بنى تميم ، وقد تبين لنا من هذا العرض :

١ ــ أحد هذه الألفاظ وهو عاث (عند تميم) وعثى فى اللغة المشتركة لا يرجع تغير أماكن أصواته إلى القلب المكانى وإنما مرد ذلك إلى التغاير .

٢ ــ لم تعتد اللغة المشتركة إلا بصيغتين لكلمتين تميميتين ، هما : أُسْطُمة وهَلَع فى حين أن الصيغ غير التميمية للكلمات السبع الأُخرى هى التى شاعت فى اللغة المشتركة .

٣ ــ نستطيع أن نحكم بحداثة الصيغة التميمية فى « رَعَمْلى ومقرعان » وقدم الصيغة التميمية فى « أُسْطُمَّة » لاتفاق نطقها ونطق الكلمة فى لغتها الأَصلية .

وإذا وضعنا جانبا عثى وعاث ولم نضع فى الاعتبار وجود الكلمة فى اللغة المشتركة كميزان لأَصالتها يتبقى معنا بعد ذلك خمس كلمات لم نستطع ترجيح أى من صيغتيها تعد القديمة . فإذا ما عللنا ترجيح إحدى الصيغ بنظرية السهولة والتيسير ــ كما يرى الدكتور رمضان عبد التواب[١] ــ وأخذنا بتفسير المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس من « أن السر الحقيقى فى معظم أمثلة القلب المكانى يرجع إلى اختلاف نسبة شيوع السلاسل الصوتية فى كلمات اللغات[٢] » وهذا يعنى ــ كما يقول الدكتور أنيس أيضاً ــ : « أن السلسلة الجديدة الطارئة أكثر شيوعاً ودورانا فى الكلام من الأُخرى »[٣] .

ووفقاً لهذا فإذا طبقنا على الكلمات الخمس التى لم نحسم فى أصالة إحدى صيغتيها ما توصل إليه الدكتور على حلمى موسى من دراسة إحصائية لجذور معجم « الصحاح » للجوهرى فى الجدول السابع الخاص بعدد مرات تتابع أى حرفين فى الموقعين الأَول والثانى من الكلمات الثلاثية[٤] ، والجدول الثامن الخاص بعدد مرات تتابع أى حرفين فى الموقعين الثانى والثالث من الكلمات الثلاثية[٥] ، فإننا نجد :

(١) التطور اللغوى ٥٧

(٢) مسطرة اللغوى ١٠

(٣) المرجع السابق ١١

(٤) دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح ٦٥

(٥) المرجع السابق ٦٧

١ ــ جذب وجبذ :

(أ) جذب :

ج ذ فى الأَول = ٨ مرات .

ذب فى الآخر = ٥ مرات

(ب) جبذ « التميمية » :

ج ب فى الأَول = ١٢ مرة .

ب ذ فى الآخر = ٤ مرات .

٢ ــ صعق وصقع :

(أ) صعق :

ص ع فى الأَول = ٨ مرات

ع ق فى الآخر = ٨ مرات

(ب) صقع : (التميمية) :

ص ق فى الأَول = ١٣ مرة

ق ع فى الآخر = ١٢ مرة

٣ ــ طؤوى وطوئى :

(أ) طأو (التميمية) :

ط ء فى الأَول = ١ مرة واحدة .

ء و فى الآخر = ١٥ مرة

(ب) طوأ (الكلابية) :

ط و فى الأَول = ٩ مرات

و ء فى الآخر = ١٠ مرات

٤ ــ عمق ومعق :

(أ) عمق :

ع م فى الأَول = ١٢ مرة

م ق فى الآخر = ١١ مرة

(ب) معق (التميمية) :

م ع فى الأَول = ١٤ مرة

ع ق فى الآخر = ٨ مرات

٥ ــ هلع وعله :

(أ) هلع (التميمية) :

ه ل فى الأَول = ١١ مرة

ل ع فى الآخر = ٣ مرات

(ب) عله :

ع ل فى الأَول = ١٦ مرة

ل ه فى الآخر = ٧ مرات

ومن هذه الإحصائية نستطيع أن نقول إن الصيغ الأَكثر شيوعا – وهى بالتالى يمكن أن نفرض أنها الحديثة والأُخرى الأَصلية – هى :

جبذ (التميمية) وصقع (التميمية) وطوئى (الكلابية) ، وعله (غير التميمية) أما عمق ومعق فالإحصائية لا تشير إلى شيوع إحداهما ، بل إنهما يكادان يكونان متساويين.

والخلاصة أننا أمام ثمانى كلمات كل منها ذات صيغتين – أى باستثناء صيغتى عثى لظروفهما الخاصة ـ وقد حكمنا بقدم التميمية فى واحدة وهى أسطمة وفرضنا القدم فى كلمتين وهما طؤوى وهلع ، وحكمنا بحداثة التميمية فى كلمتين هما : رعملى ومُقْرَع وفرضنا بحداثتها فى لفظين هما جبذ وصقع ، ولم نستطع الحكم بقدم أى من معيق وعميق.

ونلاحظ أن ما شاع فى اللغة المشتركة ، سواء أكان متفقاً مع التميمية أم غير متفق معها يمثل غالباً اللغة التى حكمنا بقدمها . ومعنى هذا كله أن الكلمات التى اختلفت فيها تميم وغيرها من حيث ترتيب الحروف كانت تميم تحتفظ أحياناً بالأَصل ويتم القلب عند غيرها . وكان الأَمر أحياناً أُخرى على النقيض ، وأنها عند احتفاظها بالأَصل كانت تشارك اللغة المشتركة .

الفصل الرابع

الوقف

توطئة :

الوقف من سنن العربي فى حديثه فى آخر الجملة ، ليدل على انتهاء معنى معين . وقد يضطر للوقوف قبل انتهاء الكلام لانقطاع النفس ، وكانت أوجه الوقف عنده سبعة :

١ ـ السكون . ٢ ـ الرَّوْم[1] .

٣ ـ الإشمام[2] . ٤ ـ الإبدال .

٥ ـ التضعيف (الزيادة) . ٦ ـ الحذف .

٧ ـ النقل[3] .

ويختلف نهج العرب فى الوقوف وفق طبيعة آخر الكلمة ، فتختلف طريقتهم مثلا فى الموقوف عليه إذا كان معتلا عنه إذا كان صحيحا . والصحيح الآخر يختلف وفق أنواعه فالمنون لا يتفق وغير المنون ، والمهموز يختلف عن غير المهموز إلى غير ذلك من أنواع مما هو مفصل فى كتب النحو والصرف والقراءات . وفى حديثنا هنا سنقتصر على الأنواع التى خالفت فيها تميم اللغة المشتركة ، وكان لها فيها نظام مميز .

---

(١) الروم هو الإتيان بالحركة خفية حرصا على بيان ما يحرك به آخرها فى الوصل ، ويدركه الأعمى الصحيح السمع (شرح شافية ابن الحاجب ٢/ ٢٧٥) ويكون فى حالتى الرفع والجر إذا كان معربا وحالتى الضم والكسر إذا كان مبنيا (انظر : التيسير ٥٩) .

(٢) هو استدارة الشفتين فى الوقف بلا صوت للدلالة على أن الاسم مرفوع أو مبنى على الضم لذا لا يدركه إلا المبصر (التيسير ٥٩) .

(٣) شرح الأشمونى ٤/٢٠٣ ، وانظر تعليق الصبان بالصفحة نفسها . وقد وضع سيبويه رموزا للدلالة على بعض هذه الأوجه التى يصعب تدوينها بالكتابة فوضع للسكون الخاء مثل ، هذا خالدْخ ، وللإشمام نقطة، مثل هذا خالدْ ، وللروم خط بين يدى الحرف مثل يجعلْ ، وللتضعيف الشين ، مثل هذا فرج ش (الكتاب ٤/١٦٩ وسقطت «خ» الدالة على السكون) . وقد وضح السيرافى هذه العلامات ، فذكر أن الخاء اختصار لخفيف والشين لشديد والنقطة للإشمام والخط للروم لأنه أقوى من الإشمام (انظر : الكتاب ٤/١٦٩ « الحاشية رقم / ١ ») .

١ ـ الوقف على الهمزة :

انقسم العرب بالنسبة للهمزة إلى فريقين :

١ ـ فريق كان يحققها ويحرص على النطق بها ، ومنهم بنو تميم .

٢ ـ والآخر لم يكن يحققها ، وهذا مذهب أهل الحجاز .

وقد تناولنا ذلك عند الحديث عن « الهمز والتخفيف » والذى يعنينا هنا هو نهج التميميين من الكلمة المهموزة الآخر فى حالة الوقف ، وفى هذه الحالة قد يكون ما قبلها ساكنا ، وقد يكون متحركا .

(أ) الهمزة المسبوقة بساكن صحيح :

أولا : عند المخففين :

حذف الحجازيون الهمزة ، ووقفوا على الحرف السابق لها ، والذى أصبح الأخير بعد حذفها . ووقفوا عليه كما لو كان حقيقة هو الحرف الأخير للكلمة دون نظر إلى صوت الهمزة المحذوف ، فوقفوا عليه بالسكون ، أو بالإشمام أو بالرّوم أو بالتضعيف ، فكانوا يقولون مثلا : هو الوثْخ ، والوَثْ ، والوثّ ، والوثْش [(١)] .

ثانيا : عند المحققين :

وهؤلاء المحققون تميميون وغير تميميين ، وكانوا طوائف أربع يمثل التميميون منهم اثنتان وغيرهم من المحققين اثنتان ، وهاتان الأخيرتان هما :

١ ـ طائفة تقلب الهمزة فى حالة الرفع واوا ساكنة وفى حالة النصب ألفا وفى حالة الجر ياء ساكنة ، مثل : هو الوثْوْ ، ورأيت الوثَا ، ومن الوثْى [(٢)] .

فهؤلاء ينقلون حركة الهمزة إلى حرف علة من جنس حركة الإعراب ويبقون سكون ما قبل الهمزة فى حالتى الرفع والجر ، ويضطرون لتحويله فتحة فى حالة النصب ليتماثل والألف .

---

(١) الكتاب ١٧٧/٤ ، وارتشاف الضرب ٨٦/ب ، وشرح الشافية ٣١٣/٢ ، ٣١٤ (والوثء : توجع فى العظم بغير كسر) .

(٢) الكتاب ١٧٨/٤ ، وشرح الشافية ٣١٢/٢

٢ ـ والطائفة الثانية كانت تنقل حركة الهمزة إلى العين فى الأحوال الثلاث مع قلب الهمزة حرف علة مجانس لما قبلها ، فيقولون : هذا البُطُو ، والوَثُو ، والرِّدُو ، ورأيت البَطَا والوَثَا والرِّدَا ، ومررت بالبُطى والوَثِى ، والرِّدِى[1] .

أما التميميون فكانوا كما قلنا فريقين حافظ كلاهما على تحقيق الهمز ولكن تميز كل منهما بنهج خاص :

الأول : كان يلقى على الحرف السابق لها حركتها مع الاحتفاظ بالهمز ـ كما قلنا ـ فيقولون مثلا : هو الوثُؤْ ومن الوَثِىءْ ، وإنَّ الوَثأْ ، وهو البُطُؤْ ومن البُطِىءْ ، وإن البُطَأْ ، وهو الرِّدُؤْ ، ومن الرِّدِىءْ ، ورأيت الرِّدأْ (والأصل الرِّدْء ، أى الصاحب) وقد شارك التميميون فى هذا المذهب بنو أسد[2] .

الثانى : وكان هذا نهج بعض التميميين وكانوا ينطقون كنهج التميميين الآخرين ، إلاّ إذا جاء الوزن بعد نقل حركة الهمزة إلى الحرف السابق لها على أحد الوزنين : فُعِل وفِعُل ، ففى هذه الحالة يتبعون العين حركة الفاء فيقولون: هو الرِّدِءِ ومن البُطُؤْ[3] وعلل سيبويه عدم استعمال فِعُل وفُعِل لاستنكار الوزن الأول لأنه ليس فى الكلام ،ولأنه ليس فى الأسماء فُعِل[4] .

ونلاحظ أن صنيع هؤلاء التميميين بعد من التماثل الإتباعى الكلى المنفصل .

وكان هؤلاء التميميون المحققون (من الفريقين) يعاملون كل كلمة عند الوقف إما بالسكون وإما بالروم وإما بالإشمام ، فيقولون : هو الخبءْ ، والخبءَ ، والخبءْ[5]

(ب) الهمزة المسبوقة بمتحرك :

أولا : أهل التخفيف :

قلبوا الهمزة واوا إذا كان ما قبلها ضمة وألفا إذا كان فتحة وياء إذا كان كسرة ، فقالوا : أكمو ، والخطا ، وأهنى فى أكمؤ والخطأْ ، وأهنئ ولا يكون فيها إلّا الإسكان[6]

---

(١) شرح الشافية ٢ / ٣١٢ (٢) الكتاب ٤ / ١٧٧ ، وارتشاف الضرب ٨٦ / ب

(٣) الكتاب ٤ / ١٧٧ ، ١٧٨ ، وارتشاف الضرب ٨٦ / ب . وشرح التصريح ٢ / ٤٢٨

(٤) الكتاب ٤ / ١٧٧ ، ١٧٨

(٥) شرح الشافية ٢ / ٣١٢ ولم يضعفوا لأنه لا تضعيف مع الهمزة (٦) شرح الشافية ٢ / ٣١٤

ثانيا : أهل التحقيق :

لم يشر النحويون إلى موقف التميميين من هذه الهمزة ، وإنما ذكروا أن المحققين كانوا صنفين :

(أ) صنف حقق الهمزة ووقف عليها كما يوقف على الاسم الصحيح ، فقالوا الرشأْ وأكمؤ وأهنىء (وذلك بإسكانها ورومها وإشمامها دون التضعيف والنقل) .

(ب) والآخر عامل المسبوقة بالضمة والكسرة كما عاملها الفريق الأول ، فقال : أكمُؤ ، وأهنِئ . أما إذا كانت مسبوقة بفتحة فقلب الهمزة المضمومة واوا ساكنة والمفتوحة ألفا والمكسورة ياء — فقال : هذا الكلَوْ ، ورأيت الكلَا ، ومررت بالكلَى »[1]

وإذا كان العلماء لم يبينوا لنا نهج التميميين ، فإنه بالقياس على موقفهم من الهمزة المسبوقة بحرف ساكن صحيح نستطيع أن نرجح أنهم ساروا وفق المذهب الأول .

على أنهم إذا كانوا قد اختاروا — أو اختار بعضهم — المذهب الثانى ، فإن الخلاف ليس كبيرا ، إذا هو فى نوع واحد من ثلاثة وهو حالة سبق الهمزة بفتحة .

تفسير تحريك ما قبل الهمزة :

وبعد ، فإن تعقيبنا بعد هذا الذى عرضناه هو أن التميميين حافظوا على تحقيق الهمزة سواء أكان ما قبلها ساكنا أم متحركا . وهذا يتفق ونهجهم العام . ثم إن حرصهم على أن يكون ماقبل الهمزة متحركا ، سواء أكان متحركا أصلا أم نقلت حركة الهمزة إليه يرجع إلى محاولتهم إبراز نبر الهمزة ، وذلك بخلاف المخففين ، فقد كانوا ينبرون على المقطع السابق للهمزة[2]

٢ — الوقف على ضمير المفرد الغائب :

ويعنينا هنا أن فريقا من تميم — لأنه نص عليهم صراحة — خالفوا القاعدة السابقة ، وذلك إذا كان الوقف على ضمير المفرد الغائب المتصل بكلمة سابقة ، فالقاعدة أن تنقل ضمة الهاء إلى الحرف السابق إذا كان ساكنا ، فيقال : مِنُهْ ، ولكن شذ عن هذه القاعدة

---

(١) شرح الشافية ٢ / ٣١٣ (٢) انظر : القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ٨٧

بطن من تميم هم بنو عدىّ ، فحركوا الحرف السابق للأخير بالكسر ، فقالوا مثلا : ضَرَبتِهْ[1] ، وهم فى صنيعهم هذا لم ينقلوا الحركة الإعرابية ، وسكنوا مع ذلك الحرف الأخير للوقف، فالتقى ساكنان فحركوا الأول بالكسر لأنه الأصل فى التحريك عند التقاء الساكنين[2] .

واستثناء بنى عدى هنا فيه دلالة ، وهى أن بقية بنى تميم كانوا ينقلون حركة الضمير إلى الصوت السابق .

٣ ـ أنـا :

نطق العرب الضمير أنا بعدة صيغ ، فقالوا :

١ ـ أنا باثبات الألف فى الوقف وحذفها فى الوصل ، وهذه الصيغة هى التى شاعت فى اللغة المشتركة .

٢ ـ أنا بإثبات الألف وصلا ووقفا ونسبت إلى تميم .

٣ ـ هَنَا .

٤ ـ أَنْ .

٥ ـ أَنَّ[3] .

الضمير فى اللغات السامية :

إذا نظرنا فى اللغات السامية لنعرف مدى اتفاق الصيغة التميمية معها ، نجد هذا الضمير ينتهى بفتحة طويلة كما فى التميمية وذلك فى الأكدية والعبرية والآرامية ـ وكذلك فى المصرية وهى لغة حامية ـ وينتهى بالفتحة القصيرة ـ كما هو الشأن فى الفصحى فى حالة الوصل ـ فى الحبشية[4] ، فهو فى الأكدية ʾnāku وفى السريانية ʾenā وفى الآرامية ʾāna ، وفى العبرية ʾanōḫī وفى الحبشية ʾana[5] .

---

(١) الكتاب ٤ / ١٨٠

(٢) شرح الشافية ٢ / ٢٣٥

(٣) شرح الأشمونى ١ / ١١٤ ، وذكر ابن مالك الصيغ الأربع الأولى منها (تسهيل ٢٥) ، وعزا ابن منظور الأخيرة إلى قضاعة (اللسان ١٦ / ١٧٩) .

(٤) Rabin, Ancient p. 151

(٥) فقه اللغات السامية ٨٥

وهذا العرض يبين لنا اتفاق اللغة التميمية مع كل اللغات السامية عدا الحبشية . وهذا يجلعنا نميل إلى أنها القدمى وأن التطور أصاب الحجازية بتقصير بنيتها حالة الوصل .

القراءات القرآنية والصيغة التميمية :

قرأ الجمهور « أنا » بإثبات الألف فى الوقف وحذفها فى الوصل – كما هو شأن اللغة المشتركة – وقرأ من القراء الأربعة عشر وفق اللغة التميمية نافع وأبو جعفر إذا تلا الضمير أنا كلمة مبدوءة بهمزة قطع وكانت مضمومة أو مفتوحة مثل قوله تعالى : (أنا أُحيى وأُميت)[1] واختلف عن قالون إذا كانت الهمزة مكسورة كقوله تعالى : (إن أنا إلّا نذير[2])[3] .

٤ – هذهْ :

كانت تميم تنطق اسم الإشارة المفرد المؤنث حالة الوقف بسكون الهاء فتقول « هذهْ » فإذا وصلت نطقته « هذى » بخلاف أهل الحجاز وقيس فكانوا يقولونها بالهاء وقفا ووصلا[4] .

النهج التميمى فى القراءات القرآنية :

قرىء وفق اللهجة التميمية فى الشواذ من القراءات ، فنسب إلى ابن كثير فى بعض رواياته أنه قرأ « هذى »[5] فى قوله تعالى : (وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ)[6] .

الشعر والنهج التميمى :

وردت « هذى » على لسان جرير التميمى فى قوله :

هذى الأَراملُ قد قَضَّيْتَ حاجتها فمن لحاجة هذا الأَرملِ الذكرِ[7]

---

(١) البقرة ٢ / ٢٥٨

(٢) الأعراف / ١٨٨

(٣) إتحاف ١٦١ ، ١٦٢ والقارئ هو : عيسى بن مينا الملقب بقالون أحد راويي نافع . توفى بالمدينة نحو سنة ٢٢٠ هـ (التيسير ٤ ، وغاية النهاية ١ / ٦١٥) .

(٤) الكتاب ٤ / ١٨٢ ، وانظر شرح الشافية ٢ / ٢٨٦

(٥) مختصر فى شواذ القرآن ٤

(٦) البقرة ٢ / ٣٥

(٧) أساس البلاغة (رمل) ٣٧٣ ، والبيت ليس بالديوان .

كما وردت فى بيت يخاطب قائله تميميا وهو صُدَىّ بن مالك بن حنظلة [١] — وقد يكون القائل تميميا أو غير تميمى وراعى اللغة لأن المقام تطلب منه ذلك — فى قوله :

فهذِى سيوفٌ يا صُدَىُّ بن مالك كَثيرٌ ولكن أين بالسيفِ ضاربُ [٢]

ووردت كذلك فى شعر لذى الرمة وهو من بنى عمومة تميم فى قوله :

فهذى طواها بُعْدُ هذى وهـذه طواها لهذى وَخْدُها وانسلالُها [٣]

التفسيران الصوتى والتاريخى :

علل سيبويه هذه الظاهرة بقوله : «قول بنى تميم فى الوقف هذِهْ ، فإذا وصلوا قالوا هذى فلانةُ؛ لأن الياء خفية ، فإذا سكت عندها كان أخفى ، والكسرة مع الياء أخفى فإذا خفيت الكسرة ازدادت الياء خفاء كما ازدادت الكسرة فأبدلوا مكانها حرفا من موضع أكثر الحروف بها مشابهة وتكون الكسرة معه أبين » [٤] . وإذا ضربنا صفحا عن الهاء البادئة لأنها للتنبيه ، فمعنى ذلك أن سيبويه لاحظ أن « ذى » اسم الإشارة عند تميم فى حالة الوصل هى الصيغة القدمى وأن « ذه » عندهم فى الوقف وعند الحجازيين فى الوقف والوصل هى المتطورة عنها والحديثة . وقد أكد ذلك أيضا الفراء فقال « الهاء التى بعد الذال بدل من الياء فى هذى » [٥] .

لكننا إذا اتجهنا إلى الساميات نجد من المقارنة بينها أن أصل هذا الاسم هو « ذ » [٦] وسنتناول ذلك بالتفصيل عند الحديث عن « ذاك » و « تيك » وقد لاحظ ذلك أيضا الكوفيون من علماء العربية [٧] .

وتفسير تطور الصيغتين « ذى » و « ذه » عن « ذ » أن التميمى مد كسرة الذال التى ترتبط بالجنس المؤنث فقال « ذى » وعندما أراد أن يقف تحولت مدة الكسرة إلى هاء . وإذا كان هناك تباعد بين مخرجى الصوتين إذ إن مخرج الكسرة الطويلة وسط الحنك [٨]

---

(١) انظر نسبه فى جمهرة أنساب العرب ٢٢٨ (٢) التذكير والتأنيث لأبى بكر الأنبارى ١ / ٢٠٤

(٣) الديوان ٥٢٧ وشرح الديوان ٢ / ٥١٠ (وهذى الأولى يقصد الناقة والثانية الأرض — الوخد والانسلال : ضربان من السير — الديوان ٥٢٧) .

(٤) الكتاب ٤ / ١٨٢ (٥) المذكر والمؤنث لأبى بكر الأنبارى ١ / ٢٠٤

(٦) انظر : فقة اللغات السامية ٨٩ (٧) الإنصاف فى مسائل الخلاف ٢٧٨

(٨) المدخل إلى علم اللغة ٩٤

والهاء من أقصى الحلق[1] أو من الحنجرة وفق تعبير المحدثين[2] ، فإن تعليل ذلك أن مد الكسرة يحذف عند الوقف ويمتد النفس مع الكسرة القصيرة فيخيل للسامع أنها تحولت إلى هاء[3] .

نخلص مما سبق أن الصيغة التميمية فى الوصل تعد المرحلة الثانية لهذا الاسم متطورة عن « ذ » ، وأن صيغة الوقف عندها وهى نفسها صيغة الوصل والوقف عند الحجازيين (ذِه) تمثل المرحلة الثالثة .

٥ ـ حالات أخرى سبقت دراستها :

وهناك حالات أخرى عزى فيها الوقف إلى تميم أو بعضهم ، وسبق أن درسناها فى مواضع أخرى ، وهذه الحالات هى :

١ ـ زيادة سين بعد كاف المؤنث ، مثل : أَكْرمُكِسْ ، أى أكرمكِ وهى إحدى صور الكسكسة .

٢ ـ (أ) قلب كاف المؤنث المخاطب شينا مثل : فى دارِشْ أى فى دارِكِ .

(ب) إضافة « ش » إلى كاف المؤنث المخاطب ، مثل : داركش بدل دارِكِ .

وهاتان صورتان من صور الكشكشة .

٣ ـ قلب الياء الأخيرة جيما مثل فُقَيْمِج فى فُقَيْمى .

٦ ـ نوع نرجح أنه تميمى (الوقف بالتضعيف) :

عزى إلى بنى سعد أنهم كانوا يقفون على المحرك الذى ليس هاء تأنيث بالتضعيف ، نحو هذا خالدّْ ، وهو يجعلّْ ، وذلك بشروط خمسة ، هى : ألّا يكون الحرف الأخير همزةً مثل خطأ ، ولا ياء مثل القاضِى ، ولا واوا كيدعو ، ولا ألفا كيخشَى ، ولا تاليا لسكون مثل زيْد[4] .

---

(١) الكتاب ٤ / ٤٣٣

(٢) انظر : الأصوات للدكتور بشر ١٥٨ ، والمدخل إلى علم اللغة ٧٧

(٣) فى اللهجات العربية ١٣٦ ، وانظر تعليل تطور التاء إلى هاء فى الوقف فى : اللغة العبرية ومقارنات باللغات السامية ١٥٥ .

(٤) أوضح المسالك ٢٨٥ ، والتوضيح (ضمن شرح التصريح) : ٢/٤٢٦ ، ٤٢٧ .

ولقد اكتفى اللغويون بنسبة هذه اللغة إلى بنى سعد فقالوا «لغة سعدية» ولو رجعنا إلى كتب الأنساب لوجدنا أن بنى سعد عدة بطون ينتمون إلى قبائل شتى مثل سعد بن بكر من هوازن وسعد بن ثعلبة من أسد وسعد بن الحارث من أسد ، لكن المشهور منها غير التميمية ، سعد هوازن وسبق أن أشرنا إلى ذلك عند الحديث عن نسب القبيلة .

والنفس تميل إلى نسبة هذه الظاهرة إلى سعد التميمية وذلك لأمور عدة :

(أ) أنها تتفق وما سنذكره من ميل تميم إلى التشديد .

(ب) أنها وردت فى رجز لرؤبة بن العجاج وهو من بنى سعد فى قوله :

* لقد خَشِيتُ أن أرى جَدَبّا *

* فى عامنا ذا بعد ما أخصبّا *[1]

وقوله :

* ضَخْمًا يحب الخُلُقَ الأَضْخَمّا *[2]

(ج) إذا كان للوقوف بالتضعيف شروط خمسة ، فإن اثنين منها يُنقَلُ التضعيف معهما وهما الواو والياء ، وواحد يتعذر الوقوف عليه وهو الألف . أما الشرطان الآخران وهما الوقوف على الهمزة والاسم المسبوق آخره بسكون فإن لتميم فيهما نهج يختلف عن نهج غيرهم – تناولناه فى موضعه – فإذا كان لتميم هذا الاتجاه الخاص بهاتين الحالتين وأنه بقيت بعد ذلك الكلمة حالة الوقف عليها بالتضعيف وصفت بأنها لغة سعدية ، فإننا نرجح أن هذا النوع من الوقف خاص بسعد التميمية .

وإذا ما استفتينا كتب القراءات نجد صاحب إبراز المعانى ينص على أن فى الوقف أيضا – لغتان : النقل والتضعيف ، ولم يقرأ بهما أحد إلا قليلا ومثّل لحالة النقل فقط[3] .

ولقد وجدنا الدكتور إبراهيم أنيس ينسب هذه الظاهرة مرة إلى سعد بن بكر[4] وأخرى

---

(١) الديوان (الملحقات) ١٦٩ ، والكتاب ٤/١٧٠

(٢) الديوان (الملحقات) ١٨٣ ، والكتاب ٤/١٧٠ (وانظر الحاشية) .

(٣) إبراز المعانى ١٩١ (٤) فى اللهجات العربية ١٤٧ ، ١٤٨

إلى تميم[1] . أما الدكتور أحمد علم الدين الجندى فينسبها إلى سعد التميمية[2] ، وبنى رأيه على قراءة نسبها صاحب التصريح على التوضيح وهى (وكلٌّ صغيرٍ وكبيرٍ مستطرٌّ)[3] لأن عاصما من الكوفة ، والكوفة تأثرت بقبائل شرق الجزيرة فالتضعيف كان إذن فى قبائل كتميم وأسد وبكر وغيرها ورجح التميمية لأنها كانت تسكن الأحساء[4] .

ومع أننى أوافقه على رأيه لكننى بحثت فى كتب القراءات كالتيسير وإبراز المعانى والإتحاف فلم أجد عاصما يقرأ بهذه القراءة اللهم إلا إذا كانت قراءة شاذة له ، وان كنت أيضا لم أجدها فى بعض كتب القراءات الشاذة مثل المحتسب وشواذ القرآن لابن خالويه . وما وجدته منسوبا لعصمة عن أبى بكر عن عاصم هو « وكبير مستطرٍ »[5] . والقراءة (وكُلُّ صغيرٍ وكَبيرٍ مُستَطرٌّ) . ونحب أن نقول أيضا إن القراء لم يكونوا يلتزمون فى قراءاتهم بلغات البيئات التى عاشوا فيها[6] .

ويذكر حفنى ناصف أنه « ليس لهذه الطريقة السعدية أتباع فى مصر »[7]

وسبب هذه الظاهرة فيما يبدو أن أصحابها كانوا ينبرون نبرا شديدا على آخر الكلمة عند الوقف .

٧ - تنوين الترنم :

كان للعرب فى القافية المطلقة ، وهى ذات الروى المفتوح أو المضموم أو المكسور نهجان :

الأول : الانشاد بترنم :

ولم يكن خاصا بقبيلة دون أخرى ، فقد اتفق العرب على مد الصوت المتحرك ، وهو حرف الروى أو ما يماثله فى الشطر الأول ، بحيث تصبح الضمة واو مد والفتحة ألف مد والكسرة ياء مد ، أو بتعبير آخر ، بحيث تطول حركة حرف الروى .

---

(١) من أسرار اللغة ٢٣٤ (٢) اللهجات العربية ٣٨١

(٣) القمر ٥٤ / ٥٣ ، وانظر هذه القراءة فى شرح التصريح ٢ / ٤٢٦

(٤) اللهجات العربية ٣٨١ .

(٥) مختصر فى شواذ القرآن ١٤٨ والقارىء هو : أبو نجيح عصمة بن عروة الفقيمى البصرى روى القراءة عن أبى عمرو وعاصم (غاية ١ / ٥١٢) .

(٦) انظر : اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ١٠٠ (٧) مميزات لغات العرب ٣٢

ومن أمثلة ذلك إنشادهم قول امرئ القيس :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلى * (١)

وذلك بإطالة حركة اللام .

الثانى : الانشاد بغير ترنم :

وكان للعرب فيه ثلاثة مذاهب .

١ ـ إجراؤه مجرى الترنيم : أى مد الضمة حتى تصير واوا ، والفتحة ألفا والكسرة ياء . وكان هذا مذهب الحجازين (٢) . فقول امرئ القيس :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلى *

ينشد فى حالة غير الترنيم عندهم كما ينشد فى حالة الترنم أى بمد كسرة اللام .

٢ ـ معاملة حرف الروى كما لو كان فى النثر حالة الوقف ، فمن أمثلته نطق « العتاب » بسكون الباء فى قول جرير :

* أَقِلِّى اللَّوْم عاذِلَ والعتابْ *

ووقف على الروى هنا بالسكون ، لأن الاسم وان كان منصوبا إلا أنه محلى بأل فلا يوقف عليه بالألف . ومن أمثلته أيضا قول الشاعر :

* قد رابنِى حفصٌ فحَرِّك حَفْصا * (٣)

فألحق بكلمة « حفص » ألفا ، لأنها اسم منصوب منون يوقف عليه فى النثر بالألف .

وقد اتبع هذا المذهب بعض التميميين (٤)

٣ ـ إضافة نون لحرف الروى ، سواء أكانت ضمة أم فتحة أم كسرة فى حالة الإعراب أو البناء ، وهذا ما يطلق عليه « تنوين الترنم » وليس المقصود به حقيقة الترنم ،

---

(١) الكتاب ٤ / ٢٠٤ ، ٢٠٥
(٢) الكتاب ٤ / ٢٠٦
(٣) المرجع السابق ٤ / ٢٠٨ وشعر جرير فى ديوانه ٥٨
(٤) همع الهوامع ٢ / ٢١١

وإنما هو قطع الترنم كما يتضح من تقسيم سيبويه لأنواع الإنشاد[1] ، فالتسمية إذن على حذف المضاف[2] . وقد نسب سيبويه هذا النوع إلى كثير من التميميين[3] وضم إليهم غيره قَيْساً[4] ، مثال ذلك إضافة النون فى كلمتى « الذُّرَّف » و « أَنهج » فى قول العجاج :

* ياصاحِ ما هاجَ الدموعَ الذُّرَّفَنْ *

وقوله أيضا :

* من طَلَلٍ كالأَتْحَمِىِّ أنهجنْ *[5]

وإطلاق التنوين على هذه النون من باب المجاز[6] ، لأن حقيقة نون التنوين أن تلفظ ولا تكتب[7] ، وهذه نون زائدة[8]

ونخلص مما تقدم أن معظم بنى تميم آثروا فى إنشادهم الشعر عند عدم الترنم أن يختم بمقطع مغلق قصير . وهذا يتفق ونهجهم فى إيثار هذا النوع من المقاطع . وإذا كان التميميون قد أنشدوا أشعارهم أحيانا بالترنم ، وأحيانا أخرى بغير ترنم ، وذلك بخلاف الحجازيين ، وعلى الأخص قريش الذين تميزت حياتهم بالاستقرار والهدوء النفسى ، حتى كثرت عندهم ليالى الطرب ، فكان طبيعيا أن يترنموا فى إنشاد كل أشعارهم .

---

(١) انظر الكتاب ٤ / ٢٠٥ – ٢٠٨

(٢) ارتشاف الضرب ٦٥ / ب ، وشرح الأشمونى ١ / ٣١

(٣) الكتاب ٤ / ٢٠٦ ، ٢٠٧

(٤) شرح الأشمونى ١ / ٣١

(٥) الكتاب ٤ / ٢٠٧ والأول فى شرح الديوان ٤٨٨ والثانى ٣٤٨ وكتبا بالألف بدل النون (الأتحمى : ضرب البرود موشى ، انهج : أخلق وبلى – شرح الديوان ٣٤٨ ، ٣٤٩) .

(٦) مغنى اللبيب ٢ / ٢٤

(٧) جمع الجوامع (ضمن همع الهوامع) ٢ / ٧٩ وشرح الأشمونى ١ / ٣٠

(٨) مغنى اللبيب ٢ / ٢٤



الباب الثالث

المستوى الصرفي



الفصل الأول

البنية بين الطول والقصر

أولا : فى أوزان الفعل

(أ) فَعَلَ وأَفْعَلَ :

استعمل العربى الفعل على وزن « فَعَلَ » ثم احتاج للتعبير عن معنى فرعى لهذا الفعل ، فوضع صيغة أخرى مثل « أَفْعَلَ » .

لكنا وجدنا ذلك العربى يستعمل أحيانا الصيغتين فى معنى واحد ،وهذا ما نعنيه فى درسنا هذا ، قال سيبويه : « وقد يجئ فَعلْتُ وأَفْعَلتُ ، المعنى فيهما واحد ، إلا أن اللغتين اختلفتا ، زعم ذلك الخليل . فيجىء به قوم على فعلتُ ويلُحق قوم فيه الألف فيبنونه على أفعلتُ [1] » ، وقد أكَّد ابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) كلام سيبويه فقال : « لا يكون فَعَل وأَفْعَلَ بمعنى واحد كما لم يكونا على بناء واحد إلا أن يجىء ذلك فى لغتين مختلفتين ، فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظن كثير من اللغويين والنحويين [2] »

فإلى أى صيغة اتجهت تميم ؟

لقد وجدنا أفعالا على وزن « أَفْعَل » وأخرى على وزن « فَعلَ » تنسب إلى تميم ،، فلنبدأ بعرض كل طائفة منها ، لنرى إلى أى الصيغتين اتجهت تميم ؟ .

الأولى ــ نسبة أفعل الى تميم :

عزى إلى تميم : أجزأ ، وأجَنَّ ، وأحرم ، وأحزن ، وأحق ، وأحل ، وأسحت ، وأغسق ، وأفتأ ، وأفتن ، وأفضى ، وأقرع ، وأكن ، وألات ، وأمرج ، وأمضّ ،

---

(١) الكتاب ٤/٦١

(٢) تصحيح الفصيح ١ / ١٦٥ ، والمزهر ١ / ٣٨٤

وأنزف ، وأنكر ، وأهبط ، وأوقع ، وأوقف ، فى حين إنه نسب إلى غيرها هذه الأفعال بدون همزة ، أى على وزن « فَعَلَ » . ولنتناول ذلك بشىء من التفصيل فنعرض كل فعل على حدة

١ ـ أجزأ :

« أَجْزَأَ » بمعنى قَضَى ، واللغة المشتركة « جزَى »[١] وأصلها « جزَأَ » سهلت همزتها كعادة أهل الحجاز . وقد تكلم بها ـ الرسول صلى الله عليه وسلم ـ ، فيروى أنه قال لأبى بُرْدَة ابن نِيَار حين ضحَّى بالجَذَعة : « تَجزى عنك ولا تَجْزى عن أحد بَعْدك »[٢] .

الصيغة التميمية فى الاستعمال الأدبى :

وإذا اتجهنا إلى الاستعمال الأدبى وجدنا الصيغة التميمية استعملت فى القراءات القرآنية ، وفى الحديث الشريف .

(أ) فى القراءات :

ورد هذا الفعل فى القرآن الكريم بتنوع الضمائر المسند إليها وباختلاف الأزمنة عدة مرات[٣] ، وقد قرئ بالصيغة التميمية وإن كان فى الشاذ منها ، فكلمة « تجزى » فى قوله تعالى : (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئاً)[٤] قرأها أبو السمال والغنوى أبو السرار « تُجْزِئُ »[٥] .

(ب) فى الحديث :

ورد هذا الفعل بالصيغة التميمية فى أحاديث نبوية كثيرة نذكر منها قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مخاطبا حَمْنَة بنت جَحْش : « أيها فعلتِ فقد أجزأ عنك من الآخر »[٦] واستعمال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ للصيغتين يعنى شيوع التميمية فى اللغة المشتركة إلى جانب الصيغة الأخرى .

---

(١) الصحاح (جزى) ٦ / ٢٣٠٢
(٢) اللسان (جزى) ١٨ / ١٥٩
(٣) انظر : معجم ألفاظ القرآن الكريم ١ / ٢٠١ ، ٢٠٣
(٤) البقرة ٢ / ٤٨
(٥) مختصر فى شواذ القرآن ٥
(٦) مسند ابن حنبل ٦ / ٤٣٩

٢ - أَجَنَّ[1] :

يقال جَنَّ عليه الليلُ وجَنَّهُ وأَجَنَّه بمعنى ستره[2] ، ويذكر أبوجعفر الطوسى (٤٦٠ﻫ) وأن « جَنَّه » لغة أسد وأَجَنَّه لغة تميم الثانية أفصح من الأولى[3] . وإذا كان الطوسى قد اكتفى بالتفرقة بين لغتى أسد وتميم وقرر أنَّ « أَجَنَّ » (التميمية) هى الفصحى ، فإن قوله يشعر بأنها الصيغة التى شاعت فى اللغة المشتركة ، لكن استعمال القرآن الكريم للصيغة الثالثة (جَنَّ عليه) فى قوله تعالى (فلما جَنَّ عليه الليلُ رأى كوكبا . قال هذا ربى)[4] يحدد لنا أنها هى التى آثرتها اللغة المشتركة .

٣ ، ٤ - أحرم . وأَحلّ :

يذكر الطوسى أن الحجازيين ومعهم بنو سعد بن بكر استعملوا الفعلين « حَرَمَ » بمعنى صار مُحْرِما ، « وحَلَّ » بمعنى تحلل من الإحرام ، فى حين إن تميما ومعها أسد وقيس استعملوا للدلالة على المعنيين أنفسهما أَحْرَمَ وأَحَلّ[5] .

وهذان الفعلان على الرغم من أنهما يرتبطان بشعيرة من أهم شعائر العرب فى جاهليتهم وإسلامهم ، وهى الحج الذى يختلف عن الشعائر الأخرى فى حتمية اتحاد الزمان والمكان ، فهو يؤدى فى أيام معلومة فى أمكنة محددة تنشأ عنه وحدة تعد أكبر عامل فى إزالة الفوارق بين صيغتى كل من الفعلين ، إلا أننا مع ذلك وجدنا الخلاف قائما.

وإذا كان الفعل الأول بصيغتيه : حرم وأحرم لم يرد فى كتاب الله بالمعنى الذى ذكرناه هنا ، فإن الصيغة الحجازية للفعل الثانى هى التى قرئ بها وحدها - فيما أعلم - قال تعالى (وإذا حلَلْتم فاصطادوا)[6] .

---

(١) كان الترتيب يقتضى أن نذكر فى هذا الموضع « أجنب » عند تميم فى مقابل « جنب » عند غيرهم . لكن اضطراب الروايات الخاصة بهذا الفعل جعلنا نعدل عن ذكره . فالفراء نسب « جنب » مخففا لأهل الحجاز ، و « أجنب » ، و « جنب » مثقلا لأهل نجد (معانى القرآن ٢ / ٧٨) وإذا كان النجديون نطقوا الصيغتين وهم يشملون تميميين وغير تميميين فلا ندرى أى الصيغتين نطقت تميم ، ونجد أيضا أبا حيان لايعزو « جنب » المخفف وينسب « أجنب » لأهل نجد و « جنب » المثقل لأهل الحجاز (البحر ٥ / ٤٢٩)

(٢) اللسان (جنن) ١٦ / ٢٤٤

(٣) التبيان فى تفسير القرآن ٤ / ١٩٥

(٤) الأنعام ٦ / ٧٦ .

(٥) التبيان فى تفسير القرآن ٣ / ٤٢٣

(٦) المائدة ٥ / ٢

٥ ـ أحزن :

« حَزِنَ » فعل لازم من باب تعِب ، ويستعمل متعديا من باب قَتَل عند قريش ؛ ويضيف إليه التميميون فى أوله الألف عند التعدية فيقولون « أَحْزَنه »[١]

الصيغة التميمية فى القراءات القرآنية :

ورد الفعل المضارع من هذا الفعل في القرآن الكريم متعديا ثمانى مرات في قوله تعالى (ولايَحْزنكَ الذين يُسارعون فى الكفْرِ)[٢] وفي الآيات : ٤١ المائدة ، و ٣٣ الأنعام ، و ٦٥ يونس ، و ٢٣ لقمان ، و ٧٦ يس (يحزُنك) و ١٣ يوسف (لَيَحْزننى) ؛ و ١٠٣ الأنبياء (يَحْزُنهم) . وقرأ بلغة تميم (بضم حرف المضارعة وكسر الزاى) نافع فى كل الآيات عدا آية الأنبياء[٣] ، وبها قرأ جعفر فى الأنبياء فقط[٤] ، وابن محيصن في جميع الآيات[٥] .

فى الحديث النبوى :

أما الحديث الشريف ، فقد استعمل اللغة التميمية أكثر من مرة ، منها : « فقال ﷺ (فى الحديث القدسى) : لا أُحزنك فى أُمتك يامحمد »[٦] . كما وردت هذه الصيغة أيضا على لسان معاذ رضى الله عنه ، إذ قال : «يارسول الله : ائذن لى أسألك عن كلمة قد أمرضتنى وأحزنتنى »[٧] .

٦ ـ أَحَق :

استعمل التميميون «أَحَقَّ » في مقابل «حَقَّ » المتعدى بمعنى تيقَّن[٨] . وقد وردت الصيغة التميمية فى القرآن الكريم ، قال تعالى (ويريد الله أن يُحِقَّ الحقَّ بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليُحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون)[٩]

---

(١) المصباح (حزن) ١٣٤ ، واللسان (حزن) ١٦ / ٢٦٦ ووردت الصيغتان التميمية والقرشية (عن اليزيدى) فى الصحاح (حزن) ٥ / ٢٠٩٨
(٢) آل عمران ٣ / ١٧٦ .
(٣) السبعة لابن مجاهد ٢١٩ ، والتيسير ٩١، ٩٢ ، وإبراز المعانى ٢٧٩ ، وإرشاد المريد ٢٧٩ ، وإتحاف ١٨٢ ، ٢٠٠ ، ٢٠٧ ، ٢٥٢ ، ٢٦٣ ، ٣٥٠ ، ٣٦٧ .
(٤) تحبير التيسير ١٠٠ ، وإتحاف ١٨٢ ، ٣١٢
(٥) إتحاف ١٨٢
(٦) مسند ابن حنبل ٥ / ٣٩٣
(٧) المرجع السابق ٥ / ٢٤٥
(٨) المصباح المنير (حقق) ١٤٤
(٩) الأنفال ٨ / ٧ ، ٨

٧ ـ أسحت :

تقول العرب سَحَت يسحَت سَحتا ، وأَسْحَت يُسْحِت إِسْحَاتا بمعنى استأصل[1] ، والصيغة الثلاثية لغة الحجازيين والرباعية لغة أهل نجد وتميم[2] .

الصيغة التميمية فى الاستعمال الأدبى :

(ا) فى القراءات القرآنية :

قال تعالى : (لاتَفتَروا على الله كَذِبًا فيُسْحِتَكُم بعَذَابٍ)[3] وقرأ وفق النهج التميمى (فيُسحِتكم) بضم حرف المضارعة وكسر الحاء حفص وحمزة والكسائى[4] ورويس وخلف والأعمش ، وبقية الأربعة عشر وفق اللغة الحجازية (فيَسْحتكم) بفتح الياء وكسر الحاء[5]

(ب) فى الشعر :

أما فى الشعر التميمى فينسب إلى الفرزدق قوله :

وعضُّ زمانٍ يابن مروان لم يَدَعْ   من المال الا مُسْحتا أو مُجرَّفُ[6]

٨ ـ أغسق :

استعمل التميمى أغسق الليل فى مقابل غسق[7] فى اللغة المشتركة بمعنى أظلم . وقد وردت اللغة التميمية على لسان «جَسّاس» فى قوله :

أزور إذا ما أغسق الليل خُلَّتى   حذار العدى أو أن يُرَجِّم قائل[8]

---

(١) اللسان (سحت) ٢ / ٣٤٦

(٢) الكشاف ٢ / ٤٣٨ والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢١٥

(٣) طه ٢٠ / ٦١

(٤) السبعة فى القراءات ٤١٩

(٥) إتحاف ٣٠٤

(٦) ديوانه ٥٥٦

(٧) أساس البلاغة (غسق) ٦٧٨

(٨) المرجع السابق

٩ ـ أفتأ :

نسب أبو زيد إلى بنى تميم أَفْتَأَ وإلى قيس وغيرهم فَتِئَ بمعنى زال[١] فكان التميمى يقول : ما أفتأت أذكره والقيسى : ما فَتِئْتُ أذكره ، بمعنى مازلت أذكره[٢] وكانت هناك لغتان أخريان هما فتَأَ (بفتح التاء)[٣] وفَتُؤ (بضم التاء)[٤] .

ولا يعنينا هنا الفعل الثلاثى بحركات عينه الثلاث ، وإنما الذى يهمنا أن تميما اختارت وزن «أفعل» فى مقابل حذف الهمزة عند غيرهم .

١٠ ـ أفتن :

كان التميميون يقولون «أَفْتَن» فى مقابل «فَتَن» للحجازيين ، وقد أجمل الفراء (ت ٢٠٧ هـ) الناطقين بـ «أَفْعَل» فى كتابه «معانى القرآن» فحددهم بنجد[٥] ونقل عنه النحاس (ت نحو ٣٣٨ هـ) تفصيل المجمل فعزاه لتميم وقيس وربيعة وأسد وجميع أهل نجد[٦] . وقد نسب صيغة أفعل وحدها أبو حاتم[٧] ، (ت نحو ٢٥٥ هـ) وأبو زيد[٨] (ت نحو ٢١٤ هـ) وكثيرا مايذكر اللغويون تميما ويعنون بها الكتلة الشرقية المقابلة للحجاز .

الصيغة التميمية فى القراءات القرآنية :

إذا مارجعنا إلى القراءات القرآنية نجدها تستعمل الصيغة التميمية إلى جانب الحجازية ، فقد قرأ عيسى بن عمر وابن السَّمَيْفع[٩] وإسماعيل المكى[١٠] «تُفتِنِّى» بضم التاء الأولى[١١] فى قوله تعالى (ومِنْهم من يقول ائْذَن لِى ولا تَفْتِنِّى)[١٢] .

---

(١) لسان العرب (فتأ) ١ / ١١٥ (٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ١ / ١١٤ (٤) همع الهوامع ١ / ١١٢

(٥) معانى القرآن ٢ / ٣٩٤ ، والصحاح (فتن) ٦ / ٢١٧٦ ، واللسان (فتن) ١٧ / ١٩٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٩٧ / ب (والمراجع الثلاثة الأخيرة عن الفراء) . (٦) إعراب القرآن للنحاس ٥٢ / أ

(٧) البحر المحيط ٥ / ٥١ (٨) إعراب القرآن للنحاس ٢٨٨ / أ

(٩) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن السميفع اليمانى . له اختيار شاذ فى القراءة . قرأ على أبى حيوة شريح ابن يزيد (غاية النهاية ٢ / ١٦١ ، ١٦٢) . وأبو حيوة توفى سنة ٢٠٢ هـ (غاية النهاية ١ / ٣٤٥)

(١٠) هو أبو إسحاق إسماعيل بن مسلم المخزومى المعروف بالمكى . قرأ على ابن كثير وهو أحد الذين خلفوه فى القيام بالقراءة . توفى نحو سنة ١٦٠ هـ (غاية النهاية ١ / ١٦٩)

(١١) البحر ٥ / ٥١ (١٢) التوبة ٩ / ٤٩

اعتراض الأصمعى على ((أفتن)) :

وقد أنكر الأصمعي (ت نحو ٢١٥ هـ) «أَفْتَن» واعترض على قول أعشى همدان الذى جمع فى شعره بين اللغتين وهو قوله :

لئن فَتَنَتْنِى فهْى بالأمْسِ أفتنتْ سَعيدًا فأمسى قد قَلَا كلَّ مُسْلِمِ[1]

ووصفه بأنه «مخنث فلا يلتفت إليه وإن كان قد قيل قديما»[2] .

لكن هذه اللغة التى أنكرها الأصمعى نص عليها الفراء وأبو زيد وأبو حاتم — كما قلنا — وأبو عبيدة[3] ، وقال عنها أبو جعفر النحاس «قد حكى النحاة من أهل اللغة ممن يرجع إلى قوله فى الصدق فتنه وأفتنه»[4] .

أما الاعتراض الذى كان يمكن أن يوجه إلى البيت فهو أن قائله هَمْدانى وهمدان ليست نجدية . ويجاب عن ذلك بأن الشاعر عاش بالكوفة[5] . فتأثر بالقبائل التى عاشت هناك —ومنها التميمية — ذلك إلى أن الشعراء ماكانوا يعترفون بالحدود اللغوية ويقفون عند لغات أقوامهم .

وإذا كان الأصمعى قد أنكر «أفتن» ، فإن الأزهرى عد «فتن» لغة ضعيفة[6] .

١١ — أَفْضَى :

فَضَّ وأَفْضَى بمعنى كَسَر ، وفى الدعاء : لَايَفْضُضِ اللهُ فاكَ أى لايكسر أسنانك (بفتح حرف المضارعة) ، ولايجوز أن تضم . فيقال : «لايُفْضِضِ اللهُ فاك» ، ونسب إلى بعضهم قولهم : «لايُفْضِ اللهُ فاك»[7] (مضارع أَفْضَى) . وكلمة «بعضهم» حددها الأصمعى ببنى تميم وقيس ومن دنا منهم[8] ، ومعنى ذلك أن بنى تميم قالوا أَفْضَى (على أفعل) فى مقابل فَضَّ (على فَعَل) فى اللغة المشتركة[9] .

(١) الصبح المنير ٣٤٠ ، واللسان (فتن) ١٧ / ١٩٤ و هو بدون نسبة فى إعراب القرآن للنحاس ٢٨٨ / أ

(٢) إعراب القرآن ٢٨٨ / أ

(٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق .

(٥) انظر : الأغانى ٦ / ٣٤

(٦) اللسان (فتن) ١٧ / ١٩٤

(٧) المرجع السابق (فضض) ٩ / ٧٢

(٨) شرح ديوان العجاج ٩٣

(٩) راجع ماكتبناه عن هذا الفعل فى «التغاير» ص ١٦٣

١٢ – أَقْرَع :

لاحظنا عند الحديث عن « القلب المكانى » أن التميمى كان يقول « أَقْرَع » مقاربة عن « أَرْقع » مقابل « رَقَعَ » فى اللغة المشتركة .

١٣ – أَكَنَّ :

ذكر الأصمعى أن أكثر العرب كانوا يقولون : كَنَنْتُ الدُّرة والجارية ، وكلّ شيء صنته فأنا أَكُنُّها وأنا كانٌّ . وهى مكنونة . وأكننت الحديث والشيءَ فى نفسى إذا اخفيته ، وذكر أبو زيد (ت نحو ٢١٥ هـ) أن « أهل نجد يقولون : أكننتُ اللؤلؤة والجارية وكننت الحديث »[(١)] .

ويتضح من هذا :

١ – إن اللغة المشتركة استعملت الفعل « كن » مع الأشياء الحسية مثل الدرة ، فى حين إن اللغة النجدية ومنها التميمية استعملت « أكنّ ».

٢ – إن اللغة المشتركة استعملت للمعنويات « أكنّ » واستعملت النجدية الفعل بدون همزة .

وإذا مانظرنا إلى هذا الفعل فى ضوء سنة النمو والارتقاء ، فإن الصيغة القدمى هى « فعل » تطورت إلى « أفعل » عندما احتاج العربى لإضافة معنى جديد وإذا كانت الدلالة الحسية تسبق المعنوية ، فهذا يدل على أن « أكنّ » تطورت فى اللغة المشتركة تطورا طبيعيا ، واستعمال « كَنَّ » الذى يدل على معنى حسى فى اللغة المشتركة مزيدا بالهمزة عند النجديين مما يتفق وسنة الارتقاء وان الصيغةالمشتركة هى القدمى . وكون الفعل ذى الدلالة المعنوية على وزن «أفعل »فى اللغة المشتركة هو على وزن « فعل » عند النجديين لايعنى سوى أن المخالفة بين الصيغتين (كنّ وأكنّ) فى اللغتين المشتركة والنجدية ليست سوى تقسيم عقلى. واللغات فى سيرها لاتحرص على هذا النوع من التقسيم . لكننا مادمنا نفقد الشواهد التى

(١) فعلت وأفعلت للسجستانى ٥٤ (٢٠٦ لغة – تيمور) ومن الكتاب نسخة أخرى بدار الكتب المصرية برقم ٤٨٧ لغة نسبها المفهرس خطأ للأصمعى والنص بها ص ١ ، وهو أيضا باختلاف فى المخصص ١٤ / ٢٤٨ معزوا إلى أبى حاتم .

هى الدليل المفيد فى توضيح هاتين الصيغتين واختلاف دلالتيهما عند كل فريق ، فلنقف عند النص الذى ذكرناه .

١٤ ـ ألات :

لاته وألاته بمعنى نقصه وكذلك صرفه[1] . وعزا يونس فى نوادره إلى أهل الحجاز قولهم : لاته عن وجهه يَليته وإلى تميم ألاته يُليته[2] . ويذكر الدكتور علم الدين الجندى أن الآية الكريمة : (لَايلِتْكُم مِنْ أعْمَالِكُم شيْئًا)[3] قرئت باللغتين التميمية والحجازية[4] . لكن إذا ما رجعنا إلى كتاب « إتحاف فضلاء البشر » وهو مصدره فى القراءتين ، وجدنا القراءة الثانية « يأْلتكم » من « أَلَتَ » لغة غطفان وقراءة ثالثة هى « يالتكم » بتسهيل الهمزة[5] . ولو كانت هناك قراءة باللغة التميمية لكانت « يُلِتكم » بضم التاء .

١٥ ـ أمرج :

مَرَجَ وأمرج بمعنى أجرى . ونسب أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) الأُولى إلى الحجاز والثانية إلى نجد[6] . وقد فسر الفراء الصيغة الأُولى فى قوله تعالى : (مَرَجَ الْبحْرَيْن يَلْتقيَان)[7] بقوله : « أرسلهما ثم يلتقيان بعد »[8] . ولقد ورد فى تهذيب اللغة واللسان والتاج أن « مرج » لا يقوله إلَّا أهل تهامة ، وأما النحويون فيقولون : « أمرجته »[9] . أما نسبة « مرج » إلى أهل تهامة فيتفق وما عزاه أبو حيان إلى الحجاز ، فهو وتهامة يقعان فى غرب الجزيرة متجاورين بل ومتداخلين فلم يتفق العلماء على تحديد فاصل بينهما بدليل أن مكة الواقعة بالحجاز من العلماء من يعدها من تهامة[10] ، أما عزوه أمرج إلى النحويين فلا صلة للنحويين بها ، وواضح أن كلمة « النحويون » محرّفة عن « النجديون » وهذا يتفق وعزو أبى حيان هذه الصيغة لهم . واتفاق كتب اللغة على هذا التحريف قد يكون مرجعه تصحيف وقع فيه ناشر أقدم هذه الكتب وهو « لسان العرب »[11] وإليه رجع محققو الكتب الأُخرى .

---

(١) اللسان (ليت) ٢ / ٣٩١

(٢) المزهر ٢٩٩ / أ (خ) = ٢ / ٢٧٦ (ط) .

(٣) الحجرات ٤٩ / ١٤

(٤) اللهجات العربية ٤٩٢

(٥) إتحاف ٣٩٨

(٦) البحر ٦ / ٤٧٨

(٧) الرحمن ٥٥ / ١٩

(٨) معانى القرآن ٣ / ١١٥

(٩) تهذيب اللغة (مرج) ١١ / ٧٢ واللسان (مرج) ٣ / ١٨٩ ، والتاج (مرج) ٢ / ٩٩ ط مصر ، ٦/ ٢٠٧ ط الكويت .

(١٠) المصباح (تهم) ٧٨

(١١) طبع الجزء الثالث الذى يحوى مادة (مرج) سنة ١٩٠٠م

١٦ ـ أمضّ :

مَضَّنى الأَمرُ وأَمَضَّنى بمعنى آلمنى[١] وعزا أبو عبيدة (ت نحو سنة ٢٠٩ هـ) الصيغة الثانية إلى بنى تميم ولم يحدد الناطقين بالأُولى[٢] . وقد وردت الصيغة التميمية فى رجز لِسنان بن محرش السعدى ، وهو من تميم فى قوله :

* وبتُّ بالحِصْنَيْن غيْرَ رَاضِى *

* يَمْنعُ مِنِّى أَرْقمى تَغْماضِى *

* من الحَلُوءِ صَادِقِ الإِمْضَاضِ *[٣]

وفى قول رؤبة بن العجاج التميمى :

* فاقْنَىْ فشَرٌّ الْقَوْل ما أَمضا *[٤]

أما صيغة « فَعَل » فقد وردت فى قول حَرِىّ بن ضَمْرة النهشلى :

يا نَفْسُ صَبْرًا على ما كان من مَضَض   إذا لم أَجِدْ لفُضُولِ الْقوْل أقْرانا[٥]

ورغم ورود اللغتين فى الشعر إِلَّا أننا وجدنا أبا عمرو بن العلاء (ت سنة ١٥٤ هـ) بقول : « مَضَّنى كلام قديم قد ترك »[٦] وعلق على ذلك ابن دريد (ت سنة ٣٢١ هـ) بقوله : « وكأنه أراد أنَّ أمَضَّنى هو المستعمل »[٧] ، وكلام أبى عمرو هذا يؤكد لنا أن صيغة « فعل » هى الأصلية وأن أفعل هى المتطورة عنها ، أى أن البنية الصغرى هى السابقة فى الزمن .

---

(١) اللسان (مضض) ٩ / ١٠٠

(٢) تهذيب اللغة (مضض) ١١ / ٤٨٢ ، واللسان (مضض) ٩ / ١٠١ ، والتاج (مضض) ٥ / ٨٦

(٣) اللسان (مضض) ٩ / ١٠٠ (الأرقم : الحية التى فيها سواد وبياض ، التغماض : النوم ، الحلوء : حجر يستشفى من الرمد بحكاكته — اللسان (رقم) ١٥ / ١٤١ و (غمض) ٩ / ٦٣ ، و (حلأ) ١ / ٥٢)

(٤) ديوانه ٨٠ وشرح الديوان ١٠٧ / أ والتهذيب (مضض) ١١ / ٤٨٢ ، واللسان (مضض) ٩/١٠١ (اقنى : احفظى حياءك والزميه) .

(٥) اللسان ٩ / ١٠٠

(٦) جمهرة اللغة ١ / ١٠٦

(٧) المرجع السابق .

وإذا كان أبو عبيدة قد نسب « أفعل » إلى بنى تميم ، فيفهم من عدم عزوه صيغة «فعَل » أنها خاصة باللغة المشتركة لكن يفهم من كلام أبى عمرو أن « مصّ » أوشكت على الانقراض ويؤكد ذلك ما ذكره صاحب الصحاح من أن الأصمعى لم يعرفها[1] . ومعنى ذلك أن « أمض » هى التى سادت فى اللغة المشتركة ولم تعد خاصة ببنى تميم دون سواهم .

١٧ ـ أنزف :

استعملت تميم « أنزف » فى مقابل « نزف » عند قيس[2] ووردت الصيغة التميمية فى اللغة الأدبية استعملها الراجز التميمى العجاج ، فقال :

* وأَنْزَفَ العَبْرَة من لَاقى العِبَر *[3]

وقال :

* أزمانَ لَاتحْسبُ شيْئا مُنْزَفَا *[4]

موقف القراءات القرآنية من الصيغة التميمية

وإذا ما انتقلنا إلى كتاب الله عز وجل وجدنا هذا الفعل يرد فى آيتين كريمتين بمعنى ذهب عقله ، أو نفد شرابه[5] :

الأُولى ــ قوله تعالى : (لَافِيها غَوْلٌ ولَاهُمْ عنْها يُنزَفُون)[6] .

والأُخرى ــ قوله : (لَايُصَدَّعُون عنْها ولَا يُنزِفُون)[7] .

قرأ عاصم بفتح الزاى فى الآية الأُولى وبكسرها فى الآية الثانية[8] (أى وفق اللغة التميمية) ، وقرأ وفق هذه اللغة أيضا أى بكسر الزاى من الأربعة عشر فى الآيتين : حمزة والكسائى[9] ، وخلف[10] ، والأعمش[11] ، وقرأ الباقون بضم الياء وبفتح الزاى فيهما (يُنْزَفُون)[12] .

---

(١) الصحاح (مضض) ٣ / ١١٠٦
(٢) فعلت وأفعلت للسجستانى ١٤ ، ١٥
(٣) الديوان ١٦
(٤) المرجع السابق ١٢
(٥) معانى القرآن للفراء ٢ / ٣٨٥ ، والإتحاف ٣٦٩
(٦) الصافات ٣٧ / ٤٧
(٧) الواقعة ٥٦ / ١٩
(٨) السبعة فى القراءات ٥٤٧
(٩) المرجع السابق .
(١٠) تحبير التيسير ١٦٦ ، ١٨٣ ، وإتحاف ٣٦٩ ، ٤٠٧
(١١) إتحاف ٣٦٩
(١٢) المرجع السابق

ويعلق صاحب الإتحاف على قراءة الفتح بقوله : « من نَزَف الرجل ثلاثيًّا »[1] أى أن هذه القراءة بلغة قيس . والحق أن تحديد اللغة لهذه القراءة (أى بفتح الزاى) لا يتضح ؛ لأن الفعل مبنى للمفعول فيصلح فعله الماضى لأن يكون نَزَف ، وأَنْزِف . أمَّا اللغة القيسية فتتبين من قراءة ابن أبى إسحاق – وهى قراءة شاذة – لآية الواقعة : (ولَا يَنزِفُون) بفتح الياء وكسر الزاى[2] .

١٨ – أنكر :

ذكر الطوسى (ت سنة ٤٦٠ هـ) هذا الفعل فى معرض تفسيره قول الله تعالى : (فلمَّا رَأَىَ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ)[3] فقال : « يقال : نَكِرته وأَنْكَرْته بمعنى ، وقيل : نَكِرته أشد مبالغة وهى لغة هذيل وأهل الحجاز ، وأنكرته لغة تميم »[4] وما يراه بعضهم من أن « نكِر » أشد مبالغة من « أَنْكر » لا يتفق وعزو الصيغتين إلى بيئتين مختلفتين .

وإذا كان القرآن الكريم قد استعمل الصيغة الحجازية فإننا نجد الأعشى ميمون ابن قيس ، وهو من بكر بن وائل[5] يستعمل الصيغتين فى بيت واحد ، فقال :

وأنكرتنى وما كان الذى نَكِرت من الحوادث إلَّا الشيبَ والصلَعَا[6]

١٩ – أهبط :

استعمل العرب الفعل « هَبَطَ » لازما ومتعديا ، وقال التميميون : « أَهْبَطَ » فى مقابل المتعدى[7] .

٢٠ – أوقع :

كان التميميون يقولون : أَوْقَعَ بالقوم ، أى قتل وأثخن ، وكان غيرهم يقول : وَقَعَ[8] .

---

(١) المرجع السابق .
(٢) انظر هذه القراءة فى : المحتسب ٢ / ٣٠٨
(٣) هود ١١ / ٧٠
(٤) التبيان ٦ / ٢٨
(٥) جمهرة أنساب العرب ٣١٩
(٦) الديوان ١٣٠
(٧) الكامل ١ / ٢٢٠
(٨) المصباح (وقع) ٦٦٨

٢١ ـ أوقف :

جاء فى المصباح : « ووقفت الرجل عن الشىء وقفا : منعته عنه ، وأوقفت الدار والدابة بالألف لغة تميم . وأنكرها الأصمعى وقال : الكلام وقفت بغير ألف »[١] .

وإذا كان الأصمعى (ت سنة ٢١٥ هـ) قد أنكر صيغة « أفْعل » هنا ، فإننا نجد الجوهرى (ت سنة ٤٠٠ هـ) ، يقول : « وليس فى الكلام أوْقفْت إلّا حرف واحد . أوقفت عن الأمر الذى كنت فيه ، أى أقلعت »[٢] فهو قد ذكر دلالة أخرى لأوقف غير التى ذكرها الفيومى . وإنى لأميل إلى أن التميمى كان يستعمل كل الدلالات الأخرى التى لأوقف سواء أكان متعديا بنفسه أم بحرف ، وذلك خلافا للجوهرى الذى قصرها على الاقلاع عن الشىء . ونستطيع أن نستدل على ذلك بنصوص أوردها الجوهرى نفسه :

(أ) « وقف الدار للمساكين وقفا وأوقفتها إيقافا لغة رديئة »[٣] ولا أعتقد أن المراد بالرداءة هنا تنافر الحروف ؛ لأنه ليس فى الكلمة ما يجعل السمع نافرا ، بل المراد أن الصيغة مستعملة فى غير اللغة المشتركة وقد تكون منها التميمية .

(ب) « حكى أبو عمرو : كلمتهم ثم أوْقَفْتُ ، أى أسْكَتُّ »[٤] .

(ج) عن أبى عمرو بن العلاء (ت نحو سنة ١٥٤ هـ) أنه قال : « لو مررت برجل واقف فقلت له : ما أوقفك ها هنا ؟ لرأيته حسنًا »[٥] .

فإذا كان النص الأول يفهم منه أن استعمال « أوقف الدّار للمساكين » فى غير اللغة المشتركة ـ وقد تكون منها التميمة ـ وأبو عمرو بن العلاء أجاز استعمالها فى غير هذا المعنى ، وأبو عمرو هذا تميمى بالإضافة إلى المعنيين اللذين ذكر أحدهما الفيومى وذكر الجوهرى الاخر فإن هذا يعضد نسبة « أوقف » إلى تميم .

---

(١) المصباح (وقف) ٦٦٩

(٢) الصحاح (وقف) ٤ / ١٤٤٠

(٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق .

(٥) المرجع السابق .

الثانية ـ نسبة فعل إلى تميم :

وإذا ما انتقلنا إلى عرض الأفعال التى عثرنا عليها ، والتى تنسب إلى تميم الصيغة التى على وزن « فَعَل » فى حين إنه عزى إلى غيرهم « أفعل » بخلاف ما اشتهر وجدنا أنه قد نسب إليها : جبر ، وخلا ، وعذر ، وكن (فى إحدى دلالتيها) وهدى وهلك ووتد .

ولنبدأ بعرض هذه الأفعال ومناقشة كل منها على حدة .

١ ـ جبر :

نسب اللحيانى إلى تميم قولهم : جبَرْت فلانا على كذا وإلى غيرهم أجبرت وذلك بمعنى أكرهته عليه[١] .

وإذا كان قد نسب إلى اللحيانى فى إحدى الروايات المنقولة عنه قوله : « جَبَره لغة تميم وحدها »[٢] فإن الأزهرى يقرر أن معظم الحجازيين كانوا ينطقون جبر ، وذكر أن الشافعى وهو حجازى كان يقول : « جبر السلطان »[٣] فتميم إذن لم تكن تستأثر بصيغة « فعل » فى مقابل « أفعل » فى هذا الفعل .

٢ ـ خلا :

عزا اللِّحيانى إلى تميم قولهم : خلا فلانٌ على اللَّبن وعلى اللَّحم ، إذا لم يأكل معه شيئا ولا خلطه به ، كما عزا أخلى بالدلالة نفسها إلى كنانة وقيس[٤] . فأبو حاتم ينسب إلى تميم البنية القصيرة فى حين إنه نسب البنية الطويلة إلى كنانة وهى حجازية وإلى قيس أيضا وهى نجدية . لكننا نلاحظ أن الصيغة التميمية (خلا) وردت فى قول الراعى النُّمَيْرى (ت سنة ٩٠ هـ) :

دَعَتْه أَشْهرا وخلَا عليها فطار النِّىُّ فيها واسْتغارا[٥]

والراعى ينسب إلى نمير بن عامر بن صَعْصَعَة من هوازن[٦] التى تنسب بدورها إلى قيس عيلان[٧] .

---

(١) تهذيب اللغة (جبر) ١١ / ٦٠ ، واللسان (جبر) ٥ / ١٨٥

(٢) اللسان (جبر) ٥ / ١٨٥

(٣) تهذيب اللغة ١١ / ٦٠

(٤) اللسان (خلا) ١٨ / ٢٦١ والتاج (خلا) ١٠ / ١٢٠

(٥) المرجعان السابقان .

(٦) جمهرة أنساب العرب ٢٧٩

(٧) المرجع السابق ٤٨٢

واستعمال « خلا » فى البيئة غير التميمية يدل على مدى شيوعها وأنها لم تكن تصطبغ بالصبغة المحلية فقط .

٣ ـ عذر :

كانت تميم تقول : عَذَرْتُ الصبي وغيرهم من العرب يقول : أَعْذَرْتُهُ وذلك بمعنى ختنته[١] .

٤ ـ كنّ :

وذلك للدلالة على المعنويات كأن يقال : كَنَنْتُ الحديثَ فى مقابل « أَكَنَّ » فى اللغة المشتركة . وقد تكلمنا عن هذا الفعل عند الحديث عن « أكن » و « كن » ونحن نتكلم عن نسبة أفعل إلى تميم .

وإذا صحت تلك الرواية التى أشرنا إليها هناك والمعزوة للأصمعى ، فيكون من الاستعمال النجدى (ومنه التميمى) قراءة ابن مُحَيْصِن وابن السَّمَيْفَع اليمانى « تَكُنُّ »[٢] فى قوله تعالى : (وَإِنَّ رَبَّكَ لِيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُون)[٣] .

٥ ـ هَدَى :

كان بنو تميم يقولون : هديت العروسَ إلى زوجها ، والقيسيون يقولون : أهديتها[٤] .

والخلاف القائم هنا محصور بين قبيلتين تعيشان متجاورتين هما تميم وقيس وليس بين إحداهما واللغة المشتركة .

٦ ـ هَلَك :

عزى إلى تميم قولهم : « هَلَك » فى مقابل « أهلك » عند غيرهم[٥] وبهذه اللغة قال العجاج :

* ومَهْمَهٍ هالك مَنْ تعرَّجا *[٦]

---

(١) المخصص ١٤ / ٢٤٤ (٢) مختصر فى شواذ القرآن ١١٠ ، والمحتسب ٢ / ١٤٤

(٣) النمل ٢٧ / ٧٤ (٤) الحجة فى علل القراءات للفارسى ١ / ١٣٨ ، وأساس البلاغة (هدى) ١٠٥٤

(٥) الغريب المصنف ١٥٨ ، وتهذيب اللغة ٦ / ٤٥ ، والصحاح (هلك) ٤ / ١٦١٦

(٦) شرح ديوانه ٣٦٧ ، والغريب المصنف ١٥٨

وعلى الرغم من نسبة « هلك » إلى تميم ووجودها فى رجز العجاج وهو سعدى تميمى ، فإننا وجدنا أبا عبيدة يقول : « أخبرنى رؤبة أنه يقول هلكتنى بمعنى أهلكتنى . قال : وليمت بلغتى »[١] . ورؤبة هذا ابن العجاج فهو سعدى تميمى . وكلامه هذا يجعلنا نميل إلى عدم شيوع « هلك » بين التميميين .

٧–وتد :

عزا ابن دريد إلى بنى تميم قولهم : وَتَدَ الوَتِدُ فى مقابل قول الحجازيين : أَوْتدَه[٢] ، بمعنى أثبته بحائط أو بالأرض[٣] . .

تعقيب :

يتبين لنا من عرض الأفعال التى جاءت على صيغتى « فعل » و « أفعل » بدلالة واحدة أن عدة هذه الأفعال ثمانية وعشرون فعلًا ، أحدها (كَنَّ وَأَكَنَّ) عزيت دلالته الحسية عند تميم بـ «أفعل » ،والمعنوية بـ « فعَل » وأخذ عند غيرهم اتجاها مضادًا ،فإذا تركنا هذا الفعل بلغتيه يتبقى لدينا ٢٦ ستة وعشرون فعلًا ، استعملت تميم ٢٠ عشرين منها على أفعل و ٦ ستة على « فَعَل » . وقد وضح لنا من دراسة هذا النوع الأخير أن واحدًا منها (جَبَر) لم تكن صيغة « فَعَل » قاصرة على التميميين ، وإنما شاركهم فيها الحجازيون ، وفعلًا ثانيا (هلك) لم يشع بين جميع التميميين .

الأفعال موضع المقارنة إذن عدتها ٢٤ أربعة وعشرون ، نسب إلى تميم ٢٠ عشرون جاءت على أفعل وأربعة على « فعل » . ولو نظرنا إلى هذه النسبة فى ضوء المقياس الذى وضعه ابن هشام (ت سنة ٧٦١ هـ) للألفاظ المسموعة عن العرب والتى جعلها خمس مراتب ؛ هى : مطرد ، وغالب ، وكثير ، وقليل ، ونادر ، ومثل لها بالعدد ٢٣ ثلاثة وعشرين ، فإذا كان لدينا ٢٣ ثلاثة وعشرون لفظًا كلها على نسق واحد فهذا يسمى المطرد ، ويمثل الغالب ٢٠ عشرون ، أمّا الكثير فيمثله ١٥ خمسة عشر ، والقليل يمثله ٣ ثلاثة والنادر

---

(١) اللسان (هلك) ١٢ / ٣٩٥

(٢) الاشتقاق ١١٠

(٣) المصباح (وتد) ٦٤٧،٦٤٦

نشر لفظ واحد[1] . إننا إذا نظرنا إلى هذا المقياس نستطيع أن نقرر أن الغالب فى كلام تميم هو استعمال « أفعل » والقليل استعمال « فَعَل » .

وعلى ذلك نرجح نسبة « أفعل » إلى تميم فى كل ما جاء على « فَعل وأَفْعَل » بدلالة واحدة دون أن يعزى إلى قبيلة معينة ، وفيما يلى أمثلة لمجهول النسبة :

١ ـ أَخْلَفَ وخَلفَ :

قال الجوهرى : « وأَخلف، فُوه لغة فى خَلَف ، أى تَغَيَّر ، وأَخْلفْتُ الثوبَ لغة فى خلفته إذا أصلحته »[2] . وإن نص الجوهرى على أن خَلَفَ لغة فى ثلاثيتها ليوحى بأن الثلاثى هو اللغة المشتركة والراجحة وأن الرباعى مرجوح عليه .

٢ ـ أَزففت وزَفَفْت :

قال المبرد (ت سنة ٢٨٥ هـ) : « زَفَفْتُ المرأَةَ هى اللغة الجيدة ، وأزففتُ لغة »[3] وإذا كان الثلاثى وصف بالجودة ، ونص على أن الرباعى لغة فيه ، فهذا يعنى أنه المستعمل فى اللغة المشتركة ، وأن غيرها وقد تكون منها التميمية مالت إلى الرباعى .

٣ ـ أشغل وشغل :

قال الجوهرى (ت سنة ٤٠٠ هـ) : « وقد شغَلْت فلانًا فأَنا شاغل ولا تقل أَشْغَلته ، لأنها لغة رديئة »[4] .

وصفه الرداءة ـ كما قلنا ـ لا تعنى إلّا عدم استعمالها فى اللغة المشتركة .

٤ ـ أصلق وصلق :

جاء فى الصحاح : « وأَصْلق لغة فى صَلَق »[5] وهما بمعنى صاح بشدة[6] . ومما يرجح نسبة أصلق إلى تميم وجودها فى شعر العجاج ، وهو تميمى ، قال يصف الحمار :

* أَصْلَقَ ناباه صِيَاحَ العُصْفُور *[7]

---

(١) الاقتراح ٢٥ ، والمزهر ١ / ٢٣٤

(٢) الصحاح (خلف) ٤ / ١٣٥٧

(٣) نوادر أبى زيد ٢٠٨ (بيروت) = ٥٣٣ (الشروق) .

(٤) الصحاح (شغل) ٥ / ١٧٣٥

(٥) المرجع السابق (صلق) ٤ / ١٥٠٩

(٦) المرجع السابق .

(٧) اللسان (صلق) ١٢ / ٧٤ وليس بالديوان .

٥ ـ ألاق ولاق :

قل الجوهرى : « لَاقَتِ الدواة تليق أى لصقتْ ، ولِقْتها أنا ـ يتعدى ولا يتعدى ـ فهى مليقة ، إذا أصلحت مدادها ، وألقتها إلافة لغة فيه قليلة[1] » وإذا كانت « ألاق » التى أرى أنها تميمية وصفت بأنها قليلة فلا أرى فرقًا بين استعمال القلة والرداءة فكلاهما يعنى عدم الاستعمال فى اللغة المشتركة .

٦ ـ امحق ومحق :

قال الجوهرى : « ومحقه الله أى ذهب ببركته وأمحقه لغة فيه رديئة »[2] وأمحق هنا شبيهة بأشغل فقد وصفت بالرداءة التى أرى أنها تعنى عدم استعمالها فى اللغة المشتركة ، وشبيهة أيضا بأزْففْت وغيرها مما ذكر الرباعى على أنه لغة فى الثلاثى .

٧ ـ أمهر ومهر :

جاء فى النوادر لأبى زيد (ت نحو سنة ٢١٥ هـ) : « قال [أى المبرد] : ومهرت المرأة هى المشهورة الفصحى . . . قال : وأمهرت لغة وليست فى جودة الأولى . قال : وأنشدنا المازنى عن الرياحى :

أُخِذْن اعتصابا خِطْبَةً عجرفيَّةً وأُمهِرن أرماحا من الخَطِّ ذُبَّلا »[3]

« وأمهر المرأة » فى مقابل « مهرها » وإن لم تنسب صراحة إلى تميم إلّا أن وصف المبرد للصيغتين بأن « مهر » هى المشهورة الفصيحة « وأمهر » لغة فيها وأنها ليست فى جودة الأُولى ، واستشهاده بقول « الرياحى » ، وهو سحَيْم بن وثيل التميمى على « أمهر » . كل هذا يدعونا إلى نسبتها إلى تميم .

---

(١) الصحاح (ليق) ٤ / ١٥٥٢

(٢) الصحاح (محق) ٤ / ١٥٥٣

(٣) النوادر ٢٠٨ بيروت = ٥٣٢ (الشروق) ونسب البيت لقحيف العقيلى أيضا (المرجع السابق ٥٣٣)

٨ – ١٠ – ما يرويه لنا أبو عمرو الشيباني (ت نحو سنة ٢١٣ هـ) عن التميمي – وإن كنا غير متيقنين من التميمي هذا ، أهو راو بعينه ينقل عن التميميين وغيرهم ، أم شخص غير معين من تميم يعبر عن لغة قومه – ومن هذه الروايات :

(ا) دَقَع وأَدْقع بمعنى ذل ودنؤ فى طلب الحاجة والحرص عليها[١] ، وروى أبو عمرو عن « التميمى » الإدقاع للدلالة على المعنى ذاته[٢] وهو مصدر أَدْقع .

(ب) نقل أبو عمرو عن « التميمى » أن المُكْمِخ : العظيم فى نفسه[٣] ، أى أن اسم الفاعل مشتق من أكمخ ، وقد استعمل الفعل « كمَخ » ليدل على المعنى نفسه[٤] .

(ج) لَحَم القوم : أطعمهم اللحم[٥] ، وروى أبو عمرو عن التميمى العدوى للدلالة على المعنى نفسه « ألحم »[٦] .

تفسير الظاهرة :

بدأ الفعل عند التميمى بمقطع مغلق قصير متسقا ونهجه فى بدء الكلمة بهذا النوع من المقاطع . وللدكتور رمضان عبد التواب رأى وجيه فى تفسير هذه الظاهرة ، فهو يرى أن « أَفْعَل » هو الأصل . ولما كان من نهج الحجازى ترك الهمز – وإن كان ذلك مطردا فى وسط الكلمة وآخرها فقط دون أولها – فقد حذف الهمزة وحرك الفاء ، لأن العربى لا يبدأ النطق بساكن ، فتكلم به على وزن « فَعَلَ » .

وأما ما نطقه التميمى على « فعل » والحجازى على « أفعل » فقد يكون الأصل فيه « فَعَل » ثم زاد الحجازى الهمزة من باب الحذلقة متوهما أن ذلك هو الأصل[٧] . وإن صح هذا الرأى فهو يعنى أن النهج التميمى هو القديم والحجازى هو المتأخر فى الحالين .

---

(١) المحكم (دقع) ١ / ٩٩ ، واللسان (دقع) ٩ / ٤٤٤
(٢) الجيم ١ / ٢٤٩
(٣) الجيم ٣ / ١٥١
(٤) الصحاح (كمخ) ١/٤٣٠
(٥) التهذيب ٥ / ١٠٥
(٦) الجيم ٣ / ١٩٥
(٧) من حديث شخصى ، وانظر ماكتبه عن الحذلقة أو المبالغة فى التفصح : التطور اللغوى ٨١ ، ٨٢

وزن أَفْعل فى اللغات السامية :

ولا أُحب أن أَختتم الحديث عن هذا الموضوع دون أن أعرض إلى موقف اللغات السامية من صيغة « أفعل » :

هذا الوزن الذى مالت إليه تميم ليس خاصا بالعربية دون أخواتها الساميات ، فهو فى الحبشية والارامية والعبرية وفيها ha (hi)، وفى الآشورية وفيها Ša أو sa[1] بدل الهمزة . ومثال هذا الوزن فى السريانية (إحدى فروع الآرامية) ʾašlem - أى أسلم ، وفى العبرية hikrīb أى أقرِّب يعنى أُضحِّى أُضحية ، وفى الأَكدية ʾušaklil أى أَكمل[2].

كما أن هذا الوزن يوجد فى اللغات العربية الجنوبية ، ولكن باستبدال الهاء بالهمزة فى السبئية ، والسين فى بقية اللغات (وهى المعينية والحضرمية والقتبانية والأَوسانية) ، فيقال مثلًا : هحدث فى السبئية وسحدث فى غيرها[3] ، وتستعمل صيغة « هفعل » بدل « أَفعل » أيضًا فى اللغة اللحيانية[4] ، كما هو الشأن فى العبرية والسبئية .

* * *

(ب) فَعَل وفَعَّل :

قد يجىءُ الفعل على صيغتى « فَعَل » و « فعَّل » متحدين فى الدلالة ومن هذه الأَفعال ثلاثة عزيت الصيغة المضعفة فيها إلى تميم وغير المضعفة إلى سواها . وفيما يلى عرض لهذه الأَفعال :

١ — بشَّر :

ونستهل دراسة هذا الفعل بعرض النصوص الثلاثة التالية ، ثم نعقب عليها .

(ا) جاءَ فى « ما ورد فى القرآن من لغات العرب » :

« يبشر بالتخفيف لغة كنانة وبالتشديد بلغة تميم[5] .

---

(١) فقه اللغات السامية ١١٠ (الفقرة ١٩٢)

(٢) التطور النحوى ٩٣

(٣) تاريخ العرب للدكتور جواد على ٧ / ٩٢

(٤) المرجع السابق ٧ / ١٥٣

(٥) ماورد فى القرآن من لغات العرب ١ / ١٧٦

(ب) قال الفراء (ت ٢٠٧ هـ) :

« . . . أبشرت ولعلها لغة حجازية . . . وبشرت لغة سمعتها من عُكْل ، ورواها الكسائى عن غيرهم »[١] .

(ج) جاء فى المصباح :

« بَشَرته أبشُره بَشْرا من باب قَتَل فى لغة تهامة وما والاها . والاسم منه بُشْر بضم الباء ، والتعدية بالتثقيل ، لغة عامة العرب »[٢] .

من كل ذلك يتبين أن هذا الفعل له ثلاث صيغ بمعنى ، هى : بَشَرَ وَبشَّر وَأَبْشر ، وكل منها تنتمى إلى لغة غير التى تنتمى إليها الأخرى . والذى يهمنا هنا التفرقة بين الصيغتين الأولى والثانية (بَشَر وبشَّر) . أمّا الثالثة المنسوبة إلى الحجاز فنرجئها إلى الحديث عن « أفعل وفعّل » .

لقد نسبت الصيغة المضعفة إلى تميم – كما فى النص الأول – أمّا المخففة فقد عزيت إلى كنانة – وقد أشار إلى ذلك النص الأول أيضا – وقيل : إن التخفيف لغة تهامة وما والاها والتثقيل لغة عامة العرب – كما نص على ذلك الفيومى – وتتفق رواية المصباح هذه وما ورد بالنص الأول فى المضمون ، إذ إن كنانة كانت تقيم فى تهامة[٣] .

وقد ضبط الدكتور أحمد علم الدين الجندى كلمة « بشرت » فى نص الفراء بالتشديد[٤] وبنى على ذلك نسبة التضعيف إلى عكل[٥] .

وإذا ما رجعنا إلى « معانى القرآن » وجدنا المحققين (أحمد يوسف نجاتى ، محمد على النجار) وهما حجة فى اللغة لم يضبطا هـذا الفعل رغم حرصهما الشديد على ذلك ، مما يدل على عدم تأكدهما من ضبط معين فتركا الكلمة عارية من التشكيل . ولما رجعت إلى « لسان العرب » وجدته يقول : « وبَشَرْت لغة رواها الكسائى »[٦] . وبمقارنة هذه العبارة بعبارة الفراء « وبشرت لغة سمعتها من عكل ورواها الكسائى عن غيرهم » ، يتبين لنا أن ضبط هذه الكلمة بالتخفيف وليس بالتضعيف كما ذهب إلى ذلك الدكتور الجندى .

---

(١) معانى القرآن ١ / ٢١٢
(٢) المصباح (بشر) ٤٩
(٣) معجم قبائل العرب ٣ / ٩٩٦
(٤) اللهجات العربية ٥٣٥
(٥) انظر : المرجع السابق
(٦) اللسان (بشر) ٥ / ١٢٧

وأيًّا كان هناك من اختلاف فالتشديد منسوب إلى تميم ، وعلى ذلك نستطيع أن نوهن ما نسبه صاحب الإتحاف من أن التضعيف لغة الحجاز[١] » خاصة وأن الفراء يرجح أن تكون « أبشر » هى الصيغة الحجازية . ولعل سبب هذا الخطأ يرجع إلى أن التضعيف كان قراءة الجمهور ، كما سيأتى . وسنعود إلى هذا الفعل عندما نعرض لـ « أفعل وفعّل » .

موقف القراءات :

ورد هذا الفعل فى آيات عديدة من كتاب الله عز وجل[٢] ، مثل قوله تعالى : (أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ)[٣] وقرأه الجمهور بلغة تميم أى بالتضعيف . كما قرئ أيضًا بالتخفيف ، قال صاحب الإتحاف تعقيبا على هذه الآية وعلى قوله تعالى : (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ)[٤] . « واختلف فى (يُبَشِّرُكَ) و (نُبَشِّرُكَ) وما جاء منه ، فحمزة والكسائى فى الموضعين هنا و (يبشر) بسبحان[٥] والكهف[٦] بفتح الياء وإسكان الباء وضم الشين مخففة من البشر وهو البشارة . وافقهما الأعمش وزاد حمزة فخفف يبشرهم بالتوبة والأولى من الْحِجْر (إِنَّا نُبَشِّرُكَ)[٧] وموضعى مريم (إِنَّا نُبَشِّرُكَ)[٨] و (لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ)[٩] وافقه المطوعى وخفف ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائى (ذَلِكَ الَّذِى يُبَشِّرُ اللهُ) بالشورى[١٠] وافقهم الأربعة ، والباقون بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشددة فى الجميع من بَشَّر المضعف »[١١] .

٢ ـ عَضَّ وعضض :

عزا ابن سيده الصيغة الثانية (عَضَضْت) إلى تميم وسكت عن الأولى (عَضِضْت)[١٢] مما يشعر بأنها اللغة المشتركة .

---

(١) إتحاف ١٧٤
(٢) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ١١٩
(٣) آل عمران ٣ / ٣٩
(٤) آل عمران ٣ / ٤٥
(٥) الإسراء ١٧ / ٩
(٦) آية ٢
(٧) آية ٥٣
(٨) آية ٧
(٩) آية ٩٧
(١٠) آية ٢٣
(١١) إتحاف ١٧٤
(١٢) المحكم ١ / ٢٧

نستطيع رغم أننا لم نعثر إلا على هذين المثالين المنسوبين أن نقرر بعد هذا أنه إذا وردت الصيغتان « فعَل » و « فعَّل » بدلالة واحدة دون نسبة إلى بيئة معينة ، نرجح أن الثقيلة تميمية.

ومما يعضد رأينا هذا :

١ — أن من الأعلام التميمية ما كان على هذا الوزن فخضّم اسم للعنبر بن عمرو بن تميم [(١)] .

٢ — ما يرويه أبو عمرو الشيباني عن التميمي العدوى — رغم عدم تيقننا إن كان المقصود بذلك جميع بنى عدى من تميم أو راو معين يروى عن تميم وغيرهم — أن المُكَنَّع الذى يبست أصابعُه [(٢)] فى حين إن كتب اللغة تذكر للفعل صيغة أُخرى على « فعَل » دون نسبة إلى قوم معينين ، جاء فى اللسان « قال أبو عبيد : الكانع الذى تقبَّضت يَدُه ويَبِست » [(٣)] .

* * *

(ج) فعَل وفاعل :

شايح :

نسب الأصمعى إلى تميم ومعهم قيس أنهم كانوا يقولون : شايح بمعنى حاذر ، كما نسب إلى هذيل أنها كانت تنطق الصيغة نفسها ولكن بمعنى جَدَّ فى الأَمر [(٤)] . وورد الفعل أيضًا — دون نسبة إلى قوم معينين — بالدلالتين على صيغة « فعَل » ، فقالوا : الشائح [(٥)] .

والذى يعنينا هنا أن بنى تميم آثروا البنية الطويلة .

* * *

(د) فعَل وافتعل :

نطق العرب أفعالًا وردت على وزنى « فعَل » و « افتعل » بمعنى ، وفيما يلى الأفعال التى عزيت إحدى صيغتيها إلى تميم :

أولا — نسبة افتعل إلى تميم :

١ — اتخذ :

يذكر يونس فى نوادره أن أهل الحجاز كانوا يقولون : « تخذت ووخذت » وتميم يقولون : « اتخذت » [(٦)] وقد وردت الصيغة التميمية فى القرآن الكريم ، قال تعالى : (وقالُوا اتَّخذ اللهُ وَلدًا سُبْحَانهُ) [(٧)] .

---

(١) الصحاح (خضم) ٥ / ١٩١٤ ، وفيه إن خضم « بمعنى مضغ .
(٢) الجيم ٣ / ١٤٩
(٣) اللسان (كنع) ١٠ / ١٩٠
(٤) الغريب المصنف ١٧٤ / أ
(٥) اللسان (شيح) ٣ / ٣٣٠ ، ٣٣١
(٦) المزهر ٢٩٨ / ب (خ) = ٢ / ٢٧٦ (ط)
(٧) البقرة ٢ / ١١٦ ، وانظر حصرا لاستعمال الكلمة فى القرآن الكريم بالمعجم المفهرس ١٨ ، ١٩

٢ ـ ادّخر :

كان التميميون يقولون : « ادّخر » وكنانة يقولون : « دخر »[١] . وقد ورد هذا الفعل فى القرآن الكريم وفق اللغة التميمية ، قال تعالى : (وأُنبِّئُكُمْ بما تأْكلُون وَمَا تدَّخِرُون)[٢] ولم يقرأ بلغة كنانة إلّا فى الشاذ ، فقد قرأ الزهرى ومجاهد « تَدْخَرون »[٣] .

٣ ـ انتقد :

يذكر يونس أن أهل الحجاز كانوا يقولون : « هو الذى ينْقُد الدراهم » وتميم تقول : « ينتقِد »[٤] وذلك بمعنى النظر فيها لمعرفة جيِّدِها من زيفها[٥] .

٤ ـ احتسى :

قال الأَزهرى : « سمعت غير واحد من بنى تميم يقول : احْتَسَينْا حِسْيًا ، أى أَنْبَطنا ماءَ حِسْيٍ »[٦] والحَسْيُ ـ كما يفسره الأَزهرى ـ « الرمل المتراكمُ ، أسفله جبل أَصْلدُ فإِذا مُطِر الرمل نَشِف ماء المطر فإِذا انتهى إلى الجبل الذى أَسفله أَمسك الماءَ ومنع الرملُ حرَّ الشمس أن يُنشِّفَ الماءَ فإِذا اشتد الحر نُبِث وجه الرمل من الماء فنبع باردًا عذبًا[٧] ». وحسا واحتسى استعملتا ـ دون عزو ـ بمعنى قريب من المعنى الذى اقتصر عليه التميميون ، فقيل : حَسا المرقَ واحتساه[٨] . وإذا كان الأَزهرى لم يذكر فى النص الذى ذكرناه سوى الصيغة التميمية فى هذه الدلالة فما ذاك إلّا لأَن الذين رآهم يحفرون الأَحساءَ للحصول على الماء من بنى سعد من تميم[٩] .

---

(١) ماورد فى القرآن من لغات القبائل (على هامش تفسير الجلالين) ١ / ٥٩

(٢) آل عمران ٣ / ٤٩

(٣) مختصر فى شواذ القرآن ٢٠ ، والقارئان هما :

(أ) الزهرى : هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله الزهرى المدنى تابعى . قرأ على أنس بن مالك وعرض عليه نافع . توفى نحو سنة ١٢٤ هـ (غاية النهاية ٢ / ٢٦٢)

(ب) مجاهد : أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكى تابعى مفسر . قرأ على عبد الله بن عباس وقرأ عليه الأعمش ومات نحو سنة ١٠٣ هـ (غاية النهاية ٢ / ٤١ ، ٤٢)

(٤) المزهر ٢٩٨ / ب (خ) = ٢ / ٢٧٦ (ط)

(٥) المصباح (نقد) ٦٢٠

(٦) تهذيب اللغة ٥ / ١٦٩

(٧) المرجع السابق

(٨) الصحاح (حسا) ٦ / ٢٣١٣ واللسان (حسا) ١٨ / ١٩٢

(٩) انظر : تهذيب اللغة ٥ / ١٦٩

ثانيا : نسبة فَعَل إلى تميم :

لم يصادفنا سوى فعل واحد عزيت صيغته التى جاءت على « فَعل » إلى تميم وهى « تَقَى » ، قال النحاس تعقيبا على قوله تعالى : (فاتَّقُوا النَّار)[1] : « ولغة تميم وأسد فتَقُوا النار »[2] .

والنتيجة أن هذه خمسة أفعال اتجهت تميم فى أربع منها إلى « افتعل » وفى الخامس إلى « فَعَل » ، وبتحويل ذلك إلى لغة الأرقام يتبين أن « افتعل » تمثل ٨٠٪ و « فَعَل » ٢٠٪ وبمقارنة ذلك بمقياس « ابن هشام » الذى عرضناه عند الحديث عن « فعل وأفعل » يتبين أن « افتعل » هى الغالب عند تميم و « فَعَل » هى القليل . واتجاه تميم هذا يؤكد مسلكهم فى الاتجاه إلى البنية الطويلة ، كما يتسق وميلهم إلى بدء الكلمة بمقطع مقفل قصير .

* * *

(هـ) فَعَّل وأفعل :

١ ـ بَشَّر وأَبْشَر :

ذكرنا عند الحديث عن « فَعَل وفَعَّل » أن فى الفعل ثلاث لغات ، هى : بَشَر ، وأبشر ، وبَشَّر . وتبين لنا هناك أن تميما آثرت « بَشَّر » ، على « بَشَر » التى نسبت إلى كنانة وما والاها من أهل تهامة . والأمر هنا يختلف فالمقارنة بين صيغتين إحداهما على « فَعَّل » (بَشَّر) ، والأخرى على « أفعل » (أبشر) . وقد لاحظنا عند عرض النصوص أن « بَشَّر » لتميم و « أبشر » يميل الفراء إلى أنها للحجاز .

٢ ـ سَنْبَلَ وسَبَّل :

أَسْبَل الزرعُ وَسَنْبَلَ بمعنى خرجت سبولته[3] ، وقد نسبت الصيغة الأولى إلى الحجازيين والثانية إلى بنى تميم[4] وأرى أن الصيغة التميمية (سَنْبَل) أصلها «سَبَّل» ثم تطورت إلى صورتها الأخيرة وفق قانون التغاير (dissimilation) وقد تكلمنا عنه فى موضعه . فالفعل إذن على وزن فَعَّل وليس « فنعل » .

---

(١) البقرة ٢ / ٢٤
(٢) إعراب القرآن ٦ /ب
(٣) اللسان (سبل) ١٣ / ٣٤٢
(٤) التاج ٧ / ٣٦٨

ونخلص مما سبق – رغم وجود مثالين فقط بين أيدينا – أن التميمي آثر وزن « فعّل » على « أفعل » . حقيقة إن الصيغتين متكافئتان من حيث الكم . ومن حيث بدء كل منهما بمقطع مغلق قصير (فَعْ ، وأفْ) وهو ما تنتحيه اللغة التميمية إلا أنهـا آثرت التضعيف لما فيه من قوة .

❋ ❋ ❋

(و) فاعل وأفعل :

شايح :

ذكرنا عند الحديث عن « فَعَل وفاعل » أن بني تميم قالوا « شايح » بمعنى حاذر وأن هذا اللفظ نطقه الهذليون بمعنى جد في الأمر . ونقول هنا إن هذا اللفظ ورد بصيغة أخرى بالدلالتين أنفسهما على وزن « أَفْعَلَ » أي أشاح ، فهو مُشِيح[١] .

ونلاحظ هنا أن التميميين يلتقون مع غيرهم في أن الوزنين متكافئان في الزيادة من الثلاثي .

❋ ❋ ❋

ز – فَعَّل وفاعل :

استعمل العربي الصيغتين « فَعَّل » و « فاعل » وخصص لكل منهما وظيفة تختلف عن وظيفة الأخرى ، فالأولى تفيد التكثير والثانية تفيد المشاركة[٢] . إلا أن هناك أفعالا وردت بالصيغتين بدلالة واحدة ، ونعرض هنا ماعثرنا عليه منسوبا إلى تميم لنرى النهج الذي آثرته :

١ – رأّى :

عزي إلى سفلى مضر قولهم « رَأَّى » في مقابل « راءى » [٣] الذي بمعنى أرى الناس يفعل وهو لايفعل بالنية[٤] وذلك ليظنوا به خيرا[٥] . وإذا كانت صيغة « رأّى » لم تنسب

---

(١) انظر : اللسان (شيح) ٣ / ٣٣٠ ، ٣٣١

(٢) انظر : شرح الشافية ١ / ٩٢ ، ٩٦ – ٩٨

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٥٤ / أ

(٤) اللسان (رأى) ١٩ / ١٥

(٥) المصباح (رأى) ٢٤٧

إلى تميم صراحة ، فالمعروف أنها من سفلى مضر . وقد ورد الفعل فى قوله تعالى : (. . . وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسالى يُرَاءون الناس)[١] ولم يقرأ باللغة التميمية إلا فى الشاذ من القراءات ، فقد قرأ بها ابن أبى اسحاق [٢] والأعرج [٣] .

٢ — صعَّر :

صَعَّر الخد وصاعره بمعنى أماله عن الناس إعراضا وتكبرا[٤] ؛ وعزيت الصيغة الأولى إلى تميم والثانية إلى الحجاز[٥] . وقد اعتد القرآن الكريم بلغة تميم فى هذا الفعل ، فقد قرىء بها كما قرىء باللغة الحجازية قوله عز وجل : (ولا تصعِّر خدك للناس)[٦] . لقد قرأ بلغة تميم من القراء الأربعة عشر ، ابن كثير ، وعاصم ، وابن عامر[٧] ، وحمزة ، وأبو جعفر ، ويعقوب ، وابن مُحَيْصن ، والحسن[٨] . وقرأ الباقون وفق اللغة الحجازية[٩] . ووجدنا الفرزدق التميمى يستعمل الصيغة التميمية فى شعره ، فيقول :

وكنا إذا الجبارُ صَعَّرَ خَدَّه ضربناه دون الأُنثيين على الكَرْد[١٠]

٣ — ضَعَّف :

كانت تميم تقول «ضَعَّف» والحجاز «ضاعَف»[١١] . وقد ورد هذا الفعل فى قوله تعالى : (يانساءَ النبى من يأت منكن بفاحشة مُبَيِّنة يضاعَف لها العذاب ضعفين)[١٢] وقد قرأ القراء بالصيغتين التميمية (يُضَعَّف) ، والحجازية (يضاعف) . قرأ بالتميمية

---

(١) النساء ٤ / ١٤٢

(٢) اعراب القرآن للنحاس ٥٤ / أ ، وشواذ القراءة للكرمانى ٦٥

(٣) اعراب القرآن للنحاس ٥٤ / أ

(٤) المصباح (صعر) ٣٤٠

(٥) الحجة للفارسى ٦ / ١٣١ ، البحر ٧ / ١٨٢ ، والإتحاف ٣٥٠

(٦) لقمان ٣١ / ١٨

(٧) السبعة فى القراءات ٥١٣ ، والحجة للفارسى ٦ / ١٣١

(٨) إتحاف ٣٥٠ (وذكر القراء الذين قرءوا بلغة الحجاز فقط) .

(٩) المرجع السابق .

(١٠) اللسان (كرد) ٤ / ٣٨٣ ، ورواية الديوان ٢١٠ :

وكنا إذا القيسى هب عتوده ضربناه فوق الأنثيين على الكرد

(العتود من أولاد الغنم : مابلغ حولا)

(١١) الحجة للفارسى ٦ / ١٥٢

(١٢) الأحزاب ٣٣ / ٣٠

معظم القراء الأربعة عشر ، فقد قرأ « نضعّف » بالنون ابن كثير وابن عامر[١] وابن محيصن[٢] ، وقرأ « يُضعّف » بالياء أبو عمرو[٣] وأبو جعفر ويعقوب[٤] واليزيدى والحسن[٥] .

وبعد : فإنه على الرغم من قلة الأفعال التى وجدنا إحدى صيغتيها معزوة إلى تميم ، فإنها كلها جاءت على وزن « فَعَّل » مما يجعلنا نميل إلى أنه إذا واجهتنا صيغتنان إحداهما على « فَعَّل » والأخرى على « فَاعَل » بمعنى ، ملنا إلى نسبة الصيغة المضعفة إلى تميم ، رغم أن الوزنين يتفقان فى عدد المقاطع ، إلا أن التضعيف فيه قوة ويتفق والبيئة التميمية التى تميل إلى أن تبدأ الكلمة عندها بالمقطع المقفل القصير .

ولا أحب أن أنهى الكلام فى هـذا الموضوع دون أن أتعرض لرأى نسبه الدكتور عبده الراجحى لأبى على الفارسى ، وهذه النسبة فى حاجة إلى نظر ، يقول الدكتور الراجحى : « ويذكر أبو على أن هناك أفعالا جاءت على الوزنين [أى فعّل وفاعل] نحو ضعّف وضاعف وأنه إذا اختلف هذان الوزنان واتفق المعنى فإن المفاعلة هى لهجة الحجاز والتفعيل لهجة بنى تميم »[٦] ويشير الدكتور إلى أن مصدره فى ذلك الحجة لأبى على[٧] .

لكنا إذا رجعنا إلى الحجة لا نجد كلام أبى على يحتمل مانسب إليه ، فهو بعد أن يورد الخلاف فى القراءتين « تصعر » و « تصاعر » يقول : « قال أبو على : يشبه أن يكون ولا تصعر ولا تصاعر بمعنى ، كما قال سيبويه فى ضعّف وضاعَف وقال أبو الحسن لاتُصَاعر لغة أهل الحجاز ولا تُصْعِّر لغة بنى تميم »[٨] وعلى ذلك يتبين من مقارنة نص الفارسى بما نسب إليه أن الدكتور الراجحى حمّل كلام الفارسى فوق مايقصد ، فهو لم يذكر أن فَعّل مطرد عند تميم مقابل فاعل — المتفق معه فى الدلالة — عند غيرهم .

وإذا اتجهنا إلى اللغات السامية نجد « برجشتراسر » يقرر أن « الممدود أى فاعل خاص بالعربية والحبشية وأنه مشتق من المشدد ، أى فعّل بتعويض مد الحركة عن مد

---

(١) السبعة فى القراءات ٥٢١ ، والحجة للفارسى ٦ / ١٥١
(٢) إتحاف ٣٥٤
(٣) السبعة فى القراءات ٥٢١ ، والحجة للفارسى ٦ / ١٥١ (٤) تحبير التيسير ١٦٠
(٥) إتحاف ٣٥٥ (٦) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ١٧٦ ، ١٧٧
(٧) الحجة ٦ / ١٣١ (٨) المرجع السابق .

الحرف بعدها ، أى تشديده . وهذا التعويض كثير فى الأكدية والعبرية ، وقد يوجد فى غيرهما أيضاً[١] .

وكلام «برجشتراسر» يدلنا على أن الصيغة المضعفة هى القدمى ، ويعنى بالتالى أن التطور الذى حدث فى غير التميمية تم بطريق التغاير Dissimilation[٢] . على أنه لو كانت فكرة «برجشتراسر» هذه صحيحة لوجب أن ينذر فى العربية والحبشية وزن «فَعَّل» لأن معظم أفعاله يكون قد انطبق عليها قانون المغايرة المذكور . غير أن هاتين اللغتين يوجد فيهما الوزنان على قدم المساواة ، وكل واحد يأتى لمعنى غير المعنى الذى يأتى له الوزن الآخر[٣] .

* * *

(ح) افتعل وتَفَعَّل :

تَعَذَّر :

لم نجد إلا مثالا واحدا استعمل فيه التميمى وزن «تَفَعَّل» فى مقابل «افتعل» بمعنى عند غيرهم «قال أبو زيد : سمعت أعرابيين : تميميا وقيسيا يقولان : تعذَّرت إلى الرجل تعذُّرا فى معنى اعتذرت اعتذارا»[٤] . وهذا المثال (تعذر) وإن كان فريدا إلّا أنه يتفق ومنهج التميميين الذين يميلون إلى التضعيف . والفعلان وإن كانا فى الماضى متفقين من حيث عدد المقاطع إلا أن عدد المقاطع يزيد مقطعا عند التميمى فى المضارع .

وإن هذه الصيغة وردت فى شعر الأحوص الأنصارى (ت ١٠٥ هـ) :

طرِيدٌ تلافـاهُ يَزِيدُ برحمـة فلم يُلْفَ من نعمائه يَتَعذَّرُ[٥]

---

(١) التطور النحوى ٩٢ ، ٩٣

(٢) راجع ما كتبناه عنه ص ١٦١

(٣) من حديث شخصى للدكتور رمضان عبد التواب .

(٤) اللسان (عذر) ٦ / ٢٢٢ ، والتاج (عذر) ٣ / ٣٨٩

(٥) المرجعان السابقان ، وشعر الأحوص ١١٥ وفيه «يمسى» بدل «يلف» .

ثانيا : فى الأسماء

(أ) التثقيل والتخفيف :

أولا : التثقيل :

١ ، ٢ – مثنى اسمى الإشارة والموصول (ذا – تا – الذى – التى) :

خالف التميميون – ومعهم القيسيون – غيرهم من العرب فى معاملة مثنى اسمى الإشارة والموصول فشددوا نون التثنية ، فى حين إن جمهور العرب خففها[١] .

القراءات القرآنية ولغة تميم :

إذا نظرنا فى القرآءات القرآنية لنرى مدى استعمالها للغة تميم وجدنا :

(أ) اسم الإشارة :

١ – قال تعالى : (إنْ هَذانِ لَسَاحِرانِ)[٢] وقد قرأ بتشديد نون « هذان » ابن كثير[٣] .

٢ – وقوله تعالى : (هَذانِ خَصْمَانِ)[٤] قرأ بتشديد نون « هذان » ابن كثير[٥] أيضا :

٣ – وقوله عز وجل : (فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ من ربك إلى فرعون وَمَلَئِهِ)[٦] قرأ بالتشديد ابن كثير وأبو عمرو[٧] ورويس[٨] والحسن واليزيدى والشَّنَبوذى[٩] .

---

(١) شرح التصريح ١ / ١٥٧ ، وشرح الأشمونى ١ / ١٤٧ ، ١٤٨

(٢) طه ٢٠ / ٦٣

(٣) السبعة فى القراءات ٤١٩ ، والتيسير ٩٤ ، ١٥١ ، وإبراز المعانى ٢٨٦ ، وإرشاد المريد ٢٨٦ ، ٣٩٦ ، وتحبير التيسير ١٠١ ، وإتحاف ١٨٧ ، ٣٠٤

(٤) الحج ٢٢ / ١٩

(٥) السبعة فى القراءات ٤٣٥ ، والتيسير ٩٤ ، ٩٥ ، وإبراز المعانى ٢٨٦ ، وإرشاد المريد ٢٨٦ ، وتحبير التيسير ١٠١ ، وإتحاف ١٨٧

(٦) القصص ٢٨ / ٣٢

(٧) السبعة فى القراءات ٤٩٣ ، والتيسير ١٧١ ، وإبراز المعانى ٢٨٦ ، وإرشاد المريد ٢٨٦

(٨) إتحاف ١٨٧ ، ٣٤٢

(٩) المرجع السابق ١٨٧

٤ ـ وقوله تعالى : «قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَن أُنْكِحَكَ إحدى ابنتَيّ هَاتيْنِ »[١] قرأها بتشديد النون ابن كثير[٢] .

اسم الموصول :

١ ـ قوله تعالى : (واللذانِ يَأْتِيَانِهَا منكم فآذوهما)[٣] قرأ بتشديد نون «اللذانّ» ابن كثير[٤] .

٢ ـ قوله تعالى : (وقال الذين كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا من الجنِّ والإِنْسِ)[٥] قرأها كذلك بتشديد النون ابن كثير[٦] وقرأ غير ابن كثير بتخفيفها[٧] وفق اللغة المشتركة .

٣ ـ رب :

«رُبَّ» كلمة[٨] تفيد التكثير غالبا . وترد للتقليل أحيانا[٩] . وقد تزاد بعدها «ما»[١٠] .

وفى «رب» ست عشرة لغة : ضم الراء وفتحها وكلاهما مع التشديد والتخفيف ، والأوجه الأربعة مع تاء التأنيث ساكنة أو محركة ، والضم والفتح مع إسكان الباء وضم الحرفين مع التشديد ومع التخفيف[١١] (رُبَ ـ رُبَّ ـ رَبَ ـ رَبَّ ـ رُبَتْ ـ رُبَّتْ ـ رَبَتْ ـ رَبَّتْ ـ رُبَتَ ـ رُبَّتَ ـ رَبَتَ ـ رَبَّتَ ـ رُبْ ـ رَبْ ـ رُبُ ـ رُبُّ) وأرى أن هذا الإحصاء للغات «رب» إحصاء عقلى منطقى واللغة وعلى الأخص اختلافها حسب

(١) القصص ٢٨ / ٢٧

(٢) التيسير ٩٥ ، وإبراز المعانى ١٨٧ ، وإرشاد المريد ١٨٧ ، وتحبير ١٠١ ، وإتحاف ١٨٧

(٣) النساء ٤ / ١٦

(٤) التيسير ٩٤ ، وإبراز المعانى ١٨٧ ، وإرشاد المريد ١٨٧ ، وتحبير ١٠١ ، وإتحاف ١٨٧

(٥) فصلت ٤١ / ٢٩

(٦) التيسير ٩٥ والمراجع السابقة بالصفحات نفسها .

(٧) انظر المراجع السابقة .

(٨) اختلف فى نوعها فيرى الكوفيون أنها اسم (مغنى اللبيب ١ / ١١٨) بخلاف البصريين الذين يرون أنها حرف (الإنصاف لابن الأنبارى ٣٥٤)

(٩) مغنى اللبيب ١ / ١١٩

(١٠) المرجع السابق ١ / ١٢٠

(١١) المرجع السابق ١ / ١٢٢

نطق أقوامها لاتخضع للمنطق دائما ، فقد يكون بعض تلك الصيغ مفتعل ، وعلى فرض صحتها أرى أن استعمال «رُبَ» و «رُبُ» بمقطعين مفتوحين قصيرين قد مات ، إذ لاتوجد كلمة مستقلة فى النطق ، سواء أكانت اسما مبنيا أو حرفا مكونة من هذين المقطعين سوى (مَعَ) على أن ربيعة نطقتها ساكنة العين[١] ، وربيعة كما أرى من البيئات المتطورة ، لأنها كانت متطرفة فى الجزيرة . لذا رأيناها تسكن أواخر الكلمات عند الوقف فى حالات الإعراب الثلاث[٢] .

أما استعمال «رب» بمقطعين مفتوحين مع إلحاق «ما» بها ، فقد ظلت تحافظ عليه العربية ، ونجد أبا حاتم يذكر أن فيها ثمانية أوجه : رُبَّما ، وَرُبَما ، ورُبَّتَما ، ورُبَتَمَا ، ورَبَما ، ورَبَّمَا ، ورَبَتَمَا ، ورَبَّتَمَا[٣] . والذى يعنينا من كل تلك الصيغ «رُبمَا» مخففة الباء ومثقلتها .

لقد نسب الأصمعى التخفيف للحجاز والتثقيل لتميم وقيس وبكر[٤] ووافقه فى هذه النسبة أبو حاتم ، إلّا أنه استبدل ببكر « ربيعة »[٥] ولا تناقض بين النسبتين فبكر فرع من ربيعة[٦] وقيس وبكر قريبتا الشبه من تميم ، فكلهم يعيشون فى بيئة بدوية متجاورة بطيئة التطور لغويا . وإن التثقيل فى هذه الكلمة عند تميم ليتفق وميلها إلى البدء بمقطع مغلق قصير .

موقف القراءات القرآنية من اللغة التميمية :

نتجه بعد هذا إلى القراءات القرآنية لنرى مدى اعتدادها باللغة التميمية . لقد وردت «ربما» فى قوله تعالى : (رُبَمَا يَوَد الذين كفروا لو كانوا مسلمين)[٧] . وقد قرأ بالتخفيف — أى وفق اللغة الحجازية — نافع وعاصم (من السبعة)[٨] وأبو جعفر (من العشرة)[٩] وقرأ باقى الأربعة عشر وهم : ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة

---

(١) اللسان (معع) ١٠ / ٢١٨
(٢) شرح الأشمونى ٤ / ٢٠٤
(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٠٩ / ب
(٤) المرجع السابق .
(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ١
(٦) عجالة المبتدى ٢٦
(٧) الحجر ١٥ / ٢
(٨) التيسير ١٣٥ ، وإرشاد المريد ٣٧٢
(٩) تحبير التيسير ١٣٠

والكسائى[١] (من السبعة) ويعقوب وخلف (من العشرة) وابن محيصن واليزيدى والحسن البصرى والأعمش (من الأربعة بعد العشرة) بالتثقيل[٢] ، أى وفق اللغة التميمية .

٤ ــ مصْطَفَّة :

ذكرنا عند الحديث عن التبادل بين الباء والفاء أن بنى حنظلة كانوا يقولون فى مقابل «مصَطبَة » ، «مصْطَفَّة » بالفاء المشددة ، وتكلمنا هناك عن الصلة بين الباء والفاء . والذى يهمنا هنا أن بنى حنظلة – وهم فرع من تميم – اختاروا الصيغة المشددة .

٥ ــ إكبِرَّة :

كان التميميون يقولون «إِكْبِرَّة » مقابل «أَكْبَر » فى اللغة المشتركة ، فيذكر أبو زيد فى نوادره أنه سمع «أعرابيا من بنى تميم يقول : فلان كِبْرَة ولد أبيه إذا كان أَكْبَرَهم . قال أبو حاتم : وقع فى كتابى إِكْبِرَّة ولد أبيه أى أَكْبَرُهُم[٣] . وإذا صحت رواية أبى حاتم هذه ، فإن ذلك يتسق واتجاه تميم إلى التشديد مقابل التخفيف عند غيرهم .

٦ ــ هَدِىّ :

الهَدْىُ : مايُهْدَى إلى مكة من النَّعَم[٤] وقد استعمل اللفظ بصورتين : مخففة الياء (هَدْىٌ) ، ومثقلتها (هَدِىّ) . وقد نسب التثقيل إلى تميم والتخفيف إلى الحجاز[٥] .

أما النسب فى إحدى الروايات إلى تميم وسفلى قيس[٦] ، فقيس كانت تجاور تميما وعلى الأخص سفلاها . ونسبة التثقيل إلى تميم أمر طبيعى فإن صيغة التثقيل فيها تكرار للحرف أى أنه طول بنية .

---

(١) السبعة فى القراءات ٣٦٦ (وقرأ أبو عمرو أيضا بالتخفيف) . (٢) إتحاف ٢٧٤ (وذكر المخففين) .

(٣) نوادر أبى زيد ٩٧ (بيروت) = ٣٣٠ (الشروق) وضبط « أكبرهم » بفتح الهمزة والباء وتشديد الراء المفتوحة ونرجح مافى الطبعة القديمة لاتساق ذلك وكلام أبى زيد السابق ووقوع تصحيف فى ضبط كلمة إكبرة، فقد ضبطت هكذا «إكبرة » ، بكسر الهمزة وسكون الكاف وكسر الباء المشددة وفتح الراء . (٤) اللسان (هدى) ٢٠ / ٢٣٤

(٥) ومجالس ثعلب ٢ / ٥٧٨ ، المزهر ٢٩٩ / أ = ٢ / ٢٧٧ (ط) ، والحجة للفارسى ١ / ١٣٩ وفيه « وحكى أحمد بن يحيى [يعنى ثعلبا] (عن بعض البغداديين » .

(٦) المحكم ٤ / ٢٧٠ ، واللسان (هدى) ٢٠ / ٢٣٤ (عن ثعلب) .

موقف القراءات :

ولننظر بعد هذا إلى استعمال القرآن الكريم لهذه اللفظة ، وهل استعملت إحدى القراءات لغة تميم ؟

لقد وردت هذه الكلمة فى القرآن الكريم سبع مرات هى :

١ — (فَإِنْ أُحْصِرتُم فَمَا اسْتَيْسَرَ من الهَدْى)[١] .

٢ — (وَلَا تَحْلِقُوا رءُسَكُم حتى يَبْلُغَ الهَدْىُ مَحِلَّهُ)[٢] .

٣ — (فَإِذَا أَمِنْتُمُ فَمَنْ تمتع بالعُمرة إلى الحج فما استيسَرَ من الهَدْى)[٣] .

٤ — (لا تُحِلُّوا شعائر الله ولا الشَّهْرَ الحرامَ ولا الهَدْى)[٤] .

٥ — (يَحْكُم به ذوَا عَدْل منكم هَدْياً بالغَ الكعبةِ)[٥] .

٦ — (جَعل اللهُ الكعبةَ البيتَ الحرامَ قِياماً للناس والشهرَ الحَرامَ والهَدْىَ والقلائدَ)[٦]

٧ — (هُمُ الذين كفروا وصَدُّوكم عن المَسْجِدِ الحرامِ والهَدْىَ مَعْكوفا)[٧] .

وقد قرأ الجمهور فى كل هذه الآيات بالتخفيف ، وقرأ بتشديد الياء الحسن وعصمة عن عاصم واللؤلؤى (رويس) وخارجة عن أبى عمرو[٨] ، كما قرأ الآيتين الثانية والخامسة الأعرج[٩] .

بعد تحققنا من أن النطق التميمى لهذه الكلمة قد ورد فى بعض القراءات القرآنية مما يعضد بقاء ذلك النطق حتى عصر النبوة وإن كانت تلك القراءات شاذة ، لكن الشذوذ ليس خاصا باللغة .

---

(١) البقرة ٢ / ١٩٦

(٢) البقرة ٢ / ١٩٦

(٣) البقرة ٢ / ١٩٦

(٤) المائدة ٥ / ٢

(٥) المائدة ٥ / ٩٥

(٦) المائدة ٥ / ٩٧

(٧) الفتح ٤٨ / ٢٥

(٨) البحر ٨ / ٩٨ «وخارجة» هو أبو الحجاج خارجة بن مصعب الضبعى . أخذ القراءة عن نافع وأبى عمرو ، وله شذوذ . توفى سنة ١٦٨ هـ (غاية النهاية ١ / ٢٦٨)

(٩) مختصر فى شواذ القرآن ١٢ ، ٣٥ .

موقف الشعر التميمى :

ننتقل بعد ذلك إلى الشعر لنرى هل استعمل هذا النطق فى الشعر وخاصة التميمى ؟ .

لقد ورد اللفظ بهذا النطق فى شعر كل من جرير والفرزدق وهما تميميان .

قال جرير :

إن الفرزدقَ لايُبالى مَحْرَمًا ... ودَمَ الهَدِىِّ بأَذْرُعٍ ونُحُورِ[١]

وقال الفرزدق :

حلفتُ بربِّ مكةَ والمُصَلَّى ... وأعناق الهَدِىِّ مقلداتِ[٢]

٧ ـ اسم الإشارة هِنَّا :

هُنا ، وهاهُنا (المسبوقة بـ «ها» التنبيه) اسما إشارة للمكان القريب[٣] . ويذكر النحاة أن النون قد تشدد مع ضم الهاء أو فتحها أو كسرها . فيقال : هُنَّا ، وهَنَّا ، وهِنَّا ، وأنها فى حالة التشديد مع الكسر والفتح تدل على البعيد[٤] ، إلَّا أن أبا عبيد يذكر أن الفرق بين هاهُنَا (المخففة مع ضم الهاء) وها هِنَّا (المشددة النون مع كسر الهاء) ينحصر فى أن المشددة تنتمى إلى تميم تشاركها فى ذلك قيس — التى تجاورها فى البيئة النجدية — وذلك فى مقابل المخففة التى لم يشر إلى بيئتها[٥] ، ويفهم من عدم الإشارة أنها الصيغة المستعملة فى اللغة المشتركة ، ويؤيد ذلك ورودها فى القرآن الكريم فى قوله عز وجل : (فاذهب أنت وربُّك فقاتلا إنا هَاهُنا قاعدون)[٦] .

٨ ـ الوقف بالتضعيف :

ويدخل تحت هذا الصنف ماعزى إلى أحد بطون تميم وهم بنو سعد من أنهم كانوا يقفون على الحرف الأخير بالتضعيف . وقد تناولنا ذلك بالتفصيل عند الحديث عن الوقف .

* * *

(١) ديوان جرير ١٤٩
(٢) ديوان الفرزدق ١ / ١٢٧
(٣) شرح الأشمونى ١ / ١٤٤
(٤) المرجع السابق ١ / ١٤٤ ، ١٤٥
(٥) الغريب المصنف ١٩٣ / ب
(٦) المائدة ٥ / ٢٤

ثانيا : التخفيف :

ضمير الغائب المفرد (هو ، هى) :

١ – يذكر الكسائى (ت نحو ١٨٩ هـ) أن ضمير المفرد الغائب «هُوَ» :

(أ) «أصله أن يكون على ثلاثة أحرف ، مثل أَنْتَ ، فيقال : هُوَّ فعل ذلك » .

(ب) «من العرب من يخففه فيقول : هُوَ فعل ذلك » .

(ج) بنو أسد وتميم وقيس كانوا يقولون : «هُو فعل ذلك بإسكان الواو » .

(د) من العرب من كان «يلقى الواو من هو إذا كان قبلها ألف ساكنة ، فيقول حتَّاهُ فعل ذلك ، وإنماهُ ، فعل ذلك[1] .

٢ ويذكر الكسائى كذلك فيما يخص الضمير « هى » أن له أربع حالات تطابق حالات « هو » ونسب تشديد الياء إلى هَمْدان وماحولها وإسكان الياء إلى أسد وقيس فقط[2] .

ونلاحظ أن الصيغتين المخففتين نسبت صيغة المذكر إلى أسد وتميم وقيس وأما صيغة المؤنث فقد اقتصرت على أسد وقيس ، ونحسب أنها أيضا كانت من خصائص تميم قياسا على صيغة المذكر ، خاصة وأن اللغويين لم يكونوا يحصرون اللغات الخاصة بكل ظاهرة ولم يكن لهم فى العزو للقبائل منهج محدد دقيق .

نحن إذن أمام أربع صيغ لكل من ضميرى الرفع المنفصل المفردين الغائبين وهى :

١ – هُوَ – هِىَ ، وهما اللتان شاعتا فى اللغة المشتركة .

٢ – هُوّ – هِىَّ ، عند هَمْدان ومن حولها .

٣ – هُو – هِى $h\bar{i}$ – $h\bar{u}$ عند تميم وأسد وقيس .

٤ – هَ – هِ ، ولم يحدد الناطقون بهما .

تفسير تعدد الصيغ :

• يذكر ليتمان (ت١٩٥٨م) أن هذا الضمير كان ينطق فى الأصل הוא (هُوءَ) للمذكر و $\check{s}\bar{i}$ʾa (شِىءَ) للمؤنث ثم أبدلت شين المؤنث هاء قياسا على المذكر[3] .

(١) المحكم ٤ / ٢٤٧ ، واللسان (ها) ٢٠ / ٣٦٦ ، والتاج (ها) ١٠ / ٤٥٥

(٢) المحكم ٤ / ٢٤٤ ، واللسان(هيا) ٢٠ / ٢٥٣ ، ٢٥٤

(٣) بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى ٣٨

وهذا الرأى مال إليه من قبل برجشتراسر (ت١٩٣٢م) ، فقد لاحظ وجود رمز الهمزة فى العبرية آخر كل من הוא (هو) و היא (هى) فاستنتج أن هذه الهمزة كانت تنطق ثم حذفت[1] أصل الضميرين المفردين الغائبين إذن hūʾa و hīʾa ثم حدث تطور فى كل منهما . فبالنسبة للضمير المذكر حذفت الهمزة وبقيت حركتها وهى الفتحة فالتقت الضمة الطويلة بالفتحة القصيرة فتكون بينهما صوت انزلاقى ، وهو الواو أو الياء فأصبح الضمير hūwa ثم تطورت هذه الصورة إلى عدة صور :

(أ) صارت فى اللغة المشتركة huwa وذلك بتقصير الحركة الطويلة .

(ب) وأصبحت عند همدان huwwa وذلك بتقصير الحركة وتعويضها بتشديد الواو .

(ج) وأما عند تميم فحذف المقطع الأخير فصار hū .

وقد حدث الشىء نفسه بالنسبة لضمير المؤنث فأصبح hī .

وأما عن الصورة الأخيرة (هُ — هِ) فإنها نشأت عن المخالفة الكمية فى الحركات عن الصيغتين التميميتين هُو وهِى ، ودليل ذلك أنها لم ترد إلا بعد بضع كلمات كثر دورانها على الألسنة مثل إنما وحتى . أى إن حذف ما بعد الهاء حدث عندما سبقت هذه الهاء بحرف مد هو الألف. ونلاحظ حدوث ذلك فى كل ما يشبه هُو hū ؛ أى الكلمة المكونة من مقطع واحد طويل مفتوح مثل ما الاستفهامية ، فإنها إذا سبقت بكلمة تنتهى بمقطع طويل مفتوح مثل حتى وإلى وعلى قصر مقطع «ما» وأصبح قصيرا ، فقيل : حَتَام وإلام . ودليل تطور هذا الضمير عن الصيغة التميمية القيسية الأسدية وروده فى شعر لرجل من بنى أسد هو أبو خالد الأسدى فى قوله :

* إذاهُ لم يُؤذَنْ له لم يَنْبِس *[2]

وفى قول العُجَير بن عبد الله السلولى (ت نحو ٩٠ هـ) ، وهو من هوازن من قيس[3]

* فبيناه يشْرِ رَحْلَه قال قائل *[4]

---

(١) التطور النحوى ٨٢
(٢) اللسان (ها) ٢٠ / ٣٦٦
(٣) جمهرة أنساب العرب ٢٧٢
(٤) اللسان (ها) ٢٠ / ٣٦٦

الصيغة التميمية واللغات الساميه :

إذا اتجهنا إلى اللغات السامية نلاحظ أن الصيغتين التميميتين الدالتين على التذكير والتأنيث هما أنفسهما فى العبرية والآرامية والسريانية ، ففيها hū (هو) و hī (هى)[١] .

كما تتفق الصيغتان مع لغات أخرى سامية فى أن الضمير مكون من مقطع طويل مفتوح ففى الآشورية šū للدلالة على الغائب و šī للدلالة على الغائبة[٢] ، وفى اللغات العربية الجنوبية عدا السبئية[٣] يعبر عن الغائب بـ « سو » و « س » وعن الغائبة بـ « سى » و « سا »[٤] .

الصيغة التميمية فى الشعر :

وردت « هو » كما كان ينطقها التميميون على لسان أحدهم ، وهو عبيد بن الأبرص ، فقد أنشد له الكسائى :

وركضُكَ لوْلا هُو لقِيتُ الذى لقُوا
فأصْبَحتَ قد جَاوَزْتَ قوماً أعاديا[٥]

* * *

(ب) النسب إلى « فَعِيل و « فُعَيل » :

القاعدة العامة فى النسب عند العرب إضافة ياء مشددة فى آخر الإسم المنسوب إليه مكسور ما قبلها[٦] . ومن ذلك النسبة إلى كل ما هو على وزنى : فَعِيل ، وفُعَيْل ، مثل عَقِيل وعُقَيل ، فقالوا فى النسبة إليهما عَقِيلىّ وعُقَيلىّ[٧] .

لكن العلماء ذكروا لنا أن هناك ألفاظا شذت عن القاعدة فحذفت الياء وفتح الحرف الثانى فنسبت الصيغة الأولى على وزن « فَعَلىّ » ، والأخرى على وزن «فُعَلىّ» ، وقالوا فى

---

(١) فقه اللغات السامية ٨٥ (٢) المرجع السابق.
(٣) اللغات dialects الجنوبية هى : السبئية ، والمعينية ، والقتبانية ، والأوسانية ، والحضرمية ، والحميرية (تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على ٧ / ٧١) (٤) المرجع السابق ٧ / ٧٧ ، ٧٨
(٥) المحكم ٤ / ٢٤٧ ، واللسان (ها) ٢٠ / ٣٦٦
(٦) اللمع ٢٧٩ (٧) شرح الأشمونى ٤ / ١٨٧

النسبة إلى ثَقِيف ثَقَفِيّ وإلى هُذَيل هُذَلِيّ[1] ، وإلى قُرَيش قُرَشِي[2] ، وإلى زُرَيق ابن حارثة الخزرجي زُرَقِي[3] .

والرأى عندى أن ماعُدّ شاذا ليس إلا تطورا ، أو هو بمعنى أدق بداية تطور فى بنية الكلمة من الطول إلى القصر وقد تمّ فى البيئة الحجازية . وأما تميم وما شاكلها من قبائل مجاورة بدوية ، فقد حافظت على القديم . وإنه لما يعضد هذا الرأى :

١ — إن الكلمات المنسوب إليها (مما هى على وزنى فَعِيل وفُعَيل) وحكم بشذوذها لقصر بنيتها بحذف الياء تنتمى إلى البيئة الحجازية . وإنها كثرت حتى عدها المبرد (٢٨٥ هـ) مطردة وتبعه فى رأيه هذا السيرافى (٣٦٨هـ) جاء فى شرح الأشمونى (٩٠٠هـ) : «ووافق السيرافى المبرد ، وقال: الحذف فى هذا خارج من الشذوذ وهو كثير جدا فى لغة أهل الحجاز »[4] .

٢ — رويت لنا أعلام تميمية نسب إليها وعدت موافقة للقاعدة ، منها :

(أ) رُقَيْعِى : وهو « ماء بين مكة والبصرة لرجل من بنى تميم ، يعرف بابن رُقَيْع[5] .

(ب) سَلِيطى : نسبة إلى سَلِيط ، وهو الحارث بن يربوع بن حنظلة[6] .

(ج) عُجَيْفى : نسبه إلى عُجَيْف بن ربيعة بن مالك بن حنظلة[7]

(د) عَرِينى : نسبة إلى عَرِين بن يربوع[8] .

(هـ) قُرَيعِى : نسبة إلى قُرَيع بن عوف بن كعب[9] .

(و) هجَيْمى : نسبة إلى الهُجَيم بن عمرو بن تميم[10] .

٣ — الأعلام التى نسب إليها على كلا الوزنين (إثبات الياء وحذفها) نص العلماء على أن التميمية هى التى تتبع القاعدة أما الحجازية فهى الشاذة (بحذف الياء منها) ، من ذلك :

(أ) النسبة إلى فُقَيْم كنانة فُقَمِيّ ، أما النسبة إلى فُقَيْم تميم فهى فُقَيْمى ، قال الأشمونى : « وفى فُقَيْم كِنانة فُقَمِى ليفرقوا بينه وبين فُقَيْمى فى فُقَيم تميم »[11] .

(١) الكتاب ٣ / ٣٣٥
(٢) شرح الأشمونى ٤ / ١٨٧
(٣) عجالة المبتدى ٦٨
(٤) شرح الأشمونى ٤ / ١٨٧ ، ١٨٨
(٥) معجم ما استعجم ٢ / ٦٦٨
(٦) عجالة المبتدى ٧٣
(٧) المرجع السابق ٩١
(٧) الكامل للمبرد ١ / ٣
(٩) عجالة المبتدى ١٠٤
(١٠) المرجع السابق ١٢٤
(١١) شرح الأشمونى ٤ / ١٣٧

(ب) ما ذكره أبو الحسن الأخفش[1] من أن النسب إلى عَرِين بن يربوع « عَرِينى وكثير من الناس يقول عُرَنى ولا يدرى »[2] يدل على أن النسب إلى عرين تطور على مر الأيام فأصبح شأنه شأن قريش وثقيف ، وإن كان اللغويون لم يعترفوا بهذا التطور .

(ج) إن العربى تميميا كان أو حجازيا حذف هذه الياء عند إضافة التاء إلى هذين الوزنين (أى فُعَياة وفَعِياة)[3] ، فجاء بهما على وزنى فُعَلىّ وفَعَلىّ مثل جُهَنِىّ نسبة إلى جُهيْنة ، وحَنَفِى ، نسبة إلى حَنِيفة باستثناء ألفاظ لم تحذف فيها الياء مثل عميرى نسبة إلى عميرة كلب[4] وهى قبيلة متوغلة فى البداوة .

وحذف الياء فى هذين الوزنين لايعنى سوى أن التطوير بالحذف بدأ فى البنية الطويلة (فُعَيْلة وفعِيلة) إيثارا لقانون السهولة . أما البنية القصيرة (فُعَيْل وفَعِيل) فقد بدأ تطورها متأخرا . وبدأ فى البيئة الحجازية ولم يتعدها إلى بيئة تميم المقفلة .

ثم يجىء مجمع اللغة العربية ، فلا ينظر إلى التطور الذى أصاب صيغتى « فُعَيْلة ، وفَعِيلة » ويسوى بينهما وبين صيغتى « فُعيْل ، وفَعِيل » اللتين لم يقطعا الشوط كاملا فى التطور ويقرر أنه « . . . ورد السماع بحذف الياء وإثباتها فى النسب إلى فُعَيل ، بفتح الفاء وضمها مذكرة ومؤنثة فى الأعلام وفى غير الأعلام . ولهذا يجاز الحذف والإثبات »[5] .

* * *

(ج) الممدود :

مالت تميم إلى الممدود على حين مالت الحجاز إلى المقصور . والتميميون فى نهجهم هذا يتسقون وتحقيقهم الهمزة ، وكذلك يطيلون بنية الاسم . وقد تناولنا هذا الموضوع بالدراسة فى الباب السابق .

(د) مصادر فَعَلَ :

يأتى المصدر من « فَعَلَ »عند النجديين ومنهم التميميون على « الفُعُول » وعند الحجازيين على « الفَعْل » . وسنتناول ذلك عند الحديث عن المصادر .

---

(١) هو على بن سليمان الأخفش المتوفى سنة ٣١٥ ﻫ (نزهة الألباء ١٦٨) أحد رواة الكامل للمبرد (انظر : الكامل ١ / ٢)

(٢) الكامل ١ / ٣

(٣) غير معتلة العين كطويلة ، أو كانت العين واللام من جنس واحد كجليلة فتثبت الياء (شرح الأشمونى ، وحاشية الصبان ٤ / ١٨٧)

(٤) شرح الأشمونى ٤ / ١٨٦ ، ١٨٧ ، وشرح التصريح ٢ / ١٨٧

(٥) فى أصول اللغة ٢ / ٨٥ ، ٨٦

ثالثا : متفرقات

عالجنا فيما يخص البنية من حيث الطول والقصر عدة موضوعات يتناول كل منها طائفة معينة من الكلمات ترتبط برباط معين ، وبقيت لدينا مجموعة يعوزها الترابط والانتماء إلى موضوع بعينه . ونلاحظ أن هذه الكلمات مالت تميم فى بعضها إلى البنية الطويلة وفى أخرى إلى البنية القصيرة ، وسنتناول كل مجموعة على حدة .

(أ) الميل الى طول البنية :

الكلمات التى عثرنا عليها من هذا الصنف هى :

١ ـ أنا :

فى الوصل ، إذ أثبت التميميون الألف وأسقطها الحجازيون . وسبق الحديث عن ذلك فى « الوقف » .

٢ ـ بُلُولة :

عزيت هذه الصيغة إلى تميم فى حين أنه نسب إلى أسد « بلَلَة » وللفظ صيغة ثالثة هى « بَلَّة » [١] ورغم عدم نسبتها فإننا نرجح عزوها إلى الحجاز لاتفاق ذلك وما قرره الفراء من أن كلَّ فِعْلٍ من بابى ضرب ونصر ولم يسمع له مصادر ففَعْل للحجاز وفُعُول لنجد [٢] ـ وسنعرض لهذا عند الحديث عن المصدر ـ وفِعْلُ هذه المصادر هو بَلَّ يَبُلُّ [٣] أى من باب نصر . والأسماء الثلاثة التى ذكرناها مصادر اضيفت إليها التاء .

٣ ـ شَرَار :

ويقابل هذه الكلمة شَرَر ، فى اللغة المشتركة . وقد عرضنا هذه الكلمة عند الحديث عن « الفصل بين الأمثال » فى الفصل الأول من الباب الثانى .

---

(١) اللسان (بلل) ١٣ / ٧٠

(٢) ديوان الأدب ٢ / ١٣٩

(٣) اللسان (بلل) ٦٧/١٣

٤ - كراهِيَة :

استعملت تميم هذا اللفظ وكان الحجازيون يقولون « كراهَة »[١] .

٥ - بُطْآى :

استعملت عند بطن من تميم . وبطء عند سواهم ، جاء فى التكملة للصغانى « لم أفعله بُطْء ياهذا ، وبُطْآى ، أى الدهر فى لغة بنى يربوع »[٢] .

٦ - جَبْرئيل :

قلنا عند الحديث عن « الفتح والكسر » إن هذا العلم أعجمى ، وكان له عند العرب خمس صور ، هى : جبْريل (لغة الحجاز) ، وجَبْرَئِيل (لغة تميم وشاركتها فى ذلك قيس) ، وجِبرين (بالنون) لغة أسد ، وجَبْريل بفتح الجيم بغير همز ، وجَبْرَئِل ، والصيغتان الأخيرتان لم تنسبا . ونلاحظ أن تميما اختارت الصيغة الطولى ، وهى الصيغة التى تتفق واللغة المعرب عنها .

٧ - اسأل :

ذكر يونس فى نوادره أن أهل الحجاز كانوا يقولون «سَلْ ربك» وتميم تقول « اسأل »[٣] وأصل هذا الفعل « سأل يسأل » فلما اشتق التميمى فعل الأمر اجتلب له همزة وصل . أما عند الحجازى ، فقد اختفت همزة الكلمة الواقعة عينا للكلمة بعد تسهيلها ، وأضحى شأنها شأن الألف الواقعة عينا للفعل الأجوف فى مثل خاف وخف .

موقف القرآن الكريم :

جمع القرآن الكريم بين اللغتين التميمية والحجازية ، قال تعالى : « واسْأَلِ القَرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها »[٤] ، كما وردت صيغة « اسْأَل » فى ثلاث عشرة

---

(١) المزهر ٢ / ٢٧٦

(٢) التكملة (بطأ) ١ / ٨

(٣) المزهر ٢٩٨/ب (خ) = ٢ / ٢٧٦ (ط)

(٤) يوسف ١٢ / ٨٢

آية أخرى[١] ، قال تعالى : (سَلْ بنى إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة)[٢] ، وقال جل شأنه : (سلهم أيهم بذلك زعيم)[٣] . والملاحظ أن القرآن الكريم استعمل اللغة التميمية فى هذا الفعل سبعة أضعاف الحجازية .

٨ – اسم :

ذكرنا عند الحديث عن «الضم والكسر» أن لهذه الكلمة أربع صيغ هى «إِسم» (بضم الهمزة وكسرها) وقد نطق الأولى بنو عمرو بن تميم ، واختارت الثانية اللغة المشتركة ، وسُم (بدون همزة وبضم السين وكسرها) ولم ينسبا إلى أقوام معينين . لهذه الكلمة إذن صيغتان طويلتان وأخريان قصيرتان نطق بنو تميم الصيغتين الطويلتين ، ونطق بطن منهم – وهم بنو عمرو – الصيغة المضمومة الأولى وشارك بقيتهم فى نطق المكسورة . وهى وإن لم تنسب إليهم صراحة فإننا كما سبق أن قلنا إن اللغة التميمية من اللغات التى اعتد بها اللغويون فما نسب إلى اللغة المشتركة ولم ينسب إلى تميم موقف مخالف حكمنا عليه حكما أشبه باليقين بأن تميما كانت تنطقه .

وقد لاحظنا هناك – عند الحديث عن هذه الكلمة فيما سبق – أن الصيغتين القصيرتين أقدم فى الزمن من الطويلتين ، إذ إنهما يمثلان المرحلة الثنائية وهذا يعنى أن تميما استعملت الكلمة وطورتها بالزيادة .

٩ – إِضْحِيانة :

وكان يقولها التميميون ، أما الحجازيون فكانوا يقولون «ضَحْيانة» وذلك فى معنى الليلة التى لاغيم فيها[٤] .

---

(١) راجع : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٣٣٧

(٢) البقرة ٢ / ٢١١ (٣) القلم ٦٨ / ٤٠

(٤) المزهر ٢ / ٢٧٦

١٠ - قنان :

قُنان القميص وقُنّه وكُنّهُ وكمه بمعنى[١] . وقد عزيت الصيغة الأولى إلى اليمن وتكلم بها أهل نجد[٢] . ويعنينا هنا أن تميا - وهى نجدية - آثرت البنية الطويلة (قنان) على قُن ، وهى إنما فعلت ذلك لتفصل بين الصوتين المتماثلين .

* * *

(ب) الميل الى قصر البنية :

وإذا انتقلنا إلى الكلمات ذات البنية القصيرة عند تميم نجد :

١ - ثِنْتَان :

كان العرب يطلقون اللفظ «اثنان» للدلالة على العدد المثنى المذكر ، فإذا ما أنثوا اختلف التميميون عن الحجازيين فقال التميميون «ثنتان» وقال الحجازيون «اثنتان»[٣] . وهذه الهمزة التى يبتدأ بها فى «اثنان» و «اثنين» عند تميم والحجاز و «اثنتان» و «اثنتين» عند الحجاز فقط همزة وصل ، فهى إذن زائدة عن أصل الكلمة . وكون التميمى وافق الحجازى فى اثنين وأضاف اليها همزة وصل ، فهو بهذه الإضافة لم يزد مقاطع «اثنين» عن مقاطع «ثنتين» ، فكلاهما يحوى من المقاطع ثلاثة ، ذلك إلى أن إضافة همزة الوصل إلى «اثنين» يجعلها تتفق ونسج الكلمة عند تميم التى تبدأ بمقطع مغلق قصير .

نخلص من هذا التعليق إلى أن الصيغة التميمية «ثنتين» أقدم من الحجازية «اثنين» . ويرجح هذا القدم أننا لو اتجهنا إلى اللغات العربية القديمة والألسنة السامية ، نجدها تستعملها ، بدون همزة بل إن هذه الهمزة لا تلحق المذكر (اثنين) ، فيقال فى اللغات العربية الجنوبية «ثنى» للتذكير و «ثنتى» و «ثتى» فى بعض الأحيان للمؤنث[٤] ، ويقال

---

(١) اللسان (قنن) ١٧ / ٢٢٩

(٢) جمهرة اللغة (قنن) ٣ / ١٩٧

(٣) شرح التصريح ٢/ ٣٣٨ ، وانظر نسبة الصيغة التميمية فقط فى : المصباح (ثنى) ٨٦ ، وهمع الهوامع ١/ ٤١ ، وشرح الأشمونى ١ / ٧٨

(٤) تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد على ٧ / ١١٥

فى اللغة اللحيانية «ثتن» للاثنتين[1] . وإذا اتجهنا إلى الألسنة السامية نجد فى العبرية šĕnáyim للمذكر و šittáyim للمؤنث وفى الآرامية trēn للمذكر و tartēn للمؤنث و الآشورية šinā للمذكر و šittā للمؤنث[2]

الصيغة التميمية فى الوقت الراهن :

وإذا ماسرنا مع الصيغة التميمية إلى وقتنا هذا ، نجدها لاتزال مستعملة فى شرق الجزيرة موطن بعض التميميين فى الماضى والحاضر[3] . وقد سجلت الأمثال العامية المتداولة فى وسط الجزيرة وشرقها هذه الصيغة فيقال :

«مابه مَن الثّنتينْ وَحْده»[4]

وقد ورد على لسان الشاعر الشعبي محمد بن لعبون :

* أبغى العصا أمشى ولا أگول ياعواد *

* مابك من الثنتين وحده ياعواد *[5]

ومن أمثالهم أيضا «ياليت من ياخذ من البيض ثنتين»[6]

٢ ـ استحى :

يذكر أبو الحسن الأخفش أن «استحى بياء واحدة لغة تميم ، وبياءين لغة أهل الحجاز ، وهو الأصل»[7] . ويبدو أن تطور الصيغة عند بنى تميم بسبب خشية توالى الأمثال فى صور إسناد هذا الفعل إلى ضمائر الرفع المتحركة فى مثل استحييت فحذفت إحدى الياءين فصارت استحيت . وخرج من هذا الماضى المجرد من الإسناد (استحى) .

---

(١) المرجع السابق ٧ / ١٦٩

(٢) فقه اللغات السامية ١٠٥ (الفقرة : ١٨٠)

(٣) لهجات شرق الجزيرة ١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢٠٠

(٤) الأمثال العامية فى نجد ١ / ٢٦٩ (رقم ٦٩٨) والمثل أيضا فى : الأمثال الشعبية فى قلب جزيرة العرب ٣ / ٢٢ (رقم ١٩٨٢) برواية «ما فيه» .

(٥) الأمثال الشعبية فى قلب جزيرة العرب ٣/٢٢

(٦) الأمثال الشعبية فى قلب جزيرة العرب ١ / ٢٥٨

(٧) الصحاح (حيى) ٦ / ٢٣٢٤ ، واللسان (حيا) ١٨ / ٢٢٩ ، والتاج (حيى) ١٠/ ١٠٦ ، وانظر عزو اللغتين فى المصباح (حيى) ١٦٠ ، وهمع الهوامع ٢/٢١٩ وفى (إزالة الحجاب عن رسائل العرب) ، والأفعال لابن القطاع ١ /٢١٢ ومجمع البيان ٣ / ٦٦ واكتفيا بنسبة التميمية .

موقف القراءات القرآنية من الصيغة التميمية :

ورد هذا الفعل فى القرآن الكريم ، قال تعالى (إن الله لايستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها)[1] ، وقد قرئ باللغتين ، فقرأ بلغة تميم (يستحى) ابن محيصن[2] ، وابن كثير بخلاف[3] .

بقاء الصيغة التميمية

ولا تزال الصيغة التميمية مستعملة فى قلب الجزيرة العربية ، فمن أمثالهم « من استحى من بنت عمه ماجابت ولد »[4] و «يستحى من ظلاله »[5] وورد هذا المثل الأخير فى شعر الشاعر الشعبى إبراهيم بن جعيثن يمدح أهل سدير :

« ماله حلال ويستحى من ظلاله »[6]

٣ ، ٤ — اسما الاشارة : ذاك وتيكَ :

عزا الفراء إلى تميم ذاكَ وتيكَ وإلى قريش ذلك وتلك[7] ، وهذا يعنى أن تميما استعملت للدلالة على الإشارة للبعيد الصيغة القصيرة واختارت قريش الصيغة الطويلة . والمراد بقريش فى قول الفراء « الحجاز » بصفة عامة ، وقد نص على ذلك ابن مالك (نقلا عن الفراء)[8] والأشمونى[9] وهذا من إطلاق الجزء على الكل . وكثيرا مايحل أحد اللفظين محل الاخر والدلالة واحدة .

وقد درس علاء الدين هاشم الخفاجى أسماء الاشارة فى العربية دراسة مقارنة باللغات السامية[10] ، وتبين له أن جذرى الإشارة فى العربية هما « ذا » و « تا » وأن ماعداهما عناصر أضيفت على مدى الأيام .

---

(١) البقرة ٢/ ٢٦ (٢) إتحاف ١٣١ ، مختصر فى شواذ القرآن ٢٤ ، والقراءات الشاذة ٢٤

(٣) مختصر فى شواذ القرآن ٤ ، وانظر : مجمع البيان ٣ / ١٦

(٤) الأمثال الشعبية فى قلب جزيرة العرب ٣ / ١٤٠ (رقم ٢٣٢٢)

(٥) المرجع السابق ٢٧٦ (رقم ٢٧١٠) (٦) المرجع السابق ٢٧٩

(٧) معانى القرآن ١ / ١٠٩ (٨) شرح التسهيل ١ / ٢٧٢

(٩) شرح الأشمونى ١ / ١٤٢

(١٠) فى رسالة الماجستير قدمها إلى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة عين شمس بعنوان « أسماء الإشارة بين العربية واللغات السامية : دراسة مقارنة »

وبالنسبة للجذر «ذا» استخدمته السامية الأم وظل ملازماً لفروعها بعد تفرقها باستثناء البابلية والآشورية[١] وأن هذا الجذر مرّ بمراحل تطورية هي :

ذَيَ daya ثم ذَيْ day ،ثم تحول هذا الصوت المركب ay إلى إمالة ē فأصبح اللفظ dē ، ثم تطور من إمالة فتح إلى فصار dā [٢].

أما الجذر الإشارى «تا» وهو الخاص بالمفردة المؤنثة ، فيذكر أنه يوجد فى العربية فقط ، وأما اللغات السامية الأخرى ، فإنه فقد استقلاليته الإشارية وعد فى أكثرها عنصراً إشاريا يفيد بإضافته إلى أسماء الإشارة تقويتها وتوكيدها[٣] ، ورأى أنه تطور مثل «ذا» على النحو التالى :

تَيَ > تَيْ > تِى ممالة > تا[٤]

ونلاحظ — وفقا لهذا الرأى — أن المرحلة التميمية بالنسبة للمفرد المذكر تعد الأخيرة (ذا) ، لكنها بالنسبة للمفردة المؤنثة لاتمثلها أية مرحلة من المراحل الأربعة التى ذكرها ، وإنما هى مرحلة رابعة تطورت فيها «تِى» tē الممالة إلى «تِى» (tī) بدلا من «تا» tā ، وإن كنت لا أرى ذلك؛ لأن المعروف عن تميم أنها كانت تميل . ولو كان هذا اللفظ مر بهذه المراحل الأربعة التى ذكرها لاحتفظت تميم بمرحلة الإمالة tē

وإننا إذا قارنا صيغتى كل من الاسمين (ذلك وذاك ، وتلك وتيك) بأدوات الإشارة الدالة على المفرد القريب ، وهى : ذا ، وذاء ، وذائِهِ ، وذِى ، وذِهْ ، وذِهِ بكسر الهاء باختلاس وإشباع للمذكر ، وتى ، وتا ، وتِهْ بسكون الهاء وكسرها باختلاس وإشباع للمؤنث ، وذات[٥] ؛ لاستنتجنا أن أسماء الإشارة «ذ» للمذكر ، و «ت» للمؤنث وماعداهما حروف جدت على مر الأيام .

---

(١) أسماء الإشارة ٩٧ (٢) المرجع السابق ٩٧ — ١١١

(٣) المرجع السابق ١١٦ (٤) المرجع السابق ١٢٥ (٥) شرح الأشمونى ١ / ١٣٨ ، ١٣٩

وإذا مارجعنا إلى اللغات العربية القديمة والسامية ، نجد العربية الجنوبية تعبر عن المفرد المذكر القريب والبعيد بـ «ذن» . dn ويعبر عن المؤنث بـ «ذت»[1] (dt) وفى الثمودية «زن» بمعنى هذا[2] ، و «ذت» بمعنى ذلك[3] . ومن أسماء الإشارة فى الكتابات اللحيانية «ذُ» للإشارة للأشخاص و «ذا» و «ذه» للأشياء ، و («ه» و «ذه» للإشارة للمؤنث والأشياء ، و «ذت» للمؤنث[4] .

وبالنسبة للغات السامية نجد فى الحبشية zā للمؤنث ، و للمذكر zē ، وفى العبرية zē للمذكر zō للمؤنث التى غالبا ماتتصل بها تاء التأنيث فتكون zōt[5] .

وبعد هذا العرض لصيغ اسم الإشارة المفردة فى اللغات العربية والسامية ، يتبين لنا أن الأصل فى الإشارة «ذ» للمذكر والمؤنث ، ثم أضيف للمؤنث التاء الدالة على هذا الجنس فأصبح يستعمل للمفرد المؤنث (ذت) . وقد تحذف الذال مع بقاء التاء وبذا صار للمؤنث لفظان «ذ» و «ت» . ويعنينا هنا بالنسبة للمؤنث اللفظ الثانى أما الأول فاستعمل فى مقابله ، أى مع المذكر فقط . ونستطيع بعد هذا أن نحكم بأن اللام والكاف زائدتان ، وبمعنى آخر أن الصيغتين التميميتين هما القديمتان إذ بدأت الإشارة بالذال للمذكر والتاء للمؤنث ثم أضيفت الكاف إلى كل منهما ووقفت التميمية عند هذا الحد ، ثم أضافت الحجازية اللام . ومما يؤيد رأينا فى حداثة اللام أننا نلاحظ الحبشية والآرامية تستعملان الكاف دون اللام عند الإشارة للبعيد ، ففى الحبشية zekū للمذكر و ʾentekū للمؤنث ، وفى آرامية العهد القديم deḵ للمذكر و dāḵ للمؤنث[6] .

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على ٧ / ٨١ ، وأسماء الإشارة ٩٨

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ٧/٢١٣

(٣) المرجع السابق ٢١٤

(٤) المرجع السابق ١٤٦

(٥) فقه اللغات السامية ٨٩

(٦) المرجع السابق ٩٠

إننى أرجح أن الذال وحدها هى الأصل دون التاء ، بدليل استعمالها هى أو الزاى أو الدال التى تجمع بينهما قرابة التجاور التى تبيح التبادل فيا بينها ، فأصل التاء « ذت » كما فى العربية الجنوبية واللحيانية والعبرية ثم حذفت الذال وبقيت التاء وأضيف إليها اللاحقتان « ك » و « ل » .

وعلى كل فسواء أكان أصل الضمير « ذا » و « تا » أم « ذ » و « ت » فقط فإننا نستطيع أن نحكم بأن اللام والكاف زائدتان أو بمعنى آخر أن الصيغتين التميميتين هما القديمتان .

موقف جمهور النحاة من الصيغتين التميميتين :

يرى جمهور النحاة أن للإشارة ثلاث مراتب :

قربى : ويشار إلى من فيها بما ليس فيه كاف ولام ، مثل : ذا .

ووسطى : ويشار لمن فيها بما فيه الكاف وحدها ، مثل : ذاك .

وبعيدة : ويشار إلى من فيها بما فيه الكاف واللام مثل : ذلك[1] .

ويعلق الصبان على ذلك بقوله : « فلو كانت المراتب ثلاثة كما عليه الجمهور للزم أن التميميين لايشيرون إلى البعيد والحجازيين لايشيرون إلى المتوسط »[2] .

ويبدو أن سبب هذا الرأى هو أن من النحاة الذين قعّدوا ذلك وصلت إليهم أسماء الإشاره دون تفصيل بعدم عزوها إلى أصحابها ، فوضعوا للبعيد مرتبتين اعتمادا على المبدأ القائل بأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى . وجاء من بعدهم ولاحظوا التفرقة بين اللغتين فاكتفوا بمرتبتين للإشارة ، ورغم ذلك تابع الكثير صاحب الرأى الأول الذى نرجح أنه سيبويه أو أحد سابقيه ودليل ذلك أن الصبان نسبه إلى سيبويه .[3] وإننا وجدنا أقدم نص عزا اللغتين منسوب للفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ والذى عاش بعد سيبويه .

رأى رابين فى الصيغتين :

يقول رابين إن الأشمونى يزعم أن اللغة الحجازية استعملت « ذلك » إشارة للبعيد بينما استعملت تميم « ذاك » وأن هذا يرجع إلى أن القرآن لم يستعمل سوى « ذلك » لكن هذا فيما يبدو ليس صحيحا بدليل أن ريكنْدُرف Reckendorf جمع طائفة من الشواهد على « ذاك » تنتمى إلى غرب الجزيرة العربية[4] .

---

(١) شرح ابن عقيل ١ / ١٣٥

(٢) حاشية الصبان على شرح الأشمونى ١ / ١٣٩ ، ١٤٠

(٣) حاشية الصبان على شرح الأشمونى ١/ ١٣٩

(٤) Rabin, Ancient West-Arbian p. 154.

الرد على رابين :

ليس من عادة الأشموني ولا غيره من النحويين واللغويين التفريق بين اللغات العربية على أساس استعمال القرآن الكريم لها ، ذلك إلى أن القرآن لم يكن يقتصر في استعماله على لغة الحجاز وحدها ، وإنما كان يزاوج أحيانا بينها وبين غيرها ، بل كان لا يستعمل أحيانا تلك اللغة الحجازية ؛ لأنه نزل باللغة المشتركة ، وهذه اللغة لم تكن في كل خصائصها حجازية ونسبة هاتين اللغتين لم تقتصر على الأشموني وإنما هو ناقل ، فهي ترجع إلى الفراء – كما ذكرنا في استهلال الحديث عن هذا الموضوع – أما وجود « ذاك » التميمية عند شعراء غرب الجزيرة ، فالشعراء لم يكونوا يلتزمون بلغاتهم .

وإن استعمال القرآن الكريم للغة الحجاز ، واستعمال الشعر للغة تميم ، ليدل على أن اللغتين شاعتا واستعملتا في اللغة المشتركة . وهذا ما جعل بعض النحويين يقسمون أسماء الإشارة إلى مراتب ثلاث .

الصيغة التميمية في الوقف الراهن :

إذا فتشنا في لهجات شرق الجزيرة (الكويت والبحرين وقطر ودبي وأبو ظبي والبريمي) التي كانت من مواطن تميم في الماضي ، ومن سكانه الحاليين من ينتمون إليها ، نجدهم يستعملون الصيغة التميمية « ذاك » للدلالة على المذكر والمؤنث ويستغنون بها عن « تيلك » لكنهم في حالة التأنيث ينطقونها مكشكشة ، فيقولون (هـ) ذاك للمفرد المذكر ، و(هـ) ذيتش للمفردة المؤنثة[1] . إنهم يقولون مثلا : هذاك ريّال زين (ذاك رجل طيب)[2] ، وذاكِ اريّال (ذلك الرجل)[3] .

٥ – عَلَيْهِمْ :

« عليهم » كلمة مركبة من كلمتين ، وكان للعرب في نطقها سبعة أوجه . كل وجه يمثل لغة ، وهي : عليْهُمُو ، وعليْهُمُ ، وعليهُمْ (عند الحجازيين) ، وعليهمُو ، وعليهمِي ، وعليهِمِ ، وعليْهِمْ (عند تميم) وقرئ بهذه الصيغ كلها عدا الثانية والثالثة[4] .

والصيغة التميمية (عليهِمْ) يمكن أن تقارن مع غيرها من زاويتين :

---

(١) لهجات شرق الجزيرة ١٦٢ ، ٢٠٣ ، ٢٢٦ ، ٢٤٧ ، ٢٦١

(٢) المرجع السابق ٢٠٣ (٣) المرجع السابق ٢٠٤

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢ / ب

الأولى : ميلها إلى الكسر ، مقابل الضم عند غيرها ، وقد عرضنا لذلك فى موضعه .

الأخرى : ميلها إلى قِصر البنية إذ إننا نجد درجتين فى الطول هما عليهِم وعليهمِى مع ما يقابلهما من الصيغ الأخرى التى تضم .

وإذا كانت تميم اختارت الصيغة القصيرة (عليهِمْ) فإنها هى التى سادت هى ومثيلتها المضمومة الحجازية ، وهما ينتميان إلى أحدث مرحلة . ونبه بروكلمان حديثا لذلك ، فهو يذكر أن هُمْ متطورة عن هُمُ[1] .

٦ ـ لَـدُ :

« لدُنْ » ظرف يجىء للزمان والمكان ، وقد ذكر له النحاس (ت ٣٣٨ هـ) تسع لغات هى :

١ ـ لَدُ (وعزاها الفراء لبعض بنى تميم) .

٢ ـ لَدُنُ لأهل الحجاز .

٣ ـ لَدُنْ .

٤ ـ لَدُنِ .

٥ ـ لَدَ (عن الكسائى) .

٦ ـ لَدْ (عن أبى حاتم) .

٧ ـ لَدْنِ (لربيعة عن الفراء) .

٨ ـ لُدُن (لغة أسد) .

٩ ـ لُدْنْ (عن أبى حاتم)[2] .

ونلاحظ أن بعض هذه اللغات طويلة البنية وبعضها قصيرة ، وأن بعض التميميين اختار « لَدُ » ذات البنية القصيرة . وقد وردت هذه اللغة على لسان العجاج التميمى فى قوله :

* من لَدُ شَوْلا فإلى إتْلائها *[3]

---

(١) فقه اللغات السامية ٥١ (الفقرة ٦١)   (٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٢ / أ

(٣) المرجع السابق ، والبيت ليس فى شرح الديوان وهو غير منسوب فى الكتاب ١ / ٢٦٤ وذكر الأستاذ هارون أنه من الخمسين التى لم يعرف قائلها ، واللسان (شول) ١٣ / ٣٩٨ (شول : جمع شائلة ، وهى من الابل ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر ، فخف لبنها – إتلاء الناقة : أن يتبعها ولدها بعد الوضع – اللسان (شول) ١٣/٣٩٨، و(تلا) ١٨/ ١١١) .

وورود اللفظ فى شعر بعض التميميين يرجح أن المقصود ببعض تميم هنا بنو سعد الذين ينسب إليهم العجاج .

٧ ــ مُــذْ :

١ ــ قال يونس (ت ١٨٢هـ) فى نوادره :

« أهل الحجاز ما رأيته مُنْذُ يومين ومُنْذُ يومان ، وتميم مُذْ يومين ومُذْ يومان [١] » .

٢ ــ وقال أيضاً :

« أهل العالية يقولون ما لقيته مُنْذُ اليوم وأهل نجد يقولون مُذْ اليوم [٢] » .

هذان النصان يعزيان إلى عالم لغوى واحد هو يونس بن حبيب ،ورغم ذلك فإنه نَسَبَ « مذ » فى الأول إلى تميم وفى الآخر إلى نجد ، و « منذ » فى الأول إلى أهل الحجاز وفى الثانى إلى أهل العالية . وأهل العالية هم الحجازيون ، ونجد تشمل تميما وغيرها من سكان نجد مثل أسد .

ومُنْذُ بنية على الضم ، أما مُذْ فهى مبنية على السكون وتحرك بالضم إذا كان بعدها ساكن [٣] . وينحصر الخلاف بين تميم والحجاز فى هاتين الكلمتين فى البنية . أما الجانب الإعرابى فهما متفقان فيه ، ويؤكد ذلك يونس فى تعليقه على النص الأول بقوله : «فيتفق أهل الحجاز وتميم على الإعراب ويختلفون فى مذ ومنذ ، فيجعلها أهل الحجاز بالنون وتميم بلا نون » [٤] .

ومُذ اختصار لمُنْذ بحذف النون التى هى بدورها مركبة من كلمتين . ولعلماء العربية رأيان فى هذا الأصل :

الأول : مركبة من : « مِنْ » و « إذْ » [٥] .

---

(١) المزهر ٢٩٨ / ب (خ) = ٢ / ٢٦٧

(٢) ماتفرد به بعض الأئمة ١٠

(٣) المغنى ٢ / ٢٢

(٤) المزهر ٢٩٨ / ب ، ٢٩٩ / أ (خ) = ٢ / ٢٧٦ (ط)

(٥) اللسان (منذ) ٥ / ٤٦

الثانى : وهو قول الفراء إنها مركبة من الكلمتين : « مِن » و « ذُو » الطائية التى بمعنى الذى[١] ، وبذلك أخذ الكوفيون وحللوا قولهم : ما رأيته منذ يومان ، أى : ما رأيته من الزمان الذى هو يومان[٢] .

والرأى الثانى هو الصواب لاتفاقه ومقابل الكلمة فى الحبشية *ʾemza* المركبة من *ʾem* بمعنى (مِنْ) و « za » بمعنى الذى (اسم موصول)[٣] . وكسر الميم فى « من » يتفق ونطق بنى سُليم لهذا اللفظ (مِنْذُ)[٤] . كما أن بعض العرب وهم عُكْل حافظوا على كسر الميم مع حذفهم النون وضمهم الذال فقالوا مِذُ .[٥]

الصيغة التميمية « مُذْ » أصلها « مِنْ + ذو » تطورت إلى (مِنْذ) بحذف الواو وبقى هذا الدور من التطور عند بنى سُليم ، ثم قلبت كسرة الميم إلى ضمه لتتابع ضمة الذال فأصبحت (مُنْذُ) وذلك وفق قانون التماثل الكلى الإتباعى المنفصل ، وهذا ماشاع عند الحجازيين ، ثم صارت (مُذْ) عند تميم .

أو أن الصيغة التميمية تطورت عن (مِنْذُ) لغة بنى سليم إلى (مِذُ) لغة عُكْل (وهم بنوعمومة تميم) ثم إلى(مُذُ) وفق قانون التماثل الكلى الاتباعى المنفصل ،ثم إلى مُذْ (بسكون الذال) إذا لم يليها ساكن .

٨ — هناك :

استعمل العربى هناك ، و « هنالك » للإشارة للمكان البعيد[٦] . وقد اختار التميمى الصيغة القصيرة الخالية من اللام (هناك)[٧] . أما الأُخرى الملحقة بها اللام ، فقد نسبها الأشمونى– الذى لم ينسب التميمية –إلى الحجازيين[٨] . وصنيع الفريقين بهذا الاسم شبيه بـ « ذاك » و « تيك » السابق عرضهما .

---

(١) اللسان ٥ / ٤٧
(٢) المغنى ٢ / ٢٢
(٣) التطور اللغوى ٣٢، ٣٣
(٤) المرجع السابق وانظر : اللسان (منذ) ٥ / ٤٧
(٥) اللسان (منذ) ٥ / ٤٧
(٦) شرح الأشمونى ١ / ١٤٤
(٧) إعراب القرآن للنحاس ٣٤ أ
(٨) شرح الأشمونى ١ / ١٤٤

ونجد رابين يستبعد توزيع الصيغتين إلىبيئتين مختلفتين ،ويرى – كما رأى فى ذاك –أن الأشمونى عدّ هنالك حجازية لورودها فى القرآن[١] الكريم ، وتعليقنا على رأيه هو ما ذكرناه عند الحديث عن « ذاك » .

٩ – وَدّ :

الوَتِد : ما يثبّت فى الأَرض أَو الحائط من خشب[٢] . وللكلمة ثلاث لغات أُخرى غير « وَتِد » هذه التى وصفها صاحب المصباح بأَنها لغة الحجاز وأَنها الفصحى[٣] . هذه اللغات الثلاث ، هى :

١ – ودّ التى نسبها ابن دريد إلى تميم[٤] ،ووسع الفيومى دائرة ناطقيها فعزاها إلى نجد[٥] ، وسبقه إلى ذلك الجوهرى[٦] .

٢ – وتَد ، بفتح التاء كما فى المصباح دون عزو إلى قوم معينين[٧] .

٣ – وَتِيد : جاء فى « لسان العرب » «ابن سيده وغيره ، الوَدّ : الوَتِدُ بلغة تميم ، فإذا زادوا الياء قالوا وتيد »[٨] .

رأى القدماء :

يرى القدماء أن الوتد هو الأَصل وفسروا تطوره عند بنى تميم بأَنهم سكنوا التاء وقلبوها دالا وأَدغموا الدال فى الدال ، قال الجوهرى (ت نحو ٤٠٠ هـ) ؛ « الوَدّ بالفتح : الوَتِد فى لغة أَهل نجد ، كأَنهم سكنوا التاء فأَدغموها فى الدال »[٩] وقد تابع الفيومى هذا الرأى كما رأينا .

١٠ – وز :

« حكى يونس فى نوادره أَن الإِوَزّ لغة أَهل الحجاز ، وأَن الوزّ لغة بنى تميم »[١٠] . وإذا نظرنا إلى تاريخ هذه الكلمة نجد أَنها سومرية الأَصل « وز » ، ومن هذه اللغة دخلت الأَكدية [

---

(١) Rabin, Ancient West-Arabian p. 154.

(٢) لسان العرب (وتد) ٤ / ٤٥٧

(٣) المصباح (وتد) ٦٤٦

(٤) جمهرة اللغة ١ / ٧٧

(٥) المصباح (وتد) ٦٤٦

(٦) الصحاح (ودد) ٢ / ٥٤٩

(٧) المصباح (وتد) ٦٤٦ ، ٦٤٧

(٨) اللسان (ودد) ٤ / ٤٧٠

(٩) الصحاح (ودد) ٢ / ٥٤٩

(١٠) الاصداب ١٩٣

ونطقت (وزُ أو وزُّو) ، ومنها إلى الآرامية التى نطقت فيها « وزا أو وازا أو وزتا) ، وعن الأخيرة دخلت العربية[1] .

وإذا كانت اللغة التميمية قد اختارت الصيغة القصيرة والحجازية الطويلة فمن الواضح أن التميمية هى القديمة وأنها تطورت لدى الحجازيين بإضافة سابقة الكلمة فصارت إرزّ وقد تكون إضافتهم الهمزة من باب الحذلقة بسبب عقدتهم منها . ونلاحظ أن كل صيغة من الصيغتين تتفق ونهج البيئة التى تنتمى كل صيغة من الصيغتين . فالتميمية تبدأ بمقطع مغلق قصير ، والحجازية تبدأ بمقطع مفتوح قصير .

* * *

(ج) البنية المتوسطة :

أَيَمُ :

يذكر السيوطى أن الكلمة « أَيمن » عشرين صيغة تمثل كل منها لغة ، وأن هذه الصيغ يمكن أن نقسمها من حيث الطول والقصر إلى أربع درجات :

الأُولى : إَيَمُن بفتح الهمزة مع ضم الميم أو فتحها ، وكذلك بكسر الهمزة مع ضم الميم أو فتحها .

الثانية : إِيمَ (بحذف النون) وبفتح الهمزة مع فتح الميم وبكسر الهمزة مع ضم الميم أو كسرها ، وبقلب الهمزة هاء مع فتح الميم .

الثالثة : وقد اتجهت اتجاهين :

(أ) إَم (بحذف الياء والنون) بفتح الهمزة مع تثليث الميم ، أو بكسرها مع ضم الميم أو فتحها .

(ب) من (بحذف الهمزة والياء) بفتح الميم والنون ، وضمهما وكسرهما .

---

(١) الدخيل فى اللغة العربية (بحث نشر بمجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد (م / ١٠ ج ٢ – ديسمبر ١٩٤٨) ٨٧

الرابعة : مُ ، بتثليث الميم .

وقد عُزى إلى تميم « أَيْمُ » بفتح الهمزة وضم الميم ، ونسب إلى بطن منها وهو بنو العنبر « م » فقد حكى أن رجلا منهم سئل : ما الدُهْدُران ؟ فقال : مِ ربي الباطل[1] .

وإذا كان أصل هذه الصيغ جميعها « أَيْمُن » جمع يمين[2] لأنها تفيد القسم ، فهذا يعنى أن لغة تميم آثرت الصيغة المتوسطة ، فقد مرت بعد أقدم صيغة بمرحلة واحدة هى حذف النون ، تلتها عند غيرها مرحلتان هما : حذف الياء والنون ، وحذف الهمزة والياء ، ثم حذف جميع أصوات الكلمة عدا الميم وإن كان أحد بطونها وهم بنو العنبر اختاروا الصيغة القصيرة فقالوا « م » . وإذا كان السيوطى لم يحدد ضبط الميم ، فإننا نميل إلى أنها الضمة لاتفاقها والصيغة العامة فى تميم (أَيمُ) وسبب الحذف فى هذا اللفظ هو الاقتصاد فى الجهد النطقى لكثرة تردده فى الأَيمان .

* * *

النتيجة :

تبين لنا من دراسة موضوع البنية بين الطول والقصر أن تميما :

(أ) أطالت البنية فى :

١ - ٤ : أربع صيغ للأفعال قصرها غيرهم ، وهى :

(أ) أَفْعل عندهم فى مقابل فَعَل عند غيرهم .

(ب) فَعَّل فى مقابل فَعل .

(ج) فاعل فى مقابل فَعَل .

(د) افتعل وغيرهم فَعَل .

٥ - شددت طائفة من الكلمات عددها سبعة بالإضافة إلى تشديد الحرف الأخير عند الوقف لدى بعضهم - فيما يظن - مقابل عدم تشديد الواو والياء من الضميرين « هو » و « هى » .

---

(١) همع الهوامع ٢ / ٤٠

(٢) اللسان (يمن) ١٧ / ٣٥٦

٦ ـ مالت إلى المد ومال الحجازيون إلى القصر .

٧ ـ حافظت على الياء عند النسبة إلى « فَعِيل » و « فعَيل » وحذفها الحجازيون .

٨ ـ أطالت البنية فى طائفة من الكلمات لا يجمع بينها رابط عددها عشرة.

(ب) قصرت البنية فى طائفة من الكلمات ليس بينها رابط محدد ، وهى عشر كلمات لاحظنا أن تميا تمثل صيغها القدم ثم تطورت عند غيرهم بإطالة بنيتها .

(ج) اختارت البنية المتوسطة فى كلمة « ايم » وإن كانت إلى الطول أقرب .

(د) تعادلت هى وغيرها فى صيغ ثلاث هى :

(أ) فاعل وأفعل .

(ب) فعّل وفاعل .

(ج) تفعّل وافتعل .

ومن هذا يتبين لنا اتجاه تميم إلى البنية الطويلة .

الفصل الثانى
الفعل ومشتقاته

أولا : الفعـل الثلاثى المضعف

كان للفعل الثلاثى المضعف عند العرب عدة حالات ، أشهرها ثلاثة ، وهى :

الأُولى ـ الإدغام ، وذلك إذا تحركت لامه ، كأن يكون مسندا إلى ياء المخاطبة مثل مُدى ، وعزى ذلك إلى الحجاز وتميم [١] .

الثانية ـ الفك ، وذلك إذا سكنت لامُه واتصل به ضمير رفع متحرك مثل رَددت ، وشاعت هذه الحالة لدى العرب عامة ، ومنهم تميم والحجاز [٢] ونسب الشذوذ عن هذه القاعدة ـ وهى عدم الفك ـ إلى بكر الذين كانوا يقولون ردَّتُ [٣] .

الثالثة : الإغام والفك ، وقد حافظ التميميون على الإدغام وفكه الحجازيون [٤] وذلك إذا سكنت اللام ولم تتصل بضمير رفع متحرك ، إذا كان الفعل مجزوما بأن كان مضارعا ودخلت عليه إحدى أدوات الجزم أوكان شبه مجزوم بأن كان فعل أمر ، وذلك مثل : اُردد ولا تردد ،بإضافة همزة وصل فى أول الأمر عندالحجازيين أول الأمر ورُدّ ،ولاترُدّ عند التميميين [٥] .

موقف القراءات القرآنية من النوع الثالث :

ولنبدأ فى حديثنا عن الإدغام بالاتجاه إلى كتاب الله الحكيم لنرى موقف القراءات القرآنية من هذا النوع الذى خالفت فيه تميم اللغة الحجازية :

١ ـ قال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يُحْبِبْكم الله) [٦] . قرأ أبو رجاء العُطاردى « يَحِبّكم » بالإدغام وفتح الياء [٧] موافقاً التميميين .

---

(١) الكتاب ٤ / ٤١٧

(٢) شرح الكتاب للسيرافى ٤ / ٦٨٢

(٣) الكتاب ٣ / ٥٣٥

(٤) الكتاب ٤ / ٤٧٣

(٥) انظر المرجع السابق

(٦) آل عمران ٣ / ٣١

(٧) مختصر فى شواذ القرآن ٢٠ ، والكامل للمبرد ٢ / ٢٥١

٢ ــ «يشاقق» وردت فى القرآن الكريم ثلاث مرات : مرتين بالحجازية (يشاقق) والثالثة بالتميمية (يشاقّ) ، قال تعالى :(ومَن يُشاقِقِ الرسول)[١] وقال (ومن يُشاقق الله ورسولَه فإن اللهَ شديدُ العِقاب)[٢] ، وقال (ومن يُشاقِّ الله)[٣]

٣ ــ قال تعالى : (فلا يَغْرُرْك تقلُّبهم فى البلاد)[٤] ، قال أبو حيان : «قرأ الجمهور (فلا يغررك) بالفك وهى لغة أهل الحجاز ، وقرأ زيد بن على وعبيد بن عمير (فلا يغرَّك) بالإدغام مفتوح الراء ، وهى لغة تميم[٥] .

٤ ــ قال تعالى : (من يَرْتَدَّ منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه)[٦] وافقت قراءة نافع وابن عامر وأبو جعفر لغة الحجاز (يَرْتدِد) ، وأما بقية الأربعة عشر فقد وافقت قراءتهم لغة تميم (يَرْتدّ)[٧] .

٥ ــ قرأ عاصم وحمزة والكسائى وابن عامر[٨] وأبو جعفر[٩] والأعمش والحسن البصرى[١٠] (لايضركم) فى قوله تعالى : (وإن تصبروا وتتقوا لايضُرُّكم كيدهم شيئا)[١١] بضم الضاد والراء المشددة[١٢] (يَضُرُّكم) من ضرّ يَضُر[١٣] . وانفردت اللغة الحجازية فى مواضع أخرى فقرىء بها وحدها مثل قوله تعالى :(وليَسْتعفِفِ الذين لايجدون نكاحا)[١٤] وقوله : (ومن كان غنيا فليستعفف)[١٥] .

---

(١) النساء ٥ / ١١٥

(٢) الأنفال ٨ / ١٣

(٣) الحشر ٥٩ / ٤

(٤) غافر ٤٠ / ٤

(٥) البحر المحيط ٧ / ٤٤٩

(٦) المائدة ٥ / ٥٤

(٧) إتحاف ٢٠١

(٨) السبعة فى القراءات ٢١٥ ، التيسير ٩٠ ، وإرشاد المريد ٢٧٦

(٩) تحبير التيسير ٩٨، ٩٩

(١٠) انظر : إتحاف ١٧٨

(١١) آل عمران ٣ / ١٢٠

(١٢) انظر : السبعة ٢١٥ ، والتيسير ٩٠ ، إرشاد المريد ٢٧٦ وتحبير ٩٨، ٩٩ ، وإتحاف ١٧٨

(١٣) البحر ٣ / ٤٣

(١٤) النور ٢٤ / ٣٣ ، وانظر : البحر ٦ / ٤٥١ والنهر الماد ٦ / ٤٥٠

(١٥) النساء ٤ / ٦

قدم اللغة التميمية :

وإننا نلاحظ أن اللغة الحجازية هي التي كان لها نصيب من الذيوع فاق أختها التميمية، وليس معنى ذلك أننا نقول مع سيبويه حين وصفها بقوله : «وهي اللغة العربية القديمة الجيدة»[1] أو نقول مع أبي جعفر النحاس الذي قرر كلام سيبويه فقال : «ولغة أهل الحجاز هي اللغة القديمة الفصيحة»[2] . أما وصف الحجازية مرة بالفصاحة وأخرى بالجودة ، فدلالة اللفظين واحدة ، فكل فصيح لابد أن يكون جيدا ، ومرجع الفصاحة هنا إلى شيوع اللفظ الذي يجعل الأذن تألفه . أما وصف الحجازية هنا بالقدم ، فهو حكم يحتاج إلى نظر ، ذلك لأن الإدغام هو الأصل في هذه الأفعال والفك هو الطارئ .

موقف الشعر التميمي :

ولنعرج بعد هذا إلى التراث التميمي من الشعر لنرى مدى موافقته للغة قومه :

قال جرير :

فغُضَّ الطرف إنك من نُمَيْر فلا كعْباً بلغت ولا كِلابَا[3]

وقال أيضا :

ذُمَّ المنازلَ بعد مَنْزِلةِ اللِّوَى والعيش بَعْدَ أولئك الأقْوام[4]

فجرير في هذين البيتين موافق لغة قومه .

ضبط التميمي لآخر فعل الأمر :

ولايجدر بنا أن نترك هذا الموضوع دون أن نقرر أن الصيغة التميمية وهي التي رأينا أنها القدمى أصابها القلق فلم تستقر من حيث حركة حرفها الأخير، ويظهر أن ذلك كان إرهاصا لفك التضعيف . لقد كان لأصحاب الإدغام (تميم ومن شاركهم في مذهبهم) عدة مناهج في ضبط آخر فعل الأمر ، هي — باستثناء دخول ألف التثنية وواو الجماعة وياء المخاطبة عليها فيتبع آخر الفعل حركة هذه الضمائر[5] :

---

(١) الكتاب ٤ / ٤٧٣

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١٧٥ / ب

(٣) الديوان ٦٣

(٤) الديوان ٤٥٢

(٥) وتتفق في هذه الحالة لغة الحجاز مع لغة تميم بالتزام الإدغام كما ذكرنا .

١ – الإتباع لحركة الفاء ، نحو : رُدُّ ، وفِرِّ ، وعَضَّ ، ويستثنى من ذلك حالات ثلاث ، هي :

(أ) اتصاله بضمير الغائبة «ها» فحينئذ يفتح ، مثل رُدَّها .

(ب) اتصاله بضمير الغائب «هُ» فيضم ، مثل عَضُّهُ .

(ج) اتصاله بالألف واللام «أل» أو همزة الوصل ، فيكسر لالتقاء ساكنين مثل ، رُدِّ البابَ .

٢ – النطق بالفتح مطلقا وهذا مذهب التميميين وشاركهم بنو أسد ، فقالوا رُدَّ وفِرَّ ، وعَضَّ . وإذا التقى الفعل بأل أو همزة الوصل ، فمنهم من كسر آخر الفعل فقال رُدِّ الباب ، ومنهم من حافظ على الفتح ، فقال : غُضَّ الطرف[1] .

٣ – النطق بالكسر مطلقا وقد نسب سيبويه ذلك إلى كعب وغنى[2] وكذلك نسبه إليهما السيرافى[3] ، وعزاه الشيخ خالد والاشمونى إلى كعب ونمير[4] ، والبطون الثلاثة من قيس[5] ، وذلك مثل : رُدِّ ، وعَضِّ ، وفِرِّ .

وهناك نقطة أخرى لانحب أن نتركها قبل أن نختتم الحديث عن الإدغام وهى أن هذه البيئة التميمية (وما شابهها) التى لم تخط فى التطور سوى خطوة واحدة اضطرها إليه صعوبة النطق بالمضعف مع ضمائر الرفع المتحركة ساكت أحيانا مسلكا آخر للتسهيل غير الفك هو تحويل الحرف الثانى ألفا لينة مثل أَمْلَى بدل أَمَلَّ . وقد تناولنا ذلك عند الحديث عن «التغاير» .

---

(١) الكتاب ٣ / ٥٣٢ ، ٥٣٣

(٢) المرجع السابق ٣ / ٥٣٤

(٣) شرح الكتاب ٤ / ٦٨٢

(٤) شرح التصريح ٢ / ٥٠١ ، وشرح الأشمونى ٤ / ٣٥٣

(٥) جمهرة أنساب العرب ٢٨٠ ، ٢٨٨ ، ٤٨٠

ثانيا : مستقبل الفعل الثلاثى

قرر علماء الصرف أن أوزان الفعل الثلاثى من حيث حركة عينه فى ماضيه ومضارعه ستة ، هى :

١ - فَعَل يفعُل كنصَر ينصُر.
٢ - فعَل يفعِل كضرب يضرِب .
٣ - فعَل يفعَل كفتح يَفْتَح .
٤ - فعُل يفعُل مثل كَرُم يَكْرُم .
٥ - فعِل يفعَل مثل عَلِم يعلَم .
٦ - فعِل يفعِل مثل وثق يثِق .[1]

والتقسيم المنطقى يقتضى وجود أوزان ثلاثة أخرى ، هىَ : فعُل يفعل ، وَفعُل يفعِل ، وَفعِل يفعُل . لكن الصرفيين رفضوا هذه الأوزان لعدم وجود أمثلة لها . وعندما صادفتهم بعض الكلمات المكسورة العين فى الماضى المضمومة فى المضارع ، مثل نَعِم ينعُم وفضِل يفضُل[2] وكانوا قد استقروا على الأبواب الستة اعتبروها شاذة وفسرها بعضهم تفسيرا خاصا فعدها من تداخل اللغات ، يقول ابن جنى : « فنَعِم فى الأصل ماضى ينعَم ، وينعُم فى الأصل مضارع نَعُم ، ثم تداخلت اللغتان فاستضاف من يقولَ نَعِم لغة من يقول ينعُم ، فحدثت هناك لغة ثالثة »[3] . فإن صح القول بالتداخل ، فهو ليس خاصا بفعِل يفعُل ، وإنما تكونت به أفعال تندرج تحت الأبواب الأخرى . وعلى كل فإننا لن نقف عند التداخل ، لأنه يحتاج إلى دراسة مستقلة ، وما نستطيع أن نقوله هو أنه وجدت أفعال ماضيها مكسور العين ومضارعها مضموم وأن هذا الباب لم يقتصر على فضِل ونعِم وهما اللذان اقتصر جمهور العلماء على التمثيل بهما ، بل وردت منه أمثلة عديدة تجعلنا نعده بابا مستقلا فى منزلة « فعِل يفعِل » ، قال اللبلى (ت ٦٩١ هـ) « وإن كان الفعل على وزن فعِل بكسر العين فإن مضارعه يأتى على يفعَل بفتح العين ، نحو قولك : عَلِم يعلَم . . . هذا هو القياس . . وربما جاء بغير فتح فى المضارع لكنه موقوف على السماع : إما بالكسر أو الضم »[4] ثم

---

(١) اعتاد الصرفيون التمثيل لهذا الوزن بحسب يحسب ، ونعم ينعم ، لكن الفعل الأول وردت فيه لغة أخرى والثانى وردت فيه لغتان أخريان فآثرت التمثيل بأحد الأفعال التى يجب كسر عين ماضيها ومضارعها وهو « وثق » (انظر : إحصاء بأفعال هذا الباب فى : شذا العرف ٣٦) .

(٢) ديوان الأدب ٢ / ١٣٩

(٣) الخصائص ١/ ٣٨٣

(٤) بغية الآمال ١١ ، ١٢

ذكر أربعة عشر فعلا جاءت على هذا الوزن ، منها : قنِط يقنُط ، ورَكِن يركُن ، وشمِل يشمُل ، ونجد ينجُد[1] .

والمتتبع للأفعال التى وردت تحت كل وزن لا يجد رباطا قويا يربط بينها . وقد يقول قائل : إن مرد ذلك إلى أن اللغويين جمعوا من قبائل شتى ، وكان لكل قبيلة نهجها الخاص[2] . لذا قمت بجمع الأفعال الخاصة بهذا النوع والمنسوبة إلى تميم مع مقابلها عند غيرهم لعلى أصل إلى نهج خاص بتميم . وهى فيما يلى مرتبة على الأبواب التى حددها الصرفيون وفق الصيغة التميمية مع تعليق عليها يعين فى تحديد نسبة الفعل إلى الباب الذى أُدرج تحته ، إذا اقتضى الأمر ذلك .

أولا — فَعَل يفعُل :

١ — ركَن يركُن عند تميم وقيس[3] . وعمم الكسائى (ت ١٨٩ هـ) فعزاه للنجديين جميعاً[4] فى مقابل ركَن يركَن ، ورَكِن يَرْكَن عند غيرهم[5] . وإذا كان النحاس (ت ٣٣٨ هـ) نقلا عن أبى عمرو بن العلاء (ت نحو ١٥٤ هـ) اكتفى بصيغة المضارع وذلك فيما يخص اللغة الحجازية وحدد أنها بفتح الكاف (يركَن)[6] ، وإذا كان أبو حيان قد أورد صيغتى الماضى والمضارع وعزاهما لقريش لكنه لم يضبط سوى المضارع بفتح الكاف (يركَن) وأهمل ضبط عين الماضى ، ونص على أن رَكن يركَن (بفتح الكاف فيهما) لغة شاذة[7] ، فهذا يعنى أن لغة الحجاز من باب سمع (رَكِن يركَن) .

٢ — ضحى يَضْحَى ، وضحا يضحو ، وضحِيَ يَضْحَى بمعنى أصابته الشمس ، أو برز لها ، وكانت تميم تقول ضحَا يضْحُو[8] .

٣ — عَرَش يعرُش لدى التميميين ، وعرَش يعرش عند غيرهم .

---

(١) المرجع السابق ١٢ ، ١٣

(٢) انظر : من أسرار اللغة ٣٨ ، وفى اللهجات العربية ١٦٨ ، ١٧٣

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٠٠ / أ ، والبحر ٥/٢٦٩

(٤) البحر ٥ / ٢٦٩

(٥) الأفعال للسرقسطى ٣ / ٨٩

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١٠٠ / أ

(٧) البحر المحيط ٥ / ٢٦٩

(٨) اللسان (ضحا) ١٩ / ٢١١ ، ٢١٣

لقد ورد المضارع فقط فى قوله تعالى : (ودمرنا ما كان يصنعُ فرعونُ وقومُه وماكانوا يعْرِشون)[١] وقرئ بضم الراء وكسرها ، وعزا الكسائى الضم لتميم[٢] . ومما يؤيد أن الفعل من باب نصر عند تميم وضرب عند سواهم تحديد صاحب القاموس البابين وإن لم يعزهما بقوله : « عَرَش يعرِش ويعرُش : بنى عريشاً »[٣] .

٤ – عَلَّ يَعُلُّ ويعِلُّ بمعنى شرب ثانيا ، أو شرب بعد شُرب تباعا[٤] ، وقد عزا أبو بكر بن الأنبارى (ت ٣٢٨ هـ) ضم عين المستقبل إلى تميم وكسره إلى قيس[٥] .

٥ – مات يموت لغة سفلى مضر ، ولغة الحجاز مات يمات[٦] ، والأولى من فَعَل يفعُل لأن الفعل الماضى عند إسناده لضمير الرفع المتحرك يضم أوله يقال مُتم بضم الميم ، والثانى من فعِل يفعَل لأن ماضيه عند إسناده تكسر الميم فيقال مِتُّم[٧] .

وهناك لغة ثالثة هى مات (وتكسر الميم عند إسناده لضمير الرفع المتحرك ، فيقال مِت) يموت فهو إذن على وزن فعِل يفعُل ، لذا فسره الصرفيون على عادتهم بأنه من تداخل اللغات[٨] .

وإذا كان أبو حيان الذى قد نسب صيغة فعَل يفعُل إلى سفلى مضر التى تشمل تميما وغيرهم من مجاورين – كما ذكرنا – فإن صيغة الماضى فقط (مُت) عزيت إلى تميم صراحة[٩] .

٦ – لها يلهو (عند النجديين) وعند أهل العالية لهِى يلهَى (من باب تعِب)[١٠] .

---

(١) الأعراف ٧ / ١٣٦
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٢٧٢
(٣) القاموس (عرش) ٢/٢٧٨
(٤) اللسان (علل) ١٣ / ٤٩٥
(٥) شرح القصائد السبع ٥٧٧
(٦) البحر المحيط ٣ / ٩٦
(٧) انظر المرجع السابق
(٨) انظر : المصباح (موت) ٥٨٣
(٩) غريب القرآن على لغات القبائل (المنسوب لابن عباس) ٩٨ ، ٩٩ ، وماورد فى القرآن من لغات القبائل ٢ / ١٤٥
(١٠) المصباح (لهو) ٥٥٩

ثانيا – فَعَل يفعِل :

١ – بَطَش يبطِش عند تميم وعند الحجازيين بطَش يبطُش واكتفى يونس بذكر المضارع فى اللغتين[1] . ويوضح كون الفعل من باب ضرب عند تميم ونصر عند أهل الحجاز ورُود البابين باللسان وإن كانا بغير عزو لأصحابهما[2] .

٢ – ذوَى يذوِى لغة نجد ، وذأى يذأى عند الحجاز[3] (ونلاحظ أن فى هذا الفعل ظاهرة أُخرى وهى قلب الواو همزة قد عالجناها عند الحديث عن الهمز والتخفيف) .

٣ – سمَت يسمِت عند تميم ، وعند غيرهم سمَت يسمُت ، وأورد الصغانى المضارع فقط[4] . وورد فى اللسان « سمت يسمِت »[5] ، وهذا يؤكد أن الفعل عند تميم من باب ضرب وعند غيرهم من باب نصر .

٤ – شتَم يشتِم عند تميم وعند الحجازيين من باب نصر . ولم أجد من اللغويين من نص على عزو البابين أو أحدهما إلى الناطقين به[6] ولكن يونس عزا إلى تميم قولهم «مَشْتِمة» بكسر عين الكلمة وإلى الحجازيين فتح العين[7] . وهذا اللفظ مصدر ميمى بمعنى الشتم . وقد نص سيبويه (ت نحو ١٨٠ هـ) على أن العرب قد يبنون المصدر الميمى – وكذلك اسمى الزمان والمكان – على « مَفْعِل » إذا كان الفعل من باب « ضرب » ومعنى ذلك أن التميمى كان ينطق الفعل من هذا الباب والحجازى كان ينطقه من باب نصر لورود الفعل فى البابين . وسنتناول مصدر هذا الفعل فى موضعه .

---

(١) المزهر ٢٩٨ / ب وفى النسخة المطبوعة ٢ / ٢٧٥ ضبطت الصيغة التميمية بضم الطاء والحجازية بكسرها .

(٢) اللسان (بطش) ٨ / ١٥٤

(٣) الإبدال لابن السكيت ١٣٨ (عن الأصمعى) ، والمزهر ١ / ٤٦٣ عن الإبدال .

(٤) ماتفرد به بعض الأئمة للصغانى ١٠ (= ٢٩ / أ – شهيد على) (وسمت الرجل إذا كان ذا وقار – المصباح ٢٨٧)

(٥) اللسان (سمت) ٢ / ٣٥٠

(٦) انظر : اللسان (شتم) ١٥ / ٢١١

(٧) المزهر ٢٩٩ / أ = ٢ / ٢٧٦ (ط) (دون ضبط) .

٥ — عَرِض يعرض عند تميم فى مقابل عرِض يعرَض (من باب علم) عند الحجازيين[١] .

٦ — قلا يقلِى عند تميم وقلا يقلو عند الحجازيين (بمعنى أنضج) وقلا لها معنيان :
الأول — وضع الحب على المِقلَى .

الثانى — البغض .

وموضوع الخلاف على المعنى الأول دون الثانى ، إذ إن تميما وغيرهم متفقون فى ماضيه ومضارعه بأنهما قلا يقلِي من باب ضرب . وبالنسبة للمعنى الأول جاء الفعل عند تميم من باب ضرب وعند الحجازيين من باب نصر[٢] .

٧ — لبَّ يلِب (عند أهل نجد) بمعنى صار ذا لُبّ وذلك فى مقابل لَبَّ يلَبُّ (من باب علم) عند الحجازيين ، ولَبَّ يلَبُّ (على وزن فَعُل يفعَل) من غير تحديد . ومما يوضح أن النهج التميمى (النجدى) من باب ضرب أن ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) نظَّره بفَرَّ يفِر[٣] ، وأن الفيومى (ت نحو ٧٧٠ هـ) ذكر أن فرَّ يفِر من باب ضرب[٤] . وأن النهج الحجازى من باب علم والأخير على فَعُل يفعَل (من غير باب) قول صاحب اللسان «لَبُبْتُ أَلَبُّ ولَبِبتَ تَلَبُّ »[٥] وعقب الفيروزابادى على الصيغة الأخيرة بقوله : «وليس فَعُل يفعَل سوى لَبُبْتُ بالضم تَلَبّ بالفتح »[٦] .

٨ — يضاف إلى هذه الأفعال «ضَل يضِل » وسنعرض له فى باب «فعِل يفعَل » .

ثالثا — فَعَل يفعَل :

١ — جَنَح يجنَح عند تميم ، وجَنَح يجنُح (كنصر) عند قيس ، وجَنح يجنِح (كضرب) عند سواهم[٧] .

---

(١) الاقتضاب ١٨١ ، وانظر : المزهر ٢٩٩ / أ
(٢) المزهر ٢ / ٢٧٧ (ط) = ٢٩٩ / أ (خ)
(٣) النهاية لابن الأثير ٤ / ٢٢٣ ، واللسان (لبب) ٢ / ٢٢٦
(٤) المصباح (فرر) ٤٦٧
(٥) اللسان (لبب) ٢ / ٢٢٥ وانظر القاموس (لبب) ١ / ١٢٧
(٦) القاموس (لبب) ١ / ١٢٧
(٧) الأفعال للسرقسطى ٢/٢٨٧ ، والبحر المحيط ٤/٥١٤ ولم يذكر اللغة المكسورة فى المستقبل (من باب ضرب).

٢ – فرِغ يفرَغ[١] فى مقابل فعَل يفعُل عند الحجازيين[٢] تهامة[٣] . وسنعرض له فى الباب التالى (فَعِل يفعَل) .

رابعا – فَعِل يفعَل :

١ – بَرِىء يبرَأ عند تميم وعند الحجازيين بَرَأ يَبْرَأ (من باب فتح) . واكتفى اليزيدى فى نوادره بذكر صيغتى الماضى فى اللغتين[٤] . وتحديد البابين يتضح من قول ابن دريد. «بَرَأتُ من المرض أبَرأُ بُرْءًا ، وهذه لغة أهل الحجاز وسائر العرب يقولون بَرِئتُ من المرض أبْرَأ»[٥] .

٢ – بَعِد يبعَد عند تميم وعند غيرهم بعُد يبعُد (من باب كرم) .

وقد ورد الفعل الماضى فقط فى قوله تعالى : (ولكن بَعُدت عليهم الشُّقة)[٦] بضم العين. ونسب أبو حاتم إلى تميم كسرها[٧] . وذكر الفيروزابادى أن الفعل من بابى كرم وفرح[٨] . ومعنى ذلك أن الفعل التميمى من باب فرح وغيرهم يعامله على أنه من باب كرُم .

٣ – ٥ : حَسِب ونَعِم ويَئِس ، بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع عند تميم وكسرها فى الماضى والمضارع عند الحجازيين[٩] .

٦ – حَقِد يحقَد عند تميم وحقَد يحقِد (من باب ضرب) فى لغة الحجاز[١٠] .

٧ – زهِد يزهَد عند تميم وزهَد يزهَد عند الحجازيين. وقد ذكر يونس (ت نحو ١٨٢هـ) اللغتين مكتفيا بالماضى ، فقال « أهل الحجاز زهَد وتميم زهِد »[١١] . وإذا كان يونس

---

(١) الكامل للمبرد ١ / ١٦ ، الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٦٩

(٢) الأفعال لابن القطاع ٢ / ٤٦٤

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٦٩

(٤) المزهر ٢ / ٢٧٦

(٥) جمهرة اللغة ٣ / ٢٧٧

(٦) التوبة ٩ / ٤٢

(٧) البحر المحيط ٥ / ٤٥

(٨) القاموس (بعد) ١ / ٢٧٨

(٩) البحر المحيط ٢ / ٣٢٨ ، وانظر: الصحاح (يأس) ٣/٩٩٢ وذكر عليا مضر بدل الحجاز وسفلى مضر بدل تميم.

(١٠) المزهر ٢٩٩ / أ (خ)

(١١) المرجع السابق ٢٩٨ / ب (خ)

لم يحدد لنا باب الفعل عند كل قبيل ، فإننا برجوعنا إلى الصحاح نراه يذكر أن الفعل من بابى فعِل يفعَل وفَعَل يفعَل[1] وبمقارنة ذلك بكلام يونس ، نستطيع أن نحكم بأن الباب الأول خاص بتميم والآخر خاص بالحجاز .

٨ – رضِع يرضَع عند تميم وقيس ورَضَع يرضِع (كضرب) عند أهل الحجاز[2] .

٩ – شَغِف يشغَف عند تميم وشَغَف يشْغَف عند غيرهم . وورد هذا الفعل فى قوله تعالى : (قد شغَفَها حبا)[3] . وعلق عليه أبو حيان فقال «وكسر الغين لغة تميم»[4] . وإذا كانت المعاجم لم تحدد مضارع الفعل التميمى ، فهو لايحتمل إلا أن يكون من بابى فرِح (فعِل يفعَل) ووثِق (فعِل يفعِل) . وإذا كان الباب الأخير قليل وأغلبه مثال كما قال الفارابى – على ماسنذكر فى التعقيب – ، فالراجح أنه من باب فرح ، وأما مقابله عند غير التميميين ، فهو مانجده فى قول صاحب اللسان «وشغَفه الحب يشغَفه»[5] .

١٠ – نكِل ينكَل عند تميم ، ونكَل ينكُل عند الحجاز ، ونَكَل ينكِل عند غير الفريقين .

وقد نقل ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) عن أبى عمرو (ت ١٥٤ هـ) قوله «نكِل تميمية ، ونكَل ينكُل حجازية : ضعف وجبن»[6] وإذا كان أبو عمرو لم يذكر المضارع عند تميم كى يتسنى لنا وضع الفعل فى بابه ، فإننا استطعنا تحديده من قول صاحب القاموس «نكل عنه كضرب ونصر وعلم»[7] .

١١ – فرِغَ يفرَغ عند تميم (وكذلك فرَغ يفرَغ) فى مقابل فعَل يفعُل . وفيما يلى تلخيص للروايات التى ذكرت النهج التميمى :

(أ) عزى إلى تميم فرِغ يفرَغ فى مقابل فرَغ يفرُغ عند الحجازيين[8] .

---

(١) الصحاح (زهد) ٢/٤٨١

(٢) الإبل للأصمعى ٨٢ ، والمصباح (رضع) ٢٢٩ وفيه «نجد» بدل «تميم وقيس» و«أهل تهامة وأهل مكة» بدلا من «أهل الحجاز» .

(٣) يوسف ١٢ / ٣٠

(٤) البحر المحيط ٥ / ٢٩٩

(٥) اللسان (شغف) ١١ / ٨٠

(٦) المخصص ٣ / ٦٤

(٧) القاموس (نكل) ٤ / ٦٠

(٨) الأفعال لابن القطاع ٢/٤٦٤ ، وانظر : الأفعال للسرقسطى ٤ (القسم ١) / ٢٩ والمصباح ٤٧٠ واكتفيا بذكر الصيغة التميمية .

(ب) نسب إليهم أيضا فرَغ يفرَغ فى مقابل فرغ يفرُغ عند أهل العالية[1] .

(ج) كما نسب إليهم الصيغتان السابقتان (فعِل يفعَل ، وفعَل يفعَل). فى مقابل فعَل يفعُل عند تهامة[2] .

ونحن أمام هذين النهجين التميميين لانستطيع إلا أن نقول إن تميا ذات الفروع المتعددة المنتشرة فى وسط الجزيرة وشرقها لم تنطق هذا الفعل بصورة واحدة . فبعضهم آثر نطقه على فعِل يفعَل والآخرون على فعَل يفعَل . وإنما عالجت الفعل تحت هذا الباب دون الباب الآخر ؛ لأنى ألاحظ ميل التميمى إلى هذا الباب ، وسنشير إلى ذلك بعد الانتهاء من أبواب الفعل التميمى وعند التعقيب عليها . ذلك إلى أن قول الكسائى : «يقولون (أى تميم) فرِغ يفرَغ وحكى أيضا فرَغ يفرَغ[3] » يفهم منه أن الصيغة الأكثر شيوعا عندهم هى «فعِل يفعل» .

١٢ — ضللت أضَل : كان للعرب فى ماضى هذا الفعل ومستقبله ثلاثة مناهج :

(أ) ضلِلْت أضَل (على وزن فعِل يفعَل). وقد نسبه إلى تميم كراع[4] (ت نحو ٣١٠ هـ) وابن القطاع[5] (ت ٥١٥ هـ) ، وإلى الحجاز اللحيانى[6] ، وعزاه إلى أهل العالية ابن السكيت[7] ، والجوهرى[8] ، وابن القطاع[9] ، والفيومى[10] وأبو حيان[11] .

(ب) ضلِلْت أضِل (على فعِل يفعِل) ونسبه إلى تميم كراع[12] والسيوطى[13] .

---

(١) الكامل للمبرد ١ / ١٦ ، وعرف أهل العالية بأنهم «قريش ومن والاها» ونسب أبو عبيد اللغة الأولى إلى نجد والثانية إلى أهل الحجاز وتهامة (إعراب القرآن للنحاس ٢٥٤ / أ) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٦٩ ، وانظر مانقله النحاس عن أبى عبيد فى الحاشية السابقة .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٧/١٦٩

(٤) اللسان (ضلل) ١٣ / ٤١٤ (٥) الأفعال ٢ / ٢٧٧

(٦) اللسان (ضلل) ١٣ / ٤١٤ (٧) إصلاح المنطق ٢٣١

(٨) الصحاح (ضلل) ٥ / ١٧٤٨ ، وفيه «وأهل العالية يقولون : ضللت بالكسر أضل (بكسر الضاد)» وقد ضبط المضارع بكسر الضاد وهو تصحيف صوابه «أضل» (بفتح الضاد) والتصويب من ابن السكيت (المرجع السابق والمصباح والبحر «المرجعان التاليان» واللسان «ضلل» ١٣ / ٤١٤ وهو قد نقل عن الصحاح وإن لم ينص هنا على ذلك) .

(٩) الأفعال ٢ / ٢٧٧ (١٠) المصباح (ضلل) ٣٦٣

(١١) البحر المحيط ٧ / ٢٠٠ (١٢) اللسان (ضلل) ١٣ / ٤١٤

(١٣) همع الهوامع ٢ / ١٦٤

(ج) ضَلَلْت أَضِل (من باب ضرب) ونسب إلى نجد فقط، نسبها إليهم اللحيانى[1]، وابن السكيت[2]، والجوهرى[3]، والفيومى[4].

ونلاحظ أنه قد نسب إلى تميم صراحة صيغتان: إحداهما ضللت أضل، ولم تذكر المراجع التى اطلعنا عليها من يشاركها فيها[5]، والأخرى «ضللت أَضَل» وقد شاركها فيها الحجازيون أو أهل العالية والمراد واحد باللفظين. وإذا كان يقصد بنجد من يقيمون به من تميم وغيرهم، فهذا يعنى أن التميميين كانوا ينطقون ضَلَلت أَضل أيضاً.

وما دمنا لا نملك قرينة تساعد على نسبة إحدى الصيغ الثلاث دون الأخريين، ومادام من غير المعقول أن تتكلم البيئة الواحدة بأكثر من صيغة واحدة فى آن واحد، فليس أمامنا تجاه هذا الاضطراب إلا أن نفسر ذلك بأن تميما نطقت الصيغ الثلاث، لكنها وزعتها بين بطونها، فالبطون التى نطقت من باب وثِق غير تلك التى نطقت من باب علم غير التى نطقت من باب ضرب.

خامسا — فعِل يفعِل:

١ — وَصِبَ يصِب عند تميم بمعنى أحسن القيام على ماله[6] وعند غيرهم وَصَب يصِب[7] (كضرب).

٢ — ضلِلت أضِل: سبق الحديث عنه فى الباب السابق (فعِل يفعَل).

سادسا — فَعِل يفعُل:

دام بمعنى ثبت (وعند إسناده لضمير الرفع المتصل يقال دِمت بالكسر) يدوم (على وزن فعِل يفعُل) عند تميم، فى مقابل دام (وعند الإسناد دُمت بالضم) أدوم من باب نصر عند الحجازيين، ودام يدام من باب فرح بدون نسبة لقوم معينين[8].

---

(١) اللسان (ضلل) ١٣ / ٤١٤

(٢) إصلاح المنطق ٢٣١

(٣) الصحاح (ضلل) ٥ / ١٧٤٨

(٤) المصباح (ضلل) ٣٦٣

(٥) اللهم إلا ماضبطه محقق «الصحاح» وقد ناقشنا هذا الضبط من قبل.

(٦) الأفعال لابن القطاع ٣ / ٢٨٨

(٧) اللسان (وصب) ٢ / ٢٩٧

(٨) البحر المحيط ٢ / ٤٩٨

تعقيب :

بعد عرض هذه الأفعال التى كان لتميم فيها نهج خاص فى نطق عين المضارع الثلاثى ، نعالج هذا الموضوع من زاويتين :

الأولى – نهج تميم فى معاملة هذه الأفعال ، وإلى أى الأبواب مالت .

الثانية – مقارنة النهج التميمى بنهج غيرهم فى هذه الأفعال .

توطئه :

ونرى أن نقدم لهذه الدراسة بما وصل إليه عالمان لغويان قاما بدراسة هذا الموضوع دون اقتصارهما على لغة بذاتها . أحد هذين العالمين عاش فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى وهو الفارابى (ت سنة ٣٥٠ هـ) صاحب « ديوان الأدب » ، والآخر باحث معاصر هو المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس .

أولا – الفارابى وأبواب الثلاثى :

(أ) الأبواب الدعائم :

يرى الفارابى أن دعائم الأبواب الستة ثلاثة ، هى : فَعَل يفعُل ، وفَعَل يفعِل ، وفعِل يفعَل وما سواها معتل غير سالم ، لا يكون إلّا بشرط يدخله وعلة تلحقه [١] ، وهذه الأبواب هى :

١ – فَعَل يفعَل : وشرطه – باستثناء لغة طيئ – أن تكون عينه أو لامه حرف حلق [٢] .

٢ – فَعُل يفعُل : خاص بالطبع ، ولا يكون إلّا لازما [٣] .

٣ – فَعِل يفعِل : وهذا ليس من الأبواب لقلة ما ورد منه ، وذلك لجواز لغة أخرى فيه باستثناء المعتل [٤] .

(ب) قانون المخالفة :

ثم يرى الفارابى أن القاعدة فى الأبواب الثلاثة التى هى الدعائم أن يأتى المستقبل مخالفا للماضى [٥] .

---

(١) ديوان الأدب ٢/ ١٣٨

(٢) المرجع السابق ٢/ ١٣٨

(٣) المرجع السابق

(٤) المرجع السابق

(٥) المرجع السابق ٢ / ١٣٨ ، ١٣٩

ثانيا — الدكتور أنيس وأبواب الثلاثي :

عالج الدكتور إبراهيم أنيس هذا الموضوع فى بحث ألقاه بمجمع اللغة العربية[1] ثم ضمنه كتابه « من أسرار اللغة »[2] ثم عرض له أيضا فى كتابه « فى اللهجات العربية »[3] .

وقد اعتمد فى بحثه على الأفعال الصحيحة الواردة فى القرآن الكريم بالقراءة الشائعة وهى رواية حفص[4] عن عاصم التى استعملت مرة فى الماضى وأخرى فى المضارع ، وكذلك الأفعال الواردة فى القاموس المحيط مكتفيا بالأفعال الصحيحة التى اختص كل منها بباب واحد[5] ، وانتهى من بحثه إلى نتائج يهمنا منها :

١ — أن الصلة بين صورتى الماضى والمضارع تحكمها صلة صوتية هى المغايرة Polarity وأن ابن جنى فطن إلى ذلك من قبل وأطلق عليها المخالفة[6] .

وهذا ما لاحظناه أيضا عند الفارابى .

٢ — نهج القرآن الكريم : وجملة الأفعال الواردة فى القرآن بصيغتى الماضى والمضارع ١٣٤ فعلا[7] . وقد لاحظ الدكتور أنيس أنها خلت من باب فعِل يفعِل ، وليس فيها من باب كرُم سوى فعلين[8] ، وبقية الأفعال إمّا من باب فَعِل وعددها ٢٤ وكلها جاء مضارعها مفتوحا ، وإمّا من باب فَعَل وعددها ١٠٧ . وقد خضعت لقاعدة المغايرة فكان المستقبل مضموماً أو مكسوراً ولم تجىء مفتوحة العين إلّا إذا كانت عين الفعل أو لامه حرف حلق باستثناء « قنط »[9] .

وهذا الذى لاحظه الدكتور أنيس على أفعال القرآن الكريم يتفق وما لاحظه الفارابى من قبل بالنسبة إلى العربية بصفة عامة .

٣ — النتيجة التى وصل إليها الدكتور أنيس بعد دراسة الأفعال الواردة فى القاموس تتفق ونتيجة دراسته لأفعال القرآن الكريم[10] .

---

(١) بالجلسة السادسة لمؤتمر الدورة السادسة عشرة ، وانظره فى مجلة المجمع ٨ / ٣٠٦

(٢) ص ٤٦

(٣) ص ١٦٨ — ١٧٣

(٤) فى اللهجات العربية ١٦٩

(٥) من أسرار اللغة ٥٣

(٦) المرجع السابق ٤٩

(٧) المرجع السابق ٥١

(٨) المرجع السابق

(٩) المرجع السابق ٥١ ، ٥٢

(١٠) انظر : المرجع السابق ٥٦ ، ٥٧

٤ – فسر الاختلاف بين بابى نصر وضرب بأن البيئة البدوية كانت تؤثر الباب الأول والحضرية كانت تؤثر الباب الثانى[١] .

عود الى الصيغ التميمية :

وإذا ما عدنا إلى الصيغ التميمية نجد أنها قد قدمت لنا ٢٨ ثمانية وعشرين فعلًا خالفت فيها تميم غيرها فى ضبط عين المضارع . ومن الملاحظ أن هذه الأفعال ليست جميعها منسوبة إلى تميم مباشرة ، بل منها ما نسب إليها ضمنًا ، فهى إمّا منسوبة إلى سفلى مضر أو نجد ، وكلا التسميتين تندرج تحتهما تميم . وهناك أفعال ورد عين مضارعها بصورتين ، نسبت إحداهما إلى الحجاز ، وتركت الأخرى بدون عزو ، فلم نتعرض لها خشية أن تكون تميم تشترك مع الحجاز ولم ينص على ذلك . نذكر من هذه الأفعال : قتَر يقتِر عند الحجاز فى مقابل قتَر يقتُر[٢] ، وحرَص يحرص عند الحجاز فى مقابل حرِص يحرَص[٣] ونشَز ينشُز عند الحجاز فى مقابل نشَر ينشِر[٤] . وبَخُل يبخَل عند الحجاز فى مقابل بَخِل يبخَل عند سائر العرب[٥] .

وقد لاحظنا عند عرض الألفاظ أن الروايات اضطربت فى تحديد الصيغة التميمية للفعلين فرغ وضل فنسبت لتميم صيغتين للفعل الأول . وثلاث صيغ للفعل الثانى . وقد ناقشنا هذه الروايات ورجحنا أن تميمًا كانت تنطق جميع الصيغ كل صيغة كانت تنطقها بطن غير التى تنطق الأخرى .

والأفعال موضوع الدراسة ستة وعشرون – وذلك بعد تنحية الفعلين فرغ وضل جانبًا لمجيئهما بأكثر من صيغة ، ولتشابه بعض هذه الصيغ مع غير التميميين – توزعت عند تميم على أبواب الفعل على النحو التالى :

١ – ستة أفعال من باب نصر ، توزعت عند غيرهم إلى ثلاثة أبواب ، ثلاثة من باب علم (يركَن يضحَى ، ويلهَى) وواحد من باب فتح (يمات بالإضافة إلى يركَن ويضحَى لغة ثالثة فيهما) ، واثنين من باب ضرب (يعرِش ، يعِلّ) .

(١) المرجع السابق ٦٠
(٢) المزهر ٢١٥/١
(٣) البحر ٤٩٠/٥
(٤) التهذيب ٣٠٤/١١ ، واللسان (نشز)٢٨٥/٧
(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤٢/أ

٢ – سبعة من باب ضرب يقابلها عند غيرهم أربعة من باب نصر (يبطُش ، يسمت يشتم ، يقلو) وفعل من باب عَلِم (يعرَض) وفعلان من باب فتح (يلَب ويذأى) وفى « لب » مقابل آخر على وزن « فَعُل يفعَل »

٣ – فعل من باب فتح نطق عند غيرهم من باب نصر (يجنُح) . والملاحظ أن لام هذا الفعل حلقى .

٤ – عشرة أفعال من باب (فعِل يفعَل) يقابلها عند غيرهم واحد من باب نصر (ينكُل ، وله صورة أُخرى من باب ضرب) ، واثنان من باب ضرب (يحقِد ، ويرضِع ، وله صورة أُخرى بالإضافة إلى الصورة الأُخرى لينكل) ، وواحد من باب كرم (يبعُد) وثلاثة من باب وثق (يحسِب ، وينعِم ، وييئِس) ، وثلاثة من باب فتح (يزهَد ، ويشغَف ، ويبرأ – ولهذا الفعل صورة أُخرى من باب فَعِل يفعُل –) .

٥ – فعل من باب وثِق ورد عند غيرهم من باب ضرب (وصب) .

٦ – فعل من باب (فعِل يفعُل) نطق عند غيرهم من بابى نصر وعلم ، وهو دام .

وإيثار تميم الكسر على الفتح له ما يبرره صوتيًّا فهو يتفق وبيئة تميم البدوية ، وقد عللنا ذلك عند الحديث عن الفتح والكسر فى الباب السابق وتبين لنا ميل تميم للكسر ، فليست هناك ضرورة لإعادته .

وإذا ما قارنا النهج التميمى بالنهج العام للعربية والذى لاحظه الفارابى من قبل والدكتور إبراهيم أنيس حديثًا بالنسبة للأفعال التى وردت فى القرآن الكريم وفى القاموس المحيط ، نجد التميمى لايشذ عن النهج العام ، فنلاحظ على هذه الأفعال :

١ – أن الصلة بين الماضى والمضارع تحكمها المغايرة :

(ا) فوزن فعَل جاء مضارعه إمَّا على وزن نصر أو ضرب وما جاء على « فتح » فلامه حلقى .

(ب) ووزن فَعِل جاء المستقبل مفتوح العين وجاء فِعْلٌ مضموم العين ، ولم يجىء بدون مغايرة سوى فعلين ، ورد أحدهما بصورة أُخرى فيها مغايرة منسوبة إلى تميم .

أمّا الآخر فهو مثال ، وهو يشترك مع أفعال هذا الباب التى جاءت بصورة واحدة وهى معدودة[١] .

٢ ـ أمّا إذا أردنا أن نعرف موقف تميم من هذه الأفعال فى ضوء ما قرره الدكتور أنيس فى مضارع « فَعَل » بأن البيئة التميمية كانت تميل فى المستقبل إلى باب « نصر » والحضرية إلى باب « ضرب » ، فلا نجده يتفق والأفعال التى عرضناها ، إذ إن النسبة بين البابين واحدة ، وهى خمسة من كل باب . ويحضرنى هنا كلام لأبى زيد يتفق وما لاحظناه هنا من عدم الميل إلى باب معين ، قال : « طفت فى عُليا قيس وتميم مدة طويلة أسأل عن هذا الباب [أى فَعَل يفعُل ويفعِل] صغيرَهم وكبيرَهم ، لأعرف ما كان منه بالضم أولى وما كان منه بالكسر أولى . فلم أعرف لذلك قياسًا وإنما يتكلم به كل منهم على ما يستحسن ويستخف لا « على غير ذلك[٢] » .

وليس المقصود بالاستحسان والاستخفاف أن أفراد البيئة الواحدة كان ينطق كل منهم الفعل الواحد على حسب هواه ، فهذا يقول : يضرِب بكسر الراء مثلًا وذلك ينطقه بضمها[٣] . بل المراد أن أفراد البيئة الواحدة كانوا يتحدون فى نطق عين الفعل الواحد ، فكان لكل قبيلة نهج خاص بها ، فهذه مثلًا مالت إلى نطق ذلك الفعل على حد ضرب وتلك مالت إلى نطقه على مثال نصر ، ويوضح ذلك قول أبى زيد البلخى : « إذا جاوزت المشاهير من الأفعال التى يأتى ماضيها على فعل فأنت فى المستقبل بالخيار إن شئت قلت : يفعُل بضم العين ، وإن شئت قلت : يفعِل بكسرها »[٤] ومعنى ذلك أن هناك أفعالًا كثر تداولها فلم يختلف فيها إذ اشتهرت بنطق معين يجب الالتزام به . أمّا التى يجوز فيها الأمران فهى أفعال يندر استعمالها ، لذا جهل ضبط عينها فأبيح نطقها بأى الوجهين كسر عين الفعل أو ضمه . ومثل هذا التفسير للمشاهير نجده لدى اللبلى قال : « ويريدون بمجاوزة المشاهير أن يرد عليك فعل لا تعرف مضارعه كيف هو بعد البحث عليه فى مظانه

---

(١) شذا العرف ٣٦

(٢) تصحيح الفصيح ١/١١٠ ، والمزهر ١/٢٠٧ ، ٢٠٨ وفيه « أجد » بدل « أعرف » .

(٣) وإلى هذا ذهب محقق كتاب « النوادر فى اللغة » لأبى زيد (انظر ٥٩ – التسروق) .

(٤) القاموس ١/١٩ ، وانظر : شرح الشافية ١/١١٧ ، ١١٨ (باختلاف) . وأبو زيد هذا غير أبى زيد الأنصارى صاحب « النوادر » المتوفى نحو سنة ٢١٥ هـ وإنما هو أحمد بن سهل البلخى المتوفى سنة ٣٢٢ هـ (عن شرح ديباجة القاموس لنصر الهورينى « القاموس المحيط ١/١٩ ») .

فلا تجاه . ومجاوزة المشاهير ليست لكل إنسان ، وإنما هى بعد حفظ المشهورات ، فلا يأتى من لم يدرس الكتب ولا اعتنى بالمحفوظ فيقول : قد عدمت القياس فيختار فى اللفظة يفعُل أو يفعِل ، ليس له ذلك »[1] .

موقف القراءات القرآنية من الصيغ التميمية:

ورد من هذه الأفعال فى القرآن الكريم ثلاثة عشر فعلًا ، هى – وفق ترتيبها الذى عرضناه – : ركن ، وعرش ، ومات ، وبطش ، وجنح ، وبرئ ، وبعد ، وحسب ، ويئس ، وشغف ، وفرغ ، وضل ، ودام .

وفيما يلى عرض لموقف القراءات القرآنية من كل فعل على حدة :

(أ) باب نصر :

١ – ركن :

ونطقته تميم من باب « نصر » وقد ورد مضارع هذا الفعل مرتين[2] ، وقرأ « تركُنوا » فى قوله تعالى : (ولَا ترْكَنوا إِلَى الَّذِين ظلَمُوا)[3] وفق النهج التميمى قتادة[4] ، وطلحة ، والأشهب ، وروى عن أبى عمرو[5] .

٢ – عرش :

ورد المضارع فقط فى قوله تعالى : (وَدمَّرْنا مَا كان يَصْنعُ فِرْعَوْنُ وَقوْمُهُ وَمَا كانُوا يَعْرِشُون)[6] ، وقوله : (ومِمَّا يعْرِشُون)[7] قرأ بضم الراء من « يَعْرشون » أبو بكر عن عاصم ، وابن عامر[8] .

٣ – مات :

ورد الفعل الماضى متصلًا بضمير التاء (مت) و « نا » (متنا) والميم (متم) إحدى عشرة مرة[9] ، وقد قرأ بضم الميم فى هذه الآيات كلها – والضم يوافق نهج اللغة التميمية – ابن كثير ، وأبو عمرو ، وأبو بكر عن عاصم ، وابن عامر من السبعة ، ويعقوب ، وأبو جعفر

(١) بغية الآمال ٦

(٢) هود ١١/١١٣ ، والإسراء ١٧/ ٧٤

(٣) هود ١١/١١٣

(٤) مختصر فى شواذ القرآن ٦١ ، والبحر ٥/٢٦٩

(٥) البحر ٥/٢٦٩ ، والأشهب هو : أبو عمرو مسكين بن عبد العزيز المعروف بأشهب صاحب الإمام مالك . روى القراءة سماعا عن نافع (غاية النهاية ٢/٢٩٦)

(٦) الأعراف ٧/١٣٧

(٧) النحل ١٦/٦٨

(٨) السبعة فى القراءات ٢٩٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٧/٢٧٢ ، والإتحاف ٢٢٩

(٩) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٦٧٨

من العشرة ، واليزيدى ، والحسن البصرى من الأربعة بعد العشرة[١] . كما قرأ بضم الميم أيضا آيتى آل عمران : (ولئِن قتِلْتمْ فِى سبيل اللهِ أَوْ مُتُّم)[٢] وقوله : (وَلَئِن مُتّم أَوْ قتِلتمْ)[٣] ، حفص عن عاصم[٤] . ولن نتعرض للمضارع لأن قراءته توافق النهجين .

(ب) باب ضرب :

بطش :

ورد المضارع ثلاث مرات ، قال تعالى : (أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشون بِها . أَمْ لهمْ أَيْدٍ يَبْطِشون بها)[٥] . وقد قرأ باللغة التميمية أى بكسر الطاء فى الآيات الثلاثة القراء الأربعة عشر عدا أبى جعفر[٦] والحسن[٧] .

(ج) باب فتح :

١ ـ جنح :

قرأ الجمهور بفتح النون وفق اللغة التميمية الأمر من هذا الفعل فى قوله تعالى : (وإنْ جنحُوا لِلسَّلْمِ فاجْنح لها وَتوكَّل علَى اللهِ)[٨] . وقرئ بلغة غيرهم ، أى بضم النون فى الشاذ[٩] .

٢ ـ برىء :

ورد المضارع فى قوله عز وجل : (مِن قبْلِ أَنْ نبْرَأَهَا)[١٠] والقراءة تتفق مع التميمية والحجازية لأن الفعل فى الأخيرة من باب علِم .

(د) باب علم :

١ ـ بَعِد :

ورد الفعل فى القرآن الكريم مرتين :

(ا) قوله تعالى : (وَلَكِن بعُدَت عَلَيْهِمْ الشُّقة)[١١] وقرئ فى الشاذ وفق اللغة التميمية (بعِدت) قرأه عيسى بن عمر[١٢] ، والأعرج[١٣] .

---

(١) إتحاف ١٨١ (وذكر القراء الذين قرءوا بالكسر وأشار إلى قراء الضم بكلمة «غيرهم»)
(٢) آل عمران ٣/١٥٧ (٣) ل عمران ٣/١٥٨
(٤) السبعة فى القراءات ٢١٨ وإتحاف ١٨١
(٥) الأعراف ٧/١٩٥ ، وانظر الفعل أيضا فى : القصص ٢٨/١٩ ، والدخان ٤٤/١٦
(٦) تحبير التيسير ١١٥ ، وإتحاف ٢٣٤ (٧) إتحاف ٢٣٤
(٨) الأنفال ٨/٦١ (٩) مختصر فى شواذ القرآن ٥٠
(١٠) الحديد ٥٧ / ٢٢ (١١) التوبة ٩/٤٢
(١٢) مختصر فى شواذ القرآن ٥٣ ، والبحر ٥/٤٥ (١٣) البحر ٥/٤٥

(ب) وقوله : (أَلاَ بُعْدًا لِمَدْيَنَ كما بَعِدَتْ ثَمُودُ)[1] وقرئت وفق اللغة التميمية ، أمَّا نهج غيرهم (بعُدت) فقد قرئ به فى الشواذ[2] .

٢ – حسب :

ورد مضارعه ٣١ إحدى وثلاثين مرة مفردا أو مسندًا إلى ضمير[3] ، وقد قرأها بفتح السين ابن عامر وعاصم وحمزة من السبعة ، وأبو جعفر من العشرة والحسن والمطوِّعى من الأربعة عشر[4] .

ويعنينا من هذه الأفعال ثمانية عشر فعلًا ، وهى التى بدأت بالياء كقوله تعالى : (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ)[5] . أمَّا الثلاثة عشر الباقية فهى تبدأ بالتاء ووفقًا لنهج تميم التى كانت تنطق بالتلتلة فإنها كانت تنطق بفتح حرف المضارعة ما بدئ بالياء فقط من هذا النوع من الأفعال وهو باب علم . أمَّا بدئ بغير الياء فكانت تكسره .

٣ – يئس :

ورد الماضى فى قوله تعالى : (الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا)[6] ، كما ورد فى ثلاث آيات أخر[7] ، وذكر المضارع ثلاث مرات ، مرتين فى قوله تعالى : (وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)[8] ومرة فى قوله عز وجل : (أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا . . .)[9] . وقد قرئ الفعل الماضى منه والمضارع وفق النهج التميمى سوى « تيأسوا » فلم يكسر حرف المضارعة وفقا لقانون التلتلة التى شاعت عند التميميين .

٤ – شغف :

أمَّا « شغِف » الذى ورد فى قوله تعالى : (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا »)[10] فلم أر – فيما اطلعت عليه من قرأها وفق النهج التميمى (شغِف) بكسر الغين[11] .

---

(١) هود ٩٥/١١

(٢) مختصر فى شواذ القرآن ٦١

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢٠٠

(٤) إتحاف ١٦٥

(٥) البقرة ٢٧٣/٢

(٦) المائدة ٣/٥

(٧) العنكبوت ٢٣/٢٩ ، والممتحنة ١٣/٦٠ ، والطلاق ٤/٦٥

(٨) يوسف ٨٧/١٢

(٩) الرعد ٣١/١٣

(١٠) يوسف ٣٠/١٢

(١١) انظر : إتحاف ٢٦٤ ، ومختصر فى شواذ القرآن ٦٣

(هـ) بابا فتح وعلم :

١ ـ فرغ :

ورد هذا الفعل فى صيغته الماضية الثلاثية مرة واحدة ، وهى فى قوله تعالى : (فإذا فرغْت فانْصَب)[1] . وكما تبين لنا أن هذا الفعل كان ينطقه بعض التميميين من باب فتح وبعضهم من باب علم . وباللغة الأُولى والتى تتفق واللغة الحجازية فى فتح عين الماضى قرأ الجمهور . أمَّا باللغة الثانية (فَرِغت) فقد قرأ أبو السمال وهى قراءة شاذة[2] .

أمَّا الفعل بصيغة المضارع ، فقد ورد أيضا مرة واحدة وهى قوله عز وجل : (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثقَلَان)[3] وبلغة تميم الأُولى التى تفتح عين الماضى والمضارع قرأ (سنفرَغ) الأَعرج وقتادة[4] وأبو عمرو[5] .

وبلغ تميم الثانية التى هى من باب علم والتى تحتم عليهم النطق بالتلتلة قرأ (سِنِفْرَغ) بكسر النون وفتح الراء عيسى وأبو السمال[6] .

(و) أبواب ضرب وعلم وَوثق :

ضل :

تبين لنا عند الحديث عن هذا الفعل اضطراب اللغويين فى نسبة صيغة معينة إلى تميم ، فقد نسب إليهم ثلاث طرائق ، فلننظر فى موقف القراءات من هذه الطرائق الثلاث :

أولًا ـ الماضى : وهو لا يتبين إلَّا عند إسناده إلى ضمير الرفع المتكلم أو المخاطب . وقد ورد بهذه الصورة ثلاث مرات : « ضللت » ورد مرتين[7] « وضللنا » ورد مرة واحدة[8] وقد قرأ الجمهور بفتح اللام الأُولى وهذا يتفق وماضى باب ضرب ، وقرئ فى الشواذ ضَلِلت فى الموضعين وضَلِلنا بكسر اللام ، قرأ الأَفعال فى المواضع الثلاثة يحى وابن أبى ليلى[9]

---

(١) الشرح ٩٤/٧
(٢) مختصر فى شواذ القرآن ١٧٥
(٣) الرحمن ٥٥/٣١
(٤) مختصر فى شواذ القرآن ١٤٩
(٥) المحتسب ٢/٣٠٤
(٦) مختصر فى شواذ القرآن ١٤٩
(٧) الأنعام ٦/٥٦ ، وسبأ ٣٤/٥٠
(٨) السجدة ٣٢/١٠
(٩) مختصر فى شواذ القرآن ٣٧ والقارئ الأخير هو أبو عيسى عبد الرحمن بن أبى ليلى الأنصارى . تابعى أخذ القراءة عن على بن أبى طالب وتوفى ٨٣ هـ (غاية ١/٣٧٦)

وهى قراءة تتفق وماضى بابَىْ عَلِمَ ووَثِق ، وإن كنت أُرجح أنها من باب وَثِق فقط على ما سأُبين فى الفقرة التالية .

ثانيًا – المضارع : وقد ورد المضارع الثلاثى ١١ إحدى عشرة مرة ، هى : أَضِل[١] ونَضِل[٢] ، وتضلوا (مرتين)[٣] ويضِل . وقد وردت هذه الصيغة سبع مرات[٤] ولم أر من القراء من قرأها بفتح عين الكلمة ، وإنما قرئ بالكسر فقط ، وهذا هو سبب ترجيحنا للقراءة فى الماضى (على وزن فَعِل) بأنها من باب وثِق فقط .

(ز) فَعِل يفعُل :

دام :

ورد الماضى فى أربع آيات مسندًا إلى تاء المتكلم والمخاطب[٥] . وقد قرأ يحيى بن وثّاب « دِمْت » بكسر الدال[٦] فى قوله تعالى : (. . . إلّا ما دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا)[٧] ودِمْتم[٨] فى قوله : (وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُم حُرُمًا)[٩] .

---

(١) سبأ ٣٤/٥٠ (٢) البقرة ٢/٢٨٢

(٣) النساء ٤/٤٤ ، ١٧٦

(٤) الأنعام ٦/١١٧ ، ويونس ١٠/١٠٨ ، والإسراء ١٧/١٥ ، وطه ٢٠/٥٢ ، ١٢٣ ، وص ٣٨/٢٦ ، والزمر ٣٩/٤١

(٥) آل عمران ٣/٧٥ ، والمائدة ٥/٩٦ ، ١١٧ ، ومريم ١٩/٣١

(٦) مختصر فى شواذ القرآن ٢١ (٧) آل عمران ٣/٧٥

(٨) مختصر فى شواذ القرآن ٣٥ (٩) المائدة ٥/٩٦

ثالثا : عين الأجوف بين التصحيح والاعلال

(أ) الفعل :

من الأفعال الجوف ما ورد بصورتين : إحداهما بتصحيح حرف العلة وذلك بنطقه واوًا أو ياء محركة ، والأخرى بإعلاله وقلب الواو أو الياء ألفًا وفيما يلي عرض للأفعال التي عزيت إحدى صورها إلى تميم أو الحجاز :

١ ـ حَال وحَوِل :

عزا الخليل إلى تميم قولهم : « حالت عينُه تحال حَوْلا » وإلى غيرهم « حَوِلت عينُه تَحْوَل حَوَلا » بمعنى أقبلت الحدقة على الأنف[١] .

٢ ـ هاف وهَيِف :

وذكر الخليل أن « الهَيَف : دقة الخَصْر ، والفعل هَيِف يهْيَفُ ولغة تميم هاف يَهَاف هَيْفًا »[٢] .

٣ ـ أحاش وأحوش :

يذكر الفيروزابادى أن « حاشَ الصيدَ : جاءه من حواليه ليصرفه إلى الحِبالة كأحاشه وأَحْوَشَه »[٣] ويذكر ابن عباد الصيغة المصححة (أحوش) دون عزو وينسب إلى تميم الصيغة المعتلة ، فيقول : « وتميم تقول حُشتُه أحوشه وأحشته »[٤] .

---

(١) العين (حول) ٣/٢٩٩ ، وعنه معزوا لليث فى تهذيب اللغة ٥/٢٤٤ ، واللسان (حول) ١٣/٢٠٣ ، وانظر : التاج (حول) ٧/٢٩٦

(٢) العين (هيف) ٤/٩٦ وعنه معزوا لليث فى : تهذيب اللغة ٦/٤٥٠ ، وانظر : التكملة (هيف) ٤/٥٨٧ ، واللسان (هيف) ١١/٢٦٧ ، والتاج (هيف) ٦/٢٧٦

(٣) القاموس (حوش) ٢/٢٧

(٤) المحيط (حوش) ٣/٣٦٠

٤ ـ صاد وصَيِد :

عزى إلى الحجازيين قولهم صَيِد يصْيَد صَيَدًا بمعنى رفع رأسه كبرًا ، وإلى غيرهم صَاد يَصَاد[١] .

٥ ـ عار وعَوِر :

كما عزى إلى الحجازيين أيضًا عَوِر يَعْوَر ، وإلى غيرهم عَارَ يعَار[٢] .

هذه خمسة أفعال نسبت الصورة المعتلة العين فى ثلاثة أفعال إلى تميم ولم تنسب صورها الصحيحة . وعزيت الصورة الصحيحة فى الفعلين الباقيين إلى الحجاز دون عزو المعتلة . وبمقارنة أقوال اللغويين ونسبة إحدى الصورتين فى كل فعل فقط نستطيع أن ننسب ونحن متيقنون إلى تميم الصيغ : حال ، وهاف ، وأحاش ، وصار ، وعار فى مقابل عزو الصيغ الأخرى إلى الحجاز وهى : حَوِل ، وهَيِف ، وأَحْوَش ، وصَيِد ، وعَوِر . كما نرجح عزو كل الصيغ المشابهة من كل فعل وردت له صورتان إحداهما صحيحة والأُخرى معتلة . وكنا نتوقع أن تكون الصيغة التميمية هى التى تصحح الواو والياء ـ كما نلاحظ ذلك فى عين اسم المفعول ـ لأنها الصيغة القديمة والقدم يتفق وطبيعة تميم البدوية المنعزلة ، لكن اللغات لاتسير على خط واحد . والدليل على قدم التصحيح :

١ ـ ما روى لنا من أن العربية كانت فى غابر عصورها تصحح الواوى بدلًا من نطقه بالألف كقاعدة وذلك مثل كون بدلًا من كان وشوف بدلًا من شاف[٣] . وإذا كان مؤلف كتاب « اللغة العربية فى عصور ما قبل الإسلام » والذى روى لنا هذه القاعدة لم يتعرض إلّا للأجوف الواوى ، فإن ذلك يرجع إلى أن النقوش لم تمده إلّا بهذا النوع من الأفعال ، لكن ما ينطبق على الواو ينطبق على الياء بدليل وجود هذه الظاهرة فى اللغة الحجازية .

٢ ـ وجود هذه الظاهرة فى اللغة الحبشية إحدى فروع السامية فى الأفعال الجوفاء سواء أكانت واوية أم يائية ، إلّا أن الصوتين ينطقان ممالين ، فالواو تنطق ـ ō ـ والياء ē

---

(١) اللسان (صيد) ٤/٢٥٠

(٢) اللسان (صيد) ٤/٢٥٠ ولم يذكر فيه سوى الماضى وذكر المضارع فى (عور) ٦/٢٩١

(٣) اللغة العربية فى عصور ما قبل الإسلام لأحمد حسين شرف الدين ٩٤

(سواء أكانت الأفعال متصلة بالضمائر أم غير متصلة)[١] ، كما أن هناك أفعالاً جوفاء فى هذه اللغة غير ممالة مثل bayana بمعنى تحقق و dayana دان[٢] .

٣ – ما ورد فى النقوش الصفوية من أفعال يائية وواوية مثل بيت byt ، وسير syr ، وصيد ṣyd ، وميت myt ، وعور ʿwr ، وحور ḥwr[٣] .

أما النهج التميمى وهو تحويلها إلى ألف ā ، فيوجد فى الارامية[٤] والعبرية[٥] .

* * *

(ب) اسم المفعول الأجوف :

اسم المفعول من الفعل الثلاثى المعتل العين ، إما يائى الأصل ، وإما واويه :

١ – اليائى :

وقد قرر العلماء أن للعرب فيه منهجين :

(ا) الإتمام : فيجيئون به على وزن « مفعول » دون إعلال ، فيقولون مثلا : مَبْيُوع ومَدْيون ، ومَخْيوط ، ومَعْيون ، ومَغْيوم ، ومَطْيوب ، وقد نسب ذلك إلى بنى تميم[٦] ، وبهذه اللغة قال علقمة بن عَبَدَة التميمى يذكر طائرا :

حَتَّى تَذَكَّر بَيْضَاتٍ وهَيَّجَهُ　　يَوْمُ رَذَاذٍ عليه الرِّيحُ مَغْيُومُ[٧]

كما وردت فى شعر غير منسوب ، قال الشاعر :

قد كان قومك يزعمونك سيدا　　وإخال أنَّك سَيِّد مَعْيُونْ[٨]

وأنشد أبو عمرو بن العلاء ، وهو تميمى :

* وكأنها تفاحةٌ مَطْيُوبَة *[٩]

(١) فقه اللغات السامية ١٤٤ ، ١٤٥ (الفقرة ٢٢٢)　(٢) أسباب الشذوذ فى اللغة ٣

(٣) Rabin Ancient ... p. 112, 113.　(٤) فقه اللغات السامية ١٤٥ (الفقرة ٢٢٤) .

(٥) انظر : المرجع السابق (الفقرية ٢٢٣) .

(٦) الخصائص ٢٦٩/١ ، وانظر أمالى ابن الشجرى ، ٢٠٩ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢٨٩/ب والممتع ٤٦١ ، وشرح التصريح ٤٩٣/٢ ، وشرح المفصل ٧٩/١٠ ، وشرح الأشمونى ٣٢٤/٤

(٧) شرح المفضليات للضبى ٣٩٩　(٨) الخصائص ٢٦٩/١

(٩) المرجع السابق ، والمنصف ٢٨٦/١

(ب) النقص : وذلك مثل : مَبِيع ، ومَخِيط ، ومَدِين بدلًا من مبيوع ، ومخيوط ، ومديون بحذف أحد حروف مفعول مع كسر فاء الكلمة . وهذا المحذوف إمَّا عين الكلمة وإمَّا واو مفعول .

ولعل من المفيد أن نذكر هنا وجهتى النظر فى الحرف المحذوف كما رآها علماؤنا الأقدمون . جاء فى كتاب « إعراب القرآن » لأبى جعفر النحاس تعقيبا على قوله تعالى : (وَكَانَتْ الْجِبَالِ كَثِيبا مهيلًا)[1] : « واختلف النحويون – بعد هذا – فقال الخليل وسيبويه : حذفت الواو لالتقاء الساكنين ؛ لأنها زائدة وكسرت الهاء لمجاورتها الياء ، فقيل : مَهِيلٌ . وزعم الكسائى والفراء والأخفش سعيد أن هذا خطأ ، والحجة لهم أن الواو جاءت لمعنى فلا تحذف ، ولكن حذفت الياء ، فكان يلزمهم على هذا أن يقولوا : مَهُول ، واحتجوا بأن الهاء كسرت لمجاورتها الياء ، فلما حذفت الياء انقلبت الواو ياء لمجاورتها الكسرة .

قال أبو جعفر : وهذا باب من التصريف وغامض النحو »[2] .

٢ – الواوى :

يكاد العلماء يجمعون على أنه لا يأتى منه مفعول بالتمام ، وإنما يأتى بالنقص إلَّا فى ألفاظ معدودة وردت بالتمام والنقص ، قال ابن جنى : « وربما تخطوا الياء فى هذا إلى الواو وأخرجوا مفعولًا منها على أصله ، وإن كان أثقل منه من الياء ، وذلك قول بعضهم : ثوبٌ مَصْوُون ، وفرس مَقْوُود ، ورجل معوود من مرضه ، وأنشدوا فيه :

* والمسك فى عنبره مَدْوُوف *[3]

وممن ذكر أنه يأتى فى ألفاظ معدودة غير ابن جنى : ابنُ سيده[4] وابنُ الشجرى[5] وابن منظور[6] والزَّبيدى[7] .

---

(١) المزمل ٧٣/١٤

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٨٩ / ب ، وانظر رأى الخليل والأخفش (وهو الأوسط) فى المنصف ١/ ٢٨٧ ، ورأى سيبويه فى الكتاب ٣٤٨/٤ (دون عزو إلى قوم معينين) .

(٣) الخصائص ٢٧٠/١ (٤) المحكم (قود) ٣٣١/٦ (٥) أمالى ابن الشجرى ٢٠٩

(٦) اللسان (عود) ٣١٤/٤ ، و(دوف) ٧/١١ ، و(صون) ١٨/١٧ ، و(قود) ٣٧٢/٤

(٧) التاج (عود) ٣٦/٢ ، و(دوف) ١١٠/٦ ، و(صون) ٢٦١/٩

ونجد العلماء يختلفون فى عدد هذه الألفاظ التى قالوا : إنها شاذة ، فى حين إن الفراء[*] وابن قتيبة والجوهرى والفيومى ينصون على أن هذا النوع لا يخرج عن كلمتين ، هما : مدووف ومصوون[١] ، نرى صاحب التاج يحددها بثلاثة لا رابع لها فيزيد على الكلمتين السابقتين كلمة ثالثة[٢] ، ونرى غيره يذكر أكثر من ثلاثة ، وإن كانوا جميعًا يتفقون على « مَدْوُوف » و « مصوون » فابن جنى – كما فى النص الذى ذكرناه – وابن منظور زادا « مَقْوُود » و « معوود »[٣] ، وابن عصفور وابن الشجرى والشيخ خالد أضافوا « مَقْوُود » و « مَقْوُول »[٤] . أمّا البطليوسى فقد نقل عن الكسائى ثلاث كلمات – غير الكلمتين – وهى : مقوود ، ومقوول ، ومصووغ ، وعزا الكلمات الخمس إلى فرع من تميم وهم بنو يربوع وكذلك عزاها إلى بنى عُقيل[٥] .

ونجد إلى جانب هذا الرأى على اختلاف قائليه فى إحصاء عدد الكلمات التامة رأيين متضادين :

الأول : أن الواوى لا يأتى إلّا بالنقص وقد صرح بذلك سيبويه[٦] والمازنى[٧] وعزى فى الاقتضاب إلى البصريين[٨] .

الثانى : إجازة إتمام هذا النوع وقد قال بذلك المبرد[٩] .

الظاهرة فى الوقت الراهن :

وإذا ما عرجنا على اللهجات الحديثة لنعرف مدى استعمالها لهذين النوعين ، لنستطيع من خلال موقفها أن نحكم على هذين النوعين عند العرب قديماً باعتبار هذه اللهجات امتداداً لما كان ينطقه العرب .

---

(١) ديوان الأدب ٣/٤١٢ ، والاقتضاب ٢٧٤ ، والصحاح (دوف) ٤/١٣٦١ والمصباح ٧٠٥

(٢) نص التاج (صون) ٩ / ٢٦١ « (و مصوون) على التمام شاذ لا نظير له إلا مدووف ومردوف لا رابع لها وهى لغة تميم » وكذا بالنسخة المخطوطة بدار الكتب المصرية ج ٩ برقم ١٨ لغة – أبو الذهب . ولعل الصواب « مذووق » .

(٣) اللسان : المواضع السابقة .

(٤) الممتع ٤٦١ ، وأمالى ابن الشجرى ٢٠٩ وشرح التصريح ٢/ ٤٩٣

(٥) الاقتضاب ٢٧٥

(٦) الكتاب ٤/٣٤٩

(٧) المنصف ١/٢٨٣

(٨) الاقتضاب ٢٧٥

(٩) المنصف ١/٢٨٥

(أ) اليائى :

نجد سكان حائل وما حولها (ومنهم تميميون) يستعملون الألفاظ التى أوردناها كأمثلة ذكرها اللغويون ، فهم يقولون : فلان مَدْيون ، والثوب مَخْيوط ، ومَبْيُوع ، ومكيول ، ومعيون ، والتفاحة مَطيوبة ، ومغيوم[1] ، ويقول النجديون : « أم البيض مصيودة »[2] ومعنى المثل : إن أنثى الطير ذات البيض يسهل صيدها[3] . ونحن فى مصر نستعمل كلمة « مديون » واللفظة مستعملة كذلك فى الكويت[4] . وكلمة « مبيوع » سمعتها فى جدة وتستعمل أيضًا فى الكويت[5] وفى أبى ظبى . ويستعمل سكان (أبى ظبى) أيضا بعض الكلمات التى أوردناها كأمثلة عند القدماء فيقولون : مبيوع ، ومخيوطومكيول . ومن أمثلة هذا النوع أيضا عند الكويتيين مَزْيُود (من زَادَ يَزِيد) ، ومخيوط ، ومشيول ، ومزيوت ، ومشيون ، ومحيوس (أى مخلوط بغيره) ومعيوب[6] .

(ب) الواوى :

قلبت الواو ياء . ومن أمثلة ذلك قولهم فى الحجاز « معيوف » (اسم شخص) ، وهو مستعمل كذلك فى الكويت[7] وقولهم أيضا فى الكويت : مشيوف ، ومفيوح ومبيوق (من باق يبوق ، أى سُرق) ومطيوع ، ومسيوم ، ومصيوع (أى عاطل) ومحيوش[8] .

النوعان إذن ما زالت لهما بقايا فى البيئات التى ينتمى كثير من سكانها إلى تميم ، مثل الكويت لكن الواوى قلبت عينه (الواو) ياء ، وهذا يؤكد لنا أنه لم يكن مستعملًا إلّا فى كلمات معدودة .

---

(١) عن محمد العريفى (من حائل) .
(٢) الأمثال العامية فى نجد ١/٣٦
(٣) المرجع السابق .
(٤) خصائص اللهجة الكويتية ٨٩
(٥) المرجع السابق .
(٦) المرجع السابق .
(٧) المرجع السابق ٩٠
(٨) المرجع السابق .

نخلص مما سبق أن إتمام اسم المفعول من الأجوف اليائى كان مطردا لدى تميم . أمّا الواوى الأصل ، فقد اختلف فيه ما بين اطراده لدى أحد بطون تميم وهم بنو يربوع ، أو وجوده فى ألفاظ منسوبة إليهم .

تفسير الظاهرة :

وقد علل القدماء اطراد إتمام اليائى لدى بنى تميم دون الواوى أن الضمة لا تثقل على الياء ، لكنها تثقل على الواو ، خاصة وأن بعدها واوا أخرى . إلّا أن المبرد (ت نحو سنة ٢٨٥ هـ) يرى أن ذلك « ليس بأثقل من سُرْت سُوُورا وغُرْت غُوُورًا ؛ لأن فى سُوُور وغُوُور واوين وضمتين ، وليس فى مَصْوُون مع الواوين إلّا ضمة واحدة »[١] .

وإذا كانت حجة المبرد فى إمكان نطق اسم المفعول الواوى الأصل أن نطقه أيسر من نطق أمثال « غُوُور » فإن كلامه لا يعنى أن نطق « مصوون » وأمثالها ليس بأثقل من نطق مديون وأمثالها ؛ لأن نطق اليائى المضموم حقيقة أخف من نطق الواوى المضموم ، لذا كان طبيعيًا أن يسبق الواوى اليائى فى الانقراض .

وبعد : فإذا كانت الصيغة التميمية (يائية كانت أو واوية) هى التامة والحجازية هى الناقصة ، فهذا لا يعنى سوى أمر واحد هو أن الصيغة التميمية تمثل مرحلة أقدم من الحجازية ، وقد أشار القدماء إلى ذلك فسيبويه – وإن لم يحدد الناطقين – يقول : « وبعض العرب يخرجه على الأصل فيقول : مَخْيُوط . . . »[٢] ، وابن جنى يقول فى « مبيع » : « وأصله مبيوع »[٣] ، كما قال : « وربما تخطوا الياءَ فى هذا إلى الواو وأخرجوا مفعولًا منها على أصله »[٤] ، والفيومى يقول : « وأمّا التام فلأنه الأصل »[٥] . ونستطيع أن نقرر أن ما يراه « رابين » من أنه ليس حتمًا أن تكون التميمية هى القديمة[٦] مجانب للحقيقة .

---

(١) المنصف ٢٨٥/١ ، وشرح المفصل ٨١/١٠ وفيه « غار » بدل « غرت » .

(٢) الكتاب ٣٤٨/٤

(٣) الخصائص ٢٦٩/١

(٤) المرجع السابق ٢٧٠

(٥) المصباح ٧٠٥

(٦) C. Rabin, Ancient-West Arabian p. 160.

كما نستطيع أن نقرر أن اسم المفعول من الأجوف الثلاثى مر بمراحل ثلاث :

الأولى : الاحتفاظ بالواو والياء .

الثانية : الاحتفاظ بالياء فقط وحذف الواو إلّا فى بعض ألفاظ ، وهى المرحلة الوسطى التى تطورت إليها اللغة التميمية ، وقد حافظ على بعض الواوى منها بنو يربوع من تميم .

الثالثة : حذف الواو والياء ، وهى التى استقرت عليها الحجازية .

رابعا : المصادر والمشتقات

(أ) المصادر

١ ـ المصدر :

(أ) مصدر فَعَل بين الفَعْل والفُعُول :

مصادر الأفعال الثلاثية المجردة كثيرة . والقاعدة فى معرفتها السماع والرجوع إلى المعجمات اللغوية ، إلا أن بعض الأوزان يكثر ارتباط المصدر فيها بالفعل . والأفعال الثلاثية تأتى على ثلاثة أوزان ، هى : فَعَل وفعِل وفعُل . يأتى الأول والثانى لازمين ومتعديين . أما الأخير فلا يكون إلا لازما[1] ويعنينا هنا مصدر « فعَل » المفتوح العين . وقد لاحظ العلماء أن مصدره يأتى على أوزان كثيرة مثل فِعَالة إذا دل على حرفة كزرع زِراعة ، وعلى فُعال إذا دل على صوت ، مثل : صَرَخ صُراخا . . . . الخ هذه الأوزان المشهورة . وماعدا هذه الأوزان فإن الغالب فى مصدر «فَعَلَ» اللازم «فعُول» وفى فَعَل المتعدى «فَعْل»[2] . وهم فى حكمهم هذا لم ينسبوا إلى لغة معينة . لكننا نجد الفراء ينهج نهجا مختلفا فيعزى إليه أنه قال :

١ ـ «ماورد عليك من باب فعَل يفعُل ، وفعَل يفعِل ولم تسمع له بمصدر فاجعل مصدره على الفَعْل أو على الفعُول : الفعْل لأهل الحجاز والفعُول لأهل نجد »[3] .

٢ ـ « إذا جاءك فَعَل مما لم يسمع مصدره ، فاجعل فَعْلا للحجاز وفُعُولا لنجد »[4] .

إننا نلاحظ أن الفراء يخالف جمهور العلماء فى أمرين :

الأول ـ إنه لم يفرق بين اللازم والمتعدى .

الثانى ـ إنه نسب فَعْلا إلى الحجاز وفعُولا إلى نجد ، وتميم من نجد .

لكننا لانجد النصين المعزويين إليه متفقين تمام الاتفاق :

فالأول : يجعله خاصا بالأفعال ذات المضارع المكسور العين أو المضمومة فقط .

---

(١) شذا العرف ٣٢

(٢) شافية ابن الحاجب (ضمن شرحها) ١٥٧/١

(٣) ديوان الأدب ١٢٩/٢

(٤) شرح الشافية ١٥١/١ ، ١٥٢

والثانى : لايفصّل ، فهو يضم إلى النوعين السابقين المفتوح العين فى المضارع .

والسؤال الآنَ ، هو : أى النصين هو الصحيح ؟

النص الأول أورده عالم لغوى ثقة عاش فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى أما الآخر فقد رواه عالم بالصرف عاش فى القرن السابع الهجرى .

إننى أميل إلى أن النص الأول هو الأصح ، وذلك لتقدم صاحبه فى الزمن ، ولأنه المفصل واحتمال سقوط قيد ضم العين وفتحها راجح .

ونخلص مما سبق أن فَعَل إذا كان مضموم العين فى المضارع أو مكسورها ، ولم يكن من الأفعال التى لها دلالة معينة كالحرفة والصوت والمرض ، ولم تورد له المعاجم مصدرا ، حكمنا بأن تميما كانت تأتى بمصدره على «فُعُول» والحجاز على «فَعْل» . وكذلك الشأن إذا أوردت لنا كتب اللغة مصدرين أحدهما على وزن «فُعُول» والآخر على وزن «فَعْل» دون تحديد نسبتهما حكمنا بأن الأول تميمى والآخر حجازى .

(ب) طول بنية المصدر وقصرها :

كراهية عند تميم وكراهة عند الحجاز :

«كَرِهَ» فعل متعد على وزن «فَعِل»[1] وهذا النوع من الأفعال يأتى المصدر القياسى منه على «فَعْل» ، مثل أَمِن أَمْناً[2] ، لكنا وجدنا يونس يذكر لهذا الفعل مصدرين مخالفين للقياس — أحدهما حجازى وهو «كَرَاهة» والآخر تميمى وهو «كَرَاهِية»[3] . ونلاحظ أن تنوع المصدرين مرجعه إلى اختلاف البنية من حيث الطول والقصر ، وأن تميما مالت إلى البنية الطويلة . وهذا يتفق ونهجها الذى لاحظناه عند تناول هذا الموضوع .

(ج) اختلاف المصدر لتنوع الحركة :

هذا النوع من الخلاف مرده تنوع الحركة ، كأن تكسر تميم أحد حروف الكلمة ويضمه غيرها أو يفتحه ، رغم اتحاد صورة الفِعْل عند الجميع . وقد عرضنا لطائفة

---

(١) الصحاح (كره) ٦/٢٢٤٧

(٢) تسهيل الفوائد ٢٠٥ ، وشرح الأشمونى ٢/٣٠٤ ، وشذا العرف ٦٩

(٣) المزهر ٢/٢٧٦

من هذه المصادر فى «المستوى الصوتى» عند الكلام عن اختلاف حركة الكلمة ومن ذلك :

١ - فتحت تميم الصاد من كلمة «الصَّرْع» فى حين إن قيسا كسرتها ، فقالت : الصِّرع» . والفعل واحد عندهما وهو «صَرَع»[1] .

٢ - فُوَاق (بمعنى رجوع) بضم الفاء عند تميم وأسد وقيس وبفتحها عند الحجازيين[2] . وفعل المصدرين فاق[3] .

٣ - «الضَّعف» بفتح الضاد عند تميم ، وبضمها عند الحجازيين ، والفعل عندهما ضعُف[4] .

٤ - زعم بضم الزاى عند تميم وبفتحها عند الحجازيين[5] ، وبكسرها عند بعض القيسيين[6] ، والفعل عندهم جميعا «زعَم»[7] .

(د) اختلاف المصـــدر لتصحيح عين فعله أو اعلالها :

وقد لاحظنا عند الحديث عن «عين الفعل الأجوف بين التصحيح والإعلال» أن الحجازيين صححوا العين بالواو أوبالياء . من ذلك أنهم قالوا : حَوِل ، وَهِيف ، بينما أعلها التميميون بالألف فقالوا : حال ، وهاف . وقد ترتب على ذلك اختلاف فى المصادر عند كل فريق عنه عند الاخر ، فالحجازيون قالوا فى مصدر هذين الفعلين حَوَلا ، وهَيَفا ، وقال التميميون حَوْلا وهَيْفا . والمصدر عند كل منهما جاء على نهج العربية ، فهو عند التميمى على وزن «فَعْل» نظير قال قَوْلا ، وهو عند الحجازى على «فعَل» ، لأن الفعل عنده من باب فرح .

(هـ) اختلاف المصدر لاختلاف حركة عين الفعل :

درسنا فيما سبق أن تميما كان لهم نهج خاص فى معاملة عين بعض الأفعال فى ماضيها ومستقبلها . وإن هذا النوع من الخلاف ليعد سببا من أسباب اختلاف المصدر عند تميم عنه

---

(١) الغريب المصنف ١٤٤ ، والصحاح (صرع ٣/١٢٤٢)

(٢) إتحاف ٣٧٢

(٣) المصباح ٤٨٤

(٤) المرجع السابق (ضعف) ٣٦٢

(٥) المزهر ٣٩٨/ب (خ)

(٦) المصباح (زعم) ٢٥٣

(٧) المرجع السابق .

عند غيرهم . ن ذلك أن تميا كانوا يقولون «رَضْعا» ؛ لأن الفعل عندهم «رضَع يَرْضِع» وغيرهم كان يقول «رضاعا» لأن الفعل «رَضِع يرضَع»[١] . وإن لكل من المصدريين نظائر فى العربية ، فمن نظائر التميمى سَمِع يسمَع سَماعا ومن نظائر الاخر ضرَب يضرب ضرْبا[٢] .

ونذكر من هذا النوع من المصادر أيضا فراغا ، عند تميم من «فرغ يفرغ» فى مقابل «فُرُوغ» عند أهل العالية من «فرَغ يفرغ»[٣] و «قَلْيا» عند تميم من «قليْت أقلى» فى مقابل «قلْو» عند الحجازيين من «قلا يَقْلُو»[٤] .

(و) اختلاف المصدر لاختلاف بنية الفعل

قد يرجع اختلاف المصدر عند تميم عن غيرهم إلى اختلاف بنية الفعل عند كل منهما مع التزامهما بنهج العرب العام فى صياغة المصدر . ومثال ذلك أن التميميين قالوا إسحاتا والحجازيين قالوا سحْتا[٥] والفعل عند الأولين « أَسْحَت » على وزن «أَفْعَل» وعند الآخرين سَحَت[٦] على وزن «فَعَل» . والقاعدة أن «فَعَل» الثلاثى يكثر مجىء مصدره على «فَعْل» وخاصة عند الحجازيين[٧] ، و «أفعل» قياس مصدره الإفْعال[٨] .

ولم يقتصر الاختلاف بين تميم وغيرهم على «فعَل وأَفْعَل» بل كما لاحظنا كان بين «فعَل وفعَّل» و «أفعل وفعَّل» و «فاعل وفعَّل» و «تفعَّل وافتعل» . وهذه الأوزان سواء أكانت عند تميم أم عند غيرهم لغير الثلاثى . ولكل وزن منها مصدره القياسى الخاص به[٩] .

---

(١) الصحاح (رضع) ١٢٢٠/٣
(٢) المرجع السابق
(٣) الكامل للمبرد ١٦/١
(٤) المزهر ٢٧٧/٢
(٥) الكشاف ٤٣٨/٢
(٦) اتحاف ٣٠٤
(٧) راجع ما كتب تحت عنوان « مصدر فعل بين الفعل والفعول » .
(٨) شافية ابن الحاجب (ضمن شرح الشافية) ١٦٣/١
(٩) انظر : الكافية وشرحها ١٧٨/٢

٢ ـ المصدر الميمى :

(أ) من الثلاثى :

١ ـ مَطلِع :

صاغ العرب المصدر الميمى على وزن « مفْعَل » من كل فعل ثلاثى ، سواء أكانت عينه فى المضارع مفتوحة أم مضمومة أم مكسورة ، ما لم يكن مثالا صحيح اللام فإنه يكون على وزن مَفْعِل [١] ، كما أنهم كانوا يصوغون على هذا الوزن أحياناً إذا كانت عين فعله مكسورة فى المضارع فى غير المثال الصحيح اللام . قال سيبويه : « وربما بنوا المصدر على المَفْعِل كما بنوا المكان عليه [أى إذا كان الفعل من باب فعَل يَفْعِل] إلا أن تفسير الباب وجملته على القياس ـ كما ذكرت لك ـ وذلك قولك : المرْجع ، قال الله عز وجل : (إلى الله مَرْجعكم) أى رجوعكم ، وقال (ويسألونك عن المحيض ، قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض) أى فى الحَيض ، وقالوا : المعْجِز ، يريدون العجْز ، وقالوا المَعْجَز على القياس. وربما ألحقوا هاء التأنيث فقالوا المَعْجِزَة والمَعْجَزة » [٢]. ووجدنا أيضاً كلمات من باب فعَل يفعُل مكسورة العين فى المصدر ـ وكذلك فى اسمى الزمان والمكان ـ من هذه الكلمات : مَنْسِك ، ومجزر ، ومنبِت ومطلِع ، ومشرق ، ومغرب ، ومفرق ، ومسقِط ، ومسكِن ، ومرفِق ، ومسجِد [٣] . ونكتفى هنا بالحديث عن « مَطلَع » التى نص سيبويه على أن ضبطها بالكسر لغة تميم فى حين إن فتحها لغة الحجازيين [٤] وهذا هو القياس شأنها شأن غيرها من الكلمات ذات الأفعال المضمومة العين فى المضارع .

تفسير الكسر عند تميم :

هناك نص للكسائى يساعدنا على تفسير اتجاه تميم هنا للكسر ، قال أبو حيان « كان الكسائى يقول : هذه لغة ماتت فى كثير من لغات العرب ، يعنى ذهب من يقول من

---

(١) انظر الكتاب ٤/٨٧ – ٩٣

(٢) الكتاب ٤/٨٨

(٣) اللسان (طلع) ١٠/١٠٥ ، وديوان الأدب ٢/١٩٠ (بإضافة محشر وعدم ذكر مجزر ومرفق) وعبارة السيرافى « وقد جاءت أحد عشر لفظا على مفعل [بفتح الميم وكسر العين] فى المكان مما فعله على فعل يفعل [من باب نصر]، وهى : منسك ... » (شرح الكتاب ٥/٢٧٩)

(٤) الكتاب ٤/٩٠

العرب تطْلِع بكسر اللام وبقى مَطْلِع بكسرها فى اسم المكان والزمان على ذلك القياس[١].

وإذا ضمْنا إلى هذا النص مانقلناه منذ قليل عن سيبويه ، وهو قوله « وربما بنوا المصدر على المفْعِل كما بنوا المكان عليه » – أى إذا كان الفعل من باب فعَل يَفْعِل – تبين لنا أن تميا فى عملها هذا لم تخرج عن قياس العرب .

موقف القراءات القرآنية :

وردت كلمة « مطلع » مصدرا ميميا فى قوله تعالى : (سلام هى حتى مَطْلَع الفجر)[٢] وقد قرأ وفق اللغة التميمية من الأئمة الأربعة عشر (مطلِع) الكسائى وخلف والأعمش وابن محيصن . والباقون على النهج الحجازى[٣] ، كما قرأ على النهج التميمى أبو رجاء وابن وثاب وطلحة وأبو عمرو بخلاف عنه[٤] .

٢ – مشتمة :

وشبيه بكلمة « مطلع » كلمة « مشْتِمة » ، فقد عزاها يونس فى نوادره بكسر التاء (مَشْتِمة) إلى تميم وبفتحها إلى الحجاز[٥] .

وإذا رجعنا إلى الفعل فى تصريفيه الماضى والمضارع نجده مفتوح العين فى الماضى مضمومه ومكسوره فى المضارع (أى شتمه يشتُمه ويشتِمه)[٦]. وإذا كان اللغويون لم ينسبوا صيغتى المضارع – فيما أعلم – فإننى أرى أن التميميين – تطبيقاً لما قاله سيبويه من أن العرب ربما بنوا المصدر على المَفْعِل إذا كان الفعل من باب ضرب – كانوا ينطقون الفعل من باب « فعَل يفعِل » . والحجازيون نطقوه من الباب الآخر . وهذا ما اتبعته فى دراسة هذا الفعل عند دراسة « مستقبل الأفعال » .

(ب) من غير الثلاثى :

القاعدة فى صوغ المصدر الميمى من غير الثلاثى أن يكون على وزن المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل آخره[٧] ، وكما لاحظنا عند الحديث عن المصدر

---

(١) البحر ١٦١/٦

(٢) القدر ٥/٩٧ (٣) إتحاف ٤٤٢

(٤) البحر ٤٩٧/٨

(٥) المزهر ٢٩٩/أ (خ) وهو فى المطبوع ٢٧٦/٢ بدون ضبط .

(٦) اللسان (شتم) ٢١١/١٥ (٧) الشافية (انظر شرحها) ١٦٨/١

أنه يختلف لدى التميميين عن الحجازيين تبعا لاختلاف صيغة الفعل من طول وقصر ، فإن هذا ما يحدث فى المصدر الميمى إذ يراعى فى صوغه صورة الفعل .

٣ ، ٤ — اسما المرة والهيئة :

ويترتب على اختلاف صيغة الفعل أيضاً اختلاف صيغة اسمى المرة والهيئة عند تميم إذ إن اسم المرة يصاغ من الثلاثى على وزن « فَعْلة » ومن غير الثلاثى على وزن المصدر بإضافة التاء إليه إن كان خاليا منها . أما اسم الهيئة فلا يجىء إلا من الثلاثى ويكون على وزن « فِعْلة »[1] .

ب — المشتقات

١ — المشتقات واختلاف بنية الفعل :

لاحظنا عند الحديث عن بنية الكلمة من حيث الطول والقصر أن تميما اختلفت عن غيرها — وعلى الأخص الحجاز — فى بنية الفعل ، فكانت تميل إلى طول البنية على حين كانت الحجازية تميل إلى القصر وأن هذا الخلاف بين « فَعَل وأَفْعَل » و « فَعَل وفعّل » ، « فَعّل وفاعل » و « تفعّل وافتعل » . وقد لاحظنا عند الكلام عن المصدر أنه كان يختلف عند تميم عن غيرهم وفق بنية الفعل التى مالت إلى استعمالها وهذا ما يلاحظ أيضاً فى المشتقات ولنعرض لكل مشتق على حدة :

اسم الفاعل :

إذا كانت القاعدة لصوغ اسم الفاعل أن يكون من الفعل الثلاثى على وزن « فاعِل » ومن غير الثلاثى على وزن المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وكسر ما قبل آخره ، فإنه يترتب على اختلاف صيغ الفعل أحد أمرين :

١ — فى حالة ميل تميم إلى استعمال أفعل أو فَعل بدل فَعَل أو العكس يترتب على ذلك أن يكون اسم الفاعل على وزن « فاعِل » أو على وزن المضارع .

٢ — فى حالة ميلها إلى استعمال فِعْل غير ثلاثى فى مقابل فِعْل غير ثلاثى آخر تتغير الصيغة التميمية عن الحجازية ، فإذا اختارت تميم مثلا فعّل واختار الحجاز فَاعل فيكون اسم الفاعل التميمى مُفَعِّل فى مقابل مُفاعِل عند الحجازيين .

---

(١) الشافية (انظر شرحها) ١٧٨/١

وهذا الذى لاحظناه فى اسم الفاعل مترتبا على اختلاف صيغ الفعل نلحظ شبيها به فى المشتقات الأُخرى وهى :

اسم المفعول :

وذلك لأنه يصاغ من الثلاثى على وزن مفعول ومن غير الثلاثى على وزن المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل الآخر .

الصفة المشبهة :

لأن القاعدة أن يصاغ من الثلاثى اللازم دون المتعدى أما غير الثلاثى فيصاغ على زنة اسم الفاعل إذا أريد به الثبوت كمُنْطلِق اللسان[1] .

اسم التفضيل :

فمن شروط اشتقاق « أفعل » من الفعل مباشرة أن يكون الفعل ثلاثيا ، وإلا أُتى بأفْعَل مساعد وبعده المصدر الصريح أو المؤول . والأمر كذلك بالنسبة لصيغة التعجب .

اسما الزمان والمكان :

وذلك لأنهما يصاغان من غير الثلاثى على وزن اسم المفعول .

٢ ـ أمشاج من المشتقات (بين اسم المفعول واسم الآلة) :

تناولنا عند الحديث عن الضم والكسر تحت عنوان « ألفاظ تأرجحت الروايات بين نسبة ضمها وكسرها إلى تميم » ثلاثة ألفاظ ، هى : مُصحف ، ومُطرف ، ومُغزل . وقد رجحنا هناك ميل تميم إلى كسر الصوت الأول . ولنتناول هنا كل لفظ من هذه الألفاظ الثلاث على حدة لنحاول أن نتبين إلى أى مشتق ينتمى كل منها .

(أ) مصحف :

هذا اللفظ ليس عربيا أصيلا ، وإنما هو دخيل من الحبشية مَصْحَف[2] (بفتح الميم) *mashaf* أى الكتاب مشتقا من الفعل *sahafa* أى كتب[3] . ودخلت اللسان العربى عن طريق المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة ، فيروى أن أبا بكر رضى الله عنه لما جمع

---

(١) شذا العرف ٧٧ ، ٧٨

(٢) الدخيل فى اللغة العربية (مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة) م /١٢ ج ١ ص ١٤٦

(٣) التطور النحوى ٢١٧

القرآن قال : سموه ، فقال بعضهم سموه إنجيلا فكرهوه ، وقال بعضهم : سموه سفرا فكرهوه من يهود ، فقال ابن مسعود : «رأيت بالحبشة كتابا يدعونه المصحف فسموه به»[1]. لكن العربى لم يأخذها بصورتها الحبشية وإنما أجرى عليها بعض التعديل شأنه مع كل الكلمات المعربة التى كان يضفى عليها طابع العربية التى يتكلمها. ولم يتفق العرب على صورة واحدة فبعضهم نظر إليها على أنها اسم مفعول فضم أولها وهؤلاء هم أهل الحجاز والصورة التى نطقوها هى التى شاعت . وبعض العرب نظر إليها على أنها أداة فعاملها كما يعامل اسم الآلة ، ومن هؤلاء تميم . وبعض آخر ، لم يحَدّد ، بل أبْقى الميم على صورتها الأصلية ففتحها .

(ب) مغزل :

ذكرنا عند الحديث عن «الضم والكسر» أن الفراء يرى أن هذه الكلمة اسم مفعول من الفعل «أغزل» وهذا يعنى أن الصيغة الحجازية هى الأصلية ثم حدث التغيير فى الصيغة التميمية . لكن الذى يبدو من الوهلة الأُولى لمن يسمع هذه الكلمة أنها تدل على الآلة ولا تحتمل سواها فالكسر إذن هو الأصل والضم هو العارض بخلاف ما ذهب إليه الفراء .

(ج) مطرف :

أما كلمة مطرف فهى بعكس «مغزل» إذ إن المفعولية فيها أوضح من الآلية فالصيغة المنسوبة لقيس هى الأصلية والتميمية هى الحديثة .

وبعد ، فإننا نخلص من كل ما سبق أن هذه الكلمات الثلاث لا تنتمى إلى مشتق بعينه ، بل تتأرجح بين المفعولية والآلية ، وأن ضم الميم فى كل منها ليس هو الأصل بل إن الأصل تتقاسمه الحركات الثلاث ، فالضمة هى الأصلية فى مُطرف والكسرة فى مِغزل والفتحة فى مصحف . وأن تميما مالت إلى كسرها فى الكلمات الثلاث .

ونستطيع أن نضم إلى هذه الكلمات كلمات أُخرى جاءت على وزنها وجاءت بصورتين هما ضم الحرف الأول وكسره دون نسبة أحدهما إلى لغة معينة فنعزو المكسور منها إلى تميم وذلك مثل مِجْسد ومِخْدع .

---

(١) الإتقان ١٨٤/١

٣ ـ أسماء الزمان والمكان وحركة عين المضارع (مطلع) :

القاعدة العامة فى صياغة اسمى الزمان والمكان من الثلاثى غير المعتل الأول والآخر أن يكون على وزن « مَفعِل » إذا كان مضارعه مكسور العين ، وعلى « مَفْعَل » إذا كان المضارع مضموماً أو مفتوحاً[١] . أما الناقص فيأتى على « مَفْعَل » وأما المثال الصحيح الاخر فيأتى على « مَفْعِل »[٢] .

العربى إذن كان يلحظ موافقة العين فى هذين الاسمين لعين المضارع ، إلا إذا كان المضارع مضموم العين فاختار له الفتحة ، وكان القياس أن يضمه ، لكنه عدل عن ذلك ، لأنه اكتفى بالفتح والكسر . وقد علل سيبويه اختيار الفتح دون الكسر فى المضموم فى المضارع ، لأنه أخف الحركتين[٣] وقد تابعه فى هذا التعليل بعض اللغويين كالسيرافى[٤] وأبى على[٥] ، ومع ذلك فقد وردت عدة كلمات من هذا الباب (فَعَل يفعُل) اختار فيها العربى الكسر لا الفتح فى اسمى الزمان والمكان ـ وكذلك المصدر الميمى ـ وقد ذكرنا عند الحديث عنه طائفة من هذه الكلمات نكتفى منها هنا بكلمة «مَطْلِع » التى نسبت إلى تميم فى مقابل مطلَع عند الحجاز ، قال سيبويه : « وقد كسروا المصدر فى هذا [أى مما كان من باب فَعَل يفعُل] كما كسروا فى يفعَل ، قالوا : أتيتك عند مَطْلِع الشمس ، أى عند طلوع الشمس ، وهذه لغة بنى تميم . وأما أهل الحجاز فيفتحون . وقد كسروا الأماكن ، فى هذا أيضاً ، كأنهم أدخلوا الكسر أيضاً كما أدخلوا الفتح »[٦] . وهذه اللغة التميمية (مطلِع) هى التى شاعت واستعملتها اللغة المشتركة بدليل أن جمهور القراء[٧] قرءوا بها قوله تعالى : (حتى إذا بلغ مَطْلِع الشمس وجدها تطلُع على قوم ..)[٨] فى حين إنه لم يقرأ بالحجازية (مطلَع) إلا فى الشاذ ، فقد قرأها الحسن وابن محيصن[٩] وعيسى وابن كثير فى رواية شبل[١٠] وقال أبو حيان بصدد اللغة التميمية « وكان الكسائى يقول : "هذه لغة ماتت فى كثير من لغات العرب ،

---

(١) الكتاب ٤/٨٧– ٨٩ ، وانظر : شرح الشافية ١/١٨١

(٢) شرح الشافية ١/١٨١

(٣) الكتاب ٤/٩٠

(٤) شرح الكتاب للسيرافى ٥/٢٨٠

(٥) المخصص ١٤/١٩٤

(٦) الكتاب ٤/٩٠

(٧) انظر : إتحاف ٢٩٤

(٨) الكهف ١٨/٩٠

(٩) البحر ٦/١٦١ ، وإتحاف ٢٩٤

(١٠) مختصر فى شواذ القرآن ٨١ ، ٨٢ ، وانظر : البحر ٦/١٦١ وهو أبو داود شبل ابن عباد المكى مقرىء مكة ومن أجل أصحاب ابن كثير ، توفى بعد سنة ١٥٠ هـ (غاية النهاية ١/٣٢٤) .

يعنى ذهب من يقول من العرب تطلِع بكسر اللام .وبقى مطلِع بكسرها فى اسم المكان والزمان على ذلك القياس »[١] .فكلام الكسائى يدلناعلى أن الصيغة التميمية هى القدمى ،وأن اشتقاقها لاسمى الزمان والمكان كان قياسيا ، لأن فعله حين اشتقاقه كان بكسر العين ، أما الصيغة الحجازية فتمثل المرحلة الحديثة ، إذ تطور الفعل عندهم من كسر العين إلى ضمها وتطورت تبعا لذلك صيغة اسمى الزمان والمكان ، والمحافظة على القديم تتناسب والبيئة التميمية ، والتطور يتلاءم والبيئة الحجازية المتحضرة . وأرى أن وجود حرف الطاء ، وهو حرف مطبق كان من عوامل تطور حركة العين إلى الضم . ذلك لأن الضمة تتكون بتحرك الجزء الخلفى من اللسان إلى أعلى[٢] ، وفى حالة النطق بالطاء يتحرك مؤخر اللسان أيضاً نحو الحنك الأقصى[٣] .

٤ — فى الصفة المشبهة :

تناولنا عند الحديث عن اختلاف المشتقات بسبب اختلاف بنية الفعل اختلاف تميم عن غيرهم فى الصفة المشبهة نتيجة ذلك ، ونلاحظ أيضا وجود خلاف مرده أحد أمرين :

الأول : الاختلاف فى بنية الاسم نفسه ، دون أن يكون مرجعه خلاف فى الفعل بينهما ونلحظ ذلك فى مثل قول بنى تميم « هذا ماء شرُوب » فى حين إن الحجازيين كانوا يقولون « هذا ماء شِرْب »[٤] . على وزن فِعْل واستعمال تميم هذا يؤكد ما ذهبنا إليه من ميلها إلى البنية الطويلة .

الثانى : اختلاف صوتى ، فقد خالفت تميم غيرها فى حركة طائفة من الكلمات بعضها صفات مشبهة مثل كلمة « رَحيم » التى هى عند تميم بكسر الراء ، وبفتحها عند أهل الحجاز وبنى أسد وقيس وربيعة كما يقول النحاس ،[٥] وبهذا أخذت اللغة المشتركة . وقد عرضنا لطائفة من هذه الكلمات ومنها هذه الكلمة عند الحديث عن اختلاف الحركات وعن التماثل الصوتى .

---

(١) البحر ٦/١٦١

(٢) الأصوات للدكتور بشر ١٨٦

(٣) المرجع السابق ١٢٩

(٤) المزهر ٢/٢٧٧ (عن اليزيدى) .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١/ب

الفصل الثالث

الجمع

أولا : جمع المؤنث السالم

لم يكن لتميم نهج خاص فى جمع المؤنث السالم ومانجده من اختلاف بين لغتها واللغة المشتركة لايعدو أن يكون اختلافا فى السمات الصوتية ، يرجع إلى أحد أمرين :

الأول : اتجاه تميم إلى البدء بالمقطع المغلق القصير .

الثانى : اختلاف صورة الجمع تبعا لاختلاف صورة المفرد .

١ ـ الاتجاه الى البدء بالمقطع المغلق القصير :

إن مالاحظناه فى الباب الثانى من ميل التميمى إلى أن يبدأ الاسم بمقطع مغلق قصير ، إذا كان يبدأ بمقطعين قصيرين مفتوحين هو مانلاحظه هنا ، فكل اسم مؤنث مفرد ثلاثى ساكن العين يجمع على « فعلات » إما بفتح العين سواء أكانت الفا. مفتوحة أم مضمومة أم مكسورة ، مثل : جَمْرة ، وسِدْرَة ، وغُرْفة التى تجمع على جَمَرات ، وسِدَرات ، وغُرَفات ، وإما أن تتبع العين حركة الفاء ، فيقال فى جمع هذه الكلمات : جَمَرات ، وسِدِرات وغُرُفات ، هذا هو نهج اللغة المشتركة ، أما اللغة التميمية فقد سكنت العين إذا سبقت بضمة أو بكسرة فقالت : غُرْفات ، وسِدْرات. لكنها فى حالة الفتحة شاركت اللغة المشتركة بأن تابعت العين الفاء فقالت جَمَرات [1] .

موقف القراءات القرآنية :

وإنا لنجد للغة التميمية صدى فى القراءات ، فقد :

(أ) قرأ الحسن وأبو السمال (وتركهم فى ظُلْمات لايبصرون) [2] ، بإسكان عين الكلمة [3] والقراءة المشهورة « ظُلُمات » بإتباع العين الفاء .

---

(١) المفصل (ضمن شرح المفصل) ٥/٢٨

(٢) البقرة ٢/١٧

(٣) مختصر فى شواذ القرآن ٢ ، والمحتسب ٥٦/١

(ب) وقرأ الحسن «والحُرْمات»[1] فى قوله تعالى : (الشَّهْرُ الحرامُ بالشَّهْر الحَرام والحُرُمات قِصاصٌ)[2] .

٢ ـ اختلاف صورة الجمع تبعا لاختلاف صورة المفرد :

ونلاحظ هذا النوع فيما نسب إلى تميم من أنهم كانوا يقولونُ مُثْلات وصُدْقات فى مقابل مَثُلات وصَدُقات فى اللغة المشتركة ، جاء فى «معانى القرآن» للفراء : «هى المَثُلات [العقوبات] وتميم تقول : المُثْلات ، وكذلك قوله : (وآتوا النساء صَدُقاتِهن)[3] حجازية ، وتميم صُدْقات واحدها صُدْقة . قال الفراء وأهل الحجاز يقولون : أعطها صَدُقَتُها وتميم تقول : أعطها صُدْقَتَها »[4] .

إن المفرد لكل من هاتين الكلمتين على وزن «فُعَلة» (أى مُثَلَة وصُدَقة) عند الحجازيين، وفُعْلة (أى مُثْلة وصُدْقة) عند تميم ، وقد جمع كل منهما المفرد جمعا مطردا ، فإن «فُعَلة تجمع على فُعَلات»[5] . أما «فُعْلة» فتجمع جمع قلة على «فُعُلات»[6] . وفُعُلات ، كما قلنا ـ عند الحديث عن الصنف الأول ـ تحول إلى «فُعْلات» عند تميم .

موقف القراءات القرآنية من الاتجاه التميمى :

إذا كان جمهور القراء قد قرأ بلغة الحجاز «صَدُقاتِهن» فى قوله تعالى : (وآتو النساء صَدُقَاتِهِن نِحْلة)[7] «والمَثُلات» فى قوله تعالى : (وقد خلتْ من قَبْلِهمُ المَثُلاتُ)[8] فقد قرأ وفق النهج التميمى قتادة وأبو السمال (صُدْقاتهن)[9] . وقرأ يحيى بن وثاب «المُثْلات»[10] .

---

(١) مختصر فى شواذ القرآن ١٢
(٢) البقرة ١٩٤/٢
(٣) النساء ٤/٤
(٤) معانى القرآن ٥٩/٢
(٥) الكتاب ٥٨٥/٣
(٦) الكتاب ٥٧٩/٣ وتجمع أيضا على «فعلات» كما ذكرنا عند الحديث عن الاتجاه الأول .
(٧) النساء ٤/٤
(٨) الرعد ٦/١٣
(٩) مختصر فى شواذ القرآن ٢٤
(١٠) المرجع السابق ٦٦

ثانيا : جمع التكسير

مالاحظناه عند الحديث عن جمع المؤنث السالم من أن تميما لم يكن لها نهج خاص فى جمع المؤنث السالم ، وأن الاختلاف فى حقيقته صوتى ، هو مانلاحظه أيضا فى جمع التكسير . وهذا الاختلاف يرجع إلى أمور خمسة ، هى :

أولا : اتجاه تميم إلى البدء بالمقطع المغلق القصير .

ثانيا : اختلاف فى الحركة .

ثالثا : اختلاف صورة الجمع تبعا لاختلاف حركة المفرد .

رابعا : اختلاف الجمع لاختلاف تذكير المفرد وتأنيثه .

خامسا : اختلاف الجمع لاختلاف صيغة المفرد .

وفيما يلى تفصيل لما أوجزناه :

(أ) الاتجاه الى البدء بالمقطع المغلق القصير :

إن ماوضح لنا فى الباب الثانى وفى جمع المؤنث من ميل التميمى إلى أن يبدأ الاسم بمقطع مغلق قصير ، إذا كان يبدأ بمقطعين قصيرين مفتوحين ، نلاحظه هنا فى وزنين من أوزان جموع التكسير وهما : فُعْل وفُعَل المحولان عن «فُعُل» وتوضيح ذلك هو أن :

١ ــ فُعُل : يطرد وزنا للجمع لكل اسم رباعى سبق آخره بحرف مد ، سواء أكان واوا أم ياء أم ألفا[١] . وإذا كانت عين الجمع واوا فإنه كما يخفف عند بنى تميم يخفف عند غيرهم ، فقد قالوا جميعا فى جمع خِوان ورِواق (جمع كثرة) خون ورق[٢] ، وإذا كانت العين ياء ، فإن الفاء كانت تكسر عند التميمى فيقول فى جمع صَيُود وبَيُوض صِيد وبِيض[٣] . أما المشتركة فكانت تبقى على وزن فُعُل فتقول صُيُد وبُيُض[٤] .

وما كانت عينه ولامه من جنس واحد مثل سرير ، كان بعض بنى تميم يفتحون عينه فيقولون سُرَر بدلا من إسكانها ؛ وذلك خشية حدوث الإدغام الذى ينتج عنه اختلال

---

(١) انظر : الكتاب ٣/٦٠١ ـ ٦٠٨ ، ومعانى القرآن للفراء ٣/١٢٥ (٢) الكتاب ٣/٦٠٢

(٣) المرجع السابق ، واللسان (نيب) ٢/٢٧٤ (٤) الكتاب ٣/٦٠٢

فى المعنى [١] وقد شاركهم فى هذه الظاهرة بعض بنى كلب [٢] . وبقية بنى تميم كانوا يبقون ضم العين [٣] .

وقد أُشير إلى الخلاف بين النهجين التميمى والحجازى (الذى يمثل اللغة المشتركة) فى مواضع كثيرة من كتب اللغة والتفسير والقراءات [٤] ، نكتفى هنا بضرب أمثلة من القراءات القرآنية مما لم نذكره عند الحديث عن «عدم تتابع ثلاث حركات» من ذلك :

(أ) قوله تعالى : (وقفينا من بعده بالرُّسُل) [٥] قرأ «بالرُّسْل» مخففة على النهج التميمى يحيى بن يعمر [٦] ، كما قرأ المطوّعى « الرُّسْل » معرفة ومنكرة فى كل ماجاء فى القرآن الكريم [٧] .

(ب) قوله تعالى : (فرهان مقبوضة) [٨] قرأ «فرُهْن» شهر بن حَوْشَب» وأبو عمرو وجماعة [٩] .

(ج) قوله تعالى : (عربا أترابا) [١٠] . وقرأ حمزة [١١] وناس منهم شجاع وعباس والأصمعى عن أبى عمرو ؛ وناس منهم : خارجة وأبو خُلَيْد عن نافع ؛ وناس منهم أبو بكر وحماد وأبان عن عاصم بسكون الراء من « عُرْبا » جمع عروب على لغة بنى تميم [١٢] .

---

(١) المصباح ٦٩٨ (٢) البحر ١٥/٨ (٣) المصباح ٦٩٨

(٤) من ذلك : المحتسب ٢٥٥/١ ، ٢٥٦/٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٣/ب ، واللسان (أزر) ٧٣/٥

(٥) البقرة ٨٧/٢

(٦) مختصر فى شواذ القرآن ٨ والقارئ هو : يحيى بن يعمر العدوانى البصرى . تابعى . أول من نقط المصحف . عرض على ابن عمر وابن عباس وأبى الأسود وعرض عليه أبو عمرو ابن العلاء وعبدالله بن أبى إسحاق وتوفى سنة ٩٠ هـ . (غاية النهاية ٣٨١/٢)

(٧) اتحاف ١٤٢ (٨) البقرة ٢٨٣/٢

(٩) مختصر فى شواذ القرآن ١٨ ، والقارىء الأول هو : أبو سعيد شهر بن حوشب الأشعرى الشامى ثم البصرى تابعى ، وقيل إنه توفى سنة ١٠٠ هـ (غاية النهاية ٣٢٩/١) .

(١٠) الواقعة ٣٧/٥٦ (١١) السبعة فى القراءات ٦٢٢ ، والبحر ٢٠٧/٨

(١٢) البحر ٢٠٧/٨ وفيما يلى ترجمة لمن لم يسبق التعريف به من هؤلاء القراء :

(أ) شجاع : هو أبو نعيم شجاع بن أبى نصر البلخى، قرأ على أبى عمرو وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام . توفى سنة ١٩٠ هـ (معرفة القراء ١٣٤) .

(ب) عباس : هناك عدة قراء سموا العباس (انظر : غاية النهاية ١ / ٣٥٢ – ٣٥٥) ويعنينا أحدهم وهو الذى أخذ عن أبى عمرو ، وهو : العباس بن الفضل بن عمرو الحنظلى الأنصارى البصرى كان من أكابر أصحاب أبى عمرو فى القراءة وقال عنه : «لو لم يكن فى أصحابى إلا عباس لكفانى» ولى قضاء الموصل وبها توفى سنة ١٨٦هـ وقيل سنة ١٩٥ هـ (غاية النهاية ٣٥٣/١ – ٣٥٤) .

(ج) أبو خليد : هو عتبة بن حماد ، أخذ عن نافع (السبعة فى القراءات ٦٤ ، وغاية النهاية ٤٩٨/١) .

(د) حماد : هو أبو سلمة بن سلمة بن دينار البصرى . روى عن عاصم وابن كثير وتوفى سنة ١٦٧ هـ (غاية النهاية ١٨٩/١) .

(د) قوله تعالى : (وهو الذى يرسل الرياح بُشْرا بين يدى رحمته)[١] ، وقوله عز وجل : (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته)[٢] . قرأ فى الآيات الثلاث ابن عامر «نُشْرا» بضم النون وإسكان الشين[٣] تخفيف «نُشُرا» فى اللغة الحجازية ، وهى جمع نُشُور[٤] .

(هـ) قرأ أبو السمال قوله تعالى : (على سُرُرٍ متقابلين)[٥] بفتح الراء الأولى (سُرَر)[٦] على لغة تميم خلافا للجمهور الذى قرأها «سُرُر» بضم الراء[٧] .

ومع أن القراءات القرآنية قد اعتدت فى هذه الحالة باللغة التميمية ، إلا أننا وجدنا شعرا تميميا يخالفها فهاهو ذا لقيط بن زرارة يقول :

* إن الشِّواء والنَّشيل والرُّغُفْ *[٨]

ومرد هذه المخالفة أن التعراء لم يكونوا يتقيدون فى أشعارهم غالبا بلغة قبائلهم بل كانوا يسايرون اللغة المشتركة ؛ لأنها السبيل إلى ذيوع أدبهم خارج نطاق القبيلة .

٢ ـ يأتى «فُعُل» على غير القاعدة السابقة جمعا لعدة كلمات ، مثل : سَقْف[٩] ونَجْم[١٠] ، وبَدَنة[١١] . وفى هذه الحالة أيضا نطق التميمى الجمع على

---

(١) الأعراف ٥٧/٧ ، والفرقان ٤٨/٢٥

(٢) النمل ٦٣/٢٧ (٣) إتحاف ٢٢٦

(٤) المحتسب ٢٥٥/١ ، وقد قرأ بالتثقيل وفق النهج الحجازى : نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر ، ويعقوب ، وابن محيصن ، واليزيدى (إتحاف ٢٢٦) .

(٥) الحجر ٤٧/١٥ ، ووردت كلمة «سرر» أيضا فى الصافات ٤٤/٣٧ ، والطور ٢٠/٥٢ ، والواقعة ١٥٥/٥٦ ، والغاشية ١٣/٨٨ ، والزخرف ٣٤/٤٣

(٦) مختصر فى شواذ القرآن ٧١ (٧) البحر ١٥/٨ وفيه بضم السين وهو تصحيف .

(٨) الكتاب ٤٠٣/٣ (النشيل : لحم يطبخ بلا تابل ، يخرج من المرق وينشل – من الحاشية للمحقق . والشاعر جاهلى من بنى زيد بن عبد الله بن دارم (انظر : المؤتلف ١٧٥ ، والشعر والشعراء ٤٤٦) .

(٩) المصباح (سقف) ٢٨٠ (١٠) المحتسب ٨/٢

(١١) المصباح (بدن) ٣٩

مثال «فُعْل» وقد نص الفيومى على ذلك إذ عمم قلب كل فُعُل سواء أكان مفردا أم جمعا[1] ، كما أشار غيره من اللغويين إلى ذلك بمناسبة عرض إحدى كلمات هذا الصنف . من ذلك قول أبي حيان (ت ٧٤٥ هـ) تعقيبا على قوله تعالى : (ولولا أن يكون الناسُ أُمةً واحدة لجعلنا لمن يكفُرُ بالرحمن لبيوتهم سُقُفا من فضة)[2] : «وقرأ الجمهور سُقُفا بضمتين وأبو رجاء بضم وسكون ، وهى جمع سَقْف لغة تميم ، كرُهْن ورُهْن»[3] . ومن ذلك أيضا قراءة الحسن قوله تعالى : (وبالنَّجْم هم يهتدون)[4] «وبالنُّجُم»[5] على أنها جمع «نَجْم» وهذا نهج الحجازيين فى جمعها كما سبق أن ذكرنا وقرأها يحيى «وبالنُّجْم»[6] . وعلق ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) على ذلك بقوله «كأنه مخفف من النُّجُم كلغة تميم فى قولهم : رُسْل وكُتْب»[7] .

(ب) أما الصنف الثانى ، وهو الناشىء عن اختلاف الحركة فى صيغة الجمع ، فنرى من ذلك :

١ ، ٢ – سَكارى وكَسالى (بفتح فاء الكلمة) جمع سَكران وكَسلان مقابل سُكارى وكُسالى (بضم الفاء) فى اللغة الحجازية . وقد آثرت تميم فى هذين اللفظين الفتح على الضم . وقد تناولنا ذلك عند الحديث عن «الفتح والضم» فى الباب السابق وذكرنا اعتداد القراءات القرآنية باللغة التميمية .

٣ – صُنْوان (بضم فاء الكلمة) عند تميم – وشاركتها فى ذلك قيس – فى مقابل «صِنوان» (بالكسر) لدى الحجازيين . وقد تحدثنا عن اللفظ عند الكلام عن الضم والكسر ، وذكرنا موقف القراءات القرآنية من صيغتيه .

(ج) اختلاف الجمع لاختلاف حركة المفرد :

ونرى ذلك فى :

١ – كلمة «كَثْرة» ففاء الكلمة مفتوحة فى اللغة المشتركة مكسورة لدى بنى تميم وقد ترتب على ذلك أن أصبح الجمع فى اللغة المشتركة «كَثَرات» ولدى تميم (كِثَر)[8] .

---

(١) المرجع السابق ٦٩٨
(٢) الزخرف ٤٣/٣٣
(٣) البحر ١٥/٨
(٤) النحل ١٦/١٦
(٥) المحتسب ٨/٢
(٦) المرجع السابق .
(٧) المرجع السابق ٩/٢
(٨) البحر ٢٤/٥

والجمعان مطردان لدى العرب ، إذ إن «فَعْلة» تجمع على «فَعَلات» للقلة وفِعال للكثرة ، مثل قَصْعَة وقَصَعَات وقِصَاع[1] . فى حين إن القاعدة العامة أن تجمع «فِعْلة» على فِعِلات (أو فِعَلات عند بعض العرب) للقلة وفِعَل للكثرة[2] . فكل من الحجازى والتميمى جمع الكلمة كما تجمع نظائرها ، وإن كان كل منهما مال إلى أحد الجمعين .

ونلاحظ أن الحجازى اختار الجمع بالألف والتاء وهذا خاص بالمؤنث ، والمعروف أن الأنوثة هى مظهر من مظاهر الرقة التى تتفق والبيئة الحضرية .

٢ ـ جمعت تميم «كِلْمة» على «كِلْم» مخالفة اللغة المشتركة التى جمعتها على «كَلِم» ، ومرجع ذلك إلى اختلاف المفرد عند كل منهما فاللغة المشتركة تقول «كَلِمَة» فى حين إن تميما تقول «كِلْمَة»[3] . وشبيه بهذا أيضا ما نسب إلى بعض بنى تميم من أنهم كانوا يقولون فى المفرد «كَلْمَة» وفى الجمع «كَلْم»[4] .

٣ ـ أرفاغ ورُفُوغ وأَرْفُغ ثلاثة جموع لكلمة واحدة هى «رفغ» بضم الراء وفتحها ، استعملت تميم رُفوغا وأَرْفُغا ، فى حين إن الحجازيين استعملوا أرفاغا . وهذا الاختلاف مرده إلى أن صيغة المفرد اختلفت عند كل من الفريقين ، فالأول استعمله بفتح أوله ، أما الآخر فضمه[5] .

وإذا كانت تميم قد جمعت فَعْلا على فُعول وأَفْعُل فهذا هو القياس عند العرب : الأول تجعله للكثرة غالبا ، والثانى للقلة[6] . وكذلك الشأن بالنسبة للحجازيين الذين جمعوا فُعْلا على أفعال الذى هو قياس عند العرب فى القلة[7] .

٤ ـ ومن ذلك أيضا رِفاق لتميم ورِفَق لقيس ؛ لأن جمع الأولى رُفْقة مثل بِرام جمع بُرْمة ، والثانية جمع رِفْقة مثل سِدَر جمع سِدْرَة[8] .

هذا عدا ما شذ فاتفق جمعه مع اختلاف مفرده مثل مِعَد ونِقَم جمع مَعِدَة ونَقِمة فى اللغة المشتركة ومِعْدة ونِقْمة فى اللغة التميمية . وقد تكلمنا فى ذلك عند الحديث عن

---

(١) الكتاب ٣/٥٧٨

(٢) المرجع السابق ٣/٥٨٠ ، ٥٨١

(٣) اللسان (كلم) ١٥/٤٣٨

(٤) شذور الذهب ١١

(٥) المصباح (رفغ) ٢٣٣

(٦) الكتاب ٣/٥٦٧

(٧) المرجع السابق ٣/٥٧٦

(٨) المصباح (رفق) ٢٣٤

الفتح والكسر » ورجحنا أن سبب ذلك قدم التميمية من حيث الإفراد والجمع ، ثم تطوّر المفرد عند قيس وبقى الجمع دون تغيير .

د) اختلاف صورة الجمع لاختلاف تذكير المفرد وتأنيثه :

ونلاحظ ذلك فى :

١ - «زوجات» عند تميم و «أزواج» عند الحجاز للدلالة على جمع المؤنث عند كل منهما ، وسبب هذا الخلاف أن الحجازيين اختاروا صيغة واحدة للدلالة على المذكر والمؤنث هى «زوج» وأن التميميين خصصوا زوجا للمذكر وأضافوا إليه التاء عند إرادة تأنيثه فقالوا زوجة[١] فجمعوا الكلمة جمع مؤنث سالما وهذا يتفق وتأنيث الكلمة ، فقالوا زوْجات . وقد جاء ذلك فى شعر أبى الغريب الأعرابى :

يا صاح بَلِّغ ذوى الزوجات كلهم أن ليس وصل إذا ماانْحَلَّتْ عُرَى الذَّنَبِ[٢]

أما الحجازى فقد جمع الكلمة جمع تكسير فقال « أزواج » وبهذه الصيغة وحدها جاء التنزيل الحكيم ، قال تعالى : (وإذ أسر النبى إلى بعض أزْواجه حديثا)[٣] وهذا الجمع الحجازى قياسى أيضا شأنه شأن الجمع التميمى . قال سيبويه : «أما ماكان فَعْلا من بنات الياء والواو ، فإنك إذا كسرته على بناء أدنى العدد كسرته على أفعال ، وذلك سَوْط وأسواط ، وثَوْب وأثواب وقَوْس وأقواس »[٤] .

٢ - كلمة « صاع » التى يعدها الحجازيون مؤنثة والنجديون- وتميم منهم - مذكرة جمعها الحجازيون على آصع وأصْوُع جمع قلة[٥] . ولا فرق بين الجمعين فهما على وزن « أفْعُل » وحدث قلب مكانى فى الصيغة الأُولى[٦] . وجمعها الحجازيون أيضاً على صِيعان جمع كثرة . أما التميميون ، فقد جمعوها على «أصواع »[٧] ، وقدالتزم كل من الفريقين النهج العربى فى جمع التكسير :

---

(١) المذكر والمؤنث للفراء ٩٥

(٢) المرجع السابق وهو بدون نسبة ونسبه المحقق نقلا عن خزانة الأدب ٢/٣٣٥ وسمط اللآلى ٢/٦٥١

(٣) التحريم ٦٦/٣ ، وانظر ، إحصاء لهذه الكلمة فى القرآن الكريم بالمعجم المفهرس ٣٣٣ ، ٣٣٤

(٤) الكتاب ٣/٥٨٦

(٥) المذكر والمؤنث للفراء ٩٦ ، والمصباح (صوع) ٣٥١ ، ٣٥٢

(٦) المصباح (صوع) ٣٥٢

(٧) المرجع السابق ٣٥١ ، ٣٥٢

(أولا) الجمع الحجازى له ما يبرره إذ إن لهذه النهج نظائر فى العربية .

(أ) فبالنسبة لجمع الكلمة على «أَفْعُل» جمع قلة يقول سيبويه : « وما كان مؤنثا من فَعَلٍ من هذا الباب [أى من بنات الياء والواو التى الياءات والواوات فيهن عينات] [1] ، فإنه يكسر على أفعُل إذا أردت بناء أدنى العدد ، وذلك دارٌ وأدورٌ وساقٌ وأسْوُق ، ونار وأنوُر . هذا قول يونس » [2] ، فالحجازى إذن جمع اللفظ جمعا قياسيا .

(ب) وبالنسبة لجمع الكثرة فله أيضاً نظائره ، يقول سيبويه : « وإذا أردت بناء أكثر العدد [من فَعَل] كسرته على فِعْلان ، وذلك نحو : جيران وقِيعان وتِيجان ، وسَاج وسِيجان » [3] .

(ثانيا) جَمْع التميمى الكلمة على أفعال له كذلك نظائره ، قال سيبويه : « وأما ما كان فَعَلا فإنه يكسَّر على أفْعال إذا أردت بناء أدنى العدد ، وذلك نحو : قاعٍ وأقواع ، وتاج وأتواج ، وجار وأجوار » [4]

وإذا كان الفراء الذى نقلنا عنه الخلاف فى الجمع تبعاً لتذكير المفرد أو تأنيثه [5] لم يشر إلى تفريق تميم بين القلة والكثرة ، فإن هذا التفريق ليس حتميا ؛ لأن كُلاًّ من الجمعين يسد مسد الآخر ويغنى عنه [6] .

(هـ) اختلاف الجمع لاختلاف صيغة المفرد :

ومثال هذا الصنف أن « المنا » وهو كيل أو ميزان يوزن به « رِطْلان » [7] كان ينطق عند التميميين « مَنّ » وقد جمعه الأولون على « أمناء » وجمعه التميميون على « أمنان » [8] .

ويندرج تحت هذا الصنف كل اسم اختلف فيه التيميون عن غيرهم وكان منشأ هذا الاختلاف الإبدال أو غيره من طرق تعدد الصيغ .

---

(١) راجع الكتاب ٣/٥٨٦ (٢) الكتاب ٣/٥٩١

(٣) المرجع السابق ٣/٥٩٠ (والساج : ضرب من الشجر — اللسان « سوج » ٣/١٢٧)

(٤) المرجع السابق ٣/٥٩٠ (٥) المذكر والمؤنث للفراء ٩٦

(٦) شرح ابن عقيل ٢/٤٥٢ ، وشذا العرف ١٠١ (٧) المصباح (منا) ٥٨٢

(٨) اللسان (منا) ٢٠/١٦٧ ، والمرجع السابق

الفصل الرابع
الجنس

توطئة :

يفرق العربى بين المذكر والمؤنث بإحدى علامات ثلاث هى التاء المتحركة ، مثل فاطمة ، والألف الممدودة مثل شيماء والألف المقصورة كسلمى

ويبدو أن التاء هى العلامة القدمى بدليل وجودها فى كل اللغات السامية بل فى المصرية القديمة[١] أيضاً ، ففى الأكدية šarratu (ملكة) مؤنث šarru (ملك) . وفى الأجروتية ʾilt (إلهة) مؤنث ʾil (إله) وفى العبرية taḥtīt (تحتية) مؤنث taḥtī وفى السريانية bīštā (شرير) مؤنث bīšā فى حالة التعريف، وفى الأثيوبية beʾesīt (امرأة) مؤنث beʾesī (رجل)[٢] .

وقد قلبت هذه التاء فى العربية هاء عند الوقف عدا عند بعض العرب الذين أجروا الوقف مجرى الوصل فنطقوها بالتاء[٣] ، ونسب ذلك إلى حمير[٤] وطيء[٥] اليمنية الأصل .

وإذا لم يكن هناك مسوغ لإبدال التاء هاء فإن تعليل ذلك كما يرى الدكتور إبراهيم أنيس[٦] ويوضحه الدكتور رمضان عبد التواب بقوله : « إن التاء سقطت حين الوقف على المؤنث فبقى المقطع السابق عليها مفتوحا ذا حركة قصيرة. وهذا النوع من المقاطع تكرهه العربية فى أواخر الكلمات فتتجنبه بإغلاق المقطع عن طريق امتداد النفس بهاء السكت »[٧] فنحن « إنما ننظر إلى النتيجة النهائية لا إلى التطور الصوتى[٨] » . ومما يؤيد

---

(١) Moscati: An introduction to the comparative grammar of sematic languages p. 85.

(٢) Ibid p. 84, 85.

(٣) شرح المفصل ٨١/٩

(٤) المصباح ٦٤٤

(٥) اللسان (ها) ٣٧٠/٢٠

(٦) فى اللهجات العربية ١٣٦

(٧) اللغة العبرية : قواعد ونصوص ومقارنات باللغات السامية ١٥٥

(٨) المرجع السابق

هذا القول سقوط التاء فى اللهجات الحديثة[١] ومنها لهجة « تطوان وما حولها » التى حذفت فيها من كل مؤنث لم تسبق تاؤه بصوت لين طويل[٢] .

وينقسم الجنس إلى حقيقى ومجازى . أما الحقيقى فهو كل ذى روح حيث يتميز الذكر من الأنثى . والتفريق بين نوعيه واضح . أما المجازى فليس هناك تحديد حاسم لنوعه ، والوسيلة الوحيدة هى ماتعارف عليه الناس واصطلحوا . واللغات تختلف فى ذلك ، فما تعدّه هذه اللغة مذكرا ، قد تعده تلك مؤنثا . مثال ذلك : الشباك مذكر فى العربية مؤنث فى الفرنسية la fenêtre ومثله كلمة مصباح la lamp ،والحقيبة مؤنثة فى العربية مذكرة فى الفرنسية le sac وكذلك الأمر بالنسبة لكلمة السبورة le table

والأمر كذلك بين لغات العربية . والذى يعنينا هنا مايتصل باللغة التميمية .

وستكون دراستنا للجنس من زوايا ثلاث :

أولا : الحقيقى وسنتناول المؤنث من حيث تأنيث لفظه وتذكيره .

ثانيا : المجازى ، وهو أنواع ثلاثة :

(أ) ماورد بصيغتين إحداهما مذكرة والأخرى مؤنثة .

(ب) ماورد بصيغة واحدة مؤنثة .

(ج) ماورد بصيغة واحدة مذكرة .

ثالثا : الجنس المميز واحده بالتاء (ويندرج تحته من الحقيقى والمجازى) .

---

(١) انظر فى اللهجات العربية ١٣٦

(٢) لهجة شمال المغرب : تطوان وماحولها ١٥٥

أولا : المؤنث الحقيقى

بين تذكير لفظه وتأنيثه

يذكر الفراء (ت ٢٠٧ ﻫ) أن أهل الحجاز يطلقون كلمة زوج على الرجل والمرأة أما النجديون فيفر ون ويطلقون على المرأة زوجة[1] . ونقل أبو حيان عن الفراء مثل هذا الكلام ، لكنه فصّل فذكر فى مقابل «أهل الحجاز» «تميم وكثير من قيس وأهل نجد[2] » .

والأصل فى اللغات السامية أن يكون للمؤنث الحقيقى كلمة تخالف الكلمة الموضوعة للمذكر . مثال ذلك فى العربية أب وأم ، وفى العبرية אַיִל (ايل) بمعنى كبش و רָחֵל (رحِل) أى نعجة ، ثم ابتدعت هذه اللغات علامات تفرق بين المذكر والمؤنث[3] . وهذا ينطبق على كلمة زوج ومؤنثها زوجة ، فاللغات السامية — كما يذكر الدكتور محمود فهمى حجازى — تشترك كلها فى إطلاق ذكر على الرجل وأنثى على المرأة ، ثم استخدمت العربية كلمة «بعل» للدلالة على الرجل المتزوج ، وعلى المرأة المرتبطة به «زوج» . والكلمة الأولى سامية قديمة تعنى الإله أو الرب أو السيد واستخدمت للدلالة على الرجل مرتبطة بدخول كلمة «زوج» من الارامية «زوجا» الدخيلة فيها من اليونانية zeugos ، ثم أضيفت إلى زوج علامة التأنيث للدلالة على الأنثى وهى التى استنكرها الأصمعى وعدها لحنا[4] وهى مانسبته كتب اللغة إلى تميم كما ذكرنا .

وإذا كان العربى قد عرب هذا اللفظ ، فلم يخصه بالأنثى دون الذكر ، ودليل ذلك وروده للدلالة على الرجل فى حديث أم زرع والذى روته السيدة عائشة وذكرت أن إحدى عشرة امرأة من اليمن وصفت كل منهن زوجها وكانت تبدأ كل واحدة منهن بقولها

---

(١) المذكر والمؤنث للفراء ٩٥ ، وانظر : ١٠٨ وفيه «وسائر العرب» فى مقابل «الحجاز» وعن الموضع الأول نقل أبو بكر بن الأنبارى فى المذكر والمؤنث ١ / ٥٠٤

(٢) البحر ١ / ١٠٩ ، وانظر : اللسان (زوج) ٣ / ١١٧ وفيه «تميم» فى مقابل «الحجاز» .

(٣) اللغة العبرية ٢٦

(٤) أسس علم اللغة ٢١٨

« زوجى » [1] ، ووروده أيضا فى كلام ابن مسعود وقد سئل عن الجمل فى قوله تعالى : (حتى يلِجَ الجَمَل فى سَمِّ الخِياط) [2] ، فقال : « هو زوج الناقة » [3] .

وأما إنكار الأصمعى « زوجة » للدلالة على الأنثى محتجا بقوله تعالى : (اُسْكن أنت وزوجك الجنة) [4] ، فاستعمال القرآن تأكيد لدلالة زوج على المؤنث ، لكن عدم استعماله « زوجة » لايفيد إنكارها ؛ لأن القرآن الكريم لم يحو كل الألفاظ العربية بمختلف استعمالاتها ، وهذه اللفظة كانت تأخذ صبغة محلية خاصة بتميم ، ثم أخذت تشيع بعد ذلك ولا أدل على ذلك من وجودها فى شعر تميمى وغير تميمى . قال عَبَدَة بن الطيب :

فبكى بناتى شَجْوَهُنَّ وزوجتى والأقربون إلىّ ثم تَصَدَّعُوا [5]

وقال الفرزدق :

فإن امرأً يسعى يُخَبِّب زوجتى كساعٍ إلى أُسد الشَّرى يَسْتَبيلُها [6]

كما وردت فى رجز للعجاج فى قوله :

* لاتسأل الزوجة ريح العِطرِ * [7]

كما وردت فى شعر النجديين من غير بنى تميم ، من ذلك قول ذى الرمة :

أذو زَوْجَةٍ بالمِصْر أم فى خُصُومةٍ أراكَ لها بالبَصْرَةِ العام ثاويا [8]

وإذا كان أبو عبيدة قد أنكر كلمة « زوجة » فإننا – بالإضافة إلى ماوجدناه من شعر ينهض دليلا على نقض رأيه – نلاحظ أن الفراء نص على شيوعها ، فيقول « وأهل نجد يقولون : زوجة ، وهو أكثر من زوج ، والأول [أى زوج] أفصح عند العلماء [9] » .

(١) انظر الحديث فى : زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم ١ / ٣٠٩ – ٣٢٦ والمزهر ٢ / ٥٣٢ – ٥٣٥

(٢) الأعراف ٧ / ٤٠

(٣) اللسان (زوج) ٣ / ١١٧

(٤) البقرة ٢ / ٣٥ والأعراف ٧ / ١٩

(٥) المفضليات ١٤٨ ، والمذكر والمؤنث للفراء ٩٥ (باختلاف) ، والبحر ١ / ١٠٩

والشاعر تميمى من بنى عبد شمس بن كعب بن سعد ، شاعر مخضرم ، شهد مع المثنى بن حارثة حرب هرمز سنة ١٣ هـ ، كما حارب الفرس مع سعد فى العام التالى (انظر : الشعر والشعراء ٧٢٧ ، وتاريخ الأمم والملوك ٣ / ٤١٢ ، ٥٣٣)

(٦) الديوان ٦٠٥

(٧) التنبيهات ٢٠٥

(٨) الديوان ٦٥٣ ، والبحر ١ / ١٠٩

(٩) المذكر والمؤنث ٩٥

ونستطيع أن نقرر بعد هذا حداثة الصيغة التميمية ، فقد أضافوا للفظ تاء التأنيث من باب القياس الخاطئ false analogy على نحو مانسمعه من بعض الصغار « القطة الأبيضة » بدلا من « البيضَة » وقد يصوب هذا الخطأ وقد يستمر مع هذا الشخص وحده ، وقد ينتقل إلى غيره ويشيع بعد ذلك . وهذا ماحدث بالنسبة لهذا اللفظ ، شاع عند التميميين والنجديين ثم انتقل إلى غيرهم ، يقول أبو حاتم السجستانى (نحو ٢٥٠ هـ) : « فلانةُ زَوْجَةُ فلان لغة أهل نجد قال : وقد صار أهل الحرمين يتكلمون بها ، يقولون : هذه زَوْجَتُك[١] .

موقف النجديين من هـذا اللفظ فى الوقت الراهن :

وإذا ماعبرنا القرون الماضية لنجيء إلى قرننا الحالى لنعرف موقف النجديين من هذا اللفظ ، نجدهم يستعملونه كما كان يستعمله سابقوهم ، ولا أدل على ذلك من تسجيله فى أمثالهم العامية ، فقد ورد فى كتاب « الأمثال الشعبية فى قلب الجزيرة العربية » « معلقة لازوجه ولا مطلقه »[٢]

---

(١) المذكر والمؤنث لأبى بكر الأنبارى ١ / ٥١٥ .
(٢) ص ١١٨ (رقم ٢٢٥٦) .

ثانيا : المجازى

(أ) ما ورد بصيغتين احداهما مذكرة والأخرى مؤنثة :

صادفنا لفظ واحد من هذا الصنف وهو «رَقْو» عند التميميين و «رَقْوة» عند غيرهم ويعنون به مايشبه الرابية[1] . فالتميميون فى هذا اللفظ اختاروا الصيغة المذكرة وعاملوا اللفظ على أنه مذكر .

ويمكن أن نضم إلى هذا اللفظ كلمة « حالة » عند تميم على أنها مؤنثة فى مقابل كلمة « حال » التى كان تأنيثها أكثر من تذكيرها ، كما هو الشأن عند الحجازيين ، والدليل على تأنيث الكلمة لفظًا ومعنى عند التميميين وروده كذلك فى شعر الفرزدق .

على حالة لو أن فى القوم حاتما   على جوده لضن بالماء[2]

(ب) ما ورد بصيغة واحدة مؤنثة :

ولاحظنا ذلك فى كلمتين هما : «الأَضحى» و «السُّرَى» اللتان تنتهى كل منهما بألف تأنيث ممدودة هى إحدى علامات المؤنث الثلاث .

١ ــ الأَضحى :

وقد عاملها التميميون على أنها مؤنثة ، ولكنها ذكرت فى لغة قيس[3] . ولما كان التذكير غير متسق وتأنيث اللفظ علله الفراء بأن الناطقين ذهبوا فى ذلك إلى اليوم حاتم[4] .

٢ ــ السُّرى :

وهو بمعنى السير بالليل دون النهار[5] . ويذكر السجستانى أن الكلمة تذكر وتؤنث ، وأنه سمع من أعراب بنى تميم من ينشد :

* إنَّ سُرَى الليلِ حرام لاتَحِلّ *[6]

فالتميمى أنث الفعل (تحل) مراعيا اشتمال المسند إليه على علامة التأنيث .

---

(١) جمهرة اللغة (رقو) ٢ / ٤٠٩   (٢) شرح بانت سعاد ٧٢ ، ٧٣

(٣) اللهجات العربية فى التراث ٤٧ عن التذكير والتأنيث للسجستانى ٦ مخطوط برقم ٢٦٤ لغة–تيمور بدار الكتب المصرية.

(٤) المصباح (ضحى) ٣٥٩   (٥) المذكر والمؤنث لأبى بكر الأنبارى ١ / ٤٣٢

(٦) المرجع السابق ١ / ٤٣١

(ج) ما ورد بصيغة واحدة مذكرة :

الكلمات المذكرة لفظا والتى عوملت معاملتين إحداهما بالتذكير والأخرى بالتأنيث ، وعزيت إحدى معاملتيها أو كلتاهما ، وجدنا التذكير خاصا بالتميميين والتأنيث بغيرهم. وهذه الكلمات يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع : أماكن ، وأعضاء للجسم ، بالإضافة إلى اسم آلة :

١ — الأماكن :

١ — وهى : الطريق ، والسراط ، والسبيل ، والزقاق ، والسُّوق ، والكَّلاء (سوق بالبصرة) وعكاظ (سوق بناحية مكة) ، جاء فى الصحاح « قال الأخفش : أهل الحجاز يؤنثون الطريق والسراط والسبيل والسوق والزقاق والكلَّاء — وهو سوق البصرة — وبنو تميم يذكرون هذا كله »[١] ، وذكر ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) أن بنى تميم كانوا يذكّرون « عكاظ » ، والحجازيين كانوا يؤنثونه[٢] .

٢ — أسماء بعض أعضاء الجسم :

والذى عثرنا عليه معزوا تذكيره لتميم وتأنيثه لغيرهم : العضد والعجز — وقد نسب التأنيث فيهما لأهل تهامة —[٣] والعنق ونسب التأنيث لأهل الحجاز[٤] .

٣ — اسم آلة :

الصاع (مكيال) وقد عزا الفراء تأنيثه إلى أهل الحجاز وبعض بنى أسد وتذكيره إلى أسد وأهل نجد[٥] .

موقف القراءات القرآنية من النهج التميمى :

الألفاظ الواردة من الكلمات التى عرضناها من هذا الصنف فى كتاب الله بصيغة المفرد هى : سبيل ، وصراط ، وصاع (فى قراءة) ، وطريق ، وعضد ، وعنق . أما اللفظان

---

(١) الصحاح (زقق) ٤/١٤٩١ ، والنص أيضا فى (زقق) باللسان ١٢ / ٩ ، والتاج ٦ / ٣٧١ والمصباح (زقق) ٢٥٤ باختلاف وليس فيه الكلاء ، وانظر بشأن « الطريق » المذكر والمؤنث للفراء ٨٧ وفيه « أهل نجد » بدل « تميم » وعنه المذكر والمؤنث لأبى بكر الأنبارى ٤٥٧/١ .

(٢) المحكم ١ / ١٥٩ ، وانظر : المصباح (عكظ) ٤٢٤

(٣) الغريب المصنف ٢٦٢ / أ

(٤) المصباح (عنق) ٤٣٢ ، وانظر المذكر والمؤنث للفراء ٧٣ واكتفى بنسبة التأنيث للحجازيين .

(٥) المذكر والمؤنث للفراء ٩٦ وعنه فى : المذكر والمؤنث لأبى بكر الأنبارى ٤٨٠/١ ، وفى المصباح (صوع) ٣٥١

الأخيران (عضد وعنق) فقد ورد كل منهما مرتين ، لكن سياق الكلمة فى كل آية لا يوضح تذكيرها أو تأنيثها مثال ذلك قوله تعالى : (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك)[1]

لدينا بعد ذلك أربعة ألفاظ ، فلنتبين حظ اللغة التميمية من الاستعمال القرآنى :

١ ـ السبيل :

ورد فى القرآن الكريم ١٦٧ سبعا وستين ومئة مرة[2] تحدد النوع فى خمسة مواضع :

موضع جاء على النهج التميمى فقط ، وهو قوله تعالى : (وَإِنَّها لَبِسَبِيلٍ مقيمٍ)[3] .

وثان على النهج الحجازى وهو قوله عز وجل : (قل هذه سَبيلى أدعو إلى اللهِ على بصيرةٍ)[4] .

والمواضع الثلاثة الباقية جاءت باللغتين وإن كانت التميمية هى الراجحة . اثنان من هذه المواضع فى قوله تعالى : (وإن يرَوا سَبيلَ الرُّشدِ لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الغَىِّ يتخذوه سَبيلًا)[5] . فقد قرأ الجمهور باللغة التميمية ، أما الحجازية فقد قرئ بها فى الشاذ ، قرأ أبىّ « (يتخذوها سبيلا[6]) .

والموضع الأخير فى قوله تعالى : (وَ لِتَسْتَبِينَ سبيلُ المجرمينَ)[7] . قرأ ليستبين سبيلُ (أى بياء التذكير ورفع سبيل) عاصم ـ فى رواية أبى بكر ـ وحمزة والكسائى[8] وخلف والأعمش[9] . وقرأ « ولتستبين سبيل »(أى بتاء التأنيث ورفع سبيل) ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم[10] ويعقوب وابن محيصن واليزيدى والحسن وعنه سكون لام « ولْتستبين »[11] . والقراءة الأولى توافق لغة تميم والثانية لغة الحجاز .

---

(١) الإسراء ١٧ / ٢٩
(٢) انظ : المعجم المطهرس لألفاظ القرآن الكريم ٣٤١ ـ ٣٤٣
(٣) الحجر ١٥ / ٧٦
(٤) يوسف ١٢ / ١٠٨
(٥) الأعراف ٧ / ١٤٦
(٦) مختصر فى شواذ القرآن ٤٦
(٧) الأنعام ٦ / ٥٥
(٨) السبعة فى القراءات ٢٥٨
(٩) إتحاف ٢٠٩
(١٠) السبعة فى القراءات ٢٥٨
(١١) إتحاف ٢٠٩

٢ ـ الصراط :

وردت الكلمة ٤٥ خمسة وأربعين مرة[١] ، ولم ترد فى الآيات التى حدد السياق النوع إلّا باللغة التميمية كقوله تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم)[٢] ولافرق بين السراط والصراط إلّا فى إطباق السين ليصير صادا ، وقد تكلمنا عن ذلك فى الفصل الأول من الباب الثانى .

٣ ـ الصاع :

وهو «الصُّواع» الوارد فى قوله تعالى : (قالوا : نفْقِدُ صُواعَ الملك ولمن جاءَ به حمل بعير وأنا به زعيم)[٣] ، وقد قرأ أبو هريرة وجماعة «صاع الملك»[٤] وقد جاء الصاع هنا على اللغة التميمية بدليل تذكير الضمير العائد عليه (به) ؛ لكنه استعمل فى آية تالية[٥] مؤنثا على اللغة الحجازية بدليل قوله (ثم استخرجها من وعاء أخيه) .

٤ ـ الطريق :

ورد اللفظ أربع مرات[٦] ، والسياق لم يحدد تذكير الكلمة أو تأنيثها إلّا فى آيتين التزمتا اللغة التميمية ، هما : قوله تعالى : (فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا)[٧] وقوله : (يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم)[٨] .

الاستعمال التميمى فى الوقت الراهن :

المستعمل من الكلمات التى ذكرناها منسوبة إلى تميم فى أحد استعماليها مايزال يستعمل فى وسط الجزيرة مذكرا ، فمن الأمثال العامية النجدية «سوق الغَلَا جلاب» أى أن غلاء السلعة فى السوق يسبب جلبها إليه »[٩] .

كما أننا نجده مذكرا فى حائل التى يقطن جنوبيها تميميون[١٠] وكذلك شأنه فى جيزان[١١] وهى بتهامة .

---

(١) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٤٠٧
(٢) الفاتحة ١ / ٦
(٣) يوسف ١٢ / ٧٢
(٤) مختصر فى شواذ القرآن ٦٤
(٥) الآية ٧٦ وهى قوله تعالى (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه) .
(٦) النساء ٤ / ١٦٨ ، ١٦٩ ، وطه ٢٠ / ٧٧ ، والأحقاف ٤٦ / ٣٠
(٧) طه ٢٠ / ٧٧
(٨) الاحقاف ٤٦ / ٣٠
(٩) الأمثال العامية فى نجد ١٢٦
(١٠) عن «محمد العريفى» من حائل .
(١١) عن «حمودى مباركى» من جيزان (كاتب العدل بمحكمة رحيمة بالمنطقة الشرقية سنة ١٩٧٩) .

ثالثا : الجنس المميز واحده بالتاء

ويندرج تحته جنس حقيقي وجنس مجازى . وماذكره العلماء اللغويون بشأنه من الألفاظ قسمان :

أحكام عامة تشمل كل لفظ يندرج تحت الجنس المميز واحده بالتاء .

والآخر نصوص خاصة بلفظ معين عندما يتعرضون له ، ويعد ذلك مثالا للحكم العام يعضده ويقويه .

(أ) أحكام عامة :

وهذه الأحكام استنبطها العلماء وخلاصتها أن اسم الجنس المميز واحده بالتاء يؤنثه الحجازيون ويذكره النجديون ، ومنهم بنو تميم ، قال الفراء : « كل جمع كان واحدته بالهاء وجمعه بطرح الهاء ، فإن أهل الحجاز يؤنثونه وربما ذكروا ، والأغلب عليهم التأنيث ، وأهل نجد يذكرون ذلك وربما أنثوا ، والأغلب عليهم التذكير »[1] ، ويذكر ابن مالك وأبو حيان مثل هذا لكنهما يعزوان للحجازيين التأنيث فقط ولأهل نجد وتميم التذكير فقط ، يقول ابن مالك : « والجنس المميز واحده بها [أى تاء التأنيث] يؤنثه الحجازيون ويذكره التميميون والنجديون »[2] .

(ب) أمثلة :

من الألفاظ التى ذكرها اللغويون وتعد أمثلة للجنس المميز واحده بالتاء وعزى التذكير لبنى تميم والتأنيث لأهل الحجاز : التمر والشعير ، والذهب[3] ، والبر[4] ، والنخل والبسر[5] . ونستطيع أن نعد من ذلك أيضا « الرَّكِي » والواحدة « رَكِيَّة » . قال الفراء :

---

(١) المذكر والمؤنث ١٠١

(٢) تسهيل الفوائد ٢٥٤ ، وانظر : البحر ٣ / ٣٨٠

(٣) المزهر ٢ / ٢٧٧ (عن اليزيدى) ، وانظر : تهذيب اللغة ١٠ / ٥٢٩ ، واللسان (شجر ٦ / ٦٢) واكتفيا بالعزو إلى الحجازيين .

(٤) المزهر ٢ / ٢٧٧ (عن اليزيدى) .

(٥) النبات ٥ / ٦٨ ، وانظر بشأن كلمة « النخل » : اللسان ١٤/١٧٥ ، والتاج ٨ / ١٣٠ ، وبشأن كلمة « بسر » المزهر ٢ / ٢٧٧ (عن اليزيدى) .

« ورأيت بعض بنى تميم يقول – وسقط ابن له فى البئر – والله ما أخطأ الرَّكِيَّ ، فوحَّد بطرح الهاء . فإذا فعلوا ذلك ذهبوا به إلى التذكير كأنه اسم للجمع وهو موحَّد »[1] .

خروج عن الاجماع :

إذا كانت القاعدة العامة والأمثلة المفردة قررت أن اللغة التميمية عاملت هذا الصنف ن الكلمات على أنه مذكر فى حين إن الحجازية نظرت إليه على أنه مؤنث ، فإننا نجد رضى الدين الأستراباذى (ت ٦٨٦ هـ) يخالف ذلك ويقرر أن « الجنس المميز واحده بتاء يذكره الحجازيون ويؤنثه غيرهم »[2] فإن هذا لا يعدو أن يكون من أخطاء النساخ كما يقول « رابين »[3] وذلك لمخالفته لما أجمع عليه اللغويون سواء أكان ذلك أحكاما عامة أم تعقيباً على ألفاظ مفردة .

موقف تميم إذن منطقى فى تذكيره هذه الألفاظ ، لأنها خالية من علامة التأنيث وهو يتفق وماقررناه عند الحديث عن المؤنث الحقيقى من مطابقة بين اللفظ والمعنى عندهم .

ويعلل المبرد هذا الخلاف – وإن لم ينسبه إلى الناطقين به – بأن اسم الجمع كجمع التكسير يذكر على معنى الجمع ويؤنث على معنى الجماعة[4] . وإنى لا أميل إلى ما قرره الدكتور « رابين »[5] – وهو ما مال إليه أيضاً الدكتور أحمد علم الدين الجندى[6] – من أن التأنيث هو الأصل وأن اللغة الحجازية ظلت ثابتة لم يلحقها التطور .

موقف القراءات القرآنية من النهج التميمى :

لو فتشنا فى كتاب الله عن هذا النوع لوجدنا كلمات كثيرة ، لكننا سنكتفى منها بالكلمات التى نص اللغويون على نسبة تذكيرها إلى تميم ، ونضرب صفحا عن سواها ، مثل : نحل ونمل وجراد وسحاب ، وهذه الكلمات هى :

---

(١) المذكر والمؤنث للفراء ١٠٢ ، وعنه الأنبارى ١ / ٥٨٥

(٢) شرح الرضى على كافية ابن الحاجب ٢ / ١٦٢

(٣) Rabin, Ancient West - Arabian, p. 167.

(٤) المذكر والمؤنث للمبرد ٨٦ ، ٨٧ ، والمقتضب ٣ / ٣٤٦

(٥) Rabin, Ancient West -Arabian, p. 167.

(٦) اللهجات العربية فى التراث ٥٠٤ ، ٥٠٥

١ ــ ذهب :

وردت هذه الكلمة ثمانى مرات[١] ، نص الأزهرى على أنها مؤنثة فى قوله تعالى : (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها)[٢] . قال : « ويقولون هى الذّهب لأنّ القطعة منه ذهبة ، وبلغتهم نزل (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها) فأنّث »[٣] . لكن الملاحظ أن وضع الكلمة فى الآية الكريمة لا يحدد تأنيثها أو تذكيرها ، لأن الضمير يعود على الذهب والفضة جميعا . ومما يؤيد ذلك أننا نجد الأزهرى نفسه فى موضع آخر من التهذيب يعقب على الضمير فى الآية الكريمة ــ بعد إيراده نصا لليث مضمونه أن أهل الحجاز يؤنثون الذهب وسائر العرب يذكرونه مستشهدا على ذلك بالآية الكريمة ــ[٤] بقوله « وأما قوله جل وعز : (ولا ينفقونها) ولم يقل ينفقونه ، ففيه أقاويل للنحويين : أحدها أن المعنى يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقون الكنوز فى سبيل الله ، وقيل جائز أن يكون محمولا على الأموال فيكون ولا ينفقون الأموال ، ويجوز أن يكون ولا ينفقون الفضة وحذف الذهب كأنه قال : والذين يكنزون الذهب ولا ينفقونه والفضة ولا ينفقونها فاختصر الكلام »[٥] .

٢ ــ بقر :

وردت الكلمة فى ثلاث آيات[٦] لم يحدد السياق جنس الكلمة إلا فى آية واحدة هى قوله تعالى : (إن البقر تَشَابه علينا)[٧] وواضح أن القرآن جاء بلفظ البقر مذكرا على النهج التميمى ، وإلا لقال « تشابهت » . كما قرىء باللغة التميمية فى بعض القراءات الشاذة ، فقرأ الحسن « تشابه »[٨] ، وقرأ المطوعى « يَشَّابَه » والأصل « يتشابه »[٩] .

---

(١) آل عمران ٣ / ١٤ ، ١٩ ، والتوبة ٩ / ٣٤ ، والكهف ١٨ / ٣١ ، والحج ٢٢ / ٢٣ وفاطر ٣٥ / ٣٣ والزخرف ٤٣ / ٥٣ ، ٧١

(٢) التوبة ٩ / ٣٤

(٣) تهذيب اللغة ١٠ / ٥٢٩ ، وانظر النص فى : اللسان (شجر) ٦ / ٦٢

(٤) نص الليث ــ والمراد صاحب العين ــ فى تهذيب اللغة ٦ / ٢٦٣

(٥) المرجع السابق .

(٦) البقرة ٢ / ٧٠ ، والأنعام ٦ / ١٤٤ ، ١٤٦

(٧) البقرة ٢ / ٧٠

(٨) مختصر فى شواذ القرآن ٧ ، والقراءات الشاذة للقاضى ٢٦

(٩) القراءات الشاذة ٢٦

٣ ــ النخل :

ورد اللفظ في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة وقد تأرجحت ما بين التميمية والحجازية فخمس منها لم يحدد السياق اللغة التي تنتمي إليها[١]، وخمس جاءت مؤنثة على النمط الحجازي[٢] وواحدة وردت على النهج التميمي ، وهي قوله تعالى : (كأنهم أعجاز نخل منقعر)[٣] .

موقف اللغات السامية :

وإذا ما اتجهنا إلى اللغات السامية لنعرف موقفها من هذا الصنف من الكلمات نجد «السوق» مذكرا في عبرية المشنا שוק šūk وفي الآرامية ، وكذلك «البسر» مذكرا في العبرية בּוֹסֶר bōsĕr والسريانية besrā وهو في الأخيرة بمعنى الحصرم (أول العنب) . أما «الطريق» فاستعمل في العبرية דֶּרֶךְ dérek مذكرا ومؤنثا[٤] وفي السريانية مؤنثا ܐܘܪܚܐ (أورحا ؛ ʾurḥā) وكذلك البقر ܒܩܪܐ[٥] (بقرا) bakrā وأما « تمر » فهو مؤنث في عبرية المشنا tāmār = תָּמָר[٦] .

فاللغات السامية اختلفت في معاملتها لهذه الكلمات فبعض الكلمات عوملت كالتميمية وبعضها كالحجازية ومنها ما جمع بين اللغتين .

النهج التميمي في الوقت الراهن :

المستعمل من الكلمات الدالة على الجنس المميز واحده بالتاء مايزال يستعمل وفق النهج التميمي في حائل وفي نجد فيذكرون الذهب والشجر والنخل والتمر والبر[٧] . ومن الأمثال العامية النجدية التي تعد أصدق شاهد على استمرار النهج التميمي عبر التاريخ قولهم : « لَو التَّمر عِنْد البَدْوُ ما باعوه »[٨] و « الشعيرَ الماكولَ المذْمومَ »[٩] .

---

(١) الأنعام ٦ / ١٤١ ، و الكهف ١٨ / ٣٢ ، وطه ٢٠ / ٧١ ، والرحمن ٥٥ / ٦٨ ، وعبس ٨٠ / ٢٩

(٢) الأنعام ٦ / ٩٩ ، و الشعراء ٢٦ / ١٤٨ ، و ق ٥٠ / ١٠ ، والرحمن ٥٥ / ١١ ، والحاقة ٦٩ / ٧

(٣) القمر ٥٤ / ٢٠

(٤) Rabin, Ancient West-Arabian p. 167.

(٥) الإتقان في صرف لغة السريان ٧٢ ، ٧٣

(٦) Rabin, Ancient ... p. 167.

(٧) عن : محمد العريني من حائل ، وحمودي مباركي كاتب العدل بمحكمة رحيمة .

(٨) الأمثال العامية في نجد ١ / ٢٦٣

(٩) المرجع السابق ١٣٥

تعقيب :

عالجنا الجنس عند تميم من زوايا ثلاث :

١ ـ الحقيقى .

٢ ـ المجازى ، وكان عندهم أنواعا ثلاثة :

(أ) ماورد بصيغتين إحداهما مذكرة والأُخرى مؤنثة .

(ب) ما ورد بصيغة واحدة مؤنثة .

(ج) ما ورد بصيغة واحدة مذكرة .

٣ ـ الجنس المميز واحده بالتاء ويندرج تحته جنس حقيقى ومجازى .

وقد رأينا أن التميمى يطابق فيها جميعا بين اللفظ ونوع الجنس . ونستطيع فى ضوء هذا أنه إذا ورد لنا لفظ مذكرا كان أو مؤنثا وعومل معاملتين أن نعزو صيغة التطابق إلى تميم . ولعل مما يعضد قولنا هذا فضلا عما استخلصناه من أقوال اللغويين عن التذكير والتأْنيث عندهم ، أن من الأَلفاظ المذكرة التى قيل بتذكيرها وتأْنيثها دون نسبة إلى قوم معنيين أنها وردت فى شعر تميمى مذكرة من ذلك :

١ ـ السراويل وروت مذكرة فى قول الفرزدق فى كُرَيد بن الفِزْر وكان الجبل مثلَه فى العِظَم :

رَأَيْتُ كُرَيدًا خَلْقُه مِثْلُ خُلْقِه إذا قِسْتَه فالزائدُ الوصفِ ناقِصُ

سَرَاوِيلُهُ ثلثا عَشير مُقَدَّرٌ وسِرْبَالُه أَضعافُهُ وَهْوَ قَالِصُ

وورد اللفظ مؤنثا على لسان قيس بن سعد بن عُبادة الأَنصارى ـ وهو حجازى ـ فى قوله :

أَردتُ لِكَيْمَا يعلَمَ الناس أَنهَّا سراويلُ قَيْسٍ والوفودُ شُهودُ[2]

---

(١) (عشير : ثوب من عشرة أذرع) المذكر والمؤنث لأبى بكر الأنبارى / ٤١٣ ، والبيتان ليسا بالديوان والثانى منسوب إليه فى المخصص ١٧ / ١٥ .

(٢) المذكر والمؤنث لأبى بكر الأنبارى ٤١٢/١ ، ٤١٣

٢ ـ الدلو[١] : وقد ورد مذكرا فى قول رؤبة :

* يعدو بدلْوٍ مُكْرَبَ العَراقى *[٢]

فى تصغير الجنس ومميزه :

كان العربى يراعى فى تصغير الجنس وفى مميزه من الأعداد من حيث تذكيره وتأنيثه . وهذا أمر واضح فى الجنس الحقيقى ، لكنه لا يتضح فى الجنس المجازى ذى الصيغة الواحدة للتذكير والتأنيث ، وهو مالا حظناه فى المذكر اللفظى والذى يندرج تحت نوعين من الكلمات ، هما :

١ ـ كل اسم جنس ميزوا واحده بالتاء .

٢ ـ طائفة من الكلمات ، مثل : طريق ، وعنق .

وقد تبين لنا أن تميما ذكرت هذه الألفاظ وأنثها الحجازيون . ووفقا لهذا فسنعرض لموقف تميم من تصغير هذين النوعين ومميزهما .

(أ) تصغير المذكر اللفظى :

القاعدة العامة التى استنتجها الصرفيون لهذا الصنف من الأسماء بنوعيه هى أن كل اسم ثلاثى معنوى التأنيث تضاف إليه التاء عند تصغيره باستثناء الجنس المميز واحده بالتاء مثل بقر ، خشية الالتباس بين تصغيره وتصغير مفرده[٣] .

وقد نص اللغويون على ذلك أحيانا بالنسبة للفظ معين وهم يعرضون له ، من ذلك :

١ ـ قال الفراء : « والعنق مؤنثة فى قول أهل الحجاز يقولون : ثلاث أعناق ويصغرونها على عُنَيْقَة ، وغيرهم يقول : هذا عُنُق طويل ، ويصغره فيقول : هذا عُنَيق »[٤] .

---

(١) المرجع السابق ٢ ٤٤

(٢) المرجع السابق ٣ ٤٤ ، واللسان (دلا) ١٨ / ٢٩٠ وفيه « تمشى » بدل « يعدو » ورواية الديوان : ١١٦ « رحب الفرغ مكرب العراق » . العراقى : جمع عرقوة ، بفتح العين : خشبه معرضة على الدلو. الكرب ؛ محركة . حبل يشد على عراق الدلو والمراد : بدلو شدت خشباته بحبال) .

(٣) شرح ابن عقيل ٢ / ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، وشرح الأشمونى ٤ / ١٧٠ ، ١٧١ ، وشذا العرف ١٢٣ ، ومختصر المذكر والمؤنث للمفضل بن سلمة ٤٤ (ولم يقصر المفضل الاسم على الثلاثى وإن كانت الأمثلة التى ضربها ثلاثية فقط) .

(٤) المذكر والمؤنث للفراء ٧٣

٢ – وقال الجوهرى : «القوس يذكر ويؤنث ، فمن أنَّث قال فى تصغيرها قُوَيسة ، ومن ذكر قال قُوَيس »[١] .

نخلص مما سبق أن بنى تميم يختلفون عن الحجازيين فى تصغير كل مذكر لفظى فلم تضف إليه تميم تاء فى آخره لأنها تعده مذكرا . وأضاف إليه الحجازيون تاء لأنه مؤنث عندهم ، وذلك عدا أسماء الجنس المميز واحدها بالتاء ، وبعض أمثلة أخرى من هذا النوع ، مثل فرس ، ودرع (للمصنوع من الحديد) . ونعل فقد عوملت عندهم (أى الحجازيين) كما تعامل عند التميميين فلم تضف إليها التاء[٢] . وهذه المعاملة فى رأيى تدل على أن هذه الكلمات كانت تعامل فى الأصل عند الجميع على أنها مذكره ، ثم أنثت فى مرحلة متأخرة عند الحجازيين ، وأن تصغيرها كان فى المرحلة السابقة لتطورها إلى التأنيث فأنث اللفظ وبقى تصغيره مذكرا ، وهو من الأدلة على قدم النهج التميمى فى معاملة المذكر اللفظى بين تذكيره وتأنيثه عن النهج الحجازى .

(ب) تمييز المذكر اللفظى :

وإذا كانت القاعدة فى تمييز العدد من ثلاثة إلى تسعة – سواء أكان مفردا ، أم مركبا أم معطوفا عليه – أن يخالف العددالمعدود ، وبالنسبة لعشرة يخالف العدد مفردا ويوافقه مركبا[٣] ، ولا تكون إلا مع الأعداد المفردة (٣ – ١٠) لأنها تعد جمعا ؛ وفى حالة اسم الجنس يسبق الاسم بـ « مِن »[٤] ، فمعنى ذلك أن التميمى خالف الحجازى فأنث العدد ؛ لأن هذه الألفاظ عنده مذكرة ، فى حين إن الحجازى ذكرها ؛ لأنها عنده مؤنثة ، فالتميمى كان يقول مثلا : ثلاثة أعناق وثلاثة من البقر ، والحجازى كان يقول : ثلاث أعناق[٥] ، وثلاث من البقر .

---

(١) الصحاح (قوس) ٣/٩٦٧ ، ٣ / ٩٦٧

(٢) انظر : شرح الأشمونى ٤ / ١٧١

(٣) شرح ابن عقيل ٢ / ٤٠٥ ، ٤٠٩ ، وانظر : اللمع ٢٤٣ ، ٢٤٤

(٤) شرح الأشمونى ٤ / ٦٥

(٥) ذكر الفراء هذا المثال ، فقال : « العنق مؤنثة فى قول أهل الحجاز ، يقولون : ثلاث أعناق » (المذكر والمؤنث ٧٣) .

الباب الرابع
المستوى النحوي



تقـــديم

يتناول هذا الباب السمات النحوية عند تميم ، وهو فى تناولها يترك جانبا تأويلات النحاة ؛ لأن الذى يعنينا هو الاتجاه العام لبنى تميم ومدى اختلافهم مع غيرهم ، ولا تهمنا تلك التسميات الاصطلاحية . فإذا كانت تميم تميل إلى النصب مثلا فيستوى لدينا أن يطلق النحاة العرب على هذا المنصوب مفعولا مطلقا أو مصدرا أو غير ذلك ؛ لأن الذى يعنينا هو أن نوضح سبب اتجاههم هذا ، إذ إن بحثنا ليس نحويا بحتا ، وإنما يعالج القضايا النحوية من وجهة نظر علم اللغة

ذلك إلى أن التأويلات والعلل كثيرة تختلف من عالم إلى آخر وتحتاج وحدها إلى دراسة مستقلة ، وهى لاتعدو أن تكون اجتهادا خاصا ، منها الصائب ومنها غير الصائب[1] .

ويشتمل هذا الباب على تسعة موضوعات رئيسة ، هى :

١ ـ بين الفعلية واسمية الفعل .

٢ ـ بين التصحيح والتكسير .

٣ ـ بين الإعراب والبناء .

٤ ـ بين الصرف ومنعه .

٥ ـ بين الإعراب والحكاية .

٦ ـ ظاهرة الرفع .

٧ ـ ظاهرة النصب .

٨ ـ ظاهرة الإتباع .

٩ ـ الحذف .

---

(١) انظر : تراثنا اللغوى فى حاجة إلى التهذيب والتنقية للدكتور رمضان عبد التواب (من بحوث الندوة الأولى عن التراث العربى) ١٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أولا : بين الفعلية واسمية الفعل

هَلُمّ

بين الفعلية واسمية الفعل

أسماء الأفعال هى ألفاظ تدل على معانى الأفعال وتعمل عملها ، ولكن لاتقبل علاماتها ولا تتصرف تصرفها[١]. فإذا كانت مثلا بمعنى الأمر أخذت صورة واحدة عند الخطاب من حيث النوع والعدد ، فيقال مثلا ؛ : مهْ يازيد (أى اكفف) ومَهْ يازينبات ، وذلك بخلاف فعل الأمر فإن الضمائر تلحقه بحسب المسند إليه ، فيقال مثلا : اكتب ، واكتبى . . . . الخ . ولكنا وجدنا قبيلة تميم تخالف القاعدة العامة فى أحد أسماء الأفعال وهو «هَلُمَّ» بمعنى أَقْبِلْ وأحضِرْ . ولبيان نهجهم نبدأ بعرض مادونه لنا سيبويه ، فقد جاء فى الكتاب :

«هذا باب مالاتجوز فيه نون خفيفة ولاثقيلة ، وذلك الحروف التى للأمر والنهى وليست بفعل . وذلك نحو : إيهٍ وصهْ ومَهْ وأشباهها . وهَلُمَّ فى لغة أهل الحجاز كذلك . ألا تراهم جعلوها للواحد والاثنين والجميع والذكروالأنثى سواء . وزعم[٢] أنها لُمَّ ألحقتها هاء للتنبيه فى اللغتين ، وقد تدخل الخفيفة والثقيلة فى هلم فى لغة بنى تميم ؛ لأنها عندهم بمنزلة رُدَّ ورُدَّا ورُدِّى واردُدْنَ ، كما تقول : هَلُمَّ ، وهَلُما وهلمِّى وهلْمُمْنَ ، والهاء فضل ، إنما هى «ها» التى للتنبيه ، ولكنهم حذفوا الألف لكثرة استعمالهم هذا فى كلامهم»[٣] .

فسيبويه يقرر أن للعرب فى «هلم» لغتين :

الأولى : إلزامها طريقة واحدة كبقية أسماء الأفعال ، فلا يلحق بها ضمير المخاطب المسندة إليه ، فيقال مثلا : هلم يازيد ، وهلم ياهندات . . . . الخ .

الثانية : معاملتها معاملة فعل الأمر ، وذلك بإلحاق الضمائر البارزة بها حسب المسند إليه ، فيقال مثلا : هلم يازيد ، وهَلْمُمْنَ ياهندات ، وكذلك إلحاق نون التوكيد بها خفيفة كانت أو ثقيلة فيقال :هَلُمَّنَّ يارجل وللمرأة هَلُمِّنَّ ، وللتثنية هَلُمَّانِّ ، . . . الخ

---

(١) انظر تعريف «أسماء الأفعال» فى تسهيل الفوائد ٢١٠ ، وشرح الأشمونى ٣ / ١٩٤ .

(٢) أى «الخليل» .

(٣) الكتاب ٣ / ٥٢٩ وانظر شرح الأشمونى ٣ / ٢٠٦ واللسان (هلم) ١٦ / ١٠١ فقد نقلا عن سيبويه .

وقد نسبت اللغة الأولى إلى الحجاز والثانية إلى تميم . وممن حدد هذه النسبة غير سيبويه المبرد[١] والزمخشرى[٢] وابن يعيش[٣] ، وابن هشام[٤] .

ورأينا من العلماء من يوسع دائرة اللغة التميمية كأبى جعفر النحاس الذى ينسبها إلى غير الحجازيين ، والجوهرى والفيومى اللذين نسباها إلى نجد بصفة عامة[٦] ، كما رأينا منهم من يضيق هذه الدائرة ، فصاحب العين نسبها إلى فرع من بنى تميم هو بنو سعد[٧] .

ولانجد تعارضا بين هذه الروايات فتميم كانت تقيم بنجد بل كانت تعد أكبر القبائل التى كانت تحل به وكثيرا ماكان يذكر «نجد» ويعنى به «تميم» وكذلك العكس ، وقد وضحنا ذلك فى الباب الأول . وقد تكون هذه الظاهرة نطقت بها بعض القبائل المجاورة لتميم . وما أورده الخليل يرجع إلى أنه هو أو من روى عنه سمعها من سعدى أو سعديين فقط دون بقية البطون التميمية .

أما مانسب إلى أبى زيد من أنه قال : «استعمالها بلفظ واحد للجميع من لغة عُقَيْل ، وعليه قَيْس بعد ، وإلحاق الضمائر من لغة بنى تميم وعليه أكثر العرب»[٨] فإننا لانميل إلى الاعتقاد بأن أكثر العرب على لغة تميم ، بل لانميل إلى أنها كانت عامة فى نجد ، وذلك لأن «هَلُمَّ» وردت فى القرآن الكريم مرتين : الأولى قوله تعالى : (قل هلم شهداءكم)[٩] ، والأخرى قوله سبحانه : (والقائلين لإخوانهم هلم إلينا)[١٠] .

---

(١) المقتضب ٣ / ٢٠٢ ، ٢٠٣

(٢) المفصل (ضمن شرح المفصل) ٤ / ٤١

(٣) المرجع السابق ٤ / ٤٢

(٤) شرح قطر الندى ١ / ١٥

(٥) إعراب القرآن ١٧٤ / ب

(٦) الصحاح (هلم) ٥ / ٢٠٦٠ والمصباح المنير (هلم) ٦٤٠

(٧) العين (هلم) ٤ / ٥٦ ، والتهذيب (هلم) ٦ / ٣١٦ والذى يعزو كل ماينقله عن العين لليث ، واللسان (هلم) ١٦ / ١٠٢ ، والتاج (هلم) ٩ / ١٠٨

(٨) المصباح (هلم) ٦٤٠

(٩) الأنعام ٦ / ١٥٠

(١٠) الأحزاب ٣٣/١٨

وفى كلتا الآيتين لم يقرأ – فيما نعلم – باللغة التميمية حتى فى القراءات الشاذة .

تفسير الظاهرة :

أما سبب معاملة تميم لـ « هلم » معاملة فعل الأمر ، فيرجع فى رأيى إلى أن الكلمة منحوتة من كلمتين ، الأخيرة منهما فعل . وهاتان الكلمتان هما فى رأى الخليل « ها » و« لُمَّ » [١] بمعنى ضُمَّ [٢] وقد تبعه فى ذلك البصريون [٣] . وفى رأى الفراء «هَلْ وأُم » [٤] أى أُقصد .

وعلى أى الرأيين فإن الكلمة الثانية (لُمَّ أو أُمَّ) التى يرى كل منهما أنها جزء فى تركيب الكلمة يجمعهما معنى كلى واحد هو جَمْع الشمل ، وأنهما فعلان . فالكلمة إذن كانت تعامل بادئ ذى بدء على هذا الأساس ، ثم تطورت وأخذت صورة واحدة وذلك لكثرة استعمالها ، وهذا ما نلحظه عند الحجازيين . لكنها ظلت محافظة على نمطها القديم عند بنى تميم .

ومما يرجح ماذهبنا إليه من فعلية التميمية أنه قد وردت لهاصيغة المضارع فقد حكى الأصمعى أنَّ الرجل يقال له : «هَلُمَّ » فيقول : لا أهْلِمُّ [٥] ، والمعروف أن أسماء الأفعال لاتتصرف كما ذكرنا [٦] . لذا نجد كثيرا من النحويين يعدونها فعلا فى حين إنهم يعدون الحجازية اسم فعل ، مثل ابن هشام [٧] والأشمونى [٨] وأبى حيان [٩] والسيوطى [١٠] . أمّا ابن يعيش فيعتقد أن التميمية «اسم فعل » ويستدل على ذلك بأن التميميين يختلفون فى آخر الأمر المضاعف ، فمنهم من يتبع حركته حركة الفاء فيقول رُدُّ وفِرِّ ، ومنهم من يفتح مطلقا ، ومنهم من يكسر دائما [١١] ، أما ميم «هلم » فهى مفتوحة دائما ، لكن يُرَدُّ على ذلك :

١ – بأن الحالة هنا تختلف ، إذ إن الفعل هناك ثلاثى أما هنا فهو رباعى .

٢ – وبما حكاه الجرمى فى «هلم » من فتح وكسر عن بعض بنى تميم [١٢] .

---

(١) الكتاب ٣ / ٥٢٩ ، والمصباح (هلم) ٦٤٠

(٢) المصباح (هلم) ٦٤٠

(٣) انظر : البحر ٤ / ٢٣٥ وحاشية الصبان ٣ / ٢٠٦

(٤) المرجعان السابقان .

(٥) شرح المفصل ٤ / ٤١

(٦) تسهيل الفوائد ٢١٠

(٧) شرح قطر الندى ١ / ١٥

(٨) شرح الأشمونى ٣ / ٢٠٦

(٩) البحر ٤ / ٢٣٥

(١٠) همع الهوامع ٨٣/٢

(١١) شرح المفصل ٤ / ٤٢

(١٢) شرح التصريح ٥٠١/٢

ثانيا : بين التصحيح والتكسير

باب سنين

يتناول باب سنين جمع كل كلمة ثلاثية حذفت لامها وعوض عنها بهاء التأنيث وذلك نحو : عِضَة (الجزء من الشيء) وعِزَة (الجماعة من الناس) . وإرَة (موضع النار) ، وثُبة (الجماعة) ، وقُلَة (عودان يلعب بهما الصبيان) (1) . وكان العرب فى جمع هذا الصنف من الكلام عدة مناهج :

الأول : وهو إلحاقها بجمع المذكر السالم ، أى بالواو والنون رفعا وبالياء والنون نصبا وجرا ، وهذا هو نهج الحجازيين وعليا قيس (2) ، فكانوا يقولون فى جمع عِضَة «عِضون» فى الرفع و «عِضِين» فى النصب والجر .

الثانى : وكان يلزمه الياء والنون فى جميع الحالات ويجعل الإعراب على النون — وهو الذى يعنينا هنا — إذ يقول الفراء عن هذا الصنف من الكلمات «وهى كثيرة فى أسد وتميم وعامر» (3) ، وينقل صاحب التصريح عنه أن «النون» منونة غالبا على لغة بنى عامر وغير منونة على لغة بنى تميم» (4) .

وهناك تساؤل وجهه عبد الله بن عبد الرحمن الدنوشرى (ت ١٠٢٥ هـ) على النهج التميمى ، وهو قوله «وإذا لم تنون النون على لغة بنى تميم ، فهل يعرب بالحركات الثلاث على النون أو يعرب عليها إعراب مالا ينصرف ؟» (5) وعلق يس (ت ١٠٦١ هـ) على ذلك بقوله «ثم رأيت بعض شراح التسهيل قال : وظاهر كلامه — أى صاحب التسهيل ، وهو ابن مالك — أن من لم ينونه يجره بالكسرة . وظاهر كلام الفراء أنه يمنعه من الصرف فيجره بالفتحة (6) » .

---

(١) شرح الأشمونى ١ / ٨٤ ، ٨٥ (٢) همع الهوامع ١ / ٤٧
(٣) معانى القرآن ٢ / ٩٢ وإعراب القرآن للنحاس ١١١ / ب
(٤) شرح التصريح ١ / ٩ (٥) حاشية يس ١ / ٩
(٦) المرجع السابق

وشارح التسهيل هذا هو حسن بن قاسم بن عبد الله المرادى المعروف بابن أم قاسم (ت ٧٤٩ هـ) ، كما ذكره الصبان ناسبا هذا النص له [١] .

وإنى لا أوافق المرادى فيما ذهب إليه من أن ظاهر كلام الفراء أن من لم ينونه – وهم بنو تميم – يمنعونه من الصرف فيجرونه بالفتحة ، لأننا إذا رجعنا إلى «معانى القرآن» للفراء لانجد كلامه يحتمل ذلك ، يقول «رفعها عِضُون ونصبها وخفضها عِضِين . ومن العرب من يجعلها بالياء على كل حال ويعرب نونها ، فيقول : عِضِينُك ، ومررت بعِضِينك وسنينِك وهى كثيرة فى أسد وتميم وعامر» [٢] ثم استشهد عقب ذلك بأبيات من الشعر .

كلام الفراء إذن ليس فيه مايدل على أن بنى تميم كانوا يعربون هذه الأسماء إعراب الممنوع من الصرف بأن يجروها بالفتحة ، بل ليس فيه مايفرق بين النهج التميمى والنهج العامرى بأن الأول كان لاينون والثانى كان ينون والشواهد الشعرية التى ذكرها – وسنورد بعضها – لانستطيع من خلالها أن نكشف على أن التميميين كانوا ينونون أولا ينونون لأن الكلمات التى وردت بها مضافة .

كلمات هذا الباب بين جمعها جمع تكسير وإلحاقها بالمذكر السالم :

الكلمات التى تدخل فى نطاق بحثنا هذا لاتنطبق عليها شروط جمع المذكر السالم [٣] فى حين إنه تنطبق عليها طرق جمع التكسير [٤] ، فقد زيد عند تميم على مفرد الكلمة (سَنَوٌ) حرف النون وتغيرت حركاته وقلب حرف العلة الواو ياء فى الكلمات التى تشتمل على هذا الصوت ، وذلك مثل : عِزَة وقُلَة ، إذ إن أصلهما عزْو وقُلْو [٥] . أما الكلمات اليائية اللام فبقيت كما هى وذلك مثل إرين .

وإن مما يعزز جمع هذه الكلمات جمع تكسير عدم حذف النون عند إضافتها فالفراء كما رأينا نسب إلى تميم ومعهم أسد وعامر قولهم : عِضِينُك [٦] ومثل قول الرسول – صلى

---

(١) حاشية الصبان ١ / ٨٦ (٢) معانى القرآن ٢ / ٩٢

(٣) شرح التسهيل ١ / ٩٢ ، وشروط جمع الاسم جمعا مذكرا سالما أن يكون أحد نوعين من الأسماء :
الأول : العلم ، ويشترط أن يكون لمذكر عاقل خاليا من تاء التأنيث ، ومن التركيب ، ومن علامتى التثنية والجمع .
الثانى : الصفة ، وتكون لمذكر عاقل خالية من تاء التأنيث وليست على وزن أفعل الذى مؤنثه فعلاء ولا على وزن فعلان الذى مؤنثه فعلى ، ولاعلى وزن صيغة تستعمل للمذكر والمؤنث (انظر : شرح الأشمونى ١ / ٨٠ ، ٨١) .

(٤) طرق جمع التكسير أن تتغير صيغة الجمع عن المفرد ، إما فى عدد حروفه فقط ، وإما فى عدد حركاته فقط ، وإما فيهما معا (النحو الوافى ١ / ٩٦ – الحاشية / ٢) .

(٥) شرح الأشمونى ١ / ٨٥ (وقيل : إن سنه أصلها سنه أو سنو – شرح الأشمونى ١ / ٨٤) .

(٦) معانى القرآن ٢ / ٩٢

الله عليه وسلم — فى إحدى روايتين «اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف»[١] ومثل قول الصمة بن عبد الله القشيرى :

ذَرَانِىَ من نَجْد فإن سنينَه   لَعِبن بنا شيبا وشَيَّبْننا مُرْدا[٢]

والشاعر نجدى من قشير من قيس[٣] . إلى غير ذلك من الشواهد[٤] .

أما على أى وزن من أوزان جمع التكسير وردت هذه الكلمات فى صيغتها التميمية ؟

أجاب عن ذلك بعض النحاة فقالوا :

١ — إنها جاءت على فَعِيل مثل عَبِيد وكَلِيب جمع عَبْد وكَلْب إلا أن الفاء كسرت وصارت فِعِيل لكسرة عين الكلمة[٥] ، وهذا تماثل كلي تخلفي منفصل . ويذكر الجوهرى بشأن «سنين» و«مئين» ، «أن صاحب هذا القول يجعل النون فى آخره بدلا من الواو . وفى المئة بدلا من الياء»[٦] .

٢ — أو إنها — كما قال الأخفش — جمعت جمعا شاذا . وقد يجىء فى الجموع مالا نظير له[٧] .

٣ — ويفهم من تعقيب الفراء على النهج التميمى أن هذا الصنف من الكلمات «نقصت لامه فلما جمعوه بالنون توهموا أنه فُعول إذ جاءت الواو وهى واو جِماع فوقعت فى موقع الناقص فتوهموا أنها الواو الأصلية وأن الحرف على فُعُول»[٨] .

يفهم من قوله هذا أن التميميين حولوا بعد ذلك فُعُولا إلى فِعِيل[٩]

والذى أميل إليه أن تميما اختارت الجمع بالياء والنون لحالات الإعراب الثلاث دون الواو الخاصة بحالة الرفع فى لغة الحجازيين وفق قانون سيادة حالة إعرابية[١٠] على بقية الحالات فى التطور اللغوى على نحو ماسنلاحظه عند بعض التميميين — وكذلك بعض القبائل الأخرى من لزومهم الألف والنون فى إعراب بعض الأسماء الستة ، ثم توهموا أنها جمعت جمع تكسير فأعربوها بالحركات الثلاث .

---

(١) شرح الأشمونى ١ / ٨٧

(٢) معانى القرآن ٢ / ٩٢ ، بدون نسبه وعزاه العينى لقائله (شرح شواهد الأشمونى ١ / ٨٦) .

(٣) جمهرة أنساب العرب ٢٨٩   (٤) انظر : معانى القرآن للفراء ٢/٩٢   (٥) الصحاح (سنه) ٦/٢٢٣٦ واللسان (سنه) ١٧/٣٩٥   (٦، ٧) المرجعان السابقان .   (٨) معانى القرآن ٢ / ٩٣

(٩) وهذا مانقله النحاس عن الفراء ، إذ يقول : «والعلة عنده (أى الفراء) فيه أن الواو لما وقعت موقع حرف ناقص توهموا أنها واو فعول فأعربوا مابعدها وقلبوها ياء» (إعراب القرآن ١١١ / أ) .

(١٠) من أمثلة هذه السيادة : إعراب بعض الأسماء الستة فى الحالات الثلاث عند بطنين من تميم — على ماسنعرضه — ولزوم جمع المذكر السالم فى لهجاتنا المعاصرة الياء والنون ، ولزوم حذف النون فى الأفعال الخمسة فى اللهجة المصرية المعاصرة (المصطلح وتعريفه عن الدكتور رمضان عبد التواب — من حديث شخصى معه) .

ثالثا : بين الاعراب والبناء

كان لتميم نهج خاص فى إعراب طائفة من الكلمات يختلف عن نهج غيرها من العرب . وقبل مناقشة ذلك نحب أن نبدأ بالتمهيد التالى :

تمهيـــد :

إن ظاهرة الإعراب أقدم من البناء ، بل إن بروكلمان ليظن أن السامية الأولى كانت تعرف الإعراب وتفرق بين الحالات الثلاث : الرفع والنصب والجر [1] ويقول برجشتراسر : « الإعراب سامى الأصل تشترك فيه اللغة الأكدية وفى بعضه الحبشية ، ونجدا آثار منه فى غيرها أيضاً » [2] . وذهب نولدكه إلى أن النبطية عرفت الحركات الثلاث : الضمة (u) فى حالة الرفع ، والفتحة (a) فى حالة النصب ، والكسرة (i) فى حالة الجر . غير أنهم لم يكونوا يلحقون هذه الحركات بالنون [3] .

ولوحظ على النقوش الأجريتية التى اكتشفت سنة ١٩٢٩ فى شمال اللاذقية والتى ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد أن للهمزة صورا ثلاثا : إحداهما خاصة بالهمزة المضمومة ، والثانية بالمفتوحة ، والثالثة بالمكسورة ، ووجد العلماء فى الكلمات المنتهية بهمزة ما يدل على وجود الإعراب بالحركات الثلاث الموجودة فى العربية [4] .

وفقدان الإعراب وتطوره إلى بناء قد تم بمقتضى قانون من قوانين التطور الصوتى ، وهو « ضعف الأصوات الأخيرة فى الكلمة وانقراضها ، وهو قانون عام قد خضعت له جميع اللغات الإنسانية » [5] وهو ما يطلق عليه .

" Assourdissement de consonnes sonores finales "

وفيما يلى الكلمات التى خالفت فيها تميم غيرها إعرابا أو بناء :

---

(١) فقه اللغات السامية ١٠٠ (الفقرة ١٧٠) ، وإلى هذا ذهب أيضا الدكتور خليل نامى (انظر : دراسات فى اللغة العربية ١٨)

(٢) التطور النحوى ١١٦

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على ٧ / ٢٩٥ وفقه اللغة المقارن للسامرائى ١١٨ عن Th. Nöldke Die Semitischen Sprachen, Leipzig 1899 S.51 F

(٤) دراسات فى اللغة العربية ٢١

(٥) علم اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى ٣٠٥

١ ـ أمس :

كان للعرب فى « أمس »[1] ستة مذاهب :

الأول : أن تعامل معاملة الأسماء المتمكنة ، فتصرف وكان هذا مذهب بعض العرب وإن لم يحددوا ، فكانوا يقولون مثلا فى حالة الرفع : مضى أمسٌ بما فيه[2] .

الثانى : رفعها بالضمة مع منعها من الصرف ، وبناؤها على الكسر فى حالتى النصب والجر . وقد نسب ذلك إلى تميم[3] .

الثالث : معاملتها معاملة الممنوع من الصرف[4] فترفع بالضمة وتنصب وتجر بالفتحة ، فيقال مثلا : مضى أمْسُ بما فيه (دون تنوين) وفى النصب : فعلته أمسَ[5] . وكذلك فى الجر مثل قول الراجز :

* لقد رأيتُ عَجَباً مُذْ أَمْسَا *

* عجائزا مِثْلَ السَّعالِى خَمْسَا *[6]

وقد نسب هذا المذاهب إلى بعض بنى تميم[7] .

الرابع : بناؤها على الكسر فى جميع الأحوال ، وهو مذهب أهل الحجاز[8] .

الخامس بناؤها على الفتح فى جميع الأحوال[9] .

السادس : تنوينها مع بنائها على الكسر فى جميع الحالات ، مثل رأيته أمسٍ[10] .

---

(١) يشترط فى أمس هذه : ألا تكون نكرة بأن يراد بها أى يوم من الأيام السابقة بل يراد بها اليوم السابق لليوم الذى نحن فيه ، وألا تضاف ، ولاتقترن بالألف واللام ، ولاتكون مصغرة ولا مجموعة جمع تكسير (آمس ، أو أموس بضم الهمزة ، أو آماس) ، لأنها حينئذ تعرب (شرح الأشمونى وحاشية الصبان ٣ / ٢٦٨) .

(٢) شرح المفصل ٤ / ١٠٦   (٣) الكتاب ٣ / ٢٨٣

(٤) شرح السيرافى على الكتاب (انظر : الكتاب ٣ / ٢٨٤ ، وشرح المفصل ٤ / ١٠٧)

(٥) شرح المفصل ٤ / ١٠٧

(٦) الكتاب ٣ / ٢٨٥

(٧) شرح السيرافى على الكتاب (انظر : هامش الكتاب ٣ / ٢٨٤)

(٨) الكتاب ٣ / ٢٨٣

(٩) همع الهوامع ١ / ٢٠٩ (عن الزجاج والزجاجى) .

(١٠) همع الهوامع ١ / ٢٠٩ (عن الزجاج) ، وتاج العروس (أمس) ٤ / ٩٨

والخلاصة : أن المذهب الرابع نسب إلى الحجاز أما التميميون فقد كانوا فريقين فريق انتهج المذهب الثانى والاخر انتهج الثالث . أما المذاهب الثلاثة الأخرى فلم يحدد أصحابها .

وفى ضوء تقديمنا لهذا الموضوع نرى أن هذه الكلمة تطورت على النحو التالى :

١ – الإعراب الكامل مع التنوين وهذا ما عزاه ابن يعيش لبعض العرب – كما ذكرنا – وكلمة « أمس » المكونة من ثلاثة أحرف تحتمل الإعراب الكامل وهو ما أطلق ليه النحاة « التمكن الأمكن » . لذا لا نعجب إن رأينا ابن يعيش يصف هذا المنهج بأنه « غريب فى الاستعمال دون القياس »[١] .

٢ – حذف التنوين ، وهو المرحلة التى نلحظها لدى التميميين الذين اختار بعضهم الضم والكسر وبعضهم الآخر الضم والفتح ، فاستغنى كل فريق عن حركة واحدة .

٣ – الاكتفاء بحركة واحدة ، وهذا ما نراه لدى الحجازيين الذين اختاروا الكسر وبعض العرب الذين بنوا الكمة على الفتح . وقد تم ذلك وفقاً لقانون سيادة حالة إعرابية على بقية الحالات فى التطور اللغوى .

ونخلص من كل ما تقدم أن الكلمة فى صورتها التميمية تمثل مرحلة وسطى بين مرحلتين هما الإعراب الكامل والبناء .

* * *

٢ – ما جاء على « فَعالِ » علما لمؤنث :

تكلم العرب بوزن « فَعَالِ » ويقسمه العلماء إلى أربعة أنواع[٢] .

الأول : اسم للفعل ، مثل : نَزالِ يا فتى ، أى انزْل ؛ وحذارِ زيدا ، أى احْذرْه[٣] . ومعنى « فَعالِ » هنا افْعَلْ[٤] .

---

(١) شرح المفصل ٤ / ١٠٧

(٢) هذه الأنواع الأربعة معدولة عن غيرها ، وهناك ضرب خامس غير مشتق ، مثل سحاب وعناق (المقتضب ٣ / ٣٦٨)

(٣) الكامل للمبرد ١ / ٢٧٩

(٤) الكتاب ٣ / ٢٨٠ ، والمخصص ١٧ / ٦٣

الثانى : اسم للوصف المؤَنث ، وهذا النوع ينقسم إلى ضربين :

(أ) ما جاء معدولا فى النداء من صفة لمؤَنث تحل محل الاسم ، كقول العرب : ياخَباثِ ، يريدون يا خبيثة . وهذا الضرب قياسى .

(ب) ما جاء من صفة غالبة فى المؤَنث فى غير النداء تحل محل الاسم ، مثل : حَلاقِ ، معدولة من حَالِقة ، وهى صفة غالبة للمنية ، لأَنها تحلق كل شىء أى تهلكه ، وهذا الضرب سماعى [1] .

الثالث : اسم للمصدر ، وهو المعدول من مصدر مؤَنث معرفة كقول العرب : يسارِ ، يريدون المَيْسَرة . . وهو سماعى [2] .

وهذا الذى عده النحاة معدولا ، هو فى الأَصل صيغة قديمة من صيغ اسم الفاعل فى اللغات السامية ، احتفظت بها اللغة الحبشية ، وهى فيها على وزن فَعالِى (بكسر اللام كسرة طويلة) ومن أمثلتها (صلائى : ṣalāʾī) بمعنى كاره ، و (تكالى : takālī بمعنى زارع ، و (حساوى : hasāwī بمعنى كاذب [3] .

الرابع : ما جاء من فَعالِ من الأَنواع الثلاثة السابقة اسما علما لمؤَنث (امرأة كانت أو أى شى آخر) كقول العرب : حذام [4] ، وقطام ورقاش أعلاما للنساء ، وسراب اسما لناقة [5] .

والأَنواع الثلاثة الأُولى تتفق العرب فى بنائها على الكسر [6] ، عدا بنى أسد الذين بنوا النوع الأَول على الفتح ، فقالوا مناعَها [7] .

---

(١) الكتاب ٣/٢٧٠ والمخصص ١٧/٦٤

(٢) المرجعان السابقان

(٣) فى قواعد الساميات ٢٥٥

(٤) من الحذم بمعنى القطع (حاشية الصبان ٣ / ٢٦٨) وهناك أقوال أخرى (راجع تعليق الأستاذ هارون : الكتاب ٣ / ٢٧٧ ، ٢٧٨)

(٥) الكتاب ٣ / ٢٧٧ ، والمخصص ١٧ / ٦٦

(٦) الكتاب ٣ / ٢٧٢ / ٢٧٥

(٧) تسهيل الفوائد ٢٢٣ ، واللسان (منع) ١٠ / ٣٢١ ، وحاشية الصبان ٣ / ٢٧٠

أما النوع الرابع ـ وهو ما كان علما لمؤنث ـ فقد كان موضع خلاف بين تميم والحجازيين بل حدث خلاف فى داخل القبيلة التميمية يتضح من قول سيبويه « واعلم أن جميع ما ذكرنا [أى اسم الفعل والوصف واسم المصدر] إذا سميتَ به امرأة ، فإن بنى تميم ترفعه وتنصبه وتجريه مجرى اسم لا ينصرف ، وهو القياس ؛ لأن هذا لم يكن اسما علما ، فهو عندهم بمنزلة الفعل الذى يكون فَعالِ محدودا عنه ، وذلك الفعل اِفْعَل . . . وكذلك كل فَعَالِ إذا كانت معدولة من غير اِفْعَل إذا جعلتها اسما ، لأنك إذا جعلتها علماً ، فأنت لا تريد ذلك المعنى ، وذلك نحو حَلاقِ التى هى معدولة عن الحالقة ؛ وفجارِ التى هى معدولة عن الفَجْرة ، وما أشبه هذا . ألا ترى أن بنى تميم يقولون : هذه قطامُ وهذه حذامُ ؛ لأن هذه معدولة عن حاذمة وقطام معدولة عن قاطِمة أو قَطْمة . . . . وأما أهل الحجاز فلما رأوه اسما لمؤنث ورأوا ذلك البناء على حاله لم يغيروه ، لأن البناء واحد : وهو ههنا اسم للمؤنث . . . فأما ما كان آخره راء ، فإن أهل الحجاز وبنى تميم فيه يتفقون ، ويختار بنو تميم فيه لغة أهل الحجاز . . . وقد يجوز أن ترفع وتنصب ما كان فى آخره الراء »[1] .

نخلص من كلام سيبويه أن العرب كان لهم فيما جاء على وزن « فَعالِ » علما لمؤنث منهجان :

الأول : الحجازى . وهو البناء على الكسر .

الثانى : التميمى ، وهو إعرابه إعراب مالا ينصرف إلا فيما كان آخره راء ، فمعظم بنى تميم وافقوا الحجازيين فى البناء على الكسر ، وبعضهم أعرب حسب منهجه فيما ليس آخره راء ، وهو منعه من الصرف .

---

(١) الكتاب ٣ / ٢٧٧ – ٢٧٩ ، وانظر : المقتضب ٣ / ٣٧٣ – ٣٧٦ ، وتسهيل الفوائد ٢٢٣ ، وشرح شذور الذهب ٩٤ – ٩٨ ، وشرح قطر الندى ١ / ٧ ، ٨ ، ٢ / ٩٢ ؛ ٩٣ ، وشرح الأشمونى ٣ / ٢٦٨ ، ٢٦٩ .
وممن عرض هذا الموضوع دون أن يشير إلى اختلاف بنى تميم فيما آخره راء ابن الشجرى فى : الأمالى ٢ / ١١٤ ، ١١٥ ، وابن عقيل فى شرحه لألفية ابن مالك ٢ / ٣٣٦ ، ٣٣٧

وإذا كان الإعراب مرحلة سابقة على البناء –كما ذكرنا – فإننا نرى أن النهج التميمى فى الكلمات التى ليس آخرها راء يمثل النهج القديم والحجازى – وكذلك التميمى – فى الكلمات المنتهية براء يمثل الحديث .

ولا نحب أن ننهى الحديث عن « فَعَالِ » دون أن نشير إلى أن الجوهرى وسَّع دائرة اللغة التميمية فنسبها إلى نجد بصفة عامة[1] وتبعه فى ذلك صاحبا اللسان[2] وتاج العروس[3] .

وفى رأيى أن هذه النسبة ليست دقيقة ، فالجوهرى يعنى بنجد هنا تميما بدليل مخالفة بنى أسد لتميم ، وهم أيضاً من سكان نجد ، إذ كانوا يعربون هذا الصنف من الكلمات الحركات الثلاث مع التنوين ، ولاتفاق ذلك مع النصوص التى اقتصرت فى نسبتها على تميم.

* * *

٣ – حيث :

حيث ظرف مبهم من الأمكنة[4] والمشهور عنها أنها بالياء وضم الثاء ، ولكن وردت لها صيغ أخرى ويعنينا هنا الجانب النحوى ضبط الثاء . ومناهج العرب فى ذلك هى :

(أ) البناء على الضم (حيثُ) وهو النهج الذى أخذت به اللغة المشتركة لأنه الضبط الذى يكتفى به العلماء عند الحديث عنها دون التعرض للغات الأخرى ، وبه قرئت الكلمة فى القرآن الكريم ، قال تعالى : (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامنها رغدا حَيْثُ شئتما)[5] .

(ب) البناء على الفتح (حيثَ) وهو لغة لبعض التميميين وهم بنو يربوع وطهية ، جاء فى المحكم : « قال الكسائى : وسمعت فى بنى تميم من يربوع وطهية من

---

(١) الصحاح (رقش) ٣ / ١٠٠٧ ، و (قطم) ٥ / ٢٠١٤

(٢) (رقش) ٨ / ١٩٥ ، و (قطم) ١٥ / ٣٩١

(٣) (رقش) ٤ / ٤١٤ ، و (قطم) ٩ / ٣٠

(٤) المحكم ٣ / ٣٣٢

(٥) البقرة ٢ / ٣٥ ، وانظر إحصاء بالآيات التى وردت فيها هذه الكلمة فى « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » ٢٢١ ، ٢٢٢

ينصب الثاء على كل حال فى الخفض والرفع ، فيقول ، من حيثَ التقينا ، ومن حيثَ لا يعلمون ولا يصيبه الرفع فى لغتهم »[1] .

(ج) البناء على الكسر (حيثِ) وهى لغة لم يحدد أصحابها[2] .

(د) الإعراب بالحركات الثلاث[3] وكان لبطنين من بنى أسد ، جاء فى المحكم : وقال (أى الكسائى) سمعت فى بنى أسد بن الحارث بن ثعلبة وفى بنى فقعس كلها يخفضونها فى موضع الخفض وينصبونها فى موضع النصب، فيقولون من حيثِ لا يعلمون[4] » على أن ابن هشام يذكر أن قراءة (من حيثِ لا يعلمون)[5] تحتمل لغة البناء على الكسر التى ذكرناها فى الفقرة السابقة — إلى جانب احتمال الإعراب[6] .

مما سبق يتبين لنا أن العرب كان لهم فى « حيث » مسلكان :

الأول : الإعراب بالحركات الثلاث دون تنوين .

والآخر : البناء على إحدى هذه الحركات .

وقد سارت مرحلة البناء فى طرق ثلاثة : الضم والفتح والكسر ، ويعنينا منها الفتح الذى وجدناه لدى بطنين من تميم هما يربوع وطهية اللذان ينتميان إلى حنظلة بن مالك. ونلاحظ أن هذا الاتجاه لم يصل إلى مرتبة اللغة ، فهو لم ينتشر فى داخل القبيلة بأسرها .

* * *

٤ — هيهات :

ما قلناه عن « حيث » يصلح لأن نوجهه لهيهات ، فقد وردت هذه الكلمة بصيغ كثيرة تربو على الأربعين[7] . من هذه الصيغ « هيهاتَ » من غير تنوين بفتح التاء

---

(١) المحكم ٣ / ٣٣٢ (٢) مغنى اللبيب ١ / ١١٦ ، والتكملة (حيث) ١ / ٣٥٩

(٣) مغنى اللبيب ١/١١٦

(٤) المحكم ٣ / ٣٦٣ ، وانظر نسبة الحارث بن ثعلبة وفقعس بن طريف إلى أسد بن خزيمة فى جمهرة أنساب العرب ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ومعجم قبائل العرب ١ / ٢٧٧ ، ٣ / ٩٢٥

(٥) الأعراف ٧ / ١٨٣ (٦) مغنى اللبيب ١ / ١١٦

(٧) البحر المحيط ٦ / ٤٠٥ ، وشرح الأشمونى ٣ / ١٩٩ ، ٢٠٠ ، وحاشية الصبان ٣ / ٢٠٠

وبضمها وبكسرها . وبالصور الثلاث مع التنوين. وقد نسبت الصيغة الأُولى إلى الحجاز والثالثة إلى تميم ، ولم تعز الصور الأربع الأُخرى ، قال الزمخشرى : « هيهات بفتح التاء لغة أهل الحجاز وبكسرها لغة أسد وتميم. ومن العرب من يضمها وقرىء بهن جميعاً ، وقد تنون على اللغات الثلاث »[١] .

وهذه الصيغ توحى لنا أن الكلمة كانت فى مرحلة من حياتها معربة. وشبيه بهذا الإيحاء أحس به ابن جنى من قبل حين قال : « غير أن من رفع فقال هيهاةٌ ، فإنه يحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون أخلصها اسما معربا فيه معنى البعد ، ولم يجعله اسما للفعل فيبنيه كما بنى الناس غيره ، وقوله (لما توعدون) خبر عنه ، فكأنه قال : البعد لوعدكم[٢] » .

هذه الكلمة إذن كانت تراعى الإعراب بالحركات الثلاث مع التزام التنوين ،ثم اتجهت إلى تقصير البنية بحذف التنوين ، واتجهت أيضاً إلى الاكتفاء بحركة واحدة ، فنحت تمم نحو الكسر ومالت الحجاز إلى الفتح ، واتجه غيرهما إلى الضم ،وإلى جانب ذلك نطقت بعض البيئات صيغاً أُخرى .

موقف القراءات القرآنية من الصيغة التميمية :

إذا كان جمهور القراء قرءُوا قوله تعالى :(هيهاتَ هيهاتَ لما توعدون)[٣] بفتح التائين من غير تنوين وفقا للغة الحجازية التى اختارتها اللغة المشتركة ، فإنه قرىء كذلك ببعض اللغات الأُخرى ، ومنها منها التميمية التى شاركتها فيها بنو أسد (هيهاتِ) ، فقد قرأ بها أبو جعفر[٤] وعيسى الثقفى[٥] وشيبة[٦] .

نخلص مما سبق أن تميما أعربت « أمس » و « ما جاء على فعال » مخالفة الحجازية التى اتجهت إلى بنائهما والتى نرجح أن لغتها هى الحديثة وبنت تميم الكلمتين « حيث » و « هيهات » متفقة مع الحجازية وإن اختلفتا فى الحركة التى سادت . وهاتان الكلمتان أعربتا عند غيرهم مما يجعلنا نميل إلى أن المرحلة التميمية هى الحديثة ، ومثلها أيضاً الحجازية .

---

(١) المفصل (ضمن شرح المفصل لابن يعيش) ٤ / ٦٥ ، وانظر : شرح المفصل ٤ / ٦٥ ، ٦٦ ، والبحر المحيط ٦ / ٤٠٤ (٢) المحتسب ٢ / ٩١ (٣) المؤمنون ٢٣ / ٣٦

(٤) مختصر فى شواذ القرآن ٩٧ ، والبحر المحيط ٦ / ٤٠٤ ، والإتحاف ٣١٨

(٥) البحر ٦ / ٤٠٤ ، ومختصر فى شواذ القرآن ٩٧ ، والمحتسب ٢ / ٩٠ (٦) البحر ٦ / ٤٠٤

رابعا : بين الصرف ومنعه

أولا : عزا مكى بن أبى طالب (ت٤٣٧) إلى بعض التميميين أنهم كانوا يصرفون كلمة « فُراد » مخالفين النطق المشهور الذى لم يكن ينونها[1]. وذكر أبو حيان أنه « لغة تميم » بصفة عامة دون أن يخصص بعضهم[2]. كما نسب أبوزيد التنوين إلى الكلابيين[3]

ثانيا :

١ ــ كان الحجازيون يؤنثون عكاظ (السوق الشهير) ويذكّره التميميون[4].

٢ ــ نقل الجوهرى عن الأخفش أن الحجازيين يؤنثون الكلاّء (سوق البصرة) وبنى تميم يذكرونه[5].

وكون التميميين يذكرون اللفظين وهما علمان ؛ فهذا يعنى أنهم كانوا يصرفونهما .

مناقشة ما نسب الى تميم مصروفا :

(أ) فُرَادٌ : نطق بعض التميميين كلمة « فُرادٌ » مصروفة فى مقابل « فرادُ » ، و « فرادَى » ، قال الفراء : « والعرب تقول : قومٌ فرادَى وفرَادُ يا هذا فلا يجرونها شبهت بثُلاث ورُباع[6] .

ونلاحظ أن اللفظ فى صيغته التميمية الكلابية جاء على « فُعال » والقاعدة العامة أن كل ماجاء على هذا الوزن ــ وكذلك وزن « مَفْعَل » من ألفاظ العدد من واحد إلى أربعة وضم بعضهم بقية الأعداد من الواحد إلى العشرة مثل أُحاد وثُلاث فإنه يمنع من الصرف ويذكر النحاة أن علة ذلك الجمعُ بين العدل والصفة ، لأنه بالنسبة لهذين اللفظين (أى أُحاد وثُلاث) فإنهما معدولان عن واحد وثلاثة . فإذا قلنا : جاء القومُ أُحادَ أو ثُلاث فالمعنى : جاء القوم واحدا واحدا ، وجاء القوم ثلاثة ثلاثة[7] لكن لفظ « فراد » على الرغم من أنه

---

(١) مشكل إعراب القرآن ٢٦١ (٢) البحر المحيط ٤ / ١٦٣

(٣) تهذيب اللغة ١٤ / ٩٨ ، واللسان (فرد) ٤ / ٣٢٨

(٤) المصباح (عكظ) ٤٢٤ (٥) الصحاح (زقق) ٤ / ١٤٩١

(٦) معانى القرآن للفراء ١ / ٣٤٥ ، وتهذيب اللغة ١٤ / ٩٨ ، ولسان العرب (فرد) ٤ / ٣٢٨

(٧) شرح ابن عقيل ٢ / ٣٢٦ ، وشرح الأشمونى ٣ / ٢٤٠

يدل على العدد المفرد إلا أنه من غير لفظ « واحد » فكان طبيعيا ألا يمنع من الصرف وهذا ما وجدناه لدى التميميين والكلابيين الذين كانوا يجاورونهم فى سكنى نجد .

أما غير التميميين فقد منعوا اللفظ من الصرف . وبهذا أخذت اللغة المشتركة كما اتضح من كلام الفراء السابق ذكره « والعرب تقول . . . » وكلمة « العرب » تفيد أن هذا هو الذى كان شائعاً فى الجزيرة العربية وأنه المستعمل فى الفصحى . والذين منعوا الصرف فعلوا ذلك ، لأنهم عاملوا « فراد » كما تعامل « أُحاد » وقد عبر عن ذلك الفراء — فى قوله السالف الذكر « شبهوها بثّلاث ورُباع » وبهذه الصيغة غير المنونة وردت الكلمة فى قول تميم بن مقبل يصف فرسا :

ترى النُّعرات الزُّرقَ تحت لَبَانِه فُرَادَ ومَثْنَى أَصعَقَتْها صواهله[1]

ووردت هذه الصيغة (فرادى) فى بيت تميم بن مقبل السابق فى رواية الديوان ، واللسان (صعق)[2] .

وورد البيت فى « معانى القرآن » برواية أخرى هى « أُحاد »[3] مما يعضد قياس « فُراد » عليه .

موقف القراءات القرآنية من الصيغة التميمية :

وردت هذه الكلمة فى قوله تعالى : (ولقد جئتمونا فُرادى)[4] وبهذه الصيغة قرأ جمهور القراء ، ولكن قرئ فى الشواذ وفق اللغة التميمية (فُرادًا) : قرأها أبو حيوة[5] ، وأبو عمرو[6] ، وعيسى بن عمر[7] .

---

(١) الديوان ٢٥٢ وفيه « فرادى » أما رواية « فراد » التى أثبتناها فن معانى القرآن للفراء ١ / ٣٤٥ وتهذيب اللغة ١٢ / ٩٨ ، واللسان (فرد) ٤ / ٣٢٨ ، (والبيت غير منسوب فى هذه المراجع الثلاثة) (النعرات جمع النعرة وهى ذبابة تسقط على الدواب فتؤذيها — اللبان : الصدر — أصعقتها : قتلتها) . ورواية اللسان (فرد) « أضعفتها » — الصواهل جميع صهيل وهو الصوت ، أى أن صهيل الفرس قتل هذه الذبابات) (انظر : التعليق على البيت بالديوان ٢٥٢ ، ٢٥٣)

(٢) اللسان (صعق) ١٢ / ٦٧ (٣) معانى القرآن ١ / ٢٥٥ (٤) الأنعام ٦ / ٩٤

(٥) مشكل إعراب القرآن ٢٦١ ، وشواذ القراءة للكرمانى ٧٩

(٦) مشكل إعراب القرآن ٢٦١ (فى إحدى نسخه وهى النسخة التى رمز لها المحقق : « د » أى نسخة دار الكتب) .

(٧) مختصر فى شواذ القرآن ٣٨

(ب) عكاظ والكلاء : وهما سوقان كان الأول بالقرب من مكة والآخر بالبصرة .

ونلاحظ أنهما علمان مذكران تذكيرا لفظيا ، تضمن كل منهما أكثر من ثلاثة أحرف . وقد اختلف التميميون والحجازيون فى معاملتهما ، فعاملهما الأولون على أنهما مذكران وعاملهما الآخرون على أنهما مؤنثان .

والقاعدة أن المؤنث الذى لم تلحق به علامة التأنيث يمنع من الصرف ، سواء أكان ثلاثيا متحرك الوسط أم أكثر من ثلاثى. أما الثلاثى الساكن الوسط فيحتمل الأمرين : التنوين وعدمه (١) .

وعلى ذلك خالف التميميون الحجازيين إذ صرفوا اللفظين أما الحجازيون فمنعوهما من الصرف . وكلا الفريقين لم يخرج فى معاملته اللفظين على النهج العام للعربية فى صرفه أو عدم صرفه نظائرهما ، وإذا كانت كتب التراث لم تمدنا إلا بهذين العلمين ، فإن القاعدة تنطبق على كل علم شبيه بهما .

ونخلص مما سبق :

١ ــ صرفت تميم لفظ «فُراد» لعدم اشتماله على علة تمنعه من الصرف ، أما غيرهم فقاسوه بلفظ يرادفه (أُحاد) .

٢ ــ صرفت تميم طائفة من الألفاظ على حين لم ينونها غيرهم ، مثل عكاظ ، لاختلاف نظرة كل فريق لها تأنيثا وتذكيرا ، إذ عاملتها تميم على أنها مذكرة والحجاز على أنها مؤنثة .

---

(١) اللمع لابن جنى ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، وشرح الأشمونى ٣ / ٢٥٣

خامسا : بين الاعراب والحكاية

اختلفت مناهج العرب فى الاسم الذى يجوز حكايته :

١ : فمنهم من أجاز حكايته فى المعارف دون النكرات ، من ذلك قول الشاعر :

* سمعت الناسُ ينتجعون غيثا *

برفع كلمة «الناس» ، كأنه سمع قائلا يقول : الناسُ ينتجعون غيثا .

٢ ـ ومنهم من أجازها أيضا فى النكرات إلى جانب المعارف ، ومثال هذا النوع قول بعضهم وقد قيل له : عندى تمرتان ، فقال : دعنى من تمرتان[١] .

٣ ـ وقصرها الحجازيون من بين المعارف على العلم[٢] .

٤ ـ من لم يحك فى كل أوجه الكلام ، وكان هذا نهج بنى تميم[٣] ، على حين إن الحجازيين يحكون العلم وفق إعرابه فيقولون مثلا :

من زيدٌ ؟ سؤالا عمن قال : زيدٌ مهذبٌ .

ومن زيداً ؟ سؤالا عمن قال : رأيت زيدا .

ومن زيدٍ ؟ سؤالا عمن قال : بعثت إلى زيدٍ كتابا ، نجد أن تميما تلتزم صورة واحدة هى الرفع ، فلا تسأل إلا بصيغة واحدة ، هى : من زيدٌ ؟[٤] .

ولم يشع من صور الحكاية إلا النهج الحجازى ، بدليل أن الصورتين الأخريين حكيتا بغير أداة استفهام ، والنحويون يعدون ذلك شاذا[٥] . وأن ماذكره ابن الأنبارى من مثال للحكاية فى المعارف كلها (سمعت الناسُ ينتجعون غيثا) عده غيره من حكاية الجملة ، مثل قوله تعالى[٦] : (وقالوا : الحمدُ لله[٧]) .

---

(١) أسرار العربية ١٥٤ (٢) شرح الأشمونى ٤ / ٩١

(٣) أسرار العربية ١٥٥

(٤) المرجع السابق ، والكتاب ٢ / ٤١٣ ، واللمع ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ويذكر أبو حيان أن الحجازيين منهم من يحكى ومنهم من لا يحكى موافقا بنى تميم (إرتشاف الضرب ٦٨ / أ)

(٥) شرح الأشمونى ٤ / ٩٣ (٦) فاطر ٣٥ / ٣٤

(٧) شرح الأشمونى ٤ / ١٣

ويحكى بـ « مَنْ » عند أهل الحجاز غير الأعلام ، فيحكى بها وبأى النكرات ، فإذا قيل مثلا : مررت بحمار ورجلٍ : قلت : أيٌّ ؟ ومَنِى ؟ [١] و «منْ » يحكى بها العاقل فقط ، أما «أى » فيحكى بها العاقل وغير العاقل[٢] . وقد فصلت كتب النحو صيغ هاتين الكلمتين وفق حالة المحكى من إعراب ونوع وعدد فى الوقف والوصل . وهذا لايعنينا ذكره بالتفصيل لعدم صلته باللغة التميمية .

نظرة تاريخية :

ورأيي أن النهج التميمى ، وهو عدم الحكاية أسبق من الحجازى ، وذلك لعدة اعتبارات .

(أ) العدم يسبق الوجود .

(ب) يشترط للحكاية عند الحجازيين أن تكون فى غير العطف والنعت ، فإذا قيل : رأيت زيداً الظريفَ ، تسأل فتقول : من زيدٌ الظريفُ ؟[٣] ووجود الشرط يعنى أن مراحل الحكاية لم تتم ، والأصل عدم الحكاية .

(ج) إن الحجازيين قد يتركون الحكاية ويسايرون التميميين ، جاء فى «الهمع » «وقد يترك الحجازيون حكاية العلم مع وجود شرطه ويرفعون على كل حال لغة غيرهم » [٤] .

وماذهبنا إليه هنا من قدم التميمية على اللغة المشتركة تنبه إليه علماؤنا القدامى قال سيبويه : «وأما بنو تميم فيرفعون على كل حال ، وهو أقيس القولين » [٥] ، وقال ابن الأنبارى : «وأما بنو تميم فلا يحكون . . . وهو القياس » [٦]

(١) الصحاح (منن) ٦ / ٢٢٠٨ ، واللسان (منن) ١٧ / ٣٠٨
(٢) شرح الأشمونى ٤ / ٩٢
(٣) أسرار العربية ١٥٥
(٤) همع الهوامع ٢ / ١٥٣
(٥) الكتاب ٢ / ٤١٣
(٦) أسرار العربية ١٥٥

سادسا : ظاهرة الرفع

١ ـ ما ولا وليس :

تتفق ما ولا وليس في المعنى وهو النفي [١] ، لكنها تختلف في أن اثنين منها وهما ما ولاحرفان [٢] . أما ليس ففِعْل جامد غير متصرف ؛ وإن كان من العلماء من يرى أنها حرف [٣] وتتفق هذه الكلمات في عملها ، فللتميمي نهج يختلف عن نهج الحجازي . وفيما يلي عرض لكل كلمة على حدة :

(أ) ما :

كان للعرب في « ما » إذا دخلت على الجملة الاسمية نهجان :

الأول : إهمالها وعدم تأثيرها فيما يليها من مبتدأ وخبر ، فيظلان مرفوعين ، وذلك مثل : ماعبدُ الله أخوك ، ومازيدٌ منطلقٌ . وهذا منهج بني تميم .

الآخر : إعمالها عمل الأفعال الناسخة ، فالمبتدأ الذي يليها مرفوع ، أما الخبر فهو منصوب ، وذلك ، مثل : ماعبدُ الله أخاك ، ومازيدٌ منطلقا . وهذا مذهب الحجازيين [٤] ، غير أنها لاتعمل عندهم إلا باجتماع شرطين :

١ ـ دلالة الجملة على النفي .

٢ ـ ترتيب الجملة فـ « ما » أولا ، يليها اسمها ، يليه الخبر [٥] فلا تنصب الخبر عندهم إذا قلت مثلا : ما منطلقٌ عبدُ الله ، وما عبدُ الله إلا منطلقٌ لأن الخبر في الحالة الأولى تقدم على المبتدأ ، وفصل بين المبتدأ والخبر في الحالة الثانية ، قال سيبويه : « . . . كما أن ماكليس في لغة أهل الحجاز مادامت في معناها ، وإذا تغيرت عن ذلك ، أو قدم الخبر رجعت إلى القياس ، وصارت اللغات فيها كلغة تميم » [٦] .

---

(١) حاشية الصبان ١ / ٢٤٧ (٢) شرح الأشموني ١ / ٢٤٧ (٣) المغني ١ / ٢٢٧

(٤) الكتاب ١ / ٥٧ – ٥٩ ، وانظر : مجالس ثعلب ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، وأسرار العربية ٥٩–٦١ ، ومجالس العلماء للزجاجي ١١٢ ، ١١٣ ، وشرح المفصل ١ / ١٠٨ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٣٠٢ ، وشرح الأشموني ١ / ٢٤٧ وما بعدها وهمع الهوامع ١ / ١٢٣

(٥) شرح ابن عقيل ١ / ٣٠٣ – ٣٠٧ (٦) الكتاب ١ / ١٢٢

وفصل النحاة المتأخرون هذين الشرطين ، فقالوا :

١ — ألَّا ينتقض النفى بدخول إلا على الخبر مثل : مازيدٌ إلَّا منطلقٌ .

٢ — ألَّا تكرر « ما » نحو : ما مازيدٌ قائم ؛ لأن الجملة حينئذ تكون مثبتة .

٣ — ألَّا يزاد بعدها « إنْ » مثل : ما إنْ زيدٌ قائمٌ (وإن هذه نافية فوجودها ينقض النفى) [١] .

٤ — ألَّا يبدل من خبرها موجب ، مثل : مازيدٌ بشىءٍ إلَّا شىءٌ يُعبأ به .

٥ — عدم تقدم خبرها الذى ليس شبه جملة على اسمها .

٦ — ألا يتقدم معمول خبرها الذى ليس شبه جملة على الاسم مثل : ما طعامَك زيدٌ آكلٌ [٢] .

ولكننا لم نجد هذه الشروط مطردة دائما ، إذ إننا وجدناهم يعقبون على كل شرط منها بوجود مايخالفه [٣] .

نسبة ظاهرة الاهمال :

اكتفت طائفة كبيرة من العلماء على رأسها سيبويه بنسبة ظاهرة إهمال « ما » إلى تميم [٤] ، لكننا رأينا الكسائى يعزوها إلى نجد وتهامة [٥] ، ووجدنا ابن هشام ينسبها إلى الحجازيين والتهاميين والنجديين [٦] ، وعزاها ابن الخشاب إلى تميم وغيرهم من العرب ماعدا أهل الحجاز [٧] .

أما النسبة إلى الحجازيين فيدفعها إجماع العلماء على نسبة الإعمال إليهم . ومن غير المعقول أن يتكلموا بطريقتين متضادتين فى آن واحد. وأما النسبة إلى نجد وتهامة فقد نقلت عن الكسائى ، وهو عالم ثقة جاب الجزيرة وتنقل بين قبائلها [٨] . ولقد

---

(١) مابين القوسين عن : منحة الجليل على شرح ابن عقيل ١ / ٣٠٣

(٢) شرح ابن عقيل ١/٣٠٣-٣٠٧

(٣) المرجع السابق

(٤) الكتاب ١ / ١٢٢

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١٠٣ / ١

(٦) المغنى ٢ / ٦

(٧) المرتجل ١٧٦

(٨) راجع ص ٦١

كانت معظم مساكن تميم عند تسسيجل اللغة فى نجد وكثيرا ما يذكر اللغويون نجدا ويعنون تميما وحدها . أو هى وغيرها من جيرانها فكما سبق أن ذكرنا . ذلك وإن تهامة بيئة مقفلة يناسبها الإهمال ، وكونها تشارك النجديين ومنهم تميم فهذا أمر طبيعى لتشابه البيئتين .

القراءات القرآنية ولغة تميم :

إذا ما عرجنا على القراءات القرآنية لنعرف موقفها من اللغة التميمية ،نجد الجمهور يقرأ وفق اللغة الحجازية ، أما التميمية فقرئ بها فى القراءات الشاذة فالمفضل عن عاصم قرأ قوله تعالى : (ماهن أمهاتُهم)[1] بضم التاء[2] وقرأ ابن مسعود قوله عز وجل : (ما هذا بَشَرٌ)[3] بضم الراء[4] .

(ب) لا :

المقصود بـ «لا » هنا التى لا تكون نصا فى نفى الجنس ، أى أنها تحتمل نفى الجنس ونفى الواحد ، فقولنا : لا رجلٌ حاضراً ، يجوز أن تفيد نفى وجود رجل واحد أو نفى جنس الرجال جميعاً[5] والنص على وجود خلاف فى الجملة التى تحتوى على « لا» لم نره لدى قدماء النحويين أمثال سيبويه ، وإنما وجدناه لدى رجال القرنين السادس والسابع . لقد قرر أبو حيان أن المطرزى (ت ٦١٦هـ) هو أول من تكلم فى إعمال لا وإهمالها ونسب الأول إلى أهل الحجاز والآخر إلى تميم[6] . ولكن ينقض ذلك ما نسب إلى الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) ـ الذى عاش قبله بقرن ـ من عزوه الإعمال للحجاز والإهمال لتميم[7] .

ووجدنا المتأخرين ـ بعد المطرزى ـ كابن عقيل[8] (ت٧٦٩هـ) والأشمونى[9] (ت ٩٢٩هـ) يعزون المهملة إلى تميم والعاملة إلى الحجاز ، جاء فى شرح الأشمونى « (فى النكرات أُعْمِلَتْ

---

(١) المجادلة ٥٨ / ٢

(٢) مختصر فى شواذ القرآن ١٥٣ ، وشواذ القراءة للكرمانى ٢٣٩

(٣) يوسف ١٢ / ٣١ (٤) البحر المحيط ٥ / ٣٠٤

(٥) شرح ابن عقيل ١ / ٣٩٣ (٦) همع الهوامع ١ / ١٢٥

(٧) المفصل (ضمن شرح المفصل) ١ / ١١٤ وأخطأ السيوطى فعزا إلى الزمخشرى نسبة الإهمال لطيء لا لتميم قال « وفى كلام الزمخشرى : أهل الحجاز يعملونها دون طيء »(الهمع ١/ ١٢٥) .

(٨) شرح ابن عقيل ١ / ٣١٢ – ٣١٦ (٩) شرح الأشمونى ١ / ٢٥٣

كليس لا) النافية بشرط بقاء النفى والترتيب – على ما ر – وهو أيضاً خاص بلغة الحجاز دون تميم »[1] .

وعلى كل فجميع هؤلاء اللغويين قد نقلوا من علماء سابقين وإن لم ينصوا عليهم .

(ج) ليس :

« ليس » إحدى أخوات كان تدخل على الجملة الإسمية فترفع المبتدأ وتنصب الخبر ، لكن روى لنا أن جملتها وردت بصورة أخرى يظل فيها كل من المبتدأ والخبر مرفوعين ، وذلك إذا سبق الخبر بإلا نحو « ليس مِلاكُ الأمر إلا طاعةُ الله » وكان هذا النهج التميمى مخالفاً للآخر الذى نسب إلى الحجاز ، قال الأصمعى « جاء عيسى بن عمر الثقفى ، ونحن عند أبى عمرو بن العلاء ، فقال : يا أبا عمرو : ما شىءٌ بلغنى عنك تجيزه ؟ قال : وما هو (قال : بلغنى أنك تجيز : ليس الطيبُ إلا المسك بالرفع قال أبو عمرو : ذَهِبَ بك يا أباعمرو[2]، نمت وأدلجَ الناس ، ليس فى الأرض حجازى إلا وهو ينصب ولا فى الأرض تميمى إلا وهو يرفع »[3] .

وإذا كان الحجازى فى الكلمتين السابقتين يقيد الجملة التى تعمل ببقاء النفى ، فإنه هنا لا يفرق بين المنفية والتى انتقض نفيها ، فالخبر دائماً منصوب عنده .

تعقيب :

إن نطق الكلام على وتيرة واحدة تستريح إليه النفس ، وتأنس إليه الأُذن ، فهو أشبه بقوافى الشعر. والإنسان فى مراحل حياته الأُولى يميل إلى الرتابة فى نطقه[4] ، ثم ينتقل منها إلى التغيير ، وكذا شأن الشعوب . ونلحظ ذلك لدى الشعب العربى فى الشعر الذى بدأ عنده رجزا يتفق نهاية كل بيت (شطر) مع سابقه ، ثم انتقل بعد ذلك إلى القصيد[5] ، فلم يراع الاتساق إلا بعد كل بيتين أطلق على كل منهما شطرا ، وهذا

---

(١) المرجع السابق وما بين القوسين من ألفية ابن مالك .

(٢) كان عيسى الثقفى يكنى بأبى عمرو إلى جانب كنيته بأبى سليمان (نزهة الألباء ١٣ ، ١٤) .

(٣) الأمالى للقالى ٣ / ٣٩ وانظر فيه بقية القصة ، والمزهر ٢ / ٢٧٧ ، ٢٧٨

(٤) انظر : علم اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى ١٢٤

(٥) انظر : بدايات الشعر العربى ٢

الذى ذكرناه يتفق ورأى علماء اللغة المحدثين فى تطور الجملة فى اللغات بصفة عامة ، فالعالم الفرنسى « ڤندريس » يقرر أن ترتيب الكلمات فى كل اللغات يتجه نحو الاستقرار وذلك بأن يفرض النحو على الكلمات ترتيبا لا يتغير . أو بأن تكون العادة قد جرت باتخاذ ترتيب بعينه فى جميع الجمل التى من نوع واحد. فإذا أراد الإنسان أن يعبر عن انفعاله حاول أن يغير من الترتيب المألوف للكلمات فى داخل الجملة . ومن مظاهر التغيير جعل نصف الجملة التالى يسير على خطة جديدة لا صلة بينها وبين النصف الأول منها[١] .

وهذا الذى قرره « فندريس » يمكن أن تفسر به ما حدث فى ركنى جملة هذه الكلمات ، فقد رأينا أنه كان للعرب اتجاهان :

١ — السير على نسق واحد فى المبتدأ والخبر برفع كل منهما ، وكان هذا عند بنى تميم .

٢ — تغيير نظام النصف الثانى للجملة لدخول عنصر جديد عليها وذلك بنصبه ، وهذا ما نجده فى اللغة الحجازية .

ونستطيع بعد هذا أن نرجح قدم النهج التميمى وحداثة الحجازى فيما يتصل بهذه الكلمات الثلاثة . ونلاحظ أن الحجازى لم يتطور تطورا كاملا بالنسبة لـ « ما » و « لا » بدليل ما نراه من ثغرات : عبر عنها النحاة بأنها شروط لعملها . ويبدو أن هذه الثغرات بدأت تملأ بدليل أننا نجد كل شرط من هذه الشروط يوجه إليه اعتراض من بعض النحاة مستشهدين على ذلك بكلام عربى . وما الاعتراض هنا إلا دليل التطور . وفى رأيى أنه لو تأخر الزمن بتقعيد العربية لما رأينا هذه الشروط المجملة فى شرطين وهو ترتيب الجملة ومحافظتها على النفى ، ولتطورت اللغة الحجازية تطورا كاملا ثم تلتها التميمية .

أما بالنسبة لكلمة « ليس » فقد تطورت الحجازية تطورا كاملا فنصب خبرها بجميع صوره كما أنها تطورت عند التميمين أيضاً ولم تظل محافظة على أصلها وهو رفع الخبر إلا عند انتقاض النفى بدخول إلّا على الخبر . ولذا رأينا القدماء أمثال سيبويه — كما رأينا[٢] — وابن يعيش[٣] يعدّون نصب الخبر مع «ما» و «لا» عند الحجازيين قياسا على ليس التى تشاركها فى الدلالة .

---

(١) اللغة ١٩٦ (٢) راجع ص ٥٠٧ (٣) شرح المفصل ١١٦/١

كلمة ملحقة (إن) :

وأرى أن تلحق بهذه الكلمات الثلاث كلمة « إنْ » ، ونجد أن للعرب فى استعمالها أيضا منهجين :

الأول : إعمالها عمل ليس ، ويمثل هذا المنهج أهل العالية. وقد سمع منهم : إن أحدٌ خيرا من أحد إلا بالعافية ، وإنْ ذلك نافعَك ولا ضارك[١] والمراد بأهل العالية أهل الحجاز ، كما سبق أن ذكرنا .

الآخر : ويجعلها مهملة لا عمل لها ، أى أن ما يليها من مبتدأ وخبر مرفوعان . إذا كان النحاة الذين عرضوا لهذا الحرف لم ينسبوا هذا المنهج لقوم معنيين ، فإننا نميل إلى أنهم بنو تميم ، وذلك لأحد أمرين :

١ — إن لغتهم كانت تذكر فى الغالب مقابلة للغة الحجاز ، ونجد أحيانا نصوصا تشتمل على لغتين ، تنسب إحداهما للحجاز — مثلا — ولا تعزو الأُخرى ، ونجدها فى نص آخر لعالم آخر أو للعالم نفسه تنسب هذا المجهول إلى تميم ، أو العكس .

٢ — اتساقه مع منهج تميم لاتفاق « إنْ » مع الكلمات الأُخرى فى الدلالة والعمل .

وقد شاع المنهج الثانى ، أى إهمال «إنْ» حتى إن سيبويه والفراء لم يُقرّا إعمالها[٢] ، ويقول ابن هشام : ومما يتخرج على الإهمال الذى هو لغة الأكثرين قول بعضهم ، إنَّ قائمٌ ، وأصله : إنْ أنا قائمٌ ، فحذفت همزة أنا اعتباطا وأدغمت نون إنْ فى نونها وحذفت ألفها فى الوصل[٣] .

* * *

٢ — الابتداء بالمصدر :

(أ) المصدر والمشتق المنكران :

ونستهل دراسة هذا الموضوع بعرض النصين التاليين :

١ — جاء فى « تهذيب اللغة » نقلا عن « العين » : « والبُعْد أيضاً من اللعن ، كقولك : أبعده الله ، أى لا يُرثى له فيما يزل به ، وكذلك بُعْداً له وسُحْقاً ، ونَصب بعدا على المصدر ولم يجعله اسما ، وتميم ترفع فتقول :بُعْدٌ له وسُحْقٌ ، كقولك : غلامٌ له وفرسٌ »[٤] .

(١) المغنى ٢٢/١

(٢) المغنى ١ / ٢٢ ، وانظر : همع الهوامع ١ / ١٢٤

(٣) المغنى ٢٢/١ .

(٤) تهذيب اللغة ٢ /٢٤٤ ، وانظر اللسان (بعد) ٤ /٥٩

٢ – وورد فى اللسان : « وقالوا فى الدعاء : مبرورٌ مَأْجورٌ ، ومبروراً مأْجورا . تميم ترفع على إضمار أنت وأهل الحجاز ينصبون على : اذهب مبرورا »[١] .

اشتمل هذان النصان على تركيبين بسيطين – هما صورة لتراكيب أُخرى – اكتفى العربى فى صياغة كل تركيب منهما باسم قرنه بلفظ آخر يلازمه ولا يكاد يفارقه ونلاحظ أن هذا الاسم إما مصدر كما فى التركيب الأول ، وإما اسم مشتق كما فى التركيب الثانى ، فهو شبيه بالمصدر . ونلاحظ أن اللفظ المقترن اسم كما فى التركيب الثانى أو شبه جملة كما فى الأول . هذه التراكيب – التى تعد صيغاً متحجرة – نلاحظ أنه كان للعرب فيها مذهبان :

١ –رفع جزئى التركيب أو أولهما حالة كون الثانى شبه جملة وذلك عند بنى تميم .

٢ – نصب الجزئين أو أولهما حالة كون الثانى شبه جملة ، وعزى فى الثانى (المشتق) إلى الحجاز .

وإذا كان العربى قد عامل الكلمة المعربة التى تبدأ بها الجملة اسما كانت هذه الكلمة أو فعلا برفعها مالم تسبق بأداة تحول الرفع إلى نصب أو جر أو جزم حسب نوع الكلمة والأداة ، وكذلك عامل الجمل البسيطة برفع جزئيها ، فهذا ما وجدناه لدى التميمى فى هذه الصيغ ، لكن الحجازى غير النهج فلم يرفع ،إلا أنه ظل محتفظاً بالإيقاع الموسيقى لكنه من جنس آخر ، فقد نصب الجزئين مضمرا عاملا نصب الجزء الأول ثم تبع الثانى الأول.

ب) المصدر الواقع بعد أما : (*)

الاسم الواقع بعد أمّا لا يخلو من أن يكون مصدرا أو غير مصدر ، فإن كان غير مصدر ، فهو مرفوع فى كل اللغات ، مثل : أما العبيدُ فذو عبيد[٢] إلا ما ندر نحو

---

(١) اللسان (برر) ٥ / ١١٧

(٢) الكتاب ١/٣٨٤ – ٣٨٨

(*) يذكر السيرافى أن هذا الباب فيه صعوبة وقال الزجاج :أهذا باب لم يفهمه إلا الخليل وسيبويه (انظر الكتاب ٣٨٤/٢ الحاشية ٣) .

ما رواه يونس عن بعض العرب من قولهم : أما العبيدَ فذو عبيد. وعقب على ذلك سيبويه بقوله « وهو قليل خبيث[١] » وأما إذا تلاها مصدر ، فلا يخلو هذا المصدر من أن يكون نكرة أو معرفاً بأل :

١ – فإذا كان نكرة فإن بنى تميم كانوا ينصبونه ويجيزون رفعه كذلك ، فكانوا يقولون : أمّا عِلْما فعالم ، كما يقولون : أما عِلْمٌ فعالم[٢] . قال سيبويه : « وقد يُرفع هذا فى لغة بنى تميم والنصب فى لغتها أحسن »[٣] ، وقال السيوطى : « رفع المصدر الواقع بعد أما جائز فى لغة تميم . قالوا : أما عِلْمٌ فعالمٌ مع ترجيحهم النصب »[٤] . وأما اللغة المشتركة فكانت تنصبه[٥] .

وليس تعبير سيبويه بكلمة « أحسن » أو قول السيوطى « ترجيحهم النصب » أن التميميين كانوا جميعاً ينطقون مرة بالرفع وعدة مرات بالنصب ، فهذا غير معقول وإنما معنى ذلك أن بعض بطون تميم نطقت بالرفع وبعضها بالنصب ، وأن الذين تكلموا بالنصب كانوا أكثر ممن كانوا يرفعون .

٢ – المعرف بأل : وهذا الصنف يرفعه الحجازيون لكنهم يجيزون نصبه أما التميميون فيوجبون رفعه فلا يقولون إلا : أما العلمُ فعالمٌ ، أى فهو عالم[٦] .

تعقيب :

نسبة الرفع إلى بنى تميم فى المصدر المحلى بأل تتفق وميلهم إليه ، أما تأرجحهم بين الرفع والنصب فى المنكر فيدل على أن الأصل عندهم الرفع ، ثم بدأت لغتهم تنتقل إلى مرحلة ثانية فغيرت نهجها القديم . وإن وجود عنصر جديد فى الجملة وهو «أما» كان عاملا مساعدا على التطور .

---

(١) الكتاب ٣٨٩/١

(٢) همع الهوامع ٢٣٩/١

(٣) الكتاب ٣٨٤/١ .

(٤) همع الهوامع ٢٣٩/١

(٥) انظر : الكتاب ٣٨٤/١

(٦) همع الهوامع ٢٣٩/١ ، وانظر : الكتاب ٣٨٦/١ .

(ج) الابتداء بالمصدر المحلى بأل(*)

خالفت تميم اللغة المشتركة فى ضبط المصدر المحلى بـ «أل» ، إذا ابتدىء به الكلام مثل «الحمدُ لله» فإنه على حين نجده مرفوعا عندها ، إذا بنا نرى التميميين ينصبونه ، قال سيبويه : «ومن العرب من ينصب بالألف واللام ، من ذلك قولك : الحمدَ لله ، فينصبها عامة بنى تميم»[1] .

وكان المتوقع أن يكون موقف تميم فى إعراب هذا الصنف من الكلمات غير هذا ، فينسب إليها الضم وإلى سواها الفتح ؛ لأنه مادام هناك ضبطان فهذا يعنى أن هناك مرحلتين ، والضم – كما سبق أن قلنا – يمثل المرحلة القدمى فى الجمل البسيطة . ذلك إلى أنه يتسق وموقف تميم من المصادر المنكرة التى حرك آخرها بالضمة . ولصعوبة تعليل النصب فى هذه الحالة رأينا سيبويه يجهد نفسه ويتمحل فى إيجاد علة له ويحمله هذا على وضع قاعدة ، هى أن من العرب من ينصب بالألف واللام .

والحقيقة أن الأسلوب الذى شاع فى اللغة المشتركة هو الذى يتفق ونهج العربية الفطرى الذى يرفع ركنى الجملة البسيطة ، فهو إذن يمثل المرحلة القدمى .

وإذا كان النصب قد عزى إلى تميم ، فإن ذلك لم يكن عاما فى كل بطونها ، بدليل أنه عزى إليها أيضا قراءة (الحمدِ لله) بكسر الدال[2] – وقد عرضنا لذلك عند الحديث عن التماثل – ونميل إلى أن الفتح كان شائعا فى بعض بطونها مثل بنى سعد بن زيد مناة ، إذ إنه قد رويت قراءة فتح الدال من (الحمد لله) منسوبة إلى رؤبة بن العجاج[3] .

* * * *

(*) كان حق هذا الموضوع أن يعالج عند الحديث عن «ظاهرة النصب» لكننا أردنا جمع شتات موضوعات المصدر فاخترنا له هذا المكان .

(١) الكتاب ١ / ٣٢٩ وقد عالج سيبويه هذا الموضوع تحت عنوان «هذا باب يختار فيه أن تكون المصادر مبتدآت مبنيا عليها ما بعدها وما أشبه المصادر من الأسماء والصفات» وضرب أمثلة على ذلك فقال : «وذلك قولك : الحمد لله ، والعجب لك ، والويل لك ، والتراب لك ، والخيبة لك» (الكتاب ١ / ٣٢٨) .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ب .

(٣) المرجع السابق ٢/أ .

٣ — ضمير الفصل بين الاعمال والاهمال :

ضمير الفصل هو ضمير منفصل يرد بعد اسم معرفة مبتدأ أو ما أصله المبتدأ كاسم كان وأخواتها وإن وأخواتها ومعمول ظن وأخواتها . ويطابق ذلك الاسم السابق ، ويشترط أن يكون مابعده خبرا لمبتدأ أو ما أصله المبتدأ ، وأن يكون معرفة أو كالمعرفة[١] ، نحو قوله تعالى : (أولئك هم الظالمون) ، وقوله : (كنت أنت الرقيب عليهم) ونحو (إن ترن أنا أقل منك مالا)[٢] .

وهذا الضمير عده بعض العرب مهملا لاعمل له فيما بعده ، فهو يدأبى التوكيد واعتبره بعض آخر عاملا ، فهو مبتدأ ذو خبر مرفوع . وكان هذا الموقف الأخير خاصا بتميم ، وهو يتبين مما ذكره أبو حيان فى تفسير قول الله تعالى : (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين)[٣] «وقرأ الجمهور (الظالمين) على أن «هم» فصل ، وقرأ عبد الله وأبو زيد النحويان «الظالمون» بالرفع على أنها خبر «هم» و «هم» مبتدأ . وذكر أبو عمرو الجرمى أن لغة تميم جعل ماهو فصل عند غيرهم مبتدأ ويرفعون مابعده على الخبر[٤] ، وقال أبو زيد : سمعتهم يقرءون (تجدوه عند الله هو خيرٌ وأعظمُ أجرا) برفع خير وأعظم[٥] ، وقال قيس بن ذريح (جاهلى) :

تحنّ إلى ليلى وأنتَ تركتَها وكنتَ عليها بالملا أنت أقدرُ

قال سيبويه : إن رؤبة كان يقول : أظن زيدا هو خيرٌ منك بالرفع»[٦] .

هذا النص الذى نقلناه عن أبى حيان يقرر :

١ ـ أن عالمين جليلين ، هما أبو زيد (نحو ٢١٥ هـ) والجرمى (ت ٢٢٥ هـ) قررا أن تميما تعمل ضمير الفصل هذا .

---

(١) المراد بالاسم الذى كالمعرفة «أفعل من» المجرد من أل والإضافة (انظر : شرح المفصل ١١١/٢) .
(٢) انظر : المفصل وشرحه ١٠٩/٢ — ١١٢ ومغنى اللبيب ١٠٤/٢ ، ١٠٥ ، وهمع الهوامع ٦٨/١
(٣) الزخرف ٧٦/٤٣
(٤) نص كلام الجرمى أيضا فى البحر المحيط ٢٩٦/٧
(٥) الآية من سورة المزمل ٢٠/٧٣ والقراءة المشهورة (هو خيرا) وجاء فى البحر (٣٦٧/٨) تعقيبا على قراءة الرفع هذه : «قال أبو زيد : هو لغة بنى تميم يرفعون ما بعد الفاصلة يقولون : كان زيد هو العاقل ، بالرفع» .
(٦) البحر ٢٧/٨

٢ ـ وأن سيبويه (ت نحو ١٨٠ هـ) إمام النحاة عزا إعمال هذا الضمير إلى أحد بنى تميم وهو رؤبة ، وذلك فى الكلام المنثور .

تفسير الظاهرة :

لافرق فى الدلالة بين «كان محمدٌ حميدَ الأخلاق» وبين «كان محمدٌ هو حميدُ الأخلاق» وهذا يعنى أن الضمير فى الجملة الثانية يمكن الاستغناء عنه ، ويعنى بالتالى أن الضمير ليس إلا رابطة بين أجزاء الجملة ، فهو عنصر غير أصيل فيها ، فما بعده إذن يعرب كما لو كان غير موجود وهذا ما نلاحظه فى اللغة المشتركة . ويتضح ذلك فى خبر كان وأخواتها والمفعول الثانى لظن . أما التميميون فقد قاسوه على الضمير العمدة وهو مايعد عنصرا أساسيا فى مثل «هو حميدُ الخلق» بأن أعربوه مبتدأ وأعربوا مايليه خبرا له على أنه الجزء المتمم له فى المعنى ، فهو مسند لهذا الضمير يكوّن معه جملة مستقلة.

موقف القراءات القرآنية من المنهج التميمى :

سجلت القراءات القرآنية النهج التميمى ، فإذا مارجعنا إلى كتاب الله عز وجل وجدنا الآيات التى ورد بها ضمير الفصل قرأها الجمهور باللغة المشتركة فالضمير فيها مهمل ، وقرئت فى الشاذة بلغة تميم :

(أ) فقد رأينا فى النص الذى نقلناه عن تفسير أبى حيان أن عبد الله وأبا زيد النحويين قرآ (ولكن هم الظالمون) .

(ب) وحكى أبو معاذ[1] أنه قرىء قوله تعالى : (كنت أنت الرقيبَ عليهم)[2] برفع «الرقيبُ»[3] .

---

(١) هو الفضل بن خالد أبو معاذ النحوى المروزى روى القراءة عن خارجة بن مصعب ، وروى عنه محمد بن هارون النيسابورى والليث بن مقاتل . توفى نحو سنة ٢١١ هـ (غاية النهاية ٩/٢) .

(٢) المائدة ١١٧/٥

(٣) مختصر فى شواذ القرآن ٣٦

(ج) وقرأ قوله تعالى : (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحقُّ من عندك فأمطر حجارة من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم)[1] برفع «الحق» الأعمش[2] وزيد ابن على[3] .

(د) قرأ عيسى بن عمر «أقلُّ» بالرفع[4] فى قوله تعالى : (إن ترن أنا أقلُّ منك مالا وولدا)[5] .

(هـ) حكى أبو معاذ «الحقُّ» بالرفع[6] فى قوله تعالى : (ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق)[7] .

(و) وقرأ أبو السمال[8] وابن السميفع (هو خيرٌ وأعظمُ) برفعهما[9] فى قوله تعالى : (وماتقدموا لأنفسكم من خير تجدوه نند الله هو خيرا وأعظمَ أجرا[10]) .

---

(١) الأنفال ٣٢/٨

(٢) مختصر فى شواذ القرآن ٤٩ ، والبحر المحيط ٤٨٨/٤

(٣) البحر المحيط ٤٨٨/٤

(٤) المرجع السابق ١٢٩/٦

(٥) الكهف ٣٩/١٨ .

(٦) مختصر فى شواذ القرآن ١٢١

(٧) سبأ ٦/٣٤

(٨) شواذ القراءة للكرمانى ٢٥٢ ، والبحر ٣٦٧/٨

(٩) البحر ٣٦٧/٨

(١٠) المزمل ٢٠/٧٣

سابعا : ظاهرة النصب

١ – المثنى وما الحق به :

القاعدة العامة للمثنى أن يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء لكن بعض العرب – ومنهم بعض بنى تميم – لم يسيروا وفق هذه القاعدة فالتزموا بالألف فى الحالات الثلاث قال السيوطى : «ولزوم الألف فى الأحوال الثلاثة لغة معروفة عزيت لكنانة ، وبنى الحارث ابن كعب ، وبنى العنبر ، وبنى الهجيم ، وبطون من ربيعة ، وبكر بن وائل ، وزبيد ، وخثعم ، وهمْدان ، ومراد[١] ، وعذرة »[٢] .

وإذا نظرنا إلى الناطقين بهذه الظاهرة نجدهم موزعين فى نسبهم بين اليمنية والعدنانية ، فخمسة بطون منها تنتمى إلى كهلان بن سبأ[٣] ، وهى : بلحارث بن كعب[٤] ، وزُبَيْد[٥] وخثعم[٦] ، وهَمْدان[٧] ، ومراد[٨] ، وخمسة تنتمى إلى العدنانية ، وهى : كنانة[٩] ، وربيعة[١٠] ، وبكر[١١] ، والعنبر والهجيم[١٢] ، وبطن يتأرجح بين العدنانية واليمنية ، فينتمى إلى قضاعة[١٣] وهو عذرة[١٤] .

ونجد هؤلاء المتكلمين موزعين ما بين الجنوب الغربى للجزيرة والشمال الشرقى لها : يقيم الكهلانيون فى الجنوب الغربى ، فبنو الحارث كانوا بنواحى نجران[١٥] وكانت

---

(١) فى الأصل « مزادة » والتصويب من البحر ٦/٢٥٥

(٢) همع الهوامع ١/٤٠ ، وانظر : شرح التسهيل ١/٦٦ واكتفى فى النسبة إلى بنى الحارث وبنى الهجيم وبنى العنبر ، والبحر ١/٢٥٥ ولم يرد فيه ذكر « وبطون من ربيعة وبكر بن وائل » وفيه « وأهل تلك الناحية » بدلا من « وهمدان وانظر كذلك شرح شواهد الأشمونى ١/٧٠ ، ٧١ ولم يذكر « مراد وعذرة » وفيه « بطون ربيعة » بدل « ربيعة وبكر » .

(٣) انظر : جمهرة أنساب العرب ٤٠٥ وما بعدها .

(٤) المرجع السابق ٤١٦ و ٤٠٥

(٥) المرجع السابق ٤١١ و ٤٠٥

(٦) عجالة المبتدى ٥٣

(٧) المرجع السابق ١٢٥

(٨) المرجع السابق ١١٣

(٩) جمهرة أنساب العرب ١١

(١٠) المرجع السابق ١٠

(١١) « بكر » فرع من ربيعة (جمهرة ٣٠٢)

(١٢) وهما بطنان من تميم .

(١٣) عجالة ١٠٥

(١٤) المرجع السابق ٩٢

(١٥) صبح الأعشى ١/٣٢٠ ، وصفة جزيرة العرب ١١٦

تجاورهم زبيد[١] التى تجاورها مراد[٢] وخثعم كانت تسكن جبال السراة وما والاها ثم ما بين بيشة وتُربة وما صاقب تلك البلاد ووالاها[٣] . وهمدان كانت تقيم شرق اليمن. وتعد مساكن كنانة قريبة من خثعم ، فقد كانت تقيم بتهامة بالقرب من مكة[٤] . فأما بقية العدنانيين فقد كانوا يقيمون فى الشمال الشرقى للجزيرة . وقد تحدثنا عن مساكنهم.

من هذا العرض يتبين لنا أن هذه الظاهرة كانت منتشرة فى كثير من أنحاء الجزيرة والذى يعيننا من كل أُولئك الناطقين بهذا اللون من الكلام مَنْ ينتمون إلى تميم وهم بنو العنبر وبنو الهُجيم ابنا عمرو بن تميم .

تفسير الظاهرة :

تنوع حالات إعراب المثنى فى اللغات السامية أقدم من اتفاقها ومن ذلك أن الأكدية فيها مثلا ʾĪnān (عينان) فى حالة الرفع و ʾĪnēn فى حالتى النصب والجر[٥] . وظاهرة إعراب المثنى بالألف فى الحالات الثلاث يمكن تفسيرها وفق قانون السهولة وذلك بانكماش الصوت المركب (diphtong) أىْ ay فيتحول إلى كسرة طويلة ممالة كالذى نلاحظه فى نطق المثنى فى عاميتا المصرية مثل « ولَدين waladēn بدلا من « ولَدَيْن » . ثم تحولت هذه الكسرة الطوية الممالة إلى فتحة طويلة ā وهو شبيه بتحول الإمالة فيما أصله الياء إلى الألف عند الحجازيين .

ولهذا التحول نظائر فى عاميتنا مثل « فان » — عند بعض سكان الصعيد — المتطورة عن « فين » » والتى أصلها فَيْن (اختصار فأَيْنَ) . كما أن له نظائر فى العربية القديمة مثل : « عاب » و « باع » المتطورين عن «عَيْب » و «بَيْع »[٦] . وقد عرضنا لهذا التطور عند حديثنا عن الإمالة .

---

(١) صفة جزيرة العرب ١٣٦

(٢) معجم قبائل العرب ١٠٦٦/٣

(٣) معجم ما استعجم ٦٣/١ ، و معجم قبائل العرب ٣٣١/١

(٤) انظر : معجم قبائل العرب ٩٩٦/٣ ، ٩٩٧

(٥) فصول فى فقه العربية ٣٨٣

(٦) التطور اللغوى ٥١ ، وانظر أيضا : التطور وقانون السهولة والتيسير (مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة العدد ٣٦) ١٩٨ — ٢٠٠

موقف النماذج الأدبية من هذه الظاهرة :

(أ) القراءات :

وإذا ما اتجهنا إلى القراءات القرآنية لنعرف موقفها من هذه اللغة ، وجدنا أنه قد قرىء بها فى آيتين كريمتين :

الأولى : قوله تعالى : (إنْ هذان لساحران)[١]. وقد قرأ بتشديد نون « إن » و« هذان » (بالألف)من الأئمة الأربعة عشر : نافع ، وابن عامر وأبوبكر (عن عاصم) ،وحمزة ، والكسائى[٢] ، وأبو جعفر ، ويعقوب وخلف والشَّنَبوذى ، والحسن[٣] .

والآية الثانية قوله عزوجل : (فكان أبواه مؤمنين)[٤] ، وقرأ أبو سعيد الخُدْرِىّ والجحدرى « مؤمنان »[٥] .

(ب) الحديث :

كما أن هذه اللغة وردت فى الحديث الشريف ، فعن قَيْس بن طَلْق بن على عن أبيه ، قال سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « لا وتران فى ليلة »[٦]

(ج) الشعر :

أما فى الشعر فقد وردت فى بعض أشعار استشهد بها النحاة على هذه الظاهرة لا نجد منها شعرا تميميا ، اللهم إلا ما تأرجحت نسبته ما بين رؤبة التميمى وغيره ممن ينتمون إلى قبائل أُخرى ، وذلك مثل :

* إن أباها وأبا أباها *

* قد بلغا فى المجد غايتاها *[٧]

* * *

(١) طه ٢٠/٦٣

(٢) السبعة فى القراءات ٤١٩

(٣) إتحاف ٣٠٤

(٤) الكهف ١٨/٨٠.

(٥) البحر ٦/١٥٥ ، ونسبها ابن جنى لأبى سعيد فقط (المحتسب ٢/٣٣) . والقارىء الأخير هو : عاصم بن أبى الصباح العجاج ، وقيل : ميمون أبو المجشر الجحدرى البصرى . قرأ على نصر بن عاصم والحسن وتوفى سنة ٢٢٨ هـ (غاية النهاية ١/٣٤٩) .

(٦) صحيح الترمذى ٢/٢٥٤

(٧) البيت فى شرح الأشمونى ١/٧٠ دون نسبة ، وذكر العينى أنه ينسب إلى رؤبة وإلى أبى النجم العجلى ، وإلى رجل من اليمن (شرح شواهد الأشمونى ١/٧٠)

٢ ـ بعض الأسماء الستة (أب ـ أخ ـ حم) :

للعرب فى الأسماء الستة عدة مذاهب ، أشهرها أنها ترفع بالواو وتنصب بالألف وتجر بالياء[١] ، ومنها قصرها أى الالتزام بالألف فى حالات الإعراب الثلاث ـ وهذا هو الذى يعنينا ـ وقد ذكر ابن مالك (ت نحو ٦٧٢ هـ) أن القصر خاص بثلاثة أسماء من الستة ، وهى : أب ، وأخ ، وحم . ولكنه لم يحدد نسبتها إلى قوم معينين[٢] والذين نسبوا اقتصروا على لفظ الأب دون اللفظين الآخرين ، جاء فى نوادر أبى زيد : « وقالت امرأة من بنى سعد جاهلية ، ولم أسمعها من المفضل :

وقد زعموا أنّى جزعتُ عليها وهل جزع إن قلت يا بأباها

قال : يقال : بأبا أنت وأمّى ، فاستثقلوا الياء مع الكسرة قبلها ففتحوها[٣] » وقال العينى تعقيباً على قول القائل :

إن أباها . . .

« والشاهد فى موضعين :

الأول ـ أنه استعمل الأب مقصورا .

والثانى ـ فيه استعمال المثنى بالألف فى حالة النصب . . . ونسب الكسائى هذه اللغة إلى بلحارث وزبيد وخثعم وهمدان ونسبها أبو الخطاب[٤] لكنانة ونسبها بعضهم لبلعنبر وبلهجيم وبطون من ربيعة »[٥] .

وإذا كان أبو زيد ذكر أن هذه الحالة سمعت من إحدى نساء بنى سعد وإذا كانت السعود كثيرة ، فإننا نرجح أنها من سعد بن زيد مناة بن تميم ، بدليل أن النص الذى نقلناه عن العينى نسبها إلى تلك القبائل التى كانت تنطق المثنى دائما بالألف ، ومن بين

---

(١) تسهيل الفوائد ٨ ، ٩ وشرح التسهيل ٤٦/١

(٢) تسهيل الفوائد ٩ وشرح التسهيل ٤٩/١

(٣) نوادر أبى زيد ١١٥ ، ١١٦

(٤) هو الأخفش الأكبر (انظر ترجمته فى : نزهة الألباء ٢٩)

(٥) شرح شواهد الأشمونى ٧٠/١ ، ٧١

هؤلاء بنو العنبر وبنو الهجيم وهما بطنان من بنى عمرو بن تميم ، ثم انتقلت إلى بعض بنى سعد بحكم الجوار بينهم وبين بنى يربوع حيث كانوا يسكنون الدهناء .

الظاهرة فى الوقت الراهن :

نلاحظ أن هذه الظاهرة لدى اليمنيين الجنوبيين ، فهم يقولون مثلا : باحسين وبامحفوظ ، فهى عندهم متوارثة عن أجدادهم .

تفسير الظاهرة :

يمكن تعليل هذه الظاهرة وفق قانون سيادة إحدى حالات الإعراب على غيرها من الحالات فى التطور اللغوى.ومن ذلك أن هذه الأسماء تلزم الواو فى الآرامية والياء فى العبرية[1] ، والواو فى عاميتنا المصرية والتونسية والجزائرية كبو مدين وبو تفليقة .

* * *

٣ — خبر « ليت » واخواتها :

« ليت » من أخوات إن ، وهى تدخل على الجملة الاسمية فينصب بعدها المبتدأ ويرفع الخبر ، إلا أننا وجدنا نصوصا من النثر والشعر ينصب فيها ركنا الجملة ، من ذلك .

١ — إنَّ :

(أ) قول الرسول — صلى الله عليه وسلم — : « إنَّ قَعْرَ جهنم سبعين خريفا[2] »

(ب) قول عمر بن أبى ربيعة :

إذا اسودَّ جُنْحُ الليل فلْتأْتِ ولتكُنْ
خُطاكَ خِفافًا إنَّ حُرَّاسنا أُسْدَا[3]

(ج) وقول الشاعر :

* إن العجوز خبَّةً جرُوزا *
* تأْكلُ فى مَقْعدِها قفيزا *[4]

---

(١) من حديث شخصى مع الدكتور رمضان عبد التواب . (٢) المغنى ٣٥/١

(٣) حاشية الأمير والمغنى ٣٥/١ ، وبدون نسبة فى شرح الأشمونى ٢٦٩/١

(٤) الدرر اللوامع ١١٢/١ والبيت الأول فى همع الهوامع ١٣٤/١ وفيه « حية »

٢ ـ ليت :

(أ) من أمثال العرب «ليْت القِسِيَّ كلَّها أَرْجُلَا»[1]

(ب) قول العجاج أو رؤبة :

* ياليت أَيامَ الصِّبا رواجعَا » *[2]

(ج) وقول الشاعر :

ليت هذا الليـــل شهرا   لانرى فيـــه غريبـــا[3]

٣ ـ لعَلَّ :

(أ) حكى يونس : لعل أباك منطلقا[4] .

(ب) «سمع : لعل زيدا أخانا»[5] .

٤ ـ كأَن :

(أ) قال محمد العُمانى أو أبو نُخيلة :

* كأَنَّ أُذْنيْه إذا تشوَّفا *

* قادمةً أوقلما مُحَرَّفا *[6]

وجدنا النحاة إزاء هذه النصوص وأشباهها فريقين :

الأول – جمهورهم : أولها[7] ، وقال الصبان : «ظاهره أن ذلك لغة ، وبه صرح

(١) مجمع الأمثال ٢/١٨٧

(٢) الرجز منسوب للعجاج فى طبقات فحول الشعراء ٦٥ ، وحاشية الأمير ١/٢٢٢ ونسب لرؤبة فى شرح المفصل ١/١٠٤ وهو غير منسوب فى المغنى ١/٢٢٢ وهمع الهوامع ١/١٣٤ وليس فى ديوانى العجاج ورؤْبة .

(٣) البيت فى لمع الأدلة فى أصول النحو ٣٠ . وفى الكتاب عدة شواهد أخرى على « ليت » .

(٤) المغنى ١/٢٢٢   (٥) همع الهوامع ١/١٣٤

(٦) الدور اللوامع ١/١١٢ ، والبيت بدون عزو فى الأشمونى ١/٢٧٠ ، وهمع الهوامع ١/١٣٤ ، (والهاء فى أذنيه تعود على الحمار ، قادمة إحدى قوادم الطير والقلم : آلة الكتابة – الدرر اللوامع) .

والشاعر الثانى هو أبو نخيلة ابن حزن الحمانى من أشهر الرجاز ، توفى نحو سنة ١٤٥ هـ (انظر ترجمته بالأغانى ٢/٣٦١ – ٣٩٢) وجمع عباس توفيق شعره ونشره بمجلة المورد العراقية (المجلد ٧ العدد ٣ ص ٢٤٩ – ٢٦٦)

(٧) همع الهوامع ١/١٣٤

بعضهم ، ومنع الجمهور ذلك ، وأولوا ما اثبت منه بأن الجزء الثانى حال والخبر محذوف[١] .
وقيل فى التأويل غير ذلك[٢] .

الآخر – يرى أنه لغة ، وقد انقسم هذا الفريق إلى طائفتين :

الأولى : وترى ذلك بعد « إنَّ » وجميع أخواتها ، ولم تعزها إلى قوم معينين من العرب ، وممن قال بذلك : أبو عبيد القاسم بن سلام[٣] وابن سيده[٤] ، وابن الطراوة وابن السِّيد[٥] .

الثانية : وكانت ترى ذلك بعد :

١ – ليت :

والذين جعلوا نصب الجزئين بعد « ليت » فقط انقسموا إلى فئتين :

(أ) فئة لم تنسبها إلى قوم معينين ، ورأينا ذلك عند الفراء[٦] ، والكسائى[٧]

(ب) والفئة الأخرى حددت الناطقين بها بأنهم بنو تميم ، نذكر من هؤلاء ابن سلام ، وأبو حنيفة ، والميدانى ، وابن يعيش :

١ – قال ابن سلام « وقال العجاج :

* ياليت أيام الصبا رواجعا *

وهى لغة لهم سمعت أبا عون الحرمازى ، يقول : ليت أباك منطلقا وليت زيدا قاعدا ، وأخبرنى أبو يَعْلَى : أن منشأَهُ بلاد العجاج فأَخذها عنهم »[٨] والمعروف أن الحرمازى من بنى سعد قوم العجاج .

٢ – جاء فى خزانة الأدب : « وزعم أبو حنيفة الدينورى فى كتاب النبات أن نصب الجزئين بليت لغة بنى تميم[٩] » .

---

(١) حاشية الصبان ١/٢٦٩
(٢) انظر : المغنى ١/٢٢٢
(٣) همع الهوامع ١/١٣٤
(٤) شرح الأشمونى ١/٢٦٩
(٥) همع الهوامع ١/١٣٤
(٦) همع الهوامع ١/١٣٤ ، والمغنى ١/٢٢٢ ، وخزانة الأدب ٤/٢٩٠
(٧) خزانة الأدب ٤/٢٩١
(٨) طبقات فحول الشعراء ٦٥
(٩) خزانة الأدب ٤/٢٩١

٣ ـ قال الميدانى :

* « ليت القِسِىَّ كلَّها أرجلا *

كذا ورد المثل نصبا ، وهى لغة تميم يعملون ليت عمل ظن فيقولون : ليت زيدا شاخصًا »[١] .

٤ ـ قال ابن يعيش : «وكان بعضهم ينصب الاسم والخبر بعد ليت تشبيها لها بوددت وتمنيت ؛ لأنها فى معناها ، وهى لغة بنى تميم يقولون : ليت زيدا قائما »[٢] .

٢ ـ لعل :

كان شأنها مع النحاة شأن « ليت » فالذين قالوا بنصب الجزئين بعدها انقسموا إلى فئتين :

الأولى : لم تنسبها إلى قوم معينين . وممن قال بذلك : يونس[٣] والفراء[٤] ، وعزاه ابن هشام إلى بعض أصحاب الفراء الذين قالوا « وقد ينصبهما »[٥] .

الثانية : وقد نسبت نصب الجزئين إلى تميم ، ومن هؤلاء أبو البركات كمال الدين الأنبارى ، فقد قال : « حكى عن بعض بنى تميم أنهم ينصبون خبر لعل ، فيقولون : لعل زيدا أخانا »[٦] .

٣ ـ كأنَّ :

نقل البغدادى عن الفراء نصبها للركنين[٧] ، ولكن الشاهد الذى أورده النحاة على هذه الحالة (كأن أذنية . . . قادمة . . .) اعترض عليه من نحاة آخرين وقروا أن التأويل فيه « متعين لئلا يلزم الإخبار بالمفرد عن المثنى »[٨] .

٤ ، ٥ ـ أنَّ ، ولكن :

أما إن ولكن فرغم تعميم بعض النحاة نصب المبتدأ والخبر بإن وجميع أخواتها ـ كما سبق أن ذكرنا ـ إلا أننا وجدنا من النحاة من يقررون أن النصب « لم يسمع فى خبر أَنَّ ولا فى خبر لكن »[٩] .

---

(١) مجمع الأمثال ١٨٧/٢
(٢) شرح المفصل ١٠٤/١
(٣) المغنى ٢٢٢/١
(٤) خزانة الأدب ٢٩١/٤
(٥) المغنى ٢٢٢/١ .
(٦) لمع الأدلة فى أصول النحو ٣٠
(٧) خزانة الأدب ٢٩١/٤
(٨) حاشية الصبان ٢٦٩/١
(٩) خزانة الأدب ٢٩١/٤

تعقيب :

نخلص مما سبق أنه نسب إلى تميم نصب جزئى الجملة بعد ليت ولعل ، والأُولى هى التى اشتهرت وذلك ما دعانا إلى اختيارها عنوانا لهذا الموضوع . وليس لدينا نصوص تعيننا على تعميم هذه القاعدة على « إن » وجميع أخواتها عند بنى تميم . وبالطبع لا ننكر أنها كانت ظاهرة لدى بعض العرب ولكن لا نستطيع تحديدهم . ومن المحتمل أن يكونوا من تميم قياسا على « ليت » و » لعل » .

وإلى جانب هذا أرى أن نصب الخبر بليت ولعل لم يكن شائعا لدى بنى تميم جميعا . فبنو تميم قبيلة كبيرة موزعة فى شرق الجزيرة ، ذلك إلى أن هذا الأمر لو كان شائعاً لديهم جميعاً لوجدنا كتب النحو تحرص على هذه النسبة ، شأنها فى ذلك شأن الحالات الأخرى التى حرصت على نسبتها إليها مثل « ما » التميمية ، وذلك لأن تميميا إحدى القبائل — كما قلنا — التى حرص علماؤنا الأوائل على الاعتداد بلغتها فإذا شذت فى أمر ما أشير إليه . ويرجح رأينا فى عدم شيوعها لدى التميميين ما نقله ابن سلام — من أنها كانت لغة العجاج وقومه . ونلاحظ أنه قد تكلم بهذه اللغة غير تميميين فالشاعر الذى قال : « إن حراسنا أسدا » وهو عمر بن أبى ربيعة حجازى [(١)] ولعل القافية هى التى اضطرته إلى ذلك مستندا إلى أنه يراعى إحدى اللغات العربية . وإن لم تكن لغته وهذا أمر كان مألوفاً لدى الشعراء . ولاحظنا أيضاً أنها وردت على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم . على أننا وجدنا الرواية لهذا الحديث فى صحيح مسلم « إن قعْرَ جهنم لسبعون خريفاً » [(٢)] .

تفسير الظاهرة :

يمكن أن يفسر موقف التميميين بأن الجملة بعد أن مرت بالمرحلتين :

١ — الرفع دون دخول أداة سابقة عليها .

٢ — نصب المبتدأ ورفع الخبر لدخول إنَّ أو إحدى أخواتها عليها .

بعد هاتين المرحلتين توهم بعض التميميين أن الخبر يتبع المبتدأ فنصبه . وهذا شبيه بخفض كلمة « خرب » فى قولهم » هذا هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ » [(٣)] .

---

(١) انظر ترجمته فى الأغانى ١/٧١ (٢) صحيح مسلم ١/١٢٦ (٣) انظر : الكتاب ١/٤٣٦

ويرى شبيتالر ومن قبله فليشر وبروكلمان أن النصب بـ « ليت » ناشىء من « رأيت زيدا قائماً »[1] أى أن همزة « رأيت » حذفت فصارت الكلمة « ريت » التى تطورت بدورها إلى « ليت » بإبدال الراء لاما . ولكن لا أوافقهم على ذلك لأمرين :

١ – إن نصب الجزئين ليس خاصا بليت بل يعم أخواتها .

٢ – إن التميميين – وهم الذين عزيت إليهم هذه الخاصية – كانوا أهل تحقيق . ذلك إلى أن هذا الفعل (رأي) اتفق العرب جميعاً محققون وغير محققين على تحقيقه فى الماضى ، وقد عرضنا لذلك من قبل .

* * *

٤ – تمييز كم الخبرية :

لكى ندرس تمييز كم الخبرية عند تميم ، يجدر بنا أن نذكر أحوال هذا التمييز عند العرب جميعاً .

نصت كتب النحو على أن تمييز كم الخبرية يكون :

١ – جمعًا مجرورًا .

٢ – مفردًا مجرورًا .

٣ – منصوبًا عند الفصل بينه وبين كم .

٤ – منصوبًا دون فاصل ، وهذه لغة تميم .

(وبالنسبة للحالتين الأخيرتين، قيل يجوز أن يكون التمييز مفردا أو جمعا ، وقيل لا يكون إلا مفردا)[2] .

٥ – جمعامنصوبا ، سواء بفصل أو بغيره ، لكن لم يستشهد على ذلك[3] .

وإذا ضربنا صفحا عن الحالات التى لم يستشهد لها ، وجدنا تمييز كم الخبرية ، إما مفردا مجرورا وهو الكثير وأما جمعاً مجرورا ، وإما مفردا منصوبا لوجود فاصل أو دون فاصل وعزيت هذه الحالة الأخيرة إلى بنى تميم .

(١) العربية ليوهان فك ١٠٠ (الحاشية)

(٢) همع الهوامع ١/٢٥٤ ، ٢٥٥ ، وانظر : شرح الأشمونى ٤/٨٠ ، ٨١ وأوضح المسالك ٢٥١ وهما لم يتعرضا للحالة الثالثة ونصا على أن لغة تميم تنصب التمييز إذا كان مفردا ، وكذلك نص على الإفراد لدى تميم صاحب الدرر اللوامع ١/٢١١ .

(٣) همع الهوامع ١/٢٥٥

وأرى أن هذه الحالات ترجع إلى فترات مختلفة أقدمها الجمع المجرور ، إذ التقدير عند الإخبار عن كثرة الرجال مثلا « كثيرٌ من الرجال عندى » ثم تنوعت الصور إذ قاس بعض العرب تمييزها على تمييز كم الاستفهامية ، وهو الإفراد مع النصب على ما نلاحظ عند تميم . وخلط بعضهم فجمع بين التمييزين فمنهم من جعله مفردا مجرورا آخذا من تمييز الاستفهامية بالإفراد ومن الخبرية بالجر ؛ ومنهم من أخذ من الاستفهامية النصب ومن الخبرية الجمع فجعلوا الخبر جمعا منصوبا .

وشىء طبيعى أن تظل هذه الصور على اختلافها ، لأنها تمثل بيئات متنوعة ومراحل زمنية مختلفة .

ثامنا : ظاهرة الاتباع

١ ــ الاستثناء المنقطع :

لا يخلو الكلام السابق لـ « إلا » من أن يكون : تاما موجبا ، أو تاما سالبا ، أو ناقصا سالبا .

أما التام الموجب ، فهو مثل؛ قام القوم إلا عليا . ويتفق العرب فى نصب هذا المستثنى [١]

وأما الناقص السالب ، ويسمى المفرَّغ ، مثل : ما قام إلا محمدٌ ، فيتفقون أيضاً فى إعراب ما بعد إلا بحسب موقعه من الإعراب [٢] ، ولم يختلفوا إلا فيما إذا كانت أداة النفى « ليس » فالحجازى ينصب والتميمى يرفع ، وقد أوضحنا ذلك عند الحديث عن « ليس « فى » ظاهرة الرفع .

وإذا كان ما قبل « إلا » تاما منفيا ، فلا يخلوا أن يكون ما بعدها جزءا مما قبلها ، وهو ما يطلق عليه « الاستثناء المتصل » وهذا يجوز فيه النصب والإتباع لما قبل إلا ، مثل : ما قام أحدٌ إلا زيدا أو زيدٌ [٣] ، أو أن يكون ما بعدها ليس جزءا مما قبلها ، وهو مثل : ما انصرف الرجالُ إلاّ طفلا . وهو ما يسمى بالاستثناء المنقطع . وقد كان هذا النوع موضع خلاف بين التميميين والحجازيين :

١ ــ يقرر سيبويه (ت نحو ١٨٠ هـ) أن مذهب بنى تميم فى هذا الاستثناء الإبدال من المستثنى منه ، فى حين إن الحجازيين ينصبونه ، قال : « هذا باب ما يختار فيه النصب لأن الآخر ليس من نوع الأول ، وهو لغة أهل الحجاز ، وذلك قولك : ما فيها أحدٌ إلا حماراً ، جاءوا به على معنى : ولكن حمارا ، وكرهوا أن يبدلوا الآخر من الأول فيصير كأنه من نوعه فحمل على معنى ولكنّ ، وعمل فيه ما قبله كعمل العشرين فى الدرهم ، وأما بنو تميم

---

(١) شرح المفصل ٧٧/٢ ، وشرح ابن عقيل ٥٩٧/١ ، وشرح الأشمونى ١٤٢/٢

(٢) شرح ابن عقيل ٦٠٣/١ ، وشرح الأشمونى ١٤٨/٢

(٣) شرح المفصل ٨١/٢ ، وشرح ابن عقيل ٥٩٩/١ ، وشرح الأشمونى ١٤٦/٢ (ولا أعتقد أن العرب جميعا تكلموا بالهجين معا فكان الشخص مرة يتبع وأخرى ينصب ، وإنما هما لغتان ما لم ينسبهما النحاة لذويهما ، أو نسبا ولم يقع نظرنا على هذه النسبة بعد) .

فيقولون : لا أحدَ فيها إلا حمارٌ ، أرادوا ليس فيها إلا حمارٌ ، ولكنه ذكر أحدا توكيدا ، لأنْ يُعْلم أن ليس فيها آدميٌّ ثم أبدل ، فكأنه قال : ليس فيها إلا حمارٌ[1] ».

ويوافق المبرد (ت ٢٨٥ هـ) . وابن جنى (ت ٣٩٢هـ) سيبويه فى رأيه وهو أن بنى تميم كانوا يبدلون المستثنى من المستثنى منه[2] .

لكننا نجد النحاة المتأخرين يذهبون إلى أن التميميين كانوا يجيزون النصب والإبدال ، قال ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) : « وقولك : ما جاءنى أحدٌ إلا حماراً وما بالدار أحدٌ إلا دابةً ، فهذا وشبهه فيه مذهبان :مذهب أهل الحجاز وهو اللغة الفصحى ،وذلك نصب المستثنى على كل حال . . . ومذهب بنى تميم وهو أن يجيزوا البدل والنصب »[3] .

وممن وافق ابن يعيش فى قوله ابنُ مالك[4] (ت ٦٧٢ هـ) وابن عقيل[5] (ت ٧٦٩ هـ) والأشمونى[6] (ت ٩٠٠ هـ) ، وخالد الأزهرى[7] (ت ٩٠٥ هـ) .

ولا نستطيع أن نجزم أى الرأيين هو الصواب ، لأننا لا نجد نصوصا تميمية كثيرة تعيننا على اتخاذ رأى حاسم ،وإن كنت أميل إلى الرأى الأول وهو إلتزام تميم بالاتباع ، لأنه ورد عند علماء متقدمين مشهود لهم بتحرى الدقة .

وعلى كلٍ فسواء أكان التميميون يبدلون فقط ، أم يجيزون الإبدال والنصب ، فإن الإبدال مع المستثنى المنقطع خاص بهم .

نظرة تاريخيـــة :

وإذا ما أردنا أن نقارن بين النهجين التميمى والحجازى ، وجدنا أن الأول يمثل مرحلة زمنية أقدم ، وذلك لعنايتة بالموسيقى ، فهو قد أتبع كل حركة بمثيلتها : الضمة

---

(١) الكتاب ٢/٣١٩ ، ٣٢٠
(٢) المقتضب ٤/٤١٢ ، ٤١٣ ، واللمع ١٥٢
(٣) شرح المفصل ٢/٨٠
(٤) تسهيل الفوائد ١٠٢
(٥) شرح ابن عقيل ١/٦٠٠
(٦) شرح الأشمونى ٢/١٤٧
(٧) شرح التصريح ١/٤٢٥

بالضمة ، والفتحة بالفتحة ، والكسرة بالكسرة بخلاف الحجازى الذى استقر على صورة واحدة هى الفتحة التى تعد أيسر الحركات الثلاث نطقاً ، كما سبق أن ذكرنا[1] .

وقريب من هذا التعليل ماذهب إليه الدكتور عبده الراجحى إذ يقول : « وإذا كان صحيحا أن تنسب هذه اللهجة إلى تميم ، فإننا نظن أنها قد تدل على تطور نحوى فى العربية ، ولعلها أسبق من لهجة الحجازيين ، إذ إن هذه اللهجة الأخيرة تفرق بين ما إذا كان مابعد إلّا داخلا فيما قبلها أو خارجا عنها ، ونحسب أن مثل هذا التفريق يكون متأخرا عن عدمه فى لهجة تميم »[2] .

القراءات القرآنية والنهج التميمى :

إذا ماعرجنا على كتاب الله عز وجل لنعرف مدى الاعتداد بهذه اللغة ، وجدنا أنه قد قرىء بها إلى جانب الحجازية :

١ ـ قرأ القراء قوله تعالى : (قل لايعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا اللهُ)[3] برفع لفظ الجلالة وفقا للغة التميمية .

٢ ـ قرأ يحيى بن وثاب (ومالأحد عنده من نعمة تجزى إلّا ابتغاءُ وجه ربه الأعلى)[4] برفع «ابتغاء»[5] .

حول نسبة الظاهرة الى تميم وحدها :

علق الدكتور رمضان عبدالتواب على اقتصار النحاة نسبة الإتباع فى هذا النوع من الاستثناء إلى تميم بأنه يخلو من الاستقراء الكامل لهذه الظاهرة ، فبينما ترد فى قول زياد ابن حَمَل التميمى :

لَيْسَت عَلَيْهِمْ إذ يَغْدُون أَرْدِيَةٌ   إلا جيادُ قِسِيٍّ النبع واللُّجُمُ

نجدها عند غير التميميين مثل جران العود النميرى (مخضرم) فى قوله :

* وبلدة ليس بها أنيسُ *

* إلا اليعافيرُ وإلا العيسُ *

---

(١) وانظر : الأصوات اللغوية ٣١-٣٣ ، والمدخل إلى علم اللغة ٩٣ ، ٩٤

(٢) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ١٩٠

(٣) النمل ٢٧/٦٥

(٤) الليل ٩٢/٢٠

(٥) مختصر فى شواذ القرآن ١٧٤

وضرار بن الأزور الأسدى فى قوله :

عَشِيَّةَ لاتُغنى الرماحُ مكانَها ولا النَّبْلُ إلَّا المَشْرَفِيُّ المُصَمِّمُ

وتوجد فى شعر الأخطل وهو تغلبي :

فرابيةُ السكران قَفْرٌ فما لهم بها شَبَحٌ إلَّا سلامٌ وحرْمَـل

وفى قول سعد بن مالك بن ضبيعة البكرى :

والحرب لايبقى لجا حِمِها التَّخيُّلُ والمِرَاحُ
إلا الفتى الصَّبارُ فى النَّجَـ داتِ والفَرَسُ الوَقَاحُ[1]

وتفسير ورود هذه الظاهرة عند أولئك الشعراء الذين ينتمون إلى قبائل شتى من غير تميم أن الشعراء لم يكونوا يتقيدون بلغات أقوامهم ، فكانوا يلتزمون باللغة المشتركة — كما سبق أن ذكرنا — لكنهم كانوا أحيانا يضمنون شعرهم لغات محلية قد تكون لغة قبيلة لاينتمون اليها ، من ذلك :

(١) قول جرير :

ولكنْ دِيافِيٌّ أبوه وأُمُّـهُ بحَوْرَانَ يَعْصِرْنَ السليطَ أقاربُهْ[2]

وهو هنا استعمل لغة «أكلونى البراغيث» رغم أنه تميمى ، وهى لغة نسبت لطيئ[3] .

(٢) نسبت العنعنة إلى تميم — كما سبق أن ذكرنا — واستشهد عليها معظم اللغويين بقول ذى الرمة :

* أعن ترسَّمْت من خرقاءَ منزلة *[4]

---

(١) تراثنا اللغوى فى حاجة إلى التهذيب والتنقية ١٥ ، ١٦ . ومراجعه فى هذه النصوص الخمسة على التوالى : الحماسة بشرح المرزوقى ١٤٠٢ ، ديوان جران ٥٢ ، وتاريخ الطبرى ٢٩٧/٣ ، وديوان الأخطل ٢ ، والحماسة ٥٠١/٢

(٢) الكتاب ٤٠/٢ ، واللسان (سلط) ١٩٣/٩

(٣) المغنى ٣٧/٢

(٤) انظر : الصحاح (عنن) ٢١٦٦/٦

وذو الرمة هذا ليس تميميا وإنما ينتمى إلى بنى عدىّ بن عبد مناة بن أُدّ[1] .

(٣) قال المستوغر التميمى :

عل مابَقَى إلّا كما قد فاتنا يومٌ يجىءُ وليلةٌ تحْدونا[2]

و «بَقَى» بفتح القاف بدل «بَقِى» بكسرها لغة طيء[3] .

ونلاحظ أن الشعراء الذين تضمن شعرهم الظاهرة التميمية ينتمون إلى قبائل كانت مجاورة لتميم مما يجعل التأثر بلغتهم أمرا طبيعيا .

* * *

٢ - اعراب العدد من ثلاثة الى عشرة المضاف الى ضمير يعود على اسم سابق :

من الأساليب التى استعملها العرب العدد يضاف إلى ضمير يعود على اسم سابق ، مثل «ثلاثة» فى قولهم : مررت بهم ثلاثتهم . وقد وجدنا لتميم نهجا يخالف نهج الحجازيين فى العدد من ثلاثة إلى عشرة . هذان النهجان هما :

الأول - وهو خاص بالحجازيين ، والعدد فيه دائما منصوب بغض النظر عن إعراب ذلك الاسم السابق[4] ويؤوله سيبويه بالمصدر فيقول : «هذا باب ما جعل من الأسماء مصدرا ... وذلك قولك : مررتُ به وحدَه . ومررت بهم وحدَهم ، ومررت برجل وحدَه ، ومثل ذلك فى لغة أهل الحجاز : مررت بهم ثلاثتَهم وأربعتَهم وكذلك إلى العَشَرة»[5] ، ويشرح السيوطى (ت ٩١١ هـ) رأى سيبويه بقوله : «وتأويله عند سيبويه أنه فى موضع مصدر وضع موضع الحال ، أى مُثَلِّثا أو مُخَمِّساً لهم»[6] .

والثانى - وهو مذهب بنى تميم ، وكانوا يتبعون ذلك العدد فى الإعراب الاسم الذى يعود عليه الضمير المضاف إليه[7] ، فتقول مثلا : حضر الأصدقاءُ ثلاثتُهم ، وأكرمت الأصدقاءَ ثلاثتَهم وأعجبت بالأصدقاءِ ثلاثتِهم . ويعرب النحاة العدد حينئذ على أنه توكيد[8] .

---

(١) جمهرة أنساب العرب ٢٠٠ (٢) معانى الشعر للأشناندانى ١١٦ (٣) اللسان (بقى) ١٨ / ٨٦ .
(٤) الكتاب ١/٣٧٣ ، وتسهيل الفوائد ١٠٨ ، وهمع الهوامع ١/٢٣٩
(٥) الكتاب ١/٣٧٣ (٦) همع الهوامع ١/٢٣٩
(٧) الكتاب ١/٣٧٤ ، وتسهيل الفوائد ١٠٨ ، وهمع الهوامع ١/٢٣٩
(٨) تسهيل الفوائد ١٠٨ ، وهمع الهوامع ١/٢٣٩

ينحصر الفرق بين الأسلوبين إذن فى أن البيئة الحجازية التزمت حركة واحدة فى حين إن التميميين استخدموا الحركات الثلاث . وميل الحجازيين إلى حركة واحدة يتفق وما ذهبنا إليه عند الحديث « أمس » و « ما جاء على فَعالِ » من اتجاههم إلى الاكتفاء بحركة واحدة الكلمة . وتمسك التميين بالحركات الثلاث يتسق وميلهم إلى تعدد الحركات .

* * *

٣ — « عسى » و « اخلولق » و « أوشك » ، والمطابقة بينها وبين الاسم السابق لها :

كان لتميم نهج فى « عسى » وأختيها « اخلولق وأوشك »[١] ، فهى عندهم تطابق المسند إليه المتقدم عليها ، إذ يتصل بها ضمير يطابق ذلك الاسم فى النوع والعدد . وهى فى ذلك تختلف عن اللغة الحجازية التى لا تقر سوى صورة واحدة فى جميع الحالات ، تلك الصورة التى استقرت عليها اللغة المشتركة ، فلغة تميم كانت تقول مثلا :

— زيد عسى أن يقوم	— هند عست أن تقوم
— الزيدان عسيا أن يقوما	— الهندان عستا أن تقوما
— الزيدون عسوا أن يقوموا	— الهندات عسين أن يقمن

على حين أن لغة الحجاز كانت تقول :

— زيد عسى أن يقوم	هند عسى أن تقوم
— الزيدان عسى أن يقوما	الهندان عسى أن تقوما
— الزيدون عسى أن يقوموا	— الهندات عسى أن يقمن[٢]

وهذا النهج الذى سارت عليه تميم يتفق وماسارت عليه اللغة الفصحى فى أفعالها الأخرى ومنها أفعال هذا الباب (المقاربة والرجاء والشروع) وذلك عندما يتقدم المسند إليه المسند ، ويتفق والفعل للتطابق بين المسند والمسند إليه .

---

(١) يدرس النحاة عسى واخلولق وطائفة أخرى من أدوات ناسخة تحت باب « المقاربة » (انظر مثلا شرح ابن عقيل ١/٣٢٢) وذلك من باب إطلاق الجزء على الكل ، إذ ليست كلها المقاربة فعسى واخلولق تدلان على الرجاء بخلاف أوشك التى تدل على المقاربة (انظر : شرح ابن عقيل ١/٣٢٣) .

(٢) شرح الأشمونى ١/٢٦٦ ، ٢٦٧ ، وشرح التصريح ١/٢٥١ ، وانظر بشأن « عسى » البحر المحيط ٨/١١٣

أما النهج الحجازى فهو وإن كان قد اتبع فى اللغة الفصحى يعد شاذا عن القاعدة العامة . وهذا الشذوذ يمثل مرحلة متأخرة . ولو كان هذا التطور الحجازى خاصا بعسى وحدها ، لكان مستساغا لاختلاف العلماء فى تحديد نوعه : أهو حرف أو فعل[1] . ولو ضممنا إلى عسى اخلولق فقط ، لأمكن قبول ذلك ، لأنهما فعلان غير متصرفين فى رأى من لم يعد عسى حرفا ، وذلك بخلاف أوشك التى لا يشاركها فى التصرف من أفعال هذا الباب سوى كاد[2] . لكن اللغة لا تعترف بالمنطق فى كل قواعدها .

وما ذهبنا إليه فيما يتصل بهذه الأفعال الثلاثة يتفق وما ذهب إليه الدكتور حسن عون بشأن المطابقة عندما يتقدم الفعل الاسم ، وهى الحالة التى عرفت بلغة « أكلونى البراغيث » ، فهو يقول : « من المرجح أن تكون هذه الطريقة فى التعبير أسبق من القاعدة العامة المعروفة الآن ، وهى إفراد الفعل عندما يتقدم الفاعل الجمع ، فالمعقول أن يجمع الفعل مع الجمع ويفرد مع المفرد »[3] . وهذه اللغة التى أشار إليها الدكتور عون نسبت إلى طيىء وأزد شنوءة وبلحارث[4] والأصل فى اللغات السامية أن يعامل الفعل معاملة هذه اللغة[5] .

القراءات ولغة تميم :

وردت كلمة « عسى » فى قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساءٌ من نساء عسى أن يكُنّ خيرا منهن)[6] ، وقد قرأ وفق اللغة التميمية (عسوا أن يكونوا) و(عسين أن يكن) عبد الله بن مسعود وأُبَىّ[7] » .

---

(١) المغنى ١/١٣٢
(٢) شرح الأشمونى ١/٢٦٤
(٣) اللغة والنحو ٦١
(٤) المغنى ٢/٣٧
(٥) فصول فى فقه العربية ٩٩ ، وانظر نصوص من اللغات السامية ٧ ، ٧٩ ، ١٢١
(٦) الحجرات ٤٩ / ١١
(٧) مختصر فى شواذ القرآن ١٤٣ ، والبحر المحيط ٨/١١٣ ، والقارىء الأخير هو : أبو المنذر أبى بن كعب بن قيس النجارى الأنصارى ، كان من كتاب الوحى وقرأ على النبى — صلى الله عليه وسلم — وقرأ عليه — صلى الله عليه وسلم — بعض القرآن للإرشاد والتعليم . توفى فى عهد عمر أو عثمان (معرفة القراء ١/٣٢ ، ٣٣ ، وغاية النهاية ١/٣١ ، ٣٢) .

تاسعا : الحذف

حذف خبر « لا » النافية للجنس :

المراد بـ « لا » هنا التى تنص على استغراق النفى للجنس كله ، ولذلك لا يجوز أن يقال مثلا : لا رجلَ قائما بل رجلان[١] . وهى تعمل عمل إنَّ[٢]

وقد اختلف التميميون والحجازيون فى ذكر خبرها أو حذفه . وللعلماء فى حذف الخبر عند تميم مذهبان :

١ – إذا دل دليل على الخبر وجب حذفه عند تميم وكثر عند الحجازيين ، قال ابن مالك : « وإذا علم [أى الخبر] كثرحذفه عند الحجازيين ولم يلفظ به عند التميميين »[٣] .

. وقد ذكر بعض العلماء مضمون نص ابن مالك هذا ، غير أنهم أشركوا طيئا مع تميم فى عدم التلفظ بالخبر ، نذكر منهم : ابن عقيل[٤] ، والأشمونى[٥] والسيوطى[٦] . ومثال حذف الخبر مع العلم به : لا اله إلا الله ، ولا غلام ، أى لا غلامَ لنا[٧] ، ولا رجل ، إجابة عمن سأل : هل من رجل قائم[٨] ؟

٢ – وجوب حذفه عند بنى تميم . وممن رأى ذلك الزمخشرى وابن يعيش ، قال الزمخشرى : « وبنو تميم لا يثبتونه فى كلامهم أصلا »[٩] . ولما صادفت أولئك العلماء أمثلة اشتملت على الخبر بحيث لو حذف لا يعلم ، أوّلوه ، وذلك مثل : لا رجلَ أفضلُ منك ولا أحدَ خيرٌ منك ، فقالوا إن « أفضل » نعت لرجل على الموضع ، وكذلك « خير » نعت لأحد على الموضع[١٠] .

وواضح أن المذهب الأول أقرب إلى الصواب ، لأن أصحابه لم يحتاجوا إلى تأويل ما خالف قاعدتهم .

---

(١) شرح ابن عقيل ٣٩٣/١
(٢) تسهيل الفوائد ٦٧
(٣) المرجع السابق .
(٤) شرح ابن عقيل ٤١٣/١
(٥) شرح الأشمونى ١٧/٢
(٦) همع الهوامع ١٤٦/١
(٧) شرح المفصل ١٠٧/١
(٨) شرح ابن عقيل ٤١٣/١
(٩) المفصل (ضمن شرح المفصل) ١٠٧/١
(١٠) شرح المفصل ١٠٧/١

تفسير الظاهرة :

حذف خبر « لا » النافية للجنس نوع من الاختصار النطقى ، يمكن أن نطلق عليه « اختصار جُمْلى » وهو يلائم البيئة الصحراوية ، فالمتكلم قد تكون بينه وبين المخاطب مسافة شاسعة ، فلو نطق كل أجزاء الجملة فقد يسمعها المخاطب بغير وضوح . فيكتفى حينئذ بجزء من الجملة يؤدى الدلالة كاملة . وهذا شبيه بلغة البرقيات فى عصرنا الحاضر أما البيئة المستقرة فيندر فيها وجود الحاجز بين المتكلمين ، وليست هناك بالتالى ضرورة إلى بتر جزء من أجزاء الكلام . فشىء طبعى إذن ألا يكثر حذف خبر « لا » النافية للجنس عند الحجازيين كثرته عند بنى تميم .

الباب الخامس
المستوى الدلالي



الترادف : المشترك اللفظى ، والتضاد

الأصل فى اللغة أن يكون للمدلول الواحد لفظ واحد يدل عليه ، لكن مرور الزمن يؤدى إلى نشوء عوامل معينة تجعل المتكلمين يطلقون على بعض المسميات أكثر من لفظ أو يطلقون بعض الكلمات على أكثر من معنى ، يقول الإمام الشافعى « وتسمى العرب الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة وتسمى بالاسم الواحد المعانى الكثيرة ، وإن ذلك من سنن العرب »[١] . وقد يصل الاختلاف فى المعنيين إلى درجة التضاد .

وقد دارت مباحث كثيرة حول هذه الظواهر الثلاث بين العلماء قديما وحديثا ما بين مثبت لها ومنكر . ولسنا هنا بصدد الحديث من هذه الزاوية ، فهذا مجاله الكتب المصنفة لهذا الغرض[٢] .

وسينحصر حديثنا فى الألفاظ التى نسبها اللغويون إلى اللغة التميمية مخالفة اللغة المشتركة أو إحدى لغات القبائل العربية على أنها جزء من الثروة اللفظية للعربية .

ولن نتعرض لهذه المصطلحات الثلاثة إلا بالقدر الذى يعيننا على دراسة الألفاظ التى عزاها اللغويون إلى تميم مخالفين غيرهم فى دلالتها ، أو الألفاظ ذات الدلالة التميمية مقارنة بألفاظ أخرى معزوة لغير التميمية وتحمل دلالة الألفاظ التميمية .

وسندرس هذه الأنواع من الألفاظ تحت عناوين ثلاث ، هى : الترادف . والمشترك اللفظى ، والتضاد ، ومدار التفريق بينها النص الذى ذكره اللغويون بشأن اللفظ :

(أ) فإذا كان حديثهم عن الدلالة واختلاف تميم عن غيرهم فى الألفاظ ، فمجال الدراسة الترادف .

(ب) وإذا كان حديثهم عن اللفظ واختلاف دلالته عند تميم عن غيرهم ، فموضعه المشترك والتضاد .

---

(١) الرسالة ٣٢

(٢) انظر على سبيل المثال : المزهر للسيوطى ١/٣٦٩-٤١٣ ، وفى اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس ١٧٤ - ٢١٥ ، وفصول فى فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب ٣٠٨ - ٣٥٧

الفصل الأول

الترادف

الترادف هو إطلاق لفظين أو أكثر على مسمى واحد ، ويعرفه الإمام فخر الدين[١] بأنه « الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد[٢] .

ويجمع اللغويون المحدثون على إمكان وقوع الترادف فى كل لغات البشر[٣] ، لكنهم يشترطون شروطا لابد من تحقيقها للحكم على وجود الترادف ، وهى :

١ — الاتفاق اتفاقا تاما على الأقل فى ذهن الكثرة الغالبية لأفراد البيئة الواحدة .

٢ — الاتحاد فى البيئة اللغوية ، أى يكون للشخص الواحد الحرية فى استعمال مترادفات اللفظ الواحد فيستعمل مرة هذا اللفظ ، ومرة ثانية ذلك ، وهكذا . .

٣ — الاتحاد فى العصر .

٤ — ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتى للفظ الآخر كالجثل والجفل بمعنى النمل[٤] .

وقد عالجنا ما يتصل بالشرط الرابع (الأخير) فى الباب الثانى الخاص بالصوتيات .

أما فيما يخص الاتحاد فى العصر ، فإن هذا يصعب تحققه فى الكلمات التى استعملت فى عصور الاحتجاج ؟ لأننا نفقد شهادات ميلاد الكلمات ، اللهم إلا ما يتصل منها بالتعاليم الإسلامية

وأما بالنسبة للاتحاد فى البيئة اللغوية ، فإننا ننظر إلى الألفاظ المعزوة لتميم — رغم أنها كانت خاصة بهم — إلى أنها أصبحت بعد ذلك ميراثا عاما للغة العربية الفصحى المشتركة .

ووفقا لذلك فستكون دراستنا للألفاظ التميمية التى وجدت لها مرادفات فى غيرها من اللغات أو فى اللغة المشتركة .

---

(١) هو الامام فخر الدين الرازى فى كتابه « المحصول » فالسيوطى ينقل عنه كثيرا (انظر على سبيل المثال : المزهر ١/١٦) .

(٢) المزهر ١/٤٠٢ (٣) فى اللهجات العربية ١٧٨

(٤) المرجع السابق ١٧٨ ، ١٧٩ ، وانظر : فصول فى فقه العربية ٣٢٢ ، ٣٢٣

وسنبدأ بعرض هذه الألفاظ لفظا لفظا مبينين سبب استعماله ، ثم بعد عرضها نستخلص المنهج التميمى فى هذه الألفاظ .

١ — الأشاء :

يذكر ابن دريد لفظين للدلالة على ما ينبت من النوى ، هما : الأشاء والفَسِيل وقد عزا الأول منهما إلى نجد[1] التى كانت موطن التميميين وغيرهم . وللفظين مرادف ثالث هو « الوَدِىّ »[2] .

وإذا رجعنا إلى مواد هذه الألفاظ الثلاث كى نعرف سبب تعدد هذه الألفاظ ، نجد :

(أ) الفَسِيل :

تدل مادة (فسل) على الضعف[3] . وما ينبت من النوى هو نخل فى دور الطفولة الذى يتسم بالضعف ، فاشتق العربى له اسما على « فَعِيل » بمعنى مفعول ، لأن الفسيلة تقطع من الأم أو تقلع من الأرض فتغرس[4] .

(ب) الوَدِىّ :

وتدل مادة (ودى) على البروز والانتشار[5] ، وهذا يتفق أيضاً وصغار النخل ، فهى بارزة فى الأرض ، وتنتشر فى بقعة منها عادة . فاشتق العربى اسما لها على وزن « فَعِيل » .

(ج) الأشاء ، والواحدة أشاءة :

أما إذا اتجهنا إلى مادة (أشأ) فى المقاييس[6] واللسان[7] نجدهما لا يذكران سوى الأشاء بمعنى صغار النخل ، مما يجعل تفسير اللفظ أمرا عسيرا ، لكن هذا العسر يزول إن صح حدْسُنا ، وهو أننا نرى أنه ليس بمستبعد أن تكون الشين مقلوبة عن الجيم ، على نحو ما لا حظنا فى الإبدال[8] ، فقد نسب إلى التميميين قولهم « شَرٌّ ما يُشِيئُك إلى مُخَّة

(١) جمهرة اللغة ١٨٠/١ ، ١٨١

(٢) اللسان (فسل) ٣٤/١٤ (عن الأصمعى) ، وانظر (ودى) ٢٠ / ٢٦٤ والمصباح (فسل) ٤٧٣

(٣) مقاييس اللغة ٥٠٣/٤

(٤) المصباح (فسل) ٤٧٣

(٥) انظر : اللسان (ودى) ٢٦١/٢٠ — ٢٦٤

(٦) المقاييس ١٠٧/١

(٧) اللسان ١٥/١

(٨) راجع ص ١٠٨

عُرْقُوب) ، بدلا من « يُجِيئُك » فصيغ من الفعل « جاء » اسما للدلالة على أن هذا النبات جاء من الأَرض بمعنى خرج منها ونبت ، وهو بعد خروجه يكون صغيرا .

والخلاصة أن كل قوم اشتقوا اسما من مادة تختلف عن الأُخرى وبكل منها صفة تدل على صفات النخل الصغير وإن كان هذا الاشتقاق لا يتضح عند التميميين إلا إذا سلمنا أن الشين عندهم مبدلة من الجيم .

٢ ــ الجَليل :

كان أهل نجد يطلقون على الثُّمام الجليل ، وسماه أهل العالية الثُّبهان[١] . وفيما يلى عرض لكل من الكلمات الثلاث كى نتبين سبب ترادفها .

(أ) الثُّمام :

وهو أُشهرهذه الأَلفاظ الثلاثة وهذا يتضح من عرض صاحب كتاب النبات والشجر[٢] ، فهو يقول « ومن النبت الثمام . . . وأهل نجد يسمونه الجليل . . . قال أبو بكر : أهل العالية يسمون الثمام الثُّبهان[٣] » . ويعرفه علماء النبات المحدثون بأَنه « عشب من الفصيلة النجيلية يسمو إلى متر وخمسين سنتيمترا . فروعه مزدحمة متجمعة ، والنورة سنبلة مدلاة »[٤] .

(ب) الثُّبهان :

أَما الثُّبهان (بضم الشين والباء وبفتحهما[٥]) الذى عزى لأَهل العالية ، فقيل فى التعريف به عدة أَقوال .

١ ــ الثُّمام عند أَهل العالية كما سبق أن ذكرنا ، وكذلك عند اليمنيين كما نقل ابن دريد[٦]

---

(١) النبات والشجر (المعزو للأصمعى) ٤٣ ، ٤٤

(٢) انظر ماكتبه الدكتور رمضان عبد التواب عن هذا الكتاب (فصول فى فقه العربية ٢٣٩ — ٢٤١)

(٣) النبات والشجر ٤٣ ، ٤٤

(٤) المعجم الوسيط (ثمم) ١/١٠١

(٥) اللسان (شبه) ١٧/٤٠٠

(٦) المرجع السابق

٢ - نبت يشبه الثمام[1] .

٣ - ضرب من العِضاه[2] ، وهى كل شجر له شوك ، وقيل : أعظم الشجر[3] .

ويبدو أن « الشبهان » أُطلق أولا على نبت يشبه الثمام ، اشتق المطلقون عليه اسمه من مادة (شبه) ، ثم انتقلت الدلالة إلى الثمام نفسه لعلاقة المشابهة بين المدلولين .

(ج) الجَليل :

وسبب اطلاق هذا اللفظ على الثمام ، أنه كان ينبت فى أحد الوديان الخاصة ببنى تميم اسمه « ذو الجليل » قال الأزهرى : « وذو الجليل واد لبنى تميم ينبت الثمام ، وهو الجليل »[4] .

وإطلاق التميميين هذا الاسم عليه من باب تسمية الشىء باسم محله . وقد يتساءل بعض الأشخاص لِمَ لا يكون الأمر على العكس ، سمى هذا الوادى باسم نبات الجليل ، وهو تسمية المحل باسم ما فيه ؟ . وللإجابة عن ذلك نقول : إننا رجحنا العكس ، لأن الاسم الذى كان شائعا هو الثمام ، وبه أخذت اللغة المشتركة .

٣ - الجُدْجُد :

أطلق التميميون على البَثْرة تخرج فى جفن العين « الجُدْجُد » فى حين إن ربيعة كانت تسميها « القَمَعَ »[5] ، ويرجع تعدد اللفظين إلى أن كلا منهما وضع لعلاقة المشابهة بين المدلول (بثرة العين) ، والحشرتين : الجُدْجُد ، والقَمَع .

فالجُدْجُد التى استعملها التميميون هى حشرة قَفّازة تشبه الجـراد وتصوت بالليل[6] ، وتسمى أيضا صَرْصَرا ، وصَرّار الليل[7] وهذه الحشرة سوداء اللون . أما القَمَعَ - وواحدته قمعة - فهو ذباب أزرق يدخل أنوف الدواب[8]

---

(١) المرجع السابق
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق (عضه) ٤١١/١٧
(٤) تهذيب اللغة ٤٨٩/١٠
(٥) تقويم اللسان ١١١
(٦) اللسان (جدد) ٨٦/٤
(٧) المرجع السابق .
(٨) اللسان (قمع) ١٦٩/١٠

ووجود البشرة فى العين يعد شائبة ، وبينها وبين كل من الجدجد والقمع شبه فى الحجم . وأرى أن القبيلتين راعتا كذلك اللون ، فالتميمى الذى يقطن فى قلب الجزيرة وضع فى اعتباره لون البشرة فى عين العربى التى تتفق ولون الحدقة عنده ، لذا فقد اختار الحشرة السوداء المعروفة بالجدجد . لكن ربيعة — وهى ذات فروع متعددة ، منها بكر بن وائل وكانت ديارهم من اليمامة إلى البحرين إلى سيف كاظمة فأطراف سواد العراق فالأبلة فهيت[1] ، ومنها تغلب وكانت تقيم بالجزيرة[2] ، فهى إذن جاورت الأعاجم الذين اشتهروا بزرقة العيون ، لذا راعت فى الحشرة التى شبهت بها بشرة العين أن تكون زرقاء فاختارت « القَمَع » .

ونلاحظ أن اللفظ التميمى احتفظت به عامية بغداد ، فقد سجله ابن الجوزى فى القرن الخامس الهجرى بصيغة « الكُدكد »[3] .

٤ — الجَدَال :

قال ابن دريد : « والجدال : الخَلَال بلغة أهل نجد »[4] . وقبل أن نتناول الكلمتين النجدية وغير النجدية — كلا على حدة — بالدراسة ، نذكر النص التالى نقلا عن الأصمعى توطئة لفهم دلالتيهما ، قال : « يقال : الكافور : وعاء طلع النخل .... فإذا انعقد الطلع حتى يصير بلحا ، فهو السَّياب...فإذا اخضر واستدار قبل أن يشتد فأهل نجد يسمونه الجَدَال ، فإذا عظم فهو البُسْر ، فإذا صارت فيه خطوط وطرائق فهو المُخَطَّم ، فإذا تغيرت البسرة إلى الحمرة قيل : هذه شَقْحَة ... فإذا ظهرت فيه الحمرة قيل أزهى النخل وهو الزَّهو وفى لغة أهل الحجاز الزُّهو ، فإذا بدت فيه نقط الإرطاب قيل : قد وَكَّت »[5] .

---

(١) صفة جزيرة العرب ١٦٩

(٢) المرجع السابق ١٧

(٣) تقويم اللسان ١١١

(٤) جمهرة اللغة ٢/٦٧

(٥) النخل والكرم ٦٦ ، ٦٧

بعد هذا نعود لعرض الكلمتين .

(أ) الجَدَال : إذا رجعنا إلى مادة (جدل) نجدها تدل على المتانة والقوة[١] وهذا ما نراه أيضا فى العبرية ، فالفعل : גָּדַל معناه : كبر أو عَظُم[٢]. ونلاحظ أن الجدال مر بمراحل حتى أصبح شديدا. ومن هنا أطلق عليه النجديون هذه التسمية. ونسب ابن الأعرابى الشدة للنواة ، جاء فى اللسان « قال ابن الأعرابى : الجَدَالة فوق البَلَحة ، وذلك إذا جَدَلَتْ نَواتها ، أى اشتدت »[٣] ، وقد وردت هذه الكلمة بهذه الدلالة على لسان أحد الشعراء التميميين ، قال المخبل السعدى :

وسارَتْ إلى يَبْرِينَ خمسًا فأَصبحتْ   تَخِرُّ على أيدى السُّقَاةِ جَدالُها[٤]

(ب) الخَلال : والواحدة خلالة وقد نسبها شَمِر إلى أهل البصرة[٥] والمعروف أن البصرة لم تضم بيئة لغوية واحدة . فقد سكنتها قبائل عديدة – كما ذكرنا من قبل – والمطلع على مادة (خلل) يجد كثيرا من معانى ألفاظها (مشتقاتها) يدل على وجود فتحة فى وسط الشىء ، من ذلك تخليل الأصابع ، ونلاحظ أن مرحلة « الخلال » هى إحدى المراحل التى تمر بها ثمرة النخلة ، وهى مرحلة ليست فى البداية ولا فى النهاية .

نخلص مما سبق أن كل قوم نظروا إلى اللفظ بمنظار يختلف عن غيره فاشتقوا له اسما من مادة تختلف عن المادة التى اشتق منها سواهم ، ورغم الخلاف بين اللفظين فليس بينهما تناقض .

٥ – ٧ : الجرين – الحظيرة – المِسْطح (ألفاظ نجدية) :

أطلق العرب على المكان الذى يجفف فيه التمر عدة أسماء ، فقالوا : أَندر ، وبَيْدر ، وجُرْن ، وجَرِين ، وجَوْخان ، وحَصِيرة ، وحضيرة ، وحظيرة ، ومِرْبد ، ومِسطح (بكسر الميم) ، ومَسطح (بفتح الميم) ، وصُوبة ، وفَداء ، وفيما يلى عرض لكل لفظ :

(أ) الأَنْدر : وقد تكلم به أهل الشام[٦] . وهذا اللفظ دخيل من الآرامية ، فهو

---

(١) انظر اللسان (جدل) ١٣ / ١١٠

(٢) Gesenius, Hebrew ... p. 152.

(٣) اللسان (جدل) ١٣ / ١١٠

(٤) جمهرة اللغة ٢/٦٧

(٥) اللسان (خلل) ١٣ / ٢٣٣

(٦) اللسان (ربد) ٤ / ١٥١ ، (ندر) ٧/٥٣

فى الآرامية اليهودية وآرامية العهد القديم ʾiddĕrā — (ايدَّرا) ، وفى السريانية ʾeddĕrā كما أنه فى الآشورية ʾadru (أَدْرُ) ، والمراد بهذا اللفظ فى كل هذه اللغات الموضع الذى تداس فيه السنابل[1] .

ويلاحظ أن اللفظ فى انتقاله من الآرامية إلى العربية حدث فيه تغاير (dissimilation) إذ حول أحد صوتى الدال المضعفة إلى نون .

(ب) البَيْدر : وكان لأهل العراق[2] . وهذا اللفظ أيضاً دخيل من الارامية ، فهو مأخوذ من בֵּדְרֵא bĕdrē أى الحب الحصيد[3] .

(ج،د) : جُرْن وجَرِين[4] : ونسبت الصيغة الثانية إلى أهل اليمن[5] كما عزيت لأهل الحجاز[6] وأهل نجد[7] .

ويذكر اللغويون أن لفظة جرن المراد بها الحجر المنقور يصب فيه الماء[8] معربة عن الكلمة الآرامية جُرْنا ܓܘܪܢܐ[9] . ويبدو لى أن العرب — ومنهم أهل نجد — الذين استعملوا اللفظ للدلالة على المكان الذى يجفف فيه التمر ، استعملوا اللفظ بطريق المجاز لوجود تشابه بين الاستعمالين ، فذاك مكان لحفظ الماء ، وهذا لحفظ التمر حتى يجف ، ثم تطور اللفظ صوتيا بعد ذلك فأصبح جَرِينا وبقيت الصيغتان تستعملان دون أن تطغى الجديدة على القديمة .

(هـ) الجَوْخان : ولم ينسب إلى قوم معينين واللفظ دخيل فى العربية من الفارسية[10] .

---

(١) المعجم الكبير (أندر) ٥٣٧/١

(٢) اللسان (ربد) ١٥١/٤

(٣) المعجم الكبير (بدر) ٧٠٩/٢

(٤) تهذيب اللغة (حضر) ٢٠١/٤ ، والتاج (حظر) ١٥٠/٣

(٥) اللسان (جرن) ٢٣٨/١٦

(٦) اللسان (ربد) ١٥١/٤

(٧) المرجع السابق .

(٨) المرجع السابق (جرن) ٢٣٩/١٦

(٩) غرائب اللغة ١٧٦

(١٠) Steingass, Persian - English Dictionary ... p. 377.
واللسان (جوخ) ٤٩٠/٣

(و) الحصِيرة[١] : واللفظة مشتقة من حصر بمعنى حبس[٢] وهى على فعيل بمعنى مفعول ، لأنه مكان معين يحصر فيه التمر ليجفف .

ومن الممكن أن يكون سبب التسمية أن الحصيرة وهى مؤنث الحصير المنسوج من خوص الدَّوْم[٣] يُجفف التمر عليها عادة فالتسمية حينئذ تكون لعلاقة المكانية .

(ز) الحظيرة : وكان هذا اللفظ مستعملا عند النجديين[٤] ، وحَظَر بمعنى حَصَر أى منع[٥] . وحظيرة مؤنث حظير ، وهى اسم على وزن فعِيل بمعنى مفعول أى أن هذا الموضع يحصر فيه التمر .

(ح) الحضيرة[٦] : ولم أجده منسوباً لقوم معينين ، وليس فى مادة (حضر) صلة تربط بينهما وبين مكان تجفيف التمر ، وأرى أن الضاد مقلوبة عن الظاء فهذان الصوتان متقاربان مخرجا مما يجعل التبادل بينهما مستساغاً .

وقد تكون الضاد مقلوبة عن الصاد وبين الصوتين صلة تبيح تبادلهما فمخرج الضاد كما وصفه القدماء من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس ومخرج الصاد مما بين طرف اللسان والثنايا[٧] . وخير دليل على القرابة بينهما أن الضاد العربية تقابل صادا فى الأكدية والأوجاريتية والعبرية ، فكلمة أرض مثلا يقابلها فى الأكدية *ʾerṣetu* و *ʾirṣitu* وفى الأوجاريتية *ʾrṣ* ، وفى العبرية *ʾéreṣ* .

(ط) المِرْبَد : وقد نسب إلى أهل الحجاز[٩] ، وخصه الجوهرى وابن دريد بأهل المدينة[١٠] ، وهو مشتق من « رَبَد » بمعنى حبس[١١] . وقد أطلق اللفظ على محبس النَّعم[١٢] .

(١) المحكم ٣/١٠٣ ، واللسان (حصر) ٦/٢٧١ (٢) المرجعان السابقان .
(٣) اللسان (سطح) ٣/٣١٤
(٤) المحكم ٣ / ٢١٠ ، واللسان (حظر) ٥ / ٢٧٩ ، والتاج (حظر) ٣ / ١٥٠
(٥) المحكم ٣ / ٢١٠
(٦) اللسان (حضر) ٥ / ٢٧٥ ، والتاج (حظر) ٣ / ١٥٠
(٧) سر صناعة الإعراب ١ / ٥٢ ، ٥٣ (٨) المدخل إلى علم اللغة ٥٢
(٩) اللسان (ربد) ٤ / ١٥١
(١٠) الصحاح (ربد) ٢ / ٤٧٢ ، والجمهرة ١ / ٢٤٣ (١١) مقاييس اللغة ٢ / ٤٧٥
(١٢) المرجع السابق ٢ / ٤٧٦

ومنه مِرْبد البصرة ، وكان فى الأصل مكانا تحبس فيه الإبل[١] وقد كسرت الميم والوزن حينئذ من أوزان الآلة . ولعل هذا كان ملحظهم فى هذا المسمى . على أن الكسر علل بأن اللفظ كان يطلق فى الأصل اسما لموضع خاص وليس اسما عاما لكل موضع خاص بالربود[٢] .

(ى) المِسْطح : ينطق بفتح أوله وبكسره[٣] ونسب الكسر إلى أهل نجد[٤] وكذلك إلى أهل الحجاز[٥] وخص الأصمعى من النجديين بعض من يلى اليمامة قال : « ويسميه بعض من يلى اليمامة المِسْطح »[٦] .

واشتق هذا اللفظ من سَطح الشىء بمعنى بسطه على الأرض[٧] . وإذا كان اللفظ يدل على المكان ، وكانت الصيغة التى نسبت إلى النجديين كسر أولها ، فيمكن توجيه ذلك بأحد أمرين :

١ – الميل إلى الكسر فى مقابل الفتح وهذا مالاحظناه عند التميميين .

٢ – إن مِسطح وهو من أوزان الآلة والأداة كان يطلق على الحصير الذى ينسج من خوص الدَّوْم[٨] ، ثم انتقلت الدلالة لتعبر عن المكان الذى يجفف فيه التمر عن طريق المجاز لعلاقة الآلية ؛ لأن التمر يجفف عادة على الحصر .

(ك) الصُّوبة : وهو اللفظ الذى نسب لأهل الفَلْج[٩] وإذا رجعنا إلى مادة (صوب) نجد أن الصوبة تعنى الكُثْبة من تراب أو غيره ، ومنه ماحكاه اللحيانى عن أبى الدينار الأعرابى « دخلت على فلان فإذا الدنانير صُوبَةٌ بين يديه »[١٠] .

(ل) الفَداء : ويعزى إلى عبد القيس[١١] واعتقد أن هذا الاسم مشتق من فادى بمعنى حمى[١٢] ، أى أن هذا مكان لحماية التمر .

---

(١) اللسان (ربد) ٤/١٥٠
(٢) شرح الشافية ١ / ١٨٤ ، وانظر الكتاب ٤ / ٩٢
(٣) اللسان (سطح) ٣ / ٣١٤
(٤) جمهرة اللغة ١/٢٤٣ ، ١٥٢/٢
(٥) المرجع السابق ٢ / ١٥٢
(٦) النخل و الكرم ٧٢
(٧) اللسان (سطح) ٣ / ٣١٤
(٨) المرجع السابق
(٩) اللسان (صوب) ٢٥/٢
(١٠) المرجع السابق (فلج) ١٧٣/٣
(١١) جمهرة اللغة ٢ / ١٥٢ ، واللسان (فدى) ٢٠ / ٩
(١٢) انظر اللسان (فدى) ٢٠ / ٨

هذه اثنتا عشرة لفظة منها كلمة ذات صيغتين استعملتا للدلالة على مسمى واحد . وبعض هذه الألفاظ عربها العرب من الآرامية والفارسية ، وبعضها استعملوها بطريق الاشتقاق وهى وإن كانت قد اشتقت من ألفاظ متنوعة ، لكنها كلها تؤدى المعنى المراد. واستعمل بعضها الآخر بطريق المجاز ، ونلاحظ أن ثلاثة من هذه الكلمات الاثنتى عشرة عزيت إلى نجد ، وهى : الجرين ، والحظيرة ، والمِسْطح . وإذا كان الناس فى غالب أمرهم لايستعملون فى البيئة الواحدة إلا لفظا واحدا للمسمى الواحد فهذا يعنى أن هذه الألفاظ كانت موزعة بين النجديين – ومنهم تميم – وقد حدد الأصمعى موضع إحداها وهو المِسطح بأنه كان عند بعض من يلى اليمامة . ونحن لانستطيع أن نجزم أيًّا من هذه الثلاثة كان يستعملها التميميون إذ من المحتمل أن يكونوا قد نطقوها جميعها أو إحداها . وعلى الاحتمال الأول فهى ألفاظ مترادفة فى بيئة واحدة قبل أن تصبح ميراثا فى العربية المشتركة . وعلى الاحتمال الأخير وهو نطقهم واحدا منها فقط فنلاحظ أن واحدا منها وهو «الجرين» قد دخل عندهم من اللغة اليمنية ، والآخران – كما لاحظنا – مشتقان . كما نلاحظ أن اثنين من هذه الثلاثة – مع تطور فيهما – مستعملان عندنا فى صعيد مصر . الأول منهما هو الجُرْن خاص بالمكان الذى تداس فيه سنابل القمح والثانى المُسطاح وهو خاص بمكان تجفيف ثمار الذرة الرفيعة .

٨ – الحَدَج :

أطلق النجديون على الحنظل قبل أن يَصْفر «الحَدَج» وسماه اليمنيون «الجُحّ»[1] .

وإذا رجعنا إلى المادتين (جحح) و(حدج) نجد :

١ – أن مادة «جحح» تدل على السحب ، ومنها أطلق اليمنيون «الجُحّ» على كل شجر انبسط على الأرض[2] فتسميتهم الحنظل قبل أن يصفر «جُحًّا» من باب تخصيص العام .

---

(١) جمهرة اللغة (جحج) ١ / ٤٨ ، ٤٩

(٢) المرجع السابق ١ / ٤٨

٢ ــ أما إذا اتجهنا إلى مادة (حدج) فنجد أن «الحدج» من معانيها :

(أ) الحِمْل .

(ب) مركب من مراكب النساء نحو الهودج والمِحَفَّة[١] .

ويبدو أن المعنى العام هو «الحِمْل» أى حمل كان ومنه ما تحمله الأشجار ، ثم خصصه النجديون (ومنهم تميم) بحمل الحنظل مع تغير فى ضبط الكلمة . ومما يرجح أن للكلمة صيغا أخرى أنها وردت بلغة أخرى هى «الحُدْج»[٢] فإطلاقهم «الحَدَج» على الحنظل هو إذن من باب تخصيص العام .

٩ ــ الخوافى :

أطلق أهل نجد على السعفات التى تلى القِلَبَة الخوافى ، وسماها أهل الحجاز العواهِن[٣] .

والقِلَبَة جمع القُلْب «وهو لب النخلة وشحمتها ، وقيل هو أجود خوص النخلة وأشده بياضا»[٤] . وفيما يلى عرض للفظين :

(أ) الخَوافى : وهو اللفظ الذى أطلقه عليها التميميون وغيرهم من النجديين ، وكان ملحظهم فى تسميتها وضع هذه السعفات (أو الجريدة كما كان يسميها أهل الحجاز)[٥] مع غيرها ، فهى داخلية تقع بجوار القلبة ، وهناك سعفات أخرى خارجية هى التى يراها الناظر وتحجب تلك الداخلية . وقد أخذت اللفظة اسمها بطريق الاشتقاق ، فقد اشتقوا من (خفى) اسم فاعل ، فقالوا خافية ، ثم جمعوه شأن كل الأسماء التى لها أفراد فقالوا «الخوافى» .

---

(١) اللسان (حدج) ٣/٥٣ ، ٥٤

(٢) التكملة (حدج) ١ / ٤١١ ، واللسان (حدج) ٣ / ٥٥

(٣) النخل والكرم ، المنسوب للأصمعى ٦٥ ، والغريب المصنف ١٢٧/ب (عن الأصمعى) ، والنبات لأبى حنيفة ٥ / ١٥٣ ، والصحاح (عهن) ٦ / ٢٠٦٩ ، والتهذيب ١ / ١٤٥ (عن الأصمعى) ، والنوادر لأبى مسحل ٢/ ٤٢٦ ، واللسان (عهن) ١٧ / ١٧١ ، (خفى) ١٨ / ٢٥٩ ، والتاج (عهن) ٩ / ٣٨٧

(٤) اللسان (قلب) ٢ / ١٨١

(٥) الغريب المصنف ١٢٨ / ب

(ب) العواهن : وهى جمع عاهن[١] وهو الاسم الذى سماه بها الحجازيون وقد نظروا إليها من زاوية أُخرى – غير التى نظر منها النجديون – وهى خاصيتها الغَضّة الطرية فشبهوها بالعهن ، أى الصوف ذى الطبيعة الرخوة ، كما إنه يشبهها فى لونه .

ومن هاتين النظرتين المختلفتين للمدلول الواحد وجدنا له لفظين مترادفين .

١٠ – الرَّبذَة :

استعمل العرب عدة ألفاظ للدلالة على الخرقة التى تطلى بها الإبل الجربى ، فقالوا الرَّبَذَة – ونسبت هذه اللفظة إلى بنى تميم[٢] – والثَّمْلة والطُّلية دون نسبة إلى قوم معينين[٣] وإذا نظرنا إلى هذه الألفاظ نجد :

(أ) الثَّمْلَة :

إذا قرأنا مادة (ثمل) نجدها تدل على البقية[٤] ومن ذلك الثَّميلة بمعنى الحَبّ والسويق والتمر يكون فى الوعاء ، يكون نصفه فما دونه[٥] ، والماء القليل يبقى فى أسفل الحوض أو فى الوادى[٦] .

وتتخذ الخرقة التى تستعمل فى الطلاء عادة من بقايا ملبس أو كساء ، سبق أن استعمله الإنسان . ومن هنا جاءت تسميتها بالثَّمْلة .

(ب) الطُّلْية :

يقال طَلَى الشيء بالهِناء وغيره[٧] . والهناء هو القطران ويطلق عليه أيضاً الطِّلاء[٨] . واشتق بعض العرب من المادة كلمة الطُّلْية للدلالة على الصوفة التى تطلى بها الإبل الجربى[٩] .

---

(١) الصحاح (عهن) ٦ / ٢١٦٩
(٢) اللسان (ربذ) ٥/٢٥
(٣) السابق (طلى) ٢٣٤/١٩
(٤) مقاييس اللغة ١ / ٣٨٩ ، واللسان (ثمل) ١٣ / ٩٦
(٥) اللسان (ثمل) ١٣ / ٩٦
(٦) المرجع السابق .
(٧) اللسان (طلى) ٢٣٤/١٩
(٨) المرجع السابق .
(٩) المرجع السابق ٢٣٥

(ج) الرِّبَذة :

أما الربذة وهى المعزوة إلى تميم ، فإننا إذا اطلعنا على مادة (ربذ) نجدها تدل على الخفة ، فالرَّبَذ ، خفة اليد والرِّجل فى العمل والمشى [1] .

واستعملت الربذة أيضاً للدلالة على العهن يعلق فى أعناق البعير [2] .

ولما كانت الخرقة المستعملة للطلاء صغيرة بحيث يستطيع الشخص تحريك يده بخفة ؛ اشتق لها هذا الاسم .

وبعد ، فالملاحظ أن تعدد الألفاظ الدالة على الخرقة التى يهنأ بها مرجعه أن كل قوم اشتقوا لفظا من مادة غير المادة التى اشتق منها غيرهم ملتمسين وجود خاصية بالمدلول غير الخاصية التى لاحظها غيرهم .

١١ — الرهط :

كان النجديون يطلقون كلمة « الرَّهْط » على « الحَوْف » ؛ الذى عرفه لنا ابن الأعرابى (ت نحو ٢٣١ هـ) ، فقال : « هو جِلد يُقَدُّ سيورا عَرْض السَّيْر أربع أصابع أو شِبْرٌ ، تَلْبَسُهُ الجاريةُ صغيرة قبل أن تدرك وتلبسه [3] أيضاً وهى حائض ، حجازية [4] وإذا كان أبو طالب النحوى (ت نحو ٣٠٠ هـ) [5] قد فرق بين اللفظين ، فقال « الرهط يكون من جلود ومن صوف ، والحَوْف لا يكون إلا من جلود » [6] ، فإننى أرى أنهما واحد لكن اختلاف المادة المصنوع منها يرجع إلى ظروف معينة كوفرة أحدهما ، — أى الجلد أو الصوف — عند الصناعة ، وإجادة بعض الأشخاص الصنع من هذه المادة أو تلك .

---

(١) اللسان (ربذ) ٥ / ٢٤

(٢) المرجع السابق .

(٣) عبارة « المحكم » « تلبسها » . أما ما أثبتناه فن اللسان .

(٤) المحكم ٤ / ١٨ ، واللسان (حوف) ١٠ / ٤٠٦ ، وانظر : المحكم ٤ / ١٧٧
واللسان (رهط) ٩ / ١٧٧ ، والتاج (رهط) ٥ / ١٤٤ ، و(حوف) ٦ / ٧٨

(٥) هو المفضل بن سلمة (انظر ترجمة مفصلة له فى مقدمة كتابه : « مختصر المذكر والمؤنث » لمحققه الدكتور رمضان عبد التواب) .

(٦) التهذيب (رهط) ٦ / ١٧٥

وقد يكون شيوع الجلدى منه لمتانته وشدة تحمله ، وربما يكون سبب هذا التفريق أنه رئى عند التميميين مصنوعا من الصوف ومن الجلد ، أما ما رئى عند من يطلقون عليه « الحوف » مصادفة فكان مصنوعا من الجلد فقط .

ويذكر اللغويون كلمة ثالثة تشارك الكلمتين السالفتين فى الدلالة هى « الوَثْر »[١] . وإننا لندرك سبب الترادف بين هذه الكلمات الثلاث إذا ما رجعنا إلى كتب اللغة لنبحث فى المواد التى تنتمى إليها هذه الكلمات الثلاث :

(أ) الرَّهط : ويعنى :

١ ــ قوم الرجل[٢] ، وهم ذوو قرابته الأدنون[٣]

٢ ــ الجماعة من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة ، أو ما دون العشرة[٤] ، وقيل الأربعون فما دونها[٥] .

(ب) الحَوْف : ومن معانيه :

١ ــ الثوب[٦] .

٢ ــ ثوب تلبسه الصبيان لا كمين له[٧] .

(ج) الوَثْر :

يدل المعنى الكلى لهذه المادة على وطأة الشيء[٨] ، ومنه الوَثِير ، وهو كل شيء جلست أو نمت عليه فوجدته وطيئاً[٩] .

(١) انظر المرجع السابق ١٥ / ١١٦
(٢) اللسان (رهط) ٩ / ١٧٦
(٣) التهذيب ٦ / ١٧٤
(٤) اللسان (رهط) ٩ / ١٧٦
(٥) المرجع السابق ١٧٧
(٦) المرجع السابق (حوف) ١٠ / ٤٠٦
(٧) المرجع السابق .
(٨) انظر : اللسان (وثر) ٧ / ١٤٠ ، ١٤١
(٩) التهذيب ١٥ / ١١٦

والخلاصة أن النجدى – سواء أكان تميميا أم تميميا وغير تميمى – اختار اسمه بطريق الاستعاره ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به أن الجماعة عددة أشخاص وهذا الملبس عبارة عن جلد قُدّ عدة سيور.

أما الذين قالوا « الحَوْف » ، فإنهم وضعوه بالتجاوز من باب إطلاق الجزء على الكل ، فإذا كان الثوب يغطى الجسم كله ، فهذا يستر جزءا منه .

وأما الذين استعملوا « الوَثْر » فإن هذا الملْبس لما كان يطأ هذا الجزء الذى خصص لتغطيته من الجسم ، فالتسمية إذن لعلاقة السببية ، إذ أطلق السَّببَ على المُسبِّب .

١٢ – المِسْيَعة :

استعمل النجديون « المسيعة » مرادفة للمِسَجَّة عند اليمنيين للدلالة على الخشبة التى يدلك بها الطين ونحوه على الحائط . كما استعمل العرب الكلمة المعربة « المالجة »[١] . وشاعت أيضاً كلمات أخرى مرادفة لهذه الألفاظ الثلاثة ، فقالوا : « مالَق » و « مِملَق » و « مِملَط » و « مِملاط »[٢] . وسنتناول هذه الألفاظ السبع كلا على حده :

(أ) المِسْيَعة : السِّياع : الطين[٣] . يقال : سَيَّعت الحائط أى طينته بالطين[٤] . وقد اشتق النجديون – ومنهم تميم – اسم آلة على وزن « مِفْعَلة » فقالوا « مِسْيَعَةً » .

(ب) المِسَجَّة : وكانت لغة اليمنيين . وجاءت أيضاً على وزن « مِفْعَلة » ونلاحظ أن مَسَج تستعمل بمعنى رمى برقة (وقد استعمل الفعل خاصا بإلقاء الحيوان والطائر ما فى بطنه) ، واستعمل كذلك لمسح الحائط بالطين مسحا رقيقاً[٥] ، ومنه اشتقت « المِسَجَّة .

(ج) المَالَجة : وهى تعريب الكلمة الفارسية « مَالَچ » mālich[٦] بعد زيادة تاء التأنيث ، لأن الآلة مؤنثة تأنيثاً مجازيا ، على أن من العرب من لم يضف هذه التاء فترك اللفظ مذكرا ، بدليل أن صاحب القاموس أوردها كذلك (مالَج)[٧] وقلبت تش (ch) جيا .

---

(١) جمهرة اللغة ٥٢/١

(٢) اللسان (سجج) ٣ / ١١٩

(٣) اللسان (سيع) ٩ / ٣٤

(٤) المرجع السابق ٩ / ٣٥

(٥) المرجع السابق ٣ / ١١٩

(٦) Steingass, p. 1149

(٧) القاموس (ملج) ١ / ٢٠٨

(د ، هـ) المِمْلَط والمِمْلاَط : وهما لم يخرجا فى وزنهما عن أوزان أسماء الآلة وقد اشتقا من المِلاط وهو « الطين الذى يجعل بين سافى البناء ويملط به الحائط »[١] والكلمة دخيلة أصلها فى الآرامية ملطا[٢] .

(و ، ز) : المالَق والمِمْلَق : أرى أن القاف فى هذين اللفظين مبدلة من الجيم فى « مالَج » (الدخيلة من الفارسية) . والمعروف ـ كما سبق أن ذكرنا ـ أن اليمنيين كانوا ينطقون الجيم كَيما . ثم انتقلت من هؤلاء المتكلمين إلى من كانوا ينطقون القاف مثل هذه الجيم ، فقالوا « مالَق » تم نطقها غيرهم على وزن مِفْعلة بوصفه اسم آلة .

نخلص مما سبق أن سبب الترادف هو أن بعض هذه الكلمات عربية وبعضها معربة وأن الأسماء العربية (ومنها التميمية) وضعت بطريق الاشتقاق على وزن « مِفْعَلة » وأنها اشتقت من كلمات مختلفة تتفق فى أن كلا منها له صلة بما تؤديه هذه الآلة من مهمة . وهم على الرغم من اختلافهم لا تناقض بينهم .

أما الأسماء المعربة ، فقد أجرى عليها العرب بعض التغييرات كشأنهم فى المعربات ، سواء أكان ذلك فى بعض أصواتها أم فى وزنها .

١٣ ـ الشَّفَلَّح :

يذكر ابن دريد ثلاث كلمات مترادفة تدل على نوع معين من النبات ، هى : أَصَف ، وكَبَر ، وشَفَلَّح وعزا الكلمة الأخيرة إلى أهل نجد[٣] . ولم يتفق اللغويون على هذا الترادف فى هذه الكلمات ، ولا على التعريف بها . وفيما يلى عرض لكل منها على حدة :

(أ) الأَصَف : ذكر الليث أن من العرب من كان ينطقه « اللصف » وأنه ثمرة شجرة تجعل فى المَرَق[٤] . أما الفراء فيعرف اللصف بأنه نبات ينبت فى أصل الكبر كأنه

(١) اللسان (ملط) ٢٨١/٩

(٢) الدخيل فى اللغة العربية ١ / ٤٣

(٣) جمهرة اللغة ٣ / ٢٦٠

(٤) تهذيب اللغة ١٢ / ١٩٠

خيار ، ولم يَعْرِف الأَصف[١] . وأما ابن دريد ، فقد جعل الأَصف والكبر اسما لمسمى واحد كَما ذكرنا .

وإذا رجعنا إلى « اللسان » بوصفه من أكبر المعاجم ، لا نجده يذكر فى مادة (أصف) إلا أنها لغة فى « اللَّصَف » كما ينقل قول أبى عمرو « الأَصَفُ الكَبر ، وأما الذى ينبت فى أصله مثل الخيار فهو اللَّصَف »[٢] .

وإذا ذهبنا إلى مادة (لصف) نجدها تدل على البريق والتلألؤ[٣] .

وعندما نتجه إلى علماء النبات المحدثين نجدهم لا يفرقون بين الأَصف واللصف والكبر[٤] . ويصفونه بأنه « نبت من الفصيلة الكَبَرِيَّة ، له شوك وورق أخضر ناضر . . . »[٥] ولعل هذا البريق فى ورقه هو سر إطلاق كلمة « اللصف » عليه .

(ب) الكَبَر : ويعرفه صاحب اللسان بأنه « الأَصف ، فارسى معرب » وأنه « نبات له شوك »[٦] ، لكن الحقيقة أن اللفظة دخيلة من اليونانية Kapparis [٧] ومن اليونانية أيضاً دخلت الفارسية[٨] .

(ج) الشَّفَلَّح : ويذكره ابن دريد مرادفاً للأَصف والكبر — كما ذكرنا — خاصا ببنى تميم ، وينص Steingass على أن الكلمة بالجيم وسكون الفاء « شَفْلَج »[٩] ومعنى ذلك أن الجيم حولت حاء فى العربية ، وهو إبدال شاذ لعدم التقارب بين الصوتين .

لكن الأزهرى يعرفه بأنه ثمر الكبر إذا تفتح وفيه حمرة[١٠] .

---

(١) تهذيب اللغة ١٢/١٩٠

(٢) اللسان (أصف) ١٠ / ٣٤٨

(٣) اللسان (لصف) ١١ / ٢٢٧

(٤) معجم أسماء النبات ٢٨ ، وانظر : المعجم الكبير ١ / ٣٣٣

(٥) الوسيط (أصف) ١ / ٢٠

(٦) اللسان (كبر) ٦ / ٤٤٥

(٧) غرائب اللغة العربية ٢٦٧

(٨) الألفاظ الفارسية لأدى شير ١٣١

(٩) Steingass, Persian-English p. 749.

(١٠) تهذيب اللغة (شفلح) ٥ / ٣١٥ ، وانظر ١٢ / ١٩٠ عند تناول الأزهرى لمادة (اللصف) فيثبت محقق هذا الجزء « شفلج » بالجيم وذكر فى الحاشية أن ذلك نقلا عن النسختين المخطوطتين اللتين رمز لهما بالرمزين د ، ج ، ويذكر كذلك أن النسخة « م » ذكرته بالحاء ، ونلاحظ نحن أن هذا ما أراده المؤلف بدليل أنه ذكره كذلك فى (شفلح) ولم يضمن فى كتابه مادة (شفلج) بالجيم .

نخلص مما سبق أن من اللغويين – كابن دريد – من يرى تساوى الألفاظ الثلاثة فى الدلالة ناسبا الشَّفَلَّح إلى تميم ، وتعليل الترادف فى هذه الحالة أن اللصف وهو أصل الأصف استعمل بالاشتقاق ، لأن الفعل لصف بمعنى برق وتلألأ مع تجوز ، لأن النضرة التى بالورق لاتبلغ درجة البريق ، أما الكَبَر فهى لفظة دخيلة من اليونانية ، وأما الشفلح فهى فارسية الأصل بعد قلب الجيم حاء .

ونخلص أيضا أن من اللغويين من أطلق الأصف وكذلك اللصف على ثمرة شجرة أو على شجر ينبت فى أصل الكبر ، فإذا صح كل هذا ، فإنه يعنى اشتراك اللفظ فى إطلاقه على أكثر من مدلول عند أقوام مختلفين ، وإذا كان من اللغويين من نقلوا أن الشفلح هو ثمر الكبر ، فهذا يعنى أن ذلك كان عند أقوام من غير التميميين كانوا ينطقون كلمة الكبر وأن هذه التسمية عندهم من باب إطلاق الجزء على الكل ، لأن اللفظة تطلق فى الفارسية على الكبر نفسه .

١٤ – الشَّوْارَن :

عزا أبو عمرو الشيبانى إلى بنى تميم أنهم كانوا يقولون « الشَّوْران » للدلالة على العُصْفُر ، ويقولون : ثوب مُشَوَّر أى مُعَصْفر [١] . والعصفر نبات كان يزرع فى البلاد العربية [٢] والكلمة معربة [٣] عن أُصپور الفارسية [٤] وكان ببلاد العرب عدة مواضع يطلق عليها « شَوْران » أحدها عزى إلى بنى يربوع . [٥] من تميم . فلعل العصفر كان يزرع به مما حمل هؤلاء التميميين على أن يطلقوا عليه « الشَّوْران » وذلك من باب تسمية الشيء باسم محله .

١٥ ، ١٦ – الضَّيْس والإيذان :

قال الصغانى (ت ٦٥٠ هـ) : « وقال الدينورى عن الأعراب القدُم : إذا أدبر الرُّطْبُ قيل : آذن ، وهو أول الهيج وهو من كلام سفلى مضر » ، قال الراعى :

وحارَبتِ الهَيْفُ الشَّمَالَ وآذَنَتْ مَذَانِبُ منها اللَّدْنُ والمُتَصَوِّحُ

(١) الجيم ٢/١٤٣
(٢) معجم البلدان (شوران) ٥/٣٠٦
(٣) اللسان (عصفر) ٦/٢٥٧
(٤) الألفاظ الفارسية المعربة ١١٥
(٥) معجم البلدان (شوران) ٥/٣٠٦

(ويروى الضَّيْس) . قال : وأما أهل نجد ، فيقولون ضاس يضيس ، فهو ضائس[1] .

فى هذا النص كلمتان اتفقتا فى المعنى ، وهو بداية جفاف النبت . هذان اللفظان هما : الإيذان والضيس .

١ — الضَّيْس : وينسب هذا اللفظ إلى النجديين (ومنهم تميميون) وهو يعنى عندهم أول الهيج ، كما يعنى — دون أن ينسب إلى قوم معينين — الهيج مطلقا[2] . وإن استعمال النجديين من باب تخصيص العام . وسنتناوله أيضاً فى المشترك اللفظى .

٢ — الإيذان : وينسبه أبو حنيفة — مستعملا الفعل فقط — إلى سفلى مضر .

والإيذان هو الإعلام[3] ، وبداية يبس الرطب إعلان لقرب تمام جفافه ، فاستعمال سفلى مضر هو من تخصيص العام أيضاً .

وإذا كان اللفظ الأول (ضاس) قد نسب إلى نجد ، وهذا اللفظ (آذن) عزى إلى سفلى مضر . والمعروف أن سفلى مضر هم المضريون الذين سكنوا ما يلى الحجاز أى شرق الجزيرة ومنها نجد ، وأن بنى تميم كانوا يندرجون تحت الاسمين وهذا ما يوقع الإنسان فى حيرة ، فهل المراد أن النجديين كانوا ينطقون اللفظين ؟ وإذا كان ذلك كذلك فلم لم يكتف أبو حنيفة بذكرهم ، أو بذكر سفلى مضر فى الموضعين ؟ أو هل المقصود أن كل لفظ اختص به قوم ؟ وإذا كان ذلك هو المعنى ، فهل كان التميميون يقولون : آذن أوضاس ؟

إن هذا الأمر قد تنبه إليه الزَّبيدى (ت ١٢٠٥ هـ) من قبل ، فقال « وما نقله الصغانى فيه نوع مخالفة ، فتأمل »[4] .

إننى أرجح أن اللفظين كانا مستعملين عند النجديين ، وكلا منهما كان مختصا بأقوام وأرى أن آذن كانت عند غير التميميين ، وكانت بصفة خاصة عند النميريين ، وهم فرع من قيس[5] بدليل وروده عند شاعرهم الراعى[6] .

---

(١) التكملة والذيل والصلة (ضيس) ٣ / ٣٧٥

(٢) اللسان (ضيس) ٧ / ٤٢٧

(٣) اللسان (أذن) ١٦ / ١٥٠

(٤) التاج (ضيس) ٤ / ١٧٧

(٥) جمهرة أنساب العرب ٤٨٢

(٦) انظر ترجمته فى : الأغانى ٢٣ / ٣٤٨

١٧ ـ العَيْدانة :

ورد بالمخصص : « أبو عبيد : إذا صار للنخلة جِذْع يَتناول منه المتناولُ ، فتلك النخلة العضِيد . . . فإذا فاتت اليدَ ، فهى جَبَّارة ، فإذا ارتفعت عن ذلك فهى الرَّقْلة وجمعها رَقْل ورِقال وهى عند أهل نجد العَيْدانة . . . أبو عبيد : فإذا طالت ، قال : ولا أدرى لعل ذلك مع انجراد فهى سَحُوق[1] . . . أبو حنيفة : ثم عَضِيدة ثم رَقْلة ثم مجنونة ، وهى أطول النخل ، ويقال للنخلة الطويلة بلغة أهل المدينة رقلة وفى لغة أهل نجد عَيْدانة وفى لغة أهل عُمان عَوَانة . . . ابن دريد : نخلة عَوان وفى لغة أهل البحرين صَادِية ، وفى لغة طيىء طَرْق والجمع طُروق »[2] .

يذكر هذا النص خمس كلمات مترادفة للدلالة على النخلة فى إحدى مراحل نموها وهى مرحلة متوسطة ، سبقتها مراحل ، وتلتها مراحل أُخرى . هذه الأَسماء هى : رقلة ، وصادية ، وطرق ، وعوانة ، وعيدانة ، وفيما يلى عرض لكل لفظ :

(أ) الرَّقْلة :

إذا رجعنا إلى مادة (رقل) نجد الإرقال بمعنى الإسراع[3] وأرى أن أهل المدينة أطلقوا على هذا النوع من النخل « رَقْلة » لأَنها أسرعت فى نموها وكبرت .

(ب) الصادِية :

أما تسمية أهل البحرين لها « الصادِية » فالصادى العَطِش والنخلة فى هذه المرحلة تكون عروقها قد امتدت فى الأَرض ، فلا تُسقى . فكأَن العطش قد أصابها ، وهذا التعليل يتفق وما سجله ابن منظور من أن الصوادى : النخل « التى لا تشرب الماء »[4] ، وما نقله ابن بَرِّى (ت ٥٨٢ هـ) عن أبى عمرو من أن « الصوادى : التى بلغت عروقها الماء فلا تحتاج إلى سقى »[5] .

(ج) الطَّرْق :

وهو الاسم الذى استعملته طيىء . ومن معانى هذا اللفظ ماء الفحل ، يقال : طرق

---

(١) من أول النص إلى هنا (دون ذكر « أبو عبيد ») فى الغريب المصنف (١٣٠ / أ) ، وقد نسبه للأصمعى ، فكان يجدر بابن سيده أن يعزوه إليه لا إلى أبى عبيد مؤلف الغريب المصنف .

(٢) المخصص ١١ / ١١١

(٣) اللسان (رقل) ١٣ / ٣١٢

(٤) اللسان (صدى) ١٩ / ١٨٥

(٥) المرجع السابق .

الفحلُ الناقة[1] : وأطلق على الناقة « طروقةً »[2] واستعمل الطرق والطروقة للإنسان أيضاً[3] .
وأرى أن استعمال طيء لها جاء من هذا الاستعمال عن طريق المجاز ، لأن هذه النخلة التي هي في متوسط عمرها تنتج ثمرا بعد أن يصلها الطلع من النخل الذكر ، فكأنه قد طرقها .

(د) العَوَان :

وتسميتها عند أهل عُمان بالعَوَان ، لأنها في مرحلة وسط كما حدد ذلك النص ، فلا هي بالصغيرة (عضيد) ولا هي قد بلغت من الطول منتهاه (سَحُوق) . والعوان النصف في سنها من كل شيء[4] .ومن ذلك قوله تعالى :(إنها بَقَرَةٌ لا فارِضٌ ولا بِكْرٌ عَوَان بيْن ذلك)[5] والفارض : الكبيرة المسنة ، وقيل التي ولدت بطونا كثيرة ، والبكر : التي لم تحمل[6] .

(هـ) العَيْدانة :

تدور معاني مادة (عدن) على الإقامة بالمكان والاستقرار به[7] ، ومنه (ومساكِن طيبةً في جنات عَدْن)[8] فالنجديون لاحظوا في هذه النخلة هذا المعنى ، فقالوا « عَيْدَانة» .

ومما سبق عرضه يتبين أن هذه المترادفات وضع اثنان منها بطريق الاشتقاق ، راعى كل من أصحابها سمة من سمات المسمى فاشتق له اسما ليدل عليه ، ووضع الثلاث الأُخر بطريق المجاز .

١٨ ــ عِدَّان :

كان بنو سعد بن زيد مناة يطلقون لفظ « عِدَّان » ويعنون به « زمن » ، قال الأزهرى (ت ٣٧٠ هـ) « سمعت أعرابيا من بني سعد بالأحساء يقول : كان أمر كذا وكذا على عِدَّان ابن بور ، وابن بور كان واليا بالبحرين قبل استيلاء القرامطة ــ أبادهم الله ــ يريد

---

(١) اللسان (طرق) ١٢ / ٨٥ (٢) المرجع السابق ٨٦ (٣) المرجع السابق .
(٤) الصحاح (عون) ٦ / ٢١٦٨ ، و اللسان (عون) ١٧ / ١٧٣
(٥) البقرة ٢ / ٦٨ (٦) مجمع البيان ١ / ١٣١
(٧) انظر مادة (عدن) في : العين ٢ / ٤٢ ومقاييس اللغة ٤ / ٢٤٨ ، واللسان ١٧ / ١٥٠ – ١٥٢
(٨) التوبة ٩ / ٧٢

كان ذلك أيام ولايته عليها »[1] . وإذا كانت مادة (عدن) تدل على الإقامة – كما ذكرنا في اللفظ السابق (عيدانة) أحد مرادفات رَقلة – فهذا يعنى أن هذا اللفظ صيغ من العدن واستعمل للدلالة على كلمة « زمن » الشائع استعمالها .

ويبدو أن هذا اللفظ لم يكن خاصا ببنى سعد من تميم وإنما كان شائعا عند غيرهم من التميميين بدليل أن الفرزدق ، وهو من بنى مجاشع بن دارم[2] استعمله فى شعره . قال يهجو مسكين بن عامر الدارمى وكان قد رثى زياد بن أبيه :

أتبكى امرءا من أهل ميسانَ كافرا
ككسرى على عَدَّانه أو كقيْصَرَا[3]

١٩ – الفوْدَج :

كان بنو سعد بن زيد مناة ومن وليهم يقولون فوْدج ،ويعنون به الهودَج[4] . وإذا نظرنا إلى اللفظين ، لاحظنا أن الخلاف بينهما ينحصر فى الهاء والفاء. والصلة الصوتية بين هذين الصوتين بعيدة ، فالأُولى حلقية أو هى حنجرية بتعبير المحدثين[5] والثانية شفهية[6] وهذا ما يجعلنا نحكم بعدم وجود تبادل صوتى بين اللفظين ، وبأنهما مترادفان .

تفسير ترادف اللفظين :

اللفظ السعدى (الفودج)– كما يقول اليزيدى (ت ٢٠٢ هـ) – « شىء يتخذه أهل كِرْمان » وهو أصغر من الهودج الذى يتخذه الأَعراب[7] والمعروف أن بنى سعد كانوا يقيمون شرق الجزيرة مدخل الكرمانين إليها ، فلما سمع هؤُلاء السعديون ومجاوروهم اللفظ الكرمانى وهو قريب فى نطقه من الهودج– وإن كانت دلالته لا تنطبق على الهودج تمام الانطباق – تأثروا به واستعملوه فى مقابل الهودج الذى كان شائعاً عند العرب .

---

(١) التهذيب (عدن) ٢ / ٢١٩

(٢) جمهرة أنساب العرب ٢٣٠

(٣) ديوان الفرزدق ١ / ٢٤٦

(٤) الكامل للمبرد ١ / ١٧١

(٥) علم اللغة للسعران ١٩٦

(٦) المرجع السابق ١٩

(٧) اللسان (فدج) ٣ / ١٦٥

٢٠ – النهى :

استعمل النجديون – ومنهم التميميون – كلمة « النِّهى » فى مقابل الغدير[١] ، وهو مستنقع ماء المطر[٢] . ويتميز التميميون عن سواهم من النجديين بأن نطقوا الكلمة بكسر النون ، وقد تناولنا ذلك عند الحديث عن « الفتح والكسر ».

ومرجع الخلاف بين النجديين وغيرهم أن كلا من الفريقين اشتق اسما من مادة تختلف عن الأخرى ، وفيما يلى توضيح ذلك :

(أ) النِّهى :

الفعل « نَهَى » بمعنى كف والمصدر منه النَّهْى وقد أخذ هذا المصدر طابع الاسمية . وعن طريق الاشتقاق أيضاً أطلق آخرون على المدلول نفسه « تنْهاة »و « تَنْهِية » وهما فى الأصل مصدر على وزن « تَفْعِلة »[٣] كما أطلق سوى هؤلاء جميعاً عليه « النِّهاء » وهو جمع نَهْى ويراد به : أصغر محابس المطر[٤] ، أى الغدير الصغير .

(ب) الغدير :

أما إطلاق لفظ « الغدير » عند الناطقين به على ما يسمى عند النجديين بالنهى . فمرجع ذلك أن « الغين والدال والراء » يدل فى العربية –كما لاحظ ابن فارس – على ترك الشىء[٥] ، وقيل إن الغدير سمى بذلك لأن السيل غادره[٦] .

---

(١) الصحاح (نهى) ٦ / ٢٥١٧ ، واللسان (نهى) ٢٠ / ٢١٩

(٢) مقاييس اللغة ٤ / ٤١٣

(٣) اللسان (نهى) ٢٠ / ٢٢٠

(٤) المرجع السابق .

(٥) مقاييس اللغة ٤ / ٤١٣

(٦) المرجع السابق .

٢١ ـ هَيْدَ :

كان بنو تميم يقولون « هَيْد » فى مقابل « مَهْيم » عند الحجازيين و « أَيَّم » عند كلب ، وكلها أسماء استفهام بمعنى مالك ؟[١]. ومرجع الترادف بين هذه الألفاظ أن :

(ا) هَيْدَ :

يبدو أن هذا اللفظ اختصار لقولهم «ما هذا ؟» قال الأزهرى : «والعرب تقول : هَيْد مالك ؟ إذا استفهموا الرجل عن شأنه ، كما تقول : ياهذا مالك ؟[٢] وذلك مع قلب الذال دالاً الذى يسوغه أنهما من مخرجين متقاربين فلدال من أصول الثنايا والذال من أطرافها[٣] .

(ب) مَهْيَم :

وهذا اللفظ دخيل على اللغة الحجازية من اللغة اليمانية[٤] .

(ج) أيم :

أما « أَيَّم » فواضح أنه اختصار لمهيم بعد قلب الهاء همزة . وهذا الإبدال له ما يسوغه ، لأنهما من مخرج واحد وهو الحنجرة. وقد تناولنا ذلك فى الفصل الأول من الباب الثانى .

٢٢ ـ الحميم :

أطلق بنو تميم على أحد فصول السنة الأربعة ، وهو ما يأتى بعد فصل الصيف « الحميم » فى مقابل « الخريف » عند أهل الحجاز[٥] . ومرجع هذه التسمية أن الأزمنة عند العرب ستة : ثلاثة للشتاء هى : الوَسْمِىّ و الشّتوى والربيع ، وثلاثة للصيف هى : الصيف والحميم والخريف[٦] . وبيّن أنهم عند اقتصارهم على فصلين من فصول الصيف الثلاثة وهما : الصيف وفصل آخر اختار كل من الحجازيين والتميميين للفصل الثانى اسما من الاسمين الآخرين (الحميم والخريف) وهو عند الطرفين من باب توسيع مجال الدلالة .راعى كل من الفريقين ظروف البيئة التى يعيشون فيها . ولأن نجدا موطن التميميين

---

(١) النوادر لأبى مسجل ١ / ٣٤٣ ، ٣٤٤
(٢) اللسان (هيد) ٤ / ٤٥٤
(٣) الكتاب ٤ / ٤٣٣
(٤) اللسان (مهيم) ١٦ / ٤٢
(٥) الأزمنة لقطرب ١٢٥
(٦) المرجع السابق ١٢٤

كان لايُمطر فى هذا الزمن أما الحجاز فكان يُمطر[١] والمطر يصحبه هبوط فى درجة الحرراة فيناسبه كلمة « خريف » أما شدة الحرارة فيناسبها كلمة « الحميم »

* * *

التعقيب :

هذه اثنتان وعشرون كلمة تميمية لثمانى عشرة دلالة ، لم يعز منها إلى تميم صراحة سوى ثمانية ألفاظ ، هى : الجُدْجُد ، والحميم ،والرَّبَذة والشَّوْران ،وعِدّان ،والفَوْدَج ،ونهى ، وهيّد . وعزى ثلاثة عشر إلى نجد وواحد إلى سفلى مضر ، ودرسناها على أنها تميمية لأن تميما جزء من كل منهما – كما وضحنا فى الباب الأول .

ونلاحظ أن ثلاثة ألفاظ نسبت إلى نجد لتعبر عن مدلول واحد ، وهى : جرين ، وحظيرة ، ومِسطح ، بالإضافة إلى عشرة ألفاظ أخرى عزيت إلى غيرهم لتعبر عن المدلول نفسه ، ونلاحظ كذلك أن لفظين عزى أحدهما إلى نجد (الضَّيْس) والآخر إلى سفلى مضر (الإيذان) وهما يدلان على معنى واحد . وهذه الألفاظ الخمسة التى عبر ثلاثة منها على مدلول والاثنان الباقيان على مدلول آخر ، هى التى تعد فى عرف اللغويين المحدثين مترادفة ، لأنهم يشترطون الاتحاد فى البيئة . ولكننا – كما سبق أن قلنا – جعلنا دراستنا للألفاظ المعزوة لتميم ولها لفظ آخر أو أكثر معادل سواء أكان فى البيئة التميمية نفسها أم فى خارجها ، لأنها كلها أصبحت ميراثا عاما للعربية الفصحى .

وبعد هذا العرض للكلمات المترادفة التى كان للتميميين نصيب فى نطق أحد ألفاظها يتضح لنا أن موقف تميم لم يكن بدعا يختلف عن نهج سواهم . وهذا ما تبين لنا ونحن نحلل كل كلمة ، سواء أكانت تميمية أم غير تميمية .

عوامل نشأة هذه الكلمات المترادفة :

لقد وضح لنا أن تميما وغيرها وضعت ألفاظها السابق عرضها بالطرق التالية :

١ – الاشتقاق .

٢ – تخصيص الدلالة ، أى التضييق فى المعنى .

٣ – تعميم الدلالة ، أى توسيع مجال استعمالها .

٤ – نقل مجال الدلالة . ٥ – التعريب .

---

(٣) اللسان (خرف)١٣/٤١

وتبين لنا أن كل لفظ وضع بهذه الطرق عدا الأخير منها لاحظ فيه العربى – تميميا كان أو غير تميمى – ملحظا معينا . كان ينظر إلى الشىء فيلحظ فيه عدة صفات . وكان كل قوم يرون أن إحدى هذه الصفات هى الغالبة ، فيصوغون لهذا الشىء اسما يشتقونه من لفظ يدل على هذه الصفة أو يطلقون عليه اسما بتخصيص المعنى بعد أن كان عاما ، أو توسيعه بعد أن كان ضيقا ، أو نقل مجال دلالته لعلاقة قد تكون المشابهة ويطلق على هذا الاستعارة أو المجاز الاستعارى وقد تكون العلاقة لغير المشابهة كالعلاقة المحلية وذلك بتسمية الشىء باسم مكانه ويعرف هذا النوع بالمجاز المرسل . وبهذه السبل بالإضافة إلى التعريب وجدنا للمدلول الواحد عدة ألفاظ . وفيما يلى بيان بالطرق التى وضع بها التميميون ألفاظهم السابق ذكرها مرادفة لألفاظ عند غيرهم ، وهى .

١ – الاشتقاق :

والألفاظ التى لاحظنا أنها تندرج تحت هذا النوع هى : الأشاء ، والجَدَال ، والخوافى ، والرِّبَذة ، والمِسطح ، والمسْيعة والعَيْدانة ، وعِدّان ، والنِّهْى .

٢ – تخصيص الدلالة :

وذلك بتضيق المعنى بعد أن كان واسعا . وقد وضع التميميون بهذا السبيل كلمتى الحَدَج والضَّيْس وكذلك الإيذان (على فرض نسبتها اليهم) .

٣ – تعميم الدلالة :

وذلك بتوسيع مجالها بعد أن كان ضيقا ، ووجدنا ذلك فى كلمة « الحميم » .

٤ – انتقال مجال الدلالة :

(أ) لعلاقة المشابهة بين المدلولين (الاستعارة) : الجُدْجُد والرّهط .

(ب) لغير علاقة المشابهة : والكلمتان اللتان تدخلان تحت هذا الصنف هما العجليل والشَّوْران وذلك لعلاقة المحلية .

٥ – التعريب :

والكلمات التى استعملها التميميون بأن عربوها فى حين إن غيرهم استعمل ألفاظا عربية ، هى : الشَّنَلَّج (عن الفارسية) ، والفودج (عن الكرمانية) . ذلك إلى اشتقاق اسم من لفظ معرب وهو الجَرين من كلمة جُرْن المعربة .

الفصل الثاني

المشترك اللفظي

المشترك اللفظي هو « اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة »[1].

ولقد وجدنا كلمات معزوة إلى تميم تحمل دلالة من الدلالات وفي الوقت ذاته تحمل دلالة أو أكثر عند غيرهم. وسنعرض فيما يلي لهذه الألفاظ ثم نعقب عليها بذكر العوامل التي أدت إلى نشأة الاشتراك اللفظي في هذه الكلمات :

١ ـ الأثلب :

ينقل الأزهري (ت ٢٧٠ هـ) عن شمِر قوله : « الأَثْلَب ، بلغة أهل الحجاز : الحجر ، وبلغة بني تميم : التُّراب »[2] ، وإذا رجعنا إلى معجمات اللغة المتقدمة نجدها لا تذكر للتراب تعريفا ، وذلك على عادتها في المسميات المشهورة ، فإذا لجأْنا إلى الحديثة المرتبطة بنصوص من عصور الاحتجاج فقط نجدها تعرفه بأنه : « ما تفتت ودق من جنس الأَرض »[3] فالتراب إذن قد يكون متفتتا من حجر أو غيره . والصلة بين كلمة « التراب » وهي دلالة الأثلب عند تميم والحجر الذي كان يدل على الكلمة نفسها عند الحجازيين ، هي صلة الفرع بالأصل بعلاقة يطلق عليها البلاغيون « اعتبار ما كان » . وقد ورد اللفظ بدلالته التميمية في قول رؤبة (وهو تميمي) :

* وإن تُناهِبْهُ تجدْه مِنْهبا *
* تكْسُو حُروفَ حاجبيهْ الأَثْلبَا *[4]

---

(١) المزهر ١ / ٣٦٩

(٢) تهذيب اللغة ١٥ / ٩١ ، والنص أيضا في اللسان (ثلب) ١ / ٢٣٥ ، وانظر : التاج (ثلب) ١ / ١٦٧

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم ١ / ١٥٨

(٤) البيتان في اللسان (ثلب) ١ / ٢٣٥ ونسب الأول في اللسان (نهب) ٢ / ٢٧٢ لأبيه العجاج ، والراجز يصف عيرا وأتنه (يناهب : يجاري في الجري — اللسان « نهب » ٢ / ٢٧١) .

٢ – آسِن :

كان بنو تميم يقولون « آسِن » ويعنون « مُنْتِن » ، وذلك كما فى قوله تعالى : (ماء غير آسن)[1]

وإذا رجعنا إلى المعجمات اللغوية نجدها تذكر « آسن » بهذه الدلالة التميمية ولكن دون عزو إلى قوم معينين[2] . وتذكره كذلك بدلالة أخرى هى المتغير[3] ، وبهذا فسر الفراء اللفظ الوارد بالآية السابقة[4] . وهذه الدلالة قريبة من دلالتها فى عبرية التوراة حيث تعنى كلمة יָשָׁן yāšān (ياشان) القديم[5] . ومن طبيعة الماء القديم التغير . وتغير الماء أعم من نتونته ، إذ ليس من الضرورى أن يكون كل متغير منتنا . فالتميمى هنا خصص مجال الدلالة بعد أن كان عاما . وكان لبنى تميم ماء يطلقون عليه « أُسُن »[6] ، فلعل هذا الماء ازداد تغيرا حتى أضحى منتنا . ومن هنا استعملوا اللفظ بهذه الدلالة .

٣ – أمة :

وردت هذه الكلمة فى قوله تعالى : (وادّكر بعد أُمّة)[7] وقيل فى تفسيرها إنها بمعنى « نسيان بلغة تميم »[8] .

ويذكر ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) لهذه الكلمة الدلالات التالية :

١ – الدِّين .

٢ – كل من كان على دين مخالف لسائر الأديان .

---

(١) غريب القرآن على لغات القبائل ١٠٠ ، وماورد فى القرآن من لغات القبائل ٢ / ٢١٠ والآية فى سورة محمد ٤٧ / ١٥

(٢) انظر : اللسان (أسن) ١٦ / ١٥٥ (٣) المرجع السابق

(٤) معانى القرآن ٣ / ٦٠

(٥) المعجم الكبير (أسن) ١ / ٢٩٩ (التأصيل السامى للمادة للدكتور يعقوب بكر)

(٦) اللسان (أسن) ١٦ / ١٥٧ (٧) يوسف ١٢ / ٤٥

(٨) رسالة فى غريب القرآن على لغات القبائل ٩٣ ، وماورد فى القرآن من لغات القبائل ١ / ٢١٧ وفيه « بلغة تميم وقيس عيلان »

٣ـ كل جيل من الناس .　　　　٤ ـ جماعة العلماء

٥ ـ القامة .　　　　٦ ـ الطاعة .

٧ ـ الرجل العالم .　　　　٨ ـ الحين [١]

كما أن من معانيها :

١ ـ الوالدة ، أى الأم .

٢ ـ النعمة .

٣ ـ الجنس [٢] ، ومنه قوله عز وجل : (وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطيرُ بِجَنَاحَيْه إِلّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم) [٣] .

وبين أن المعنى الأصلى هو « الوالدة » ، فهى أول ما تتفتح عليه عين الإنسان ونجد اللغات السامية تشترك جميعها فى لفظ « أم » [٤] .

ثم أطلق اللفظ على معان أخرى ، فالنعمة لعلاقة السببية ، والدين لأنه أصل المعتقد ، ومنه أخذت الطاعة ، والرجل العالم ، وجماعة العلماء ، ومن الأم أخذ الجنس أيضا ، لأنه أصل كل جماعة ، والجيل من الناس مأخوذ من الجنس ، ومن الجيل أخذ « الحين » لأنه الزمان الذى يعيش فيه ذلك الجيل ، وبهذه الدلالة فسرت « أمة » [٥] فى قوله تعالى : (وقال الذى نجا منهما وادّكر بعد أمّة) [٦] والصلة بين النسيان والمدة من الزمن صلة سببية ، فطول المدة من عوامل النسيان . وبين من هذه الصلة أن الدلالة حديثة ، وأنها كما أرى مرت بمراحل دلالية سابقة وتطورت من واحدة لأخرى بطريق المجاز ، فكانت فى الأصل أمة (بمعنى والدة) ثم تطورت على النحو التالى : جيل من الناس ← حين ← نسيان.

٤ ـ الإبسال :

قال ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) : « وأبسل الرجل ولده وغيرهم ، إذا رهنهم أو عرضهم

(١) مقاييس اللغة ١ / ٢٧ ، ٢٨
(٢) تاج العروس (أمم) ٨ / ١٨٩
(٣) الأنعام ٦ / ٣٨
(٤) المعجم الكبير (أمم) ١ / ٤٨٣
(٥) مجمع البيان ٣ / ٢٣٧
(٦) يوسف ١٢ / ٤٥

لهلكة . . . . ولغة القوم من أهل نجد يقولون : أبسلت البُسْر ، إذا طبخته وجَفَّفْته فهو « مُبْسَل »[١] .

ويدل المعنى الكلى لمادة (بسل) على الشدة[٢] ، ومنه : بسل بمعنى عَبَس غَضَبًا أو شجاعة[٣] ، وكلا المعنيين : النجدى ، والآخر ، وهما : تعريض الولد للهلاك : وتجفيف البسر يدلان على الشدة .

وإذا كان المعنى الحسى يسبق المعنوى ، فإن هذا يجعلنا نحكم بتقدم التميمى ونشأة الآخر عنه بطريق المجاز . ويؤيد قدم المعنى التميمى استعمال اللفظ فى الساميات بالدلالة نفسها ، ففى العبرية בָּשַׁל (بَاشَلْ bāšal) وفى الآرامية ܒܫܠ

(بْشِلْ bšel) وفى الآشورية bašālu وفى الحبشية بَسَل basala

وكلها بمعنى تضج أو طبخ ، وفى الآشورية كذلك بَشْلُ bašlu بمعنى الناضج من الفاكهة[٤] .

٥ – بغى :

قال تعالى : (بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده)[٥] ، وقيل إن « بغيا : حسدا بلغة تميم[٦]

وإذا رجعنا إلى مادة (بغى) نجد ابن فارس يذكرها بمعنيين كليين هما : طلب الشيء ، والفساد[٧] . ويعنينا هنا المعنى الثانى ، فنجد بغى بمعنى اعتدى ، وظلم ، وسعى بالفساد[٨] وكل هذه المعانى تدخل تحت الظلم .

والبغى بمعنى الحسد المعزو إلى تميم يندرج تحت الظلم وإن كان ظلما معنويا غير حسى ، إذ هو بمعنى تمنى زوال نعمة الغير[٩] ، فهو من باب تضييق الدلالة .

(١) جمهرة اللغة ١ / ٢٨٨
(٢) اللسان (بسل) ١٣ / ٥٦ – ٥٨
(٣) المرجع السابق ١٣ / ٥٦
(٤) المعجم الكبير (بسل) ٢ / ٣٢٣ (التأصيل السامى للدكتور رمضان عبد التواب)
(٥) البقرة ٢ / ٩٠
(٦) ما ورد فى القرآن من لغات القبائل ١ / ١٦
(٧) مقاييس اللغة ١ / ٢٧١
(٨) اللسان (بغى) ١٨ / ٨٤
(٩) مجمع البيان ١ / ١٨٤

٦ـ بيض النعامة الذكر :

سمع الأصمعي (ت نحو ٢١٦ هـ) « رجلا من بني تميم يقول : بيض النعامة الذكر يعني ماءه »[١] . والعرب يطلقون النعامة على الأنثى ويطلقون على ذكرها الظليم[٢] ، ومنهم من يطلق أيضا على الذكر نعامة[٣] . والأصمعي هنا ألحق بالاسم المؤنث كلمة الذكر ليؤكد أنه المقصود .

وإطلاق التميمي البيض على ما يخص الذكر ، وهو الماء لعلاقة المشابهة بين المدلولين ، لأن ما يخص الذكر يؤدي الوظيفة الخاصة ببيضة الأنثى .

٧ ـ الإِجْرِد :

ذكر أبو زيد (ت نحو ٢١٥ هـ) أن « الكَفَنة عشبة منتشرة النِّبتْة على الأرض يقال لها ما كانت رطبة كَفْنَةٌ ، فإذا يبست فهي الإجْرِدُ ، وتميم تسميها الإجرد على كل حال[٤] .

وإذا كانت مادة (كفن) تدل على التغطية[٥] ، فهذا يعني أنه أطلق على هذه العشبة مادامت رطبة كفنة ، لأن أوراقها تغطي مساحة معينة من الأرض ، أما عند يبسها فتتجرد عنها الأوراق التي تستر الأرض فسميت حينئذ الإجْرِد. وجاء التميميون وعمموا اللفظ فأطلقوه على العشبة في جميع أطوار حياتها .

٨ ـ خاشعة :

فسرت كلمة « خاشعة » في قول الله تبارك وتعالى: (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة)[٦] بأنها « مقشعرة بلغة تميم »[٧]

---

(١) المخصص ١٦ / ١٠٧
(٢) اللسان (نعم) ١٦ / ٦١
(٣) المرجع السابق
(٤) التكملة (جرد) ٢ / ٢٠٩
(٥) انظر : اللسان (كفن) ١٧ / ٢٣٩ ـ ٢٤١
(٦) فصلت ٤١ / ٣٩
(٧) رسالة في غريب القرآن على لغات القبائل ١٠٠ ، وماورد في القرآن من لغات القبائل ٢ / ١٧٤

والخشوع قريب من الخضوع ، إلا أن الخضوع فى البدن ، وهو بمعنى الإقرار بالاستخزاء ، والخشوع فى البدن والصوت والبصر[1] والفعل منه « خَشَع »[2] . وخشع بمعنى اقشعرَّ ، أى ارتعد[3] . والاقشعرار بالنسبة للأرض : تقبضها وتجمعها ، وفى حديث كعب : « إن الأرض إذا لم ينزل عليها المطر ارْبَدَّتْ واقشعرت »[4]

واضح مما سبق أن الخشوع بدلالته التميمية لا يكتفى بالتقبض وإنما يزيد عليه الرعدة والاضطراب ، فصنيع تميم هذا يعد من تخصيص العام .

٩ ـ الرِّبْق :

سمع الأزهرى (ت ٣٧٠ هـ) أعراب بنى تميم يطلقون كلمة « الرِّبْق » على « خيط يُثْنى حَلْقةً ثم يجعل رأس الشاة فيه ، ثم يشدٍ[5]

وإذا رجعنا إلى مادة « ربق » فى المعاجم اللغوية نجدها تستعمل الربق (وواحده الرِّبْقة) استعمالا عاما فتطلقه على « الخيط »[6] دون تحديد نوعه أو شكله ، ثم تخصصه كما فى الدلالة التميمية التى تجعله خاصا بما يحيط رقبة الشاة ، ولم تقتصر فى تخصيصها على الشاة ، وإنما جعلته عاما لكل بهيمة ، بل وللأطفال[7]

استعمال تميم إذن من باب تخصيص العام .

ونلاحظ أن استعمال هذا اللفظ ليس قاصررا على العربية ، وإنما هو مستعمل فى العبرية ففيها מַרְבֵּק بمعنى مربط[8] . وواضح أن الاستعمال العبرى فى منزلة وسط بين الاستعمال العام فى العربية (خيط) والخاص (خيط حول الرقبة سواء أكان

---

(١) اللسان (خشع) ٩ / ٤٢٣

(٢) المرجع السابق

(٣) انظر معنى « اقشعر » فى اللسان (قشعر) ٦ / ٤٠٥

(٤) النهاية لابن الأثير (قشعر) ٤ / ٦٦

(٥) تهذيب اللغة ٩/١٣٥

(٦) المرجع السابق ٩/١٣٤

(٧) راجع مقاييس اللغة (ربق) ٢/٤٨١ ، واللسان (ربق) ١١/٤٠٢ ، ٤٠٣

(٨) Gesenius, Hebrew ... P. 918

أكان للشاة أم لغيرها أم من البهائم أم للصبيان) . وبلغة المناطقة يمكن أن يمثل الاستعمال العربي العام بالجنس والاستعمال العبري بالنوع والعربي الخاص ومنه التميمي بنوع الأنواع.

ولا أحب أن أترك هذا اللفظ دون تعليق لعلنا نستطيع أن نوضح أصله وتطوره :

١ – إن أول ما يرد على ذهن القارئ للدلالة التميمية ولغيرها من الدلالات الخاصة التي تنص على إطلاق هذا الاسم على خيط يلف حول العنق (سواء أكان عنق بهيمة أو إنسان) أن أصل الكلمة « رقب » نسبة إلى الرقبة التي يلف حولها الخيط ثم حدث بالكلمة قلب مكاني . لكن يحول دون ذلك إطلاق اللفظ على الخيط بصفة عامة .

على أنه لو صحت هذه الملاحظة لكان المعنى العام من باب تعميم الخاص .

٢ – إطلاق اللفظ على الخيط بصفة عامة يجعل الإنسان يميل إلى أن هناك صلة بين « ربق » و « ربط » وأن القاف أصلها « طاء » لكن عدم تقارب المخرجين يحول دون التبادل ، فالقاف من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى ، والطاء مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا [(١)]

ورغم بعد هذين المخرجين ، إلا أن اتحاد الدلالتين يجعلنا نميل إلى أن الاختلاف صوتي وأنه حدث تبادل من النوع الشاذ وقد يكون سببه وجود لثغة عند أحد الاشخاص في الطاء بأن كان ينطقها قافا ثم انتقلت منه إلى الأجيال بعده في هذا اللفظ بالذات . وقد لاحظت هذه اللثغة في أحد الأشخاص إذ كان ينطق كل طاء قافا صريحة ، كما لاحظت ذلك في أحد والديه ، وهذا النوع من التبادل رأيناه في العصر الأيوبي ؛ فيذكر ابن خلكان أن « الملك الكامل ما كان يعيش له ولد ، فلما ولد له المسعود قال بعض الحاضرين في مجلسه من الأتراك : في بلادنا إذا كان الرجل لا يعيش له ولد سماه أطسيس ، فسماه أطسيس ، والناس يقولون : أقسيس بالقاف وصوابه بالكاف [(٢)] » ومن أمثلته أيضا ما ذكره الزَّبيدى (ت ١٢٠٥ هـ) من قولهم « مزلطة » في « مزلقة » [(٣)]

---

(١) الكتاب ٤ / ٤٣٣

(٢) وفيات الأعيان ٤ / ١٧

(٣) التاج (زلط) ٥/١٤٧

١٠ـ أسبع :

يعزى إلى تميم أنهم كانوا يقولون : أسبع الرجل ، إذا كان دعِيًّا فى القوم .[١] وإذا تتبعنا مادة (سبع) فى المعاجم اللغوية ، نجدها تدور فى فلك معنيين كليين ، هما : العدد سبعة . والحيوان المفترس[٢] . وقد اشتق العرب من كلا المعنيين فعلا ، فقالوا مثلا من الثانى وهو الذى يعنينا هنا ـ سَبعتِ الذئاب الغنمَ ، أى افترستها ، وأسبعَ الرَّجلَ : أطعمهُ السَّبُعَ[٣] . ولم يكتفوا بهذا النوع من الاشتقاق الذى هو على سبيل الحقيقة ، وإنما نال الحقيقة مجاز . وهذا ما نلحظه فى الفعل الذى نسب إلى تميم ، فأسبع فيه على معنى تشبه بالسبع ، فهو ليس أصيلا فى القوم ، وإنما تجرأ وادعى أنه منهم .

١١ ـ السِّرْبال :

استعملت تميم كلمة « سربال » للدلالة على القميص واستعملته كنانة فى معنى الدرع جاء فى « غريب القرآن على لغات القبائل » : « (سرابيل تقيكم الحرَّ) القُمُص بلغة تميم (وسرابيل تقيكم بأسكم » يعنى الدروع بلغة كنانة[٤] ومفرد الكلمة سربال[٥] .

وإذا ما أردنا أن نعرف المقصود بالدلالتين ، وجدنا :

(ا) القميص :

لانجد له تعريفاً فى المعجمات فيعرفه صاحب اللسان بأنه « القُمُص الذى يلبس ، معروف »[٦] ، كما اكتفى الفيومى بذكره دون تعريف[٧] . وهذا النوع من التعريف لا يغنينا ، لأنه لا يصلح إلا للزمن الذى ينتمى إليه مؤلف المعجم أو من نقل عنه ولما كان هذا اللفظ قد ورد فى كتاب الله فى قصة سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ ست

---

(١) الأفعال للسرقسطى ٣/٥٠٦

(٢) انظر على سبيل المثال : مقاييس اللغة (سبع) ٣/١٢٨ ، ١٢٩ ، واللسان (سبع) ١٠/٨ – ١٣

(٣) اللسان (سبع) ١٠/١١

(٤) غريب القرآن على لغات القبائل ٩٤

(٥) اللسان (سربل) ١٣/٣٥٦

(٦) اللسان (قمص) ٨/٣٥٠

(٧) المصباح (قمص) ٥١٦

مرات ، قال تعالى : « وجاءوا على قميصه بدم كذب »[1] ، فقد لجأت إلى كتب التفسير — وبخاصة التي تعنى باللغة — فإذا بها لم تتناوله بالتوضيح[2] .

فإذا جئنا إلى الزبيدى (ت١٢٠٥هـ) نجده ينقل عن الجزرى وغيره « أن القميص ثوبٌ مخيط بكمين غير مفرج يلبس تحت الثياب »[3] لكن هذا التوضيح لا يتفق فى دلالته والقميص الذى تكرر ذكره فى سورة يوسف .

وإذا كان الاستعمال الحالى فى الجزيرة العربية — موطن العربية أيام الاحتجاج بها وبصفة خاصة فى الجهات الصحراوية المقفلة — يعد محافظة على القديم وعلى الأخص من حيث الدلالة ، فقد سمعت أهل « المخواة » بتهامة وهم من زهران ينطقون هذه الكلمة ويعنون بها الجلباب الذى يغطى الجسم كله وهذا البلد يقع فى المنطقة التى يصف فؤاد حمزة لهجاتها بأنها أفصح اللهجات وأقربها إلى الفصحى[4] ، وهذه الدلالة نجدها فى « معجم ألفاظ القرآن الكريم » الذى أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة عند عرضه هذا اللفظ فقد ورد فيه : « القميص من الثياب ما يحيط بالبدن ، وقد سمى شعارا ومافوقه دثارا ، وقد يسمى كل جلباب قميصاً »[5] .

(ب) الدرع :

والمقصود به لَبوس الحديد[6] ، وهو قميص من حلقات متشابكة يلبس وقاية من السلاح[7] . ويقصد به أيضا ثوب المرأة ، أى القميص وكذلك الثوب الصغير تلبسه الجارية الصغيرة فى بيتها[8] لكن الدرع المعنى هنا هو النوع الأول ، لأنه يتفق والسرابيل فى قوله تعالى : (وسرابيل تقيكم بأسكم)[9] .

---

(١) يوسف ١٢/١٨ وانظر الآيات : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٩٣

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٩/١٤٩ ، ومجمع البيان ٣/٢١٥

(٣) تاج العروس (قمص) ٤/٤٢٨

(٤) قلب جزيرة العرب ١٠٧

(٥) معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢/٤٢٠

(٦) اللسان (درع) ٩/٤٣٥

(٧) المعجم الوسيط (درع) ١/٢٨٠

(٨) اللسان (درع) ٩/٤٣٥

(٩) النحل ١٦/٨١

سبب الاشتراك :

ويرجع الاشتراك اللفظى فى « سربال » وجمعها « سرابيل » أن الكلمة ليست عربية المنبت ، فقد نقل جفرى عن فرايتغ فى معجمه[١] أن الكلمة دخيلة من الفارسية «شَلْوار» التى تعد أصلا لها ولكلمة « سروالة » أيضا . وقد استحسن رأيه هذا كثير من المؤلفين ، ويرى أن الكلمة توجد فى الآرامية بصيغة סרבלא وتعنى عباءة ، كما أن סַרְבֵּל سربل و סָרְבֵּל صَرْبِل) بمعنى يغطى بالعباءة . وهذه الكلمة الآرامية مأخوذة بالطبع من الإيرانية . ومن المحتمل أن تكون كلمة سربال دخلت العربية عن الآرامية[٢]

ولما دخلت هذه الكلمة سواء أكانت عن الفارسية مباشرة أم عن الآرامية أم عنهما معًا لم تحافظ العربية تمام المحافظة على المعنى الأَصلى شأن معظم المعربات، فاستعملها التميمون على أنها الثوب الذى يغطى الجسم كله ليقيه حر الصيف وبرد الشتاء ، واستعملها بنو كنانة للدلالة على ما يقى من هجمات وخصصوها لما يلبس فى الحرب .

ويذكر الأَب رفائيل نخلة أن كلمة « سربال » بمعنى قميص وسروال فى الفارسية وأنها مكونة من « سر » (فوق) و « بال » (قامة)[٣] . وإن صح هذا كانت الدلالة التميمية هى الأَقرب لمعنى الكلمة فى لغتها الأَصلية ، وأن المعنى الكنانى هو المستحدث ولعل سبب تخصيص الكنانيين لمعناها هذا أن كلمة الدرع هى أيضا من المشترك اللفظى وتعنى — كما قلنا — بالإضافة إلى قميص الحديد الذى يلبس فى الحرب ، القميص الذى تلبسه المرأة ، أو الثوب القصير الذى تلبسه الجارية الصغيرة فى الدار ، فلما رأى الكنانيون التميميين يستعملون السربال للملبس الذى يغطى الجسم كله ، استعاروا هذه هذه اللفظة للباس الحديدى المستخدم فى الحرب .

---

(١) V.2. p. 305

(٢) Jeffery, The foreign vocabulary of the Quran p. 168. 169.

(٣) غرائب اللغة العربية ٢٣٣

الدلالة التميمية فى اللغة المشتركة :

(أ) فى النثر :

أولا — فى القرآن الكريم :

شاعت الكلمة بدلالتيها التميمية والكنانية واستعملها أرقى نص أدبى بدرجة واحدة وهو القرآن الكريم حتى إنهما وردا متتابعين فى قوله تعالى : (وَ جَعَل لكم سَرابيلَ تقيكُم الحَرَّ وسَرابيلَ تقيكُم بأسكم)(١) ، ووردت الدلالة التميمية وحدها فى قوله عز وجل (سَرابيلُهُم مِن قطِرانٍ وتغْشى وجُوهَهُم النارُ)(٢)

ثانيا — فى الحديث الشريف :

كما وردت الدلالة التميمية على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : «النائحة إذا لم تتُب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سِربال من قَطِران »(٣) .

ثالثا — فى غير القرآن والحديث :

واستعملت أيضا فى قول سيدنا عثمان « لا أخلع سِربالا سَرْبَلنيه الله »(٤)

(ب) فى الشعر :

نرى اللفظ بدلالته التميمية عند أحد شعراء تميم المخضرمين وهو عَبدَة بن الطبيب فى قوله :

تَغدُو علينا تُلَهينا وتُصْفِدُها ٭ تُلْقَى البرودُ عليها والسرابيلُ(٥)

كما ورد فى قول دوسر بن ذُهَيْل القُرَيعى ، وقيل لرجل من بنى يربوع :

طويلُ يَدِ السِّربال أَغْيَدُ للصِّبا ٭ أَكفُّ على ذِفْراى ذا خُصَل جَعْدِ(٦)

---

(١) النحل ٨٧/١٦

(٢) إبراهيم ٥٠/١٤

(٣) صحيح مسلم ص ٦٤٤ (كتاب الجنائز رقم ٢٩)

(٤) النهاية لابن الأثير ٣٥٧/٢

(٥) المفضليات للضبى ١٤٥ (تصفدها : نعطيها — هامش المرجع السابق رقم ٨١ للمحققين)

(٦) الأصمعيات ١٥٠ (الأغيد : المائل العنق اللين الأعطاف ، الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . أراد أن الموصوف يرد شعره إلى ما وراء أذنيه — هامش المرجع السابق رقم ٤ للمحققين)

الدلالة فى الوقت الراهن :

لاتزال كلمة السربال مستعملة بدلالتها النميمية عند التميميين المقيمين الآن فى حوطة بنى تميم[(١)]

١٢ ـ السِّرْحان :

يذكر ابن دريد أن « السِّرْحان : الذئب بلغة أهل نجد »[(٢)] وينسب الأصمعى هذا اللفظ بمعنى الأسد إلى هذيل[(٣)] ، والأسد والذئب يتفقان فى أنهما حيوانان مفترسان لاحمان[(٤)] ، إلا أن الأسد أشد ضراوة . وقد لاحظ العرب ذلك . فمن أمثالهم « الذئب خاليا أسد » والمراد أنه إذا خلا من أعوان من جنسه كان أسدا لا تكاله عما فى نفسه من الصرامة والقوة ، فيثب وثبة لا بُقْيا معها[(٥)] فتشبيه العرب الذئب بالأسد دليل على تفوق الأسد عليه فى اعتقادهم .

وتدل مادة (سرح) على الانطلاق[(٦)] ، ومنه : السَّرْح : المال يسام فى المرعى من الأنعام[(٧)] ، وكذلك كل شجر طال[(٨)] ، فاشتقاق لفظ « السرحان » للدلالة على كل من الأسد والذئب أمر مقبول .

لكن السؤال الذى يتبادر إلى الذهن هو : أى الدلالتين هى الأصل ؟ للإجابة عن ذلك نعود إلى المادة نفسها لعلنا نجد فيها ما يعيننا على الجواب .

إذا عدنا إلى المادة نجد أن « السَّرْح : شجر كبارٌ طوال لا يرعى وإنما يستظل فيه ، ينبت بنجد »[(٩)] .

---

(١) عن : محمد معيقل البسام ، من حوطة بنى تميم .
(٢) جمهرة اللغة ٢٧١/٢
(٣) تهذيب اللغة ٣٠١/٤ ، والمحكم ١٣٦/٣ (دون نسبة فى الأخير إلى الأصمعى) .
(٤) انظر : المعجم الوسيط (أسد) ١٧/١ ، (ذأب) ٣٠٨/١
(٥) مجمع الأمثال للميدانى ٢٧٨/١ (رقم ١٤٦١)
(٦) انظر : مقاييس اللغة ١٥٧/٣ ، واللسان ٣٠٧/٣
(٧) اللسان (سرح) ٣٠٧/٣
(٨) المرجع السابق ٣٠٩
(٩) المحكم ١٣٥/٣ ، واللسان ٣٠٩/٣ (باختلاف فى الألفاظ)

وإن وجود « السرح » بنجد يجعلنا نرجح أن السرحان بمعنى الذئب هو الأصل ، ويزيد هذا الاحتمال ترجيحا قول أبي حنيفة : « وأخبرني أعرابي قال : في السَّرحة غبرة[1] » والمعروف أن الذئب يتميز بغبرة لونه وبخاصة ما يعيش منه في جزيرة العرب[2]

لهذا أميل إلى أن اللغة التميمية اشتقت السرحان وأطلقته على الذئب ، ثم انتقل اللفظ إلى الهذليين بدلالة جديدة هي الأسد للتشابه بين الاثنين في القوة والانسراح لقضاء مطالب الحياة .

١٣ – اشمأز :

ورد في « غريب القرآن على لغات القبائل » المنسوب إلى ابن عباس (ت ٦٨ هـ) تعقيبا على قول الله تعالى : (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة[3] أن معنى اشمأزت مالت بلغة بني تميم[4] .

وإذا رجعنا إلى المعاني الأخرى لكلمة « اشمأزت » والتي فسرت بها الآية الكريمة نجدها :

١ – انقبض واجتمع بعضه إلى بعض[5]

٢ – اقشعر (عن ابن الأعرابي)[6]

٣ – نفر (عن الزجاج)[7]

ونلاحظ أنه لا فرق بين النفور والميل عن الشيء وأن القشعريرة ينتج عنها التقبض وأن الأصل عند سماع الشيء غير المستحب كالقرآن الكريم بالنسبة للمشركين أن يميلوا عنه وينفروا ، وقد يؤدي هذا الميل إلى تقبض وقشعريرة . ومعنى ذلك أن الميل (أي الدلالة التميمية) هي العامة ، ثم خصصت بعد ذلك عند غيرهم ، بأن تبع هذا النفور تقبض أو قشعريرة .

---

(١) المحكم ١٣٥/٣
(٢) معجم الحيوان ٤٨
(٣) الزمر ٤٥/٣٩
(٤) رسالة في غريب القرآن ٩٩
(٥) اللسان (شمز) ٢٢٩/٧
(٦) المرجع السابق .
(٧) المرجع السابق .

١٤ – شايح

يعزو الأصمعي (ت نحو ٢١٦ هـ) إلى تميم ومعهم قيس أنهم كانوا يقولون « شايَح » بمعنى حاذر وأن هذيلا كانت تعني به جَدّ في الأمر[1]

ونلاحظ أن الجامع بين المعنيين : التميمي وهو الحذر ، والهذلي وهو الجد ، الاهتمام ثم خصص عند كل فريق . ومما يرجح قولنا هذا أن المعنى الأصلي للمادة (شيح) الاهتمام ، وأن شايح تعني أيضا – خلاف الدلالتين التميمية والهذلية – قاتل (دون نسبة إلى قوم معينين)[2]

وقد ورد اللفظ بالدلالة التميمية القيسية على لسان الشاعر أبي السّوداء العجْلي :

اذا سِمعْن الرِّز من رَبَاحِ شَايَحْن منه أيما شِيَاحِ[3]

وبنو عجل الذين ينسب إليهم الشاعر بطن من بكر – كما سبق أن ذكرنا – وهذا يدل على أن اللفظ بدلالته التميمية لم يكن – في الغالب – محصورا في تميم وقيس .

١٥ – الصَّدف :

قال تعالى : (حتى إذا ساوى بين الصّدفين)[4] والصَّدفان مثنى الصَّدَف وأطلقه بنو تميم على الجبل[5] – وقد تناولنا ضبط الكلمة لديهم عند الحديث عن الضم والفتح – ويطلق الصدف كذلك على جانب الجبل ، وبه فسرت الآية الكريمة لدى كثير من المفسرين[6] .

وإذا كان :

(أ) معنى الفعل « صادف » هو لاقى ، فإن جانبي الجبلين يقال لهما صدفان لتلاقيهما برباط بينهما يسمى الفجّ أو الشِّعب أو الوادى .

---

(١) الغريب المصنف ١٧٤ / أ ، والأمالي للقالي ١/٢٥٨

(٢) اللسان (شيح) ٣/٣٢١

(٣) المرجع السابق (الرز : الصوت . رباح : اسم راع – اللسان « شيح »)

(٤) الكهف ١٨ / ٩٦

(٥) رسالة في غريب القرآن ٩٥

(٦) انظر على سبيل المثال : مجمع البيان ٣ / ٤٩٥

(٧) اللسان (صدف) ١١ / ٨٩

(ب) الصَّدَف بمعنى الميل عن الشيء[1] ، فمن هنا يطلق على جانب الجبل « صدف » لميل رأسه عن قاعدته وإلى هذا ذهب ابن فارس[2] (ت ٣٩٥ هـ) .

وسواء أكان الصدف مشتقا من صادف بمعنى قابل ، أو صدف عن الشيء أى مال عنه ، فإن الدلالة الأقرب للصدف هى « جانب الجبل » ، وإن استعماله بمعنى الجبل — كما هو الشأن عند التميميين — من باب إطلاق الكل على الجزء . وحينئذ تكون الدلالة التميمية هى الحديثة .

أما إذا كان « الصَّدَف والهَدَف واحد ، وهو كل بناء عظيم مرتفع ، كما يقول أبوعبيد[3] (ت٢٢٤هـ) ، فإننا إذا رجعنا إلى مادة (هدف) نجدها تدل على كبر الشيء وضخامته[4] . ومعنى ذلك أن « الصدف » مبدلة من « الهدَف » وأن التميمى خصص العام ، ثم من هذه الدلالة أطلق غيره الجزء على الكل . أى أن تطور الكلمة ودلالتها مر بالأدوار التالية :

هدف (بناء عظيم) > صدف (بالإبدال = بناء عظيم) > صدف (جبل عند تميم) > (جانب الجبل ، عند غير التميميين) .

ولكن يحول دون هذا الاحتمال الثانى أن الهاء والصاد متباعدان مخرجا مما يجعل شرط التبادل غير محقق ، إلا إذ كان تبادلا شاذا .

١٦ — الضِّبِس :

تطلق كلمة « الضِّبِس » فى لغة تميم على الخب ، وفى لغة قيس على الداهية[5] ، والكلمتان معناهما :

(أ) الخَب : الخدَّاع[6] .

(ب) الداهية العاقل البصير بالأمور[7] وكذلك الأمر المُنْكر العظيم[8] ، والمراد هنا بالطبع الدلالة الأولى لإتفاقها مع الخب فى أن كلا منهما صفة لشخص .

---

(١) تهذيب اللغة ١٢ / ١٤٦ والأزهرى يجعل المصادفة بمعنى التلاقى منفرعة عن دلالة اللفظ (جانب الجبل)

(٢) مقاييس اللغة (صدف) ٣ / ٣٣٩ (٣) تهذيب اللغة ١٢ / ١٤٧

(٤) مقاييس اللغة (هدف) ٦ / ٣٩ ، واللسان (هدف) ١١ / ٢٦٠

(٥) تهذيب اللغة ١١ / ٤٨٦ (عن أبى عدنان) ، واللسان (ضبس) ٧ / ٤٢٢

(٦) القاموس (خبب) ١ / ٥٩ (٧) اللسان (دها) ١٨ / ٣٠١ (٨) المرجع السابق

ونلاحظ أن « الضِّبس » يدل – خلافا للمعنيين السابقين : التميمى والقيسى – على :

١ – الشَّكس العَسِر [1] .

٢ – الحريص [2] .

والجامع بين هذه الدلالات الأربع (التميمى والقيسى وغير المعزوين إلى أقوام معينين) هو القدرة العقلية ، وكل منهما بوجهة معينه تختلف عن وجهات الدلالات الأخرى .

١ – فمن يستعملونه فى مقابل الداهية ، وهم القيسيون يعنون به الدقيق فى عمله الواعى لما يفعل .

٢ – والتميمى يعبر به عن قدرة العقل فى الشر .

٣ – ومن يجعلونه فى مقابل الشكس : يعنون به من يتشبث برأيه ، وهو حينئذ يوقف نشاطه العقلى .

٤ – وأما من يعنون به الحريص ، فلأن كل همه وتفكيره فى جمع المال وحفظه خشية أن يضيع جهده سدى .

١٧ – ضاس :

للفعل ضاس ومشتقاته مسندا إلى النبت دلالتان هنا :

(أ) الهيج بصفة عامة [3] ، وهو اليبس والاصفرار [4] كما فى قوله تعالى : (ثم يهيج فتراه مصفرا) [5] .

(ب) بداية جفاف النبت وقد نسب أبو حنيفة (ت ٢٨٠ هـ) هذه الدلالة إلى النجديين [6] وهم تميميون وغير تميميين .

---

(١) القاموس (ضبس) ٢ / ٢٢٤   (٢) التاج (ضبس) ٤ / ١٧٤

(٣) اللسان (ضيس) ٧ / ٤٢٧   (٤) اللسان (هيج) ٣ / ٢١٩

(٥) المرجع السابق ، والآية فى الزمر ٣٩ / ٢١ والحديد ٥٧ / ٢٠

(٦) اللسان (ضيس) ٧ / ٤٢٧ ، والتكملة (ضيس) ٢ / ٥٣٧

وواضح أن نشوء المعنى التميمى مرده تضييق مجال الدلالة بتخصيصها بعد أن كانت عامة .

١٨ – ٢١ : الأعفت – الأعفك – الألفت – الألفك :

١ – عزى إلى تميم أنها كانت تقول الألفت وتعنى به الأعسر[1] ، فى حين إن قيسا كانت تطلقه على الأحمق[2] .

٢ – وقد أطلق على الدلالتين أنفسهما عند القبيلتين الألفك[3] .

٣ – كما أطلق الأعفك بمعنى الأعسر منسوباً إلى تميم[4] .

واللفظة أيضاً بمعنى الأحمق دون نسبة إلى قوم معينين[5] .

٤ – وعزى إلى تميم كذلك أنهم كانوا يقولون الأعفت بمعنى الأعسر ، وفى لغة غيرهم الأحمق[6] .

ونخلص من هذا أن تميمًا كانت تطلق على الأعسر أربعة ألفاظ ، هى : الألفت ، والألفك ، والأعفت ، والأعفك ، وأن هذه الألفاظ أطلقت عند غيرهم على الأحمق ، وحدد ناطقو اللفظين الأولين بقيس .

---

(١) وهو الذى يعمل بيده اليسرى (القاموس – عسر ٢ / ٨٧)

(٢) الغريب المصنف ٥ / ا وديوان الأدب ٢٥٨/٢ ، وتهذيب اللغة ٢٨٦/١٤ ، والصحاح (لفت) ٢٦٤/١ وانظر نسبة الصيغة التميمية فى نوادر أبى زيد ٤٧٠ (الشروق) .

(٣) اللسان (لفت) ٢ / ٣٩٠ ، والتاج (لفت) ١ / ٥١١

(٤) جمهرة اللغة ٣ / ١٢٦ ، ومقاييس اللغة (عفك) ٤ / ٥٦ (عن ابن دريد)

(٥) انظر : مقاييس اللغة (عفك) ٤ / ٥٥ ، واللسان (عفك) ١٢ / ٣٥٥

(٦) الصحاح (عفت) ١ / ٢٥٨

تفسير تعدد الألفاظ واشتراكها اللفظي :

ولتفسير تعدد الألفاظ وتعدد المعنى نرجع إلى مواد هذه الألفاظ : (لفت) و (لفك) (عفت) و (عفك) لنرى المعانى الكلية لكل منها :

١ – نجد أن مادتى (لفت) و (عفت) تدلان على اللى[1] ؛ ومعنى ذلك أنه يحتمل أن يكون أحد الصوتين (العين واللام) مبدلا من الآخر وهذان الصوتان متباعدان مخرجا لأن الأول حلقى ، والثانى من فويق الثنايا[2] إلا أنهما متفقان فى صفة الهمس ، ويتفقان كذلك – وفق ملاحظة القدماء – فى أنهما من الأصوات المتوسطة بين بين الشدة والرخاوة[3] ، مما يقوى احتمال قلب أحدهما إلى الآخر .

وإذا كنا نلاحظ أن مادة (لفت) هى أكثر أصالة من (عفت) فى الدلالة لكثرة المعانى التى تدل على اللى والانصراف ، فنميل إلى أنهما الأصل[4] ، فمن المعانى الواردة بها وتدل على اللىّ ، وليست فى (عفت) :

(ا) لفت بمعنى صرف[5] .

(ب) والألفت : التيس الملتوى أحد قرنيه[6] .

(ج) واللفوت : المرأة لها زوج وولد من غيره ، فهى تلتفت إليه[7] .

(د) واللفوت أيضاً : الناقة التى تلتفت عند الحلب إلى الحالب فتعضه[8] .

٢ – ولكننا إذا رجعنا إلى مادتى (عفك) و (لفك) وجدناهما تدلان على الحماقة[9] ، ومن المحتمل أن تكون إحدى الكلمتين تطورت عن الأخرى للعلة التى حصل فيها التبادل بين (لفت و (عفك) وسبق ذكرها .

---

(١) انظر مقاييس اللغة (لفت) ٥ / ٢٥٨ ، وتهذيب اللغة ١٤ / ٢٨٥ ، واللسان عفت٢/٣٦٤ و(لفت) ٢ / ٣٨٩

(٢) سر صناعة الإعراب ١ / ٥٢ (٣) المرجع السابق ١ / ٦٩

(٤) راجع المادتين فى المعاجم اللغوية كاللسان (لفت) ٢ / ٣٨٩ ، (عفت) ٢ / ٣٦٤ والقاموس (لفت) ١ / ١٥٧ ، (عفت) ١ / ١٣ (٥) القاموس (لفت) ١ / ١٥٧

(٦) المرجع السابق ، واللسان (لفت) ٢ / ٣٩١ (٧) اللسان (لفت) ٢ / ٣٩٠

(٨) المرجع السابق .

(٩) انظر : تهذيب اللغة (لفك) ١٠ / ٢٥٤ ، و (عفك) ١ / ٣٢٢ ، ومقاييس اللغة (لفك) ٥ / ٢٥٧ ، (وعفك) ٤ / ٥٥

٣ – ومن المحتمل كذلك أن يكون قد حدث تبادل بين (لفت) و (لفك) وبين (عفت) و (عفك) . حقيقة إن هناك تباعدا بين مخرجي الكاف والتاء ، فالكاف من أقصى الحنك والتاء من أدناه ، إلا أن اللغويين لاحظوا قلب الكاف تاء عند الأطفال ، فقد يقول الطفل العربي تلب بدلا من كلب والإنجليزى Cat في tat[1] وتعليل ذلك أن الصوتين يتحدان في صفة الهمس والشدة . ولا فرق بينهما إلا في المخرج . وانتقال المخرج من أقصى الحنك إلى أدناه يبرره أن التاء أقرب أصوات طرف اللسان إلى الكاف[2] .

وبعد هذا العرض أميل إلى أن الأعسر كان يعبر عنه في الأصل عند تميم بالألفت ، لأنه كما ورد في التهذيب « سمى ألفت ، لأنه يعمل بجانبه الأميل ، وذلك نوع من اللى ، ثم انتقلت الدلالة إلى الألفاظ الأخرى لصلتها الصوتية بها وأن الأحمق كان يعبر عنه بالألفك أو الألفت عند قيس (والأولى أرجح لاتفاق ذلك وما لاحظناه من قلب الكاف تاء عند الطفل لا العكس) . ثم انتقلت الدلالة إلى الألفاظ الأخرى لصلتها الصوتية بها . ونتج عن ذلك أن أصبحت تميم تطلق على الأعسر ألفت ، وألفك وأعفت ، وأعفك ، وغيرهم أطلق هذه الألفاظ على الأحمق . وقد تكون هذه الألفاظ موزعة على بطون تميمية لم تنص عليها كتب اللغة التي اطلعنا عليها .

٢٢ – غذوى :

جاء في التهذيب « قال شمر : وبلغني عن ابن الأعرابي أنه قال : الغَذَوِيّ البَهْم الذي يُغْذَى ، قال : وأخبرني أعرابي من بَلْهُجَيم قال : الغَذَوِيّ : الحَمَل أو الجَدْى لا يُغَذَّى بلبن أمه ، ولكن يُعاجَى »[3] .

يذكر هذا النص لكلمة « الغذوى » دلالتين ، هما :

(ا) البَهم ، أى أولاد الغنم من ضأن ومعز[4] ، وهو المرحلة الثانية لها بعد الولادة وكانت تسمى سخلة ، وهى اسمها ساعة وضعها[5] ومن شأن هذه البهم أن تغذى بلبن أمهاتها .

---

(١) الأصوات اللغوية ٢١٧ ، ٢١٨ (٢) المرجع السابق

(٣) تهذيب اللغة ٨ / ١٧٥ ، والنص أيضا في اللسان (غذا) ١٩ / ٣٥٥ (يعاجى : يغذى بالطعام – اللسان – عجا ١٩ – ٣٥٥) .

(٤) انظر : اللسان (بهم) ١٤ / ٣٢٢ (٥) المرجع السابق

(ب) وخصصت بأولاد الضأن والمعز التى منع عنها اللبن وغذيت بالطعام. وقد استعمله بهذه الدلالة بطن من تميم هم بنو الهجيم كما وضح ذلك النص .

وانتقال الدلالة من المعنى الأول إلى هذا المعنى لعلاقة المشابهة بين المدلولين ؛ فكلا الحيوانين يتغذى : ذاك بالغذاء الطبيعى وهو اللبن ، وهذا بغذاء سوى اللبن .

وهناك دلالة ثالثة هى :

(ج) الغذوى بمعنى بيع الشاة بما فى بطنها من حمل[1] .

٢٣ — فلط :

استعمل بنو تميم كلمة « فلط » بمعنى تخلص بسرعة ،واستعملها بنو هذيل بمعنى فاجأ . واختلاف الدلالة هنا يرجع إلى التطور الصوتى للكلمة عند تميم ، فهى مبدلة من « فلت » بقلب التاء طاء ، فاشتركت بعد الإبدال مع الكلمة الهذلية فى اللفظ .

وقد تناولنا هذه الكلمة عند الحديث عن قلب التاء طاء .

٢٤ — أفاض :

وردت هذه الكلمة فى قوله عز وجل : (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس)[2] وهى فى لغة تميم بمعنى « نفر »[3] .

وإذا رجعنا إلى المعاجم اللغوية نجد المعنى الكلى للفظ (فيض) يدل على سيولة الشىء بعد كثرته ، ومنه : فاض الماء ، والدمع ونحوهما[4] .

---

(١) المرجع السابق (غذا) ٩ / ٣٥٥
(٢) البقرة ٢ / ١٩٩
(٣) غريب القرآن على لغات القبائل ٨٨
(٤) اللسان (فيض) ٩ / ٧٦

والإفاضة مصطلح فقهى خاص بأحكام فريضة الحج ، ويراد بها : الانتقال من عرفة بعد الوقوف بها إلى المزدلفة على أن يكون ذلك بعد غروب شمس التاسع من ذى الحجة ، قال تعالى : (فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام)[1] . وهذا اللفظ لم يكن وليد التعاليم الإسلامية ، إنما كان مستعملا فى الجاهلية ، لكن الإفاضة عندهم كانت قبل غروب الشمس ، فلما جاء الإسلام أخرها إلى ما بعد الغروب[2] . وفى الجاهلية كان الحُمْس ، أى المتشددون فى الدين والمتحمسون له ، وهم : قريش وكنانة وجَدِيلة من قيس[3] يقفون بالمزدلفة دون سائر العرب الذين كانوا يقفون بعرفة ، لأنهم من سكان الحرم ، فكانوا يرفضون الخروج منه ، ويقولون : نحن أهل الله فى بلدته[4] .

وكانت تميم تقف بعرفة ، لأنها لم تكن من الحُمس ، ولمكانتها بين القبائل كان لها الريادة ، فى ذلك اليوم ، فكانت تتولى إعطاء الإشارة ببدء التحرك من عرفة والخروج منها[5] .

ولما كان التحرك يحدث بكثرة واندفاع ، فهو أشبه بفيضان الماء أطلق على هذا العمل « الإفاضة » وعلى الفعل منه « أفاض » .

ونلاحظ أن الفعل التميمى « أفاض » لازم ، وأن مقابله اللازم – وإن كان فى غير مجال العبادة ، ولكن يشبهه فى الدلالة على الكثرة التى تبلغ درجة السيلان – هو « فاض »[6] ، فالصيغتان إحداهما – وهى التميمية – على « أفعل » والأخرى على « فعل » وهذا يتفق وما لاحظناه من قبل من اتجاه تميم إلى « أفعل » فى مقابل « فعل » عند غيرهم .

٢٥ – مُقَرْصِع :

قال الصغانى (ت ٦٥٠ هـ) « أبو عمرو : القرْصعة : الأكل الضعيف ... وقال أعرابى من بنى تميم : إذا أكل الرجل وحده من اللؤم فهو مُقَرْصِع »[7] .

---

(١) البقرة ٢ / ١٩٩

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ / ٣٥١

(٣) القاموس (حمس) ٢ / ٢٠٨

(٤) تفسير القرآن العظيم ١ / ٢٥٣ ، ٢٥٤

(٥) راجع ص ٤٩

(٦) القاموس (فيض) ٢ / ٣٤١

(٧) التكملة (قرصع) ٤ / ٣٢٧ ، « وقال أعرابى ... النص » فى اللسان (قرصع) ١٠ / ١٤٣

وإذا رجعنا إلى مادة (قرصع) فى « لسان العرب » نجدها تدل على الاستخفاء والضعف (وهو نوع من الاستخفاء) ، فنرى القرصعة بمعنى :

١ ـ الانقباض[1] . ٢ ـ مشية فيها تقارب[2] .

٣ ـ الأكل الضعيف[3] .

والفعل من ذلك كله « قَرْصَع » واسم الفاعل « مُقَرصِع » .

وإذا كان التميمى قد استعمل المقرصِع للدلالة على من يأكل وحده من اللؤم ـ كما فى النص ـ فهو يتخفى خشية أن يراه أحد فيشاركه ، فهو :

١ ـ إما قد خصص العام (الاختفاء) .

٢ ـ وإما أنه نقل مجال الدلالة من أكل بضعف إلى أكل باستخفاء .

وهو فى كلا الحالين قد خصص الاختفاء، وإن كانت الدلالة فى الحالة الأولى جازت مرة واحدة (من اختفاء عام إلى خاص) ، وفى الثانية جازت مرتين (أى من اختفاء عام إلى ضعف فى الأكل ، وهو كما قلنا نوع من الاختفاء ، ثم إلى اختفاء فى الأكل) وهذا ما يطلق عليه « مجاز المجاز » . ونلاحظ أن هذا اللفظ بدلالته التميمية ما زال مستعملا عند التميميين من سكان حائل[4] .

٢٦ ـ كيسان :

قال الميدانى (ت ٥١٨ هـ) « (أَغْدَرُ من كُناة الغدْر) . هم بنو سعد تميم ، وكانوا يسمون الغدرَ فيما بينهم إذا راموا استعماله بكنْية هم وضعوها له وهى كَيْسان »[5] .

تدل مادة « كيس » على التعقل والرزانة[6] ، فالْكيْس : العقل ، والكَيِّس هو العاقل[7] ، كما أطلقت الكلمة على معان قريبة منهذا المعنى ، فهو الخفيف[8] والظريف[9] .

---

(١) اللسان (قرصع) ١٠ / ١٤٣ (٢) المرجع السابق . (٣) المرجع السابق .
(٤) عن « محمد العريفى » (من حائل) (٥) مجمع الأمثال ٢ / ٦٥
(٦) راجع : اللسان (كيس) ٨ / ٨٤ — ٨٦ (٧) اللسان (كيس) ٨ / ٨٥
(٨) المرجع السابق ٨٤ (٩) المرجع السابق ٨٦

ويذكر هذا النص أن بنى سعد بن زيد مناة بن تميم اشتهروا بالغدر ، وأنهم أطلقوا عليه اسما خاصا بهم هو « كَيْسَان » ، وهو صفة جاءت على وزن «فَعْلان »مثل غضْبانوعطشان وهذا الاسم كان استعماله متداولا بينهم يأخذ طابع السرية ، وهو استعمال اقتضته ظروفهم الاجتماعية ، يخاطب أحدهم الآخر دون أن يعرف غيرهما من غير بطنهم ما يقصدون بأن يعمى عليهم بهذا اللفظ الذى يعد من اللغات السرية ، يشبه ما يستعمله اللصوص وقطاع الطرق . ومثل هذا الاستعمال كان المصير الطبيعى له الموت ، لو لم يسجله أحد الشعراء وهو النمر بن تولب (ت نحو ١٤ هـ) فى هجاء أخواله بنى سعد فى قوله :

إذا ما دَعَوْا كَيْسَان كان كُهُولُهم
إلى الغدر أدنى من شبابهم المُرْد[١]

٢٧ – هِجْرِس :

عزا أبو مالك (عمرو بن كركرة) إلى أهل الحجاز أنهم كانوا يطلقون « الهِجْرِس » على القرد ، فى حين إن التميميين عَنَوْا به الثَّعلب[٢] .

ويذكر اللغويون أن هذا اللفظ كان يطلق كذلك على :

١ – ولد الثعلب[٣] .

٢ – الدُّب[٤] .

٣ – كل ما يُعَسْعِس بالليل من السباع مما هو دون الثعلب وفوق اليربوع[٥] .

٤ – وصف للئيم[٦] .

---

(١) شعر النمر بن تولب ٢٦

(٢) تهذيب اللغة (هجرس) ٦ / ٥٠٩ ، واللسان (هجرس) ٨ / ١٣٣

(٣) مقاييس اللغة ٦ / ٧٣ ، واللسان (هجرس) ٨ / ١٣٣

(٤) القاموس (هجرس) ٢ / ٢٥٨

(٥) اللسان (هجرس) ٨ / ١٣٣ (واليربوع : حيوان فى حجم الفأر الكبير ذو ذنب طويل . يداه قصيرتان ورجلاه طويلتان – الوسيط « ربع » ١ / ٣٢٥) .

(٦) اللسان (هجرس) ٨ / ١٣٣

٥ ـ الشديد (مفرد شدائد) ، يقال : رمتنى الأيام عن هجارسها [1] .

ويبدو لأول وهلة أن المعنى الثالث ، وهو السباع التى تعسعس ليلا لتطلب فريستها هو المعنى العام ، ولكن يحول دون ذلك أنه قيد بما دون الثعاب ، وهذا يخرج الثعلب والقرد والدب .

وفى رأيى أن « الثعلب » هو الدلالة القديمة . ويرجح هذا الرأى أن اللفظ استعمل ـ كما ذكرنا فى الإبدال ـ بالقاف (هِقْرس) بهذه الدلالة . وعللنا ذلك ـ هناك ـ بأن اللفظة ربما تكون يمنية وكانوا ينطقونها بالجيم ، والجيم عندهم كانت تلفظ كَيا فأخذت عنهم بدلالتها ونطق بعض العرب الكَيم جيما ، لأنها بمنزلتها ونطقها آخرون كَافا لتماثل الصوتين . وهذا يعنى شيوع اللفظ بمعنى الثعلب ، ويجعلنا نميل إلى أن هذه الدلالة (الثعلب) هى القدمى ، ثم انتقل منها إلى الدلالات الأخرى فخصه بعضهم بولد الثعلب من باب إطلاق العام على الخاص ، وأطلقه الحجازيون على القرد وغيرهم على الدب . وذلك على سبيل الاستعارة لكونهما يشبهانه فى عدم الاستئناس . وهذا يتضح بصفة خاصة بالنسبة للدب ، ويتفق القرد والثعلب ـ بالإضافة إلى عدم الاستئناس ـ فى صفة المكر والدهاء .

وقد يكون سبب تعدد المسميات السابقة القياس الخاطىء من طفل ، ثم لما كبر ظل محتفظا بهذا الاسم مقترنا بالمسمى الجديد ، ثم انتشر عن طريق تأثيره فى بنيه ومجاوريه الذين كانوا يعيشون منعزلين .

أما استخدام اللفظ صفة للئيم فهو من باب الاستعارة لاتصاف الثعلب بهذه الصفة .

وأما إطلاق الهجارس على الشدائد ، فالعلاقة هى السببية ، إذ إن أعمال الثعالب تسبب للناس الشدائد والمضايقات .

---

(١) المرجع السابق .

٢٨ – الهلع :

يعنى لفظ « الهَلَعَ » عند التميميين الحُزن[1] . وقد عرضنا له عند الحديث عن « القلب المكانى » ، ورجحنا أن الصيغة التميمية هى القدمى . ويعنينا هنا أن نقول إن « الهلع » يعنى أيضاً « الجزع وقلة الصبر »[2] . وإذا كان الحزن أعم من الجزع ، فإن ذلك يعنى تضييق مجال الدلالة عند غيرهم ، بعد أن كانا عاما عندهم .

٢٩ – الهُون :

نطق القرشيون هذا اللفظ وعنوا به الذلّ ، أما بعض التميمين فكانوا يقصدون به الشىء اليسير[3] . والعلاقة بين اللفظين قريبة ، فالذليل يرضى ويقنع بالشىء القليل . وبين أن الدلالة التميمية حسية والحجازية معنوية. وإذ كان الحسى يسبق المعنوى – غالبا – فهذا يجعلنا نرجح قدم الدلالة التميمية وتطور القرشية عنها بطريق المشابهة .

٣٠ – المَوقِف :

إذا ما اطلقت كلمة «موقف» فإنه يراد بها الموضع الذى تقف فيه حيث كان[4] . ونقل أبو زيد عن رجل من بنى حنظلة قوله : « ما رأيت من المرأة الا موقِفها » أى يديها وعينيها وما لابد من إظهاره[5] ، ويفسر أبو الحسن الأخفش (ت نحو ٢١٥ هـ) هذه الدلالة بقوله « وإنما سمى هذا موقفا لأنه يبدو لك من المرأة حين تقف »[6] .

نحن إذن أمام دلالتين : الأولى ، وهى عامة ، والثانية خاصة وهى التى كان ينطقها بنو حنظلة ، وهم بطن من تميم . ونلاحظ أن الصلة التى تربط الثانية بالأولى هى علاقة السببية ، إذ إن الوقوف – كما يرى الأخفش هو سبب ما يُرى من المرأة .

---

(١) الأفعال للسرقسطى ١ / ١٧٢

(٢) اللسان (هلع) ١٠ / ٢٥٤

(٣) معانى القرآن ٢ / ١٠٦

(٤) اللسان (وقف) ٢٧٧/١١ .

(٥) نوادر أبى زيد ٤٧٠ ، ٤٧١ (الشروق) .

(٦) المرجع السابق ٤٧١

التعقيب :

هذه ثلاثون كلمة ، لم يقتصر كل لفظ منها على دلالة واحدة ، وإنما كان له أكثر من معنى . وهذا التعدد يعنى أن هذا اللفظ كان له فى أول أمره مدلول واحد ، ثم تطور هذا المدلول فأصبح لهذا اللفظ أكثر من مدلول ذى رباط بالمعانى السابقة .

ونلاحظ أن كل هذه الألفاظ نسبت إلى تميم صراحة عدا خمسة ألفاظ اثنان منها شاعا فى تميم ومجاوريها فنسبا إلى نجد . وهما : السرحان ، والضيس ، والثلاثة الأخرى اقتصر كل منهما على بطن من تميم ؛ وهى « كيسان » وكان خاصا ببنى سعد بن زيد مناة ، و « غذوى » ونطقه بنو الهجيم . و « الهون » عند بعض التميميين الذين لم يحددوا .

وقبل ذكر العوامل التى أدت إلى تعدد المعنى ، أحب أن أسجل هنا حقيقة ، وهى : أن هناك فرقاً بين دراسة لغة عربية فى عصور الاحتجاج مثل هذه الدراسة وأخرى بعد هذه العصور ، فالثانية نحكم دون تردد على خصائصها — ومنها الدلالة — بأنها الحديثة وعلى ما ورد بالمعاجم اللغوية بأنه القديم ، لأن هذه المعاجم — كما هو معروف — وقفت فى تسجيلها للغة عند عصور الاحتجاج ، ولم تسجل بعد هذا التاريخ ، أما دراسة اللغات قبل التدوين فمن الصعب التمييز بين المعنيين القديم والحديث .

وقد بيّن لنا عرض هذه الألفاظ وتحليلها أن منها من كانت دلالته التميمية هى المتقدمة والمعنى الآخر هو المتأخر ، ومنها ما كان المعنى التميمى هو الحديث . وبالنسبة لهذا القسم ليس من الضرورى أن تكون الدلالة التميمية هى الحديثة ، بل قد تكون هى وموضع المقارنة معها متطوران عن دلالة أخرى . وقد تكون الدلالتان غير متطورتين عن دلالة واحدة وإنما حدث تطور صوتى فى بنية لفظ بحيث أصبح مجانسا للفظ آخر .

مقياس معرفة الدلالة القديمة :

والنهج الذى اتبعته فى الحكم على المعنى المتقدم :

١ — اشتراك الساميات فى الدلالة .

٢ — ما كان أقرب للمعنى الكلى .

٣ – المعنى الحسى يسبق المعنوى .

٤ – المعنى المستعمل فى اللغة المشتركة ؛ لأن اللغة الخاصة تمثل القلة .

عوامل نشأة الاشتراك اللفظى :

ونختتم حديثنا عن المشترك اللفظى بتوضيح عوامل نشأته فى هذه الكلمات التى نسب إلى تمم معنى من معانيها :

١ – تخصيص الدلالة :

وذلك بتضييقها بعد أن كانت عامة ، ويتبين ذلك فى الألفاظ التالية :

(أ) عمومها عند غير التميميين وتخصيصها عند تميم :

(١) البغى (٢) خاشع (٣) آسن (٤) الرِّبق

(٥) الضَّيْس (٦) الإفاضة (٧) مُقرصع

ويندرج تحت هذا النوع ما أصله عام وخصص عند تميم وخصص تخصيصا آخر عند غيرهم ، وذلك :

(١) شايح (٢) الضَّبِس (٣) الغذوى

ويدخل تحت هذا النوع الأخير المعرب ، وقد ورد منه لفظ « السِّربال » .

(ب) عمومها عند تميم وتخصيصها عند غيرهم ، وكانت المقارنة مع اللغة المشتركة فقط ، وذلك فى الكلمتين التاليتين :

(١) اشمأز (٢) هلع

٢ – تعميم الدلالة :

وذلك بتوسيع المعنى التميمى بعد أن كان ضيقاً ، وهذا ما لاحظناه فى لفظين ، هما .

(١) الإجْرد (٢) الصَّدَف

٣ ـ انتقال مجال الدلالة :

أولا ـ بالاستعارة :

(أ) من غير التميميين إلى التميمين .

(١) أمة (٢) بيض النعامة الذكر . (٣) الإبسال (٤) الهُون

(ب) من التميميين إلى غيرهم ، وذلك إلى قبائل أُخرى :

(١) السِّرحان (٢) هِجْرِس

ثانيا ـ بالمجاز المرسل :

(من غير التميميين إلى التميميين) :

(١) الأَثلب ، بقرينة اعتبار ما كان .

(٢) موقِف ، بعلاقة السببية .

٤ ـ انحطاط الدلالة :

عند التميميين ، وذلك فى :

(١) أسيع (٢) كَيْسان .

٥ ـ التطور الصوتى :

وهو التطور فى بنية لفظ بحيث يجانس بنية لفظ آخر ، ونجد ذلك عندهم فى :

(١) فلط .

(٢ ـ ٥) الأَعفت والأَعفك والأُلفت والأَلفك .

الفصل الثالث

التضاد

التضاد نوع من الاشتراك اللفظى[1] ، وهو عبارة عن كلمة واحدة ذات معنيين يصل الخلاف بينهما إلى حد التناقض . وقد وجدنا عدة كلمات من هذا النوع كان الخلاف بين معنييها أن أحدهما منسوب إلى تميم والآخر إلى غيرها . على أن هذا النوع المعزو أحد معنييه إلى قبيلة معينة لقى معارضة من بعض علمائنا القدامى ، فقد نقل الزبيدى عن شيخه وهو ابن الطيب الفاسى فى معجمه « إضاءة الراموس » ، أنه « لا تضاد مع اختلاف اللغتين كما قاله جماعة »[2] ، ورد الزَّبيدى على ذلك « بأن التضاد باعتبار استعمالنا »[3] وهذا ما اتبعناه فى كل ما يتصل بالدلالة ، فقد تناولناه على اعتبار أن لغة تميم تعد عنصرا من عناصر اللغة المشتركة .

وفيما يلى عرض لهذه الألفاظ التى ذكرها اللغويون وعُزى أحد المعنيين المتضادين إلى تميم :

١ – باع :

تعنى كلمة « باع » الشىء : أخرجه من يده وعند تميم وربيعة على معنى اشتراه[4] . وهذا يفيد أن العرب استعملوا اللفظين : باع واشترى مترادفين ثم تخصصا على مر الأيام فأصبح الأول يدل على إخراج الشىء من اليد وتسليمه لآخر نظير مقابل . والفعل الثانى بعكسه وبقيت مع ذلك آثار قديمة مخالفة الدلالة التى شاعت فى اللغة المشتركة . وقد نسب إلى تميم – ومعهم ربيعة – مخالفتهم فيما يخص اللفظ الأول ، فهم يعبرون عنه مرادفا لاشترى فى اللغة المشتركة . وينقل الفراء (ت ٢٠٧ هـ) عن أبى ثَرْوان ، وهو من عكل بنى عمومة تميم[5] ، أنه سمعه يقول لرجل : بعْ لى تمرا بدرهم ، يريد : اشترلى[6] .

---

(١) المزهر ١ / ٣٨٧

(٢) التاج (سدف) ٦ / ١٣٦

(٣) المرجع السابق

(٤) معانى القرآن للفراء ١ / ٥٦

(٥) راجع نسب تميم .

(٦) معانى القرآن ١ / ٥٦

وهذا الذى قلنا يتفق وما ذهب إليه الدكتور منصور فهمى من أن المعنى الأَصلى للفظى « باع واشترى » هو بادل . وذلك حينما كان البيع والشراء مبادلة ، فالبائع شارٍ والشارى بائع ثم اختص كل فعل بواحد من العملين القائمين.[1] لكن رواسب ذلك العهد القديم ظلت تلقى ظلالها على الفعلين فتخلط بين دلالتيهما.

وإذا كان الدكتور منصور فهمى لا يعتمد على سند تاريخى ، بل يتصور تاريخ هذا التطور ، فإن اشتراك الدلالتين فى لفظ واحد فى القديم أمر واجب الإقرار رغم جهلنا بكيفية التطور وتحديد زمنه ، ويؤيد ذلك أننا نلاحظ شبها له فى غير العربية ، ففى السريانية نجد الفعل ܙܒܢ (أَزْبِن) بمعنى باع واشترى[2] ونجد كذلك فى العبرية זָבַן (زقن) بمعنى اشترى ، و זִבֵּן (زبّن) بمعنى باع واللفظان كما يقول الدكتور ربحى مستعاران من الآرامية[3] وإن كانت الباء قد قلبت ثاء فى الفعل الأول .

وإذا كان الفراء قد نص على أن باع بمعنى اشترى عند تميم ، دون أن يشير إلى موقفها أو موقف غيرها من الفعل « اشترى » فإن قانون التوازن[4] يجعلنا نميل إلى أن تميما كانت تعنى به « باع » كما فى اللغة المشتركة ، وإلا فإنها كانت تعامل الفعلين على أنهما مترادفان وتستعمل فعلا ثالثا يدل على البيع كما فى دلالته المشتركة .

٢ ـ الجَوْنة :

نسب إلى تميم أنهم كانوا يطلقون « الجَوْنة » على الشمس فى حالة اسودادها[5] ، جاء فى كتاب « الأَزمنة والأَمكنة » : « التميميون : الجَوْنة : الشمس حين تسود وتدنو من الغيوب . لا يقال لها الجَوْنة إلا على هذه الحال »[6] .

---

(١) الأضداد للدكتور منصور فهمى (مجلة مجمع اللغة العربية) ٢ / ٢٨٢

(٢) التضاد ٤٦ — (٣) المرجع السابق ٤٧

(٤) انظر هذا القانون فى : دراسة الصوت اللغوى ٣٢٣

(٥) قال يونس فى نوادره « أهل الحجاز جونة — بلا همز — وتميم جؤنة بالهمز « المزهر ٢٩٨ / ب — خ) والجؤنة هذه ليس المراد بها الشمس — موضوع حديثنا هنا — وإنما هى « سليلة مستديرة مغشاة أدما تكون مع العطارين » (انظر — اللسان « جون » ١٨ / ٢٥٧) .

(٦) الأزمنة والأمكنة ٢ / ٣٩

ووردت الكلمة أيضا بمعنى حالة ظهورها وإمدادها بالضوء القوى ، وجاء فى « الأزمنة والأمكنة » : « وعرض أُنيس الجَرْمى على الحجاج بن يوسف درع حديد وكانت صافيةً فجعل الحجاج لا يرى صفاءها فقال له أُنيس : إن الشمس جوْنَةٌ أى شديدة الضوء »[١] .

ويبدو لأول وهلة أن المعنيين يرجعان إلى « الجَوْن » الذى استعمله بعض العرب للدلالة على الأسود ، ونسب ذلك إلى قضاعة ، وبعضهم للدلالة على الأبيض . وهذا اللفظ يرجع إلى الكلمة الفارسية « گون » ومن معانيها عندهم « اللون »[٢] دون تحديده . فلما أدخلها العرب خصصها بعضهم باللون الأبيض وخصصها آخرون باللون الأسود ، وأطلقها فريق ثالث على اللون الأحمر[٣] .

وقلب الكاف جيما يجعلنا نميل إلى أن الكلمة دخلت أولا بوساطة العرب الذين كانوا ينطقون الجيم كَما ، ثم عنهم نقلت الكَيم جيما ، ثم أطلقت على الشمس فى حالتى اسودادها وشدة بياضها . ولكن يحول دون صحة هذه الملاحظة وجود « جونة » فى الفارسية وإطلاقها عندهم على الشمس بصفة عامة[٤] ، وأرى أن هذه أصل الكلمة التى بين أيدينا ، دخلت — هى الأخرى — العربية وخصصتها تميم لحالة اسودادها ودنوها من المغيب ، وخصصها غيرهم لإشراقها وشدة بياضها .

٣ — السُّدْفَة :

السُّدفَة فى لغة تميم بمعنى الظلمة وفى لغة قيس بمعنى الضوء[٥] . ومن العرب من كان يطلقها على اختلاط الضوء والظلمة معا ، كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الإسفار[٦] .

---

(١) المرجع السابق ٢ / ٤٠

(٢) Steingass, Persian-English,, P.1105

(٣) من العجيب أن الفرس أخذو من العرب الجون بعد قلب الكاف جيما للدلالة على الأبيض والأسود وغير ذلك من معان فى العربية تدل عليها : Ibid 379

(٤) Ibid

(٥) الأضداد للأصمعى ٣٥ ، والغريب المصنف ٢٥٥ / أ ، والأضداد لابن السكيت ١٨٩ والأمالى للقالى ٢ / ١٢٥ (عن أبى زيد فى المراجع كلها) .

(٦) الغريب المصنف ٢٥٥ / أ ، والمزهر ١ / ٣٨٩ ، ٣٩٠

إن أول ما يتبادر إلى الذهن هو أن المعنى الأصلى للسدفة هو وقت اختلاط الضوء بالظلمة ثم تطور المعنى عند القبيلتين ، فخصصته تميم للظلمة وقصرته قيس على الضوء . وذلك بتخصيص المعنى بعد أن كان عاما .

الكلمة فى الساميات :

وإذا مارجعنا إلى الساميات نرى فى العبرية القديمة שָׁדַף بمعنى يحترق ويصاب الزرع بآفة تحرقه (وكذلك الشأن فى العبرية الحديثة) و שְׁדֵפָה شىء مصاب بآفة أو مدمر ونجد فى الآرامية اليهودية שְׁדַף بمعنى يحترق[1] .

ونلمح من هذا أن المعنى فى اللغتين الساميتين يتفق واختلاط الضوء بالظلمة .

الدلالة التميمية فى الأدب التميمى :

ورد اللفظ بمعنى الظلمة فى قول العجاج :

* وأظعن الليلَ إذا ما أسدفا *[2]

٤ — عِدّ :

جاء فى « تهذيب اللغة » : « وقال أبو عدنان : سألت أبا عبيدة عن الماء العِدّ ، فقال لى : الماءُ العد بلغة تميم : الكثير ، قال : وهو بلغة بكر بن وائل : الماء القليل . قال : بنو تميم يقولون : الماء العد مثل كاظمة جاهلى إسلامى لم ينزح قط »[3] .

إذا كانت تميم قد خالفت بكرا فى دلالة « الماء العِد » فأضحت الدلالتان متضادتين ، وأفادت التميمية الكثرة والبكرية القلة ، فالمعنى الأقدم — فيما يبدو من اشتقاق الكلمة — أنه الشىء المعدود ذو الأجزاء قليلا كان أو كثيرا ثم انتقل منه إلى ماليس له أجزاء كالماء ، وهذا يتفق وقول ابن المظفر : « والعِدُّ : ماءٌ يُجمع ويُعَدّ »[4] ويتفق مع دلالة

---

(١) Gesenius, Hebrew ... p 995

(٢) ديوان العجاج ٤٩٤ ، والأضداد للأصمعى ٣٥ وفيه « وأقطع » .

(٣) تهذيب اللغة ١ / ٨٨

(٤) تهذيب اللغة ١/٨٧ وابن المظفر هو « الليث » .

ثالثة غير هاتين الدلالتين رويت عن الكلابية ، وهى « ماء كل ركية عِدّ قلّ أو كثر »[1] ، ثم حدده التميميون بالماء الكثير والبكريون بالماء القليل ، ووجدت بالطبع ملابسات اتجهت بالدلالة إلى هذين الطريقين المتضادين . نشأت التميمية نتيجة الركايا (الآبار) الكثيرة ذات المياه فى كاظمة التى كانت تقع على سيف البحر بالقرب من البصرة[2] والتى أقام بها بنو كليب بن يربوع ووردت فى شعر أحدهم :

ضَمِنْتُ لَكُنَّ أن تَهْجُرْنَ نَجْداً وأَنْ تَسْكُنَّ كاظِمةَ البُحُورِ[3]

أمّا بكر بن وائل فسبب التسمية — فيما أظن — عدم وجود مثل هذه الركايا المتعددة لديهم عند إطلاق هذا اللفظ بهذه الدلالة .

الدلالة التميمية واللغة المشتركة :

استعملت اللغة المشتركة الدلالة التميمة ، ووجدنا ذلك فى حديث لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — فعن أَبْيَض بن حَمَّال المأْربى السبئى[4] أنه وفد إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — واستقطعه المِلْحَ الذى بمَأْرِبَ فأقطعه ، فلما ولى ، قال رجل : يارسول الله : أتدرى ما أقطعت له ؟ إنما اقطعت له الماءَ العِدَّ ، فانتزعه منه »[5] .

٥ — عريض :

« قال قطرب : بنو تميم يجعلون العريض الجذَعَ من ولد الشاة إلى أن يُثْنِىَ وغيرهم يقولون : هو الصغير »[6] .

والعريض لفظ مشتق من عَرَضَ الشَّجَرَ أى تَعَلَّقه ليأْكل من ورقه[7] أو هو الذى

---

(١) اللسان (عدد) ٤/٢٧٦

(٢) انظر : اللسان (كظم) ١٥ / ٤٢٦

(٣) المرجع السابق .

(٤) انظر ترجمته فى : أسد الغابة ١ / ٥٧

(٥) المرجع السابق .

(٦) الأضداد لابن الأنبارى ٣١٩

(٧) انظر : اللسان (عرض) ٩ / ٣٦

يأكل ورق الشجر بعُرْضِ شِدقة[١] . ولبيان التضاد فى هذه الكلمة ينبغى لنا أن نذكر أولا المراد من لفظى الجَذَع والصغير :

(١) الجَذَع : هو ما يكون فى المرحلة السابقة للثَّنِىّ[٢] ، والثنى هو ما يُلْقِى ثَنِيتَه ، ويكون ذلك فى السنة الثالثة بالنسبة لذات الظِّلف[٣] كالشاة[٤] . نهاية سن الجذع من ولد الشاء إذن فى السنة الثالثة من عمره أمَّا بدايته فكما يقول ابن الأعرابى عندما يبلغ سنة[٥] .

(ب) الصغير : أما الصغير فهى كلمة مطاطة وتختلف نسبيا وفق حالة المقارَنَين ، ويكتفى صاحب اللسان بقوله : « الصِّغر ضد الكِبَر »[٦] . وقياسا على أحد تعاريف اللسان العريض – غير المنسوبة لقوم معينين – بالنسبة للمِعْزَى بأنه « ما فوق الفطيم ودون الجَذَع »[٧] وأن الصغير هو ما بين انتهاء فترة الفطام – وهى نحو ثلاثة أشهر[٨] – إلى أن يبلغ ولد الشاة عاما .

المعنيان المتضادان فى رأى قطرب ، هما :

الأول : ولد الشاة عندما يبلغ عاما إلى أن يدخل فى السنة الثالثة ، وكان هذا إطلاق بنى تميم عليه .

الثانى : ولد الشاة ما بين الفطام إلى أنْ يبلغ العام .

ومرجع الخلاف أن العريض . كلمة عامة كانت تطلق على ولد الشاة الذى كان يأكل ورق الشجر بعُرْض شدقة ، ومن هذا المعنى أيضا أُطلقت على الذى رعى وقوى[٩] ، ثم خصصها كل قوم لفترة معينة تخطت فترة الضعف ، والضدية جاءت من كون التميمية هى فترة القوة والنشاط ، ونلمس هذا من قول ورقة بن نوفل « ليتنى فيها جذعا »[١٠] . أى عند مبعث النبى – صلى الله عليه وسلم – . وغير التميمية هى الفترة التى لم يكتمل فيها هذا الحيوان قوته بعد .

(١) المرجع السابق .
(٢) المصباح (جذع) ٩٤
(٣) المرجع السابق (ثنى) ٨٥
(٤) المرجع السابق (ظلف) ٣٨٥
(٥) اللسان (جذع) ٩ / ٣٩٣
(٦) اللسان (صغر) ٦ / ١٢٨
(٧) المرجع السابق (عرض) ٩ / ٣٦
(٨) انظر : المخصص ١٧٦/٧
(٩) اللسان (عرض) ٣٦/٩
(١٠) النهاية لابن الأثير ١ / ٢٥٠

هذا هو تفسير الضدية فى هذا اللفظ متابعة لرواية قطرب ، وإن كنت أرى أنها غير واضحة ؛ لأن الفترتين اللتين أطلق عليهما التميميون وغيرهم هذا اللفظ متقاربتين وهذه الضدية كانت تتضح لو أن اللفظ أطلق عند غير التميميين على ولد الشاة بعد ولادته وهى التى يسمى فيها « السخلة »[1] ،أو المرحلة التى تليها والتى تسمى فيها « العدوية » وتكون عندما تبلغ أولاد الغنم أربعين يوما[2] وذلك لأن الضعف فيها بيّن . لذا أميل إلى أن هذه الكلمة أقرب إلى المشترك اللفظى منها إلى التضاد .

٦ ـ القَلْت :

« القَلْت فى كلام أهل الحجاز : نُقْرة فى الجبل يجتمع فيها الماء فيغرق فيها الجمل والفيل لو سقط فيها . والقلت فى لغة تميم وغيرهم : نقرة صغيرة فى الجبل يجتمع فيها الماء »[3] .

وإذا رجعنا إلى معاجم اللغة نجدها تذكر أن من معانى « القلت » الفجوة سواء أكانت فى الأرض أم فى البدن . ومن ذلك القلت بمعنى النقرة فى الجبل[4] دون تحديد وهذا هو المعنى الأصلى للنُّقر فى الأرض ، ثم خصص كل قوم دلالته فأطلقوه على نوع معين منها فخصصه التميميون للصغيرة ، والحجازيون للكبيرة .

هذا هو التفسير الذى يتبادر إلى الذهن ، لكننا إذا نظرنا إلى المعانى الأُخرى للكلمة ، يبدو لنا تفسير آخر يرجّحُ هذا التفسير .

إن كلمة « القلت » كما قلنا تطلق على أى نقرة فى البدن ، فهى :

١ ـ المطمئن فى الخاصرة[5] . ٢ ـ وما بين الترقوة والعنق[6] .

٣ ـ وعين الركبة[7] . ٤ ـ وقَلْت العَين : موضع الحدقة[8] .

---

(١) المخصص ٧ / ١٨٥ ، ١٨٦

(٢) المرجع السابق ٧ / ١٨٦

(٣) الأضداد لابن الأنبارى ٤٢٠ ، ٤٢١

(٤) اللسان (قلت) ٢ / ٣٧٦

(٥) اللسان (قلت) ٢ / ٣٧٦ ، ٣٧٧

(٦) المرجع السابق ٢ / ٣٧٧

(٧) المرجع السابق .

(٨) خلق الإنسان ١٠٦ (والحدقة : السواد الذى فى وسط البياض — المرجع نفسه) .

٥ ـ وقلت الكف : ما بين عصبة الإبهام والسَّبَّابة[١] .

٦ ـ وقلت الفرس : ما بين لَهَواته إلى مُحَنّكه[٢] .

٧ ـ والقَلْتَة : شَقٌّ ما بين الشاربين بحِيال الوترة[٣] .

ونلاحظ أن هذه القلات كلها صغيرة فى حجمها . وإذا وضعنا إلى جانب ذلك أن أصل هذه الكلمة « قل » ثم أضيفت اليها التاء ، فالدلالة القديمة للقلت ووفقا لهذا هى النقرة الصغيرة ، وهى التى حافظ عليها التميميون ، ثم تطورت عند الحجازيين فأطلقت على النقرة الكبيرة .

ومما يؤيد رأينا هذا أن كلمة « قَلِت » تستعمل وصفا للرجل القليل اللحم[٤] ، وأن المِقْلات تطلق على المرأة ـ وكذلك الناقة ـ التى تلد واحدا ثم لا تلد بعد ذلك[٥] ، وكذلك التى لا يعيش لها ولد[٦] .

٧ ـ الكَشوف :

اختلفت القبائل التى كانت تقيم فى النصف الشرقى من الجزيرة العربية ومنها تميم عن القبائل التى كانت تقطن نصفها الغربى فى دلالة كلمة « كَشوف » .

١ ـ فهى عند تميم وأسد وربيعة تعنى الإبل التى إذا نتجت ضربها الفحل بعد أيام فلقحت .

٢ ـ وعند هذيل وكنانة وخزاعة تعنى الإبل التى تمكث سنتين لا تحمل[٧] .

الدلالتان إذن شبه متناقضتين ، لأن الأولى تدل على السرعة والثانية تفيد البطء . وإذا رجعنا إلى المعانى الأخرى للكشوف لنعرف سر هذا التضاد نجدها تعنى :

(١) الناقة التى يضربها الفحل وهى حامل[٨] .

---

(١) اللسان (قلت) ٢ / ٣٧٧

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ٢ / ٣٧٨

(٤) المرجع السابق ٢ / ٣٧٧

(٥) المرجع السابق .

(٦) المرجع السابق .

(٧) شرح ديوان زهير ٢٠

(٨) اللسان (كشف) ١١ / ٢١٠

(ب) الناقة التى يُحمل عليها سنتين متواليتين أو سنين متوالية[1] .

(جـ) الناقة التى يُحمل عليها سنة ، ثم تترك سنتين أو ثلاثا[2] .

وإذا كان الكشف هو رفع الشىء عما يُواريه ويُغطيه[3] ، فإن هذا يجعلنا نميل إلى أن الدلالة فى أصلها عامة ، ثم خصصت عند كل قوم ووصل الخلاف بين بعض الدلالات إلى درجة التضاد وهذا ما نلحظه فى الدلالتين موضوع المقارنة .

على أن الدلالة لو كانت قد قصرت على هذين المعنيين لوجدنا المعنى التميمى هو الأقرب والألصق بالكشف . وكان هذا يدعونا حينئذ إلى القول بأنه المعنى الأقدم ، وأنه بدلالته لدى قبائل غرب الجزيرة متطور عنه .

الدلالة التميمية فى الشعر التميمى :

ورد اللفظ فى دلالته التميمية على لسان أحد الشعراء التميميين ، قال الأَسْلَع ابن قَصّاف :

وما تُحدِثُ الأيامُ يابنةَ مالِكٍ فإنى لما جاءت به لَعَرُوف
خُطوبٌ وبابٌ ذو أطاويقَ مُشْرِفٌ وشَهْمَاءُ تَسْتَنمى اللقاحَ كَشُوف[4]

والشاعر من بنى حنظلة[5] .

* * *

التعقيب :

بعد هذا العرض التحليلى للكلمات المتضادة والتى كان لها عند تميم دلالة تناقض دلالتها عند غيرهم . وهذه الكلمات عدتها سبعة عزيت كلها إلى تميم صراحة :

١ ـ كانت المقارنة فى أربعة منها بين التميمية والمشتركة وهى : باع .

---

(١) اللسان (كشف) ١١ / ٢١٠ (٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ١١/٢٠٩

(٤) النوادر لأبى زيد ٣٧٢ (الشروق) : ضبط « قصاف » فى الأصل بكسر القاف والصاد غير المشددة ما ضبطناه من ، المؤتلف (٥٤ تحقيق عبد الستار فراج) وقد أشار إلى ذلك المحقق .

(٥) المؤتلف ٤٤

(وقد شاركتها ربيعة) ، والجونة ، والعريض (على فرض أنها من المتضاد) والقلْت .

٢ – كلمتان بين التميمية وإحدى اللغات المحلية ، وهما : السدفة (قيس) ، والعِدّ (بكر) .

٣ – والكلمة السابعة (كشوف) شاركتها فيها لغات من شرق الجزيرة (أسد وربيعة) وكانت المقارنة مع لغات من غرب الجزيرة (هذيل وخزاعة وكنانة) .

ونجمل فيما يلى العوامل التى أدت إلى نشأة التضاد فى هذه الكلمات :

١ – تخصيص المعنى العام :

فاللفظ كان يدل على معنى عام يشترك فيه الضدان ثم خصصه التميميون وخصص أيضاً عند غيرهم فى اتجاه مضاد وذلك فى الألفاظ التالية : باع ، والسدفة ، والعد ، والكشوف ، والعريض (والأخيرة أقرب إلى الاشتراك اللفظى) .

ومن هذا النوع ماكان عاما فى غير اللسان العربى ثم خصص عند تميم بمعنى وعند غيرهم بمعنى آخر مضاد وذلك لفظ « الجون » .

٢ – التفاؤل :

وكان ذلك فى كلمة « القلت » والمعنى الأصلى هو التميمى ثم تطور عند غيرهم على سبيل التفاؤل .



الخاتمة

اشتمل هذا البحث على خمسة أبواب تسبقها مقدمة وتليها هذه الخاتمة . وكان الباب الأول تمهيديا وتناول كل باب من الأبواب الأخرى أحدمستويات اللغة فكان الثانى عن المستوى الصوتى ، والثالث عن المستوى الصرفى ، والرابع عن المستوى النحوى ، والأخير عن المستوى الدلالى . وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج بعضها خاص ، وبعضها عام . وفيما يلى أهم هذه النتائج :

أولا ـ النتائج الخاصة :

(أ) فيما يتصل بالمستوى الصوتى :

١ ـ إن تبادل الأصوات الساكنة وأشباه أصوات اللين والحركات القصيرة والطويلة تم حرًّا أو مقيدا (تركيبيا) . وهذا التبادل إما أنه تطور عند تميم ، أو احتفظت تميم بالأصل وحدث التطور عند غيرها ـ وقد نجهل الأصل ـ وكل نوع قد يكون مطردا ، وقد يكون غير مطرد ، أو يجمع بين الصنفين .

٢ ـ إن تميما نطقت بالكشكشة والكسكسة ، والأولى عزاها إليها علماء متقدمون أما الكسكسة فأقدم من رأيناه يعزوها إليهم هو الفيروزابادى (ت ٨١٧ هـ) وترجيحنا نسبة الظاهرتين إليهما كل فى منطقة غير التى نطقت الأخرى ـ دون عدّ الكسكسة تصحيفاً عند الفيروزابادى ـ شيوع نطقهما فى الوقت الراهن فى مناطق يسكنها تميميون .

وخالفنا ما ذهب إليه بعض العلماء المحدثين من أن القدماء أخطئوا فى وصفهما إذ كانتا تنطقان « تْش » و « تْس » فقط بأنهما كانا ينطقان بالصور المختلفة التى ذكرها اللغويون القدامى لوجود هذه الصور الآن بالنسبة للكشكشة .

٣ ـ إن العنعنة كانت خاصة بكلمتى « أنَّ » و « أنْ » وما وجد من قلب للعين همزة . فهو من غير العنعنة الذى يقابله قلب العين همزة عندهم أيضاً فى بضعة أمثلة .

٤ ـ عدم موافقة بعض العلماء المحدثين الذين يرون أن مخرج الغين والخاء من أقصى الحنك بعد القاف من جهة الفم وليسا قبلها كما كان يذكر علماء العربية . على أن من العرب القدامى من كان ينطقهما كما يرى المحدثون .

٥ ـ عدم موافقة المحدثين أيضاً فى أن الطاء الفصيحة هى النظير المطبق للتاء ، وإثبات أن نظيرها هو الدال .

٦ ـ من دراسة أشباه أصوات اللين (الواو والياء) والحركات القصيرة والطويلة (مع ضم الواو للضمتين القصيرة والطويلة والياء للكسرتين القصيرةوالطويلة) تبين لنا :

(ا) إيثار تميم الكسر على الفتح والأولى هى أقوى الحركات الثلاث والثانية أقلها قوة .

(ب) عدم اتضاح خط معين بين :

١ ـ الكسرة والضمة . ٢ ـ الضمة والفتحة .

والثانية من كل من الحركتين تلى أولاهما فى القوة .

٧ ـ كانت تميم تُميل الفتحتين القصيرة والطويلة نحو الكسرتين القصيرة والطويلة ، وبالنسبة للألف (الفتحة الطويلة) تعد الإمالة الأصل فيما أصله يائى ـ كما ذهب إلى ذلك الدكتور إبراهيم أنيس ، والدكتور رمضان عبد التواب ـ وكذلك فيما أصله واو وفاؤه مكسورة عند إسناده للفاعل مثل خاف .

أما الألف الممالة التى ليس أصلها ياء كما فى كتاب ، فهذه أصلها الفتح والتطور عند تميم فى هذا النوع تم بطريق التماثل .

٨ ـ إذا اشتملت الكلمة المستقلة أو المركبة من كلمتين على ثلاث حركات متتالية فأكثر فإن معظم التميميين كانوا يسكنون الصوت الثانى مالم يكن هو وسابقه مفتوحين .

٩ ـ كان التميمى يحقق الهمزة ، والحجازى يخففها ، إلا بضع كلمات لاحظ اللغويون فيها مخالفة كل فريق لنهجهم . وبعد دراستها تبين أن الأصل عدم الهمز ، كما كان ينطق التميميون وأن الحجازيين نطقوها مهموزة على سبيل التفاصح سوى كلمة واحدة .

١٠ – لم تكتف تميم بتحقيق الهمزة وإنما تنوع الحال عندها على النحو التالى :

(ا) قلبت كل واو مكسورة تقع فى أول الكلمة التى على وزن « فِعال » همزة وكان ذلك على سبيل التفاصح .

(ب) همزت الفتحة الطويلة إذ أوليها ساكن مضعف ، وهى ظاهرة انتقلت من الشعر إلى النثر – كما يرى الدكتور رمضان عبد التواب – لأن الشعر يرفض المقطع الطويل المغلق فيحوله إلى مقطعين أولهما قصير مفتوح وثانيهما قصير مغلق .

١١ – المد نوع من الهمز والقصر تخفيف له وكان المد نهج التميميين بخلاف ما ذهب إليه بعض المحدثين .

١٢ – اختلفت تميم مع غيرها من حيث ترتيب الحروف وكانت تحتفظ أحيانا بالأصل ويتم القلب المكانى عند غيرها كما كان الأمر على العكس من ذلك فى أحيان أخرى إذ يحدث التطور فى لغتها . ولاحظت أنها عند الاحتفاظ بالأصل كانت توافق اللغة المشتركة .

١٣ – خالفت اللغة التميمية غيرها فى بعض حالات الوقف على آخر الكلمة . ومن ذلك محافظتها على الهمزة – وفق نهجها فى هذه الظاهرة – ونقل حركتها إلى الصوت الساكن السابق لها ، واتجه فريق منهم إلى أن تتبع بعد ذلك العينُ حركة الفاء إذا كان الوزن بعد نقل حركة الهمزة على أحد وزنى فُعِل وفِعُل .

(ب) المستوى الصرفى :

١ – مالت تميم إلى البنية الطويلة ، على حين كانت قصيرة عند الحجازيين ، وقد تبين أن الخلاف فى النسبة إلى « فَعِيل » و « فُعَيْل » هو خلاف بين تميم وسكان غرب الجزيرة ، وأن مرجع الخلاف طول البنية عند تميم وقصرها عند الحجازيين وذلك بحذف الياء .

٢ – لم يكن لتميم نهج خاص فى مستقبل الفعل ، وإنما تحكم فى ذلك قانون المغايرة شأنها فى ذلك شأن اللغة المشتركة ، وهو ما نبّه عليه الفارابى من علمائنا القدامى ، والدكتور إبراهيم أنيس من علمائنا المحدثين . وما بدا لنا من مخالفة ظاهرة مردها صوتى ، وهو

الخلاف فى حركة عين الماضى عندها عن غيرها ، فقد اتجهت إلى الكسر حين مال غيرها إلى الفتح . وهذا يؤكد ما لاحظناه عند الكلام عن « الكسروالفتح » — فى الباب الثانى — فكثر عندها باب « فَرِح » الذى توزع عند غيرهم إلى أبواب : نصر ، وضرب ، وفتح (بالإضافة إلى باب كَرُم) وانتهيت إلى نتيجة تخالف ما ذهب إليه أُستاذنا المرحوم الدكتور أنيس من ميل القبائل البدوية — ومنها تميم — إلى باب نصر والقبائل الحضرية إلى باب ضرب . فقد لاحظت أن تميما نطقت أربعة أفعال من باب نصر وسبعة من باب ضرب.

٣ — فيما يخص الأجوف ، اتضح أن تميما والحجازيين تقاسموا الأمر بينهم :

(ا) صحح الحجازيون عين بعض الأفعال وأعلها التميميون .

(ب) صحح التميميون عين اسم المفعول وأعلّه الحجازيون .

وهذا يعنى محافظة كل منهم على الأصل فى أحد النوعين دون الآخر .

٤ — وفيا يخص المصادر والمشتقات اتضح أن تميما لم يكن لها نهج خاص فيها ، وإنما مرجع ما يلاحظ من عدم اتفاق إلى خلاف فى الفعل مرده :

(أ) مظاهر صوتية .

(ب) تصحيح الفعل وإعلاله .

(ج) بنية الفعل من حيث الطول والقصر . ولم نجد اختلافا حقيقيا إلا فى مصدر « فَعَل » إذ قال التميميون « فُعُول » والحجازيون « فَعْل » .

٥ — بالنسبة للجمع بنوعيه : المؤنث السالم ، والتكسير ، وجدنا أنّ شأنه شأن المصادر والمشتقات إذ مرجع التباين :

(ا) صوتى فى الجمع نفسه أو فى مفرده .

(ب) اختلاف فى بنية مفرده .

٦ — كان التميمى متسقا فى نظرته للجنس سواء أكان حقيقيا أم مجازيا ، إذ طابق بين تذكير اللفظ وتأنيثه وبين ما يدل عليه أحد نوعى الجنس .

(ج) المستوى النحوى :

ومن أهم النتائج التى وصل إليها هذا الباب :

١ – معاملة التميميين لكلمة « هَلمّ على أنها فعل على حين إن اللغة المشتركة عدتها اسم فعل .

٢ – جمع التميميون « باب سنين » جمع تكسير مخالفين اللغة المشتركة التى ألحقته بالمذكر السالم .

٣ – إعرابهم « أمس » و « ما جاء على فَعالِ » وقد بنيا فى اللغة المشتركة . واتفاقهم معها فى بناء «حيث» و « هيهات » وإن اختلفا فى الحركة التى سادت وهاتان الكلمتان أعربتا عند بعض العرب الذين لم يحددوا .

٤ – صرفهم طائفة من الأعلام لم تصرف فى اللغة المشتركة ، لاختلاف معاملتها تذكيرا وتأنيثا عند كل فريق .

٥ – مخالفة اللغة التميمية اللغة المشتركة فى إعراب بعض الحالات كاتجاهها إلى رفع اسم « ما » و « لا » و « ليس » والاسم الذى يلى ضمير الفصل (وهذه الأسماء منصوبة فى اللغة المشتركة ماعدا الاسم الذى يلى ضمير الفصل ، فإنه يختلف حسب عامله السابق للضمير) ، ونصب خبر ليت وأخواتها ، وتمييز كم الخبرية ، والمثنى وبعض الأسماء الستة (وبالنسبة للأخيرين كان ذلك عند بعض التميميين) ، وإيثارها الإتباع على النصب فى الاستثناء المنقطع ، والعدد (من ثلاثة إلى عشرة) عند إضافته إلى ضمير يعود على اسم سابق .

٦ – مطابقة عسى واخلولق وأوشك للاسم السابق لها مخالفة اللغة المشتركة التى أخذت فيها صورة واحدة هى صورة المفرد الغائب .

(د) المستوى الدلالى :

وأهم ما حققه هذا الباب مايلى :

١ – لم يقتصر على الترادف داخل القبيلة ، وإنما درس أيضا الكلمات التميمية التى لها مقابل عند غيرهم من العرب باعتبار أن ألفاظ هذه اللغة أضحت عنصرا من عناصر العربية بعد جمعها .

٢ ـ وجد أن الشرط الذى وضعه اللغويون المحدثون وهو الاتحاد فى العصر بالنسبة للترادف يصعب تحققه فى دراسة اللغات فى عصور الاحتجاج .

٣ ـ عدد الكلمات التى درست فى الترادف اثنتان وعشرون كلمة وقد وضعها التميميون كغيرهم بإحدى طرق خمس : الاشتقاق ، وتخصيص مجال الدلالة ، وتعميمها ، وانتقال مجالها ، والتعريب . ويرجع الترادف إلى أن التميميين وضعوا اللفظ بإحدى هذه الطرق ووضع غيرهم بطريقة أخرى أو أنهم وضعوا بالطريقة نفسها ، ولكن لحظ كل من الفريقين ملحظا يختلف عن ملحظ سواه .

٤ ـ عالج الفصل الثانى الخاص بالمشترك الخاص اللفظى الكلمات ذات المعانى المتعددة ورمزا إلى تميم إحدى هذه المعانى والكلمات التى كانت موضع دراسة عددها ثلاثون . وهذه الكلمات صنفان : صنف كانت دلالته التميمية هى القديمة ، ثم أصابه التطور عند غير التميميين ، والصنف الآخر على النقيض من ذلك تطور عند تميم . وعوامل نشأة الاشتراك هى تخصيص الدلالة أو تعميمها أو انتقال مجالها وتطور صوتى فى الكلمة جعلها تتشابه مع أخرى فى صورتها مع احتفاظ كل منهما فى دلالتها .

٥ ـ وكان الفصل الثالث خاصا بالتضاد وعالج سبعة ألفاظ ويرجع التضاد إلى أن هذه الكلمات كانت تدل فى الأصل على معنى عام ثم خصصت عند التميميين وغيرهم تخصصا متباينا وصل إلى حد التضاد باستثناء لفظ منها وهو « القَلْت » فإن معناه الأصلى هو التميمى ثم تطور عند غيرهم وكان ملحظهم فى التغيير النظرة التفاؤلية .

ثانيا ـ النتائج العامة :

١ ـ ليس هناك فرق كبير بين التميمية وغيرها من اللغات العربية ، وبخاصة العربية الفصحى (المشتركة) ، بحيث يصعب على التميمى فهم غير لغته وبصفة خاصة المشتركة ، أو على غير التميمى فهم التميمية .

٢ ـ إن اللغة التميمية تطورت ، وهذا أمر طبيعى بوصفها كائنا حيا ، إلا أن هذا التطور لم يكن بدرجة واحدة فى جميع مستويات اللغة وإننا لنراه واضحا فى المستويين الصوتى والصرفى على حين نراه يسير ببطء فى المستويين النحوى والدلالى . وإن ما نراه من اختلاف صرفى مرده فى الغالب إلى اختلاف صوتى .

٣ ـ إن مما نسب إلى تميم ما يعد عنصرا من عناصر اللغة المشتركة ومنها ما يعد عيبا من العيوب كالعنعنة والكشكشة وهذا الصنف تأبى عنه الأُدباء من أصحاب هذه اللغة ، ولم يعتد به اللغويون والنحويون مقياسا يمكن أن يحتذى . ولم يكن هذا موقفاً خاصا باللغة التميمية وحدها ، بل بكل اللغات التى دوّن عنها « قال الفراء : وكثير مما أنهاك عنه قد سمعتُه ، ولو تجوزتُ لرخصت لك أن تقول : رأيت رجلان ، ولقلت : أردت عَنْ تقولَ ذلك »[1] .

٤ ـ من الظواهر التميمية ما شاركت فيه تميم غيرها من قبائل مجاورة . ومن هذه الظواهر ما نرجح أنه دخيل على تميم كإعراب المثنى وبعض الأسماء الستة بالألف فى حالات الإعراب الثلاث ، بدليل ورودها عند بعض بطونهم فقط .

٥ ـ إن القراءات القرآنية متواترها وشاذها ، اعتدّت باللغة التميمية وقلما نجد ظاهرة إلا وقرئ بها باستثناء الدلالة والاختلاف فى الأصوات الساكنة وإن كنا وجدنا فى الصنف الأخير قراءات قليلة شاذة لكنها مع ذلك لم تعز إلى قراء معينين .

المقترحات :

وإننى بعد عرض هذه النتائج أتقدم بمقترحات عنت لى وأنا أكتب هذا البحث :

١ ـ الاهتمام بطبع الكتب التى تعزو اللغات إلى ذويها كى تعين على دراستها دراسة علمية ، وأقترح إعادة طبع الكتب التى اشتملت على أخطاء مطبعية كالمزهر للسيوطى ومنه نسخة بدار الكتب المصرية تامة الشكل لم يرجع إليها محققو الكتاب .

كما أرى إعادة طبع الكتب التى نشرت غير مضبوطة كالبحر المحيط ومنه أجزاء مضبوطة بدار الكتب المصرية .

٢ ـ على المحققين مراعاة ضبط الألفاظ المنسوبة إلى قوم معينين وفق نطق ذويها وعدم إخضاعها للغة المشتركة . وقد تبين لنا ذلك بالنسبة لبعض الأعلام التميمية رغم كتابتها فى الأصول وفق نهج التميمية .

---

(١) تقويم اللسان ٧٥ ، ٧٦ .

٣ – دراسة لهجات التميميين المقيمين بالجزيرة فى الوقت الراهن وذلك قبل أن تتطور بتأثير وسائل الإعلام الحديثة ومظاهر الحضارة كتعبيد الطرق داخل الجزيرة ، ومحاولة الحكومات نشر التعليم بانتداب مدرسين من الخارج ، إلى غير ذلك ، مما يجعل لغة تميمى أواخر القرن العشرين تختلف عن لغة تميمى أوائل هذا القرن .

ودراسة هذه اللهجات الحديثة تفيد فى فهم مسائل هامة فى اللغة التميمية ، فقد توضح لنا ما يعرض من الأمور المشكلة فى أصواتها وصرفها ونحوها وألفاظها ، لأن هذه اللهجات قد تكون محتفظة فى ثناياها بخصائص صوتية أو ألفاظ وتراكيب أهمل تدوينها أو اكتفى بأن أشير إليها بأنها لغة دون عزوها إلى قوم معنيين أو لغة لغير الحجازيين ، فدراسة هذه اللهجات قد يعيننا ويساعدنا على فهم هذا الغامض على نحو ماتبين لنا من أن صور الكشكشة التى ذكرها القدماء ما زالت تنطق مما جعلنا لم نوافق بعض المحدثين الذين خطئوا القدماء فى وصفها . كما قد تعيننا هذه الدراسة على فهم ألفاظ وردت بالشعر واكتفى اللغويون بتدوينها دون توضيح ، كأن توصف بلفظ « معروف » ونحو ذلك .

وبعد فإننى لا أستطيع أن أزعم أن هذه دراسة شاملة لكل ما يتصل بلغة تميم ، فهناك ظواهر خاصة بها أعتقد أنها مازالت حبيسة المخطوطات التى لم يقدر لها أن تأخذ طريقها إلى المطبعة .

وإنى لآمل – بعد هذا – أن أكون قد وفقت فيما كتبت ، وحسبى أن غاية الوسع بذلت ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

المراجـع

اولا : المراجع العربيـة :

(أ) المطبـوعة :

(أ)

- الإبانة عن معانى القراءات ، لمكى بن أبى طالب حموش القيسى ، تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى — القاهرة سنة ١٩٦٠ م .
- الإبدال ، لأبى الطيب عبد الواحد بن على اللغوى ، تحقيق عز الدين التنوخى — دمشق سنة ١٩٦٠ ، ١٩٦١ م .
- الإبدال ، لأبى يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت ، تحقيق الدكتور حسين محمد شرف — القاهرة سنة ١٩٧٨ م .
- إبراز المعانى من حرز الأمانى ، لأبى شامة — القاهرة سنة ١٣٤٩ هـ .
- الإبل ، للأصمعى أبى سعيد عبد الملك بن قريب (ضمن كتاب الكنز اللغوى فى اللسن العربى) بيروت ١٩٠٣م .
- أبو حيان النحوى ، للدكتورة خديجة الحديثى — بغداد سنة ١٩٦٦ م .
- إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر ، لأحمد بن محمد الدمياطى الشهير بالبناء ، رواه وصححه وعلق عليه على محمد الضباع — القاهرة سنة ١٣٥٩ هـ .
- إتحاف الملوك الألبا ، بتقدم الجمعيات فى بلاد أوربا ، تأليف روبر ستن ، ترجمة خليفة محمود — القاهرة سنة ١٢٥٨ هـ .
- الإتقان فى صرف لغة السريان ، للمطران يوسف دريان — بيروت سنة ١٩١٣ م .
- الإتقان فى علوم القرآن ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — القاهرة سنة ١٩٧٤ م .
- الإحاطة فى أخبار غرناطة ، لمحمد بن عبد الله لسان الدين الخطيب ، تحقيق محمد عبد الله عنان — القاهرة سنة ١٩٧٣ م .

- إرشاد المريد إلى مقصود القصيد ، لعلى بن محمد الضباع – القاهرة سنة ١٣٤٩ هـ .
- الأزمنة ، لمحمد بن المستنير المعروف بقطرب ، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن (نشر بمجلة المورد العراقية م / ١٣ ع ٣) .
- الأزمنة والأمكنة ، لأبي على أحمد بن محمد الأصفهاني المرزوقي – حيدر آباد الدكن سنة ١٣٣٢ هـ .
- أساس البلاغة ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري – القاهرة سنة ١٩٦٠ م .
- أسباب الشذوذ في اللغة ، للدكتور رمضان عبد التواب سنة ١٩٨٠ م .
- أسد الغابة ، لأبي الحسن على بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (١ – ٣) ، تحقيق محمد إبراهيم البنا ، ومحمد أحمد عاشور ، ومحمود عبد الوهاب فايد – القاهرة سنة ١٩٧٠ ، ١٩٧١ م ، (٤ – ٦) القاهرة سنة ١٢٨٦ هـ .
- أسرار العربية ، لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري – ليدن سنة ١٨٨٦ هـ .
- أسس علم اللغة العربية ، للدكتور محمود فهمي حجازي – القاهرة سنة ١٩٧٩ م .
- إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان ، لسالم بن حمود السيابي – بيروت سنة ١٣٨٤ هـ .
- الأشباه والنظائر في النحو ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي – حيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٩ هـ .
- الاشتقاق ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، تحقيق عبد السلام هارون – القاهرة سنة ١٩٥٨ م .
- الإصابة في تمييز الصحابة ، لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن على العسقلاني المعروف بابن حجر – القاهرة سنة ١٣٢٣ – ١٣٢٥ هـ .
- إصلاح المنطق ليعقوب بن إسحاق بن السكيت ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون – القاهرة سنة ١٩٤٩ م .
- الأصنام ، لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، تحقيق أحمد زكي – القاهرة سنة ١٩٢٤ م .
- الأصوات = علم اللغة العام (القسم الثاني – الأصوات) ، للدكتور كمال محمد بشر – القاهرة سنة ١٩٧٠ م .

- الأصوات اللغوية ، للدكتور إبراهيم أنيس – القاهرة سنة ١٩٧٥ م .
- الأضداد ، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – الكويت سنة ١٩٦٠ م .
- الأضداد ، للدكتور منصور فهمي – مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية – العدد الثاني .
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، للحسين بن أحمد بن خالويه ، تحقيق عبد العزيز الميمني – القاهرة سنة ١٩٤١ م .
- الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج – بيروت سنة ١٩٥٥ – ١٩٦٤ م .
- الأفعال ، لأبي بكر بن القوطية – القاهرة سنة ١٩٥٢ م .
- الأفعال ، لأبي عثمان سعيد بن محمد المعافري السرقسطي ، تحقيق الدكتور حسين محمد شرف ، ومراجعة الدكتور محمد مهدي علام – القاهرة سنة ١٩٧٥ – ١٩٨٠ م .
- الأفعال لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي – حيدر آباد الدكن سنة ١٣٦٠ – ١٣٦٤ هـ .
- الاقتراح في علم أصول النحو ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي – حيدر آباد الدكن سنة ١٣١٠ هـ .
- الاقتضاب ، لابن السيد البطليوسي – بيروت سنة ١٩٠١ م .
- ألف باء ، لأبي الحجاج يوسف بن محمد البلوي – القاهرة سنة ١٢٨٧ هـ .
- الألفاظ السريانية في المعاجم العربية ، لأغناطيوس أفرام الأول – مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق – المجلد ٢٥ – الجزء ١٠
- الألفاظ الفارسية المعربة ، لأدى شير – بيروت سنة ١٩٠٨ م .
- الألفاظ المغربية العامية التي لها أصل فصيح (مجلة « المناهل » المغربية – العدد ١٦ السنة السادسة ، المحرم سنة ١٤٠٠ هـ) لمحمد الفاسي .
- الإمالة في القراءات القرآنية واللهجات العربية – (في الدراسات القرآنية واللغوية : الإمالة) . للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي – القاهرة سنة ١٩٧١ م .
- الأمالي ، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي – القاهرة سنة ١٩٢٦ م .

- الأمالى الشجرية ، لضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن على بن حمزة الشجرى — حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٩ هـ .
- الأمثال الشعبية فى قلب جزيرة العرب ، لعبد الكريم الجهيمان — بيروت سنة ١٣٨٣ هـ .
- أمثال العرب ، للمفضل بن محمد الضبى — القسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ .
- الأمثال العامية فى نجد (القسم الأول) لمحمد العبودى — القاهرة سنة ١٩٥٩ م .
- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، لعلى بن يوسف القفطى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — القاهرة سنة ١٩٥٠ — ١٩٥٥ م .
- إنسان العيون فى سيرة الأمين والمأمون (السيرة الحلبية) لعلى بن إبراهيم الملقب نور الدين ابن برهان الدين الحلبى — ط. مصطفى محمد — القاهرة (بدون تاريخ) .
- الإنصاف فى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، لأبى البركات عبد الرحمن الأنبارى — ليدن سنة ١٩١٣ م .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لأبى محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ، تحقيق عبد المتعال الصعيدى (بدون تاريخ) .
- الإيناس فى علم الأنساب ، للحسين بن على الوزير المغربى ، تحقيق حمد الجاسر — الرياض سنة ١٩٨٠ م .

(ب)

- البارع ، لإسماعيل بن القاسم القالى ، نشر فلتن — لندن سنة ١٩٣٣ م .
- البحر المحيط ، لأبى حيان أثير الدين محمد بن يوسف — القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ .
- البحوث والمحاضرات للدورة الثالثة والثلاثين لمجمع اللغة العربية .
- بدايات الشعر العربى بين الكم والكيف ، للدكتور محمد عونى عبد الرؤوف — القاهرة سنة ١٩٧٦ م .
- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — القاهرة سنة ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ م .

- بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى ، للمستشرق ليتمان – مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول المجلد العاشر – الجزء الأول ، مايو سنة ١٩٤٨ م .
- بلاد العرب ، للحسن بن عبد الله الأصفهانى ، تحقيق حمد الجاسر ، والدكتور صالح العلى – الرياض سنة ١٩٦٨ م .
- بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ، لمحمود شكرى الآلوسى ، شرح وتصحيح محمد بهجة الأثرى – القاهرة سنة ١٩٢٤ – ١٩٢٥ م .
- البيان والتبيين ، لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون – القاهرة سنة ١٩٦٨ م .

(ت)

- التاج = تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد مرتضى الزبيدى – القاهرة سنة ١٣٠٦ هـ .
- تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، لعبد الرحمن بن خلدون تحقيق الأمير شكيب أرسلان (الثانى) – القاهرة ١٩٣٦) .
- تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد ، لإبراهيم بن صالح ، أشرف على طبعه حمد الجاسر – الرياض سنة ١٩٦٦ م .
- تاريخ الرسل والملوك ، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – القاهرة سنة ١٩٦٠ – ١٩٦٩ م .
- تاريخ العرب قبل الإسلام ، للدكتور جواد على – مطبوعات المجمع العلمى العراقى ، بغداد ١٩٥٠ وما بعدها .
- تاريخ الهمزة وقواعد كتابتها ، للدكتور رمضان عبد التواب (ضمن كتاب : فى أصول اللغة ج ٣ – مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة) .
- تاريخ اليعقوبى ، لأحمد بن أبى يعقوب بن جعفر المعروف باليعقوبى – بيروت – سنة ١٩٦٠ م .
- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، لابن حجر العسقلانى أحمد بن على ، تحقيق على محمد البجاوى – القاهرة سنة ١٩٦٧ م .

- التبيان (شرح ديوان المتنبي) ، لأبي البقاء العكبرى ، تحقيق مصطفى السقا — القاهرة سنة ١٩٣٦ م .
- التبيان فى تفسير القرآن ، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسى (تصحيح وتعليق أحمد حبيب قصير العاملى) النجف ١٩٥٧ — ١٩٦٣ .
- تحبير التيسير فى قراءات الأئمة العشرة ، لمحمد بن محمد الجزرى ، تحقيق محمد الصادق قمحاوى ، وعبد الفتاح القاضى — القاهرة سنة ١٩٧٢ م .
- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب ، للأعلم الشنتمرى — على هامش كتاب سيبويه طبعة بولاق .
- تذكرة الحفاظ لشمس الدين أبي عبد الله الذهبي — حيدر آباد الدكن سنة ١٣٣٣ ه .
- تراثنا اللغوى فى حاجة إلى التهذيب والتنقية ، للدكتور رمضان عبد التواب — بحوث الندوة الأولى عن التراث العربي — القاهرة سنة ١٩٨١ م .
- تصحيح الفصيح ، لابن درستويه ، تحقيق عبد الله الجبورى — بغداد سنة ١٩٧٥ م .
- التضاد فى ضوء اللغات السامية ، للدكتور ربحى كمال — بيروت سنة ١٩٧٢ م .
- التطور اللغوى : مظاهره وعلله وقوانينه ، للدكتور رمضان عبد التواب — القاهرة سنة ١٩٨١ م .
- التطور النحوى للمستشرق برجشتراسر ، أخرجه وصححه وعلق عليه الدكتور رمضان عبد التواب — القاهرة سنة ١٩٨٢ م .
- التطور وقانون السهولة والتيسير ، للدكتور رمضان عبد التواب — مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة — العدد ٣٦
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك ، تحقيق محمد كامل بركات — القاهرة سنة ١٩٦٧ م .
- التعاقب والمعاقبة ، للدكتور أحمد علم الدين الجندى — مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة العدد ٤٠
- تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية ، للأب طوبيا العنيسى — القاهرة سنة ١٩٣٢ م .

- تفسير الطبرى = جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، تحقيق محمود محمد شاكر – القاهرة دار المعارف .
- تفسير القرآن العظيم ، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تحقيق عبد العزيز غنيم وآخرين – القاهرة سنة ١٩٧١ م .
- تقويم اللسان ، لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ، تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر – القاهرة سنة ١٩٦٦ م .
- التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية ، للحسن بن محمد بن الحسن الصغانى ، تحقيق عبد العليم الطحاوى وإبراهيم الإبيارى وأبو الفضل إبراهيم – القاهرة سنة ١٩٧٥ – ١٩٧٩ م .
- تلخيص البيان فى مجازات القرآن ، للشريف الرضى ، تحقيق محمد عبد الغنى حسن – القاهرة .
- تميم ، للمستشرق ليڤى دلاڤيدا (بدائرة المعارف الإسلامية) ، ترجمة إبراهيم زكى خورشيد وآخرين – المجلد العاشر سنة ١٩٧٣ م .
- التنبيه والإيضاح عما وقع فى كتاب الصحاح = حواشى ابن برى لعبد الله بن برى : الأول تحقيق مصطفى حجازى ، والثانى تحقيق عبد العليم الطحاوى – القاهرة – سنة ١٩٨٠ ، ١٩٨١ م .
- التنبيهات على أغاليط الرواة ، لعلى بن حمزة البصرى ، تحقيق عبد العزيز الميمنى – القاهرة سنة ١٩٦٧ م .
- تهذيب اللغة ، لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، تحقيق عبد السلام هارون وآخرين – القاهرة سنة ١٩٦٤ – ١٩٦٧ م .
- التيسير فى القراءات السبع ، لأبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى ، تصحيح أوتو برتزل – استانبول سنة ١٩٣٠ م .

(ج)

- الجاسوس على القاموس ، لأحمد فارس الشدياق – الآستانة سنة ١٢٢٩ هـ .
- الجامع لأحكام القرآن ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى – القاهرة سنة ١٩٣٣ م وما بعدها .

- الجمانة فى إزالة الرطانة ، (مجهول المؤلف) تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب — القاهرة سنة ١٩٥٣ م .

- جمع الجوامع ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى (ضمن همع الهوامع) — القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ .

- جمهرة أنساب العرب ، لأبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم ، تحقيق عبد السلام هارون — القاهرة سنة ١٩٧١ م .

- جمهرة اللغة ، لأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى — حيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٣٤٤ — ١٣٥١ هـ .

- الجيم ، لأبى عمرو الشيبانى ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، وعبد العليم الطحاوى ، وعبد الكريم العزباوى سنة ١٩٧٤ — ١٩٧٥ م .

(ح)

- حاشية الأمير على مغنى اللبيب (هامش المغنى) .

- حاشية الصبان على شرح الأشمونى (بهامش شرح الأشمونى) .

- حاشية يس زين الدين على التصريح (على هامش شرح التصريح) .

- الحجة فى علل القراءات السبع ، لأبى على الفارسى ، تحقيق : على النجدى ناصف ، والدكتور عبد الحليم النجار ، والدكتور عبد الفتاح شلبى (دار الكاتب العربى) .

- الحجة فى القراءات السبع ، للحسين بن أحمد بن خالويه ، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم — دار الشروق سنة ١٩٧٧م .

(خ)

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر المغربى — القاهرة (بولاق) — سنة ١٢٩٩ هـ .

- الخصائص ، لأبى الفتح عثمان بن جنى ، الجزء الأول – القاهرة سنة ١٩١٣ م ، وتحقيق محمد على النجار – القاهرة سنة ١٩٥٢ – ١٩٥٦ م (ويشار إلى هذه الطبعة عند استخدامها) .
- خصائص اللهجة الكويتية ، للدكتور عبد العزيز مطر – الكويت سنة ١٩٦٩ م .
- خلق الإنسان ، لثابت بن أبى ثابت ، تحقيق عبد الستار فراج – الكويت سنة ١٩٦٥ م

(د)

- دائرة المعارف ، لبطرس البستانى (تمم) السادس – بيروت سنة ١٨٨٦ م .
- الدخيل فى اللغة العربية ، للدكتور فؤاد حسنين – مجلة كلية الاداب جامعة فؤاد الأول (المجلد ١٠ ، ١١ ، ١٢) .
- دراسات فى فقه اللغة ، للدكتور صبحى الصالح – بيروت سنة ١٩٦٨ م .
- دراسات فى اللغة العربية ، للدكتور خليل يحيى نامى – القاهرة سنة ١٩٧٤ م .
- دراسات فى لهجات شرقى الجزيرة العربية ، تأليف ت . م . جونستون ، ترجمة الدكتور أحمد محمد الضبيب – الرياض ١٣٩٥ هـ .
- دراسات مقارنة فى المعجم العربى ، للدكتور السيد يعقوب بكر – بيروت سنة ١٩٧٠ م .
- دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكومبيوتر ، للدكتور على حلمى عيسى – القاهرة سنة ١٩٧٨ م .
- دراسة الصوت اللغوى ، للدكتور أحمد مختار عمر – القاهرة سنة ١٩٨١ م .
- دراسة صوتية فى لهجة البحرين (بحث ميدانى) للدكتور عبد العزيز مطر – القاهرة سنة ١٩٨٠ م .
- الدر اللقيط من البحر المحيط ، لتاج الدين بن مكتوم القيسى (على هامش البحر المحيط) .
- الدرر اللوامع على همع الهوامع ، لأحمد بن الأمين الشنقيطى (طبعة بالأوفست عن طبعة القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ) – بيروت سنة ١٩٧٣ م .
- درة الغواص فى أوهام الخواص ، لأبى محمد القاسم بن على – القسطنطينية سنة ١٢٩٩ هـ .

- دروس فى علم أصوات العربية ، لجان كانتينوا ، ترجمة صالح القرمادى — تونس سنة ١٩٦٦ م .
- ديوان الأدب ، لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابى ، تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر ، ومراجعة الدكتور إبراهيم أنيس (مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة) — القاهرة سنة ١٩٧٤ — ١٩٧٩ م .
- ديوان الأعشى الكبير ، تحقيق الدكتور محمد حسين — القاهرة سنة ١٩٥٠ م .
- ديوان امرىء القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — القاهرة سنة ١٩٥٨ م .
- ديوان جرير — بيروت سنة ١٩٦٤ م .
- ديوان ذى الرمة ، تحقيق كارليل هنرى هيس — كمبردج سنة ١٩١٩ م .
- ديوان رؤبة بن العجاج (الجزء الثانى من مجموع أشعار العرب) ، تحقيق آهلورت — ليبزج سنة ١٩٠٣ م .
- ديوان العجاج (الجزء الأول من مجموع أشعار العرب) ، تحقيق آهلورت — ليبزج سنة ١٩٠٣ م .
- ديوان العجاج برواية الأصمعى وشرحه ، تحقيق الدكتور عزة حسن — بيروت سنة ١٩٧١ م .
- ديوان عمر بن أبى ربيعة — بيروت ١٩٦٦ م .

(ر)

- الرسالة ، للإمام الشافعى ، تحقيق أحمد محمد شاكر — القاهرة سنة ١٩٤٠ م .
- الرحل والمنزل ، المنسوب لابن قتيبة (ضمن البلغة فى شذور اللغة) .
- رواية اللغة ، للدكتور عبد الحميد الشلقانى — القاهرة سنة ١٩٧١ م .

(ز)

- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم ، لمحمد بن حبيب الله ـ القاهرة سنة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٦ م .
- زاد المسير فى التفسير ، لأبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على الجوزى ـ القاهرة سنة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧ م .
- زهر الاداب فى علم معرفة أنساب ومفاخر العرب ، لمحمد بن إبراهيم الحقيل ـ المكتب الإسلامى للطباعة والنشر ، دمشق سنة ١٩٦٤ م .

(س)

- سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب ، لأبى الفوز محمد أمين البغدادى السويدى ـ بغداد سنة ١٢٨٠ هـ .
- السبعة فى القراءات ، لأحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف ـ القاهرة سنة ١٩٨٠ م .
- سر صناعة الإعراب (الجزء الأول) ، تحقيق مصطفى السقا ، ومحمد الزفزاف ، وإبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين ـ القاهرة سنة ١٩٥٤ م .
- سمط اللآلى فى شرح أمالى القالى ، لأبى عبيد البكرى ، تحقيق عبد العزيز الميمنى ـ القاهرة سنة ١٩٣٦ م .
- سنن ابن ماجه (محمد بن يزيد القزوينى) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ـ القاهرة سنة ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ م .
- السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الإبيارى ، وعبد الحفيظ شلبى ـ القاهرة سنة ١٩٣٦ م .

(ش)

- الشافية ، لأبى عمر عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب (ضمن شرح الشافية) .
- شذا العرف فى فن الصرف ، لأحمد الحملاوى ـ القاهرة سنة ١٩٧١ م .

- الشذوذ فى اللغة للدكتور رمضان عبد التواب — مقالة فى المجلة التذكارية للمستشرق (شبيتالر) — فيسبادون سنة ١٩٨٠ م .
- شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، لنور الدين أبى الحسن على بن محمد الأشمونى — القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) بدون تاريخ .
- شرح بانت سعاد ، لجمال الدين أبى محمد عبد الله بن هشام ، تحقيق أغناطيوس كويدى — ليبزج ١٨٧١ م .
- شرح التسهيل لابن مالك (الجزء الأول) ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد — القاهرة سنة ١٩٧٤ م .
- شرح التصريح ، لخالد بن عبد الله الأزهرى — القاهرة سنة ١٢٩٤ هـ .
- شرح درة الغواص فى أوهام الخواص لأحمد شهاب الدين الخفاجى — القسطنطينية سنة ١٢٩٩ هـ .
- شرح ديوان ذى الرمة ، لأبى نصر أحمد بن حاتم الباهلى ، تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح — دمشق سنة ١٩٧٢ م .
- شرح ديوان زهير بن أبى سلمى لثعلب — القاهرة سنة ١٩٤٤ م .
- شرح ديوان علقمة ، لأبى الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمرى تصحيح محمد بن أبى شنب — باريس سنة ١٩٢٥ م .
- شرح ديوان الفرزدق ، جمع وتعليق عبد الله إسماعيل الصاوى — القاهرة سنة ١٩٣٦م .
- شرح ديوان الهذليين ، لأبى سعيد الحسن بن الحسين السكرى ، تحقيق عبد الستار فراج — القاهرة سنة ١٩٦٥ م .
- شرح الرضى على كافية ابن الحاجب ، لرضى الدين بن محمد الاستراباذى — اسطنبول سنة ١٢٩٢ هـ .
- شرح شافية ابن الحاجب ، لرضى الدين بن الحسن الاستراباذى ، تحقيق محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد — القاهرة سنة ١٣٥٦—١٣٥٨هـ .
- شرح شذور الذهب ، لعبد الله جمال الدين بن هشام ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد — القاهرة سنة ١٩٦٥ م .

- شرح شواهد الأشمونى ، للعينى (بهامش شرح الأشمونى) .
- شرح شواهد شافية ابن الحاجب ، لعبد القادر البغدادى تحقيق محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيى الدين عبد الحميد – القاهرة سنة ١٣٥٦ هـ .
- شرح شواهد المغنى ، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطى – القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ .
- شرح ابن عقيل على ألفيه ابن مالك لبهاء الدين عبد الله بن عقيل ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – القاهرة سنة ١٩٦٥ م .
- شرح القصائد السبع الطوال ، لأبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى ، تحقيق عبد السلام هارون – القاهرة سنة ١٩٦٣ هـ .
- شرح قطر الندى وبل الصدى ، لجمال الدين بن هشام – القاهرة سنة ١٩٦٦ م .
- شرح المفصل للزمخشرى ، لأبى البقاء ابن يعيش – القاهرة (المطبعة المنيرية) بدون تاريخ .
- شعر الأحوص ، جمع وتحقيق عادل سليمان تقديم الدكتور شوقى ضيف – القاهرة سنة ١٩٧٠ م .
- الشعر عند البدو ، لشفيق الكمالى – بغداد سنة ١٩٦٤ م .
- شعر النمر بن تولب ، صنعة الدكتور نورى حمودى القيسى – بغداد سنة ١٩٦٩ م .
- الشعر والشعراء ، لأبى محمد عبد الله بن سلم بن قتيبة ، تحقيق المستشرق دى غويه – ليدن سنة ١٩٠٢ م .

(ص)

- الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العربية فى كلامها ، لأبى الحسين أحمد بن فارس – القاهرة سنة ١٩١٠ م . تحقيق السيد صقر – القاهرة سنة ١٩٧٧ م (ويشار إلى الأخيرة عند الرجوع إليها) .
- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا لأبى العباس أحمد بن على القلقشندى – القاهرة سنة ١٩٢٢ م وما بعدها .
- الصبح المنير فى شعر أبى بصير والأعشيين الآخرين – بيانه سنة ١٩٢٧ م .

– الصحاح = تاج اللغة وصحاح العربية ، لإسماعيل بن حماد الجوهرى ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار – القاهرة سنة ١٩٥٦ م .

– صحيح البخارى ، لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى – القاهرة سنة ١٣١٤هـ .

– صحيح الترمذى – القاهرة سنة ١٩٣١ – ١٩٣٤ م .

– صحيح مسلم ، لأبى الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى – القاهرة سنة ١٩٥٥ – ١٩٥٦ م .

– صفة جزيرة العرب ، للحسن بن أحمد الهمدانى – ليدن سنة ١٨٨٤ م .

(ط)

– طبقات فحول الشعراء ، لمحمد بن سلام الجمحى ، تحقيق محمود محمد شاكر – القاهرة سنة ١٩٥٢ م .

– طبقات النحويين واللغويين ، لأبى بكر الزبيدى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – القاهرة سنة ١٩٥٤ م .

(ظ)

– ظواهر نادرة فى لهجات الخليج العربى ، للدكتور عبد العزيز مطر – الدوحة سنة ١٩٧٦م .

(ع)

– عجالة المبتدى وفضالة المنتهى فى النسب ، لأبى بكر محمد بن أبى عثمان الحازمى الهمدانى – تحقيق عبد الله كنون – القاهرة سنة ١٩٧٣ م .

– العرب قبل الإسلام ، لجرجى زيدان – مراجعة وتعليق الدكتور حسين مؤنس – القاهرة (بدون تاريخ) .

- العربية دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب ، للمستشرق يوهان فك ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب — القاهرة سنة ١٩٨٠ م .
- العقد الفريد ، لأحمد بن محمد بن عبد ربه ، تحقيق أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وإبراهيم الإبيارى — القاهرة سنة ١٩٤٠ — ١٩٤٢ م .
- علم اللغة ، للدكتور على عبدالواحد وافى — القاهرة سنة ١٩٧٢ م .
- علم اللغة (مقدمة للقارىء العربى) ، للدكتور محمود السعران — القاهرة سنة ١٩٦٠م .
- العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدى :

  الأول : تحقيق الدكتور عبدالله درويش — بغداد سنة ١٩٦٧ م .

  الثانى إلى السادس : تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائى وآخرين — بغداد .
- عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لأحمد بن القاسم بن خليفة المعروف بابن أبى أصيبعة — القاهرة سنة ١٨٨٢ م .

(غ)

- غاية النهاية فى طبقات القراء لشمس الدين أبى الخير محمد بن محمد الجزرى تحقيق برجشتراسر — القاهرة سنة ١٩٣٣ م .
- غرائب اللغة العربية ، للأب روفائيل نخلة اليسوعى — بيروت سنة ١٩٦٠ م .

(ف)

- فصول فى فقه العربية ، للدكتور رمضان عبد التواب — القاهرة سنة ١٩٨٠ م .
- فقه اللغات السامية ، للمستشرق كارل بروكلمان ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب — الرياض سنة ١٩٧٧ م .
- فقه اللغة المقارن ، للدكتور إبراهيم السامرائى — بيروت سنة ١٩٦٨ م .
- فقه اللغة وسر العربية ، لأبى منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى ، نشر الأب لويس شيخو — بيروت سنة ١٩٣٨ م .
- الفهرست ، لابن النديم — القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ .

- في أصول اللغة (مطبوعات مجمع اللغة العربية) القاهرة (الأول ، والثاني ، والثالث) — القاهرة سنة ١٩٦٩ م ، ١٩٧٥ م ، ١٩٨٢ م .
- في سراة غامد وزهران ، لحمد الجاسر ، الرياض سنة ١٩٧١ م .
- في قواعد الساميات ، للدكتور رمضان عبد التواب — القاهرة سنة ١٩٨١ .
- في اللهجات العربية ، للدكتور إبراهيم أنيس ، القاهرة سنة ١٩٧٤ م .

(ق)

- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى — القاهرة سنة ١٩٣٣م .
- القبائل التميمية فى عنيزة ، لعبد الله بن محمد البسام ومراجعة عبد الرحمن بن عبد العزيز بن زامل — مجلة العرب ، السنة الخامسة ، العدد ٢ .
- القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، للدكتور عبد الله خورشيد البرى — القاهرة سنة ١٩٦٧ م .
- القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ، لعبد الفتاح القاضى — القاهرة (بدون تاريخ) .
- القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ، للدكتور عبد الصبور شاهين — القاهرة سنة ١٩٦٦ م .
- قضايا لغوية ، للدكتور كمال بشر — القاهرة سنة ١٩٦٢ م .
- قلب جزيرة العرب ، لفؤاد حمزة — الرياض سنة ١٩٦٨ م .
- قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان ، لأبى العباس أحمد بن على القلقشندى تحقيق إبراهيم الإبيارى — القاهرة سنة ١٩٦٣ م .
- قواعد اللغة العبرية ، للدكتور عونى عبد الرءوف القاهرة سنة ١٩٧١ م .

(ك)

- الكامل فى اللغة والأدب لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد ، مكتبة المعاروف — بيروت (بدون تاريخ) .
- الكتاب لسيبويه تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة — سنة ١٩٦٦–١٩٧٧ .

- كشاف اصطلاحات الفنون لمحمد صابر الفاروقى التهانوى — ككلتا سنة ١٨٦١ م .
- الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، لجار الله أبو القاسم محمود بن عمر — القاهرة سنة ١٣٠٧ هـ .
- كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب ، لأحمد فارس الشدياق — الآستانة سنة ١٢٨٨ .

(ل)

- لامية منظور بن مرثد الأسدى ، جمعها وحققها وعلق عليها الدكتور رمضان عبد التواب — مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، العدد ٢٩ .
- لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية للدكتور عبد العزيز مطر — القاهرة سنة ١٩٦٦م .
- لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن جلال الدين — القاهرة سنة ١٣٠٠–١٣٠٧هـ
- لطائف الإشارات لفنون القراءات ، لشهاب الدين القسطلانى (الأول) تحقيق عامر السيد عثمان ، والدكتور عبد الصبور شاهين — القاهرة سنة ١٩٧٢ م .
- اللغة لفندريس ، ترجمة عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص — القاهرة سنة ١٩٥٠م .
- اللغة العبرية : قواعد ونصوص ومقارنات ، للدكتور رمضان عبد التواب — القاهرة سنة ١٩٧٧ م .
- اللغة العربية فى عصور ما قبل الإسلام ، لأحمد حسين شرف الدين — القاهرة سنة ١٩٧٥م .
- اللغة العربية معناها ومبناها ، للدكتور تمام حسان — القاهرة سنة ١٩٧٩ م .
- اللغة والنحو ، للدكتور حسن عون — الإسكندرية سنة ١٩٥٢ م .
- اللمع فى العربية ، لأبى الفتح عثمان بن جنى ، تحقيق الدكتور حسين محمد شرف — القاهرة سنة ١٩٧٩ م .
- لمع الأدلة فى أصول النحو ، لأبى البركات كمال الدين الأنبارى ، تحقيق عطية عامر بيروت سنة ١٩٦٣ م .
- لهجات العرب لأحمد تيمور — القاهرة ١٩٧٣ م .
- لهجة البدو فى إقليم ساحل مريوط ، للدكتور عبد العزيز مطر — القاهرة سنة ١٩٦٧م .

- لهجة شمال المغرب : تطوان وما حولها ، للدكتور عبد المنعم سيد عبد العال ـ القاهرة سنة ١٩٦٨ م .
- اللهجات العربية فى التراث ، للدكتور أحمد علم الدين الجندى ـ القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ، للدكتور عبده الراجحى ـ القاهرة سنة ١٩٦٨م .

(م)

- المؤتلف والمختلف فى أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم ، لأبى القاسم الحسن ابن بشر الآمدى ـ القاهرة سنة ١٩٥٤ هـ .
- مابنته العرب على فعال ، للحسن بن محمد بن الحسن الصغانى ، تحقيق الدكتور عزة حسن ـ دمشق سنة ١٩٦٤ م .
- ماورد فى القرآن من لغات القبائل لأبى القاسم بن سلام (على هامش تفسير الجلالين) ـ القاهرة سنة ١٩٥٤ م .
- المثل السائر ، لضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ القاهرة سنة ١٩٤٨ م .
- المجاز بين اليمامة والحجاز ، لعبد الله بن محمد بن خميس ـ الرياض ـ سنة ١٣٩٠هـ = سنة ١٩٧٠ م .
- مجالس ثعلب ، لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون ـ القاهرة سنة ١٩٤٩ م .
- مجمع الأمثال ، لأحمد بن محمد الميدانى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ بيروت سنة ١٩٧٢ م .
- مجمع البيان فى تفسير القرآن ، لأبى على الفضل بن الحسن الطوسى ـ صيدا سنة ١١٣٣هـ .
- مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما : ماضيه وحاضره (١) للدكتور إبراهيم مدكور ـ القاهرة سنة ١٩٦٤ م .

- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ، لمجمع اللغة العربية : الثالث سنة ١٩٦٢م ، والسابع سنة ١٩٦٦ م .
- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ، لمحمد الخضرى - القاهرة سنة ١٣٧٠ هـ .
- المحبر ، لأبى جعفر محمد بن حبيب ، تحقيق إيلزة ليختن - حيدر آباد سنة ١٣٦١هـ.
- المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لأبى الفتح عثمان بن جنى ، تحقيق على النجدى ناصف وآخرين ، القاهرة سنة ١٩٦٦ - ١٩٦٩ م .
- المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة لأبى الحسن على بن إسماعيل ، المعروف بابن سيده تحقيق مصطفى السقا وآخرين - القاهرة سنة ١٩٥٨ ومابعدها .
- المحيط فى اللغة للصاحب بن عباد تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين - بغداد سنة ١٩٧٦ وما بعدها .
- مختصر فى شواذ القرآن (من كتاب البديع) للحسين بن أحمد بن خالويه ، نشرة برجشتراسر - القاهرة سنة ١٩٣٤ م .
- مختصر المذكر والمؤنث ، للمفضل بن سلمة ، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة سنة ١٩٧٢م .
- مختلف القبائل ومؤتلفها ، لأبى جعفر محمد بن حبيب - تحقيق حمد الجاسر - القاهرة سنة ١٩٨٠ م .
- المخصص فى اللغة ، لأبى الحسن على بن إسماعيل ، المعروف بابن سيده - القاهرة سنة ١٣١٦- سنة ١٣٢١ هـ .
- المدخل إلى علم اللغة ، للدكتور رمضان عبدالتواب - القاهرة سنة ١٩٨٠ م .
- المذكر والمؤنث ، لأبى بكر الأنبارى (الأول) ، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة - القاهرة سنة ١٩٨١ م .
- المذكر والمؤنث ، لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ، والدكتور صلاح الهادى - القاهرة سنة ١٩٧٠ م .

- المذكر والمؤنث لأبى زكريا يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق الدكتور رمضان عبدالتواب — القاهرة سنة ١٩٧٥ م .

- المرتجل ، لأبى محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب ، تحقيق على حيدر — دمشق سنة ١٩٧٢ م .

- مروج الذهب ، للحسن على بن الحسين المسعودى — القاهرة سنة ١٢٤٦ هـ .

- المزهر فى علوم اللغة ، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطى ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلى محمد البجاوى — القاهرة سنة ١٩٥٨

- مسالك الممالك ، لأبى إسحاق إبراهيم بن محمد الإصطخرى — بريل — سنة ١٨٧٠ م .

- مسطرة اللغوى ، للدكتور إبراهيم أنيس — مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة — العدد ٢٩ .

- مسند ابن حنبل ، لإمام أحمد بن حنبل — القاهرة سنة سنة ١٣١٣ هـ .

- مشكل إعراب القرآن ، لأبى محمد مكى بن أبى طالب القيسى ، تحقيق حاتم صالح الضامن — بغداد سنة ١٩٧٥ م .

- مشكلة الضاد العربية وتراث الضاد والظاء للدكتور رمضان عبد التواب — مجلة المجمع العلمى العراقى — العدد الحادى والعشرون .

- المصباح المنير ، لأحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى ، تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوى — القاهرة سنة ١٩٧٧ م .

- المعادى النافعة ، لفرارد ، ترجمة رفاعة رافع الطهطاوى — القاهرة سنة ١٢٤٨ هـ .

- المعارف ، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق محمد إسماعيل الصاوى — القاهرة سنة ١٩٣٤ م .

- معانى الشعر ، لأبى عثمان سعيد بن هارون الأشناندانى — دمشق سنة ١٩٢٢ م .

- معانى القرآن ، لأبى زكريا يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق أحمد يوسف نجاتى وآخرين — القاهرة سنة ١٩٥٥ — ١٩٧٢ م .

- معجم الأدباء = إرشاد الأريب ، لياقوت الحموى - القاهرة سنة ١٩٣٦-١٩٣٨ م .
- معجم أسماء النبات ، للدكتور أحمد عيسى - القاهرة سنة ١٣٤٩ هـ .
- معجم الألفاظ الكويتية ، للشيخ جلال الحنفى - بغداد سنة ١٩٤٦ م .
- معجم البلدان لأبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى - القاهرة سنة ١٣٠٦ م .
- معجم الحيوان ، لأمين فهد المعلوف - القاهرة سنة ١٩٣٢ م .
- معجم الشعراء ، لأبى عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى - القاهرة سنة ١٣٥٤ هـ .
- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر رضا كحالة - بيروت سنة ١٩٦٨ م .
- المعجم الكبير (مطبوعات مجمع اللغة العربية) : الأول سنة ١٩٧٠ ، والثانى سنة ١٩٨٢م .
- معجم لهجة تميم ، لفاضل المطلبي - مجلة المورد العراقية - المجلد السابع (العدد الثالث) سنة ١٩٧٨ م .
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، لأبى عبد الله بن عبد العزيز البكرى ، تحقيق مصطفى السقا - القاهرة سنة ١٩٤٥ - ١٩٤٩ م .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، لمحمد فؤاد عبد الباقى القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ .
- المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية بالقاهرة) - القاهرة سنة ١٩٧٢ م .
- المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم ، لأبى منصور الجواليقى ، تحقيق أحمد محمد شاكر - القاهرة سنة ١٣٦١ هـ .
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، لشمس الدين أبي على الذهبي (الأول) تحقيق محمد سيد جاد الحق - القاهرة سنة ١٩٦٩ م .
- كتاب المعمرين ، لأبى حاتم سهل السجستانى - ليدن سنة ١٨٩٩ م .
- مغنى اللبيب ، لأبى محمد عبد الله جمال الدين بن هشام - القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) بدون تاريخ .
- المفصل ، لجار الله محمود بن عمر الزمخشرى (ضمن شرح المفصل لابن يعيش) .

- المفضليات ، للمفضل بن محمد الضبي ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون – القاهرة سنة ١٩٧٩ م .
- مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام محمد هارون – القاهرة سنة ١٩٦٩ – ١٩٧٢ م .
- المقتضب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة – القاهرة سنة ١٣٦٨ هـ .
- مقدمة ابن خلدون ، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافى (الرابع) – القاهرة ١٩٦٨
- مقدمتان فى علوم القرآن (مقدمة كتاب المبانى ، ومقدمة ابن عطية) ، نشر المستشرق آرثر جفرى – القاهرة سنة ١٩٥٤ وسنة ١٩٧٢ م .
- الممتع فى التصريف ، لابن عصفور الإشبيلى ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة – بيروت ١٩٧٩
- مميزات لغات العرب وتخريج اللغات العامية عليها وفائدة علم التاريخ من ذلك ، لحفنى ناصف – القاهرة ١٩٥٧ م .
- مناهج البحث فى اللغة ، للدكتور تمام حسان – القاهرة سنة ١٩٥٥ م .
- من أسرار اللغة ، للدكتور إبراهيم أنيس – القاهرة سنة ١٩٧٥ م .
- من الخصائص اللغوية لقبيلة « هذيل » ، للدكتور أحمد علم الدين الجندى (قدم إلى مؤتمر الدورة الثامنة والأربعين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة – الجلسة الثالثة ضمن أعمال لجنة اللهجات) .
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين لمحمد بن محمد بن الجزرى ، تحقيق عبد الحى الفرماوى – القاهرة سنة ١٩٧٧ هـ .
- منحة الجليل على شرح ابن عقيل ، لمحمد محيي الدين عبد الحميد (بهامش شرح ابن عقيل) .
- المنصف لابن جنى بشرح التصريف للمازنى ، تحقيق إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين – القاهرة سنة ١٩٥٤ م .
- مهد العرب ، لعبد الرحمن عزام – القاهرة سنة ١٩٤٦ م .

(ن)

ـ النبات ، لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري ـ ليدن سنة ١٩٥٣ م .

ـ النبات والشجر ، المعزو للأصمعي أبي سعيد عبد الملك بن قريب (ضمن البلغة في شذور اللغة) ، نشر أوغست هَفْنِر والأب لويس شيخو ـ بيروت سنة ١٩١٤ م .

ـ النحو الوافي (الأول) ، لعباس حسن ـ القاهرة سنة ١٩٦٠ م .

ـ النخل والكرم ، للأصمعي (ضمن كتاب البلغة) ـ نشر هفنر ولويس شيخو ـ بيروت سنة ١٩١٤ م .

ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء (نشر باسم : تاريخ الأدباء النحاة) لأبي البركات عبد الرحمن بن الأنباري ـ القاهرة (جمعية إحياء مآثر علوم العرب ـ بدون تاريخ) .

ـ نسب عدنان وقحطان ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ـ القاهرة سنة ١٩٣٦ م .

ـ النشر في القراءات العشر ، لمحمد بن محمد الشهير بابن الجزري ـ القاهرة سنة ١٣٤٥ هـ .

ـ نصوص في فقه اللغة العربية ، للدكتور السيد يعقوب بكر (الأول) ـ بيروت ـ سنة ١٩٧٠ م .

ـ النقائض ـ نقائض جرير والفرزدق ، تحقيق بيفان ـ ليدن سنة ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧ م .

ـ نهاية الأرب في فنون الأدب ، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ـ القاهرة سنة ١٩٢٣ م وما بعدها .

ـ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ، تحقيق إبراهيم الإبياري ـ القاهرة سنة ١٩٥٩م .

ـ النهاية في غريب الحديث والأثر ، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق محمود الطناحي ـ القاهرة سنة ١٩٦٣ ـ ١٩٦٥ م .

ـ النوادر ، لأبي مسحل الأعرابي ، تحقيق الدكتور عزة حسن ـ دمشق سنة ١٩٦١م .

- النوادر فى اللغة ، لأبى زيد الأنصارى ، نشر سعيد الشرتونى ، (طبعة مصورة) ـ بيروت سنة ١٩٦٧م ، وتحقيق محمد عبد القادر أحمد الشروق (بيروت والقاهرة) سنة ١٩٨١ م (ويرمز إلى الثانية بالشروق ، وعند عدم الرمز فالمراد الأولى) .

(هـ)

- همع الهوامع ، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطى ـ القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ .

(و)

- وفيات الأعيان ، لأبى العباس أحمد بن محمد المشهور بابن خلكان ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ القاهرة سنة ١٩٤٨ م .
- الولاة والقضاة ، لأبى عمر محمد بن يوسف الكندى ، تهذيب وتصحيح رفن كست ـ سنة ١٩٠٨ م .

(ب) المخطوطة :

(ا)

- أبنية الأسماء والأفعال والمصادر ، لعلى بن جعفر السعدى المعروف بابن القطاع ، تحقيق الدكتور أحمد محمد عبد الدايم ـ رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية دار العلوم سنة ١٩٨٠ م .
- ارتشاف الضرب ، لأبى حيان أثير الدين محمد بن يوسف ـ نسخة مصورة بمكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (عن المكتبة الأحمدية ـ ٨٩٩) .
- أسماء الإشارة بين العربية واللغات السامية : دراسة مقارنة ، لعلاء الدين هاشم الخفاجى ـ رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم اللغة العربية بآداب عين شمس سنة ١٩٨١ .
- إعراب القرآن ، لأبى جعفر النحاس ، مصور بمكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

(ب)

- البحر المحيط ، لأبى حيان أثير الدين محمد بن يوسف ـ ٥٤ تفسير ـ دار الكتب المصرية .
- بغية الآمال فى معرفة النطق بجميع مستقبلات الأفعال ، لأحمد بن يوسف اللبلى ـ دار الكتب المصرية ٢٢ صرف تيمور .

(ت)

- تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد مرتضى الزبيدى ١٨ لغة أبو الذهب — بدار الكتب المصرية .

- تهذيب اللغة ، لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى — نسخة مصورة بمكتبة مجمع اللغة العربية عن نسخة دار الكتب المصرية .

(ح)

- الحجة فى علل القراءات السبع ، لأبى على الفارسى ؛ نسخة مصورة بمكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة عن مكتبة البلدية بالإسكندرية تحت رقم ٣٥٧٠ ع .

(خ)

- خصائص لغة تميم أصواتًا وبنية ودلالة ؛ لمحمد بن أحمد بن سعيد العمرى — رسالة ماجستير مقدمة لكلية الشريعة بمكة المكرمة سنة ١٣٩٦ هـ .

(ر)

- رسالة فى غريب القرآن على لغات القبائل لابن عباس . — دار الكتب المصرية — ١٤٠ حديث تيمور .

(ش)

- شرح ديوان رؤبة — نسخة مصورة بمكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

- شرح السيرافى على كتاب سيبويه — دار الكتب المصرية — ٥٢٨ نحو ؛ تيمور .

- شرح كتاب سيبويه ؛ لعلى بن عيسى الرمانى — مصور بمكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة عن مكتبة فيض الله باستانبول رقم ١٩٨٤ .

- شواذ القراءة للكرمانى ب — ٢٠٠٧٣ مصور بدار الكتب المصرية عن مكتبة الأزهر .

(ص)

- الصوت والدلالة فى اللهجات اليمنية القديمة والمعاصرة وأصولها فى اللغات السامية ، لعبد الوهاب عبده رواح — رسالة ماجستير مقدمة لقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة عين شمس سنة ١٩٨٢ م .

(غ)

- الغريب المصنف ، لأبى عبيد القاسم بن سلام (نسخة مصورة بمكتبة مجمع اللغة العربية) عن مكتبة فاتح ٤٠٠٨ .

(ف)

- الفرق بين الأحرف الخمسة : الظاء والضاد والذال ، والسين والصاد ، لابن السِّيد البطليوسى (ميكروفيلم بمعهد المخطوطات — لغة) .
- فَعَلْت وَأَفْعَلْت ، لأبى حاتم السجستانى سهل بن محمد بن عثمان — ٢٠٦ لغة تيمور دار الكتب المصرية .
  وفى الدار أخرى برقم ٤٨٧ نسبها المفهرس خطأً للأصمعى .

(م)

- ما تفرد به بعض أئمة اللغة = الشوارد ، للحسن بن محمد بن الحسن الصغانى ، نسخة مخطوطة بمكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة منقولة عن نسخة دار الكتب المصرية .
  وأخرى مصورة عن شهيد على ، أشرنا إليها فى الهامش عند الرجوع إليها .
- المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة ، لأبى الحسن على بن إسماعيل المعروف بابن سيده السفر ٢٠ بدار الكتب المصرية ٤٩ لغة .
- المزهر فى علوم اللغة لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى — دار الكتب المصرية ٦٤٢ لغة .

* * *

ثانيا : المراجع الافرنجية :

1. **D. Jones**, An outline of English phonetics, Cambridge 1950.

2. **Ellous Bocthor**, Dictionaire Français — Arabe, Caire 1871.

3. **F. Steingass**, Persian-English Dictionary, London 1930.

4. **G. Jespersen**, Language, Its Nature, development and origin, London, 1964.

5. **J. Marouzeau**, Lexique de la terminologie Linguistique, Paris 1968.

6. **Jeffery, A.** The Foreign Vocabulary of the Quran, Barada 1938.

7. **Rabin, Ancient West-Arabian,** London 1951.

8. **Sabatino Moscati**, An introduction to the Comparative Grammar of Sematic Languages 1969-Otto Harrassowitz. Wiesbaden.

9. **W. Gesenius**, Hebrew and English Lexicon, Oxford 1929.

الفهـرس

الموضوع	الصفحة



الباب الثانى
(المستوى الصوتى)

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة
رَفغ ــ شَهد ــ صَدف ــ صَلب ــ	
ضَعْف ــ عَقْر ــ قَلنسوة ــ لَحْد ــ	
نعَام ــ وَجْد ــ لفظان ملحقان :	
زَهو ــ لَمى)	
(ج) ألفاظ تأرجحت الروايات بين نسبة ضمها	
وفتحها إلى تميم...	٢٥٠
أولًا : ماجاء على مَفْعُلة ومَفْعَلة	٢٥٠
(مبقلة ــ مزرعة ــ مشرعة ــ مقبرة ــ	
ميسرة ــ مسربة ــ مشرفة)	
ثانيا : ألفاظ مفردة	٢٥٢
(أرومة ــ الحوب)	
كلمة تأرجحت الروايات بين نسبة	
فتح صوتها الثانى وإسكانه إلى تميم	
وهي مضمومة عند غيرهم...	٢٥٤
التعقيب...	٢٥٥
ثانيا : بين الحركات الطويلة :	٢٥٨
(ا) بين ألف المد وياء المد .	
(ب) بين واو المد وياء المد .	
كلمة ختامية	٢٦٢
٢ ــ الإبدال المقيد (التركيبي)	٢٦٣
(ا) التماثل	٢٦٣
أولًا : التماثل عند تميم	٢٦٤
١ ــ الإتباعي المتصل (غير مطرد) (أُمَيِّد)	٢٦٤

الموضوع الصفحة

الموضوع — الصفحة

الباب الثالث
(المستوى الصرفى)

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع　　　　　　　　　　الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب الرابع

(المستوى النحوى)

الباب الخامس

(المستوى الدلالى)

الموضوع الصفحة

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الادارة

مصطفى حسن على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٥/٢٦١٩

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية
٢٣٠٥-١٩٨٣-٢٠٠٠



